

# إقليم البحيرة

صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح

محمد محمود زينو



دار المعارف بمصر

اهداءات ٢٠٠٠

المهندس / راحميس اللقاني

الإسكندرية

# إقليم البحيرة

صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح



يُحَدِّثُكَ زَيْتُون

١٩٦٢



دار المعارف بمصر







الرئيس جمال عبد الناصر  
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

دون العدران ولوشبرا  
أبقيت لشكر ذكرى  
( زيتون )

أصاحت فلم تترك أرضا  
وقضيت على الاقطاع فبا





السيد / كمال الدين حسين  
نائب الرئيس ووزير الادارة المحلية





السيد / محمد وحيه أباطه  
مافظ البحيرة



# تقديم الكتاب

بقلم : السيد / محمد وجيه أباطه  
محافظ البحيرة

لأنه ليسعدني حتما أن أقدم بين يدي  
القارئ هذا الكتاب عن « إقليم البحيرة » ،  
الذي اضطلع بتأليفه الأستاذ محمد محمود زيتون ،  
وبذل في ذلك جهدا يتوق الطاقة .

ولذا كان هذا الكتاب يهم أولا أبناء  
البحيرة ، إذ سيتفهمون - لأول مرة - على  
تاريخ إقليمتهم ، منذ أقدم العصور إلى الآن ..  
إلا أنه يهم كذلك جميع المواطنين في مصر  
والبلاد العربية ، فإن هذا الإقليم ، كان  
ولا يزال وثيق الصلات بالشرق والغرب ،  
على نحو فريد . لم يتوفر لأي إقليم آخر . كما  
أن له كناعته المجد على مر العصور .

وبعد فإن هذا الكتاب يعتبر أول انطلاقة  
الإقليمية لبعث تراثنا الثقافي .. الذي تحرم ثورتنا  
المباكرة على إبراز معالنه ، وبهذا تتشرف محافظة  
البحيرة .. وتعزز بانها بالنسبة لهذا الميدان في الطبيعة .  
ومن دواعي الفخر عند أبناء البحيرة  
أنهم يسرون في كل مضمار ، على هدى رائد  
نمضتنا . وقائد ثورتنا الرئيس جمال عبد الناصر

محمد وجيه أباطه

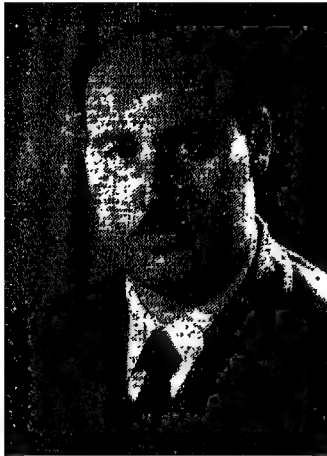
دمهور في ١٣ مارس ١٩٦٢



هوريس ( إله البحيرة )

منذ آلاف السنين





## المؤلف

محمد محمود زيتون

- سكرتير عام الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية.
- مولود بمدينة ادفو - بحيرة في ٤ مارس سنة ١٩١٦ .
- ليسانس في الآداب والفلسفة من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٢ .
- اشتغل بتدريس الفلسفة والانجليزية والفرنسية بإدفو وبغداد وملوى وسوهاج ورشيد ودمهور والاسكندرية .
- حائز على جائزة الدولة سنة ١٩٤٨ في التأليف المسرحي والشعر والخطابة .
- حائز على جوائز عبد الرحمن شكرى سنة ١٩٣٥ وأحمد أمين سنة ١٩٤٢ وجامعة الثقافة سنة ١٩٤٩ .
- رئيس الشؤون الثقافية بمنطقة الاسكندرية التعليمية سنة ١٩٥٩ .
- مدير العلاقات العامة بمحافظة الاسكندرية سنة ١٩٦١ .
- عضو وفد الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا سنة ١٩٦٢ .

● له بحوث وأشعار في : الأهرام ، الجهاد ، الأخبار ، روز اليوسف اليومية ،  
المصرى . المساء . الشعب . الجمهورية . البصير . منبر الشرق . الرسالة ، الرسالة  
الجديدة ، نهضة أفريقيا ، الكتاب ، النصول . القبس ، الشهر ، الحقائق ،  
الناهرة ، الوعي الباكستانية ، الأزهر ، الهدى النبوى .

● له أحاديث وتمثيلات في إذاعة الناهرة والاسكندرية .

مؤلفاته . جرس المدرسة (١٩٣٥) - الملك الصياد (١٩٣٥) - إدكو (١٩٣٥)  
وحدة الوادى (١٩٤٧) - مينا (١٩٤٨) - ميلاد النبي (١٩٤٨) - دار النشر  
للجامعيين) - جهاد النبي (١٩٥٢ - دار النشر للجامعيين) عند الامتحان  
(١٩٥٣) - الألعاب العربية (١٩٥٦ دار نشر الثقافة بالاسكندرية) -  
حرائق القاهرة فى التاريخ (١٩٦٠ - مكتبة وهبة بالقاهرة) سلسلة النصوص  
النومية للطامل : فارس العرب ، القائد الصغير ، (١٩٦٢ - الدار المصرية  
للطباعة والنشر بالاسكندرية) - الادارة المحلية فى مصر من ٥ آلاف سنة  
إلى اليوم (١٩٦٢ - دار المعارف) - سيدة النساء (١٩٦٢ الدار النومية  
للطباعة والنشر) - إقليم البحيرة (١٩٦٢ دار المعارف بمصر) .

## فاتحة الكتاب

لست أدري ما الذى دعانى إلى تأليف كتاب عن تاريخ إقليم البحيرة : فهل هو الوفاء لهذا الإقليم الذى نشأت فيه صغيرا وعملت فى مدنه وقرأه مدرسا منذ الصبا ؟ أم هل هو حلقة تالية لكتابتى عن بلدى (ادكو) الذى وضعته سنة ١٩٣٥ ؟ أم أن تطورا جديدا طرأ على مجتمعنا ، حزننى إلى إبراز معالم هذا الإقليم ، ليقف أبناء البحيرة على ما كان لهم من أجداد ؟

الواقع أن هذه كلها حوافز دفعتنى إلى وضع هذا الكتاب ، ولا سيما عندما أخذت الثورة بسياسة الحكم المحلى ، كتطبيق عملى للديمقراطية الصحيحة ، فكان لابد من الوقوف على تاريخ هذا الإقليم العريق ، الذى أصبح لأول مرة من سنة ١٩٦٠ يسمى « محافظة البحيرة »

وإن إقليم البحيرة يستحق أن يوضع عنه كتاب يكشف عن تاريخه ، منذ أقدم العصور ، ويعرض للأحداث التى طرأت عليه . والحضارات التى دبت فى أرجائه : والمعارك التى جرت فوق سهوله وصحاريه ، وعلى مياهه العذبة والمالحة ، كما أن لأعلام هذا الإقليم أماكنهم التى اختاروها لأنفسهم فى مواكب البكر الإنسانى ، فاهم علينا حق جليل لأن نذكرهم ، وتتابع جهودهم ، وننوه بمآثرهم .

ولذا كانت كتب التاريخ إنما تعنى أولا وقبل كل شىء بالعموميات فان للخصوصيات دورها الدقيق فى تسيير دفعة الزمان ، ولهذا كانت القرى والمدن والأقاليم ضحايا هذا النسيان المتعمد . . من أين إذن نستطيع تجديد تراث لنا نعزبه ونفخر !

الحق أن الكشف عن « معالم » إقليم البحيرة فى الماضى ، إنما هو أشبه بعملية « البعث » بالنسبة لأشلاء متناثرة ، خاف ضباب العصور ، فلا بد من تسليط

الأضواء عليها حتى تتميز ، ثم تجميع بعضها إلى بعض . وتنسيق المتماثل منها في وحدات ؛ يطمئن إليها الكاتب والقارىء معاً .

عمل كهذا — من غير شك — يتطلب أشق الجهود وأعنفها ، وأصدق الصبر ، وأشد الاحتمال ، وهذا هو الذى اكتنف تأليف لهذا الكتاب ؛ فقد سهرت الليالى ؛ وخضت الاحوال . وبذلت الوقت والمال ، واسترخصت الصحة والراحة وجعت بين المطبوع والمخطوط ؛ العربي وغير العربي ، ودانت لى — بفضل الله وحده — كل الصعاب .. فما تركت مصدرا من مصادر البحث إلا سارعت إليه ؛ مهما كلفنى ذلك . حتى لقد كنت أسافر فى البرد الشديد من الاسكندرية إلى رشيد ودمهور والقاهرة وسوهاج لاستكمال كلمة أو سطر أو صفحة أو قراءة مخطوط ، فأجد لذه ومتعة لا بعدها لذه أو متعة ؛ وما يشئت يوما وأنا أبحث فى ثنايا كتاب مخطوط من ستين جزءا مثل « تكملة وفيات نقلة » للعثور على ترجمة .

وفضلا عما زخرت به خزائن الكتب العامة من المخطوطات والمطبوعات ، فإن للأصدفاء الأوفياء على من الفضل مالا أستطيع له شكرا وجزاء ؛ فقد أمدوني بالمراجع والوثائق القيمة التى لديهم وجعلوها تحت تصرفى ، فأذنت من ذلك كل الفائدة ؛ لهذا يحدوني داعى الوفاء لأن أخصهم بالشكر الجزيل .

وبعد فإن أبناء البحيرة سيفخرون كل الفخر بهذه الكنوز الغالية التى كسبتها لهم ؛ بعد أن طال عليها الأمد فاندثرت ، وبحسبهم أنهم سيرون هنا أن لإقليمهم هذا كان أول مكان عرف أول ديمقراطية سليمة فى العالم أجمع ، حيث مارس أهله نظام الحكم المحلى منذ خمسة آلاف سنة . وأن أول معركة بين مصر وأروبا ؛ قد جرت على سواحل هذا الإقليم . وأن البطولة قد أُلقت بذورها الأولى فيه ، فنمت وترعرعت ، وأن العلماء والأدباء والشعراء والأطباء والفقهاء ورجال السياسة والصحافة ، وشيوخ الأزهر ، والمصلحين الهداة .. كل أولئك قد نشأوا فيه أو تلمذوا على أعلام من بطون الفرى والكفور .. من إقليم البحيرة ،

وكان لعرب البحيرة ، فى مختلف العصور . أشرف المواقف ، فى اقتحام المعارك ، دفاعا عن الشرف والكرامة ، وإذا كان المغرضون قد حاولوا تشويه

سمعة هؤلاء العرب - لما أصابهم منهم - فان التاريخ الصحيح ، والوثائق والحقائق ، هي معايير الصدق والكذب في كل ما نشروا أذيع ، عن هؤلاء العرب الأجداد . الذين سنكشف عن بطولاتهم الرائعة في سبيل الله والوطن والعروبة والاسلام . لقد أنجبت البحيرة محمد عبده وعبد الكريم سلمان وعلى الجارم وابراهيم اللقاني وعبد الله الادكاي وعبد القادر حمزه وغير هؤلاء مئات من الاساتذة الجهابذة ، في جميع الفنون والعلوم والآداب ، خرجوا من الكفور إلى العالم النسيح ، فداع صيتهم ، وشاع علمهم في آسيا وأوروبا وضمّت خزائن الكتب في العالم مؤلفات أبناء البحيرة .. وترجم الكثير منها .

وعلى أرض البحيرة ، تألفت مدن وقرى ، كان لها في خلال العصور أمجاد في الكفاح ، مثل دمنهور ، ورشيد ، والحامد ، وإدكو ، والكريون وكفر الدوار وخرتبا ، والرخاينة . وشبراخيت : وغيرها مما سيقف القارىء عليه في باب الكفاح .

وعلى أرض البحيرة .. انتصرت البحيرة .. بالانتصرت مصر على الأشرورين والليبيين وقراصنة قبرص وصقلية .. وانتصرت على جيوش نابليون وفريزر ، وحملت لواء المقاومة الشعبية في وجوه الطغاة المعتدين ، فارتدوا على أعقابهم خاسرين .

وبعد : فهذه هي البحيرة .. تقف في طليعة أقاليم مصر جميعا .. بأبجائها الضخمة في كل ميدان من ميادين الثقافة .. والحضارة .. والكفاح ..

حظيت منذ أقدم العصور حتى اليوم بزيارات الرحالة والبحارة والمؤرخين والفلاسفة والسلطين والملوك والرؤساء فوطئت أرضها أقدام هيرودوت واسترابون وديودور ومنيلاوس وباريس وهيلانه والاسكندر وعمرو وقايتباي والغوري وجوه وسليم الأول وصلاح الدين ونابليون ثم محمد علي وذريته لتوطيد الإقطاع . حتى ضرب جمال عبد الناصر بعصاه .. فنبض على الإقطاع المزمن في إدفينا وفي إدكو منذ احتكرتها امرأة المتوقس .

ولا يسعني إلا أن أنوه بفضل السيد محمد وجيه أباطه محافظ البحيرة ، وتشجيعه الدائب لي ، حتى فرغت من تأليف الكتاب ، وصدوره في هذه الصورة

بمناسبة العيد العاشر للثورة ، ليكون مساهمة من جانب محافظة البحيرة في مواكب الزحف المهندس التي يحمل لواها باعث نهضتنا وقائد ثورتنا الرئيس جمال عبد الناصر .

والأمل بعد ذلك معمود على شباب البحيرة ، لكي ينهض كل منهم - بدافع الوفاء - فيضع كتابا عن قريته أو مدينته يضمه دقائق تاريخها وتسلسل عائلاتها وكفاح أهلها ومعالم حاضرها ؛ والتنويه بوقائع تدينها في ظل الثورة البناء ، ولعل الوثائق والعتود التي يمتلكها كل منا ، وراثة عن الآباء والأجداد ، هي القواعد الأساسية لتفاصيل كل تاريخ محلي ، كما فعلت بالنسبة لتاريخ بلدي ومسند رأسي ( إدكو ) ، ونحن إن فعلنا هذا تحت إشراف رؤساء مجالس المدن والقرى وتوجيه سديد من السيد المحافظ ، استطعنا في أقرب فرصة ممكنة أن نحصل على مكتبة ، من هذه المجموعة المؤلفة ، وفي ثبوت المراجع التاريخية ما يبين الطريق لكل راغب في هذا الزحف الثنائي ، وبهذا وحده ، نربط الحاضر الجيد ، بالماضي العريق .. ونؤدى للسلف ما نشد به أزر الخلف ، ونبنى للحضارة ما توحىه علينا الحياة الانسانية ، في معرك لا نصر فيه إلا لكل من سهم بنصيب في الحضارة والثقافة والكفاح .

المؤلف

محمد محمود زيتون

الاسكندرية :

٢٧ رمضان سنة ١٣٨١

٤ مارس سنة ١٩٦٢

## المراجع

أولا : باللغة العربية ( X هذه العلامة ترمز إلى المخطوطات )

- ١ فتوح الشام : الواقدي ( ٢٠٧ هـ — )
- ٢ فتوح مصر : ابن عبد الحكم ( ٢٥٧ هـ — )
- ٣ فتوح مصر وأعمالها : ابن إسحق الأُموي
- ٤ المسالك والممالك : ابن خرداذبه ( ٢٦٠ هـ — )
- ٥ المعارف : ابن قتيبة ( ٢٧٦ هـ — )
- ٦ فتوح البلدان : البلاذري ( ٢٧٩ هـ — )
- ٧ البلدان : اليعقوبي ( ٢٨٠ هـ — )
- ٨ تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي ( ٢٨٠ هـ — )
- ٩ البلدان : الهمداني ( ٢٨٥ هـ — )
- ١٠ البلدان : ابن الفقيه ( ٢٩٠ هـ — )
- ١١ الخراج : قدامة بن جعفر ( ٣١٠ هـ — )
- ١٢ مسالك الممالك : الإصطخري ( ٣٤٠ هـ — )
- ١٣ مروج الذهب : المسعودي ( ٣٤٦ هـ — )
- ١٤ فضائل مصر المحروسة : الكندي ( ٣٥٠ هـ — )
- ١٥ ولاية مصر وقضاها : الكندي ( ٣٥٠ هـ — )
- ١٦ المسالك والممالك : ابن حوقل ( ٣٦٧ هـ — )
- ١٧ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : المقدسي ( ٣٨٧ هـ — )
- ١٨ فضائل مصر وأخبارها وخواصها X : ابن زولاق ( ٣٨٧ هـ — )
- ١٩ طبقات الشافعية X : أبو عاصم العبادي ( ٤٥٨ هـ — )
- ٢٠ تاريخ بغداد : ابن الخطيب البغدادي ( ٤٦٣ هـ — )
- ٢١ الاغلاق النفيسة X : ابن رسته ( القرن الرابع هـ )

- ٢٢ المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب: البكري (٥٤٨٧ --)
- ٢٣ معجم ما استعجم : البكري (٥٤٨٧ --)
- ٢٤ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : الإدريسي (٥٥٦٠ --)
- ٢٥ ألف باء : البلوى (يوسف) (توفي بعد ٥٥٦٢)
- ٢٦ - النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية : عمارة النيني (٥٥٦٩ --)
- ٢٧ معجم السفر X : السلفي (٥٥٧٦ --)
- ٢٨ الاستبصار في عجائب الأمصار : مرا كشي مجهول من القرن السادس الهجري
- ٢٩ أخبار من نواحي مصر : أبو صالح الأرمي (٥٦٠٥ --)
- ٣٠ قوانين الدواوين X : ابن مهابي (٥٦٠٦ --)
- ٣١ رحلة ابن جبير : ابن جبير (٥٦١٤ --)
- ٣٢ بدائع البداهة : ابن ظافر (٥٦٢٣ --)
- ٣٣ معجم البلدان : ياقوت الحموي (٥٦٢٦ --)
- ٣٤ معجم الأدباء : ياقوت الحموي (٥٦٢٦ --)
- ٣٥ الإفادة والاعتبار : عبد اللطيف البغدادي (٥٦٢٩ --)
- ٣٦ الكامل : ابن الأثير (٥٦٣٠ --)
- ٣٧ تاريخ العيوم وبلاده : أبو عثمان الصندي (كتبه سنة ٦٤٢ هـ)
- ٣٨ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : سبط ابن الجوزي (٥٦٥٤ --)
- ٣٩ التكملة لوفيات النقلة X : المنذري (٥٦٥٦ --)
- ٤٠ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : أبو شامة (٥٦٦٥ --)
- ٤١ ذيل الروضتين : أبو شامة (٥٦٦٥ --)
- ٤٢ أخبار مصر : ابن ميسر (٥٦٧٧ --)
- ٤٣ وفيات الأعيان : ابن خلكان (٥٦٨١ --)
- ٤٤ المغرب في حلي المغرب : ابن سعيد (٥٦٨٥ --)
- ٤٥ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : ابن واصل (٥٦٩٧ --)
- ٤٦ لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسى وشيخه أبي الحسن : ابن عطاء الله السكندري (٥٧٠٩ --)



- ٤٧ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : الدمشقي (٥٧٢٧ -)  
٤٨ المختصر في تاريخ البشر : أبو الفداء (٥٧٣٢ -)  
٤٩ تاج المفرق بتحلية علماء المشرق : البلوي (أبو البقاء) (٥٧٤٠ -)  
٥٠ مسالك الأبصار : ابن فضل الله العمري (٥٧٤٩ -)  
٥١ طبقات الشافعية : السبكي (٥٧٥٦ -)  
٥٢ نكت الهميان في نكت العميان : الصفدي (٥٧٦٤ -)  
٥٣ رحلة ابن بطوطة : ابن بطوطة (٥٧٧٩ -)  
٥٤ الإمام بالإعلام بما جرت به الأحكام والأمر المقضية في وقعة الاسكندرية في سنة سبع وستين وسبعماية وعودتها إلى حالتها المرضية :  
× النويري السكندري (٥٧٧٥ -)  
٥٥ الديباج المذهب في علماء المذهب : ابن فرحون (٥٧٩٩ -)  
٥٦ تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقا  
المباركات : السخاوي (نور الدين) فرغ منه سنة ٨٠٤ هـ  
٥٧ الانتصار بواسطة عقد الأمصار : ابن دقاق (٨٠٩ -)  
٥٨ صبح الأعشى في صناعة الإنشا : القلقشندي (٨٢١ -)  
٥٩ المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : المفريزي (٨٤٥ -)  
٦٠ السلوك لمعرفة دول الملوك :  
٦١ البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب :  
٦٢ اتعاظ الخيرة بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء :  
٦٣ الطالع السعيد الجامع لنجباء أبناء الصعيد : الإدفعي (٨٤٨ -)  
٦٤ خريدة العجائب وفريدة الغرائب : ابن الوردي (٨٥٠ -)  
٦٥ رفع الإصر عن قضاة مصر : ابن حجر (٨٥٢ -)  
٦٦ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة :  
٦٧ لحظ الآلحاظ بذييل طبقات الحفاظ : ابن فهد (٨٧١ -)  
٦٨ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : غرس الدين الظاهري (٨٧٣ -)

- ٦٩ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغرى بردى (٨٧٤ - ٩٠٢)  
 ٧٠ التختة السنية بأسماء البلاد المصرية : ابن الجيعان (٨٨٥ - ٩١١)  
 ٧١ دستور الإعلام بمعارف الأعلام X : ابن عزم التونسي (٨٩١ - ٩٠٢)  
 ٧٢ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : السخاوى (شمس الدين) (٩٠٢ - ٩٣٠)  
 ٧٣ التبر المسبوك في ذيل السلوك :  
 ٧٤ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : السيوطى (٩١١ - ٩٣٠)  
 ٧٥ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :  
 ٧٦ بدائع الزهور في وقائع الدهور : ابن لياس (٩٣٠ - ٩٦٠)  
 ٧٧ تحفة الملوك والרגائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب X :  
 : ابن زنبيل الرمال (توفى بعد سنة ٩٦٠)  
 ٧٨ تاريخ السلطان سليم X :  
 ٧٩ الطبقات الكبرى : الشعرانى (٩٧٣ - ١٠٠٥)  
 ٨٠ الطبقات السنية في تراجم الحنفية X : تقي الدين المصرى (١٠٠٥ - ١٠٣١)  
 ٨١ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية X : المناوى (١٠٣١ - ١٠٣٢)  
 ٨٢ نيل الابتهاج بتطريز الديباج : التيمكتى (١٠٣٢ - ١٠٣٣)  
 ٨٣ أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول : الإسحاقى (توفى بعد سنة ١٠٣٣)  
 ٨٤ نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب : المقرئ (١٠٤١ - ١٠٨٩)  
 ٨٥ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد (١٠٨٩ - ١٠٩٨)  
 ٨٦ هز القصور في شرح قصيدة أبى شادوف : الشربيني (١٠٩٨ - ١١١٠)  
 ٨٧ خلاصة الأنر في أعيان القرن الحادى عشر : المحجى (١١١٠ - ١٢٠٥)  
 ٨٨ تاج العروس في شرح القاموس : المرتضى الزبيدى (١٢٠٥ - ١٢٠٦)  
 ٨٩ سلك الدرر في أعيان القرن الثانى عشر : المرادى (١٢٠٦ - ١٢٤١)  
 ٩٠ عجائب الآثار في التراجم والأخبار : الجبرئى (١٢٤١ - ١٢٥٠)  
 ٩١ البدر الطالع بمحاسن من بعد التاسع : الشوكانى (١٢٥٠ - )

- ٩٢ المختصر الشافى على متن الكافى : محمد الدمهورى ( ١٢٨٦ هـ )
- ٩٣ الخطط التوفيقية : على مبارك ( - ١٣١١ هـ )
- ٩٤ الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة X : البكرى
- ٩٥ مصر للمصريين : سليم نقاش
- ٩٦ الحلل الهندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية : شكيب أرسلان
- ٩٧ كليات فى سبيل مصر : عمر طوسون
- ٩٨ الصنائع والمدارس الحربية فى عهد محمد على : د
- ٩٩ خليج الإسكندرية : د
- ١٠٠ وادى النظرون : د
- ١٠١ تاريخ آداب اللغة العربية : جرجى زيدان
- ١٠٢ الاعلام : الزركلى
- ١٠٣ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : اسماعيل البغدادي
- ١٠٤ معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة
- ١٠٥ النساء : د
- ١٠٦ مصر فى القرن التاسع عشر : إدوار جوان : ترجمة محمد مسعود
- ١٠٧ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية : محمد رمزى
- ١٠٨ كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر : سليمان رصد
- ١٠٩ الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة : محمد كامل الفنى
- ١١٠ أدب البشرى : الدكتور جمال الدين الرمادى
- ١١١ مريوط : عبد اللطيف واكد
- ١١٢ الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهدى الحملة الفرنسية
- ومحمد على : إبراهيم زكى
- ١١٣ تقويم دار العلوم سنة ١٩٤٧ : محمد عبد الجواد
- ١١٤ الدليل الجغرافى لأسماء المدن والنواحي المصرية : مصلحة المساحة ١٩٤١
- ١١٥ سكان مديرية البحيرة فى خمسين عاما : الدكتور محمد محمود الصياد
- ١١٦ تطور ساحل دلتا النيل

- ١١٧ الحالة الغربية لدلتا النيل : الدكتور محمد محمود الصياد
- ١١٨ مصر تحت ظلال الفراشة : محمد صابر
- ١١٩ هيرودوت في مصر : وهيب كامل
- ١٢٠ ديودور في مصر : »
- ١٢١ استرابون في مصر : »
- ١٢٢ مصر : دريوتون وفاندييه ترجمة عباس بيومي
- ١٢٣ ليزيس وأوزيريس : تليماك ترجمة الدكتور محمد صقر خفاجة
- ١٢٤ تاريخ مصر من أقدم العصور : بريستيد ترجمة الدكتور حسن كمال
- ١٢٥ مصر والشرق الأدنى القديم : الدكتور نجيب مينخائيل
- ١٢٦ مصر والحياة المصرية في العصور القديمة : إرمان ورائكة : ترجمة
- الدكتور عبد المنعم أبو بكر
- ١٢٧ تاريخ مصر في عصر البطلمة : الدكتور ابراهيم نصحي
- ١٢٨ أبو العباس المرسى ومسجده الجامع بالإسكندرية : حسن السندوني
- ١٢٩ التراث الروحي للتصوف الإسلامي في مصر : محمد عبد المنعم خفاجي
- ١٣٠ قاموس الامكنة والبقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح : علي بهجت
- ١٣١ إدكو : ماضيها . حاضرها ، مستقبلها : محمد محمود زيتون
- ١٣٢ على ضفاف بحيرة إدكو : عبد المنصف محمود
- ١٣٣ ، ، ، مريوط : »
- ١٣٤ جولات في بحيرات مصر : »
- ١٣٥ تاريخ القضاء في الإسلام : محمود عرنوس
- ١٣٦ تاريخ الحركة القومية : عبد الرحمن الرافعي
- ١٣٧ في أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ : »
- ١٣٨ تراجم أعيان القرن ١٣ هـ وأوائل ١٤ هـ : أحمد تيمور باشا ( - ١٩٤٠ )
- ١٣٩ حقائق الأخبار عن دول البحار : : اسماعيل سرهنك ( - ١٩٢٥ )
- ١٤٠ الكافي : مينخائيل شاروويم
- ١٤١ مصر الخالدة : حسن محمد جوهر

- ١٤٢ مذكرات عرابي : أحمد عرابي
- ١٤٣ الوسيط : أحمد السكندري وزملاؤه
- ١٤٤ فتح العرب مصر : بتلر : ترجمة محمد فريد أبو حديد
- ١٤٥ سيرة عمر مكرم : محمد فريد أبو حديد
- ١٤٦ بناء دولة : مصر محمد على : الدكتور محمد فؤاد شكرى وزميله
- ١٤٧ عبد الله جاك مينو : الدكتور محمد فؤاد شكرى
- ١٤٨ الحملة الفرنسية وظهور محمد على : «
- ١٤٩ مصر في مطلع القرن التاسع عشر : «
- ١٥٠ سواحل مصر : أحمد العدوى
- ١٥١ جغرافية مصر : متسنجر باشا (- ١٨٧٥ م) ترجمة يعقوب صبرى
- ١٥٢ مصر القديمة : سليم حسن (- ١٩٦١ م)
- ١٥٣ أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعونى : «
- ١٥٤ غادة رشيد : على الجارم (- ١٩٤٩ م)
- ١٥٥ المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادى : الدكتور محمد مصطفى زباده
- ١٥٦ التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر : الدكتور جمال الدين الشيال
- ١٥٧ استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصرى الوسيط : الدكتور على إبراهيم حسن
- ١٥٨ دراسات عن المؤرخين العرب : المستشرق مارغوليس ترجمة الدكتور حسين نصار
- ١٥٩ مقالات النديم : جمعها محمد منتصر
- ١٦٠ مذكرات عبد الله نديم السياسية : نشرها الدكتور محمد أحمد خلف الله
- ١٦١ مصر والجغرافيا : فريدريك بنولا : ترجمة أحمد زكى باشا
- ١٦٢ مدونة الأمير غانم بن عياض الاشعرى X
- ١٦٣ تاريخ الأمة القبطية وكنيستها : للسيدة بشرى وترجمة اسكندر تادرس

- ١٦٤ خلاصة تاريخ المسيحية في مصر : لجنة التاريخ القبطي
- ١٦٥ صور من تاريخ القبط : جمعية مارمينا
- ١٦٦ القول الإبريزي للعلامة المقريري : مرقس جرجس
- ١٦٧ مصر في عصر دولة المماليك البحرية : الدكتور سعيد عبد العتاه عاشور
- ١٦٨ المماليك الجراكسة : « ابراهيم على طرخان
- ١٦٩ الأيوبيين « السيد الباز العريفي
- ١٦٠ العارة الإسلامية في مصر : الدكتور كمال الدين سامح
- ١٧١ متحف الحضارة المصرية : وزارة المعارف سنة ١٩٤٩
- ١٧٢ أبو قير : ابراهيم الفحام
- ١٧٣ محمد عبده : الدكتور عثمان أمين
- ١٧٤ محمد عبده : عباس محمود العقاد
- ١٧٥ الحركة الفكرية في مصر : الدكتور عبد اللطيف حمزة
- ١٧٦ نصيحة الإخوان بتحريم شرب الدخان X : ابراهيم اللقاني ( ١٠٤١ هـ )
- ١٧٧ أديان العرب في الجاهلية : محمد نعمان الجارم
- ١٧٨ دائرة المعارف الإسلامية : مقال عن « البحيرة » كتبه Becher
- ١٧٩ المآذن المصرية : الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم
- ١٨٠ تاريخ الحضارة المصرية : نخبة من الاساتذة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي
- ١٨١ الألفاظ المكفرة X : بدر الرشيدى
- ١٨٢ مجالس الخضرى الرشيدى X : خليل الخضرى الرشيدى ( - ١١٨٦ هـ )
- ١٨٣ شرح ابن عقيل X : ابراهيم الجارم ( - ١٢٦٥ هـ )
- ١٨٤ حاشية على تقرير الشرشيمى X : «
- ١٨٥ شرح على لامية البوصيرى X : عبد الفتاح الجارم ( - ١٣٠٠ هـ )
- ١٨٦ رسالة في المطلقة بالحرام X : «
- ١٨٧ شرح قصيدة الشيخ محمد صالح الجارم : أحمد الجارم
- ١٨٨ التحفة الزهرية على العواكه البدرية X : محمد صالح الجارم ( - ١٣٢٨ هـ )
- ١٨٩ تقويم النيل : أمين سامى باشا.

- ١٩١ تاريخ الأستاذ الإمام : محمد رشيد رضا  
 ١٩٢ ديوان عبد اللطيف الصيرفي : عبد اللطيف الصيرفي ( - ١٣٢٢ هـ )  
 ١٩٣ مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر : إلياس زاخوره  
 ١٩٤ ديوسقورس : أرمانيويس البرماوى  
 ١٩٥ اللطائف النورية في المنح الديمهرورية X : أحمد الديمهرورى ( - ١١٩٢ هـ )

### ثانيا : باللغات الاfrنجية

1. Alex. De Zogheb . L'Egypte Ancienne.
2. Al. Gardiner : Egypt of the Pharaohs . an introduction.
3. Forster : Alexandria.
4. Davis : Alexandria the Golden City.
5. Breccia : Alexandria ad AEgyptum.
6. Brugsch : Histoire de l'Egypte.
7. " : Dict. Geographique.
8. W. Budge : The Nile.
9. " : The Rosetta Stone.
10. Daressy : Les Grandes Villes de l'Egypte à l'Epoque Copte.
- 11 Gauthier : Dict. des noms geogr. dans les textes hiéroglyphiques
12. " : Les Nomes d'Egypte depuis Herodotes jusqu'à la conquête arabe.
13. " : Bibliographie des études de geogr. égypt.
14. Ad. Cattawi : Causeries sur les hieroglyphes et deux étapes de l'hist. ancienne de l'Egypte.
15. Viel : Les Campagnes navales de Moh. Ali et d'Ibrahim.

16. Weygand : Hist. militaire de Moh. Ali et de ses fils.
17. Meta Williams : Whence came St. George. ?
18. Griffith : Archaeological Report.
19. Omar Toussoun : Memoires : la Geogr de l'Egypte à l'époque arabe T : I. (La Basse Egypte) 1,3 parties.
20. Amelineau : Geographie de l'Egypte à l'époque Copte.
21. Ah. Chafik : L'Egypte moderne et les influences étrangères.
22. Hanotaux : La Nation Egyptienne.
23. Precis de l'histoire d'Egypte.
24. Faivre : Canopus, Menouthis, Aboukir.
25. De Cosson : Mareotis.
26. Burmester : A guide to the Monasteries of the Wadi' N-Natrun.
27. Pline : L'Histoire Naturelle.
28. Et. Combe : Alexandrie Musulemane.
29. Sheta : Moslem sea power.
30. L. Lloyd : Egypt since Cromer.
31. J. Cattawi : Coup d'œil sur la cronologie de la nation égyptienne.
32. Cressaty : L'Egypte d'Aujourd' hui.
33. De Sande e Castro : L'Egypte.
34. Ch. de la Roncière : La Geographie de l'Egypte à travers les ages. [ Hanotaux T : 1 ]
35. Groupe de savants : l'Egypte.
36. Sonnini : Voyage dans la Haute et Basse-Egypte.
37. Bionet : Dict. Geogr. de l'Egypte.
38. : Dict. Geogr. de l'Egypte
39. : An Atlas of Ancient Egypt.
40. : Bulletin de la Société Sultanieh de Geographie.



- 41 : Bulletin de la société d'archéologie d'Alexandrie  
42. : Annales du service des antiquités de l'Egypte.  
43. : Description de l'Egypte.  
44. : Greece : (Hachette).

### ثالثا : وثائق تاريخية تحت يد المؤلف : نحو ٧٠ وثيقة .

- ١ - منها وثائق المحاكم الشرعية بالاسكندرية ورشيد وإدكو منذ ٣٥٠ سنة.  
٢ - ووثيقة نفاذ الكلمة لشيخ مشايخ إدكو بختم محمد علي ١٢٢٢ هـ .  
٣ - » منح كوم البصيل لأرسلان أغا بختم محمد علي ١٢٥٢ هـ .  
٤ - » عن مقبرة ومسجد الجد الرابع للإمام الشافعي بإدكو بتاريخ ٧٦٧ هـ .

### رابعا : مقالات المؤلف في الصحف : عن البحيرة .

- ١ - بحيرة إدكو بين الصيادين والملاحين : الأهرام في ٣ فبراير ١٩٤٩ .  
٢ - حوريس على عرش البحيرة : د في ٨ سبتمبر ١٩٥٣ .  
٣ - يوم النصر في رشيد : د في ٣١ مارس ١٩٥٣ .  
٤ - سد أبو قير خط الدفاع الأول عن مصر : د في ٨ سبتمبر ١٩٥٣ .  
٥ - في ذكرى معركة رشيد : المساء في ٥ أبريل ١٩٥٨ .  
٦ - ملاحظات إدكو بين ماضيها وحاضرها : البصير في ١١ أكتوبر ١٩٥٨ .  
٧ - بحيرة إدكو ، وإدكو بحيرة : د في ١٧ د د .  
٨ - الرشيدة يفتكون بالقراصنة والمستعمرين : الجمهورية في ١٨ سبتمبر ١٩٥٩ .  
٩ - عيد الثورة في بحيرة إدكو : د في ٢١ د د .

١٠ - كنوزنا المعطلة في أعماق بحيراتنا وعلى شواطئنا : الأهرام في  
٣٠ مارس ١٩٦٠ .

**خامسا : الدوريات والصحف والمجلات والاطالس الجغرافية والتاريخية :**  
الوقائع المصرية . الأهرام . الشعب ، المساء . الجمهورية . البصير . الحقائق .  
الهلل . المقتطف . الكتاب . الرسالة . الأخبار . المصور . آخر ساعة .



# ١ بحيرة البحيرات

## طبيعة الإقليم

يأخذ لإقليم البحيرة شكل مثلث : ضلعه الايمن : فرع رشيد ، من الجهة الشرقية ، و ضلعه الايسر : صحراء ليبيا من الجهة الغربية . و ضلعه الاعلى : البحر الابيض المتوسط . ابتداء من مصب النيل عند رشيد ، حتى حدود محافظة الإسكندرية ، من الجهة الشمالية فهو يشغل بصفة عامة المنطقة الواقعة غربى فرع رشيد ، ويجمع بذلك بين التربة الخصبة ، التى تكونت على مر العصور من فيضانات النيل ، وبين الاراضى الصحراوية والسهول والكثبان ، أى أنه يجمع بين ثلاثة من مظاهر الطبيعة وهى : النهر والبحر والصحراء ، كما يجمع بين شتى أنواع المعيشة : كالزراعة والصيد البرى والبحرى . والرعاة ، والتجارة ، والملاحة والصناعة ، واستخراج الملح والطورون .

وتتمتع (دمهور) عاصمة الإقليم فى منتصف هذا المثلث الذى تنبسط فى أعلاه من الشمال ثلاث بحيرات هى من الشرق إلى الغرب : بحيرة إدكو . بحيرة أبو قير ، بحيرة مريوط . ولم يبق منها غير الأولى والأخيرة ، وقد جرت عليها أيضا أحداث من الجفاف والتجفيف ، وكان ثمت فرع من النيل يسمى الكانوبى واسمكه اندثر ، وأصبحت هذه الرقعة تتأسمها الترع والقنوات .

## بحيرة البحيرات

و (البحيرة) فى اللغة تصغير (بحرة) ، وهى البقعة القسيحية من الارض المنخفضة ، وربما أطلق اسم (البحيرة) على هذا الإقليم بسبب ذلك ، كما يقول

Lane . واسكن القلقشندى <sup>(١)</sup> يرى — على سبيل الظن — أنها نسمة إلى (بحر أبو قير) ، ويعترض على ذلك Ch. Becher <sup>(٢)</sup> بأن هناك عدة بحيرات لا بحيرة واحدة في شمال الإقليم ، تجف في بعض أوقات السنة . وفي رأي أن هذه البحيرات لم تكن منفصلة بعضها عن بعض ، ولهذا جف بعضها ، وجف البعض الآخر ، وكثيرا ما كان يخلط المؤرخون والجغرافيون بين بحيرة إدكو وبحيرة أبو قير ، وبحيرة المعدي ، وبحيرة الإسكندرية ، وبحيرة مريوط .. نظرا لهذا الاتصال الوثيق بين هذه المساحات الشاسعة من المياه ، فلا عجب إذا أطلق اسم «البحيرة» على هذه البحيرات ، وما حولها من الأرض التي كانت تغمرها المياه أحيانا ، إذا فاض النيل ، وزاد منسوب الماء في البحيرات .. فسمى الإقليم كله بالبحيرة .. على أنها بحيرة «البحيرات» ، وستفرد في الصفحات التالية فصلا عن بحيرات «البحيرة» ، والقرع الكانوبي . وأشهر القرع التي تشق هذا الإقليم ، وتروى أراضيها . وليس معنى هذا أن التسمية العربية للإقليم دليل على أنه لم يكن موجودا قبل العرب ، بل سرى العكس من ذلك فيما يلي من القصول ، واسكن المدهش حقا أنه كان يطلق اسم «البحيرة» على إحدى مقاطعات غرب الدلتا منذ العصر الصاوي البطلي ، ويسمى المؤرخون «بلاد البحيرة» Pays du Lac ، أو La demeure du lac ، وهو الذي يسميه اليونان (إقليم بحيرة مريوط La Mareotide) وهي التي ذكرها (بروكش Brugsch) بالاصل الهيروغليفي (با — مرتى Pamerti) في قاموسه وفي مجلة الآثار المصرية وكذلك (لانجلوا Langlois) في هذه المجلة <sup>(٣)</sup> ويذكر بروكش أيضا (تنترمو Tntremou) ويترجمها (شافر Schaffer) وبرستيد باسم «مدينة السمك The fish city» ويقول (جوتيه): وهي في الدلتا . ولا بد أنها كانت تقع قرب البحر ملاصقة لإحدى البحيرات العديدة في غرب الدلتا ويرى نافيل Naville أنها قريبة من Papremis اليونانية ومعناها (محل أو معبد السمك) .

(١) صبح الأعشى : ج ٣ ص ٢٣٩

(٢) دائرة المعارف الإسلامية

(٣) Gauthier : Dict. T. 3 P. 88

وسيرى القارىء أيضا أن المنطقة الواقعة إلى الجنوب من بحيرتى مريوط وأبو قير كان يطلق عليها فى التقسيمات الإدارية من عهد العرب « البحيرة » ثم جرى عليها التطور فأصبح الإقليم كله يسمى « البحيرة » .

على أن إقليم البحيرة عريق فى حضارته . أصيل فى مظاهر العمران حتى لقد تحدث « ابن وصيف شاه » <sup>(١)</sup> عنه ولا سيما الجزء الشمالى منه على نحو يثير العجب . لما كان هناك من عمران ، فيقول [ وكانت العمارة ممتدة فى رمال رشيد والإسكندرية إلى برقة ، فكان الرجل يسير فى أرض مصر ، فلا يحتاج إلى زاد لكثرة الثواكه والخيرات ولا يسير إلا فى ظلال تسمته من حر الشمس ، وقد عمل الملك ( صا ) بن قبطيم ، فى تلك الصحارى قصورا . وغرس فيها غروسا وساق إليها من النيل أنهارا . فكان يسلك من الجانب الغربى إلى حد الغرب فى عمارة منصلة ، فلما انقضى أولئك القوم ، بقيت آثارهم فى تلك الصحارى ، وخربت تلك المنازل . وباد أهلها ، ولا يزال من دخل تلك الصحارى ، يحكى ما رآه فيها من الآثار والعجائب ] .

وإذا رجعنا إلى الوراء تنلس تاريخ الدلتا المصرية عند أقدم المؤرخين ، انتقف على معالم طبيعتها رأينا ( هيرودوت ) يزور مصر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ٤٤٥ سنة وينزل على الإغريق المستوطنين فى مدنها بإقليم البحيرة . ويقع فى ( كوم سمعدى ) شرق الإسكندرية ، ويغادرها إلى ( نقرطيس ) وكانت بالقرب من ( كوم جعيف ) الحالية ، ثم إلى ( ميت رهينة ) ، و ( المطرية ) حتى يركب النيل ، ليستكمل رحلته المشهورة .

ويحدثنا ( هيرودوت ) عن فروع الدلتا ؛ عند ما ينساب النيل حتى يصل إلى مدينة ( كركاسوروس = صيدية ) حيث يتفرع إلى ثلاثة فروع : الفرع البيلوزى Pelusiaque ( فرع دمياط ) شرقا . والفرع الكانوبى Canopique ( المندثر وكان يصب عند كانوب شرقى أبو قير ) غربا . والفرع السبىنى S bennyti ، ويمضى مستقيما نحو الشمال ، ليصب فى ( بحيرة المنزلة ) ثم اندثر ،

وكان يتفرع منه فرعان آخران هما : الفرع السائسى ( نسبة إلى سايس = صا الحجر ) والفرع المنديسى .

أين إذن فرع رشيد من الدلتا ؟ يقول هيرودوت : إن الفرع البولبيتينى ( فرع رشيد وكان يصب عند بولبيتين Bolbitine = رشيد حاليا ) ، لم يكن من الدروع الطبيعية للنيل ، وإنما حفره المصريون بأيديهم كمحاولة لتجفيف المستنقعات .

ولذا عرفنا أن ( هيرودوت ) زار الدلتا ، عندما كان النيل يغمرها بفيضانه فقد سجل بنفسه فى هذه الزيارة أن مياه النيل كانت تغطى الدلتا وسائر البلاد الليبية غربا ، وما كان يسميه اليونانيون ( بلاد العرب ) شرقا ، وعندئذ تبرز المدن المصرية فوق الماء ، ويتنقل المصريون عبر هذا البحر باقوارب ، فإذا صعدت فى النهر - كما يقول ( هيرودوت ) - من ( تتراطيس ) إلى ( منفيس ) وجدت نفسك بجوار الأهرامات . وهو غير الطريق المسلك الذى تمضى فيه مجاورا لرأس الدلتا و ( كركاسوروس ) . ولذا أبجرت من البحر ، وأقلعت عبر ( الفرع الكانوبى ) إلى ( تتراطيس ) مررت فى طريقك إليها بمدينة ( أنثيلا ) ومدينة ( أرخاندرس ) .

ولم ينس هيرودوت أن يذكر معالم الفسيخ Tarichees التى كانت منتشرة على سواحل مصر ، وخصوصا فى ( كانوب ) التى اشتهرت بالسبخات المصنوعة من السمك النيلي ، وكانت له شهرته الواسعة فى الأزمنة القديمة كما يقول ( لوسيان Lucian )<sup>(١)</sup> .

وبعد هذه الزيارة بثلاثمائة سنة تقريبا ، زار الدلتا ( ديودور Diodore ) قادما من جزيرة صقلية . ووصف لنا مصر السفلى كما وجدها : مثلث له ضلعان متطرفان واسكن فروع الدلتا جميعا سبعة منها فى الجهة الغربية اثنان هما : البولبيتينى ( فرع رشيد ) والمهرقلى ( الكانوبى ) .



وشهد (ديودور) بوجود مصبات أخرى غير طبيعية ، على رأس كل منها مدينة ذات أسوار عالية ، لها على كل من جانبي الفرع ميناء ، وتربطها قناطر ، ومن حولها قلاع وحصون في عدة جهات .

وزار الدلتا أيضا في هذا القرن من الزمان (استرابون Strabon) الجغرافي المؤرخ المدقق ، فبأنى وصفه مطابقتها لما شاهده (ديودور) ، ويؤكد أن فرعى الدلتا : البيلوزى والكانونى (الهرقل) ، يحصران بينهما خمسة مصبات أخرى معروفة ، وعددا آخر من المصبات أقل أهمية عن الأولى ، حتى أصبحت الدلتا كلها صالحة للملاحة - على حد تعبيره - وقد شقت فيها ترع فوق ترع .

ولم يتحدث (استرابون) عن الإسكندرية بإسهاب ، يعرج على (بحيرة مارية) التى هى (بحيرة ماريوطيس Mareotis) وهى الآن (بحيرة مريوط) ، التى - كما يقول - يملؤها <sup>(١)</sup> النيل بواسطة قنوات عديدة من أعلا ومن الجوانب ، والبضائع التى تحمل إليها عن طريق هذه القنوات أكثر بكثير مما يرد إليها عن طريق البحر ، حتى أن الميناء الواقع على البحيرة ، كان أغنى من الميناء البحرى ، وأكثر منه حركة ونشاطا .

ويصف لنا (استرابون) أيضا مستنقعات مصر وبحيراتها الشمالية ، ونبات البردى الذى ينتشر فيها ، كما يتحدث عن الطريق الموصل من الاسكندرية عند الباب الشرقى (باب كانوب) إلى مدينة كانوب (أبو قير) ، ويتابع فى دقة باللغة خط سير ترعة الإسكندرية الممتدة من بحيرة مريوط إلى كانوب ، وفى الطريق تقع (شيديا) أى المنطرة وهى الآن (كوم النشو) شرق (كفر الدوار) وتصل الاسكندرية بضاحيتين هما : (إيلوزيس) قرب (النزهة) حاليا ، و (نيكوبوليس) وهى (الرمل) .

ويذكر (استرابون) بعد (كانوب) إلى الشرق مدينة (هرقليوم) وهى الآن (الطابية الحمراء) أو (الكوم الأحمر) ، وبها معبد (هرقل) ، القائم على مصب الفرع الكانونى والذى يسمى أيضا (الفرع الهرقل) وعلى يمينه (مقاطعة



مينيلايت ( وسميت باسم ( مينيلوس ) أخى ( بطليموس الأول ) ، كما سنرى تفصيل ذلك فى وضعه المناسب ، وقد حرص ( استرابون ) على وصف الكعك الكانوبى والسّمك tenia وأمّ الخلول tellines وقال إن النوع الذى كان يصاد من النيل أشهى مذاقا من النوع البحرى ، والنوع الصغير - ويسمى الملكى - كان أسهل هضمًا وأغنى بالمواد الغذائية كما يقول أتيوس التقراطيسى (١) .

### الفرع الكانوبى :

يعتبر أرسطو (٢) المتوفى سنة ٣٢٢ قبل الميلاد أن الفرع الكانوبى وحده هو المجرى الطبيعى من فروع النيل ، وأن ما سواه من عمل الأيدى البشرية يفصد تجفيف أراضى الدلتا .

وقد رأينا من هذه اللقطة التاريخية أقدمية ( الفرع الكانوبى ) بالنسبة لفرع رشيد ، وإن اختراقه لإقليم البحيرة على هذا النحو ، ليتطاب من الحديث عنه ، بطريقة مبسطة ، ويمتأى عن الجدل الطويل . الذى تورط فيه الباحثون العرب والإفرنجى ، فترات متباينة من العصور ، ويعتبر ( دى بوا إيميه Du Bois - Aymé ) وهو أحد علماء الحملة الفرنسية على مصر - من أشهر المعنيين بهذا الجانب فى بحثه المشهور الذى رفعه إلى المعهد الفرنسى بمصر فى ٣١ أغسطس سنة ١٨١٣ تحت عنوان « الفروع القديمة للنيل » Les anciennes branches du Nil وكتب مقدمته التاريخية المسيو ( فورييه M. Fourier ) فى كتاب « وصف مصر » الجزء الثامن (٣) .

أين يبدأ الفرع الكانوبى وأين ينتهى ؟ وما هى مخلفاته من مدن وترع وموانئ ؟ عند ( بطن البهرة ) يبدأ كل من فرعى رشيد ودمياط طريقه إلى أرض الدلتا ، أما فرع رشيد فيمر ( بالرحمانية ) حتى ينتهى إلى ( بحيره أبو قير ) التى كانت تتمتع بين بحيرتى إدكو ومريوط ، وتمتد ترعة كبيره تسمى ( ترعة موغارين Mogaryn ) ، وهى التى مكنتنا من اكتشاف آثار موقع ( الرحمانية ) على يمين

Athenceus de Naucratis : Banquet of Sages III P. 90 (١)

Meteorologica I. (٢)

Description de l'Egypte : L : 8 P : 58 (٣)

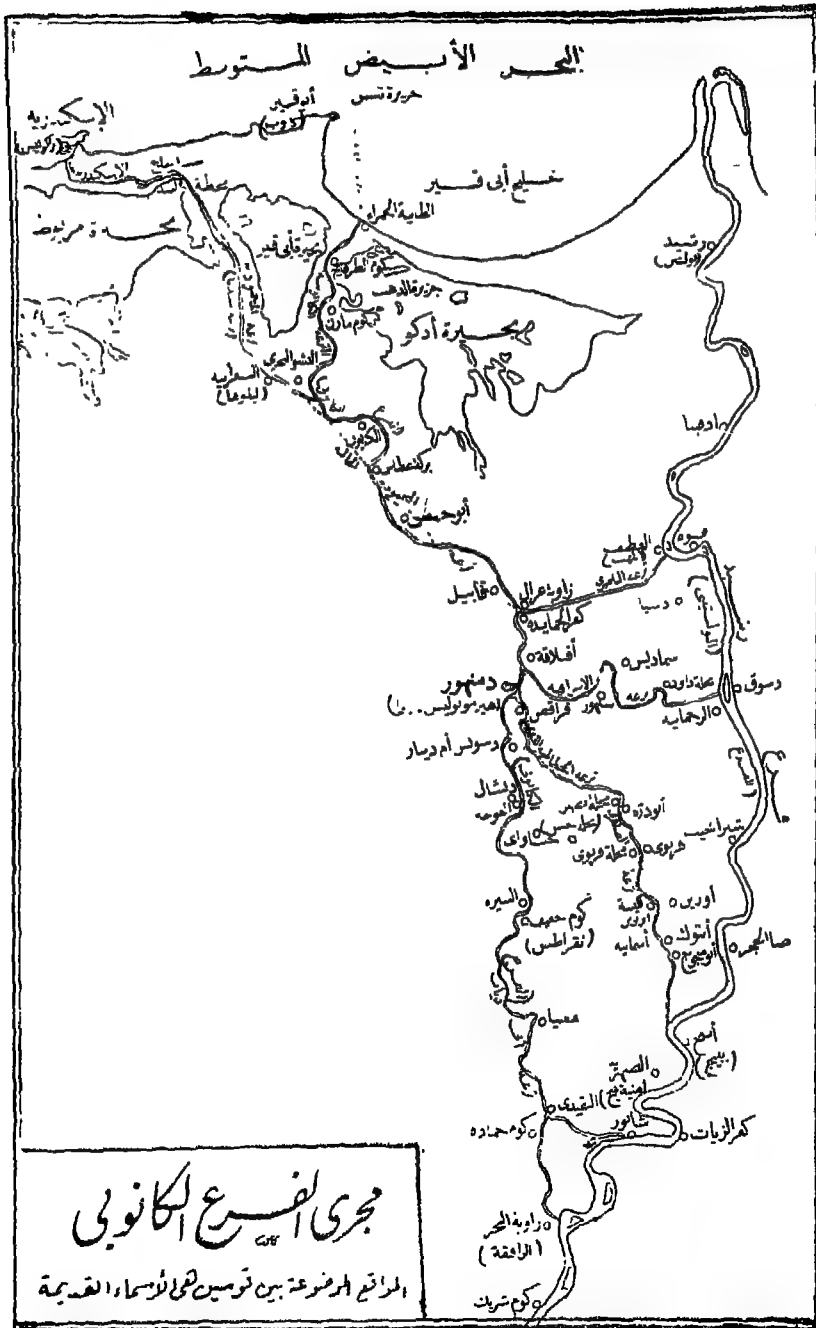
ترعة الاسكندرية ، وتخترق (بحيرة أبو قير) حتى تصل إلى (المعدية) عند البحر ، غير بعيدة عن آثار (كانوب) القديمة .

ويرى (لإيميه) أن تاريخ تكوين (بحيرة أبو قير) يرجع إلى سنة ١٧٧٨ ، نظرا لوقوف السد الحجري الذي نسميه (سد أبو قير) حائلا بين تدفق مياه البحر نحو مسطح البحيرة ، ويشير إلى ما ذكره (الجنرال رينييه Reynier) في كتابه « مصر بعد موقعة هليوبوليس » ، (١) فيما يختص ببجيرة إداكو ، التي - في نظره - نشأت إثر فيضان سنة ١٨٠١ بسبب فتح (ترعة ديروط) بأمر الجنرال مينو .

ولكن التاريخ لا يستند في هذا الزعم ، كما سنرى في غير هذا الموضع ، ويمكن أن مصدر الخطأ يرجع إلى اعتقاد (لإيميه) بأن فتحة بحيرة إداكو (عند بوغاز المعدية) هي فتحة بحيرة أبو قير ، وأن فتحة بحيرة إداكو تقع عند مصب الفرع الكانوبي القديم ، الذي ينتهي عند ترعة أبو قير اعتمادا على ما ذكره (لانكريه Lancret) .

وكانت (شيديا) تقع على الفرع الكانوبي ، قرب الترعة الموصلة إلى الاسكندرية ، وقد ظهرت آثار (شيديا) على جزيرة متخلفة عن بحيرة أبو قير . وكان (بلين Plin) قد وضع المصب الكانوبي على مسافة اثني عشر ميلا شرق الاسكندرية ، وهي المسافة التي حددتها (أميان مارسلان Ammien Marcellin) بين كانوب والاسكندرية ، ابتداء من السور الشرقي للاسكندرية الذي أقامه العرب ، بينما تبلغ المسافة بين هذا السور ومصب بحيرة إداكو ستة عشر ميلا ، وكان الفرع الكانوبي يمتد في البحر نحو ميل جنوب رأس (زفيريوم) كما يقول (فيفر Faivre) (٢) .

وقد أطلق (ديودور) و (استرابون) على الفرع الكانوبي اسم (الفرع الهرقلي) كما قلنا وكذلك فعل (بلين) ، والسبب في ذلك يرجع إلى (هيرودوت)



الذى يذكر أنه كان يوجد على شاطئ البحر عند مصب الفرع الكانوبى ( معبد هرقل ) وهو ملجأ مقدس يأوى إليه العبيد الآبتون ، وكثرت حوله المنازل ، حتى نشأت مدينة ( هرقليوم ) ، التى تحدث عنها ( استرابون ) ومكانها الآن ( الطابية الحمراء ) غرب المعدية .

ويتول ( بلين ) إن بعضهم أطلق على الفرع الكانوبى ( الفرع النقراطيسى ) وذلك لوقوع مدينة نقراطيس ( Naucratis ) على ضفتيه ، أما بطليموس الجغرافى الذى عاش فى منطقة أبو قير فقد سماه ( النهر العظيم ) وأيضا ( أجاثرديمون Agathodemon ) ومعناها ( العبقري الطيب ) .

على أن ( ليميه ) قد أشار إلى ملاحظة لها دلالتها ، وهى أن القسم الأخير من مجرى الفرع الكانوبى ، كان شبه متواز مع ساحل البحر ، مما يدعونا نحن إلى التساؤل عن منسوب هذه المنطقة ، وأى جهتيها أعلى من الأخرى : الشرقية أم الغربية ؟ وايس الجواب على ذلك بالامر اليسير ، فليتابع معى الفارئ عدة صفحات لتخرج منها بالحقيقة .

## فرع رشيد

يتمتد إقليم البحيرة وتترأى أرجاؤه من الشرق حتى الضفة اليسرى لفرع رشيد ، وهو الذى كان يسمى ( البولبتينى ) وفى رأى ( هيرودوت ) و ( أرسطو ) أنه غير طبيعى ، وإنما حفره المصريون ، وهو فى نظر ( استرابون ) الفرع التالى للفرع الكانوبى مباشرة من الشرق ؛ وقد أجمع ( هيرودوت ) و ( استرابون ) و ( بطليموس الجغرافى ) على أنه كان يسمى نهر ( تالى Tali ) ، ولكنهم أطلقوا عليه أيضا اسم ( الفرع البولبتينى ) نسبة إلى مدينة ( بولبتين Bolbitine ) التى كانت تقع عند مصبه ، وحلت محلها مدينة ( رشيد ) وباسمها سمي ( فرع رشيد ) ، وقد كان يبدأ من أصل الكانوبى ، وما زال به حتى قضى عليه ، وورث عنه أهميته بهد أن كان يعتمد عليه كل الاعتماد حتى نما ثم تخلى عنه عند ( الرحمانية ) ولم تكسر انحناءاته من هناك - كما كان الشأن فى الفرع الكانوبى - بل وجد لنفسه مهذا ممهدا ، يسر له تدفقه نحو البحر فى المنحدر الحالى .

هذان هما الفرعان اللذان كانا يصلان إقليم البحيرة بماء النيل ، وينزكان على أراضييه من الغرين الخصب طبقات يعلو بعضها بعضها مع الزمن ، وإذا كان الكانوبي قد اندثر ، فإن مجراه ما يزال قائماً إلى الآن يقوم بعمله منذ آلاف السنين ، وليس في مصر كلها إقليم قد أنعم الله عليه بمرعين من النيل إلا البحيرة بحيرة الخصب والرخاء .

## بحيرات البحيرة

هناك في شمال إقليم البحيرة تقع ثلاث بحيرات هي من الشرق إلى الغرب : بحيرة إدكو وبحيرة أبو قير ، وبحيرة مريوط ، أما الأولى فقد سميت خطأ ( بحيرة الإسكندرية ) ، وأما الثانية فقد كانت تسمى أحيانا ( بحيرة المعدية ) وأحيانا أخرى ( بحيرة السد ) أو ( بحيرة إدكو ) والآخرى كانت أيضا تسمى ( بحيرة مارا )



صيد الطيور والأسماك  
في مستنقعات البحيرة أيام الفراعنة

وقد نشأت هذه البحيرات من عصور سحيقة إذ كانت مستنقعات شاسعة الأرجاء ، تصاد منها الطيور المائية والأسماك منذ الأزمنة الفرعونية ، التي وصلتنا معالم حياتها اليومية ، عن طريق الصور والرسوم ، وفيها تظهر الفوارب الخفيفة ، وهي تشق الأعشاب المائية النامية ، والصياد يدفع زورقه وسطها

بالمدرأة ، والأسماك والطيور من حوله هنا وهناك ، وهذا الذى كان من قديم الزمان ، لا يزال حتى الآن ، على ما كان عليه من الطرق البدائية فى اصطيد خيرات الطبيعة أينما وجدت .

ومن الطبيعى أن تنشأ هذه البحيرات من مياه المستنقعات التى تفيض وتنحسر ، مع فيضان النيل وانحساره ؛ ولذا كانت أطراف هذه البحيرات تجف : ويظل الجفاف يزحف حتى يصل الناس عبرها ، بين مختلف المدن والقرى . سيرا على الأقدام أو على ظهور الدواب ، وعلى مر العصور ، ظلت هذه البحيرات متغيرة غير مستقرة ، حتى بدأت سياسة تجفيف بعضها أو كلها لتحويلها إلى مزارع ، منها من انتشر حتى الملاريا المتسببة من البعوض ، ولسد حاجات المواطنين فى هذا الإقليم . وهم يزدادون بكثرة ملحوظة تتطلب توفير ما يكفل لهم العيش ، قبل أن تنشأ الالتزامات الاقتصادية لأطفالها .

وفى وقتنا الراهن ، لم يعد هناك من ( بحيرة إدكو ) التى كانت مساحتها نحو ٥٧ ميلا مربعا ، إلا مقدار الثلثين بعد أن جففت الحكومة بعض أجزائها ابتداء من سنة ١٩٤٨ وحولتها إلى مزارع ناجحة ، أما ( بحيرة أبو قير ) فلم يعد لها وجود الآن ، بعد تدعيم ( سد أبو قير ) بالحجارة الضخمة عند البحر منذ سنة ١٨١٦ ، كما أن ( بحيرة مريوط ) قد جف معظمها ، والباقي فى سبيله إلى التجفيف أيضا ، تمشيا مع السياسة الاقتصادية للدولة .

ولقد شغل المؤرخون والجغرافيون والجيولوجيون جميعا ببحث تكوين البحيرات ولا سيما بحيرات ( البحيرة ) ، وأياها أسبق فى الوجود ، وما طرأ على كل منها من تطورات ، وستعرض فيما يلى لسلسلة من هذه البحوث ، لما لها من أهمية فى تاريخ البحيرة ، من شتى النواحي العمرانية والسياحية .

ويرى أستاذنا المرحوم أحمد العدوى (١) اعتمادا على آراء علماء الجيولوجيا أن العوامل الجيولوجية كالمسد والجزر لها المسكنة الأولى فى تكوين البحيرات ،

فضلا عما ذكره ( هيوم Hume ) (١) من تأثير حركات الهبوط في الساحل الشمالى ، منذ القرن السادس الميلادى ، وما كان قبلها من حركات ارتفاع ، في آخر عهد البيستوسين ، أعتمها ظهور طبقات ، تحف بالساحل في معظم امتداده .

وفي رأى أستاذنا أن ( بحيرة مريوط ) قد انفصلت عن البحر ، بسبب هذه الشطوط ، الواقعة بينها وبين خليج أبو قير تلك الشطوط الرملية التي تعهدتها يد الإنسان بالقوية ، منذ نشأت ( ترعة الإسكندرية ) مبتدئة من ( فرع رشيد ) عند ( الرحمانية ) إلى أن تدخل ( الإسكندرية ) بمياه الشرب العذبة ، كما أن هناك شطوطا رملية أخرى ، كانت تفصل ( خليج أبو قير ) عن منطقة ( بحيرة أبو قير ) التي كانت متصلة بالبحر ، ثم انفصلت عنه في زمن العرب .

ما هى العوامل لإذن التي أبقت على كل من ( بحيرة مريوط ) و ( بحيرة أبو قير ) على الرغم من انفصالها عن البحر ؟ والجواب على ذلك يتلخص في سقوط الأمطار في موسمها ، والرشح في وقت الفيضان ولا سيما أن المنطقة رملية ، ويندر فيها أن توجد أحجار جيرية ، وأخيرا طغيان ماء البحر عند ( سد أبو قير ) في حالة إهمال الاستحكامات التي كانت تقوم بها الحكومات ، لتقوية وصد التيارات البحرية ، نظرا لانخفاض هذه المنطقة التي تحيط به ، عن منسوب سطح البحر ، أما ( بحيرة إدكو ) فإنها لم تزل متصلة بالبحر ببوغاز المعدية ، مما يدعو إلى الظن بأنها كانت متصلة اتصالا مباشرا بخليج أبو قير ، وفصلتها عنه شطوط رملية وغرينية ، كما أن العرع السكاني كان عاملا من عوامل تكوينها .

على أن بحيرات غرب الدلتا كانت مستودعات لمصارف لإقليم البحيرة في منافذها للبحر ، ويظهر أن نظام الصرف لم يكن معروفا قبل القرن الثامن الهجرى حيث يقول المقرئى عن أحداث سنة ٧٢١ هـ : [ لما عمل السلطان الجسور وأنشأ عليها القناطر صار الماء إذا روى بلاد البحيرة يسجد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيتراجع ثم خرق من موضع خرقا كالجمرة ، واتسع حتى صار

خليجاً صغيراً يمر على أراضٍ لم يكن من عادتها أن يعلوها الماء ، فأخبر الأمير ركن الدين القلنجقي كاشف البحيرة السلطان بأن عدة من الأراضى التى فى بلاد المتطعين قد شملها الرى (١) .

ويجب ألا ننسى أن الأستاذ العدوى - وهو عالم جغرافى وجيولوجى - قد رجع فى بحثه هذا إلى أقوال المؤرخين ومنهم الإدريسى والمقريزى وعلى مبارك وعمر طوسون ، وأخيراً ( إتيان كومب Etienne Combe ) فى بحثه التيم المنشور سنة ١٩٣٣ باسم «الإسكندرية الإسلامية : مذكرات عن طبوغرافية المدينة وتاريخها منذ الفتح العربى حتى يومنا هذا ، وهو بحث مستفيض له أهمية الكبرى فى تتبع نشأة البحيرات المصرية شرقى الاسكندرية وجنوبها ، من خلال أقوال مؤرخى العرب ، وتقارير الرحالة القصادمين ، من الخارج إلى الاسكندرية ، فى سلوكهم الطريق منها إلى رشيد ، ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى حتى القرن التاسع عشر ، وما قامت به بعد ذلك الحكومة المصرية من عمليات للصرف والتجفيف والرى .

وفى كتابى (إدكو) الذى وضعته سنة ١٩٣٥ ، بحث عن نشأة (بحيرة إدكو) اعتمدت فيه على تطورات المجارى المائية فى مختلف العصور ، وكان الضوء كله مسلطاً على (بحيرة إدكو) ، ومع شديد اعترازى بوثاقفة النتيجة التى وصلت إليها ، بدراستى المستقلة ، منذ سبعة وعشرين عاماً ، إلا أن المراجع الضخمة التى اطلعت عليها فيما بعد ، ومع سعة الإلمام بالمنهج العلمى ، كل ذلك يتطلب منى عرض آخر ما وصلت إليه من النتائج ، بعد غربلة هذه البحوث وتصقيتها . وعرضها فى يسر وبسط .



## بحيرة إدكو

ولإذا كان ( استرابون ) كما رأينا قد تحدث منذ أكثر من ألفي سنة عن مستنقعات غرب الدلتا لإطلاقاً ، وذكر على سبيل النخسيس ( بحيرة مريوط ) ، فإنما يفهم من ذلك أن سائر البحيرات الواقعة شرفها كانت موجودة ، ولكنها لم تكن قد تميزت بعد بأسماء ، كما هو الشأن في بحيرة مريوط .

وتمضى فراية خمسمائة سنة بعد ( استرابون ) ، ولا نظير يئىء قل أو كثر عن نظورات هذه البحيرات حتى يبدأ مؤرخو العرب الأقدمون كتاباتهم عن مصر ، بطريق الرواية ، فيتحدثون عن موضوعنا هذا حديثاً يستحق منا النظر سواء بالتقدير أو بالتمديد حتى تستقيم بحوثهم مع الواقع الملبوس ،

من ذلك مثلاً ما رواه ( ابن عبد الحكم ) وهو كما نعلم مولود بالاسكندرية سنة ١٥٥ هـ وتوفى بالفسطاط سنة ٢١٤ هـ وقيل بعدها على اختلاف الروايات والمهم أنه عاش بعد ( استرابون ) بنحو سبعة قرون ، وليس قبله عرنى نستطيع منه الحصول على ما نرجو .

وقد أخطأ ابن عبد الحكم أولاً عندما أطلق اسم ( بحيرة الاسكندرية ) على ( بحيرة إدكو ) ، وقد يكون الخطأ ناتجاً عن شهرة ( الاسكندرية ) بحيث حجب عنها ما كان يجاورها من الأقاليم ، خصوصاً وأن الاسكندرية كانت عاصمة مصر الأولى ، منذ أسسها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، وظلت كذلك في عهد البطالمة والرومان ، ولما فتح العرب مصر سنة ٦٤٠ م ، لم تدم عاصمة البلاد بعد اختيار الفسطاط لتكون أول عاصمة لمصر الإسلامية وسنرى في تطور التسييم الإدارى كيف كانت الإسكندرية تستحوذ على ما حولها ، حتى أطلق على هذه المنطقة كلها ( منطقة الإسكندرية ) ، التى كانت تمتد من الاسكندرية حتى تضم إليها إقليم البحيرة أو على الأقل الجزء الشمالى منه .

من أين استغنى ( ابن عبد الحكم ) لإذن معلوماته عن ( بحيرة إدكو ) ؟ وماذا قال عنها ؟ .. يقول ابن عبد الحكم [ حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث

ابن سعد [ ثم يروى لنا تاريخ ( بحيرة إدكو ) فيقول : (١) ] كانت بحيرة الاسكندرية ( ويقصد بحيرة إدكو ) كلها كروما لامرأة المقوقس ، فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم ، فكثرت الخمر عليها حتى به ذرعا ، فقالت لا حاجة لى فى الخمر ، أعطونى دنانير ، فقالوا : ليس عندنا ، فأرسلت عليهم الماء ففرقتها ، فصارت بحيرة ، يصاد فيها الحيتان ، حتى استخرجها بنو العباس ، فسدوا جسورها ، وزرعوا فيها [ .

وبعد ابن عبد الحكم بثلاثة قرون ، يلقى الإدريسي ( المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ) ضوما قويا على ( البحيرة ) التى ذكرها ابن عبد الحكم دون أن يطلع على ما قاله فيقول (٢) عن النيل إنه [ ينقسم فى أسفل أرض مصر ( الدلتا ) إلى أربعة أقسام فثلاثة أقسام منها تصب فى البحر الشامى ، وقسم واحد يصب فى البحيرة الملحة التى تذهبى قرب الإسكندرية ، وبين هذه البحيرة وبين الاسكندرية تسعة أميال ، وهى لا تتصل بالبحر ، بل هى من فيض النيل ، وهى تشغل مساحة محدودة ، وتسير موازية لساحل البحر على مقربة منه ] .

وعلى الرغم من أن الإدريسي ذكر هذه البحيرة الملحة ، دون أن يعين اسمها ، فإنه حدد المسافة التى بينها وبين الاسكندرية ، وأوضح بعض معالمها ، واتجاهها ، ثم يستطرد إلى خليج شابور أى ( ترعة فزارة ) فيقول : [ وفه وإبتداء منخرجه من أسفل ( بليج ) ويخرج من معظم هذا القسم المتصل برشيد أسفل ( سنديون ) ، و ( سمديس ) ، وأسفل ( فوه ) وفوق رشيد ذراع ( = خليج أو ترعة ) من النيل فيمر إلى مستقر بحيرة تتصل بقرب الساحل ثم تمر بمسدة مع الغرب ، إلى أن يكون بينها وبين الإسكندرية نحو ستة أميال .. ] ثم يقول : [ وعلى مقربة من أسفل ( سمديس ) يخرج ذراع من النيل ليس بالكبير ، يتصل ببخيرة مارة بين غرب وشمال طولها أربعون ميلا فى عرض ميلين أو نحوها ،

(١) فتوح مصر : ص ٩

(٢) نزعة المشتاق : الجزء ٣ من الأقليم ٣ ويلاحظ أن معظم هذه البلاد معرفة

فصحتها من المراجع الموثوق بها .

وماؤها ليس بعميق ، حتى تأتى ساحل البحر المالح . وتنعطف هذه البحيرة مع الساحل ، وعلى بعد ستة أميال من رشيد ثم ترجع إلى فم ضيق في أعلى ، سعتها مقدار عشرة أبواع في طول رمية حجر ، ثم تصل هذه البحيرة ببحيرة أخرى طولها عشرون ميلا . وسعتها أقل من الأخرى . وماؤها أيضا ليس بعميق ، فيسار فيها إلى أعلاها ، ومن هناك إلى الاسكندرية ستة أميال ، ثم يتحول الناس عن المراكب إلى البر ، فيسيرون على الدواب إلى الإسكندرية [ .

هناك إذن بحيرتان ذكرهما (الإدريسي) أما الأولى فهي قطا (بحيرة إدكو) وأما الأخرى التي قال إنها تصل بها فهي (بحيرة أبو قير) التي تولدت عنها بصفة أساسية وعن رشح النيل والبحر معا . وعن المطر المتساقط .

وقد أخطأ (كومب Combe) في قراءة النص العربي : ( . يتصل ببحيرة مارة ) وظن أن هذه البحيرة تسمى (مارة Mara) في حين أن الإدريسي لا يقصد أنها اسم علم ، بل هي اسم الفاعل من ( مريّر وهي مارة ) ، وتورط في ذلك عبد المصنف محمود في كتابه (١) حتى ظن أن الإدريسي نفسه وأهم فيما يقول ، وهو من الوهم برىء ، وليس في السياق دلائل على أنها بحيرة مريوط التي كانت تسمى Marea . ولأول مرة في التاريخ ، يتصدى المؤرخ (الدمشقي) الماروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، فيذكر اسم « بحيرة إدكو » صراحة ، إذ يقول (٢) [ وبحيرة أتمكو بالقرب من اسكندرية ، فيما خليج من النيل يسمى (الحائر) طوله نصف يوم ، وبحيرة بالقرب منها طولها لإقلاع يوم ، وعرضها كذلك . ويصاد من هذه وهذه السمك البورى وتحمل إلى سائر الأقاليم ] .

وبعد نحو مائة سنة يتحدث القلقشندي (٣) عن البحيرات المصرية ، فيحصرها

(١) عل ضفاف بحيرة ادكو ص ٣٩

(٢) نخبه الدهر ص ١٢١ وقد كتبها مكنا ( أتمكو ) بينما كتبها ( مهران ) الناشر في الهامش مكنا بالفرنسية Lac d' Atcou en Egypte « بحيرة ادكو بمصر » وأماها بالعربي ( أتمكو ) . XIV : P

(٣) صبح الأهرى ج ٣ ص ٣٠٧

في أربع نقط ، منها واحدة فقط غربي الدلتا هي (بحيرة إدكو) ولكنه يخطئ فيسميها (بحيرة بوقير) ويقول : [بحيرة بوقير ، بحيرة ماء ملح يخرج من البحر الرومي بين الإسكندرية ورشيد ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية يأتيها ماء النيل عند زيادته ، وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المال الكثير ، وفيها من أنواع الطير كل غريب ، وبجوانبها الملاحات الكثيرة التي يحمل منها الملح إلى بلاد الفرنج وغيرها ] .

ثم ينوه بما وقع فيه أبو الفداء عند زيارته لمصر سنة ٧١٨ هـ وسيره من (فوه) إلى الإسكندرية على الخيل ، ومروره بهذه البحيرة التي ظن أنها بحيرة (نسترويه) أي (بحيرة البراس) ويستطرد (الثاقف شندي) قائلا عن (بحيرة إدكو) : [على أن هذه البحيرة قد انقطع مددها من البحر الملح في زماننا بواسطة غابة الرمل على أشتومها الموصلة إليها الماء من بحر الروم ، نتيجة وصارت سبخة طويلة عريضة ، ومات ما كان يصاد منها من السمك البوري ، وما يتحصل منها من الملح المنعقد بسواحلها ، وعاد على الإسكندرية بواسطة ذلك ضرر كبير ، لانه كان الغالب على أهلها أكل السمك ، ويحصل لهم بالملح رزق كبير ] .

وهذا الأشتوم بغلبة الرمل عليه والجفاف والسبخة الطويلة العريضة والسمك والملح ، كل ذلك لا ينطبق إلا على بحيرة واحدة لا غيرها هي بحيرة إدكو .

وإذا تتبعنا أقوال أعلام التاريخ في هذا الموضوع ، وجدنا أنفسنا أمام (المقريزي) <sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٨٤٥ هـ وهو يتحدث عن (بحيرة إدكو) اعتمادا على ما قاله ابن عبد الحكم أولا ، فيقع مثله في خطأ التسمية ، وينتهي صاحب «فتوح مصر» عند قوله إن بنى العباس قد استخرجوا السمك من هذه البحيرة ، وسدوا جسورها وزرعوا فيها ، فيكمل (المقريزي) القصة بقوله [ثم صارت بحيرة طولها لإقلاع يوم في عرض يوم ، ويصير إليها الماء من أشتوم في البحر الرومي ، ويخرج منها إلى بحيرة دونها في خليج عليه مدينتان إحداهما (الجدية) والأخرى (أثكو) وهي كثيرة المتقاني والنخل ، وكلها في الرمل ، ويصب في هذه البحيرة

خليج من النيل يسمى ( الحافر ) . طوله نصف يوم إقلاء ، وهو كثير الطير  
والسمك والعشب ، وكان السمك بوجود هذه البحيرة في الإسكندرية غاية في  
الكثرة ، يباع بأقل القيم وأبجس الأثمان ، ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة .. [

وحينا تطرق المقرئ إلى المصايد <sup>(١)</sup> ، قال إن ( بحيرة الإسكندرية ) وهي  
طبعاً ( بحيرة إدكو ) - « قد جفت » ، وهي التي كان يدب الموظفون إليها وإلى  
غيرها من البحيرات والخلجان ، لتحصيل الرسوم المقررة كدخل للدولة بعد أن  
أدخلها ( أحمد بن مديبر ) - وإلى مصر سنة ٢٥٤ هـ - في ديوان المصايد باسم  
« خراج مضارب الأوتار ومغارس الشباك » وقرر على صيادي السمك قدرا  
معلوما من المال . فكان ذلك بداية المظالم التي لحقت مصر .

كما أن السخاوي <sup>(٢)</sup> ذكر في ترجمته للغويطي قاضي إدكو المتوفى سنة ٨٩٧ هـ أنه  
كان ضامنا لبحيرة إدكو بمائتي ألف بعد أن كان الصيد فيها مباحا للجميع . وكان  
التنافس شديدا على ضمان هذه البحيرة .

ولما يتحدث ابن قري بردي <sup>(٣)</sup> عن « بحيرة إدكو » وهو الذي توفي سنة  
٨٧٤ هـ فإنما يتحدث باسم « البحيرة » ويسرد ما قاله ابن عبد الحكيم حتى يذكر  
ما فعله بنو العباس من سد جسر هذه البحيرة وزراعتها ثم يقول [ ونمت  
واسنمرت في زباده إلى يومنا هذا ، وبقي اسمها عليها لا تعرف إلا بالبحيرة ] .

فهو يبدأ النص هكذا [ والبحيرة كان أصلها كرما لأمراء المقوفس .. ]  
وينتهي بقوله : [ لا تعرف إلا بالبحيرة ]

ومن هنا يبدو لنا صراحة ما وصلت إليه بحيرة إدكو من الشهرة والسعة  
حتى أصبح يقال لها « البحيرة » بما يفيد أنه لم يكن بجوارها بحيرات أخرى ،  
أو لا يوجد ما يضارعها على الأقل ، خصوصا إذا استرجعنا تسكعة المقرئ لما  
قاله ابن عبد الحكيم [ ثم صارت بحيرة ... ]

(١) نفس المرجع ص ١٠٧

(٢) الضوء اللامع ج ٥ ص ٣١١ رقم ١٠٢٩

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٧

وفي ٨ صفر سنة ١٢٤٧ هـ أصدر محمد علي أمرا إلى قائم مقام البرلس بأن القبطان الأوروبي (ليكوس) في طريقه إلى إدكو ومعه أربعة من أهلها، بقصد تعليمهم طريقة تجفيف السمك في مدى شهرين، ولما كانت أسماك إدكو قد سبق أن أعطيت التزاما، ولا بد من وجود الأسماك، فقد صدرت الأوامر بإعطائه الأسماك المطلوبة من أى نوع، مع التنبيه على محافظ رشيد بصرف أجورهم من خزينة المحافظة (١).

ولكى تكتمل الصورة النهائية لبحيرة إدكو، نقتبس من على مبارك، بعد كلامه عن انقطاع الماء عنها في عهد محمد بن مدبر عامل مصر من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان إذ يقول :

[وبقيت الأراضي كلها سباخا لا نبات فيها، وإلى الآن نشاهد آثار المدن القديمة التي كانت هناك وهي التلال التي بداخل بحيرة إدكو وخارجها] (٢)

ويعود على مبارك مرة أخرى فيتحدث عن أبو قير (٣) فيعيد قصة امرأة المقوقس والبحيرة ويقول : (كانت امرأة المقوقس لها بساتين كلها كرم وتسمى (البحيرة) شرقي الخليج إلى حد رشيد وكان طولها مسافة يوم . وكانت تأخذ بخراجها من الفلاحين خمرا) ويمضي في ذكر القصة حتى يقول [فأغضبوها فأرسلت إلى عامل تلك الناحية أن يطلق عليهم البحر المالح، فأطلق عليهم البحر، من ناحية أبو قير فغرقت تلك الأراضي كلها وجار الماء على تلك الأراضي، فصارت بحيرة يصاد منها السمك وكان يدخل إليها الماء من قبل أبو قير، ويخرج إلى بحيرة دونها من خليج عليه مدينتان، [ثم يذكر (الحافر) و (الجديدة) و (إدكو). حتى ينقطع الماء عن هذه البحيرة في أيام ابن مدبر ويقول [وبقيت الأراضي كلها سباخا لا نبات فيها] ويستطرد قائلا [ويستفاد من كلام المؤرخين أن هذه الأرض كانت تزرع جميعها، وكان بها البساتين النضرة وإلى الآن تشاهد آثار المدن القديمة

(١) أمين سامي : تفويم النيل ١٠

(٢) التوفيقية ١٠ ص ١٢

(٣) ٧ ص ٤٩

التي كانت هناك وهي التلال التي بداخل بحيرة إدمكو وخارجها [ .

وتوجد مجموعة من الجزر بداخل بحيرة إدمكو ، بعضها ممتلئ بالأحراش ، والبعض الآخر حجري منفر ، وبالقرب من هذه وتلك آثار مآكلة من جدران منازل ، وجذوع أشجار ، وبتايا قصور ، وهياكل عظمية للدواب ، ولهذا لا غرابة إذا عرضنا لهذه الجزر على الترتيب الآتي :

١ - **جزر تدل على العمران :** النصور البحرية ، القصصور القبلية ، الكنائس ، الذهب الكبيرة ، الذهب الصغيرة ، الفحوم .

٢ - **جزر تدل على طيور وحيوانات :** منقار البط . منقار دياب ، الرقبة ، الدرفيل ، الحير ، العرسة ، الجمل ، أبو راس ، الجاموسة .

٣ - **جزر تدل على أسماء غريبة :** البرتل ، الروعية ، الطويلة ، النعقة ، الفس ، الميت ، حسن ، فجنون ، الكلوكة . قطارة ، القتلي ، زيتون ، صاوه .

وقد لاحظنا منذ خمسة وعشرين عاما ، أن هذه الجزر ، تقع على خط وهمي يحاذي خليج أبو قير ، كما أن الرمال الواقعة بين البحر والبحيرة تضيق تدريجيا من الشرق إلى الغرب حتى يكون الاتصال عند ( بوغاز المعديّة ) ثم تستمر مياه البحيرة حتى أسفل الطااية الحمراء .

ومن هذا البوغاز يدخل ماء البحر إلى البحيرة ، ويخرج عن طريقه ماء البحيرة إلى البحر ، مما يجعل ماءها بين العذب والمليح ، وهو المسمى ( الماء الشروب ) ، وسمكها - من أجل ذلك - خليط من سمك النيل وسمك البحر .

وهذا البوغاز عميق ، ويبلغ عرضه الآن نحو الخمسين مترا ، وقد أنشئت عليه قنطرة تان إحداها يعبر عليها القطار ، وأخرى بحاذاتها تمر عليها السيارات والعربات ويعتبر هذا البوغاز الحد الشرقى لقرية ( المعديّة ) التي تبعد عن إدمكو بأربعة عشر كيلو مترا ، وقد سميت كذلك بسبب وقوعها عند مكان ( المعديّة ) من الغرب إلى الشرق أو بالعكس في الطريق بين الإسكندرية ورشيد ، ولذا صحت رواية ابن عبد الحكم ، فقد تكون فتحة هذا البوغاز هي المكان الذي قطعتة امرأة المقوقس ، فانجرف الماء دافقا فأغرق مزارع الكروم .

وقد تابع (كومب Et. Combe) انتقالات الأجانب القادمين إلى مصر منذ القرن الثالث عشر الميلادى . حتى نهاية القرن الثامن عشر ، وعرض نماذج من مذكراتهم ، ومن أوصافهم لرحلاتهم ، نفهم أن الواحد منهم كان يفادر الإسكندرية فيترك خرائثها ليضى في الرمال عن يمينه وشماله ، وغابات النخيل على اليمين وسياحات المياه على اليسار ولا وسيلة للسفر غير البغال حتى يصل إلى ( بوغاز بحيرة إدكو ) ، ومن هناك ينتقل إلى الضفة اليمنى على قارب ، أو على ظهر دابته إذا كان الماء ضحلا ، ثم يستأنف السير إلى رشيد مهتديا بعلامات من الحجارة تحميه من أن يضل في هذه القيسى الرملية ، مستظلا بالنخيل ، وراويا من مياه الآبار ، فإذا وصل إلى رشيد ، ركب النيل إلى القاهرة .

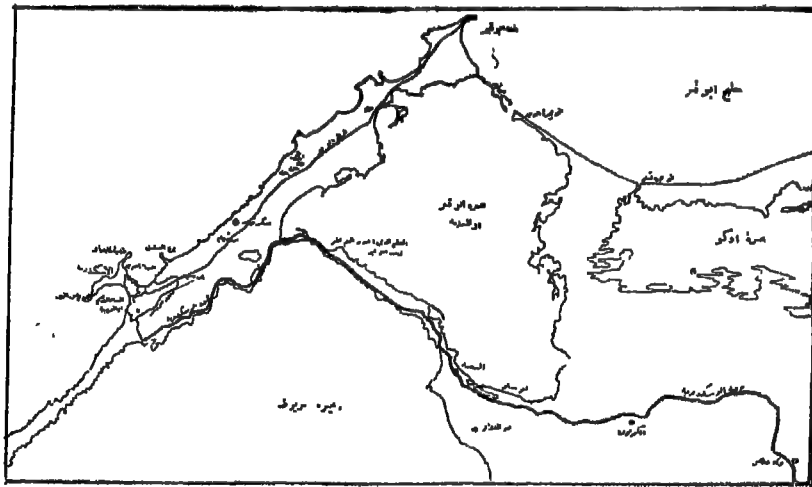
كان هذا هو الطريق البرى من الإسكندرية إلى رشيد المحاذى للشاطئ الشمالى لبحيرة إدكو ، وطالما وصفه الرحالة والسفراء ، وطالما ذكروا ( الخان ) أو الاستراحة أو القندق البدائى الواقع على الضفة الشرقية لبوغاز بحيرة إدكو ، حيث يجد المسافر بعض الراحة ، ويدفع أجر العبور للبدو والصيادين ، وليس نمت مكان آخر سوى هذا ( الخان ) الذى كان نواة لقرية ( المعدية ) . والآن تنحصر مساكنها الكثيرة فى شبه جزيرة ، يحيط الماء بها من جميع الجهات ، وعما قريب تمتد إلى الناحية الغربية حتى تصل إلى ( الطابية الحمراء ) ، التى تبدو الآن قائمة على تل فى أسفله أطلال ( الهرقليوم ) .

وباطلاءنا على رحلات المسافرين بين الإسكندرية ورشيد خلال ما يزيد على ستمائة سنة ، نرى الكثير من التحريف فى أسماء المواقع على نحو يشير العجب ، ومع ذلك فإن هذه المنطقة كانت رقعة شاسعة من الرمال ، التى تعلو وتهبط تتخللها غابات من النخيل ، والبحر فى شمالها ، والمستنقعات المترامية الأطراف ، ممتدة طوع لإرادة البحر إذا طغى ، والنيل إذا فاض ، والمطر إذا سقط .



## بحيرة أبو قير

تبين لنا بما سبق ، أن المستنقعات الواقعة غربى فرع رشيد ، لم تكن ثابتة الضفاف ، تجف ونفيس حسب عوامل الطبيعة ، فضلا عما يحدث فى التثيرة الأرضية من ارتفاع هنا وانخفاض هناك ، على إثر الزلازل ، لهذا كانت بحيرة إدكو تترامى أطرافها غربا ، كلما فاضت مياهها ، فتجد لنفسها متسعا فى بحيره دونها هى « بحيرة أبو قير » نظرا لانخفاض منسوب المنطقة الغربية عنها فى المنطقة الشرقية ، وأحيانا كانت مياه هذه المسطحات المائية تجف تدريجيا مع حرارة الشمس ، وانقطاع المدد المائى ، فتخلف وراءها بحيرات ، تحيط بها أرض سبخة ، انحسر عنها الماء ، والملح طاف على سطحها .



### بحيرة أبو قير

بين بحيرة إدكو وبحيرة مروط

ومن الطبيعى أن تكون المنطقة الواقعة غربى بحيرة إدكو ، والتي تفصلها عن البحر عند أبو قير تلال من الرمال ، هى المتنفس الوحيد لمياه بحيرة إدكو إذا تدفقت نحوها مياه البحر ومياه النيل ، لهذا تكونت « بحيرة أبو قير » التى أشار إليها ( الإدريسى ) فى القرن السادس الهجرى ، دون أن يذكر اسمها لعدم استقرارها ، حيث قال [..] ثم تتصل هذه البحيرة « ويقعد بحيرة إدكو »

ببحيرة أخرى ، ويتصد ببحيرة أبو قير ، طولها عشرون ميلا ، وسعتها أقل من الأخرى ، وماؤها ليس بعميق ، فيسار فيها إلى أعلاها ، ومن هناك إلى الإسكندرية ستة أميال ، ثم يتحول الناس عن المراكب إلى البحر ، فيسيرون على الدواب إلى الإسكندرية [ ويقدر ( جاكوتان Jacotin ) مساحة هذه البحيرة بـ ٢٣٣٢٩ فداناً وكذلك كانت في أواخر القرن الثامن عشر .

وتحدث ( القلقشندي ) عن « بحيرة أبو قير » ولكنه كان يقصد - بهذه التسمية التي ظهرت لأول مرة ، في كتب المؤرخين العرب - بحيرة إدكو لا سواها . ولعل أقوى العوامل في تكوين « بحيرة أبو قير » هو انكسار « سد أبو قير » أمام طغيان مياه البحر عند اشتداد العواصف ، فتجرف أمامها كل شيء ، حتى تغمر منطقة تقع بين بحيرتي إدكو ومريوط ، وهي التي كثيرا ما تكون مزروعات يعيش عليها البدو والتملاحون وكثيرا ما كان الرحالة يسمونها « بحيرة السد » وأحيانا « بحيرة المعدية » ، ومنهم من رسمها على خريطته ، ومنهم من أغفلها ؛ لم يرسمها ( بول فورلاني Paule Furlani ) سنة ١٥٦٦ ولا ( دانفيل D'Anville ) سنة ١٧٦٥ ، بينما رسمها ( إروين Irwin ) سنة ١٧٧٧ و ( نيبور Niebuhr ) سنة ١٧٨٠ ، وظلت على ظهور الوجود ، حتى جفت سنة ١٧٩١ ، ثم يتحدث ( أوليفيه Olivier ) سنة ١٧٩٤ عن هذه الناحية فيصف ما كان بها من نباتات بحرية تمتلئ بها صيفا ، ومستنقعات مائية متخلطة عن الفيضان والأمطار شتاء ، ويشير إلى السبب في ذلك وهو إهمال السد ، وعدم تقويته بالحجارة والأخشاب ، كما يشير إلى زحف هذه البحيرة التي يسميها « بحيرة المعدية » نحو ترعة الإسكندرية ، وتأثيرها في مأثها العذب ، الذي يشرب منه أهل الإسكندرية . وقد ضرب الإنجليز سد أبو قير سنة ١٨٠٧ بعد هزيمتهم المنكرة في رشيد ، فحطموه ، وأغرقوا الجهات التي تلي أبو قير من الجنوب ، فامتدت المياه إلى جهات بعيدة ، ثم حصلت « شركة أراضي أبو قير » الإنجليزية على امتياز لتجفيف هذه الأراضي وبيعها ، وعملت على صرف مياهها ، ولم تزل هذه الشركة تتمتع دماء الأهلين ، حتى صدر قرار حكومة الثورة بتأميمها ، ووضع ممتلكاتها تحت الحراسة .

## سد أبو قير

وهو حاجز غير منيع بين البحر وبين (وادي كاهينوب) أي «وادي الذهب» نظراً لما اشتهر به من الخصب وكثرة الغلال، فهو أحد منشآت الرومان في نظر (ويلسون Wilson)، والمعروف أن هذا السد هو المصب القديم للفرع الكانوبي الذي منه كانت تدخل السفن اليونانية إلى داخل البلاد، وترسو على (ميناء تيراطيس) على مسافة ٧٠ كيلو متراً من (كانوب) وقد شهد هذا الساحل وقائع تاريخية ومعارك بحرية بالغة الأهمية، فضلاً عن هجمات القرصنة عليه من قبرص وصقلية كما حدث سنة ١٣٦٣ م، وكما جرت معركة أبو قير البحرية سنة ١٧٩٨ بين الإنجليز والفرنسيين، وفي خلال الصراع الذي استحكم بينهم، حطم الإنجليز «سد أبو قير»، فأغرقت مياه البحر معظم أراضي مديرية البحيرة حتى بلغت مشارف دمنهور وبرارى مريوط، وتعطلت المواصلات، وعملت تركيا على إصلاحه، فالبث المالك أن قطعه في وجه العثمانيين سنة ١٨٠٣، ثم كسره الإنجليز سنة ١٨٠٧ عند ما تقهقرت حملة فريزر بعد انهزامها في رشيد والحامد، وبذلك عزلوا الإسكندرية عن إقليم البحيرة، [وانعدمت نحو مائة وأربعين بلدة] كما يقول إسماعيل سرهنك<sup>(١)</sup>، وبإدراك والي محمد علي بعد الجلاء بتسخير الملاحين سنة ١٨١٦ في إصلاحه بما تطلب عدة سنين، لأن عمق الماء في داخل خليج أبو قير كان خمسة أمتار في ناحية الجسر، وطوله ١٢٤٣ ألفاً ومائتين وثلاثة وأربعين متراً كما يقول (لينان دي بلقون).

واستقدم محمد علي المهندس الفرنسي (جاليس Galice) للدراسة وسائل الدفاع عن مصر، فقرر أن خطوط الدفاع تنحصر في ثلاثة وهي: الخط الساحلي، وسلسلة البحيرات، ومصبات هذه البحيرات في البحر. ومن أجل أهمية هذا السد، كتبنا مقالاً عنوانه «سد أبو قير خط الدفاع الأول عن مصر»، (٢).

(١) حقائق الأخبار عن دول البحار

(٢) الأهرام في ١٩٥٢/٩/٨

ويبدو بما ذكره المؤرخ التركي سليمان عزي سنة ١٧٤٦ ، أن « سد أبو قير » قد تهدم فأغرق زراعات الأرز حتى هددت المياه مشارف الفيوم ، مما أثار اهتمام السلطان محمود الأول فكلف والى مصر راغب باشا بإصلاحه وتلافى أخطاره على العور ، وفى سنة ١٧٧٧ شهد ( البارون دى توت Baron de Tott ) بأنه كان على أحسن حال ، وأن الاراضى الواطية كانت مزراع متصلة بضواحي الإسكندرية ، وقد تخلقت عن مسطح « بحيرة أبو قير » ويبلغ طولها ميلا ونصف ميل ، إلى الجنوب الشرقى من الإسكندرية ، وكانت من قبل بحيرة تسير فيها القوارب الخفيفة بسهولة ، كما يقول ( كومب Combe )<sup>(١)</sup> الذى عنى عناية فائقة بمتابعة أعمال الحكومات المختلفة لتفادى أخطار السد حتى سنة ١٩٢٤ ، ونستطيع أن نقول إن فريزر سنة ١٨٠٧ قد أمر بكسر السد ، فأغرقت المياه هذه البلاد ، فعادت « بحيرة أبو قير » أكثر اتساعا مما كانت عليه . ولكن لم يرض التاريخ أن يكتب لها « شهادة ميلاد » أخرى ، فقد شهدت سنة ١٨٣٠ وما بعدها من السنوات ، بأن البحيرة لم يعد لها وجود ؛ بل هى فى يومنا هذا مزراع وحدائق تتخللها القصور والمنشآت .

وقد تسكلم الجبرتي عن « سد أبو قير » فى عدة مواضع تنحصر بين أحداث سنة ١٢١٥ و سنة ١٢١٨ هجرية ؛ وبما قاله فى تاريخ هذا السد أولا أنه [ من السدود العظام المتينة السلطانية ؛ وتنفقده الدول على مر الأيام بالمرمة والعمارة إذا حصل به أدنى خلل ، فلما اختلت الأحوال ، وأهمل غالب الأمور وأسباب العمارات انهرم منه شرم ، فسالت المياه المالحة على الأرض والقرى التى بن رشيد والإسكندرية وذلك من نحو ستة عشر عاما ( أى منذ سنة ١٢٠٢ هجرية ) ، فلم يتدارك أمره ، واستمر حاله يزيد ، وخرقه يتسع حتى انقطعت الطرق واستمر ذلك إلى واقعة القرن نيسيس ] .

وفى حوادث ذى القعدة سنة ١٢١٥ هـ يقول فى قطع السد وحصار الإسكندرية : [ وأخبر المخبرون أن الإنكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة ؛ حتى أغرقت طرق

الإسكندرية ، وصارت جميعها لجة ماء ولم يبق لمدم طريق مسلوكة إلا من جهة العجمى إلى البرية ( الصحراء ) ، وأن الإنجليز تترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى ( غرب الإسكندرية ) [ .

وفى حوادث المحرم سنة ١٢١٦ قال إن الإنجليز [ أطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح إلى الجسر المقطوع حتى سالت المياه ، وعمت الأرض المحيطة بالإسكندرية ، وأغرقت أطيانا كثيرة وبلاداً ومزارع وأنهم قعدوا فى الأماكن التى يمكن الفرنسيين النفوذ منها بحيث أنهم قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية ] .

وفى حوادث جمادى الأولى سنة ١٢١٨ يقول [ أمر على باشا ( ويقصد الجزايرلى أو الطرابلسى ) وإلى مصر بكسر السد الذى ناحية أبو قير الحاجز على البحر المالح ] وبعد أن يوجز تاريخ هذا السد على النحو الذى رأيناه ، يتناول معركة أبو قير البحرية بين الفرنسيين من جانب ، والإنجليز والعثمانيين من جانب آخر فيقول [ فلما حضرت الإنجليز والعثمانية شرموه أيضاً من الناحية البحرية لأجل قطع الطرق على الفرنسيين فسالت المياه المالحة على الأرض إلى قريب دمنهور واختلطت بخليج الأشرفية ( ترعة الحمودية فيما بعد ) وشرقت الأرض ، وخربت القرى والبلاد وتلفت المزارع وانقطعت الطرق حول الإسكندرية من البر ، وامتنع وصول ماء النيل إلى أهل الإسكندرية ، فلم يصل إليهم إلا ما يصلهم من جهة البحر فى التقاير ، أو ما خزنوه من مياه الأمطار بالصهاريج ، وبعض العيون المستعذبة ، فلما استقر العثمانيون بمصر ، حضر شخص من طرف الدولة ( العثمانية ) يسمى صالح أفندى ، معين لخصوص السد ، وأحضر معه عدة مراكب ، بها أخشاب وآلات وبذل المهمة والاجتهاد فى سد الجسر . فأقام العمل فى ذلك نحو سنة ونصف ، حتى قارب الإتمام وفرح الناس بذلك غاية الفرح ، واستبشر أهل القرى والنواحي ، فما هو إلا وقد حصلت هذه الحوادث ، وحضر على باشا إلى الثغر ، وخرج الأجناد المصرية ، وحاربوا السيد على باشا القبطان ( وهو أخو على باشا الجزايرلى ) على برج رشيد فخاف حضورهم إلى الإسكندرية ففتح ورجع التلف كما كان وذهب ما صنعه صالح أفندى المذكور

في الفارغ بعد ما صرف عليه أموالا عظيمة ، وأما أهل الإسكندرية فإنهم جلوا عنها [ واستطرد الجبرتي في عواقب هذا الكسر من جلاء أهل الإسكندرية إلى أزمير وقبرص ورودرس والأضات ، وانحصرت الطبقة الفقيرة ، واشتد الغلاء ، ومع ذلك أرقق الباشا كاهل الأهالي بالضرائب الباهظة ، وعم الخراب إقليم البحيرة ] عن آخره ، على حد تعبيره ، حتى تولى محمد علي أمر مصر فكان لإصلاحه [ السد الأعظم الممتد الموصل إلى الإسكندرية ] من [ محاسن الأفعال ] وقد كان أقسم أمر هذا السد ، وتخرب من مدة سنين ، وزحف منه ماء البحر المالح ، وخربت بسببه القرى والمزارع ، وتعطلت المواصلات ، حتى وصلت المياه المالحة إلى خليج الأشرفية التي تمتد الإسكندرية بمياه الشرب ، وتمتلئ بها صهاريجها وقد كان تعمير الإسكندرية حازرا على العناية بأمر الجسر ( السد ) فأرسل إليه المباشرين ( الموظفين ) والعمال من نجارين وبنائين والمسامير والأحجار وآلات الحديد حتى تم إصلاحه .

ويقول الرافعي (١) إن قطع السد أدى إلى طغيان مياه البحر على بطاح مريوط فغمرتها ، وخربت ثلاثين قرية حسب إحصاء (لويير) أحد مهندسي الحملة الفرنسية ، وعاد الرافعي ثانية للتحديث عما فعله محمد علي من إصلاح هذا السد ، ومن ثمت [ أخذت بحيرة أبو قير تجف تدريجيا حتى صارت الآن أراضى زراعية ] (٢) .

ونرى أن أشهر القرى التي نشأت بعد هذا التجفيف قرية (الطرح) الواقعة غرب الضفة اليسرى للفرع الكانوبي القديم ، ولعل اسمها دليل على نشأتها بعد (طرح) مياه البحر عن هذه البقعة من الأرض الواطية ، أو نسبة إلى ما كان يطرحه البحر عليها من أوشاب وأعشاب .

---

(١) تاريخ الحركة القومية ج ٢

(٢) تاريخ الحركة القومية ج ٣ ص ٥٤٥

ويقول على مبارك (١) بصدد حديثه عن (أبو قير) [وبقرها السد المشهور بسد أبو قير ، وهو من البناء المتين المصنوع من الدبش والمونة فوق خوازيق من الخشب الكبير ، وهو من الآثار القديمة ، التي كانت تعهد صيانتها الملوك ، لوقاية أراضي مديرية البحيرة وبلادها من سطوة ماء المالح ، وهو إلى الآن من الأمور المعنى بها ، وموكل به مهندس مقيم عنده لملاحظة ما عسى أن يحصل فيه . وفي كل سنة ينبه الحكومة عما يلزم له من المرممة والأعمال ] .

ويظن على مبارك أن قطع امرأة المتوقس للبحر كان هو سد أبو قير ، ويضئ على هذه العقيدة فيقول [ إن الأقدمين كانوا لا يزالون يهتمون بحفظ الجسور الواقعة لتلك الأراضي من ماء المالح ، والظاهر أن قطع جسر أبو قير لم يكن لذلك السبب ، وإنما الذي يظهر أن تلك الجسور ، لما اعتراها الإهمال بعد ذلك من توالي الفتن والأحوال ، سطا المالح على تلك الأرض وأخربها وشتت أهلها عنها ، والظاهر أيضا أن ذلك إنما حصل بعد انطباع فرع كانوب وتحول النيل إلى جهة رشيد ، ضرورة أن جفاف هذا الفرع وخلوه من ماء النيل ، أوجب حرمان هذه الأراضي منه وتلف كرومها ومزارعها وارتحال أكثر أهلها عنها ، ولما أهملت الجسور تسلط عليها المالح وخربت بالمرءة ] .

ورجع على مبارك إلى « الروضة الزاهرة » في أخبار ملوك مصر الفاخرة ، فقال إن البحر الرومي جار على تلك الأراضي ، في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠ هـ . إلى أن انتهى إلى آخر مريوط ، وأغرق بلادا كثيرة ، من بلاد البحيرة ، نحو خمسين قرية ، على ما قيل ، وأخرب خليج الإسكندرية ، وما كان حوله من البساتين والأشجار وارتدم الخليج ، وبقي ثلاث سنين ، لا يجرى فيه النيل ، واشتد الأمر على أهل الإسكندرية ، وفرت منها أناس كثيرون ، إلى بندر رشيد وغيرها ، وكادت تخرب .

ثم إن الملك الناصر شزع في سد البحر وأرسل مهندسين ومعماريين وبذل لهم المال وأرسل معهم ينيك البدرى مملوك أبيه ، وهو المباشر في ذلك إلى أن سدوه أولا بالأخشاب ثم ردموه بالطين الإبلين من طين النيل ، وقيل إن الإبل التي كانت تحمل الطين ستة آلاف ومكث فمتين في سده مع جهد كبير ، وحصل في ذلك ألطف الله تعالى لأنه كاد يهلك الإقليم الغربي .

ومن هذا العرض نرى أن « سد أبو قير » كان يحتل مكانة بالغة الأهمية من حيث الدفاع الساحلى عن مصر ، ومن حيث موقعه في المنطقة الشمالية من إقليم البحيرة . وأهم من هذا وذاك خطورة هذا السد على مياه ترعة الاسكندرية حتى مطلع القرن التاسع عشر ، كما وقع هذا الخطر فعلا على هذه الترعة التي كانت تسمى ( خليج الأشرفية ) منذ القرن الثاني عشر الميلادى وما قبله بمئات السنين .

ويجب ألا ننسى أن جواسيس الدول الأجنبية ، كانوا دائماً كثيرى التردد على سد أبو قير لثقتهم أحواله ، وكتابة تقاريرهم عنه لتتخذ هذه الدول أهميتها لغزو مصر منه ، فقد جلا الفرنسيون عن مصر بعد فشل حملة نابليون ، ومع ذلك كان على ( سباستيانى ) أن يذهب إلى سد أبو قير ، وقد ضمن تقريره إلى نابليون نبذة وافية عن هذا السد ، وأشار عليه بأن غزو مصر لا يكلف أكثر من ٦ آلاف جندي ،

كما أن سعيد باشا قد أصدر أمره في ٢٠ رمضان سنة ١٢٧١ هـ إلى محافظ الاسكندرية بأن الخواجة ( ماينخى ) مكلف بتقدير مستوى ماء البحر عند سد أبو قير ، بالنسبة للأراضى المجاورة له حتى رشيد والعطف ، وأمره بتزويد الخواجة المذكور بما يلزمه من الأدوات الهندسية لإتمام هذه العملية .

## بحيرة مريوط

كان لا بد من أن يذكر ( استرابون ) بحيرة مريوط ، وهو يتحدث بإسهاب عن موقع الإسكندرية ، فقد أطلق عليها ( بحيرة ماريا Maréa )



أو مريوطيس Marions ، وقال انها كانت تستمد ماءها من النيل بواسطة قنوات متعددة تأتيها من أعلاها ومن الجوانب ، وأحصى ثمانى جزر فى داخلها كما قرر أنها لم تكن صالحة للملاحة لضخامة مائها ، فإن ماء النيل ما كان يصل إليها إلا عندما يكون الفيضان عاليا ، وفيما عدا ذلك كانت القنوات الموصلة بين النيل والبحيرة ، تمتلئ بالرمل والطين ، لهذا أخذت هذه القنوات تندثر تدريجيا ، منذ القرن السابع عشر ، وبالتالي جفت البحيرة كما شهد بذلك ( سانديز Sandys ) فى يناير سنة ١٦١١ بعد أن كانت شاسعة الأرجاء ، ولم يعد لها منفذ إلى البحر .

هذا وقد قام ( أنطونى دى كوسون Anthony de Cosson بدراسة تاريخية للآثار القديمة فى المنطقة الشمالية الغربية لمصر وبحيرة مريوط ، وضمن هذه الدراسة كتابه ( مريوط Mareotis ) .

والغريب فى هذا الكتاب تلك الخريطة التى يطلق فيها على بحيرة إدكو اسم بحيرة المهدية ، كما أنه لا يحدد بحيرة أبو قير بخطوط بل يكتب عليها فقط « موقع بحيرة أبو قير » ، ويحدد بحيرة مريوط الحالية بوضع خطوط واسعة حولها ويسمها [ المهدي القديم لبحيرة مريوط ] . ويجعل نهايتها الشرقية عند ترعة المحمودية حتى كفر الدوار ثم تمضى جنوبا إلى جهة الشرق حتى ( كوم تروجه ) وكوم بلال وعبد القادر شرقى العامرية .

كما أنه يمد الفرع الكانوبى المنشتر من شرق ( دمنهور ) بتليل حتى الكريون ( وشيدا ) على يسراه . ثم يمضى شمالا لا غربا ملتصقا بغربى بحيرة إدكو ، فى داخل ساحلها الغربى هذا ، حتى الضفة الغربية لبوغاز المهدية ، وهو منفذ بحيرة إدكو إلى البحر ، ويمضى فى البحر إلى قرب جزيرة نلسون المعروفة بجزيرة غاروه أو جزيرة أبو قير .

أما ترعة المحمودية فتأتى بعد ذلك حتى ( الكريون ) و ( شيدا ) و ( كفر الدوار ) و ( البيضا ) إلى شرق بحيرة مريوط .

غير أن الحكومة - تمشيا مع سياسة التوسع الزراعى لسد حاجة السكان الذين

يزيدون بكثرة ملحوظة - عملت على تخفيف جزء كبير من بحيرة مريوط ، وحولته إلى مزارع ، وظل الجزء الآخر بركة يصاد منها أنواع السمك ، وهى الآن بصدد تخفيفها كاملة . للتوسع الزراعى وما يستتبعه من مظاهر العمران الاقتصادى ، وفق التخطيط الذى رسمته حكومة الثورة .

ولبحيرة مريوط من الجنوب منازل للمصارف التى تصب فيها ، ولكنها لا تتمتع ببوغاز يوصلها إلى البحر . وكان المفروض أن تكون مياهها عميقة ولكن العكس هو الصحيح فانها مترامية الأطراف ، وضحلة ، وفى الصيف تلبخر مياهها ، فتجف هذه الأطراف ، وتصير سبخة واسعة .

## ملاحظات البحيرة

ذكر ( القلقشندى ) كما رأينا - ما كان من انقطاع الملح عن الإسكندرية والدول الأجنبية . بسبب انفصال ( بحيرة إدكو ) عن البحر ، وانعدام الملاحات التى كانت تستمد وجودها من لمسات مياه البحر للأراضى المنخفضة المنبسطة ، فتركذ عليها فترة ثم ما تلبث شمس الصيف أن تسلط عليها بأشعتها فتتبخر ، وتخلف وراءها قشرة سميكة من الملح ، الذى لا يمكن الاستغناء عنه فى الطعام ، وفى تمليح السمك ، فى بيئة عمل أهلها الصيد ،

ولإذن فقد كان لهذا الملح شأنه الاقتصادى ، لا فى داخل البلاد وحدها ، بل وفى خارجها منذ أكثر من خمسمائة سنة ، وقد أحصت وزارة الداخلية فى أول مايو سنة ١٨٧٣ (١) ملاحات مصر فكان أشهرها اثنتى عشرة ملاحه وهى : ملاحات دمياط ورشيد وعزبة الحاجة بفارسكور والبلاسى بالمنزلة والبرلس ، وترنسا والإسكندرية وهواره وبورسعيد والإسماعيلية والسويس .

ويبدو من هذا الإحصاء أن نصيب البحيرة وحدها محصور فى ملاحه رشيد ، ولكن الواقع أن ملاحات بحيرات البحيرة كانت ولا تزال حتى يومنا هذا

(١) « الكوكب الشرقى فى الاستقراء المصرى »

تدر كيات كبيرة من الملح ، وملاحات إدكو - بالأخص - تغدى الإسكندرية وما يجاورها من إقليم البحيرة بالملح ، الذى يدخل اليوم فى التركيبات الكيماوية والاسمدة ، أما ملاحات وادى النطرون فستحدث عنها فيما بعد .

وفى سنة ١٨٨١ أنشأت الحكومة المصرية ٣٢ شونة بالأقاليم لحزن الملح ، وأعدمت عددا كبيرا من الملاحات وزادت عناية رياض باشا بشئون الملح أثناء توليه منصب الوزارة المصرية سنة ١٨٨٨ ، وفى ١٩ يولييه سنة ١٨٩١ أنشئت إدارة الملح برئاسة المستر ( هوكر Hocker ) وأعطت حق استخراج له لشركة أجنبية سنة ١٨٩٧ ، وقد استخدم عدد كبير من الخفراء لحراسة هذه الملاحات .

ولكن التوسع العمرانى يضيق بإعدام ملاحات إدكو ، لتحويل هذه المساحات الشاسعة - التى تشغلها شرق مدينة إدكو وغربا - إلى مزارع ومنشآت مع الاكتفاء بما تدره ملاحات المكس بالإسكندرية من ملح بلغ حد الجودة والنظافة .

## النيل يتغلغل فى البحيرة

يتعين علينا بعد هذا العرض السريع لبحيرات البحيرة ؛ أن نتناول مجارى النيل الأساسية ، التى تخترق إقليم البحيرة ، والأطوار التاريخية التى مرت بها ، وأسماء المدن والنرى ، التى تقع على ضفاف هذه الترعة ، وقد كان مؤرخو العرب يطلقون اسم « الخليجان » على هذه الترعة وأقدم هذه المجارى النيلية كما رأينا « الفرع الكاينوى » ثم « فرع رشيد » وهما اللذان كانا يخترقان الإقليم ، ويصبان فى البحر ، وعلى ضفافهما نشأ العمران ، وازدهرت الحضارة .

وإذا تأملنا خريطة عامة لمجارى النيل فى الدلتا فى زمن العرب (١) ، وتابعتها ، خرجنا بالحقائق الآتية :

**اولا :** يتفرع النيل بعد القاهرة إلى فرعين ، الغربى منها يبدأ من ( أم دينار ) ، ثم ما يلبث أن يتفرع بعد ذلك إلى فرعين آخرين ، عند ( طهوى ) : فرع ( إبيار ) على اليمين وفرع ( شابور ) على اليسار .

**ثانيا :** يمضى فرع شابور نحو الشمال ، وعلى ضفته اليسرى نرى ( أبو نشابة ) أو ( رمال السنيم ) القديمة ثم ( الطرانة ) أو ( ترنوط ) قديما ، ثم ( كوم شريك ) حتى يصل إلى ( زاوية البحر ) أو ( الرافقة ) قديما .

**ثالثا :** من هذه النقطة يبدأ فرع رشيد الذى يندفع ؛ تاركا على ضفته اليسرى ( شابور ) ، ثم ( الضاهرة ) ، وبعدها ( منية أبيج ) ، وعندها يتفرع فرع آخر هو فرع ( فرنوى ) ، ويستمر فرع رشيد إلى ( الرحمانية ) ( فالعطف ) ثم ( فزاره ) التى كانت تقع مكان ( بلهيب ) قديما ومحلها الآن ( ديبى ) ، وأخيرا ( رشيد ) حتى يصب فى البحر .

**رابعا :** نعود إلى ( زاوية البحر ) ، لتتابع الفرع الذى كان يسمى قديما ( الكانونى ) أو ترعة ( شابور ) ، ويسمى الآن ( ترعة أبو دياب ) ، وعلى يمينها من الجنوب إلى الشمال ( خربتا ) على البعد ، و ( نبيره ) و ( دنشال ) حتى تصل إلى ( دمنهور ) و ( قرطسا ) ، وعند ( إفلاقه ) تبدأ إلى الشرق ترعة ( الأشرفية ) ، وبعد ( إفلاقه ) بقليل ، عند ( كفر الحمايده ) تبدأ إلى الشرق أيضا ترعة ( الناصرية ) ، ويمضى ( فرع شابور ) إلى ( برسيق ) .

**خامسا :** يستمر فرع شابور نحو الشمال الغربى باسم ترعة الإسكندرية وعند ( الكريون ) مجرى مندثر ، يستمر مستقيما نحو الشمال بين بحيرة إدكو وبحيرة أبوقير ، أما من الكريون فتستمر ترعة الإسكندرية فى مجراها بين بحيرة أبوقير وبحيرة مريوط ، فتمر بعيدة عن شاطئها الشرقى ، حتى تصل بعد انحناء إلى الغرب لتدخل الإسكندرية .

**سادسا :** يبدأ فرع ( فرنوى ) أو ( الضاهر ) من ( أبيج ) ، ويمجرى بين فرع رشيد شرقا وفرع شابور غربا ، وعلى يمينه ( فرنوى ) ثم ( محلة نصر ) ثم ( سنديس ) ثم ( سنباذة ) ثم ( بلهيب ) ، وبعدها يلتقى فرع رشيد بفرع شابور ،



جنوبي ( فزارة ) بقليل ، ويصبحان فرعا واحدا هو الرشيدى .  
**سابعاً :** عند ( فزارة ) تبدأ ترعة صغيرة وتأخذ مجراها نحو الشمال الغربى  
 حتى تصب عند الزاوية الشمالية الشرقية من بحيرة إدكو .  
 وتحت أيدينا خريطة أخرى بعنوان ( ترعة الأسرى التى تربط بحر يوسف  
 ببحيرة مريوط ) . وتتلخص أهم معالمها فيما يلى :  
 ١ - ليس لبحيرة أبو قير وجود فى هذه الخريطة .

٢ - تمتد ( ترعة الأسرى ) من ( بحر يوسف ) بالفيوم ، وتحاذى فى سيرها  
 الضفة الغربية للنيل حتى ( زاوية البحر ) ثم تمضى باسم ( ترعة الحاجر ) إلى  
 الشمال الغربى بانحدار ، وعلى ضفتها اليسرى ( دسب الأشراف ) و ( زاوية صقر )  
 حتى تصب فى الساحل الجنوبى لبحيرة مريوط .

٣ - أما الفرع الكانوبى ، فيجرى فى طريقه وكأنه يتحدى الفرع الرشيدى .  
 وعلى ضفته الغربية تقع ( كوم حمادة ) ، ثم يواصل سيره حتى ( جعيف ) أو  
 ( نتراطيس ) على ضفته اليمنى ، ثم يستمر حتى يمر شرق ( دمنهور ) ، وينحنى  
 حتى يترك ( أبو حمص ) على يمينه ، ثم يتعرج حتى يلاصق الشاطئ الغربى لبحيرة  
 إدكو ويمتزج بها حتى يصب فى البحر أمام ( جزيرة أبو قير ) التى يسميها الإنجليز  
 ( جزيرة نلسون ) بينما يسميها الصيادون ( جزيرة غاروه ) .

ويعطينا عمر طوسون<sup>(١)</sup> خط سير آخر للفرع الكانوبى بعد ( شيديا )  
 فيقول إنه [ يسير بمحاذاة جانب ترعة الإدكاوية القديمة المسماة الآن الترة  
 الكانوبية ، تاركا ( كوم مازن ) على يمينه ، ثم يسير عندئذ ، متتبعا مرتفع الأرض  
 الصغير الفاصل ببحيرة أبو قير عن بحيرة إدكو ، ولا ريب أن هذا المرتفع هو  
 محل الفرع القديم ، الذى كانت ضفافه كما هى الآن مرتفعة بلا شك ارتفاعا قليلا  
 عن سطح الأرض ، بحكم فعل الطمى ، وبعد ذلك يمر بين ( كوم الذهب )  
 و ( كوم الطرفاية ) ويبلغ البحر عند ( الكوم الأحمر ) الواقع على سكة رشيد

والمسمى الآن ( بالطابية الحمراء ) نسبة إلى الحصن الذى بنى فوقه [ .  
والذى جاء على قلم عمر طوسون إنما يعتبر طوراً جديداً للسرع السكاني في  
مجراه الذى نلاحظه نحن على خط سيره في الخريطة السابقة .

## أحواض البحيرة

ولقد عني (أبو الحسن الخزومي) - الذى كان حياً سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) -  
بإقليم البحيرة ، فقسمه إلى ثمانية عشر حوضاً ، ابتداء من رأس الإقليم عند (كوم  
شريك ) ، وقد جعل أساس التقسيم قائماً على انحصار كل حوض بين الترع ،  
بصرف النظر عن مساحته مهما ضاقت أو اتسعت .  
وتتلخص هذه الأحواض فيما يلي :

١ - حوض ١ : يبدأ عند (كوم شريك ) أو ( القداى ) ، وحده الجنوبي  
والغربي ابتداء خليج الطيرية ، وحده الشرقي بداية فرع رشيد حتى ( طميلاس )  
ثم بداية ( بحر رمسيس ) ، وحده الشمالي والغربي ( جسر دلنجة ) ويضم هذا  
الحوض البلدان الآتية : كوم شريك . مغنين ، الصواف ، واقد ، الزعفراني  
زاوية البحر ، شبرا وسيم ، بواين ، البلاكوس ، كوم حمادة .

٢ - حوض ٢ : جنوبه جسر دلنجة ، وغربه خليج الطيرية ، وشرقه بحر  
رمسيس ، وشماله جسر ، ويضم البلدان الآتية : دست الأشراف ، الحدين ( تلبانة  
الأبراج البيضاء ) ، خربتا ، القلوات ، تل إبقا ، اليهودية ، درشاى ، أبو صمادة ،  
كوم الحصن ، قمحة ، الدانجات ، طيبه .

٣ - حوض ٣ : بين خليج الطيرية ، وبحر رمسيس ، وفي شمال الحوض  
السابق ، ويضم : كوم فيرين ، جبارس ، رزافة ، الحجر المحروق ( أبو سر ) .  
٤ - حوض ٤ : حده الشرقي فرع رشيد ، والغربي بحر رمسيس ، والشمالي  
جزء من بحر رمسيس من سلامون على فرع رشيد إلى مجراه الرئيسي  
عند نقيدى .

٥ - حوض ٥ : حده الشرقي بداية ترعة ابن الزلوم عند نقيدى ، والغربي

بحر رمسيس ، وشماله جسر ، ويضم : قادوس ( محلة جعفر ) زيده ( البيضا )  
رمسيس ، قليشان .

٦ - حوض ٦ : في شمال السابق مباشرة ويضم : معنيه ، صفيه ، دكدوكه .  
٧ - حوض ٧ : في شمال الحوض نمرة ٣ : حده الغربى ، خليج الطيرية ،  
والشرقى بحر يوسف ويضم : بحريط ( بهوت ) ، تلبانه ، جنبواى ، كوم أبو حمار .  
٨ - حوض ٨ : حده الجنوبي جسر فاصل بينه وبين الحوض السابق من  
الجهة الشرقية ، والشرقى بحر رمسيس ، والغربى سد سنطيس ويضم : أطلينش  
( طلبوس ) ، سنطيس ، كوم دنشال ، منية عطيه ( طرابانيا ) ، طاموس ،  
دسونس أم دنبار ، قراقص .

٩ - حوض ٩ : في شمال حوض ٤ ، حده الشرقى فرع رشيد ، والغربى  
ترعة ابن زلوم ويضم : نقيده ، سلامون ، دمتيوه ، سريقة ، ميت يزيد ،  
شاور ، كنيسة الضاهره ( كنيسة مبارك ) ، الضرية .

١٠ - حوض ١٠ : حده الجنوبي حوض ٩ وحوض ٦ ، والشرقى بداية  
ترعة الإسكندرية ( ترعة الضاهر ) ، والغربى بحر رمسيس ، والشمالى جسر صفط  
ويضم : كوم جعيف وإيتاى البارود ، إلميط ، دميستا ، حوض فارس ( كيماي  
شراس ) ، برقامة ، شبرا النونة ، صفط خالد ، محلة العبيد ، أرمانيه ، كنيسة أورين .  
١١ - حوض ١١ : في شمال السابق ، ويضم : كوم دنشال ، محلة فرنوى ،  
طرابانيا .

١٢ - حوض ١٢ : في غرب حوض ٨ : حده الشرقى جسر سنطيس ،  
والغربى جسر نديية ، ويضم : زهره ، وقرطسا ، ودمهور .

١٣ - حوض ١٣ : في غرب الحوض السابق ويضم : عامرية ، أبو حمار  
البحرى ( الفسرين ) ، نديية .

١٤ - حوض ١٤ : في غرب السابق ، ويفصله عن حوض ١٥ جسر  
ملوله ، ويضم : حفص ، محلة كيل ، كوم الزرقا ( محلة خير ) .

١٥ - حوض ١٥ : في غرب السابق ويضم : كوم تروجه ، الغيتسه ( غابة  
العباس ) .



١٦ - حوض ١٦ : حده الجنوبي الحدود الشمالية لكل من أحواض ١٢، ١٣، ١٤ ، وحده الشمالى جسر ، والشرق ترعة الإسكندرية ، ويضم : الصفايف ، الشقرا ، دير أمس ، كيان دميس ( دنيبة ) التى تقع على ترعة محلة الكروم البادية من جنوب إفلاقة بقليل .

١٧ - حوض ١٧ : وهو أكبر الأحواض جميعا ، ويتراعى على الضفة الشرقية لترعة الضاهر من بدايتها وهى التى تسمى ترعة الإسكندرية ، ويمتد حتى الحدود الشمالية الأحواض ١٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ويتراعى إلى الشمال حتى ما وراء ترعة الإسكندرية إلى جنوب بحيرة لاكو إلى البحر ويضم : أبو منجوج ، أبوك ، أبو درة ، لقانه ، أبو أوليلة ، أبو الشيا ، الأشراك ، أبو خراش ، بويط ، سماديس ، فيشا ، ياطس ، زرقون البحرية ، محلة مسروق ، نقرها ، إفلاقة ، سكينده ، محلة الشيخ ، مصيل ، دمشويه ، صفط ، الكرداسة ، النخلة البحرية (شبرا النخلة) ، برسيق ، بسنواى ، قافلة ، بلقطر ، دسونس الحلفاية ، المعلقة ، الكريون ، البسلقون ، بسطره .

١٨ - حوض ١٨ : حده الشرق فرع رشيد فيما بين محلة المارية والعطف ، ويضم : سمخراط ، دسيا الكنايس ، سناباده ، سرنباى (شرنوبه) . هذه هى أحواض إقليم البحيرة ، بما يضم كل منها من مدن وقرى ، وقد راعى المخرومى فى هذا التقسيم طبيعة كل حوض ، بحيث لم يجعل ترعة كبيرة لنشطه شطرين ، بل كان الأساس هو وحدة الحوض دون أى اعتبار آخر . هذا وقد ذكر «موتسنجر باشا»<sup>(١)</sup> فى القرن الماضى أن ترعة مديريه البحيرة تبلغ نحو ٥٦ وأشهرها : الخطاطبة والمحمودية وأبو دياب والحاجر العمومية ومصرف الرحمانية وأم الحناش ومنشأة بولين ومحلة كيل ودسونس ، وبردله والإتكاوية .

### ترعة الإسكندرية

وهى أهم وأقدم ترعة فى هذا الإقليم ، وهى التى تمتد الإسكندرية بالماء العذب من النيل ، كما أنها هى الطريق التجارى منها إلى داخل البلدان المصرية ، وتبدأ من

الفرع الكانونى ، عند (شيديا) على بعد سبعة وعشرين كيلومترا من الإسكندرية ، وتجري فيها الآن مياه ترعة المحمودية ، فإنه عند (حجر النواتية) تنفرع إلى فرعين : أولها يتجه إلى (كانوب) في موازاة ساحل البحر ، والآخر يتجه إلى الإسكندرية .

وكانت هذه الترعة تحيط بالإسكندرية من الجنوب ، وقصب في بحيرة مريوط وقد ذكرها (استرابون) فقال إنها «صالحة للملاحة» ، وفي عهد الإمبراطور (أغسطس) كان هناك ترعة - أو فرع من ترعة - تسير نحو ميناء (كيبوتوس) Kibotos أو Eunostos على شاطئ بحيرة مريوط (١) .

وذكر المسعودى في (مروج الذهب) أن ماء هذه الترعة قد أقطع عن الإسكندرية إلى سنة ٣٣٢ هـ لأنها ردمت جميعها ، ثم أدخلت التعديلات على هذه الترعة ، فأصلحت جسورها ، وعمق مجراها ، واتسع ، وكانت كما جاء في (تنويم البلدان) من أحسن المنزهات ، والبساتين على جانبيها وطالما تغنى بها الشعراء ومنهم شاعر الإسكندرية ظافر الحداد الذي شبه كل (روض كنخضر العذار) و (النخل كالغيد الحسان) .

وقد تحدث القلقشندي (٢) عن ترعة الإسكندرية هذه في القرن التاسع الهجرى فقال إن بدايتها كانت من الضفة الغربية للنيل عند العطف ثم تميل نحو الغرب حتى تصل بجدران الإسكندرية وكانت فوهتها من قبل عند (الظاهرية) وتمر على دمهور ثم نقلت هذه الفوهة إلى ما هي عليه الآن ، ويقال إن أرض هذه الترعة كانت مفروشة بالبلاط .

وذكر المقرئى (٣) أن (كليوباتره) هي التي ساقطت هذه الترعة حتى أدخلتها إلى الإسكندرية ، ويقال إنها جعلت قاعها بالرخام من البداية حتى النهاية ، ولم يزل بها هذا الرخام ، وهي المصدر الذي يمد أهل الإسكندرية بالماء العذب ،

(١) Breccia : Alexandria ad EAgyptum P. 78

(٢) صبح الأعشى : ج ٣ ص ٣٠٤

(٣) المخطط ج ١ ص ١٦٩

ويروى أراضى بطن الريف ، وإقليم البحيرة ، وتعيش — على زراعة الأراضى المجاورة بسببها — قبائل كثيرة من العرب ، من أهل مصر حتى المغاربة ، وكان الصيد فى ماؤها مباحا حتى القرن السادس الهجرى كما ذكر ذلك عالم الإسكندرية أبو بكر الطرطوشى إلى أن منع الولى صيد السمك .

وقد جاء وصف ابن وصيف شاه، للجهات الواقعة على ضفتى هذه الترع دليلا على العمران حيث يقول :

[كان خليج الإسكندرية من الجانبين بساتين وأشجارا وقصورا متصلا بعضها ببعض من الإسكندرية إلى مدينة (الكريون) ، وكان أهل الإسكندرية عند مجىء النيل يطالعون إلى تلك الأماكن ، فيسكنون القصور التى على جانبي الخليج المحدقة بها البساتين شرقا وغربا ، وبها دوالي العنب المعرشة والنخل وأشجار الجوز العظيمة وجميع الأشجار والفواكه ، وفى زمن مجىء النيل تأتى فيه المراكب والزوارق ويقع التنزه أياما عديدة ويوزر بعضهم بعضا ، وهى أيام مشهورة عندهم ، وتسافر فيه المراكب إلى القسطنطين وغيرها من البلدان ، ويمكث المباء فيه ستة أشهر ويصطادون منه السمك ، وكان هذا الخليج أعظم خليجان مصر ، وكانت العمارة والبساتين ممتدة من رمال رشيد إلى العقبة مغربا ومقبلا من الإسكندرية إلى الكريون ، وقيل إلى الفيوم ، وكان الرجل يسير فى العمارة فلا يحتاج إلى زاد من كثرة الفواكه والثمار وغالب مسيره تحت ظلال الأشجار ] .

أليس فى هذا الوصف أكثر دليل على اتساع العمران فى إقليم البحيرة بسبب ترعة الإسكندرية .

ومن القرى التاريخية المحيطة بهذه الترع : أرسينوى ، وبرينيس ، وقرية السوريين ، وقرية الأتيوخانيين ، وقد كان أمر هذه الترع أو الخليج - كما كان يسميها العرب - شغل ولاية مصر وقضاتها فى مختلف العصور الإسلامية بالنسبة للإسكندرية كمصدر لماء الشرب ، وبالنسبة للأراضى الواقعة على جانبيها قبل الوصول إلى المدينة ، وهى كثيرا ما تترسب فيها الرمال وكذلك المواد الغرينية ، فكانت تضعف مياهها أو تنعدم ، ومن القضاة والولاة الذين أصلحوها :

(الحارث بن مسكين) سنة ٢٣٩ هـ ، وأحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ ، وكما ذكر (المسعودي) أن ماءها قد انقطع عن الإسكندرية قبل سنة ٣٣٢ هـ ، كما أنها كانت تسقى بلاد مريوط التي كانت في نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض بركة ، وقال (المسبحي) إن الحاكم بأمر الله حفرها سنة ٤٠٤ هـ ، كما تمل فوهتها وعمرها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٧ هـ ، ومن بعده الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ ثم قلاون سنة ٧١٠ هـ الذي أمر بتشغيل أربعين ألف عامل في تطهيرها ، وكانت قرية (مشتيار) مبدأ خروجها من النيل ، فزاد العمران حولها وكان فيها من الرحمانية واستمرت حتى التربة الأصلية فسميت (الخليج الناصري) حتى سنة ٧٧٠ هـ بسبب انسداد بوزغاز بحيرة إدكو عند المدينة فأصلحها برسباي سنة ٨٢٦ هـ ، وكذلك الملك الأشرف فسميت (الأشرفية) وبدأت من (الرحمانية) أيضا ، ثم جعلها محمد علي تبدأ عند (العطف) فسميت باسم السلطان محمود الثاني فعرفت باسم (ترعة المحمودية) وما تزال تعرف به حتى الآن .

في سنة ١٨١٧ فسكر محمد علي — وقد حظيت البحيرة باهتمامه — في حفر مجرى من الماء يمتد إلى بركة عميقة تصل إلى الإسكندرية ، انقل الغلال عليها بالمراكب ، ابتداء من «خليج الأشرفية» عد الرحمانية ، وسخر فيها الباشا مائه ألف فلاح ، جمعهم مشايخ البلاد من القرى تحت إشراف كشاف الأقاليم .

وقد مات في حفر ترعة المحمودية عدد كبير من الفلاحين من شدة البرد ، والنسوة والتعب ، فكان جزاء هؤلاء الشهداء ، أن أصدر محمد علي أمره في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٤ هـ إلى (ناظر المحمودية) بمنح المشايخ والعمد الخلع السنوية ، ومعاملتهم هم والمأمورين باللطف ، لقضاء ما بذلوا من جهد في «إنجاز حفر المحمودية» (١) .

كما أصدر أمره (٢) في ٣ ربيع الأول سنة ١٢٥٢ إلى مدير أشغال المحمودية باستئجار عمال لرياح وجسر المحمودية ، مع عدم طلب عمال من مديرية البحيرة ،

ومن الغريب أن الباشا قد حدد أجور العمال في اليوم — أسوة بما هو متبع مع المستخدمين بمصالح رشيد — كالآتي :

١ — عامل عمره ٢١ سنة فأفوق : أجره اليومي قرشان

٢ — من ١٦ إلى ٢٠ : د قرش ونصف

٣ — د ١٢ إلى ١٥ : د قرش واحد

ونظم المهندسون العمل من الرحمانية إلى قرب عمود السوارى بالإسكندرية ، فبلغت المسافة ستا وعشرين ألف قصبة ، ثم قيست المسافة من أول التربة القديمة التي كانت تسمى ( الخليج الناصري ) من بدايتها عند ( العطف ) أمام ( فوة ) فكانت المسافة أقل من الأولى بخمسة آلاف قصبة ، فاخترت البداية من هذا المكان ، وتم حفر التربة في منتصف يناير سنة ١٨٢٠ [ ثم فتحوا لها شراخا خلاف فمها المممول خوفا من غلبة البحر ، فجرى فيها الماء ، واختلط بالمياه المالحة التي نبتت من أرضها ، وعلا الماء منها على بعض المواطنين السبخة ] كما يقول الجبرتي ، فهبت عاصفة دفعت ماء البحر فوق الجسر الكبير فاختلط بماء التربة ، فخرج إليها محمد علي ومعه إبراهيم باشا ومحمد بك الدفتردار والكتبخدا السابق وطبوز أوغلي ، وتم إصلاحها ففرح الناس ، وسارت المراكب فيها إلى رشيد والإسكندرية ، وفي أغسطس سنة ١٨٢٠ سدوا الشرم وأبقوا من داخله فيها عدة مراكب للسافرين ، فكانوا ينتقلون منها إلى مراكب البحر ، ومن البحر إلى مراكبها ، فغمرها ماء البحر ، فحدث الضرر لأهل الإسكندرية .

وقال علي مبارك إن هذا الخليج ( التربة ) كان يحاذي سور الإسكندرية من الجنوب على بعد ثلاثمائة متر ، وفيه الآن شمال شرقي فم ترعة المحمودية بقدر ألف متر وكان في اختراقه المدينة معقودا غير مكشوف .

وقد حلت محله ترعة المحمودية التي حفرت سنة ١٨٢٠ م في جميع أجزائها فيما عدا القسم ، فإنه في الميناء هو وبعض تعديلات هامة ، وكان على الخليج القديم ثلاث قناطر بين ( الحضرة ) و ( الإسكندرية ) ولكنها تهدمت عند حفر ( المحمودية )

**ترعة الادكاوية :** وهى التى تسمى الآن الترعة الكانوبية <sup>(١)</sup> كما يقول عمر طوسون ، وتبدأ من غربى فم ترعة المحمودية وتتجه موازية لها ، وتلتق بترعة الكريون ، وطولها ٣٦ كيلومترا وتمر بزرقون وبركة غطاس والكريون .

**ترعة فزاوه :** وتبدأ من شمال فزارة بنحو ١٢٠٠ مترا وتتجه بمسافة ثلاثة كيلومترات حتى تصب فى بحيرة إدكو وقد ذكر الإدريسي <sup>(٢)</sup> أنها تبدأ من أسفل ( سندیون ) و ( سمديس ) ، وأسفل فوه وفوق رشيد وينها وبين الإسكندرية ستة أميال ، ومصبها فى بحيرة إدكو ، تمتد بها بالماء النيل لزيادة نمو السمك وتغذيته .

**ترعة قواديس :** ذكرها الخزومي وكانت من الترع الجارية فى الأطراف الشمالية من لإقليم البحيرة ابتداء من ترعة الإسكندرية وتنتهى فى بحيرة إدكو ، وذكرها المقرئى بعده بنحو ٢٥٠ سنة قائلا إنها كانت تروى ( شبرا النخلة ) و ( كوم التلول ) ، وحلت محلها الآن ( ترعة بستنواى ) الحالية .

**الترعة الناصرية :** أو الخليج الناصرى - ورد ذكرها فى الخطط التوفيقية <sup>(٣)</sup> فتخرج من المحمودية ، جنوب ( بركة غطاس ) وتتجه غربا حتى تصب فى ( ترعة المحمودية ) شرقى ( الكريون ) وطولها ستة كيلو مترات ، وهى جزء من مجرى الفرع الكانونى القديم .

**ترعة الكريون :** تبدأ من ترعة المحمودية غربى الكريون ، وتجرى لمسافة سبعة كيلو مترات حتى تصب فى بحيرة إدكو وتخترق ( دمتيوه ) .

**ترعة العطف :** تخرج من ترعة المحمودية ، لمسافة خمسة كيلو مترات حتى تصب فى بحيرة إدكو ، كما أن مصرف ( كفر عزاز ) يخرج من ترعة المحمودية أمام أبو حمص ، حتى يصل بعد ثمانية كيلو مترات إلى شرقى ( كوم ثقالة ) ويصب فى بحيرة إدكو .

(١) خليج الإسكندرية

(٢) نزهة المشتاق : الاقليم ٣ جزء ٣ ويسمىها ( خليج شابور )

(٣) ج ١٩ ص ٨٩

**ترعة العكريشة وترعة كفر سليم :** ويخرج أيضا من ترعة المحمودية ترعتان تصبان في بحيرة أبو قير هما ترعة (العكريشة) وترعة (كفر سليم) .

**رياح البحيرة :** كما تخرج ترعة رئيسية في الوقت الحاضر من فرع رشيد عند القناطر الخيرية تسمى (رياح البحيرة) في المجرى القديم لترعة (الأسرى) ، ثم تنحدر من قرب (كفر الزيات) إلى (إيتاي البارود) إلى (دمهور) وتسمى (ترعة الخندق الشرقي) ، وتمضى حتى تمد أراضى (النخلة البحرية) بمياه الرى .

**الترعة (النوبارية) :** تبدأ من زاوية البحر وتحيط بهشارف صحارى محافظة البحيرة من الجنوب والغرب ، وهى التى ستحول بعض الفيضان هناك إلى مزارع ، يتسع على أثرها عمران الإقليم ، حتى تتصل ببلاده العامرة ، بالجانب الأيسر للطريق الصحراوى الموصل بين القاهرة والإسكندرية ، وبدىء فعلا على عهد الثورة بإنشاء مديرية التحرير ، لتعمير هذه الصحراء بوسائل العلم الحديث .

هذا وقد ورد في عدد الوقائع المصرية الصادر في ٧ رمضان سنة ١٣٤٦هـ ما تم من المنشآت ومجارى المياه في مأموريات البحيرة على النحو التالى :-

المأمورية	المساق	الجسور	الترع
دمهور	١٤	٣٢١	١٠
النجيلة	—	١١٨	٨٦
شبراخيت	—	٢٩٢	٢٦
الرحمانية	—	٨٩	١٢

## الرى والصرف في إقليم البحيرة

تعتبر البحيرة الآن وحدة قائمة بذاتها من وحدات وزارة الأشغال، ويشرف على الرى بها (تفتيش رى البحيرة) كما يشرف (تفتيش مشروعات رى غرب الدلتا) على المشروعات ، ودمهور هى المقر الدائم لهاتين الإدارتين .

وإقليم البحيرة يمتاز عن غيره بالتوسع المستمر في مشروعاته الزراعية بالزحف إلى الصحراء نحو الغرب والجنوب ، كما حدث في مديرية التحرير ، ويمتاز أيضا بالعمل

المواصل على إصلاح المناطق البور ، وتخفيف مساحات كبيرة من البحيرات لتحويلها إلى مزارع ، ويجب أن نضع نصب أعيننا أن هذا الإقليم هو الرابط المتين بين ميناء الإسكندرية وسائر مدن الجمهورية .

وتفتيش رى البحيرة يقوم بعمليات الرى ، ويشرف على الملاحة النهرية ، ويوفر مياه الشرب لمدينة الإسكندرية . وجميع مدن البحيرة وقراها ، ويوفر المياه للصانع الواقعة على ضفاف ترعة المحمودية ، كما أنه هو المسئول عن التروية المائية وتوفير مياه النيل لخفض نسبة الملوحة في بحيرات البحيرة والمطار البحرى بالإسكندرية على اعتبار أنه مزرعة سمكية ، وأخيرا هو المسئول عن توفير المياه للملحة لشركة الملح والصودا بالمكس غرب الإسكندرية ، لإنتاج الملح .

ومنطقة هذا التفتيش محددة برياح البحيرة جنوبا وفرع رشيد شرقا ، والصحراء الكبرى غربا ، والبحر شمالا ، ومن هذا نرى أنه يمتد إلى جزء من محافظة الجيزة ، بصرف النظر عن التقسيم الإدارى للمحافظات ، ويبلغ زمامه ما يقرب من مليون فدان .

وأهم مصادر الرى فى البحيرة حاليا تنحصر فيما يلى :

١ - **رياح البحيرة** : ويبدأ من النيل أمام قناطر الدلتا ، ويمتد شمالا إلى الخطاطبة ، وبعدها تستمد منه ( ترعة التحرير ) ماءها ، وتتفرع منه عند (زاوية البحر ) ترعة النوبارية ومنها تخرج ( ترعة الحماجر ) . كما تتفرع منه ( ترعة أبو دياب الأعلى ) التى تجرى فى الفرع الكانوبى القديم ، ويستألف الرياح سيره نحو الشمال إلى التوفيقية ، وعندها تتفرع منه ( ترعة ساحل مرقص ) — كامتداد للرياح يوازى فرع رشيد — ، وترعة الخندق الشرقى ، حتى يصب فى ( ترعة المحمودية ) ، وهو طريق الملاحة النهرية ، الذى يربط ميناء الإسكندرية بالقاهرة .

٢ - **طلميات العطف** : تبدأ من إدفينا حيث تتكون بركة من رشح النيل أمام قناطرها الجديدة .

٣ - **روافد التربة الرشيدية** : وتبدأ أيضا من بركة إدفينا ،



٤ - مصرف المحيط : ويصب في رياح البحيرة خلف قنطرة الخطاطبة وهو أساسا مصرف لمحافظة الجيزة .

٥ - طلبات مصرف ادكو الجديدة : وقد أقيمت سنة ١٩٥٨ على مصرف إدكو عند ( زرقون ) حيث يتقاطع مع ترعة المحمودية ، التي تمدها هذه الطلبات بمزيد من المياه .

أما عمليات الصرف في البحيرة فتقسم إلى قسمين رئيسيين هما :

أولا : الصرف بالراحة : ويشمل :

أ - منطقة مصرف ادكو الذي يصب في بحيرة إدكو ومنها إلى البحر عن طريق بوغاز المدينة .

ب - منطقة مصرف العموم ، الذي يصب في بحيرة مريوط التي لا منفذ لها إلى البحر إلا عن طريق طلبات رفع المياه عند المكس ، ويعتمد في صرف مياهها أيضا على الطبيعة حيث تتسلط شمس الصيف على المسطحات الضحلة من البحيرة فتتبخر تباعا .

ثانيا : الصرف الآلي : وذلك بوضع شبكة من المحطات على الساحل متشعبة من العطف حيث توجد المحطة الرئيسية وتشمل طلبات رشيد وتصرف في فرع رشيد ، وطلبات البوصيلي وتصرف في بحيرة إدكو ، وطلبات حلق الجمل وطلبات زرقون وتصرف في مصرف إدكو حتى ينتهي إلى بحيرة إدكو ، وطلبات برسق وتصرف في مصرف محيط إدكو الغربي الذي ينتهي إلى بحيرة إدكو ، وطلبات الطرح وتصرف في البحر ، وطلبات تروجة ، وطلبات الدشودي وتصرف في مصرف العموم الذي يصرف في بحيرة مريوط ، وطلبات القلعة وتصرف في قناة ملاحية تصب في مصرف العموم الذي ينتهي إلى بحيرة مريوط .

وهكذا تتم عمليات الري والصرف في إقليم البحيرة على أسس هندسية محكمة وهي كما قلنا تشرف على عمليات التوسع الزراعي ، الذي عن طريقه تتحسن

أحوال المعيشة للسكان الذين لديهم من أراضيهم ما يكفيهم ويكفي أضعاف  
أضعافهم من الأجيال القادمة فضلا عن الوافدين عليهم من الأقاليم المجاورة التي  
ضاقَت بسكانها ولن تجد متسعا لهم غير البحيرة .

## البحيرة أول درع للدفاع عن مصر

كان لإقليم البحيرة بمثابة القلعة الأولى التي اصطدمت عندها اللامركزية  
بالمركزية في عهد الملك ميتا ، وكان أول غزو لبي لمصر يبدأ بالبحيرة ، وكما  
كان الدفاع بها قويا ، ارتد الغزاة على أعقابهم ، وكما هوجمت السواحل المصرية  
فيما بين رشيد والإسكندرية كانت البحيرة أقوى الدروع الدفاعية عن البلاد كلها  
وقد زار (ديودور الصقلي) مصر في القرن الأول الميلادي وحكى أنه [ عند كل  
مصب النيل توجد مدينة على الضفتين تربطها قناطر ، وتحميها الحصون القلاع ] .  
وقال ( بلين Pline ) (١) و ( تاكيتوس Tacitus ) (٢) إن كانوب كانت  
« قلعة Oppidum » .

هذا ويعتبر ( دوران فييل ) (٣) بحيرات مصر الشمالية حاجزا دفاعيا أهم  
من أحسن الاستحكامات العسكرية في القرن العشرين . وأشار إلى أن مصب  
رشيد أشبه بترعة تقسمها جزيرة رملية صغيرة إلى شقين : الشرقى وتمر منه  
المراكب الصغيرة ، بينما ينبغى على السفن البحرية الكبرى أن تنقل ركابها  
وبضائعها على قوارب صغيرة ، ولما كان هذا الساحل معرضا للرياح العاتية ،  
فقد تركزت الملاحة في الإسكندرية على أنها أكبر ميناء لمصر بل لهذا الجزء  
الشرقى من البحر الأبيض المتوسط .

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ، عُنيت مصر بتعزيز هذا الساحل الطويل  
الممتد من الإسكندرية إلى رشيد ، وهو جزء من خط الدفاع الساحلى ، وأنشئت

---

Natural History V (١)

Annals II (٢)

D. Viel : Campagnes navales., T : I P : 46 + (٣)

على طوله الابراج والطوابى وزودته الحكومة بالمدافع الضخمة ، نذكر منها  
 الطوابى التى لا تزال تزدان بمدافع قد تراكم عليها الصداً وهى :  
 قلعة أبو قير ، وفى شرقها سد أبو قير وكان معززا بأربعة أبراج لحمايته ،  
 وعلى مسافة ثلاثة كيلومترات من آخر السد إلى الشرق طابية الإشارة ثم طابية  
 المعديّة ، وكان ساحل إداكو معززا بتسع طوابى موزعة عليه حتى رشيد على النحو  
 الآتى : هلاية السكلخ على بعد ٢٨٠٠ إلى شرق بحيرة المعديّة ، وطابية المعديّة ،  
 وطابية السكلخ ، وهى على مسافة ٢٥٠٠ مترا من شرق الأولى ، وهلاية إداكو ،  
 وطابية إداكو ، وهلاية العلايم ، وطابية العلايم ، وهلاية النفر ، وطابية  
 النفر ، وبين كل طابية وأخرى مسافة أربعة كيلومترات ، وكان على بوغاز رشيد  
 من الشرق والغرب طابيتان وبينهما ثمانمائة متر تقريبا ، وهناك فى منتصف المسافة  
 بين رشيد وطابيتى البوغاز ، كانت توجد قلعة قايتباى برشيد ، كما كانت توجد  
 طابية أخرى فى ( أبو منصور ) وتقع على تل مرتفع فى جنوب رشيد .



٢

# بلاد البحيرة

## في مختلف العصور

### البحيرة. كوحدة إدارية

قبل أن تكون « البحيرة » وحدة إدارية ، لا بد أن يكون الوضع الجغرافي والتطور التاريخي قد عملا على أن تكون « وحدة طبيعية » ، وإن خير تعبير عن هذه الوحدة الأخيرة هو أن تقول « إقليم البحيرة » ، لأن كلمة « إقليم » أى المقوم بمعنى « المقطوع » مشتقة من القلم وهو القطع ، وقد جاء في « لسان العرب » أن الإقليم هو القسم ، وقال ابن دريد إنها ليست عربية ، وقيل إنها يونانية .

حقا لقد انتقلت كلمة (كورة) إلى مصر قبل الفتح الإسلامي ، فعرفنا (كورة البحيرة) في العصور الإسلامية ، ثم أضيفت إليها - في العصر الفاطمي - كورة مجاورة فعرفنا (إقليم البحيرة) ، ثم أطلق اسم (أعمال البحيرة) منذ سنة ١٣١٥ م ، فصارت منذ سنة ١٥٢٧ م تسمى (ولاية البحيرة) ، ومن سنة ١٨٣٣ م سميت (مديرية البحيرة) . وأخيرا منذ سنة ١٩٦٠ أصبحت محافظة (البحيرة) .

ومهما يكن من شيء ، فإن التطور هو سنة الوجود ؛ فقد جرت عوامل الطبيعة ، على سبيلها ، فامتد هذا الإقليم ونقص ، وارتفع وانخفض ، وتناولته الدهر بيديه : يد خربت وأخرى عمرت ، واختلطت بأرضه مياه النيل ومياه البحر ، وحلت المزارع والمصانع محل المصايد والمراعى ، وزحفت أراضيها على النهر والبحر ، كما زحف النهر والبحر على أراضيها ، وهكذا .

على الرغم من كل ذلك ، فإننا نستطيع القول في ثقة وثبات بأن « إقليم

البحيرة ، ثابت مستقر ؛ لم يكن في الصعيد فصار في الدلتا ، أو لم يكن وسط البحر ، فانتقل إلى قلب الصحراء ، ثابت لأنه صامد على مر العصور ، ومستقر لأنه على الدوام واقع في غرب الدلتا المصرية ، أطلق عليه العرب منذ أربعة عشر قرنا من الزمان اسم « الخوف الغربي » ، وأطلق عليه الفراعنة منذ ٦٤ قرنا لاسم ( أمنت Ament ) وهو لاسم لإلهة الغرب <sup>(١)</sup> وشعاره ريشة نعامه وتسمى قديما Pi neb Amou أى « مدينة صاحبة النخل » كما ورد في النصوص الهيروغليفية ، وقد عثروا في أطرافها على نسخة ثالثة من « قرار كانوب » .



وكان لإقليم البحيرة قبل سنة ٤٤٠٠ قبل الميلاد أى قبل أن يغزوه الملك نارمر ، مقسما إلى مقاطعتين « (٢) » ، وكلتاها في الغرب .

١ - المقاطعة الشمالية : وتعرف بمقاطعة ٣ غرب ، وتقع في غرب الفرع البولييتيني ( فرع رشيد ) وتمتد غربا شاملة الأراضي الواقعة ما بين النيل وصحراء ليبيا وتعرف بمقاطعة ( أمنت Ament ) أو ( إمين الغرب Imen ) وعاصمتها الفرعونية ( أمو Amou ) أو ( إمو Imou ) أو ننتن هابي Nenten - Hapi وباليونانية ( أبيس Apis ) وحاليا ( كوم الحصن ) ومعبودها ( هات هور Hathor ) أو ( هات هور نوب Hathor Nub ) ويتمثل في صورة صقر .



وكانت عاصمة هذه المقاطعة في الماضي مزدهرة بالسكان ، وفي العصر البطلمي اشتملت مساحة هذه المقاطعة على عدة مقاطعات : لبييا ، وأندروبوليت (وعاصمتها أندروبوليس = خربتا ) ومريوطيت (وعاصمتها مريوطيس = مريوط ) ، وكانت تمتد لمسافة اثني عشر كيلو مترا إلى الغرب من فرع كانوب أو « النهر الكبير » ، وكانت توجد هناك أيضا ( ماريا Maréa ) .

Alex. Zogheb : L'Egypte ancienne P : 33.

(١)

An Atlas of Ancient Egypt +

(٢)

W. Budge : The Nile .

وطالما تعرضت هذه المنطقة للغارات المتوالية من الغرب من جهة النهر والبحر  
والصحراء من وادى التطرون .

وذكر بطليموس الجغرافى السكندرى هناك عدة مدن منها : ( مونوكامينوم  
Monocaminun ) و ( هالميرى Halmyrae ) و ( تابوزيريس Taposiris )  
( كوبى Cobii ) و ( أنتيفيللى Antiphili ) و ( هيراكس Hiérax )  
( فوموتيس Phomotis ) و ( پالى Palae ) و ( ماريا Mariae ) و ( فيكوس  
Vicus ) وأصبحت كلها أطلالا وخرائب ، وكانت شواطىء البحيرة عامرة  
بالمدن ومزارع الكروم التى اشترت بخمورها .

٢ - المقاطعة الجنوبية : وتعرف بمقاطعة ٧ غرب .. وتقع فى شمال المقاطعة  
السابقة وتسمى بمقاطعة ( نفر أمنت Nefer amenti ) وعاصمتها الفرعونية  
( سنتى نفر Senti - Nefer ) أو ( Per Ha neb lmenti ) وفيما بعد سميت  
باليونانية ( ميتيليس Metelis ) ثم صار اسمها ( مصيل Maçil ) بالقرب من  
العطف ومعبودها ( آمّن رع Amen - râ ) أو ( هو Hu ) .

والمعروف أن هذه المقاطعة الأخيرة هى التى عرفت فيما بعد باسم عاصمتها  
فقيلى ( ميتيليت ) وهى التى شن ( نارمر ) الحرب عليها عندما وقعت فى وجهه ،  
وساق منها ستة آلاف أسير ، ينتمون إلى ( هوريس ) وهو فى صورة حقر كا  
نشاهد ذلك فى لوحة نارمر (١)

لهذا تناسب هذه المقاطعة إلى ( هوريس ) الذى ولد فى ( خيس ) بين أحراش  
وسط الدلتا ، وقد قامت معركة بينه وبين فرس النهر فى المستنقعات التى كانت  
تغمر الدلتا .

وقد اختلف المؤرخون فى عاصمة هذه المقاطعة ، فهل كانت ( ميتيليس ) أم  
( أركاندروپوليس Archandropolis ) أم ( مينيلائس Menelais ) التى ذكرها  
هيرودوت ؟ .

أما النقود القديمة ، فقد اشتملت على صورة « فرس النهر » ، وهو الخنزير المائى وعثر عليها فى « تل لوقين » على مسافة ٣٠ كم من الإسكندرية ، ومثلها إلى دمنهور .

وفى عصر بطليموس الجغرافى كانت (كانوب ) عاصمة لمقاطعة ( مينيايت ) حيث غرق ( كانوبيس Canopus ) قبطان ( Ménélas ) اليونانى عند عودته من حروب طرواده .

وقد ورد فى قصة هوريس كلمة (Mesenou) أى «حملة الخطاطيف» وهم أهل الإقليم السابع الذى هو إقليم البحيرة حيث نشأ هوريس ، وعرف أهل هذا الإقليم بصيد عجول البحر من البحيرات بالخطاطيف ، فصار « الخطاف » رمز البحيرة ومن ذلك التاريخ السحيق ، والإقليم يتعرض من حين إلى حين لتغيرات فى تقسيماته الإدارية ، ونستطيع أن نلخص هذه التغيرات فى الصفحات الآتية : إذا تركنا جانبا التقسيم الإدارى العام لمصر فى مختلف العصور ، لنبحث عن التقسيمات الفرعية ، وجدنا أن الفراعنة أطلقوا اسم hesep<sup>(١)</sup> على المقاطعة وكانت إذ ذاك أكبر من ( المركز ) وأصغر من ( المديرية ) ، ثم أطلق البطلمة على هذه الوحدة الإدارية اسم nomus أى المقاطعة ، وكل متاطعة كانت تنقسم إلى قرى komus ، واستمر الرومان على هذا المنوال حتى صارت الوحدة الإدارية تسمى (كورة chôra) فى العصر القبطى ، فلما فتح العرب مصر عربوا هذه الكلمة<sup>(٢)</sup> . واحتفظوا بهذا التقسيم ، ثم أطلق على (الكورة) اسم (العمل) ثم (الولاية) ثم (السنجق) ثم (الكشوفية) ثم (الخط) ثم (المديرية) ثم (المحافظة) وهو المعروف الآن ، ولكل وحدة من كل هذه أقسامها ، كما سنرى ذلك فى موضعه .

(١) An Atlas of Ancient Egypt. P : 5.

(٢) يقول حمزة الأصفهاني إن هذه الكلمة أصلها فارسي ولكن المؤكد أن العرب أخذوها عن الرومان لا عن الفرس .

ولم يشذ إقليم البحيرة عن هذا التطور . ولكنه تميز عن غيره من الأقاليم برمز ( الخطاف ) من العهد الفرعوني ، ومعبوده ( هوريس ) .  
والمعروف أن الكور التي ذكرها ( جورج القبرصي ) وعددها ٣٣ هي التي ورثها العرب الفاتحون عن سبقتهم في حكم مصر ، وكان نصيب إقليم البحيرة من هذه الكور : كورة بوابتين ( رشيد ) ، وكورة هرموبوليس ( دمنهور ) ، كورة فقراشيا ( جعيف ) ، كورة شيديا ( النصف الشمال من إقليم البحيرة الحالي ) وكورة طرنوتيس ( الطرانة ) ، وكورة أندرونيكيوس ، كما هو واضح في الخريطة .





— ۸۴ —



وفي القرن الثالث الهجري وجدنا اختلافا بينا عند مؤرخي العرب مثل الخوارزمي (١٠٥ هـ) واليعقوبي (٢٨٠ هـ) والهمداني (٢٨٥ هـ) : فزى رشيد ونقيذه ثم مصييل ومليدس وقرطسا وخربتا والبندقون والنجوم وإخنا (إدكو) ورشيد، والبحيرة والشراك وترنوط والحيز .

وقد ذكر ( شارل دى لارونسبير ) (١) عدد ١٤ أسقفية فى الإقليم الأول لمصر ، فى العصر البيزنطى وكانت تابعة للكنيسة الكاثوليكية بالإسكندرية .  
وفى ما يلى مقاطعات البحيرة قديما وبين الأقواس متر أسقفية كل منها :  
ميابيليس ( مصيل ) ونقراطيس ( النبيرة ) وأندروبوليس ( خربتا ) ومينيليس ( إدكو ) ومريوطيس ( مريوط ) .

وفى القرن الرابع الهجرى نرى ابن خردادبة (٢) ( - ٣١٠ هـ ) يتحدث عن كور مصر بدون ترتيب ، فيذكر مثلا كورة الإسكندرية والقلم ، وشتان ما بينهما .

· أما كور الحوف الغربى ، التى تعنيها ، فقد ذكر منها : مصيل . المليدس . قرطسا . خربتا . البدقون . النجوم . تقيزة . إخنو ورشيد . البحيرة . الخيس . النراك . ترنوط .

وعنى ابن خردادبة بصفة خاصة بتحديد المسافات بين مدن إقليم البحيرة بالأميال ، ولا يضمن على التام بما يعرف عن كل مدينة من مظاهر العمران ، فقد ذكر مثلا المسافة [ من مريوط إلى كوم شريك ٣٠ ميلا ثم إلى كريون ٢٤ ثم إلى الإسكندرية ٢٤ ، ومن سنهور إلى النجوم وهى إقليم بها حمامات وفنادق وأسواق ومن النجوم إلى نستروه ، ومن البراس إلى إخنو وهى حصن على شط بحر الملح ، ومن إخنو إلى رشيد ، وكان بها أسواق صالحة وحمام وبها نخيل ] .

أما قدامة بن جعفر وقد توفى فى السنة التى توفى فيها ابن خردادبة فقد تحدث عن أعمال مصر وكورها و ذكر (٣) : تقيزة والبدقون وقرطسا وخربتا وترنوط ومصيل والمليدس وإخنو ورشيد ، كما أنه عنى أيضا بالمسافات بالأميال

(١) De la Roncière : La Geogr. de l'Egypte. P. 201.

(٢) المسالك والممالك : ص ٨٢ وهو مخطوط ، والتجريب فى الأسماء شائع بكثرته

كثير من المخطوطات .

(٣) الخراج ص ٢٤٨

بين المدن بعضها بعضاً (١) : فذكر كوم شريك والرافقة والكربون وذات الحلم فضلاً عن الكور والأعمال التي تحدث عنها .

ثم نرى أسماء عربية جديدة تظهر في إقليم البحيرة ولا سيما على لسان المتدسى ( ٣٧٥ هـ - ٣٨٠ هـ ) مثل : جميعا وشبرا دمنهور وسنهور ومحلة يزيد ومحلة حفص ومحلة زياد ، كما أنه جعل إقليم مصر سبع كور فقط . منها ست كور عامرة [ ولها أيضا أعمال واسعة ذات ضياع جليلة . ولا مدينة إلا بمنبر ] (٢) وهذه الكور هي : الجمار . الخوف الريف . إسكندرية . مقدونية . الصعيد . الواحات . وفي القرن الخامس الهجري يحدث المسيحي ( ٤٢٠ هـ ) والفضاعي ( ٤٤٤ هـ ) عن كور البحيرة وعاصمة كل كورة . ولكن مما يؤسف له حقاً أن الكتابين اللذين ورد فيهما ما كتبه هذان المؤرخان غير موجودين ، لولا ما اقتبس منه الدمشقي والمقريزي ، مع ما بينهما من اختلاف .

ونذكر هنا كور البحيرة التي ذكرها الدمشقي وعواصمها وعدد نواحيها :

الكورة	العاصمة	عدد النواحي
البدقون ( حيز البدقون )	البدقون	٢٥
البرمون ( البدقون )	البرمون	٣٧
الشراك	الشراك	١٧
ترنوط ( الطرانة )	ترنوط	٠٧
خربتا	خربتا	٥٦
قرطسا	قرطسا	١٨
مصيل	مصيل	٣١
إخنا ( إدكو )	إخنا	٣١

(١) الحراج ص ٢٢١

(٢) أحسن التقاسيم : ص ١٩٣

١٤	فوة	رشيد
١٤	دمهور	البحيرة

أما الكور التي ذكرها المترزي<sup>(١)</sup> فتلخص فيما يلي :

البدقون ( ٤٣ ناحية ) . حيز البدقون ( ٢٩ ) ، الشراك ( ٢٩ ) ، ترنوط ( ٨ ) ، خربتا ( ٦٢ ) ، قرطسا ( ٢٢ ) ، النجوم ( ٤٠ قرية سوى المنى ) - والمنى جمع منية وهي القرية على النيل ، مصيل وميليس ( ٤٩ ) ، إخنو ورشيد ( ١٧ ) ، البحيرة ( ١٧ ) .

وليكن معلوما أن القضاء كان آخر من تسلم عن كور مصر في القرن الخامس الهجري ، وقد نقل عنه ابن دقاق والقلقشندي والمقريزي ؛ على أن هذه الكور قد طرأ عليها تغيير آخر في عهد المستنصر بالله العاظمي أي أواخر القرن الخامس الهجري ، حيث ضاق نطاق هذه الكور عما كانت عليه من قبل .

فقد عقد البكري فصلا من كتابه<sup>(٢)</sup> للحديث عن كور مصر وقراها في هذه الفترة من الانتقال ، فأعاد إلى الأذهان ما كان بمصر في الزمن الأول من الكور ( ١٥٠ ) وما كان في كل كورة من مدينة ويقصد بها أنها عاصمة تلك الكورة ، كما أن بكل كورة ٣٦٥ قرية ، وذكر أيضا أن ( بخت نصر ) - في أثناء الغزو الفارسي - قد خرب ٦٨ كورة ، ثم صار المعمور بعد الفرس ٨٥ ثم صارت ٤٠ فقط عندما فتح عمرو بن العاص مصر في سنة ٢٠ هـ ، وانقسمت مصر كلها إلى ٢٦ عملا ، ذكر منها البكري في الوجه البحري الكور الآتية : القسراوة وفوة والمزاجتين والبحيرة وحوف رمسيس ، وكورة البقون ( ولعله يقصد البدقون ) ، وكورة ترنوط ، وكورة خربتا ، وكورة قرطسا ، وكورة إذكو ورشيد ، والبحيرة منها لوبية ومراقية ومنها مدينة الإسكندرية ومربوط وغير ذلك من الحصص .

(١) الخطط : ج ١ ص ٢٨ .

(٢) الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة : الفصل الرابع

[illegible]

كُورُ البُحَيَّةِ  
(من منتصف القرن ٥ هـ إلى القرن ١٠ هـ)

وفي القرن السادس الهجري تحدث أبو صالح الأرمي (٥٥٠ هـ) <sup>(١)</sup> لأول مرة عن هذه الكور في طورها الجديد ، طور الذبول والانكماش وقد أصبحت خمس كور فقط هي :

قوة والمزاحمتين ( قوة ) - النستراوية ( نستروه ) - رشيد والجديدة وإدكو ( رشيد ) - البحيرة ( دمنهور ) - حشوف رمسيس ( رمسيس ) وحدد في كل كورة عدد نواحيها وعدد كفورها .

وهكذا أصبح عدد كور البحيرة خمسة بعد أن كان أحد عشر ، وصار يطلق عليها ( أعمالا ) <sup>(٢)</sup> بعد أن كانت ( كورا ) ، واستجد منها ( عمل ) سمي ( البحيرة ) وعاصمته دمنهور .

وفي القرن السابع الهجري يستعمل ابن دقاق ( الكورة ) ويقسمها إلى ( أعمال ) ، فيذكر كور الخوف الغربي : صا ، شباس . البنون . ( ولعلها البندقون ) الخيس والشراك . خربتا ، قرطسا ومصيل . إرخنا ورشيد . ويستطرد قائلا : ومن البحيرة : كورة الإسكندرية وكورة مريوط وكورة لوبية ومراقية . <sup>(٣)</sup> ثم يفرد فصلا بعنوان ( الأعمال البحرية ) ويقصد بذلك القرى التي توجد في « البحيرة » بدليل أنه يبدأ بالحديث عن « المدينة » : دمنهور قائلا [ وهي قاعدة البحيرة ، وبها مقام نائب الوجه البحري ويطلق عليه ( ملك الأمراء ) <sup>(٤)</sup> ] ويقصد أن ملك الأمراء وهو نائب السلطان يقيم بدمنهور عاصمة البحيرة ، التي ارتفع شأنها فلم يعد يطلق عليها اسم كورة ، لأنها أصبحت « نيابة » ، ويستطرد ابن دقاق في الحديث عن عظمة دمنهور في القرن السابع ، فيقول : [ وأما أعمالها : فمنها أبسوم ، وأبلوق وأبو الزراير ، وأبو السحباء ، وأبو الشفاف ، وأبو الارانب

(١) أخبار من نواحي مصر ولقطاها : طبعة أكسفورد سنة ١٨٩٥ م ص ١١

(٢) دثمة المعارف الإسلامية : مقال ( البحيرة ) بقلم : Becher

(٣) الانتصار بواسطة عقد الأمصار : ص ٥٢ م ١٢ +

(٤) م ١٠١

وأبو الطبول ، وأبو الغزلان البحرية والقبلية ، وأبو حمار ، والكريون وتروجة ،  
ولائقو (إدكو) .

وفي هذا الوقت الذى أصبحت فيه البحيرة ( نيبابة ) ، كانت الإسكندرية  
إحدى الكور التابعة لها ، شأنها فى ذلك شأن كورة مريوط وكورة لوبية ومراقية .  
غير أننا نشهد فى آخر هذا القرن بداية اصطلاح جديد يطلق على الكورة ،  
حيث يقول الدمشقي (١) ( ٧٢٧ هـ ) : [ وكورة لإخنا (إدكو) من الخطط ،  
وكورة رشيد ١٤ قرية ، وكانت رشيد القصبه (العاصمة) ، وكورة البحيره  
وقصبها دمنهور ، وكورة الإسكندرية ] .

وقد جعل القاطميون الخوف الغربى كورتين : كورة البحيرة ( وقاعدتها  
دمنهور ) ، وكورة خوف رمسيس ( وقاعدتها مدينة رمسيس ) .

حتى إذا طلع القرن الثامن الهجرى ، وجدنا الملك الناصر قلاوون فى سنة  
٧١٥ هـ يأمر بإلغاء خوف رمسيس ويجعل البحيرة كلها إقليما واحدا باسم البحيرة  
وقاعدته دمنهور .

وكان بالبحيرة حتى سنة ٧٧٧ هـ ( ١٣٧٦ م ) ٢٣١ بلدا منها ٢١٢ لأصحاب  
الإقطاع ، وإذا ذاك كانت مساحة إقليم البحيرة ٣٠٩٢٧٧٥ فداناً منها ٨٥٠٨٥  
فداناً رزقة ، وكان هذا الإقليم الثالث فى كثرة بلاده بعد الغربية والشرقية من  
أقاليم مصر كلها .

فإذا انتقلنا إلى القرن التاسع الهجرى وجدنا القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ  
يتحدث عن إحدى عشرة كورة فى الخوف الغربى (٢) هى : صا ، شباس ،  
البذقون ، الخيس والشراك ، خربتا ، قرطسا ومصيل ، المايدس ، إخنا ورشيد  
والبحيرة ، ومريوط ، لوبية ومراقية .

ونحن نعلم أن القلقشندى نقل هذه الكور عن خطط القضاء التى كانت

(١) نخبه الدهر : ص ٢٣١

(٢) صبح الأعشى : ج ٣ ص ٢٨٩

تشتمل على ثلاثة أحياز تندرج تحتها خمس وخمسون كورة دون ترتيب ، غير أن الجديد عند القلقشندي هو الترتيب ، وتبيان ما درس منها وما بقي ، وما أضيف وما نسي أو تغير ، كما أنه حاول أن يصحح بعض الأخطاء فأصاب حيناً وأخطأ حيناً آخر ، فذكر كورة البجوم (١) ( بالباء ) وقال إنها [ من الاسماء المندرية ولا يعرف مكان بالديار المصرية أسمة البجوم ، إلا أوض بأسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية صارت مستنقعا للياه المتصرفه عن البحيرة ] .

وسنرى المقرئ (٢) الذي توفي بعد القلقشندي ( — ٨٤٥ هـ ) يقول [ وفي الوجه البحرى مدينة النجوم ( بالنون ) وقد غلب على مدينة النجوم الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها قرية إدكو على ساحل البحر بين رشيد والإسكندرية ] وينكر القلقشندي وجود بلد باسم ( إخنأ ) بالبحيرة ، وإنما أخويه من عمل الغريبة والعامة تقول ( إخنأ ) ، وهنا أخطأ القلقشندي خطأ فاحشاً . وأحياناً نرى السخاوى والقلقشندي يستعملان ( الغريبة ) بمعنى الخوف الغربى . ويستعمل القلقشندي أيضاً ( العمل ) ، فيجعل غرب فرع رشيد عمليين هما :

١ — عمل البحيرة : وهو مما يلى عمل الجيزة من الجهة البحرية ، وهو عمل واسع كثير القرى ، فسيح الأرضين ، مقر ولايته مدينة دمنهور ، ويدخل فى هذا العمل ( خوف رمسيس ) و ( الكفور الشاسعة ) .

٢ — عمل الزاحمتين : وهو ما جاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومى ، وبعضه بالبر الشرقى من النيل ، وحاضرتة ( قصبه = عاصمة ) مدينة فوة ، وإنما يكون بها ( شاد ) خاص ، يتحدث فى كثير من أنوار الولايات . وفى أواخر القرن التاسع الهجرى يتحدث ابن الجيعان فى كتابه المشهور والنخبة السنية بأسماء البلاد المصرية ، بعد حضر زمامات الأراضى وهو المعروف باسم ( الروك الناصرى ) فيذكر أعمال البحيرة فيقول : المدينة وهى دمنهور



الوحش (١) ومساحتها ١٤٩٢ فداناً ، عبرتها ( حصيلتها المقدرة ) كذا ، وكانت باسم الأمير صرغتمش الأشرفي ، والآل للديوان المفرد [ :  
هذا نموذج من الكلام على البلاد المصرية عند ابن الجيعان ، ويمضى في ذكر أعمال البحيرة فيتحدث عن إقنو ( ويقصد إداكو ) ومحلة الأمير ، ومحلة عبد الرحمن ( الرحمانية ) .

على أن الجديد عنده هو أنه يستعمل «الأقاليم» لأول مرة بمعنى الكور أو الأعمال الكبيرة ، فشلا : إقليم فوه والمزاحمتين ومدينته فوه ومن أعماله إقنيته (إدفينا) ومحلة الأمير ، ونطوبس الرمان ( مطوبس ) ، وإقليم نستراوه مدينته نستراوه ومن أعماله البرلس وبلطيم وثر رشيد ، كما أن ثغر الإسكندرية المحروس يستقطع في عهده بلادا كثيرة من إقليم البحيرة مثل ( إداكو ) ويقصد ( إداكو ) والجنان والحافر ( منية السعيد + حوض الشريفة + الطويلة ) والجدينة ،

ويسير غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري على هدى ابن الجيعان فيذكر في كتابه «زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك» أقاليم الوجه البحري وعددها سبعة بكل منها ٣٦٠ بلدا وعدة مدن ويقول عن إقليم البحيرة ما يأتي :

[ وهو إقليم متسع جدا وبه مدينة دمنهور ، وهي مدينة كبيرة ] ، وفي القرن العاشر الهجري يحدثنا ابن زنبيل الرمال في «تحفة الملوك والغائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب» عن إقليم البحيرة : لأنه متصل بالإسكندرية وبالتقرب منها ، وبه مدينة الإسكندرية الخراب وليس بها ساكن ، وهي عند جبل يقال له ( الجبل الأخضر ) ، وهو متصل ببلاد المغرب .

وهذا يدل على أن الطاعون والخراب اللذين ضربا أطناهما على مدينة الإسكندرية في هذا العهد من حكم الترك ، قد أديا إلى اتساع نطاق إقليم البحيرة حتى شمل الإسكندرية ، فصارت تابعة للبحيرة .

وأصبحت مصر ولاية عثمانية بعد أن فتحها السلطان سليم الأول ، ومنذئذ

صار يطلق على الأقاليم ( سناجق ) وعددها أربعة وعشرون على رأس كل منها سنجق أو بك ، وكانت هذه السناجق متفاوتة الأهمية ، فتمد كان سنجق البحيرة أحد السناجق الخمسة الأولى ، أما السناجق الأخرى فقد كان حكمها يسمون ( الكشاف ) ، وهم بذلك في المرتبة الثانية .

وآل الأمر بعد الغزو العثماني ، إلى طائفة المالكين الذين أصبحوا هم الحكم الحقيقيين للبلاد . فلما غزا نابليون مصر ، أبقى على نظام المديريات فأصدر أوامره في ٢٧ يولييه سنة ١٧٩٨ بجعل ديوان لكل مديرية ، فأصبح لكل من مديرية البحيرة ومحافظ رشيد ديوان ؛ وكان يمثلو البحيرة ورشيد يحضرون اجتماعات ( الديوان العام ) بالقاهرة ، وكذلك رؤساء العرب .

وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٩ أصدر كليبر أمرا بتعديل التنظيم الإداري فجعل مديريات مصر ثمانية أقاليم : خامسها الإسكندرية ويتبعها كل من البحيرة ورشيد وجعل الإسكندرية عاصمة الأقليم .

ولما أصبح محمد علي واليا على مصر منذ سنة ١٨٠٥ قسم البلاد إلى ثلاثة أقاليم رئيسية :

١ - **الأقليم الأول** : من وادي حلفا إلى مديرية المنيا : وهو تحت إداره ولده إبراهيم باشا .

٢ - **الأقليم الثاني** : من المنيا إلى الجيزة ومعه الفيوم : وهو تحت إدارة أحمد باشا طاهر .

٣ - **الأقليم الثالث** : وهو الإقليم البحري ويشمل أربع مديريات :

١ - من الجيزة إلى غرب الدلتا : تحت إدارة حسن بك أبو نيشانين :

ب - الغربية : تحت إدارة حميدة عباس الأول .

ج - الدقهلية : تحت إدارة حسن أفندي القوله لى .

د - الشرقية ووادي الطميلات : تحت إدارة محمد بك كتنخدا إبراهيم باشا يكن .

تم ضمت المديرين الآخرين فانصارنا واحدة تحت إدارة عبد الرحمن بك القبطى الأصل .

وجعل محمد على (١) مديرا على رأس كل مديرية ، وظلت البحيرة مديرية ورشيد محافظة سنة ١٨١١ ، وهو الذى قسم المديرية إلى مراكز ، والمراكز إلى أقسام ( أخطاط ) وسمى حاكم المركز مأمورا ؛ ورئيس القسم ناظر القسم .

وانقسم كل قسم إلى قرى سميت ( النواحي ) ، على كل ناحية : ( شيخ المشايخ ) الذى صار يطلق عليه ( عمدة ) فيما بعد ، ويعاونه مشايخ البلد ( لحفظ الأمن ) ، والخولى ( لمسح الأتيان ) ، والصراف ( لجمع أموال الميرى ) والشاهد ( = المأذون ) .

وانقسمت مديرية البحيرة (٢) إلى قسمين كبيرين هما : النجيلة ودمهور ، وجعل النجيلة أربعة أخطاط ، وكلا من المراكز الآتية أربعة أيضا : شبراخيت دمنهور ، الرحمانية . الجيزة ، البدرشين .

وفد حصر عمر طوسون (٣) أخطاط البحيرة فى عهد محمد على فوجدها خمسة عشر هى : خط بلاد الأرز ، خط بركة غطاس ، خط دمنهور وقرطسا ، خط حاجر بنى عوى ، خط خربتيا ، خط معنيا ، خط النبيرة ، خط النجيلة . خط نكلا العنب ، خط الرحمانية ، خط شابور ، خط شمرنوب . خط شبراخيس ، خط سمخراط ، خط الطرانة .

وكان مجموع بلدان البحيرة ٢٣٠ ، وفى عهد إسماعيل (٤) كانت مراكز

(١) مقال « حالنا أمس اليوم » : عبد الله نديم + الحركة القومية : ٣ : الرافى

(٢) بناء دولة : شكرى وزميلاه ص ٦٢٤

(٣) La Geographie de l'Egypte à l'époque arabe .

La Basse - Egypte - T : ١. 3ère partie : l'époque de Moh. Ali .

(٤) « رحلة إسماعيل فى جميع محافظات وعواصم القطر المصرى : إسماعيل محمد مصطفى

البحيرة تسعة فقط هي : دمنهور ، كوم حمادة ، الدلتجات ، إيتاي البارود ؛  
شبراخيت ، أبو حمص ، كفر الدوار ، مريوط ، رشيد . وبلغ سكانها ٨٩٢  
ألف نسمة .

وفي الحق أن محمد علي وخلفاءه قد كثرت التعديلات على التقسيمات الإدارية  
في عهودهم المختلفة ، فثلا كان محمد علي قد أطلق اسم ( مأمورية ) على المديرية ثم  
ألغى هذه التسمية سنة ١٨٣٣ وأطلق عليها ( مديرية ) ، وفي آخر أيام سعيد  
قسمت مصر إلى أقسام ، وفي سنة ١٨٧١ أطلق لإسماعيل اسم ( مركز ) على كل  
قسم في الوجه البحري ، يحكمه ( المأمور ) ، وأبقى بعض الأخطاء وجعل اسم  
( معاون الإدارة ) بدلا من ( حاكم الخط ) ، وفي سنة ١٨٩٠ فصلت المدن عن  
المراكز التابعة لها ، وأنشئ في كل مدينة مأمورية مستقلة بحدودها ومنصولة عن  
قرى المراكز وعليها ( مأمور بندر ) وذلك تمييزا لها عن ( مأمور المركز ) (١)  
وقد ذكر موتسنجر باشا في « جغرافية مصر » مراكز مديرية البحيرة ، في  
أواخر القرن التاسع عشر ، فوجدتها خمسة فقط هي : النجيلة وشبراخيت والعطف  
والدلتجات وأبو حمص ، وجميع بلدانها ٢٨١ ، وبها خمسة مراكز للشرطة ،  
ومقر ديوان المديرية دمنهور طبعاً .

وفي ١١ مارس سنة ١٩١٥ صدر قرار وزاري بتعديل دوائر الاختصاص  
الإداري بمحاظة الإسكندرية وبمديرية البحيرة ، ويقضى هذا القرار بفصل  
مأمورية سيوه عن مديرية البحيرة وتبعتها لمحافظة الإسكندرية .

ومنذ مطلع القرن العشرين إلى الآن ، ومصلحة المساحة تصدر في سنوات  
متقاربة كشوفا بإحصاء كل مديرية وما يتبعها من المراكز والمدن والنواحي ، مع  
التنويه بالمستجد منها ، وتصدر المصلحة جداول بأسماء المراكز وما يتبعها من  
البلاد مع الإشارة إلى تبعيتها من قبل إلى مركزها السابق في حالة إنشاء مراكز  
جديدة . ففي سنة ١٩٤١ كانت مراكز البحيرة عشرة هي : أبو المطامير

(١) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية : محمد رمزي ١٠

أبو حمص وإيتاي البارود والدانجات والمحمودية ودمهور ورشيد وشبراخيت وكفر الدوار وكوم حماده .

ويجب أن نشير إلى أن مركز المحمودية قد أنشئ سنة ١٩٢٩ وأن مركز أبو المطامير قد أنشئ سنة ١٩٣٠ .

وصدر قانون رقم ١٩١ لسنة ١٩٥٥ بإجراء تعديلات في التقسيم الإداري لجمهورية مصر ، جاء في المادة ١٢ منه ما يأتي : —

يفصل من مركز كفر الدوار التابع لمديرية البحيرة نواحي : السيوف قبلي والسيوف بحري ، والتومبانية الإنجليزية ، والمنشية البحرية ، وغرب نوبار وخورشيد والتوفيقية والمندره قبلي ، والمندره بحري ، والمعصرة والمحروسة ، وحجر النواتية ، وسيدى بشر ، والصبحية ، وأبوقير ، والمنشية الجديدة ، والدخيلة ، والبيطاش ، والجمي ، وتضم إلى محافظة الإسكندرية . (١)

ونظرا لازدياد السكان باضطراد في جميع أرجاء إقليم البحيرة ، مع ازدياد العمران فقد أصبحت هذه المديرية - منذ صدر قانون نظام الإدارة المحلية لسنة ١٩٦٠ - تسمى « محافظة البحيرة » واختفت كلمة « مديرية » هذه من تسميات مصر الإدارية ، وأصبحت محافظة البحيرة حتى وقتنا هذا تتكون من بندر دمنهور وأحد عشر مركزا هي : دمنهور وأبو المطامير وأبو حمص وإيتاي البارود والدانجات والمحمودية وحوش عيسى ورشيد وشبراخيت وكفر الدوار وكوم حماده .. أى أن كوكبا جديدا هو ( حوش عيسى ) قد طلع في سماء ( البحيرة ) .

ولما كان من الصعب أن نحدد تبعية كل بلد من بلاد البحيرة إلى مركزه تبعا لهذا التغير المستمر في إنشاء مركز بعد مركز ، لهذا رأينا من الأفضل أن نبدأ بمذكرات خاطئة عن أشهر مدن البحيرة ثم نتقدم كشفاً بالبقية كلها .

---

(١) الوقائع المصرية : عدد ٢٨ في ٧ إبريل سنة ١٩٥٥ .

## البحيرة بين ضباب الأساطير

ت مصر في عصر ما قبل التاريخ تحكمها سلطات محلية باسم الآلهة المعبودة  
ت رموزا عليها ، تعرف بالطواطم Totems ، وهي الأصل البدائي  
لنظام « المقاطعة » أو « الإمارة » وكان « هوريس »  
« الصقر » الإله المصري ، صاحب النفوذ الأكبر  
في مصر كلها كما سبق أن ذكرنا في تطور حضارة  
البحيرة :

وقد أشرنا إلى أسطورة « إيزيس وأوزيريس »  
وما كان من انتصار (هوريس أو هور Horus-Hor)  
على (ست Seth) وبذا انتصر الخير على الشر .



بست (ست) رمز الشر  
وريس المتصر

كان المصريون يعتقدون منذ القدم أن إله الأرض (جب Geb) هو الذي  
بصر قسمين : فكانت الدنيا من نصيب (هوريس) وكان الصعيد من نصيب  
( ست ) كما أشار إلى ذلك العلامة ( ألكساندر

Alexandre Moret ) في مجلده القسم  
الفرعونية L'Egypte Pharaonique (١)

وعلى أثر المعركة الدامية

بين هوريس وست نزل

إله الحكمة ( تحوت ) من

السماء فضمد جراحهما .

وصار هوريس رب الناس .

ومعنى ذلك أن عبادة

(هور) قد سيطرت على

أقاليم الدنيا ، وتركزت



إيزيس ترضع ابنها هوريس



هوريس الظافر

بصفة خاصة في (مدينة هور = دمنهور) ، عاصمة البحيرة ، التي غزاها الملك ( نارمر Nàrmer ) من الصعيد فحارب أهلها وأخضعهم لسلطانه ، كما هو ظاهر في ( لوحة نارمر ) ، وعلى ذلك تكون دمنهور هي أقدم مدينة في الإقليم .

### دمنهور : Damanhoor مدينة النور .. والنصر .. والبحيرة

إذا تأملنا الأساطير القديمة الخاصة بالمعبود ( هوريس ) ، وجدنا أن مدينة دمنهور باتساقها إليه ترمز إلى المعاني السامية التي خلعها المصريون عليه ، فهي « مدينة النور » ، « مدينة النصر » ، و « مدينة البحيرة » ، كما يفهم من « كتاب الموتى » والصور والنقوش التي في المعابد .



هوريس ( إله النور )  
منتصرا على التمساح  
( ابن ست )

نرى ( هوريس ) - كما في الرسم - يمثل « إله النور » ، في صورة إنسان يقف بكل عظمة على ظهر تمساح مستسلم له ، غير ناظر إليه ، وقد رشقه بحريته ، وانتساح هنا يرمز إلى ابن ( ست Set ) الشرير ، المسمى ( إله الظلام ) ، وهكذا انتصر النور على الظلام ، ويرمزون إلى هذا النصر أيضا بالصورة الآتية : وفيها الصقر متغلبا على الغزال .

ويكاد يكون نادرا  
أن نعر في الأساطير  
المصرية القديمة على  
( هور ) برصفه ( إله الماء )  
ولكننا نرى بعد انهيار  
عبادة كبار الآلهة



هوريس ( الصقر ) منتصرا على  
ست ( الغزال )

الرسميين ، أن الديانة المنزلية قد احتلت المكانة

الأولى ، ففي العصر البطلمي ، نرى ( هربوقراط Harpocrates ) ابن هوريس في صورة طفل يبتسم ، ومعه أوعية الماء ، أو وهو يصب ما في الوعاء على

الأرض ، كرمز على دموع « الصقر » المعبود ، باسطة رحمة على الأرض .  
 وكثيرا ما نرى في نقوش المعابد القديمة : (البقرة) هاتور Hathor وهي ترضع  
 هوريس أو نراها بين الأحرش ، وكان « كأس لييا » يقع في (أمنت Ament)  
 وهي المقاطعة الثالثة غرب وهي التي كانت يوما ما ملكة الدنيا كلها وتسمى  
 (ها - هور Ha - Hor) « بيت هوريس » : الصقر المعبود وسيد أرض الغروب ،  
 فصارت زوجته الإلهة (هات - هور Hat - Hor) معه في (معبد هوريس)<sup>(١)</sup>  
 وأحيانا نرى صورة (هوريس Heru, Horus) باسم « شمس  
 الصباح »<sup>(٢)</sup> ورأسه رأس صقر ، وباسم « المنتقم لآبيه » من (ست Set) ،  
 وفي صورة أخرى وهو يقدم (آني Ani) إلى أبيه  
 أوزيريس .



هوريس منتصرا على ست

وفي غيرها يقدم سبتي الأول إلى أبيه وأمه ،  
 وفي صورة أخرى يضعونه على رأس عدة صور  
 رأسية فيرمزون به إلى القوة إذ نرى العمل تحته  
 ثم تمثال حب الصدق ، وكذلك نراهم يضعونه في  
 ثلاث مراكب كرموز على أفلاك هوريس : نجمة



هوريس يقدم (آني) إلى أبيه (أوزيريس)

Meta Williams : Whence came St. George ? (١)

Wallis Budge : The Nile. (٢)





هريس  
يقدم سيق الأول إلى ايزيس وأوزيريس

الجنوب ، ونجمة الشرق ، الصباح والمساء (١) وقد ترجم لوجران Legrain  
رسما من الأسرة ١٨ بقوله (صاحب التيجان على عرش هوريس إله الأحياء) (٢)

---

A. Both. Gosse : The Civilization of the Ancient (١)  
Egyptians.

Ad. Caltawi : Causeries P : 14 (٢)



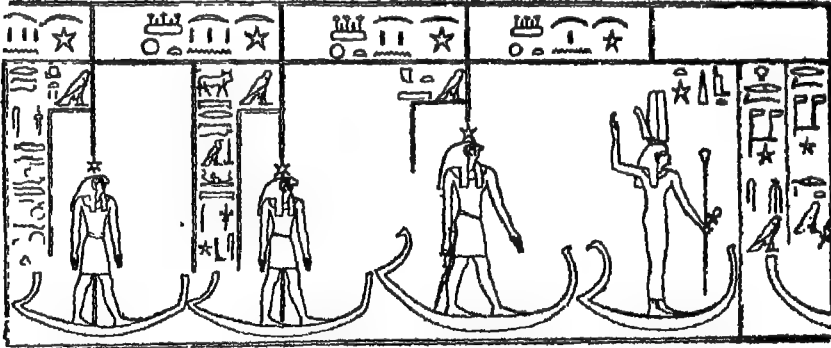
هوريس إله الأحياء  
وصاحب التيجان

ومن هذا يتضح لنا أن (هوريس)  
قد شغل حيزاً ضخماً في العبادة المصرية  
القديمة ، وبالتالي في حضارتها العريقة  
وعلى الرغم من مزج العبادة الإغريقية  
الوافدة بالعبادة المصرية الأصلية فيما  
بعد ، فإن آثار (هوريس) ظلت بارزة  
للمعالم عدة قرون ولم يستطع البطالمة  
أو الرومان طمسها بل أعجبوا بها  
وأكثروا من تصويرها بشقي التعابير  
في مختلف الأماكن ، وتركزت في  
المدينة التي حملت اسمه من خمسة وستين  
قرناً من الزمان على الأقل ، واحتفظت



هوريس إله القوة  
والصدق


له (دمهور) بهذه الذكرى .



أفلاك هوريس

هذا وقد تابع العلامة (جوتيه Gauthier) (١) أصل مدينة دمنهور في  
النصوص الهيروغليفية وما طرأ عليها في العصر القبطي ، وما آلت إليه في العصر

H. Gauthier : Dict. des noms géogr. T : 6 P : 94. (١)

العربي ، فقال إنها في الأصل dmi-n-hor وقد وجدت في قائمة بطليموس السادس بإدفو ، كما ذكرها كل من (دوميشين Dümichen) (١) و (بروكش Brugsch) (٢) على أنها (مدينة هوريس La Ville d'Horus) وهي في الدلتا ومخصصة لعبادة الإله هوريس ، وتكتب هكذا بالهيروغليفية :  
 ثم كتبت بالقبطية القديمة هكذا :  Temäien-Heru.

†ⲉⲙⲁⲓⲏⲭⲉⲣⲱ

أما اليونان فسموها (هرموبوليس پارفا Hermopolis - Parva) أي (مدينة هرمس الصغرى) لمقارنتها بالكبرى magna التي كانت عاصمة إحدى مقاطعات الصعيد .

وفي نهاية العصر البطلمي كانت عاصمة مقاطعة إضافية تسمى (بحدت Behdit) وهي المقاطعة ١٧ وكانت عاصمتها الفرعونية Behedet Periou n Amen (بيت جزيرة آمون) وعاصمتها اليونانية كانت Diospolis parva وحديثا سميت (تل بلامون) Tell - Balamoun غربية (٣) ، ولكن القبط أعادوا إليها اسمها المصري القديم ونطقوها (تمهور Tminhor) ، ومنها سميت في زمن العرب إلى يومنا هذا (دمهور Damanhour) .

وقد تلمح (لبسيوس Lepsius) (٤) في (قائمة أكسفورد) وقوائم الجغرافية القبطية كيف انتقلت دمنهور في تسميتها من نسبتها إلى هوريس إلى هرمس Hermès فأفترض وجود مدينتين متجاورتين إحداهما لعبادة Horus والآخرى لعبادة Thot - Hermès وهذه الأخيرة غطت على الأولى.

Dümichen : Geogr. Inschr. I pl : 66. (١)

Brugsch : Dict. Geogr. P : 521, 1269. (٢)

De la Roncière : La Geogr. de l'Egypte P : 181. (٣)

Lepsius : Scala Geogr. du copte d'Abbassinie 3 P : 52 (٤)

ونذكر ( دارسى Daressy ) (١) أيضا مدينة ( دما Hor dma ) أى مدينة هوز وقال إنها فى مكان ترنوط أو ( كوم أبو بللو ) بالقرب من الخطاطبة . وكانت دمنهور تسمى ( هوريس بحودتى Horus Behoudti ) ويرى ( دارسى ) أن ( قراقص Qarqes ) هى تعديل لكلمة Krikos وهو الاسم اليونانى الآخر للصقر faucon الذى يرمز به إلى ( هوريس ) .

وكان موقعها غربى الفرع الكانوبى - على حد تعبير أسترابون - بين ( هيراقون پوليس Hierakôn polis ) وبين كانوب عاصمة مقاطعة منيلايت Ménélaite (٢) أما ( أميلينو Amélineau ) (٣) فيرى أن الاسم اليونانى قد انتقل كما هو إلى القبطية ( إرموكاتون Ermoukaton ) .

ولما كانت دمنهور عاصمة المقاطعة ، فقد كان يقيم بها حاكمها وهو النومارك nomarque ويعاونه ( القائد strategos ) وتحت أيديهما سائر موظفى المقاطعة العاملين على جباية الأموال لحساب البطالة والرومان والبيزنطيين (٤) .

وكانت دمنهور نقطة العرب إلى تحطيم دولة الروم فى الإسكندرية عند الفتح الإسلامى ، وقد كتب عمرو إلى الخليفة بفتحها مع المدن الأخرى وبعث بالكتاب عامر بن لؤى (٥) .

وفى القرن الثالث الهجرى ، وعلى التحديد فى الخلاف الذى دب بين الامين

---

Daressy : Annales : 16 P : 224,226,235,242. (١) .

Henn : Liste des stratèges des Nomes égyptiens à l'époque Gréco - Romaine P : 1. (٢) .

Amélineau : Geogr. Egypt. à l'époque copte. (٣) .

P : 113-116.

V. Chapot : La vie locale. ch : II P : 259 : La Nation Égyptienne. (٤) .

(٥) الواقدى : فتوح الشام ٢ من ٩٤

والمأمون فيما بين سنة ١٩٩ هـ وسنة ٢١٠ هـ شهدت دمنهور معارك دموية يرى القارىء تفاصيلها في كفاح البحيرة .

وفي سنة ٥٦٥ هـ كانت البحيرة إقطاعا للملك الأفضل نجم الدين أيوب أبي صلاح الدين الأيوبي أعطاها له الخليفة العاضد لدين الله الفاطمي . (١)

وفي سنة ٥٧٨ هـ زارها الرحالة ابن جبير (٢) فتعال لأنها ( بلد مسور في بسيط من الأرض أفيح ، والنرى فيه يمينا وشمالا لاتحصى كثرة ) ثم جاز النيل منها إلى ( صا ) أى صا الحجر .

وفي القرن السابع الهجرى زارها الرحالة ابن بطوطة (٣) فكانت مدينة كبيرة لائنها على حد تعبيره [ أم مدن البحيرة بأسرها ] ولقى قاضيا فخر الدين ابن مسكين من قتها الشافعية وقد تولى قضاء الإسكندرية .

وذكرها المنذرى (٤) فى القرن السابع أيضا فقال إنها : قصبة البحيرة ؛ ولها تنسب الثياب الدمنهورية .

وفي القرن الثامن الهجرى شرع السلطان الناصر قلاوون سنة ٧١٥ هـ فى روك الأراضى المصرية فأخرج الأمراء إلى المديرىات ، فكان على البحيرة والمنوفية بلبان الصرخدى والقطنجى وابن طر نطاي وبيرس الجمدار (٥) .

وقد شهدت سنة ٧٢١ هـ حوادث هدم الكنائس بالإسكندرية إذ هدم منها اثنتان بدمنهور ، وسرت العدوى إلى شتى البلاد ، ولكن ذلك كان من أعمال الغوام .

وفي سنة ٧٢٣ عزل والى البحيرة استدمر القطنجى وتولى بدله عليها بلبان

(١) كتاب الروضتين : أبو شامة

(٢) رحلة ابن جبير .

(٣) رحلة ابن بطوطة

(٤) التكملة لوفيات النقلة : ٣٦

(٥) المقريزى : السلوك ٣ : قسم أول من ١٤٧

العريس كما يقول المقرئ في كتاب (السلوك) (١) .

وفي ٢٤ من ذى الحجة سنة ٢٧ هـ عزل من ولاية البحيرة الغرس خليل صاحب كتاب [ زبدة كشف الممالك ] والذي أصبح والى الإسكندرية . وحل محله على البحيرة الجمالى عبد الله آخر ظلّية (٢) ، وكانت إقامته كالمعتاد فى ديوان الولاية بدمهور .

وفي سنة ٧٤٠ هـ توفى الأمير ركن الدين بيبرس الركنى المظفرى كاشف البحيرة ووالى الإسكندرية (٣) .

ويذكر ابن حجر (٤) أن اسندمر القلنجقى الذى ولى البحيرة أيام الناصر قلاوون ثم صار والى القاهرة قد توفى بالطاعون سنة ٧٤٩ هـ .

ويتحدث عن دمهـور ابن دقاق (٥) فى القرن الثامن فىقول : [وهى مدينة قديمة عامرة ، وبها جوامع ومدارس وحمامات وفنادق وقياسر وغير ذلك ، وهى قاعدة البحيرة ، وبها مقام نائب الوجه البحرى ويطلق عليه «ملك الأمراء» ، ولها خليج من خليج الإسكندرية . ]

ثم يقول : [إن الملك الظاهر برقوق أمر ببناء سور عليها عقب فتنة عربان البحيرة فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة : وبها مزارات] ، ثم استطرد فى ذكر أعمالها أى البلدان التابعة لها ومساحتها وحصيلتها كل منها ، لأنها كانت إقطاعا للأجناد ، ويشرف عليها «ديوان الإقطاع» المعروف فى زمن القساطميين ، وفى عهدهم كانت الولايات أربعة : ولاية قوص : ولاية الشرقية . ولاية الغربية : ولاية الإسكندرية : وكان والى الإسكندرية - التى هى أقل رتبة من الغربية -

(١) ٢ - ١

(٢) المقرئى : السلوك : ٢ - قسم ٢

(٣) المرجع نفسه

(٤) الدرر السكاينة

(٥) الانتصار لواسطة عقد الأمصار : ٥ - ص ١٠١

يحكم أيضا على أعمال البحيرة بأجمعها (١) .

أما الأيوبيون فقد استحدثوا ثلاث نيابات سلطنة هي : نيابة الإسكندرية ونيابة الوجه القبلي ونيابة الوجه البحري . وهذه النيابة الأخيرة أنشأها السلطان برقوق ، ويتحدث القلقشندي عن هذه الولاية فيقول (٢) [ ونائبها من الأمراء المقدمين ، وهو في رتبة مقدم العسكر بغزة ، ومتر نائبها دمنهور مدينة البحيرة ، وليست على قاعدة النيابات بل هي في الحقيقة ولاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشف يطلق عليه د والى الولاية ، ولم يكن له مقر خاص ] .

وبعد أن كان يوجد كاشف الوجه البحري وآخر للوجه القبلي ، طبق الأيوبيون نظام نيابة السلطنة ، على كل منها ، وصار على الوجه البحري كاشف من أمراء الطبلخانة ، يحكم جميع بلاد الوجه البحري ، ما عدا عمل البحيرة ، تقره من نائب الوجه البحري ، وكان والى البحيرة يسمى أيضا د والى دمنهور ، كما يقول القلقشندي الذي يتحدث في مكان آخر عن نيابة الوجه البحري فيقول : [ ومقرها دمنهور البحيرة ، وحكمها على جميع بلاد الوجه البحري ما عدا الإسكندرية ، وليست على قاعدة النيابات في ركوب المواكب وما في معناها ، بل نائبا في الحقيقة (كاشف كبير) وليس فيها من رسوم النيابة ، سوى لبس الشريف ، وكتابة التقليد بما يكتب به مثل نائبها من النواب ، وقد كان القائم بها في الزمن الأول ( يقصد زمن الفاطميين ) قبل أن تكون نيابة يعبر عنه (بوالى الولاية) ] (٣) .

وفي مكان آخر أيضا - بصدد حديثه عن ولاية الوجهين ومراقبتهم - يعتبر ولاية البحيرة ومقر واليها دمنهور من المرتبة الأولى في الطبقة الثالثة من الطبقات الأربع لولاية الأمور من أرباب السيوف ، ثم يقول عن ولاية البحيرة [ وربما عطلت ولايتها لكونها مقر النائب ] .

(١) صبح الأعشى : ٢٨ ص ٤٩٧

(٢) صبح الأعشى : ٥٨ ص ٢٥

(٣) نفس المرجع ص ٦٥

وإذا كانت البحيرة قد ظهرت بالمرتبة الأولى من الطبقة الثالثة من حيث نيابة السلطنة ، فإن لها أيضا مكاتبا من الطبقة الرابعة وهي طبقة أمراء العربان في مصر ، فقد تحدث كل من صاحب « التعريف » ، وصاحب « مسالك الأبصار » ، عن إمارة العربان في البحيرة أيام دولة الناصر بن قلاوون ، وقد عقد لوازمها لخالد بن أبي سليمان ، « فائد بن متمد » وكانا أميرين سيدين جليلين ذوى كرم وإفضال وشجاعة وثبات رأى وإقدام .

وعندما قسم القلقشندي غرب الدلتا مباشرة إلى عمل البحيرة وعمل المزاحيتين ، قال إن مقر ولاية عمل البحيرة [ مدينة دمنهور وتعرف بدمنهور الوحش ، وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق وحمامات ، وموقعها في الإقليم الثالث ولم يتحرر لى طولها وعرضها ، غير أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب ] .

ويتناول العمل الثاني بعد ذلك وهو عمل المزاحيتين المجاور لخليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر ، وبعضه بالضفة اليمنى للنيل ، وحاضرتة مدينة فوة [ وهي مدينة متوسطة بالبر الشرقى من فرقة النيل الغربية ( يقصد فرع رشيد ) تقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ، ظلت بساقين وأشجار ومنظر رائع ، وليس بها ولاية ، وإنما يكون بها شاد خاص ( أى حاكم ) يتحدث في كثير من أمور الولاية وهي في الحقيقة كالخيم مع قوص ] .

هذا والمعروف أن ولاية الإسكندرية قد أصبحت منذ سنة ٧٦٧ هـ نيابة سلطنة بمعنى الكلمة ، ولم يعد يشاركها في هذه المرتبة سواها من الولايات والنيابات .

وقد تعرضت دمنهور سنة ٧٨١ هـ لثورة شيخ عربان البحيرة بدر بن سلام فبعث إليه برقوق حملة من ثمانية أفراد مقدمين بدورا شمل الثوار ، وعاود بدر ابن سلام ثورته في العام التالى ، فقدم إليه الشعبانى أمير السلاج على رأس حملة من خمسمائة مملوك فكسروا شوكة الثوار وفر زعيمهم .



وفي القرن التاسع الهجري ، ورد ذكر دمنهور الوحش ، على لسان ابن الجيعان ، بصدد كلامه عن أعمال البحيرة (١) فتقال [ المدينة وهي دمنهور الوحش ومساحتها ١٤٩٢ فدانا ، كانت باسم الأمير صرغتمش الأشرقي ، والآل للديوان المفرد ] بعد أن اتسع العمران فيها .

والمعروف أن دخل الدولة كان على نوعين رئيسيين :

**الأول :** ما هو داخل في الدواوين السلطانية وهو أربعة أصناف :

أ — ما هو جار في ديوان الوزارة ،

ب — ما هو جار في ديوان الخصاص ،

ج — ما هو جار في ديوان المفرد ،

د — ما هو جار في ديوان الأملاك .

**الثاني :** ما هو جار في الإقطاعات : ويشمل معظم بلاد الوجهين البحري والقبلي المقطعة للأمر ، وبمالك السلطان وأجناد الحلقة وعربان البحيرة والشرقية من أرباب الإدراك وملزمي خيل البريد .

ومن الطريف حقا ، هذا النقد الموجه إلى نظام الحكم المحلي في القرن التاسع من أحد الحكم المحليين وهو غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الذي تولى أمر البحيرة ثم الإسكندرية ، فيعرض في كتابه (٢) لإقليم البحيرة قائلا [ وهو لإقليم متسع جدا ، وبه مدينة دمنهور وهي مدينة كبيرة ] ويستطرد للنظام السابق وهو نظام الكشف الثلاثة : بالوجه القبلي والوجه البحري والجيزة ، ثم أصبح للوجه القبلي وحده ثلاثة كشف ، وللوجه البحري كاشفان أحدهما بالشرقية والآخر بالغربية ، [ وكاشف البحيرة على عادته ، — ( أي كما هو لم يتغير ) — وليس ذلك من الطرائق ( من الأصول ) فإنه يصير عدم نفاذ كلمة الكشف بالأقاليم وتضييع حقوق الرعية ، والاصوب ما كانوا عليه أولا فإنهم

(١) التحفة السنية : ص ١١٦

(٢) زبدة كشف المالك : ص ٢٢ و ص ١٢٩

كانوا في غاية الأبهة ، وربما كان يفرق كل واحد من كشف الوجه القليل  
والبحرى في كل ليلة ألف عليقة [ .

وينتقد أيضا نظام الولاية في عهده فيقول [ وأما الولاية الآن صار البعض  
مضافا لاحد الكشاف والبقية يتولون من الاستاداراه ] .

على أية حال ، هذه وجهة نظر أبداها رجل من حكام الأقاليم في عصره  
مارس الحكم في دمنهور والإسكندرية ، ولم يكتف رأي به بل جهر به في كتابه ،  
وهذا لون طريف يدل على أن الحكام المحليين ، كانوا يشاركون ولاية أمورهم  
رأيهم الصريح في اختيار أنظمة الحكم الملائمة .

وقد زار دمنهور سنة ٨٨٢ هـ السلطان قايتباي في تجواله بإقليم البحيرة مدة  
أربعين يوما زار خلالها ( إداكو ) و ( تروجة ) وعاد مسرورا من نزته (١)  
وترجم السخاوى لمحمد بن عبد الله بن محمد بن خليل بن بكتوت الشمسي ، وهو  
كردى الأصل ، ويعرف بابن بيرم ، كان أسلافه الأكراذ من قدموا مع صلاح  
الدين الأيوبي ؛ أما هو فقد كان « ملك الأمراء » بالبحيرة وحج سنة ٨٩٦ هـ  
وأثنى عليه السخاوى (٢) .

وتحدث ابن زنبيل الرمال (٣) عن دمنهور في القرن العاشر الهجرى فقال :  
[ وإقليم البحيرة مدينة دمنهور وهى كرسى الإقليم وقاعدة الحكم ، وبها بطيخ  
ليس على وجه الأرض أحلى منه ، وقد عمر (أولاد عامر) بها قصورا وصارت  
بلدا معمورا ، يسكنها في زماننا الأمير عيسى بن إسماعيل وهو الحاكم على هذه  
الأقاليم كلها ، وهو من العدل والكرم ، على جانب عظيم ] وباسمه عرفت بلدة  
« حوش عيسى » كما سنرى في مكانه .

وزار الزبيدي (٤) مدينة دمنهور في أواخر القرن الثاني عشر الهجرى ، فقال

(١) بدائع الزهور : ابن لمياس .

(٢) الضوء اللامع : ج ٨ ص ١٠٨

(٣) تحفة الملوك

(٤) تاج العروس : ج ٣ ص ٢١١

[ دمنهور مدينة كبيرة ببجيرة مصر وقد دخلتها ] ولكنه ظن أن (دمنهور - الوحش) قرية صغيرة من أعمال مصر ، وأخرى بالشرقية هي (دمنهور الضواحي) . وقد تحدث (سونيني Sonnini) في رحلته إلى مصر سنة ١٧٧٨ م عن بلدان البحيرة التي زارها ، ومنها دمنهور الشهيرة بتجارة القطن .

وقال كلوت بك إن سكان دمنهور (١) كان يتراوح بين ٨ و ١٠ آلاف نسمة ، وقد كان نابليون أنشأ ديوان القاهرة ، وكان الشيخ الشبراخيت والشيخ الدمنهوري بالنيابة عن إقليم البحيرة في هذا الديوان .

وشهدت مدينة دمنهور خاصة وبلدان البحيرة عامة ومنها الطرانة وحوش عيسى أعنف المارك بن محمد بك الألفي وقوات محمد علي ، فقد أقام الألفي معسكره أمام دمنهور وظل ينتظر الإنجليز في غزوهم الجديد لمصر ، وفي دمنهور أذاع منشورا يخبر أهلها بأنه تقلد ولاية مصر من قبل الباب العالي [ فعليكم أن تفتحوا أبواب مدينتكم لتبرهنوا على إخلاصكم وطاعتكم لي ] ولكن الدمنهوريين قد فطسوا إلى أكاذيبه فلم يأبهوا به ، حتى يس ، فرفع الحصار عن المدينة بعد شهرين . [ وكان قاضى الإسكندرية وعلماؤها قد أفتوا - بناء على طلب قبطان باشا - بمروقهم من طاعة الخلافة ، وجهرهم بالعصيان ، فلم يعبأوا بهذه الفتوى ] (٢) وثبتوا للحصار حتى انتصروا سنة ١٨٠٦ م واتقى الألفي حتفه في ٣٠ يناير سنة ١٨٠٧ قبل أن يصل الإنجليز في حملة فريزر الفاشلة في مارس سنة ١٨٠٧ ، التي انتصر فيها الشعب بينما كان الوالى محمد علي يفكر في طريقة للفرار ، بعد الخذلان الذى أصابه والحقد على المواطنين الذين كانوا هم الجيش المدافع عن كرامة مصر ، وأخيرا ظهر محمد علي في دمنهور ، ومنها بعث إلى الإنجليز وهم في الإسكندرية ليتفاوض معهم في شروط الصلح .

وبما هو جدير بالذكر أن الخراب قد عم جميع بلاد البحيرة وغيرها عقب

(١) لمحة عامة إلى مصر - ص ١٢٥

(٢) مصر في القرن التاسع عشر : لإدوار جوان ص ٣٥٣

حملة فريزر ، في سنة ١٨٠٨ عجز الملتزمون عن دفع الميرى ، وتعطل الخراج ، وفر الفلاحون من أراضيهم ، فاستولى عليها محمد على ، ووزعها على أتباعه ، وأمر برد الفارين إلى أراضيهم ، وأخذ هو يطوف بأنحاء البحيرة ما بين رشيد والإسكندرية بحثا عن أفخر الهدايا من البن والقمشة والأرز الذى نهبه منها من بلاد الأرز ، وبعث به إلى الإسكندرية مع إبراهيم أفندى المهر دار إلى الباب العالى على سبيل الرشوة .

وقد أنشأ محمد على بدمهور مصنعا للغزل به مائة دولاب وثمانون مشطا ، كما أنشأ مصنعا للنسيج الصوف لإنتاج بطاطين الجنود ، وكانت تنقل من دمنهور إلى مصنع الجوخ ببولاق لكبسها وصباغتها (١) .

وفي القرن الماضى زار دمنهور عدد من السياح الفرنسيين منهم ( برون ) و ( شيرويل ) و ( سونينى ) ، وهذا الأخير هو القائل عن دمنهور إنها مدينة كبيرة إلا أن مبانيها غير جيدة لأنها من الطوب الأخضر ، وهى محل إقامة البك ( حاكم البحيرة ) والكاشف ، وهى مركز تجارة القطن الوارد من البلاد المجاورة . وذكرها على مبارك فى الخطط التوفيقية (٢) ، وأعاد ما ذكره الأقدمون من أنها كانت ثمانى بلاد فى الزمن الأول : شبرا + الدمنهورية + قرطسة بلد الحبشى + نقرهه + سكينة ( وهذه الخمسة لا تزال موجودة إلى الآن ) + طموس ( اندثرت ومحلها أبو الريش وتبعد عن دمنهور بخمسمائة متر ) + الأتلة ( وهى التى ذكرها استرابون ) + قراقص ( وهذه الثلاثة قد اندثرت ) ،

ويقول على مبارك إن ( شبرا دمنهور ) فى غرب السكة الحديد على يسار الذهاب إلى الإسكندرية ، وأما ( قرطسا ) فتقع فى شرق السكة الحديد فى مقابل ( شبرا ) و ( نقرهه ) عند السوق على الشاطئ الغربى لترعة الخطاطبة ، وكذلك ( سكينة ) وقد أصبحت مدينة واحدة ، بها قصور تشبه قصور الإسكندرية ، وبها

(١) عمر طوسون : كلمات فى سبيل مصر ص ١٩٨

(٢) ١١ ص ٢٢

ديوان المديرية بجميع لوازمه ، وبها محكمة كبرى تتبعها محاكم النجيلة وأبو حمص والعطف والدلنجات وشبراخيت .

وذكر على مبارك جوامع الجامعة وزواياها ، ومتاجرها وتجارها المواطنين والأجانب والأفرنج وكنائسها ، كما عرض لأهم حوادثها منها : ما ذكره الجبرتي سنة ١٢١٣ هـ من قتل عرب البحيرة للفرنسيين عند الرحمانية ورشيد ، وما ذكره الدوق دوراجوس الضابط الفرنسي في إبريل سنة ١٧٩٨ من فتك العرب بالفرنسيين ، وما فعله المغربي المسمى ( المهدي ) سنة ١٧٩٩ الذي حرض الناس على قتل الفرنسيين ثم ما كان من حصار الألفي لدمهور سنة ١٢٢١ هـ .

وعنى صاحب الخطط التوفيقية بمساجد دمنهور وحصرها فيما يلي : جامع الأتلاقي في حارة باب النصر وهو جامع قديم ، وجامع سيدي محمد الجزيري ، وهو قديم أيضا ويقع على قنطرة السكة الحديد ، وجامع سيدي أحمد الجيشي في حارة الخوفي ، وجامع الأتندي بالسوق وقد بناه الشيخ علي العبادي ، وجامع سيدي مجاهد الذي بالسوق أيضا ، وجامع سيدي زارع بجوار الورشة ، وجامع الخراشي ، ويقع في حارة الخراشي ، وجامع النمر بجارة محمد مصلي ، وجامع السوسي ، وجامع أبي عبد الله المغربي الواقع في نقرهه ، وجامع الشوربجي الذي في قرطسا ، وجامع ابن مسعود القريب من جامع السوسي ، وجامع الزواوي بالصاغة ، وجامع الحبشي بساحة الغلال .

ولم يذكر ( جامع التوبة ) الواقع أمام ديوان المديرية ( مديرية الآن من الآن ) وقد هدم ، وجدد بناؤه وأصبح دليلا على روعة فن العمارة الإسلامية . ثم ذكر الأضرحة فقال : ضريح أبي الريش ، وضريح محمد الزرقا ، وضريح الخراشي ، وضريح أحمد الجيشي ، وضريح سيدي خضر الانصاري ، وضريح البشاشة ، وضريح سيدي محمد الخطيب ، وضريح سيدي محمد أبو طاقية ، وضريح الشيخ الكناني ، كما ذكر كنيسة : إحداهما للإفرنج على قنطرة السكة الحديد ، وكنيسة للأقباط في قرطسا ، وذكر أيضا حمام الزواوي وحمام الحبشي ،

وكذلك مستشفى دمنهور ، وحديثتها التي في شمالها ، ومساحتها يومذاك عشرون فدانا ، وقال إن اسماعيل جدد ديوان المديرية وبجواره محل الضبطية ( البندر ) وأشار أيضا إلى وجود مقابرها في الجنوب ، وقال إن بها أضرحة لكثيرين منهم أبو العباس الشاطر .

وخص بالذكر من دفن بها من العلماء مثل الشيخ عبد الرحمن الحلبي الدمنهورى الذى تولى قضاءها ، وكان محدثا وشاعرا ولد بحلب سنة ٧٥٩ وتفقّه بها ثم بالقاهرة ، ومات فى ٢٠ رمضان سنة ٨٣٨ وترجمه السخاوى فى «الضوء اللامع» وذكر أيضا الشيخ محمد بن على بن عبد الرحمن بن عيسى بن محمد الشمسى الدمنهورى ثم القوى الفخارى ( لأنه كان يبيع الفخار ) وله بدمنهور ونشأ بها وتفقّه على يد ابن الحلال وكان معلم الصبيان بدمنهور ومات ودفن بها سنة ٨٦٠ تقريبا .

وفى ذيل طبقات الشعرا أن منها الشيخ ناصر الدين الدمنهورى الذى قام بهدم كنيسة لقانة وكنيسة دمنهور ، ونصره الله على الولاة الذين خالفوه فى هدمه لها . وذكر الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهورى الذى توفى فى ١٠ رجب سنة ١١٩٢ ودفن بالبستان .

وتحدث (موتسنجر)<sup>(١)</sup> عن البحيرة فى أواخر القرن التاسع عشر فقال إن سكانها ٢١٩٩٨٧ نسمة وبها ٢٨١ بلدا و ١٨٩ مكتبا : بها ٤٦٠٦ صبيا ، وخمسة مراكز للشرطة ، ثم تحدث بإسهاب عن منهور التى كانت سبع مدن ، ولعله نسى مدينة قرطسا : الثامنة ، وقال إنها على تل يبلغ ارتفاعه ستة أمتار ، وذكر بها ٣٥ مسجدا ، ومدرسة للاقباط وأخرى أجنبية ، والشبابه ملحوظ فيما ذكره موتسنجر وعلى مبارك فى معالم المدينة مع اختلاف فى بعض النواحي ،

وذكر (أميكي F. Amici) فى كتابه « مصر القديمة والحديثة »<sup>(٢)</sup> أن أهم المراكز الصناعية فى مديرية البحيرة فى أواخر القرن التاسع عشر هى : دمنهور

(١) « جغرافية مصر »

(٢) Amici : L'Egypte Ancienne et moderne.

والبجورية وحوش غاين وإدكو في نسج الحرير والقطن والصوف والكتان وصناعة الحصر .

وعندما تولى الخديوى توفيق عرش مصر بعد خلع أبيه اسماعيل ونفيه ، بدأ رحلته إلى البلاد في يناير سنة ١٨٨٠<sup>(١)</sup> فوصل دمنهور مساء يوم ١٩ ، واستقبله على المحطة اسماعيل دانش باشا مدير البحيرة وكبار الموظفين والأعيان ، والقاضى والعلماء ومشايخ العربان ، وقنصل فرنسا ، وأطلقت المدافع عند وصول الخديوى وعرض العربان ألعايم على ظهور الخيل .

وفي اليوم التالى نزل الخديوى إلى المدينة ، والمدير فى صحبته ، وزار ضريح أبى الريش كما استقبل ممثلى السلك الدبلوماسى الأجنبى بالإسكندرية وقد قدموا إلى دمنهور للقائه .

وقد نصب سرادق فخم للخديوى ، استقبل فيه فى الليلة الأولى أعيان البحيرة منهم حسنين أبو حمزة ومحمود بك الصيرفى ومحمود باشا الحبشى ، ثم أقيمت مأدبة للخديوى حضرها نحو خمسة وسبعين من مشايخ البلاد والعمد والضباط والأعيان .

ولبست دمنهور أبهى حللها ، وازدانت الشوارع والأسواق والمنازل بالأنوار الكهر بائية ، وفى الليلة الأخيرة ، عملت الصواريخ ، وصلى الخديوى الجمعة بجامع أبى الريش واستقل القطار بعد الصلاة مباشرة عائداً إلى كفر الزيات فى طريقه إلى دسوق ومنها إلى الرحمانية ثم دسوق ثانية ومنها إلى رشيد .

وفى أوائل سنة ١٩٠٧ فسكر الأمير حسين كامل فى إنشاء مدرسة زراعية صناعية بدمنهور ، فدعا أعيان المديرية إلى اجتماع بقصره فى جبارس ، حضره ٢٣٢ شخصا ، وتألفت لجان فرعية لجمع الاكتتابات والتبرعات فبلغت ٢٤٩٧٨ جنيهاً ، وفتحت المدرسة أبوابها فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وقبل بها أولاً ١٥٠

---

(١) Voyage de son Altesse le Khédive dans la Haute et la Basse - Egypte : Le Caire 1881 P : 61.

تليدا بالقسم الصناعى و ١٣ بالقسم الزراعى ، وكان مدير التعليم بمديرية البحيرة يومئذ على بك عمر .

وفى صباح يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٠ نزل المستر رونالد جراهام المستشار الداخلى بمدينة دمنهور قادما من الإسكندرية ، وعائدا إلى مصر فاستقبله فى محطتها سعادة أحمد كمال باشا مدير البحيرة ، وجمهور من العمدة والأعيان ومشايخ العرب ، ثم ركب إلى زرقون الكائنة على مسيرة أربعة كيلومترات من دمنهور فتعهد أعمال تنقية دودة القطن ، وعاد فعرج فى عودته على عزبة حضرة عزتو قطب الكاتب بك عمدة دمنهور ، وعانين الجزء الثانى الذى اختارته الجمعية الزراعية منها لتجربة زرع القطن زراعا عليا (١) .

وفى أول مايو سنة ١٩١١ مر الخديوى عباس بدمنهور فى طريقه إلى مصيفه بالإسكندرية ، فقررت اللجنة المختصة بجمع التبرعات لإنشاء ( الملجأ العباسى ) بالبحيرة ، فألحق أولا بالمدرسة الزراعية ، وكان ينزل به التلاميذ الأغراب عن دمنهور :

وفى أغسطس سنة ١٩١٢ تسلم مجلس مديرية البحيرة المدرسة من اللجنة بعد موافقة حسين كامل باشا واستؤجر لها من ضواحي دمنهور حقول للتجارب مساحتها نحو ٤ فدان ، وأطلق عليها اسم (مدرسة الحقول) ، غير أنه فى سنة ١٩١٣ اتفق مجلس المديرية مع مستر ويلز مدير عام التعليم الصناعى والزراعى بمصر على تحويل مدرسة الحقول إلى مدرسة متوسطة بعد أن كانت تقبل ساقطى الشهادة الابتدائية .

وزار الخديوى عباس حلمى الثانى مديرية البحيرة سنة ١٩١٤ فاستقبله مديرها محمد محمود باشا ، وألقى الشاعر أحمد محرم قصيدة بهذه المناسبة ، بالغ فيها حتى قال :  
لم يسد أنعمك ( الرشيد ) ولا رأت ( بغداد ) عصرا مثل عصرك أزهر

---

(١) جريدة لأهرام فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٠



وأقام محمد باشا الوكيل معالم الزينات بدمنهوور ، ونزل الخديوى بقصره ، وافتتح الخديوى رسميا مدرسة الحقول وذلك فى ٤ مايو سنة ١٩١٤ .

ولما اندلعت ثورة سنة ١٩١٩ ، سرت الشعلة الوطنية حتى ألهبت مشاعر أهل دمنهور بالحاسة الدافقة ، فقامت المظاهرات (١٠) تطوف بشوارعها وميادينها فى ١٢ مارس سنة ١٩١٩ ، وقطعت المواصلات بين الإسكندرية وسائر الأقاليم .

وفى سنة ١٩٢٠ زار السلطان ( الملك ) نوار مدينة دمنهور ، قادما إليها من الإسكندرية بالسيارات ، وقد سبته الوزراء إلى دمنهور بقطار خاص ، وقد أقام أعيان البحيرة سرادقات ومعالم الزينات على طول الطريق فى كفر الدوار وأبو حصص ، وكان مدير البحيرة يومئذ محمود نصرت باشا ، فزار مدرسة دمنهور الزراعية ومدرستها الصناعية ، ومدرسة البنات ومستشفى الرمد ، ووضع حجر الأساس لمسجد الحبشى بحضور شيخ الأئمة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى ، وحسين بك الحبشى ، وعلى باشا مهنا ، وعبد الله بك مهنا ، وعبد الحميد بك البنان سكرتير الجمعية التشريعية وصهر آل الحبشى وأحد الملوك بالبحيرة ، وخليفة بك محمود عمدة الرحمانية ، ومحمود بك أبو خطوة ، و خليل بك الديب ، وفتح الله بك محمود ، وصادق بك محمود ، وأحمد بك دبوس ، ورياض بك دبوس ، وغيرهم .

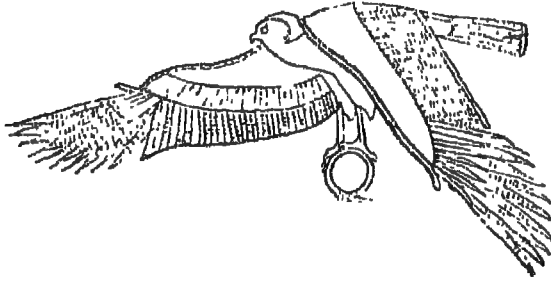
وفى هذا الاحتفال قدم حسين بك الحبشى فنجان الثروة للسلطان فؤاد مرصعا بالماس والياقوت ، وكانت أدوات البناء كلها من الذهب والاحجار الكريمة ، وهكذا نفذ حسين بك الحبشى وصية والده محمود باشا الحبشى .

وزار السلطان بعد ذلك مدرسة الاقباط وتبرع لها بمائتى جنيهه وزار مدرسة التعاون الإنسانى التى أسسها سيف الدين بك الكاتب ومحمود باشا الحبشى والحاج محمد نجاتى وحسن بك الحدينى وعيسى بك نوار وأحمد بك غزال والحاج شحاته أبو الحسن والشيخ عبد الوهاب القاضى ، وكان ناظرها الأستاذ أحمد عبد التى وتبرع لها السلطان بثلاثمائة جنيه ، ثم زار مدرسة المعلمين وتناول الشاى بمتنزه

البلدية ، ووقف الشعراء والخطباء في السرادق بين يديه يلقيون الأشعار والكلمات (١)

وفي الإحصاء الأخير الذي تم في ليلة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٠ بلغ سكان بندر دمنهور وحده ١٢٦ ألف نسمة ، بينما بلغ سكان مركز دمنهور ١٥١ ألفا ، وهم الذين كانوا ٢٣٣٥٣ سنة ١٨٨٢ ثم ٥٢٠٠٠ سنة ١٩٢٧ .

ولم يمس قليل وقت حتى صدر قرار رئيس الجمهورية بقانون جديد رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ بنظام الإدارة المحلية ولائحته التنفيذية ، وبمقتضاه أصبحت « البحيرة » محافظة ، فألغيت تسميتها القديمة « مديرية البحيرة » وأصبح السيد محمد وجيه أباطه أول محافظ للبحيرة ، وأول رئيس لمجلس المحافظة ، ومقره « دمنهور » عاصمة المحافظة .



«رشيد»  
كما وجد في عهد الأسرة ١٨

### رشيد Rosette

«رشيد» مجدك في القديم صحيفة بيضاء لا لبس ولا إبهام  
ملأت . آدبك السماء شوامخا بين السحاب كأنها أعلام

على الجارم

مدينة قديمة ، ولكن عددا كبيرا من المؤرخين ، ولا سيما الإفرنج أمثال

---

(١) عبد الحليم المصري : الرحلة السلطانية وتاريخ السلطنة المصرية قديما وحديثا .

بريشيا وفورستر وبدج يؤكدون أنها عربية لأنها نشأت سنة ٨٧٠ هـ في خلافة المتوكل على الله العباسي .

والحقيقة أن هذه المدينة أقدم من ذلك بكثير ، فهي ترجع في تاريخها إلى ما قبل الأسرة الأولى من العصر الفرعوني ، لأن الملك ( نارمر Namer ) زحف إليها من الصعيد في ثورته الأولى من أجل تحقيق الوحدة بين الوجه البحري والوجه القبلي ، فاصطدم بأهل هذه المنطقة ، وهم طائفة من المواطنين يسمون ( رختو Rekhetou ) (١) أي ( عامة الناس ) ، وهذه الكلمة قريبة من الأصل القبطي لاسم رشيد وهو ( رشيت Rachit ) فصارت ( رشيد ) فيما بعد . ثم إنه في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، أقام الملك منفتح استحكاماته على الضفة الغربية لفرع رشيد شمالا ، وذلك لصد هجمات الليبيين والإغريق والصقليين فانتصر المصريون في أول موقعة حربية بين مصر وأوروبا ، جرت أحداثها على أرض رشيد .

وفي سنة ٦٦٣ ق.م. رست ثلاثون سفينة حربية على ساحل رشيد ، فأصدر بسماتيك الأول أوامره بإقامة معسكر هناك سمي « المعسكر الميليزي » ، لأنه - كما قال استرابون - كان يضم الميليزيين من سكان بعض جزر اليونان ، وغيرهم من الجيوش المرتقة ، التي استخدمها بسماتيك في جيش مصر ، لصد غارات الليبيين من الغرب والآشوريين من الشرق .

ولذا كان كل فرع من فروع الدلتا يسمى باسم المدينة الواقعة عند مصبه . فإن الفرع البولبيني ( فرع رشيد الحالي ) قد سمي بذلك نسبة إلى ( بولبتين Bolbitine ) التي قامت رشيد على أنقاضها أو بجوارها .

فماذا نعرف عن ( بولبتين ) هذه ؟

ذكرها ( هكتاتايوس Hectataeus ) و ( ديودور Diodorus ) وكانت في أيام اليونان سوقا تجارية رائجة منذ العصر الفرعوني ، ولا سيما في عهد الأسرة ٢٦

وفى حديث ( اسطفانوس البيزنطى ) عنها فى القرن الخامس قال إنه كان يصنع بها العجلات الحربية التى ذاع صيتها ، كما أن مدينة فى مثل مساحة بولبتين وأهميتها ، لا بد أن يكون بها معبد على الأقل ، ولهذا يؤكد ( شامبليون ) أن ( حجر رشيد ) كان فى أكبر معابد بولبتين (١) .

ويرجح ( واليس بدج Wallis Budge ) أن بولبتين قد بدأت تندثر ، عقب تأسيس الإسكندرية الواقعة غربى بولبتين بمسافة ٢٥ ميلا (٢) .

هذا هو مبلغ علنا عن مدينة بولبتين ، كأحد موانئ مصر القديمة ، الواقعة فى غرب فرع رشيد ، وقد عرفنا أن ( ميناء كانوب ) قد بلغ قمة الشهرة بالنسبة لهذه الموانئ جميعا ، وكان يقع عند مصب الفرع الكانوبى ، الذى كان يصب قديما عند المكان المعروف حاليا باسم ( الكوم الأحمر ) أو ( الطابية الحمراء ) ، وبقياه تبدو للرائى فى صورة تل من الطين أغلب الظن أنه كان الكف اليمنى لقنطرة على المصب ، وما زاد من شهرة كانوب وجود ( نقراطيس ) الميناء النهري الذى كان يقع على الفرع الكانوبى المنسد ، ثم الإسكندرية التى أصبحت من ذبوع الصيت بحيث غطت على ما سواها من الموانئ المصرية ، وغير المصرية ، الواقعة على البحر الأبيض ، فقد أصبحت عاصمة مصر ، منذ العصر البطلمى ، إلى أن فتحها عمرو بن العاص ، وما لبث أن نقل العاصمة منها إلى القسطنطينية ، ومع ذلك يرد ذكر رشيد صراحة على السنة مؤرخى الفتح الإسلامى لمصر .

فقد جاء فى فتوح الشام (٣) للواقدي أن عمرا كنب إلى الخليفة عمر يخبره بفتح مريوط والإسكندرية ورشيد وفوه ودمهور والبحيرة (٤) وغيرها من بلاد الوجه البحرى ، وبعث بالكتاب عامر بن لؤى ، وقال الواقدي فى مكان

L'Egypte sous les Pharaons : vol : II P. 241 (١)

The Rosetta Stone (٢)

(٣) ج ٢ ص ٩٤

(٤) البحيرة هنا مستعملة على أنها إحدى كبر اقليم البحيرة الحالية

آخر إن الصحابة — لما فتحت مصر والوجه البحرى — تفرقوا في الإسكندرية ورشيد وغيرها وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف بالمنزلة . منهم القعقاع بن عمرو التميمي ، وهاشم بن المرقال ، وميسرة بن مسروق العبسي ، والمسيب بن نجبة القراري .

وقال أيضا ابن أسحق الأموي (١) [ وسار المتداد من دمياط إلى الإسكندرية وحدث عمرو بن مسافر فتح من دمياط ففرح عمرو وكتب إلى عمر يبشره بفتح الإسكندرية ورشيد وفوه ودمهور والبحيرة ودمياط وسمنود ، وبعث الكتاب مع عامر بن لوى ] .

وجاء في « الانسيكلوبيديا الفرنسية الكبرى » ، (٢) و « القاموس العالمى للتاريخ والجغرافيا » ، (٣) أن رشيد قد أسسها العرب سنة ٨٧٠ هـ ( في زمن الخليفة المتوكل على الله العباسي ) بالقرب من بولبتين Bolbitine وميتليس Metelis ، وأن خرائب معبد بولبتينوم Bolbitinum كانت فيما يجاورها ، ويقول (بريشيا) [ إن هذه المدينة القديمة لا بد أنها كانت ممتدة على ضفة النيل من رشيد إلى مسجد أبو منصور ] ويعتمد على آثار المباني القديمة — التي وجدت أجزاء منها بكتاباتهما وأودعت متحف الإسكندرية وتدل على أنها ترجع إلى العصرين البطلمي والروماني ، وأنها ربما كانت من مدينة بولبتين ، ثم يستطرد بريشيا قائلا : [ ومن بين هذه الكتابات ، كتابة في رشيد بالذات تدل على وجود معبد كبير — في المدينة القديمة — كان مكرسا لعبادة كليوباترة ، ذلك هو الاثر الرائع من الجرانيت الأخضر الذى اكتشف في معبد مصرى ، واستخدم في إحدى الكنائس القبطية ] ويمضى بريشيا قائلا [ إن بقايا الفراعنة كثيرة بها : مثل الأعمدة الجرانيتية ، وقد جمع من رشيد عدد كبير جدا من رموس الأعمدة الرخامية عن النبطين الكورتي والإيوني ، ولا يزال الكثير منها في رشيد إلى الآن ] (٤)

(١) فتوح مصر وأعمالها : ص ٨٣

La Grande Encyclopedie : T : 28 (٢)

Dict. Universel d'Hist. et de Geogr. (٣)

Breccia : Alexandria ad Aegyptum P. 355,356 (٤)

أما (فورستر) فيرى أن مدينة رشيد والميناء النهري بولبتين قد أنشئتا حول هذا الموقع الراهن ، إلى هنا من المصب قليلا . عند جامع أبي منصور [ ولا يعرف شيء عن تاريخ بولبتين ، غير أنه لما تأسست الإسكندرية سنة ٣٣١ ق.م. انقطعت الحركة عن مصب الفرع البولبتي للتيل وانتقلت منه إلى الفرع الكانوبي وإلى موانئ الإسكندرية ، ونتيجة لذلك اضمحل شأن مدينة بولبتين ] (١)

وإذا كانت رشيد قد أنشأها المتوكل سنة ٨٧٠ هـ فإن مصب الفرع الكانوبي قد جف تماما في هذه السنة أو ما يقرب منها ، وبذا انعزات الإسكندرية عن النظام المائي في مصر ، [ واضطرت الملاحة إلى العودة ثانية إلى الفرع البولبتي (فرع رشيد) ، وظلت الملاحة فيه ما يقرب من ألف سنة ] (٢) .

نعم ، لقد فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٦٤١ م وكانت « رشيد » معروفة بهذا الاسم كما رأينا في كتابه إلى الخليفة - ولكن « كانوب » بالقرب من أبو قير كانت أهم ميناء على ساحل البحر شرقا وغربا ، حتى بعد تأسيس الإسكندرية بفترة ليست بالقصيرة .

ولما أنشأ المعز لدين الله مدينة « القاهرة » سنة ٩٦٩ م ضعف المركز التجاري للإسكندرية ، وأصبحت رشيد ودمياط تتنافسان في هذا الميدان ، أما رشيد ، فقد اتسع العمران فيها ، وانتعشت تجارتها واغتنى تجارها ، وكثرت فيها القصور الفخمة ، وامتدت إلى أطرافها ، وازدانت بالحدائق الغناء ، وكثرت أشجار الفاكهة ولا سيما الكروم ، وناطحت مآذنها السماء ، وعمرت مساجدها بالمصلين والقاصدين للاستماع إلى نخبة من العلماء الذين كتبوا مؤلفاتهم بها .

ولكن رشيد قد انحط شأنها بالتدريج ابتداء من نهاية القرن الخامس عشر حينما اكتشف ( فاسكو دا جاما ) طريق رأس الرجاء الصالح ؛ وتحولت تجارة مصر إلى جنوب إفريقية ، ومع ذلك كان ثغر رشيد بمثابة أقرب المسالك ما بين دار السلطنة ودار الولاية ، ففي خلال القرون ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، كانت رشيد

---

Forster : Alexandria, A History and a Guide P : 199 (١)

Ibid : P : 200 (٢)

نقطة هامة للقادم من الإسكندرية في طريقه إلى القاهرة ، عبر فرع رشيد ، أو النادم مباشرة من البحر إلى القاهرة .

وعاد الاضمحلال يدب بعصاه في طريقه إلى رشيد ، بعد حفر ترعة المحمودية سنة ١٨١٩ ، فأصبحت الملاحة مباشرة من القاهرة إلى المحمودية في النيل ، ومنها في ترعة المحمودية إلى الإسكندرية ، دون أن تظفر رشيد بطاؤل ، منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا .

هذه لمحة عابرة عن التطور العمراني لمدينة رشيد ، وفق الظروف المختلفة ونستطيع أن نتابع معالم الحياة العامة فيها منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم فيما يلي .  
المعروف أن رشيد قد دخلت في الإسلام على يد عمرو بن العاص بعد فتح الإسكندرية عام ٦٤٠ ، وكان حاكم رشيد القبطي يسمى (قزماس) أو (قزمان) في بعض الروايات وهو الذي عتمد صلحا مع عمرو ، وأدى الجزية للمسلمين ، وظلت الكنائس في رشيد كما هي لمن بقى على دينه من أهلها .

وكان من الطبيعي أن تقلص ظلال العمران عن رشيد بعد الفتح الإسلامي كنتيجة طبيعية لاتتقال العاصمة المصرية من الإسكندرية إلى القسطنطينية وخوف الفاتحين المسلمين من ركوب البحار وخوض الأنهار .

ومع ذلك استطاب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم سكنى رشيد فعمروها ، وفتحوا قلوب أهلها وقلوب جيرانهم على نور الإسلام ، فأقاموا البيوت ، وزرعوا الأرض وابتنوا المساجد ، وأطلقوا على مقابر المسلمين بها دكوم الأفراح ، لأن أولياء الله هم الذين عند الموت د يفرحون ، بلقاء ربهم ، وقد دفن بهذا الدكوم وفي أرجاء رشيد نخبة من هؤلاء الصحابة الأجلاء ، من سند كرمهم في دأعلام رشيد ، وكان أقباط رشيد قد ثاروا سنة ١٣٣ هـ فأرسل إليهم مروان بن محمد حملة فهزمهم .

وفي القرن الثالث الهجري ، كانت رشيد [ مدينة عامرة آهلة ، لها ميناء يجرى فيه ماء النيل إلى البحر المالح ، وتدخله المراكب من البحر حتى تصير في

النيل [ (١) ] .

وفي القرن الرابع الهجري تعرضت رشيد للبعارك البحرية التي جرت بين العباسيين والمغاربة ، ففي سنة ٣٠٦ (٢) أرسل المقتدر بالله العباسي أسطولا من بغداد ، التقى عند رشيد بأسطول المهدي صاحب المغرب . فانتصر العباسيون عند رشيد ، واحترقت مراكب المهدي وفي الكثير من رجاله ، ووقع الباقيون في الأسر .

وفي هذا القرن كانت رشيد إحدى كور مصر أو عملا من أعمالها (٣) ولكن اضمحل شأنها ، فصارت « إخنا ورشيد » (٤) أي إداكو ورشيد كورة واحدة ، وكان يرشيد أسواق صالحة وحمام وبها نخيل كثير ، ولها ليراد واسع ، كما يقول ابن حوقل (٥) ، أما المقدسي (٦) فقد اعتبرها إحدى مدن الإسكندرية .

وكانت رشيد ضيعة يملكها الليث بن سعد ، وتدر عليه خيرا كثيرا ، كما يقول البكري (٧) .

وفي القرن السادس الهجري تحدث عن رشيد كاتب مراكشي (٨) مجهول الاسم فقال [ وهي مدينة كبيرة على كثيب رمل عظيم إذا هبت الريح الغربية - وهي تشتد عندهم - ملأت عليهم سكاكهم وبيوتهم رملا ، فلا يقدرّون على التصرف في أسواقهم ، وهم على ضفة النيل قرب البحر ، ومن أعجب متزهات

(١) اليعقوبي : البلدان .

(٢) المعريزي اعطاء الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ص ١٠٣

(٣) قدامة بن جعفر : الخراج وصفة الكتابة : ص ٢٤٨

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك

(٥) المسالك والممالك

(٦) أحسن التقاسم ص ١٠٣

(٧) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب

(٨) في كتابه « الاستبصار في عجائب الأمصار » ص ٨٩



الدنيا ضفة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه ، ولا غلة لثمار الأرض كغلة هذه الناحية ] .

وقدم أبو بكر الطرطوشي (١) من لبنان صحبة رجل آخر إلى رشيد حيث بها - على حد قوله - شيثان مباحان : الملح والخطب ، فأقام بها هو وصاحبه . يحملان الخطب والملح على ظهورهما ويديانها فيقتاتان بها ، حتى قتل العبيدي صاحب مصر جماعة من فقهاء الإسكندرية ولم يعد بها فقيه ، وسمع أهل الإسكندرية بالطرطوشي ، فركب إليه قاضيها ابن الحديد وبعض أعيانها ، وظلوا يبحثون عنه حتى استمالوه فركب معهم وزل بين ظهرانيهم ونشر العلم بينهم حتى توفي بالإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ ودفن بها .

ويضم أبو صالح الأرمي (٢) لإدكو والجديدية إلى رشيد ويجعل من هذه النواحي الثلاث إقطاعا واحدا عبرته ثلاثة آلاف دينار .

كما أن البكري قد أشار إلى رشيد كأحد ثغور مصر ، وإلى الاستحكامات التي بها مادام قد ذكر صراحة « رباط رشيد » ، والرباطات الأخرى التي على ساحل البحر .

ولقد أسهب الإدريسي الصقلي (٣) في ذكر المراحل التي ينقطعها المسافر من مصر إلى الإسكندرية منحدرا في فرع رشيد طبعما ، إلى أن وصف الطريق من رشيد إلى الإسكندرية كالاتي :

[ وأما النزول إلى رشيد فعلى معظم الخليج ( خليج شابور ) من سمديس إلى قرية الحافر ( منية ابن السعيد ) .. ويقابلها في الضفة الشرقية قرية نطويس الرمان ( مطويس ) ، ومن الحافر إلى الجديدية ١٥ ميلا وهي قرية عامرة ، ومن الجديدية إلى رشيد ، ومن رشيد إلى الإسكندرية ٦٠ ميلا وذلك أنك تسير من رشيد في

(١) شكيب أرسلان : الحلال السندسية ٣

(٢) أخبار من نواحي مصر وإقطاعها ص ١١

(٣) نزعة المشتاق في اختراق الآفاق

الرمال إلى أبو قير ٣٠ ميلا إلى القصرين إلى الإسكندرية ٣٠ ميلا [ .

وقد جاء في ( الزهرة ) عن رشيد أنها مدينة متحضرة بها سوق وتجار وفعلة ( عمال ) ولها مزارع وغللات وحنطة ( قمح ) وشعير وبها بقول حسنة كثيرة ، وبها نخيل كثير وأنواع من الفواكه الرطبة ، وبها من الحينان وضروب السمك من البحر المالح والسمك النيل كثير .

وفي القرن السابع الهجري تحدث ياقوت الحموي (١) عن رشيد فقال [ بلدة على البحر والنيل قرب الإسكندرية [ فهي لذن بلدة صغيرة بعد أن كانت مدينة .

وتعرض ميناء رشيد لكثير من غارات القراصنة من أهل جزر البحر الأبيض ، وقد أشار النويري السكندري (٢) إلى المراكب الستة التي هجمت ليلا على أبو قير سنة ٧٦٤ هـ ، حتى حاصرها الصيادون برشيد ، [ وزل اللصوص من ثلاثة مراكب إليها ، ففطن لهم المسلمون . فأتوهم بكثرة فهرب اللصوص ، ولم يجدوا مركبا واحدا من المراكب فسبقتهم أحمد الجداوى المعروف بالباشق إلى سقالة المركب ورماها في البحر ، فألقى اللصوص بأنفسهم في البحر ليعوموا إلى المركب ففرقوا ، خوفا من المسلمين المهاجمين لثقل الحديد الذي عليهم ، فقتلهم البحر بعد أيام على الساحل ، وكانوا ثمانين رجلا ، وأخذ أهل رشيد سلبهم وأحرقوهم بالنار ] .

وذكر أيضا قصة الرشيدى الذى صمد أمام القراصنة عندما رست سفينتهم على جزيرة رشيد ، وأسروا منها خمسة وعشرين ، ما بين رجل وامرأة ، وتصادف أن قتل أحد الإفرنج عجلا كان خلف بتمرة ، فهجمت عليه حتى قتلت ، وأخذت بثأر ولدها ، وفطن ثمانية من الرعاة كانوا في نخس بحاور ، أراد الإفرنج أن يأسروهم ، فدفعتهم البتمرة عن المسلمين ، حتى قدم أهل الجزيرة بأسلحتهم ،

(١) معجم البلدان

(٢) « الإلام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية في وقعة الإسكندرية في سنة ٧٦٧ هـ وعودها إلى حالتها المرضية »

فأجلوا اللصوص عنهم [ وبسبب ما حل في جزيرة رشيد طمع القبارصة في الإسكندرية ] كما يقول النويرى ، أى أن هذا كان من الاسباب المباشرة التى أدت إلى غزوة القبارصة للإسكندرية سنة ٧٦٧ هـ التى سميت « وقعة الإسكندرية » .

وزار رشيد إبراهيم بن محمد بن ليدمر العلائى المثير بابن دقياق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ وصاحب كتاب « الانتصار لواسطة عقد الامصار » وسجل زيارته لرشيد في هذا الكتاب حيث قال (١) :

[ نغر رشيد المحروس عبرته ٥ آلاف دينار ، وبلدته عند مجمع البحرين ، وبها البرزخ المذكور في القرآن ؛ وتجاهها جزيرة تعرف بالجزيرة الخضراء . وبالجزيرة المذكورة قبة تعرف بقبة الخضر عليه السلام ، رأيتها في سنة ٧٧٩ هـ ، ويوجد بهذا المكان فرس النيل ، وبهذه المدينة جامع وحمام ، وأمير مركز ، وبها ( كوم الافراح ) به قوم صالحون ، وهو مكان مبارك ، وبأعلى الكوم المذكور منار يرى منه مراكب الفرنج القادمة ، (٢) عمره السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، وبأسفله برج عمره الأمير صلاح الدين بن عرام ، على شاطئ النيل ؛ وأوقفه ؛ وجعل به سلاح أوقفه للمجاهدين ، وبالبرج المذكور كتاب سليل به أيتام يقرءون ، وهذه البلدة كثيرة شجر الرمان والنخل ، وأهلها قليلون ، وعامتهم صيادون في السمك والطير ، وبكوم الافراح مساجد معروفة بإجابة الدعاء ، وبأسفله على شاطئ النيل مسجد يعرف بمسجد النبي ، وأهل هذه المدينة كلهم مرابطون ] .

وليس من المبالغة فى شىء ، إذا قلنا إن هذا الوصف يعتبر أقدم طبوغرافية لمدينة رشيد فى القرن الثامن الهجرى ، أتخفنا به ابن دقياق قبل غيره من المؤلفين . وظل رباط رشيد قائما للمجاهدين فى سليل الله حتى القرن التاسع الهجرى فيقول

(١) - ٥ ص ١١٤

(٢) أشار اليه المقرئى فى أخبار سنة ٦٥٩ هـ فقال فى القسم الثانى من الجزء الأول من « السلوك لمعرفة دول الملوك » عن الظاهر بيبرس « وبني بنغر رشيد مرقبا لكشف البحر »

المقریزی (١) ] وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سيل الله : البرلس ورشيد والإسكندرية وذات الحمام والبحيرة وإخنا [ وفي مكان آخر (٢) يذكر أعمال الديار المصرية وكورها ، فيقول : كورتا إخنو ورشيد ولها ١٧ عملا ، وفي كور أسفل الأرض يذكر في الخوف الغربي : كورتى إخنو والبحيرة ورشيد .

وفي سنة ٧٧٥ هـ هجم قراصنة الإفرنج على رشيد (٣) فخرج إليهم الأتابكي منجك في عسكره ، فصددهم حتى عادوا إلى بلادهم يجررون أذيال الخيبة .

ولما كانت رشيد أحد المنافذ الرئيسية للغزاة ، فقد زادت عناية الحكومة المصرية بشغلها طوال القرن الثامن الهجرى ، وكثر قدوم الحكام إليها ليتفقدوا بأنفسهم وسائل الدفاع بها ، وفي الوقت نفسه كثرت بها العلباء والفقهاء ، فقد أنشأ فيروز الرومى العرامى برجا برشيد ووقف عليه وقفاً ، أما هو فكان كما يقول السخاوى [ يحفظ بعض تاريخ ومات بالقاهرة في حدود سنة ٨٥٠ هـ ] (٤) ، وفي سنة ٨٨٤ هـ أنشأ بها المتوكل على الله برجا أيضا .

والسخاوى المؤرخ قدم إلى رشيد وأخذ عن الجمال الرشيدى ، أحد المسندين المشهورين في علم الحديث ، وكان السخاوى يطلبه أيضا بأمر دينار ودسوق وفوة ، وقد نوه السخاوى في أماكن متباعدة جدا من كتابه الضخم ببعض معالم رشيد ، استطعنا أن نلتقطها منه في مناسبات عدة منها : أن السلطان قايتباى أنشأ بها برجا في عام ٨٧٦ هـ ، وأقام بها سلسلة حديدية ضخمة زنتها ٢٥٠ قطارا ، وتم إعدادها تحت إشراف الأمير يشبك الدوادر ، كما أنه بنى سورا حول رشيد لحمايتها من الغارات عليها ، وذكر السخاوى وابن إياس أنه أنشأ برج رشيد سنة ٩٠١ هـ .

(١) الخطاط ١ ص ٢٨

(٢) الخطاط ١ ص ٧٢

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور

(٤) الضوء اللامع

وفي ٢ رمضان سنة ٩٢١ هـ سار السلطان الغورى من الإسكندرية إلى رشيد فأمر بإنشاء سور على شاطئ البحر وأبراج لحفظ الثغر .

وقد دعا تجار (فلورنسا) إلى زيارة ثغور مصر ، وكان فرع رشيد - خاصة - محظورا دخوله على الأجانب ، باعتباره أكبر الثغور جميعا ، ومن أجل هذا كان عليهم السير برا فيما بين الإسكندرية ورشيد بطريق البر في ذهابهم إلى القاهرة .

وبعد ذلك بنحو عامين ، قدم السلطان سليم الأول العثماني بجيوشه لفتح مصر ولما علم الأمير الدوادار بوصول الاسطول العثماني إلى رشيد والإسكندرية ، عبأ العسكر ، وما لبثت رشيد أن أصبحت أقرب الثغور المصرية من اسطانبول بعد أن فتح العثمانيون مصر سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٧ م) (١)

أما السلطان سليم الأول العثماني فقد ركب النيل وزار قوة وغيرهما من البلاد ولما أعجب بما فيها من خيرات كان يتمتع بها الجراكسة ، قال : [ إن هذا الإقليم لا نظير له في كثرة الأرزاق والخيرات ] ثم انحدر إلى رشيد ، وأحاط بها علما ثم طلع في البر إلى الإسكندرية (٢) .

وتحدث ابن زنبيل الرمال عن رشيد ، وقد عاش مدة بأبوقير ، قال : [ رشيد : من ثغور مصر بها «كوم الأفراح» فيها مقابر كثير من الصحابة ، وهي مدينة حصينة بينها وبين أبوقير نحو ثمانية فراسخ في البر ، وفي مدينة رشيد يعمل السكر ويجلب منها إلى جميع الممالك ، وكذلك الأرز والسمك بها كثير ، وأصناف اللحومات والفواكه ] (٣) .

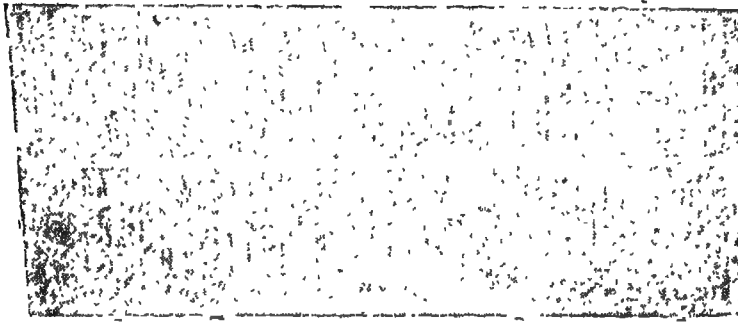
ونستطيع أن نقول إن رشيد قد بلغت أوج حضارتها ابتداء من القرن العاشر الهجرى (١٦ م) أى بعد أن صارت مصر ولاية عثمانية ، فقد أنشأ بها خادم

(١) ابن إلياس : بدائع الرمور

(٢) ابن زنبيل : تاريخ السلطان سليم : ص ١١٦

(٣) ابن زنبيل : تحفة الملوك والرغائب

باشا سليمان العثماني في أيام ولايته ( ٩٣١ - ٩٣٤ هـ ) قيسارية وفندقا (١) ، وأنشأ بها أيضا داود باشا الوالي العثماني في عهده ( ٩٤٥ - ٩٥٥ هـ ) فندقا آخر ، سمي ( خان داود باشا ) ، وقد اكتشف صالح بك صادق لوحة افتتاح هذا الخان بمكان كنيسة الأروام برشيد .



اللوحة الرخامية التذكارية  
لفنات داود باشا برشيد سنة ٩٤٨ هـ

وهذه اللوحة قطعة من الرخام الأبيض طولها متر وعرضها ٤٥ سنتيمتر ، ومكتوبة بالخط العثماني في سطرين ونصها كالآتي :-

[ أمر بإنشاء هذا الخان تقريبا إلى الملك الديان المقام العالي الأعظمي ملك الأمراء بالديار المصرية مولانا / داود باشا أدام الله علو جنابه وجعل السعادة عنوان كتابه ليصرف ريعه في وجوه الخيرات وطرق المبرات وذلك بإشارته وصية المختار ذى المفاخر أحمد حاجي وكان فراغه في سنة ٩٤٨ هـ ] .

وهذه اللوحة موجودة حاليا بمكتبة بطيركية الروم الأورثوذكس شارع بور سعيد بالإسكندرية ، وقد اطلعت عليها ، وأرى أن على مصلحة الآثار ألا تحرم متحف رشيد من هذا الأثر ، الذي لا يمت إلى بطيركية الروم

(١) الإسحاق : أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول

الأورثوذكس بأدنى صلة اللهم إلا أنه عشر عليه في أنقراض كنيسهم برشيد ،  
أما وقد أنشئ متحف برشيد فهو أولى به .

هذا وقد عقد العلامة (إتين كومب Et. Combe) <sup>(١)</sup> فصلا ضافيا بمجلة الآثار  
بالإسكندرية عنوانه : [ أثر عربي لفندق (خان) عثمانى في رشيد ]

Inscription Arabe d'un Khan Ottoman à Rosette.

وفي سنة ٩٥٦ هـ أنشأ الوزير سمين علي باشا فندقا ثالثا برشيد ، وخانات  
أخرى في (قوة) ، كما عمر وكالة كبيرة في رشيد أيضا (٢) .

وقد عمر بها الوالي العثماني أحمد باشا حافظ الخادم في سنة ٩٩٩ هـ وكالة  
وقهوة وربوعا (٣) كما أنشأ بها محمد باشا السلحدار (سنة ١٠١٦ - سنة ١٠٢٠ هـ)  
الذي صار فيما بعد الوزير الأعظم وكالة أخرى ، نزل بها الشيخ محمد بن عبد الله  
الحسيني الموسوي الحجازي في ربيع الأول سنة ١٠٩٣ هـ الموافق مارس سنة  
١٦٨٢ م ، وكان من المألوف أن ينزل بها كبار المسافرين ، كما أنه عمر بها بجوار  
هذه الوكالة عدة حوانيت وقهوة وسوقا للصاغة وغير ذلك ، وأخذ غالب الجزر  
المقابلة لرشيد (٤) .

وليس أدل على انتعاش رشيد اقتصاديا من ذلك الخبر الذي أورده الإسحاق  
عندما دخل الوالي الجديد إبراهيم باشا السلحدار نجر رشيد في ٢ شعبان سنة ١٠٣١ هـ  
وفي عهده ارتفع غلاء الأسعار ، وضبط بيع الذرة في دمياط في مدة ثلاثة شهور  
فبلغ أكثر من ستين ألف لاردب [ أما ما بيع برشيد فضعف ما بيع بدمياط فإن  
رشيد أكثر واردا من دمياط ] (٥) .

Bulletin de la Société d'Archéologie d'Alexandrie N : 35 (١)

(٢) البكري : السكواك السائرة في أخبار مصر واقاهرة

(٣) الإسحاق : أخبار الأول ص ١٥٧

(٤) الإسحاق : أخبار الأول ص ١٦٥

(٥) الإسحاق : أخبار الأول ص ١٧١

ومعنى ذلك أن رشيد في العصر العثماني كانت الثغر المصرى الأول ، الذى حظى بالمنشآت العثمانية وأكثرها من المساجد والوكالات والمقاهى والمتاجر ،

وكان يوجد برشيد مؤسسات أوروبية لمختلف الدول وذلك فى القرن السادس عشر ، وكان بها قناصل كثيرون يمثلون هذه الدول وأولها البندقية التى أنشأت لرعاياها برشيد فندقا Fondique نظرا لتفوق تجارتها مع رشيد على سائر الدول الأخرى .

ومن ثغر رشيد جرد (برسباى) سنة ١٤٢٦ حملة بحرية يقودها (تغرى بردى) لفتح قبرص ، فعادت غائمة سالمة كما سئرى تفصيل ذلك فى باب الكفاح .

وعندما تحدث (شارل دلا رواسير) <sup>(١)</sup> عن البحيرة ، مر سريعا على دمنهور فى حديثه ليسهب فى ذكر رشيد ، المدينة الثانية فى البحيرة ، على حد تعبيره ، فوصف أهلها الكرام ، ووصف حدائقها وأشجارها الكثيفة التى كانت تحيط بها ، وعرج على منازلها الجميلة المتقاربة من النيل ، حيث ترسو السفن ذات الخوذة الثقيلة ، وتحدث أيضا عن مساجدها وشوارعها ، وإضاءتها ليلا بالفوانيس .

وزارها أيضا (ثيفينو Thevenot) سنة ١٦٥٥ وقال عنها إنها [ أجمل مدينة بعد القاهرة ] بما اشتهرت به مبانيها ومحالها التجارية من روعة وعظمة ،

أما (مايت Mailet) فقد زارها سنة ١٦٩٢ بوصفه قنصلا لفرنسا ، وأدرك أن البحر لم يكن يبعد عن المدينة بأكثر من نصف فرسخ ، ثم صارت سنة ١٧١٨ تبعد عنه بمسافة تزيد على فرسخ .

ويقول (جيمسل Jemsel) <sup>(٢)</sup> إنه كان يوجد برشيد فى سنة ١٦٤١ م عدد كبير من الفنادق للتجار ونحو أربعين منها للأجانب وأصحاب القوافل . وفى خلال القرنين ١٧ ، ١٨ زاد عدد هذه الفنادق والمؤسسات الأوروبية

Ch. de la Roncière : La Geogr. P : 250 (١)

Itinéraires en Terre Sainte : P : 521 (٢)



في رشيد على نحو ملحوظ <sup>(١)</sup> كما كان بها سكن خاص للسيو فارسي Varsy قنصل فرنسا في رشيد ، وكان هذا السكن يقع عند البوغاز (٢) .  
وقد كانت رشيد في عهد المماليك تقاسى من مظالمهم القادحة ، ومنها (ديوان البدعة) الذى أنشأها مراد بك ، وبالع في فرض الضرائب على الغلال المصدرة إلى الخارج من ميناء رشيد ، ووكل أمره إلى أحد أعوانه وقد أفحش في الظلم حتى أثرى .

ويقول الجبرتي [ وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيين وطمعهم في الإقليم المصرى ] <sup>(٣)</sup> .  
وكان في شمال رشيد على بعد فرسخ منها قلعة حصينة تسمى « القلعة المربعة » شهدت المعارك التى جرت بين الإنجليز والفرنسيين سنة ١٨٠١ م ، ثم احتلها الفرنسيون وأطلقوا عليها ( قلعة جوليان Snt. Julian ) تخليدا لذكرى أحد جنودهم الذى مات هناك ، والمعروف أن (حجر رشيد) قد عثر عليه (بروشار) في هذه القلعة ، التى يجب ألا يطلق عليها أى اسم آخر غير « قلعة رشيد »  
وفي كتاب « وصف مصر » الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية ، كتب (جولوا Jollois) فصلا ضافيا عن مدينة رشيد وفنادقها الفسخرة المباني ووكالاتها التجارية الواسعة (٤) .

وكتب (هرز Herz) في تقريره عن آثار رشيد سنة ١٨٩٦ (٥) وكذلك (بارتيكولو Particolo) في تقريره عن فنار رشيد : Rapport sur l'inspec tion de Rosette ولاحظتهما لم يذكرهما غير وكاليتين هما بقايا الوكالات العديدة .  
وقد تحدث Monconys سنة ١٦٤٧ م عن الحرية التى كان يتمتع بها التجار الأجانب برشيد أكثر من غيرهم في الإسكندرية ، وذكر الدور الذى كان

(١) Binos : 1777 . Thevenot : 1657 . Coppin : 1647 .

(٢) Thurman : Bonaparte en Egypte p : 49

(٣) تاريخ الجبرتي : سنة ١٢١٥ هـ

(٤) Description de l'Egypte T : 13 - 1 . p : 497 - 554

(٥) Herz : Rapport sur les monuments de Rosette

يؤديه ، المقهى ، في هذا الوقت حيث تقدم القهوة والخمر ، وتعرض الألعاب  
البهلوانية على ضوء الشموع الخافتة (١) .

ووصف لنا ( برى Perry ) في كتابه View of the Levant :  
كيف وصل بأمتعته إلى ميناء رشيد ، وشدة اهتمام أصحاب المراكب بنقل  
أمتعة الوالى الجديد : على حكيم أوغلي (٢) .  
وفيا إلى طائفة من الأحداث والإجراءات التى جرت فى رشيد منذ مطلع  
القرن الماضى :

- — فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٣٤ صار كل من على بك السلانكلى قاجاى  
باشا و خليل أفندى حاكم رشيد ، بأمر محمد على .
- وفى سنة ١٢٤٤ هـ أصدر أمره إلى محافظ رشيد بنقل مائة إردب أرز  
رشيدى بدون ملح لمخزن الإسكندرية ، وشحنها إلى مرسيليا على سبيل التجربة ،  
كما أمر بإقامة مصنع للغزل به ١٥٠ دولا با و ١٠٠ مشط لنسج قلع المراكب ،  
ومصنع بخارى لتبييض الأرز ، وردت آلاته من إنجلترا بإشراف المهندس جالويه ،  
ومدبغة لديغ جلود الماعز والعجول البيضاء الصغيرة بإشراف الميسو روس ، مع  
إرسال المدبوغ أولا بأول إلى ناظر المهمات لعمل قايش العساكر والجربنديات  
التي تزمهم ، ومصنع لإنتاج الحديد اللازم للسفن (٣)
- فى ذلك الوقت عاد الجيش من حرب المورة ، فأمر الباشا بتوزيع عدد  
منهم على رشيد .

— وكتب مطوش بك أميرالاي البحرية إلى الباشا بوجود رمل أسود به أثر  
حديد عند بوغاز رشيد ، فأمر الباشا محافظ رشيد فى ٩ شعبان سنة ١٢٤٥  
بإرسال ثلاثين أو أربعين قنطارا ، لاستخراج الحديد من هذه الرمال ، واستخدام  
الرمل الباقى فى الدواوين لتجفيف الكتابة ، حيث أن النشاف لم يكن قد  
اكتشف بعد .

(١) Coppin . Bouchier de l'Europe .

(٢) ص ١٠ :

(٣) عمر طوسون : كلمات فى سبيل مصر + أمين سامى : تقويم النيل

— واشتهرت رشيد بصناعة نسيج قلع السمن ، فأبدى الباشا استحسانه لمحافظ رشيد ، وأخبره بأنه حسب أوامره قد تنبه على مغازل القطن بتوريدها إلى رشيد .

— وكان حول رشيد برية تربي فيها الخنازير ، وعلم الباشا بذلك فأصدر أمره إلى المحافظ في ١٠ من ذى الحجة سنة ١٢٤٦ بإرسال ٣٠٠ أقة من شعر الخنازير ، فإن لم توجد هذه الكمية يتعين على أحمد باشا تكليف عمال لصيد الخنازير ، وإرسال المطلوب من شعرها .

— وفي سنة ١٢٤٧ أنشئء محجر صحى برشيد خارج البوغاز حسب تصميم المهندس ستيرزن ، وأشرف على البناء أحمد أفندى ناظر مبانى الإسكندرية ، وصدرت أوامر الباشا بتعريف القناصل بذلك ، خوفا من نقل الأوبئة .

— وقد أشار محافظ رشيد على الباشا بإنشاء طواحين هوائية بجبهة البوغاز ، فوافق الباشا على هذا الطلب ، وأصدر الأمر بإرسال نجار (وطواحينجى) وأحجار الطواحين ، وأمره بالإكثار من الطواحين ، على قدر الإمكان ، لماذا ؟ ( لتكفى الالايين الموجودين برشيد على الأقل ) ، وقد انتشرت هذه الطواحين فعلا على ساحل البحر فيما بين رشيد والإسكندرية ، منذ ذلك التاريخ (١٢٤٧-١٨٣٢م) ولا تزال بقية منها على التل المرتفع بإدكو المسمى (كوم الطواحين) .

وصدر أمر الباشا إلى المحافظ في ٢٩ من ذى الحجة سنة ١٢٤٧ بالقبض على مائتى مراكبى رشيدى وإرسالهم فورا للعمل كبجارة فى الأسطول المصرى .

— وفى ١٧ شوال سنة ١٢٦٣ صدرت الأوامر بترقيم مساكن رشيد وأزقتها ومحلاتها كسائر المدن الكبرى والعاصمة .

— وأنشئت بها فى العام التالى دائرة لضرب الأرز أوسع من دائرة دمياط تكلفت ٨٣٥٤٨٧ قرشا .

— وفى ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢ اعترم سعيد باشا إرسال العساكر إلى رشيد للإقامة بها ، فأصدر أمره إلى المحافظ بإعداد ثكناتهم ، وفى هذه السنة ألحقت حسابات قلاع رشيد وطوايها بديوان المحافظة بعد أن كانت ملحقة بسواحل الإسكندرية .

— وأصدر سعيد باشا أمره أيضا في هذه السنة إلى المحافظ بتحديد أعمار المأكولات ، للقضاء على جشع التجار .

— وفي شوال سنة ١٢٧٦ أعفى أهل بندر رشيد من ضريبة الوريكو .  
— وجاء في الوقائع المصرية في عدد ٢ لبريل سنة ١٨٧١ أن مدرسة رشيد الابتدائية قد تم افتتاحها في ٢٣ مارس سنة ١٨٧٦ ( ٤ ربيع الأول سنة ١٢٩٣ ) وكان عدد تلاميذها سبعين ، وكان ناظرها الأستاذ محمود وهبي ، وكان ممن تعلم بها أحمد فتحي باشا وكيل الحقانية وصاحب المؤلفات المشهورة .  
وفيما يلي ثبت بأسماء محافظي رشيد :

#### محافظو رشيد من سنة ١٨١١

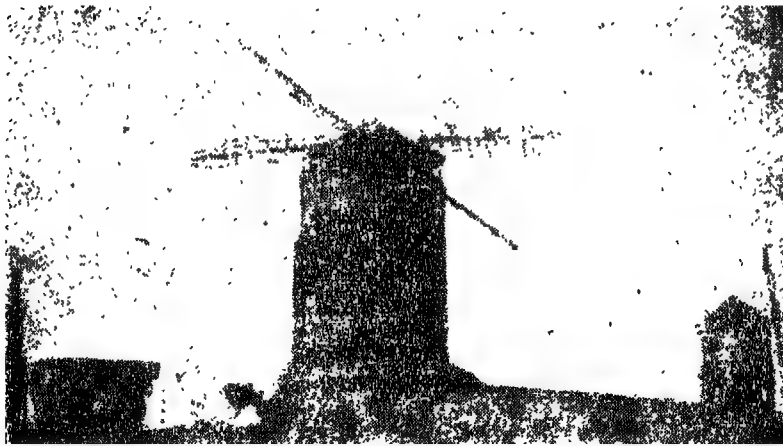
المحافظ	من	إلى
حسين عربكلى بك	٢٦ شعبان ١٢٦٠	٢٣ ربيع الثانى ١٢٦٥
إبراهيم أفندى	٢٤ ربيع الثانى ١٢٦٥	٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٦٦
حسين غالب بك	٢١ جمادى الأولى ١٢٦٦	١٨ ربيع الأول ١٢٦٨
محمد شرين بك	٢٩ ذى الحجة ١٢٧٠	١٠ صفر ١٢٧١
أرسلان أغا	١١ صفر ١٢٧١	١٣ ربيع الأول ١٢٧٧
حسين راغب أفندى	١٤ ربيع أول ١٢٧٧	١٤ شعبان ١٢٧٧
( معاون المحافظة )	١٥ شعبان ١٢٧٧	١١ شوال ١٢٧٧
عمر شرمى أفندى	١٢ شوال ١٢٧٧	١٠ ربيع الآخر ١٢٨٣
محمد توفيق بك	١١ ربيع الآخر ١٢٨٣	٧ رجب ١٢٨٣
إسماعيل قراقى بك	٩ رجب ١٢٨٣	٧ شوال ١٢٨٣
إبراهيم أدهم بك	٨ شوال ١٢٨٣	٤ صفر ١٢٨٤
مورلى إسماعيل أفندى	٥ صفر ١٢٨٤	٢١ ربيع الآخر ١٢٨٦
خورشيد فهمى أفندى	٣ ربيع الآخر ١٢٨٦	١٣ جمادى الآخرة ١٢٨٧

[ فى رمضان سنة ١٢٨٦ أحيلت المحافظة إلى خسرو باشا قومندان حامية رشيد ، علاوة على مأموريته وصارت تابعة للإدارة العسكرية ، وكان خورشيد باشا لواء ألايات السواحل برشيد هو محافظها ، ثم أحيلت المحافظة إلى وزارة

الداخلية في ٥ فبراير سنة ١٨٧٩ ( ١٢٩٦ هـ ) ، وقد عين خورشيد باشا مديرا  
للبحيرة في ٥ من ذى القعدة سنة ١٢٩٣ ، وأصبحت محافظة رشيد تحت إدارته  
علاوة على مديرية البحيرة [ :

محمد صالح شرمى بك	١٢ صفر ١٢٩٦	١٤ رجب ١٢٩٦
شافعى رحمى بك	٨ رمضان ١٢٩٦	١٣ ذى القعدة ١٢٩٦
محمد صالح شرمى بك	١٥ ذى القعدة ١٢٩٦	٦ جمادى الأولى ١٢٩٩
محمد وجيهى	١٠ يناير ١٨٨٨ ( ١٣٠٧ هـ )	

وقد زار الخديوى توفيق مدينة رشيد في ٢ مايو سنة ١٨٨٠ فأقيمت له الزينات  
وزار جامع سيدى المحلى ، وكان الاحتفال بمولده قائما يومئذ ، كما أنه زار البوغاز  
ومسكنات العسكر والقصر الذى بناه محمد على ، وقد تحول منزل نائب الوالى  
( الكتخدا ) برشيد إلى مدرسة .



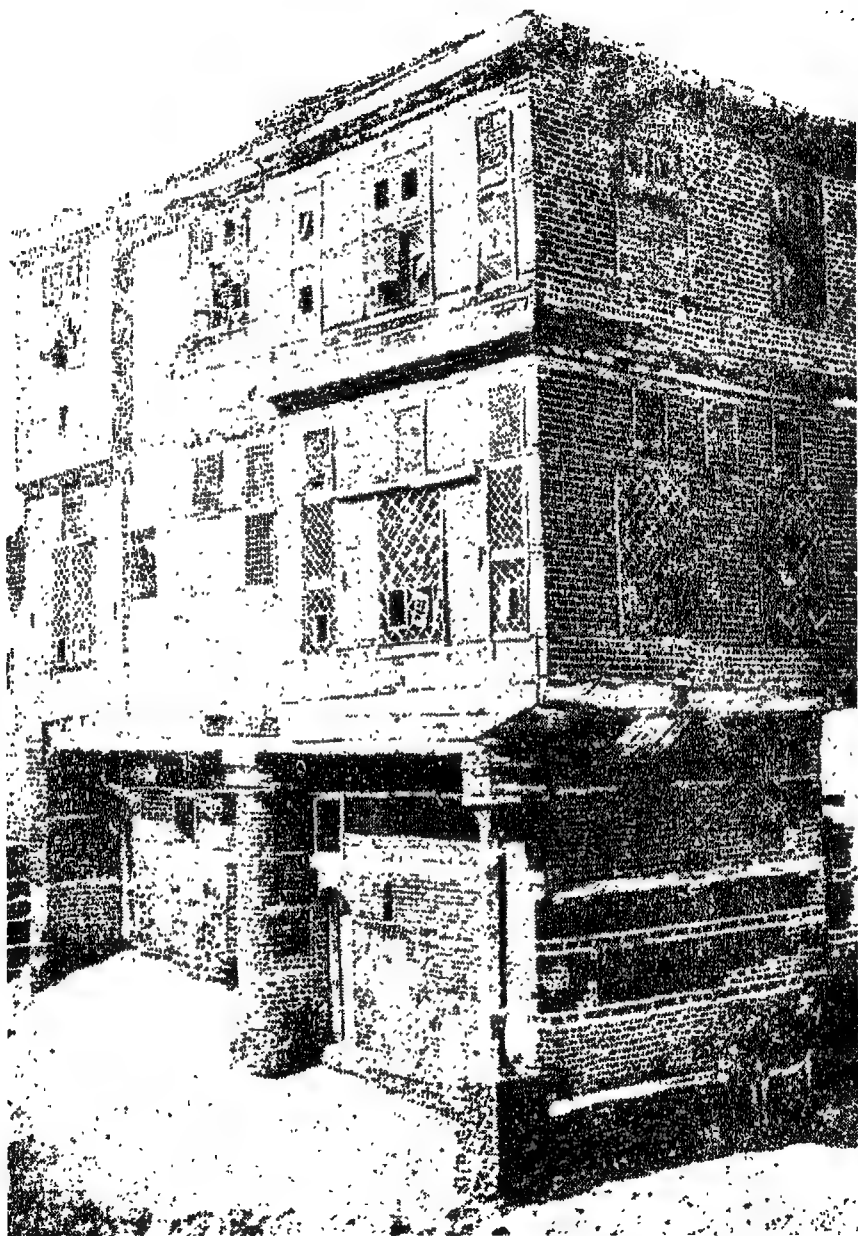
ملاحونة هوا بادكو منذ ١٣٠ سنة

هذا وليس أدل على مظاهر العمران فى رشيد من كثرة المنازل والمساجد  
المبنية بالطوب وحده من دورين أو ثلاثة ، مع استعمال الخشب المزخرف ، على  
نمط شرق خالص ، وكذلك الرخام والفسيفساء ، وبما لفت نظر المسير هرز Hez  
أن الجدران الخارجية لهذه المباني غير مطلية ، وقد ضمن ( هرز ) آثار رشيد من

المنازل والمساجد تقريرين رفعهما إلى مصلحة الآثار المصرية بعد زيارته لمدينة رشيد في سنتي ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، وفي تقريره الأخير قرر أن هذه المباني ترجع إلى سنة ألف هجرية أي سنة ١٥٩١ م ، ومعنى ذلك أنها من العصر العثماني . وهذه المساجد الأثرية هي : مسجد الشيخ يوسف تقى بشارع سوق السمك القديم ، وصنع منبره سنة ١١٤٠ هـ ، ومسجد سيدى النور وقد أنشئ سنة ١١٧٨ هـ ، ومسجد صالح أغا دوقسيس الذى أنشأه سنة ١٦٠٠ م ، ومسجد زغلول بمولك السيد هارون الذى كان موجودا منذ ٤١٧ سنة ، وبه نحو ٢٤٤ عمودا من الرخام والجرانيت ، والواقع أن هذا المسجد كان مسجدين فضم بعضها إلى بعض ، ومسجد محمد جلبي ومنبره صنع سنة ١٠٩٢ هـ ومسجد محمد العباسى الذى شيده سنة ١٢٢٤ هـ محمد بك الطوبوزاده وجامع سيدى على المحلى وبه ضريحه وقد شيده سنة ١١٣٤ هـ ، وتجدد بناء الضريح سنة ١٢٦٣ هـ ، وملحقة به مكتبة تضم منخطوطات قديمة ألقتها علباء رشيد ومعظمهم من آل الجارم أوقفوها على الجامع للائتماع بها وتبلغ ألفى كتاب ، ومسجد الجندى الذى شيده سنة ١١٢٣ هـ ومسجد عبد الله بن الصامت - الذى شيده سنة ١١٤٧ هـ الحاج محمد عبد الرحمن - وبه ضريح هذا الصحابي الجليل ، ومسجد أبى منصور ، ويسميه الأهالى (أبو النصر) وهناك أيضا زاوية الباشا وهى التى أنشأها محمد على فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ليصلى فيها عمال مضرب الأرز ، الذى شيده بالقرب منها ، وزاوية الشيخ صماده .

أما المنازل الأثرية (١) التى ترجع فى تاريخها إلى أكثر من مائتى سنة ، حاملة طابع العبارة الشرقية الساحرة فنذكر منها : منزل على الفطائرى وهو أقدم المنازل الأثرية برشيد وأتقنها صنعة ، ويرجع تاريخه إلى سنة ١٠٣٠ هـ ، ومنزل ورثة صحصح بشارع الأربعين ، ومنزل ورثة أحمد أغا بشارع الغباشى ومنزل المايرونى ، وهو تابع لوقفى العرابى والجروى ، وقد أنشأه سنة ١١٥٣ هـ الحاج عبد الرضى البواب المايرونى ، وهناك منزل ملاصق لمسجد الجندى أنشئ سنة ١١٣٣ هـ ،

- ١٣٧ -



منزل أحمد آغا النباشي برشيد  
من مصر النشائي

ومنزل عبد العزيز قاسم الذى أنشئ سنة ١١٢١ هـ ومنزل عبد الحميد محارم الذى أنشئ فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى ، ومنزل كمونة الذى أنشئ سنة ١٢٠٧ هـ على يد السيد أحمد الحضرى ، ومنزل عرب كلى الذى أنشئ فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ، ومنزل وقف الاثرى (البقرولى) الذى أنشئ سنة ١١٣١ هـ ، ومنزل علوان بك الذى أنشئ فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى ومنزل الجدوى (عثمان فرحات) فى النصف الثانى من ذلك القرن ، ومنزل حبيب غزال الذى أنشئ فى أول القرن الثالث عشر ، ومنزل عثمان أغا البكباشى الا ماصلى وقد أنشئ سنة ١٢٢٣ ، ومن المنازل التى شيدت فى القرن الثانى عشر أيضا : منزل القناديل ومنزل عصفور ومنزل رمضان ومنزل المناديل ، ومن منازل القرن الثالث عشر منزل عثمان بك طبق ومنزل التوقاتلى ، ومن آثار رشيد الباقية عن أوائل القرن الماضى (١٣ هـ) طاحونة وقف المحلى . ومن أهم شوارع رشيد الاثرية : شارع دهليز الملك ، وشارع الشيخ قنديل ، وشارع الحاج يوسف .

هذا ويستطيع القارىء أن يرجع إلى العدد ١١ من « الوقائع المصرية » فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ للاطلاع على المزيد من هذه الآثار المسجلة عن رشيد خاصة ، والبحيرة عامة ، بالقرار الوزارى رقم ١٠٣٥٧ فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥١ . وقد تابع (إتين كومب Et. Combe) (١) ما كتبه الرحالة ورجال السلك الدبلوماسى الاجنبى ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى حتى القرن التاسع عشر فى طريقهم من الإسكندرية إلى القاهرة عن طريق رشيد ، وعلى الرغم من الأخطاء التى وقع فيها بعضهم إلا أن أوصافهم هى خير ما تبقى من معالم هذه المنطقة طيلة هذه القرون .

على أن القرن الثامن عشر لم يكبد يفتضى حتى كانت رشيد قد غطت على (قوة) ، واتسعت تجارتها ، وبلغ طولها على شاطئ البحر فرسخا ، وعرضها ربع فرسخ كما تحدث بذلك السائح الفرنسى (سافارى Savary) وغيره من



السياح ، كما أن رشيد بلغت حظا من الشهرة أيام الحملة الفرنسية ، وتزوج منها ( مينو ) .

وأفاض الجبرقي في وصف المعارك الدامية التي جرت على أرض رشيد وبرج مغيزل بين البرديسي والعثمانيين في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٢١٨ ، كما شهد العالم كله ببسالة أهل رشيد في دحر الإنجليز سنة ١٢٢٢ هـ ( = سنة ١٨٠٧ م ) حتى عاد ( فريزر ) بحملته الفاشلة أضحوكة العالم .

وعلى الرغم من هذا النصر المبين ، قلب الوالى محمد على ظهر المجن لأهل رشيد والحماة وما حولها ، وكان تنكيهه بأهالى رشيد والحماة وإدكو لا يقل شناعة عن المذابح التي دبرها لخصومه .

وكان القدر بالمرصاد لهذا الطاغية الذى مكن جنوده من حرمان الأبطال فتد فلك الطاعون بابنه طوسون فلم يمهل غير قليل حتى وصل إلى الجزيرة جثة هامدة ، بعد أن لقي حتفه في قصر برنبال حيث قضى ليلة يستمع إلى المطربين ، ويشاهد الراقصات ويستمتع بالغواني .

وقد زارت الكاتبة الانجليزية ( ماى E. May ) رشيد سنة ١٧٩٨ فكتبت عنها الخطاب السابع في كتابها ( رسائل من الشرق Letters from the East ) قالت [ إن رشيد حتماً هو أجمل مكان على الإطلاق ، تحيط بها غابات من أشجار الليمون والبرتقال . . وأهم ما يميزها مظهرها الأنيق النظيف الذى يخلب ألباب الإنجليز ، فإنه نادراً ما يقابل الإنسان مثل هذا المنظر الذى يذكرنا بما كنا نستمتع به في وطننا ، فالأراضي المنبسطة حولها مشوقة للغاية ، بمنظرها الجديد خصوصاً عندما نفكر أنها الأرض التى كانت في يوم من الأيام مرتعاً لبنى إسرائيل ، هنا تعودني الذكرى إلى القصة الرائعة الفريدة قصة يوسف وإخوته .

وعندما أنظر إلى هذه الشواطئ - حيث وجد يعقوب فيها ملجأً لشيخوخته وحيث ركب أبناؤه التادمون أمام أخيه الأصغر - أحس كأننى في حلم ناعم جميل ، من به على وجودى في هذه البقعة من الأرض ] ( ١ ) .

ويبدو أن الكتابة الانجليزية قد سحرتها طبيعة رشيد الفاتنة حتى أفلتت منها أخيلتها ، فلم تحترم حرمة التاريخ المجيد ، وإلا فإذا أتى يوسف الصديق وأبيه يعقوب إلى رشيد ؟ ثم ما شأن بنى إسرائيل بها ؟

ووصف على مبارك (١) مدينة رشيد وصفا مسهباً فأعطانا صورة واضحة عن مظاهر العمران والنشاط الاقتصادى بها فى القرن الماضى ؛ حتى أصبحت تشتمل على ٢٣٠٠ سكن ، وأشار إلى قصورها المشرفة على النيل ومزارعها الخصبة ، ووجود ٢٥ جامع و ١٠ زوايا وأكثرها بمآذن عالية منها : الجامع الكبير ويقصد ( جامع زغلول ) الذى هو بمثابة الأزهر الشريف ، وجامع المحلى ، وقال إن بها نحو ٦٠٠ محل تجارى ، وأكثر من ٣٠ فندق و ٥ حمامات و ١٣ معصرة و ٥٢ طاحون تديره الخيل ، وطاحون بخارى و ١٠ مخابز و ٣ كنائس للأقباط والأروام واليهود ودير للإفرنج ، وشوادير خشب نحو ١٨ ، و ١٠ مضارب للأرز ومعامل للدجاج والرخام والورق وآلات الموسيقى وغيرها ، وبها عدد كبير من الصيادين ، ومينائها مزدحم بالمراكب على الدوام ، وتحفها الحدائق والبساتين ، وتوجد ملاحه رشيد المشهورة ، وفى شواطئها على مسافة فرسخ قلعة حصينة ، ركبت المدافع على أبراجها ، ويقصد بها طبعاً قلعة جوليان .

وفى جنوب المدينة تل مرتفع كشف بعض الأهالى فى أطلاله عن عشرين عموداً ، وقيل إنه مكان مدينة بولبتين القديمة وقرر D'Anville [ أن مدينة بولبتين كانت على بعد قليل من رشيد . فلعل الأعمدة التى وجدت هناك من آثار تلك المدينة التى تكلم عنها استرابون وأنيى البيزنطى ] .

على أن معظم أعمدة مساجد رشيد منتزعة من مختلف المباني الأثرية ، قديمها وحديثها ، فإذا دخلت جامع المحلى مثلاً وألقيت نظرة على أعمدته ، وجدتها تجمع بين الأنماط البطلمية والرومانية والقبطية والعثمانية ، كما أن لوحة افتتاح خان داود قد وجدت فى كنيسة الروم الأرثوذكس برشيد .

وفى سنة ١٨٥٦ أنشئ برشيد مكتب للبريد ، هذا وبعد أن كان الطريقان البرى

والنهرى محفوفين بالأخطار فيما بين الإسكندرية من جهة ورشيد والقاهرة من جهة أخرى ، فقد مد الطريق الحديدي<sup>(١)</sup> ما بين سيدى جابر ورشيد سنة ١٨٧٦ وبلغ طوله أكثر من ٤٣ ميلا ، وفى سنة ١٨٨٠ زارها الخديوى توفيق وحضر مولد المحلى وصلى بجماعه وزار قبره ، وزار البوغاز ، ولذا كان رشيد فى أفول واضمحلال .

وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٥ لم تعد رشيد « محافظة » فقد أصبحت أحد المراكز ابتداء من أول يناير سنة ١٨٩٦ ، وعلى الرغم من ذلك فإن الأمل كان معقودا على إنشاء الطريق الحديدي لإنعاشها وإعادة البهجة إليها ، فلم تبلغها الأقدار آمالها .

ويقول ( موتسنجر ) (٢) لأنه كان يوجد برشيد مدرسة يتعلم الشبان فيها القرآن والكتابة والنحو والحساب والرسم والخط واللغتين التركية والفرنسية ، كما أن سكان رشيد فى سنة ١٨١٩ كانوا بين ٩ آلاف و ٢٠ ألفا (٣) ، وجاء فى البحث الخاص برشيد فى دائرة المعارف الكبرى (٤) أنها مدينة فى غاية النشاط لولا أنها فقدت كثيرا من أهميتها منذ ازدهرت الإسكندرية ، وهى أكبر سوق للأرز فى مصر كلها ويبلغ عدد سكانها ٢٠ ألفا ، وبها أعمدة من الفن الإغريقى ، وشيدت بها مساجد ومنازل ، ولكن لا أثر بها الآن أو كتابة عن العصور القديمة ، غير أن حجر رشيد قد اكتشف بها سنة ١٧٩٩ .

وكتب كلوت بك عن رشيد بحثا مستفيضا (٥) ، وعرض لصعوبة الوصول إليها وقبل إنشاء الخط الحديدي برا وبحرا ، وأشاد باتعاشها التجارى بعد أن اضمحلت شأن الإسكندرية ، ولما شقت ترعة المحمودية هجرها تجارها ، وفى سنة ١٨٣٤ كان سكانها ١٥ ألفا ولكنهم أخذوا فى النقصان ، وذكر كلوت بك

(١) مصر والجغرافيا : فريدريك بنولا : ص ١٠٠ و ص ١٠٤

(٢) جغرافية مصر : ص ٢٨٥

(٣) Bouillet : Dict. universel d'Hist. et de Geographie.

(٤) La Grande Encyclopédie : act. Rosette. T 28

(٥) لمحة عامة إلى مصر - ص ١ س ٤٢٢

مضارب الأرز بها والحدائق الجميلة ، كما أشار إلى ضريح أبي منصور وزاويته التي في جنوب رشيد .

ولرشيد وجمال مناظرها أصداء في نفوس الشعراء ؛ فوصفها شاعر قبطنى من أبناء رشيد في القرن السابع عشر فقال :

هذى (رشيد) وكم حوت من روضة غنا ، وقصر في الرياض مشيد  
من لم يقل بصفاء بهجة نيلها وبها تلقاه غير رشيد  
ووصف عبد الواحد الرشيدى في بيتين من الشعر كثرة أمطارها مع  
الخروج عن حد الأدب ، أما الرحالة الموسوى فقال :

فيا حسن هاتيك الديار وتربها فكم قد حوت حسنا يحل عن العد  
وفي شاطئ النيل المقدس نزوة تجدد ماقدفات من سالف العهد  
ومن مرج البحرين أى عجائب تلوح وتبدو من قريب ومن بعد  
وللرحوم الأستاذ على الجارم أشعاره الرائعة في وصف رشيد ، منها هذان  
البيتان اللذان صدرنا بهما هذه النبعة عنها ، كما أن للرحوم فتحي الجارم أزجالا  
وأشعارا صادقة التعبير عن جمال رشيد .

ويجب ألا ننسى أن لأحداث رشيد في خلال التاريخ أصداءها التي أوجت  
إلى على الجارم بكتابة القصة الرائعة (غادة رشيد) ، وإلى الرئيس جمال عبد الناصر  
وهو طالب بالتعليم الثانوى بقصته ( في سبيل الحرية ) .

ولما أنشئ مجلس مديرية البحيرة سنة ١٨٨٣ ، كان يمثل رشيد فيه عضوان هما :  
محمد بك عجوة ، والشيخ مصطفى المنياوى ، ومنذ السنوات الأولى من القرن  
العشرين ، بدأت الصحف تتابع أخبار رشيد ، كما جاء في « الأهرام » بتاريخ ٢٢  
لمبريل سنة ١٩١١ بمناسبة زيارة مدير البحيرة لها ، حيث عرض عليه مأمور  
المركز خليل بك حافظ لإنشاء مدرسة لتعليم الأحداث ، فسر المدير بالمشروع  
وسمح له بعقد اجتماع لأعيان رشيد بنزله ، فتمنعوا بمبلغ ١٦٩ جنيهًا وظل  
الاكتساب مفتوحا حتى أنشئت المدرسة .

وقامت الثورة في يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولم تكد تأتى ذكرى حملة فريزر في  
العام التالى حتى احتفلت إداكو ورشيد بانتصارها على الإنجليز ، وحضر عن

رجال الثورة السادة : عبد اللطيف البغدادي وأنور السادات وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم ، وفي السراوق الذى أقيم برشيد رفع الستار عن النصب التذكارى لهذه المناسبة .

وفى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٩ حضر السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية إلى رشيد وقد ابست فى هذا اليوم أبهى حللها ، وازدحت أشد الازدحام بالوافدين عليها ، المدعوين إليها حيث شهد الرئيس عرضا عسكريا رائعا بحضور المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، ثم تناول الغداء ، وبعد الظهر وزع الجوائز المالية على الفائزين من كتاب مصر بتكملة الفضة التى كتبها عن رشيد وهى « فى سبيل الحرية » .

وبمناسبة هذه الزيارة التاريخية ، كتبت عن رشيد بحثا ضافيا عن كفاح رشيد فى مختلف العصور بجرىدة « الجمهورية » فى ذلك اليوم ، ومنذئذ بدأت رشيد تحتل مكانتها من اهتمام السيد الرئيس ، فتد افتتح « متحف رشيد القومى » وأصبح يوم انتصار أهل رشيد على الإنجليز سنة ١٨٠٧ من الأعياد القومية . وفى ذلك اليوم وقف السيد جمال عبد الناصر فألقى خطبة وطنية فى ذكرى انتصار أهل رشيد منذ ١٥٠ سنة : استهلها بقوله :

[ أيها الأخوة المواطنون :

يسعدنى أن أشارك معكم اليوم فى الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة فى تاريخ بلدكم رشيد ، هذا البلد الذى صمم على أن ينتصر فانتصر ، والذى لم ترهبه القوات المسلحة لأكبر الامبراطوريات فى ذلك الوقت ، والذى أراد لنفسه الحياة فحقق لنفسه الحياة .

. إن احتفالنا اليوم له معنى كبير ، هذا الاحتفال إن دل على شىء فإنما يدل على أننا وجدنا أنفسنا ، وعرفنا طريقنا لأن معركة رشيد التى انتصر فيها شعب رشيد على الإنجليز فى سنة ١٨٠٧ حدثت منذ ١٥٠ سنة .

وكانت هذه المعركة باقية على مر السنين ، وعلى مر الأيام ، ولكننا كنا نهمل تاريخنا ، نهمل الصفحات المجيدة من تاريخنا ، نهمل الصفحات الرائعة التى تمثل بطولة شعبنا ، ونتركها للإهمال ليتراكم عليها الغبار .

وكنا بهذا نفسى حقيقتنا ، ونفسى نفسية شعبنا ، اليوم حين نحتفل بذكرى هذا الانتصار فإننا نعتز أيضا بأننا استطعنا أن نحرر أنفسنا ، ثم استطعنا أن نعرف أنفسنا ثم استطعنا أن نرفع راية النصر في ذكرى نصرنا في المعارك السابقة من تاريخنا . وعرض الرئيس لتحالف الاستعمار وعملائه في الماضي لبث الضعف في نفوسنا ثم قال [ اليوم أيها الأخوة المواطنون حينما تحررنا من السيطرة المعتدية من الخارج ومن السيطرة المستغلة من الداخل ، فإننا نعيد اكتشاف أنفسنا ، ونعيد اكتشاف تاريخنا ثم نحتفل بأجادنا ونحتفل بانتصاراتنا . ]

واستطرد الرئيس إلى النزاع الذى كان قائما بين المماليك ومحمد على بما أدى إلى تدخل الإنجليز في شئون مصر التى صممت على الاستقلال ، فأقبلوا في قوه قليلة العدد ظنا منهم أن الخلاف القائم في الداخل لا يكلفهم الجهد الكبير في الاستيلاء على مصر ، ولم يكن برشيد يومئذ من السلاح بقدر ما بأيدي جنود الإنجليز ، ومع ذلك قام أهلها بدون استعانة بالحكام دفاعا عن حقهم في الحرية والاستقلال [ وقام شعب رشيد وانتصر شعب رشيد وانهزمت الامبراطورية ] . وأعاد الرئيس بهذا الصدد إلى الأذهان ذكرى انتصارنا على الصليبيين منذ ٧٠٠ سنة في (دمياط) ، فهزمننا لويس ملك فرنسا ، بفضل الإيمان ، ومن بعد ذلك انتصر صلاح الدين عليهم في سوريا ، [ وكانت هذه الانتصارات قائمة على مر السنين وعلى مر الأيام ولكننا كنا نتجاهلها وننساها ، ولم يكن الذين انهزموا أمامنا قد تجاهلوا أو نسوا هذه الهزيمة ] حتى دخل الجنرال النبي القدس في الحرب العالمية الأولى فقال [ اليوم انتهت الحروب الصليبية ] غير ناس ما أصيب به قومه من هزيمة منذ ٧٠٠ سنة كما أن الجنرال جوروالفرنسي عندما دخل دمشق ذهب إلى قبر صلاح الدين وقال له : [ ها نحن قد عدنا بصلاح الدين ] . وأفاض رئيس الجمهورية في خطبته المليئة بعبر الماضي ، والدافعة إلى التعبئة في الحاضر من أجل المستقبل ، وظل سيادته يتدفق حماسه ، ويملاء النفوس شعورا بالنجاح والنصر على الاستعمار والصهيونية ، بعد أن أخذنا طريقنا السليم نحو [ القومية العربية والسعى لإقامة المجتمع الاشتراكي التعاوني الديمقراطي الذى ترفرف عليه راية العدالة على الجميع والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله ] :

## إدكو Edkou - Edekou

مدينة قديمة لها تاريخ عريق ، وتقع بين رشيد والإسكندرية وهي إلى رشيد أقرب ، بينها وبين البحر نحو ألفي متر وهي على الشاطئ الشمالي لبحيرة إدكو . ذكرها ( جوتييه ) (١) فقال إن أصلها القبطي : تكوبي Thkobi أو Tekebi ( وفي مكان آخر يقول إن أصلها الميروغليقي ( تاج Tag ) وهذا أيضا رأى شامليون الذي قال إنها مدينة مصرية كان بها معبد الإلهة ( حتحور Hathor ) ويقرب ( بروكش Brugsch ) (٢) بينها وبين ( إدقو Edqou ) الحديثة التي في الشمال الغربي للدلتا ، أما ( أمينو ) (٣) فيقول إن اسمها النديم Tkôou الوارد في كشف الاستغيات باسم ( إتكو ) ، ويرى أنها كانت تابعة لمناطقة قديمة ( تباشور Thebaschour ) التي هي الآن ( دفشو ) .

ففي إقليم مصر الأول ذكر ( رونسيير Roncière ) أربع عشرة أسقفية كاثوليكية تتبع كنيسة الإسكندرية وكانت ( منيليس Ménélaïs ) عاصمة إحدى هذه المقاطعات التي مقر أسقفيتها إدكو Edekou (٤) .

ويضعها سليم حسن (٥) باسم ( إدكو ) أو ( تاجو ) على الساحل الشمالي لبحيرة إدكو في المقاطعة « السابعة غرب » ، التي سماها اليونانيون ( ميتليت Metelite ) وهي — أي إدكو — من البلاد المصرية القديمة التي ظهرت بلفظها في العربية مع التحريف ، ومعناها النديم ( التل المرتفع ) .

وذكرها ( استرابون ) باسم ( أجنو Agnou ) وهي من بلاد السواحل المصرية التي وردت في كتاب ( جورج القبرصي ) ، وجاءت هناك في المخطوطات الأولى لابن عبد الحكم وابن حوقل . فلها طبعت هذه المخطوطات وردت هناك ( إخنو ) ثم ( إخنأ ) .

H. Gauthier : Dict. des noms geogr. T: 4 P: 66., T:6 (١)  
P: 37.

Dict. geogr. (٢)

Geographie, (٣)

Geogr. de l'Egypte : p : 201 (٤)

(٥) أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني .

واختلف الكثيرون في موقع (إخنا) ، كما اختلفوا هل هي (إدكو) حقا  
أما استرابون فيضع (أجنوكيراس Agnúcérās) بين مصبي الفرعين البولبتيين  
والسبتيين ، أى بين رشيد والبرلس ، أما جورج القبرصى فيضعها عند مصب أحد  
الفروع القديمة للدلتا ، وقد حرفت في قائمته فصارت (أجنا) ، وأوردها في  
القرن الثالث الهجرى كل من الواقدى وابن عبد الحكم باسم (إخنا) ، ثم يعقوبى  
الذى وضعها (١) على الساحل بين رشيد والإسكندرية باسم (مدينة إخنو)  
ثم يعود في حديثه عن كور أسفل الأرض (٢) فيقول : إخنو ورشيد وقرطسا  
وخربتا وترنوط ومصيل ومليدس ، وكلها في الحوف الغربى كما نعلم .

وعلى هذا رأى (ألفرد بتلر) إذن وضعها في الحوف الغربى ، وقال إن  
(مدينة إخنو) (٣) ليست بعيدة عن الإسكندرية ، وقد حاصرها عمرو ، فلما تقدم  
حاكمها (طلبا) ليتعرف ما على الواحد منهم من الجزية ، أشار عمرو إلى كنيسة  
قرية بها وقال : [ لو أعطيتنى من الأرض إلى السقف ، ما أخبرتك بما عليك ،  
إنما أنتم خزنة لنا ، إن كثر علينا ، كثرنا عليكم ، وإن خفف عنا خففنا عنكم ]  
فخرج طلبا مغضبا إلى (الرملة) ولكن الله هزمهم ووقع هو فى الأسر ، ولما مثل بين  
يدى عمرو قالوا له : اقتله ، فرفض عمرو وقال : [ لا بل أطلقه لينطلق فيجيشنا  
بجيش آخر ] .

وما يؤكد أن (إخنا) فعلا فى الحوف الغربى أن (بتلر) يقول إن عمرو بن  
الغاص - ار من الكريون نحو الشرق على ساحل النهر حتى وصل إليها ، وبعد  
استسلامها تقدم نحو رشيد ، فاصطلم مع صاحبها (قزمان) ، ثم مضى إلى البرلس  
فاصطلم مع حاكمها (حنا) ، وبعد ها فتح العرب دمياط ، وبهذا استولى العرب على  
على جميع منافذ النيل ، وسيطروا على مصر السفلى .

ويذكر ابن خرداذبه كورة واحدة باسم « كورة إخنو ورشيد » (٤) ،

(١) البلدان : ٢

(٢) تاريخ يعقوبى : ١ - ١٠٣

(٣) فتح العرب لمصر .

(٤) المسالك والممالك .



وذلك في أواخر القرن الثالث الهجرى ، غير أنه في مكان آخر يقول [ ومن البرلس إلى إخنأ وهى حصن على شط بجر الملح - ومن إخنأ إلى رشيد ٣٠ سقسا ] كما أن قدامة بن جعفر (١) في حديثه عن أعمال مصر وكورها في أسفل الأرض ذكرها متجاورة وجعل إخنأ مع رشيد .

أما ابن حوقل في القرن الرابع الهجرى فقد ذكرها باسم (أجنا) أو (إخنأ) ووضعها على الساحل بين رشيد والبرلس ، كما أن فراس المراءى جمع ثغور مصر شرق الإسكندرية فقال :

رشيد و (إخنأ) والبرلس كلها ودمياط والأشتم تقوى يغالبه  
وفي القرن السادس الهجرى ، أورد أبو صالح الأرمنى ثلاث نواح في آن  
واحد هى رشيد الجديدة وإدكو ( فى ( النستراوية ) لا فى ( البحيرة ) ولا فى  
( فوة والمزاحتين ) . (٢)

وفي القرن السابع الهجرى ذكر ياقوت (٣) إخنأ وأدفو وأتفو وأتكو .  
وقال إن إخنأ ويقال إخنأ ؛ وفى بعض نسخ (فتوح مصر) بالجيم ، وعرف أن  
أهل مصر لا يعرفونها إلا بالخاء وأعاد ما كان قد أوردته القضاى عن موقعها فى  
كور الحوف الغربى إذ قال [ كورتا إخنأ ورشيد والبحيرة وجميع ذلك قرب  
الإسكندرية ] ثم قال [ وأخبار الفتوح تدل على أنها مدينة قديمة ذات عمل منفرد  
وملك مستبد ، وفى زمن الفتح كان صاحبها ( طلبا ) الذى كان عنده كتاب من  
عمرو بالصلح على بلده ]

وقال أيضا إن أدفو قرية بالصعيد وأخرى قرية فى كورة البحيرة ويقال  
أتفو ثم عاد فقال : أتكو : بليدة قديمة من نواحى مصر قرب رشيد .

وفي القرن الثامن الهجرى اعتبر الدمشقى (٤) كلا من إخنأ ورشيد كورة  
مسنقلة بينما تحدث عن ( بحيرة أتكو ) وكتبت هكذا فى ص ١٢١ ، وكتبها

(١) الحراج وصناعة الكتابة : ص ٢٤٨ .

(٢) أخبار من نواحى مصر ص ١١ .

(٣) معجم البلدان : ١ ص ١٠٣ ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٦ .

(٤) نجة الدهر ص ٢٣١ .

الناشر مهران في الهامش Lac d'Atcou وأماها بالعربي (أتكو) بدون ألف ويذكر ابن دقاق <sup>(١)</sup> (إخنا) و (رشيد) على أن كلا منها كورة مستقلة ثم يذكر (أتقوا) هكذا في صفحة ١٠٢ وبعد ذلك (أتكو) صفحة ١١٣، كما أن القلقشندي (٢) يتحدث عن كورة إخنا ورشيد والبحيرة باعتبارها إحدى كور الحوف الغربي، ثم يقول [أما إخنا فن الأسماء التي جهلت، ولا يعرف بالبحيرة بلد اسمها إخنا وإنما أخويه من عمل الغربية، والعامية تقول إخنا] على أن القلقشندي (٣) لم يورد اسم (إدكو) مدلقا في مؤلفه الضخم حتى إنه أخطأ فأطلق اسم (بحيرة بوقير) ويقصد (بحيرة إدكو)، غير أنه يقول بصدد كور بطن الريف [كورة البجوم (بالباء) وهي من الأسماء المندرجة أيضا، ولا يعرف مكان بالديار المصرية اسمه (البجوم) إلا أرض أسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للبياء المنصرقة عن البحيرة] (٤) واتفق ابن فهد والسخاوي على أنها [بلدة قرب الإسكندرية من الغربية] أي في الحوف الغربي.

على أن المفريزي (٥) في القرن التاسع الهجري قد عد إخنا ثغرا مصرية للرباط في سبيل الله وعاد في مكان آخر فتحدث عن (كورة النجوم) وقراها، ثم كورتى (إخنو) و (رشيد) في الحوف الغربي، وفي مجمل كور أسفل الأرض ذكر كورتى: إخنا والبحيرة.

وفي سنة ٨٨٢ هـ زار السلطان قايتباي إدكو في نزحته التي قضى فيها أربعين يوما زار خلالها دمنهور والإسكندرية وتروجة ودسوق (٦).  
أما ابن الجيعان المتوفى سنة ٨٨٥ هـ فقد ذكر (إتقو) (٧) من أعمال البحيرة

(١) الانهار - ٥٠

(٢) صيحي الأعشى - ٣ ص ٣٨٧

(٣) نفس المرجع - ٤ ص ٢٠٧

(٤) نفس المرجع - ٣ ص ٣٨٧ +

(٥) الخطوط: ١ ص ٢٨ و ٧٢

(٦) ابن لياس: بدائع الزهور

(٧) التحفة السنية: ص ١١٨

فقال : [ مساحتها ٥٥٠ فدانا ، عبرتها (متحصلا) كانت ١٥٠٠ دينار ، والآن بحق النصف ، كانت باسم الأمير : أقتمر عبد الغنى ، والآن للديوان المفرد ] ثم ذكر من أعمال البحيرة أيضا أرضا [ تعرف بالنجوم عبرتها ألفا دينار وقف أولاد الربعى ] ولكنه عاد فى الحديث عن ثغر الإسكندرية (١) فذكر من أعماله (لأتكو) وعبرتها كانت ١٣ ألف دينار واستقرت الآن ١٢٨٣٠ ، كانت باسم الأمير بشتاك الأشرفى والآن للديوان الشريف السلطان .

وعلى الرغم من اختفاء اسم (إخنا) تدريجيا بعد المقرينى إلا أن السخاوى (٢) قد قال صراحة : [ إخنا بلدة قرب إسكندرية ] ونسب إليها البهاء محمد الإخنائى وولده البدر محمد ، وكذلك أحمد بن التاج ، ثم الشمس محمد ، وهم طبعاً من أعيان القرن التاسع الهجرى .

وفيما يلى يرى القارىء وثيقة يرجع تاريخها إلى سنة ١٠٩٨ هـ أى منذ ٢٨٣ سنة ، وقد اخترت أن أنوه بأعلامها الذى ينص على أن السيد يوسف الحنفى كان يتولى القضاء بإدكو وأنه جلس بمحكمة ثغر إدكو بحضور محمد قاسم وهو من طائفة مسندفظان (كأتم أسرار) قلعة مصر ، وبحضور على عبد الله كونه وعلى محمد زيتون : وكلاهما من طائفة الحصار المراقبة بثغر الإسكندرية زمن السلطان الأشرف ، وحضور غيرهم من ورد ذكرهم فى الوثيقة من أعيان إدكو ، وفصل القاضى فى المشكلة حتى أصدر حكمه [ وجرى ذلك وحرر ، كما وقع وسطر ، وبه شهد فى ٥ ربيع الأول سنة ١٠٩٨ هـ ] ويلاحظ القارىء أن عبد الله المؤذن الإدناوى من الموقعين على « محضر الجلسة » وستناول ترجمته فى باب « أعلام إدكو » .

ومن هذه الوثيقة يتبين لنا أسماء عدد كبير من أهل إدكو من لا تزال ذريتهم إلى اليوم يحملون لقب العائلة ، وما كان لهم من أدوار فى الوظائف ولاسيما المراقبة فى العصر العثمانى ، أيام أن آلت الدولة إلى أيدى المماليك ، ومع ذلك كان قضاء الشرع الخفيف يقومون بالفصل فى جميع المشاكل التى تنشأ بين

(١) التحفة السنية : ص ١٢٨

(٢) الضوء اللامع : ص ١١

الآهلين ، وكان هؤلاء القضاة يتولون مناصبهم باسم قاضى القضاة ، وتعتبر هذه الوثيقة نموذجاً لقضية عرضت للقاضى ، فأصدر فيها حكمه بما يوجب الشرع فى بلد مثل إدكو كان منذ نحو ٣٠٠ سنة ثغرا من الثغور ، وبه محكمة شرعية ، واليوم يسعى أبناء إدكو إلى رشيد والإسكندرية ودمنهور للتقاضى ، وقد بلغوا اليوم خمسين ألف نسمة ، وتعددت مشاكلهم .

كما أن المقرئى وضع النقط فوق الحروف فقال صراحة : [ وفى الوجه البحرى مدينة النجوم ، وقد غلب على مدينة النجوم ، الرمال والسياب ، ويعرف اليوم منها اليوم قرية إدكو على ساحل البحر بين رشيد والإسكندرية ] (١) ونص البكرى (٢) صراحة على وجود « كورة إدكو ورشيد » التى عدد قراها ٢٧ ، ويؤكد عمر طوسون (٣) أن إخناسى إدكو ، غير أن أصحاب التراجم قد ذكروا لنا بعض الأعلام باسم الإدكوى والبعض الآخر باسم الإخناسى ، ولهذا آثرنا الفصل بينهما فى الفصل الذى خصصناه للأعلام .

وفى أواخر القرن الماضى يتحدث على مبارك (٤) عن إدكو بإسهاب يقرب كثيرا مما كتبه موتسنجر (٥) ، فهى قرية كبيرة من مديرية البحيرة بقسم دمنهور ، وكانت تابعة لمحافظة الإسكندرية تارة ، ولحافظه رشيد تارة وللمهورية بلاد الأرض تارة أخرى ، وقدرت المسافة بينها وبين رشيد بساعتين وأربع ساعات عند موتسنجر ، وبينها وبين الإسكندرية نحو ست ساعات ، وبها جوامع وطواحين هواء ومعمل فسيخ ودكاكين وأنوال للنسج الحرير الإسكندراني والمسل والملات من القطن والكتان ، وبها أشجار كروم ونحو سبعين ألف نخلة ويزرع بها البطيخ وأنواع القثاء ، وأهلها يصيدون السمك من بحيرتها ويزرعون

(١) الخطط : ١ ص ١٠٦

(٢) الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة .

(٣) La Geogr. de L'Egypte à l'époque arabe T : 1. lère

Partie P. 24.

(٤) الخطط التوفيقية : ٨ ص ٥٠

(٥) جغرافية مصر .

الجزء الأعلى من الوثيقة التاريخية الصادرة من المحكمة الشرعية بإدكو

الجزء الأخير من الوثيقة وداريخها • ربيع الاول سنة ١٠٩٨ هـ ،  
وعليها توقيع عبد الله المؤذن (الإدكاوي)

رمالها ويتجرون في فاكهتها وبلحها ، ويشربون من حفائر في الرمل لبعدها عن النيل ومنهم مراكبية وقد استولت الرمال على أرضها ، ومن عوائد أهلها ألا تخرج النساء إلا ليلاً متحجبات ، ومن مظاهر نشاط رجالها ألا يعود أحدهم إلى منزله إلا ومعه شيء وإلا وضع حجراً أو تراباً في مقطفه أنفة من أن يرى في حالة كسل أو بطالة ، وهي منشأ لجماعة من العلماء ، عرفنا بعضهم ؛ ولا تزال تجهل الآخرين مع كثرة مساجدهم وقبائهم بها .

هناك مثلاً مسجد داود ، وقد أخبرني الشيخ حسن المسلي أنه هو خلف بن محمد بن مسلم بن داود بن مسلم الأكبر بن سليم أبي مسلم الحمداني العراقي بن أبي يعقوب يوسف الحمداني الذي يرجع في أصله إلى جعفر الصادق .  
ولكن من أين لنا هذا وما مولده وما وفاته وأين ولد ونشأ وأين مات ودفن ؟ ..

هناك أيضاً قباب السادات العراقية التي بنى ملاصقاً لها من الشمال مباشرة المسجد المعروف بهم : فمن هم السادات العراقية هؤلاء ؟

قال السخاوي صاحب « تحفة الأحباب » في حديثه عن علي الجبرتي [ وابنتي في سنة ٨٧٨ هـ بإدكو جامعاً ودفن به الشيخ عبد الرموف والشيخ عبد القادر من مشايخ الطريقة القادرية ] أي أنها من ذرية السيد عبد القادر الجيلاني المدفون ببغداد ، وكان الشيخ علي الجبرتي هذا أحد علماء الأزهر الشافعية وأحد المذكرين على الطريقة القادرية التي أخذها عن الشيخ نفل التادري ببغداد وكان يسكن الأزهر وتوفي سنة ٨٩٩ هـ ودفن بحوش سيدي عيسى .

ثم إن هناك جامع الجبرتي على كوم الطواحين في شمال إدكو ، وهو غير جامع العراقية الذي يقع منه في الجنوب الغربي .

وفي ١٢ نوفمبر سنة ١٩١٠ نشرت جريدة الأهرام أن وفداً من شعبية الإسكندرية المشتغلة بجمع الإعانات للأسطول العثماني قد انتقل إلى إدكو ، وكان يوم جمعة ، فخطب الخطبة المنبرية في جامع سيدي إبراهيم ( بن عمر ) وتبرع المصلون بمبلغ ٣٥٠ قرشاً ، وتأسس بإدكو فرع للشعبية .

وتعتبر إدكو أول مدينة في البحيرة حظيت بعناية كثير من المؤلفين عنها

ولا سيما بعد أن وضعت كتابي «إدكو : ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها » سنة ١٩٣٥ فقد وضع اللواء عبد المنصف محمود (باشا) مدير عام مصلحة خفر السواحل الأسبق كتابه « على ضفاف بحيرة إدكو » ، ثم وضع الأستاذ محمد محمود محمد رسالة عن « الخدمات الاجتماعية والاقتصادية لسكان إدكو » سنة ١٩٤٨ ، كما تقدم الأستاذ بشرى لبيب كبير لس رسالة عنوانها « الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية لإقليم بحيرة إدكو » لنيل درجة الماجستير من جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨ ، وقد نشرت عدة أبحاث عن إدكو في الصحف والمجلات أشرت إليها في مراجع الكتاب .

وقد اشتهرت إدكو بصيد « أم الخلول » من البحر ، وهي حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذي يشبه اللؤلؤ ، وله سرعة الحركة في ثنايا الرمل على الشاطئ ، وإذا حاول الإنسان فتح محارتيه استعصب عليه ، ولكنهم يضعون أم الخلول في الملح والخل والليمون ويتركونها يوما أو أكثر حتى يسهل فتحها ثم يأكلونها ، وقد حاول الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني أن يعلل تسميتها فقال [ وكنيت بأم الخلول لتواتر الملح والخل والليمون عليها عند الأكل ] (١) غير أن السبب الحقيقي هو أنها تتخلل رمال الشاطئ وتندس فيها على مسافة عدة أمتار في البحر وعلى عمق ما لا يزيد على شبر تحت القاع الرمل .

وقد وصف إدكو المستر فورستر Forster في كتابه ( الإسكندرية Alexandria ) (٢) عام ١٩٣٨ م وأشار إلى عدم وجود فندق أو ملهى بها ، ووصف منازلها المبنية من الطوب الأحمر تعلوها أحطاب النخل ، وأبوابها الممتوسة من أعلاها على النمط الإيطالي ولقت نظره طواحين الهواء المقامة على التل المعروف عندهم بكموم الطواحين ، ولكل طاحونة ثمانية أشعة ، وشرب أهلها من آبار في الرمال ، وبها مصانع نسج الحرير المستورد من الصين أو فرنسا أو سوريا ، ويسمونها الأهالي ( العلى ) لأنهم يخصصون الحجرات العليا لذلك

(١) من الفحوف في شرح قصيدة أبي شادوف ص ١٦٢

(٢) ص ١٧٣

ويصعدون إليها بسلاسل من خارج المنزل ، والأشغال ساذجة ، غير أن الأنسجة متينة تدل على مهارة الصانع .

على أن مياه الشرب النقية لم تدخل بيوت إداكو إلا منذ سنة ١٩٢٧ عقب مد الطريق الزراعي من الإسكندرية إلى رشيد مارا بها ، بعدة سنوات ثم أنشئ بها مجلس قروي ثم تحول إلى مجلس محلي ثم إلى مجلس بلدي .

وكان من المألوف في صيف كل عام أن يستقل الملك فؤاد قطارا ملكيا من الإسكندرية إلى إدفينا ليتفقد مزارعه الملكية بها ، وكان القطار يتوقف قليلا عند محطة إداكو حيث يتقدم أعيان إداكو وفي مقدمتهم مدير البحيرة لتحية الملك ، وظل هذا حتى عام ١٩٣٤ ، وكان الطريق يحاط بالحراسة الشديدة قبل الذهاب وبعد الإياب بأيام ، وفي خلال ذلك تقام الزينات وتنتعش إداكو اقتصاديا ويتهاقت الضباط والجنود والخبراء على أكل السمك والتسيخ مما اشتهرت به إداكو . وفي سنوات الحرب العالمية الثانية ، وبحكم معاهدة سنة ١٩٣٦ مع الإنجليز ، سمحت حكومة مصر للإنجليز باتخاذ المساحات الواقعة ما بين إداكو والمدية مطارات للإنجليز ، فلقى الأهليون من ذلك كل الأذى من شن الغارات الجوية عليهم ومن دهسهم بسياراتهم وهم يقودونها مخمورين أو مستهترين ، ومن تدخل جنود الهند في حرية الجزائريين في ذبح ما أحله لنا الإسلام ، ولهذا تكونت فرق القذائيين للفنك بالإنجليز وهم في خيامهم يخطون في نومهم ، أو سلب ذخائرهم .

وقد زار إداكو كثير من رؤساء الوزارات والوزراء السابقين منهم إسماعيل صدقي ، ومصطفى النحاس ومكرم عبيد ومحمود فهمي النقراشي ، وعبد الفتاح يحيى ، ولكن الثورة قد أولتها عنايتها عندما زارها السادة عبد اللطيف البغدادي وأنور السادات وكال الدين حسين وحسن إبراهيم يوم ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ بمناسبة إحياء ذكرى انتصار أهالي إداكو ورشيد على الإنجليز في حملة فريزر سنة ١٨٠٧ فأقيم سراق عظيم ، قلت فيه كلمة إداكو لرجال الثورة ، وألقى في الحفل السيد عبد اللطيف البغدادي كلمة الثورة وفي هذه الصورة تذكاري لهذه الزيارة الكريمة .



ثم حظيت إداكو بزيارة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية مرتين ،  
وخطب في أهلها مرتين ، كانت الأولى في ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٩ ، والأخرى  
في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥٩ لتوزيع أراضي بحيرة إداكو التي جففت. على الأهليين



رجال الثورة في إداكو  
السادة :

حسن ابراهيم  
وأنور السادات  
وعبد اللطيف البغدادي  
وكمال الدين حسين  
احتفالاً بيوم النصر في رشيد وإداكو

لوزاعتها ، وقد شهدت هذا الحفل الكريم واستمعت إلى الخطبة الرائعة التي أرتجلها  
السيد الرئيس ، كما أقام السيد وزير الإصلاح الزراعي مأدبة غداء للسيد الرئيس  
ونوابه ووزرائه وضيوفه في سرادق كبير .

وفي الخطبة التي ألقاها السيد الرئيس أعاد إلى الأذهان ما حققته الثورة  
للشعب من مكاسب في القضاء على الاستعمار والإقطاع والحزبية من أجل بناء  
المجتمع الثوري الجديد في ظل المحبة والتعاون والوعي والإيمان ثم قال سيادته

[ ولأننا اليوم أيها الأخوة المواطنون بعد سبع سنوات نشعر أننا قد قطعنا المرحلة التي كنا نهدم فيها آثار الماضي البغيض ونبحرنا في الخروج من هذه المرحلة بوحدة وطننا ووحدة شعبنا تجمعنا جميعا راية الإخاء والمحبة .



كلمة لادكو أمام رجال الثورة يلقيها المؤلف

وعليتنا أن تتجه إلى المستقبل بعزم وتصميم ولإيمان لنعمل ، حتى نعوض ما فاتنا ثم نعمل لنرفع من مستوى معيشتنا ولن يمكن بأي حال من الأحوال أن نرفع من مستوى معيشتنا إلا إذا عملنا العمل المستمر ، إلا إذا عرقنا

عراقاً مستمراً ، ولنا لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نرفع من دخلنا إلا إذا عملنا عملاً مستمراً .. ] .



كلمة السيد عبد اللطيف البغدادي في إداكو

وقد انتهزت هذه الفرصة وقدمت كتابي « إداكو » إلى السيد الرئيس فتلقياه سيادة، بيده الكريمة ، وحظيت بشكر منه ، كما أني سجلت مشاعري عن هذه الزيارة في القصيدة الآتية :

أقبلت وفي يدك البشرى  
وحلت .. فعمتنا الأفراح  
وثغور الناس لك ابتسمت  
أنت المأمول لنجدتنا  
ألقي التاريخ صحائفه  
(إدكو) لما أن شرفها  
ورجعت تسوق لنا الخيرا  
فشكرا لك شكرا شكرا  
ولغيرك ما أبدت بشرا  
ياقائد نهضتنا الكبرى  
ومضى يكتب عنا سطورا  
(عبد الناصر) زادت قدرا

إدكو .. غيرت معالمها  
وأمرت فسقت البحر لها  
ونزلت .. يرافقت الإصلاح  
والأرض بليقاك اخضرت  
ومشيت على الخطب المصفر  
حطمت القمم يعملاق  
فانقلبت تزيها تبرا  
بالخير .. فلم يعص الأمرا  
فجئت بخيرات تبرى  
والنهر تبسم وافترا  
فأضحى أغصانا خضرا  
فماذا عليك السحرا

يا صاحب ثورتنا العذراء  
و (بحيرة إدكو) من فرح  
ظلت لزيارتك الأولى  
والصيادون بك انتعشوا  
ومددت إلى الفلاح يدا  
وبالبحر هنا .. والنيل هناك  
دعني أحكي لك عن بلدي  
هذه الأسطورة من زمن  
ضاق الشيطان بنا ذرعا  
فأتى إدكوا كهيلا  
قال له : اقتل لي جبلا  
فأجاب : إذن سنسر وأنا  
وانخذل الشيطان المكار  
رددت لنا (إدكو) بكرا  
بقدمك نشوى أو سكرى  
تهفو .. وزيارتك الأخرى  
بدلت تعاستهم يسرا  
ردته من عبد حرا  
و (إدكو) بينهما حيرى  
ولقد أوقيت به خيرا  
تروى للعبرة والذكرى  
وعيننا نحن به صدرا  
زاد على المائتين شبرا  
من رمل أجعله ذخرا  
أقتل .. وكفاني عذرا  
وزاد الإدكوى مكارا

إن الشيطان هو الإقطاع  
وقضينا الدهر نحاربه  
لم نعرف لقنوط معنى  
السخرة هدت أعظمتنا  
قد كان لنا في زمن الروم  
وكروم الوادى أعطوها  
بعثوا عرق الفلاح إلى  
وعجزنا عن دفع الأموال  
فأملوا البحر على الوادى  
وابن السلطان على الإيوان  
أوقع بمشايخنا ( مينو )  
طلبوا الحرية فانتفضوا  
والأرناؤط هنا اتخذوا  
والكم ضغنا بقراصنة  
وأعز الله كنانتنا  
هم عبدوا ( هبل ) و ( العزى )  
ياموسى .. فرعون تمادى

استفحل فينا واستشرى  
ونزفنا في الحرب العمرا  
وقهرنا بالأمم القفرا  
وشربنا العلقم والمرا  
حدائق نزرعها قسرا  
لامرأة ( متوقسهم ) حكرا  
( روما ) لاذهبنا بل خيرا  
لحكم قد فجروا فجرا  
فاجتاح الكرمه والقصرا  
ينافس قيصر أو كسرى  
و ( فرير ) أفناهم غدرا  
والثورة أنت بها أدرى  
مصرنا لمآرهم جبرا  
لم يدعوا بحرا أو برا  
فارتدوا قتلى أو أسرى  
و ( مناة الثالثة الأخرى )  
فاضرب بعصاك اننا البحرا

دعنى بفعالك أتغنى  
أو لست زعيم عروبتنا  
أو لست محرر ( إفريقيا )  
أو لست عدو الاستعمار  
( باريس ) و ( تل أبيب ) و ( لندن )  
وزحفت زمانا ومكانا  
أصلحت فلم تترك أرضنا  
وقضيت على الإقطاع .. فما  
فجرت الصخرة فانبثقت

للدينا نثرنا أو شعرا  
ومحنق وحدتنا الكبرى  
ومحطم طغيان ( إنجلترا )  
حفرت لمصرعه قبرا  
عادت لم قهر مصرنا  
وقهرت مصاعبنا قهرا  
دون العمران ولو شبرا  
أبقيت لمحتكر ذكرا  
بالماء وعمرت الصحرا

ونشرت بذور الثورة من  
 ماملت إلى دول الاُحلاف  
 وبعثت العزة في الاُحرار  
 واتفض الشعب . فما أحنى  
 أعلنت سياستك الوضاعة  
 وآتى أسطول المنتفعين  
 جاموا بشياطين حممر  
 لما وطئوا أرض الاُحرار  
 والبيعة بدماما كتبت  
 وكفـانا أنك قائدنا  
 أبتاك الله انما ذخرا  
 فامن بالنور على بلدى

أقصى (باندونج) إلى (أكرا)  
 الكبرى منها والصغرى  
 فولى الغاصب مضطرا  
 رأسا للباغى أو ظهرا  
 للدينيا جهرا . . لاسرا  
 فلم ينطح إلا صخرا  
 فافتقدوا الخلب والظفرا  
 رأوها تتلظى جمر  
 وعليها لا نبغى أجرا  
 تكسبنا العزة والنصرا  
 يامن أطلعت لنا الفجرا  
 يحزبك الله به خيرا

وشتان بين عهدين : عهد الثورة حيث يأتى قائدها بنفسه إلى إداكو ليوزع  
 بيده على أهلها سندات تملك أراضى البحيرة بعد تخفيفها ، وبين عهد الإقطاع  
 الذى أقامه محمد على منذ ١٣٠ سنة ، حيث يمر فى طريقه إلى رشيد ، فىرى تلك  
 الأرض الواقعة شرق الكوم الأحمر ( الطابية الحمراء ) و ( طابية الإشارة )  
 تلك الأرض المعروفة قديما ( بكوم البصيل ) فيصدر أمره بضمها إلى ( أبعادياتة )  
 ثم يمنحها رزقه لأحد أغاواته وهو أرسلان أغا ناظر ذخائر الإسكندرية سنة  
 ١٢٥٢ هـ ويتولى أرسلان عدة مناصب فيصبح محافظا على رشيد وتمضى عشرات  
 السنوات ، وهو لا يدري كيف يضع يده على هذه الأرض ، وهذه صورة من  
 الأمر الذى أصدره محمد على بالتركية وتحتة ختمه ثم ترجمته بالعربية المتركة .  
 وتنص الترجمة العربية الركيكة لهذا الأمر على ما يأتى :

[ ترجمت (ترجمة) هذا الأمر الشريف مضمونه أن بالرمال فى بحيرة إداكو ،  
 بجوار ( كوم البصيل ) عشرة أفدنة طين أبعادية بلا مال ( أى معفاة من الضريبة )  
 فتعطوهم إلى أرسلان أغا ناظر ذخائر رزقة ( = هبة ) ولاجل إخراج التقسيط  
 من طرف غيطاس أفندى تحرر قائمة وترسل لطرفه كما هو مطلوبنا ] .

نصف ثاني بحيرة مدير ساداته مدرتكهم وجميعهم  
فوسان اولدوره بجمع الزكواته كدم البصل بوزن وقع اوده فانه بباريه الطباقي بدماله  
منه فطرطيه زفارتظا ارسله اغاي اعطه ونفسيطي مقارب بجمده عيسى افندي بقطعه  
قائمة اسرا يهكن وطوبعه (صالح)



تحت من الازمنة منمنه النيف ان بارمان في بجمع اوكوا بوزن البصل عشق افندي طين اباريه برمان فطرطيه  
ببرسلان اغا نازل وخاب رزقه واصل اخرج التقيط بطرف خطاس افندي عر قايه وترسل بطرف فاهو سطاونا

بلا علم منصور باشكاتب دبرت

وارتاهن الازمنة بجمع طين الازمنة بجمع افندي طين اباريه برمان فطرطيه  
ارسلان اغا نازل وخاب رزقه واصل اخرج التقيط بطرف خطاس افندي عر قايه وترسل بطرف فاهو سطاونا  
الذوق وعر قايه بقدر الساه وبيعت اهدود غلط المساج وجميعهم ورساها فالا فطرطيه ان ايم الذوق  
وهي واصل كجم قايه بها باورين تشوا اعاب لذل فطرطيه ورساها فالا فطرطيه ان ايم الذوق  
التيط واضطها الازمنة بجمع الازمنة بجمع افندي طين اباريه برمان فطرطيه

نص الأمر التركي الذي وقع عليه محمد علي بجمته في ١٢٥٢ بمنحه  
عشرة أفدنة لأرسلان أغا، ثم ترجمته العربية، ثم مكتبة مدير نصف  
البحيرة بحرى الى المعلم منصور باشكاتب المديرية لاتخاذ اللازم .

وقام بدوره مدير نصف البحيرة البحري كما هو ظاهر من الكتابة المجاورة  
لختمه في الخطاب السفلى فكتب إلى باشكاتب المديرية، لكي يقوم أحد أغا ناظر  
قسم ( مركز ) لإدقينا بقياس ( الرزقة الممنوحة لأرسلان أغا، وإجراء ما يلزم  
تمهيدا لإخراج التقيط ) .

وتمضى سبع وعشرون سنة وأرسلان أغا يتقلب في المناصب، وتستمر  
المكاتبات بينه وبين الحكومة لتتمكن من استلام الأفدنة، حتى يتسلم من محافظ  
الإسكندرية كتابا في ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٧٩؛ بأن يتعهد بدفع العشور من

- ١٦٢ -

سنة ١٢٧٠ هـ ، مع أن الأرض لا تزال رملية غير مزروعة ، ولم يتسلسلها حتى ذلك التاريخ .

١٢٨٤  
١٥٤

خزائن السلطان اغا

بعد ملامنة مفرغهم ما بافارة مديرة البحيرة  
مينة نمنه ، مفرغهم العشرة افدنه السابعة  
المدل عنهم من مفرغهم ما نمنه معطيه مفرغهم  
مباحية اذوا تمضي امير كرم في ١٥٤٠ ايضاً  
مخير تفيد من مفرغهم بدفع المصور عليهم من ١٥٧٠  
ويخبر ما بافارة ليدل للمديرية كطوبه  
١٤٧٩  
١٥٧٩  
١٥٧٩  
١٥٧٩

١٥٧٩  
١٥٧٩

سكانية من محافظ الإسكندرية الى عزتلو أرسلان اغا في ٢٣ القعدة سنة ١٢٧٩

نعم شتان بين الابعاديات التي استأثر بها محمد علي ، وبين الأرض التي يأتي  
جمال عبد الناصر ليوزعها على الشعب ، لا على الاغوات والالاضيش .  
وجاء السلاطين والملوك الى البحيرة للصيد والنزهة ، ويحجى جمال عبد الناصر  
فيقتضى على الإقطاع المزم ، ويصبح المصري سيداً في أرضه ، بعد أن كان عبداً  
للملزم ، أو (فلاح قراري) كما كانوا يسمونه .



## نقراطيس Naukratis

مدينة يونانية قديمة يتكون اسمها من كلمتين : نافس (= ملاح) + كراتوس (= السيطرة) وينطقان معا ( ناف كراتوس ) أى مكان السيطرة على الملاحة ، ونقراطيس كانت ميناء نيليا له السيطرة على الفرع الكانوبي ، فكانت التجارة المصرية تمر به في طريقها إلى بلدان البحر الأبيض ، وقال إرمان إن نقراطيس معناها « مدينة الميناء » .

أورد ذكرها هيرودوت واسترابون وقال جوتييه إن اسمها المصرى القديم ( نوكرات Naukart ) والرومانى نوكراتيس Naucratis ، وذكرها أملينو باسم ( Naukratis ) وقال إنها وردت في كشف الأسقفيات باسم ( أنوكراشيا Anaukrateia ) ، واندثرت هذه المدينة ، وقامت على أطلالها كوم جعيف التى أطلق عليها العرب فيما بعد ( نقراش ) ، وقد ذكرها ابن بطائى فى أعمال خوف رمسيس . وذكرها ابن الجيعان من أعمال البحيرة .

ويرجع تاريخ ( نقراطيس ) إلى أسبماتيك الأول أمير سايس ، ومؤسس الأسرة ٢٦ المصرية سنة ٦٥١ ق.م ، حيث كان وادى النيل مهددا بخطر الآشوريين ، فاستعان بالمطيين واليونانيين من سكان جزر بحر ليجه ، فجاءوا إلى مصر عن طريق كانوب ، وأقام لهم معسكرا عند ( ماريا Marea ) قرب كانوب ، وآخر عند ( دافنه Daphne ) قرب السويس ، وبهذا اتخذ الحيلة لصد هجمات الآشوريين من الشرق ، وهجمات الليبيين من الغرب .

وكان ميناء نقراطيس مصريا خالصا فيما قبل سنة ٦٧٠ ق م ، وكان السكان يقطنون بيوتا من الطوب ، ولهم حامية مصرية ، وحقولها ومزارعها منتشرة حولها ، وكانت تابعة لمقاطعة سايت التى قاعدتها ( سايس ) ، وكان بها مقر التجار القادمين من ملطية ، فصارت فى عهد أمازيس المركز الوحيد لتجارة الإغريق مع مصر ، لهذا أسهموا فى عمرانها ، والنصقت مساكنهم بمساكن المصريين ، وأنشأوا معابدهم بجوار المعابد المصرية ، فكان معبد (زوس) للإيجيين ، ومعبد (أبولو) لليليين ، ومعبد (هيرا) لأهل ساموس كما سمح أمازيس للإيونيين بإقامة هيكل (الهيلينيون Hellenion ) وهم الذين كان لهم الإشراف على سوق المدينة

وأقام الميليزيون سورا على الميناء فيما بين ٦٢٤ و ٥٨٥ ق.م ، ومعبد كبير لا قروديت ، وكانت الشوارع عريضة ورأجا المدينة واسعة ،

واندمجت هذه العناصر جميعا بعضها في بعض ، وصارت إدارة المدينة بيد الجميع دون تفرقة، وكان مجلس أعيان نقراطيس يسمى (تيموخوا Timouchoi) وفي زمن بطليموس الرابع كان (الكومون Comon) (المتدوب المالى بالمدينة . وقد وصف (هرمياس) أحد معاصري أفلاطون المآدب التى كانت تقام بدار (البريتانيون) فيما قبل البطلمية ، وسادت هذه النظم طويلا ، ونقراطيس متمتعة باستقلالها ؛ ولها مراسم خاصة تمنحها كهنتها ، فباسم نقراطيس ، منح كاهن المدينة وحارس عقودها ، وهو المنوط به معبد الإلاهة (أثينا) تشريفة .

واحتفظت نقراطيس بحضارتها وثقافتها الوافدين من بلاد الإغريق ، فأنجبت عددا كبيرا من الأدياء فى عهد اليونان والرومان ، ولكن العنصر المصرى قد بدأت الغيرة تدب فى صدره ، كلما رأى العنصر الأجنبى يزدد نفوذا ، وتدارك (أمازيس) ذلك بأن قصر الملاحة النيلية فى الدلتا على الفرع السكونى ، وصادر كل من يخالف ذلك ، وهذا زاد نجم نقراطيس تألقا ، إذ أخذ رجال الأعمال يفدون عليها من بلاد اليونان ، وازدهرت بها صناعات شتى : الزجاج والفخار والتماثيل ، ووصف هيرودوت فتيات نقراطيس وهن رائحات غاديات فى المدينة وقد شهد ذلك بنفسه حوالى سنة ٤٤٨ ق.م ، وكانت (دورينخا) عشيقة (كراكسوس) قد سمعت بفاتنات نقراطيس فسارعت بزيارتها ، وكذلك (رودوبليس) الفاتنة ، قدمت خصيصا من (تراقيا) لهذا الغرض ، أما الإغريق فقد وجدوا فى ملاهى نقراطيس مرتعا خصبا .

وظلت نقراطيس مركز إشعاع للحضارة المصرية الممتزجة بالحضارة الإغريقية على الرغم من غزو قمييز لمصر سنة ٥٧٥ ق.م ، فقد فتحت سايس له أبوابها ، ولكن ما لبث أن قلب للبصريين ظهر المجن :

وعند ما أسس (نقطناب الأول) الأسرة الثلاثين (٣٧٨ - ٣٦٠ ق.م) فرض غرامة مالية على نقراطيس تأديبا لها على موقف أثينا واليونانيين منه وجنوده المرتزقة الذين انضموا إلى الفرس بما عاد على مصر بالكارثة الفادحة ،

ولما تولى نقطانب الثانى أمر مصر أغدق على كهنة سايس فخصص لهم العشر من الضرائب التى كانت تجبى من نقراطيس .

ولما فتح الإسكندر الأكبر المقدونى أرض الفراعنة سنة ٣٣٢ ق.م ، وجد فى نقراطيس أكبر ميناء تجارى يربط بين الحضارتين ، وعلى الرغم من سيادة الطابع الإغريقى فيها ، وشهرتها الثقافية والتجارية ، إلا أنه مر بها عبر الفرع الكانونبى ، فى طريقه إلى ( راقوده ) قرية الصيادين والرعاة حيث الآن ( كوم الشقافة ) فلم يجد خيرا منها مكانا لتأسيس مدينة جديدة تحمل اسمه وتجمع بين الشرق والغرب ، وسماها الإسكندرية .

ومنذئذ أفل نجم نقراطيس ، ولما جف الكانونبى اندثرت معالم حضارتها ، ولم تعد غير أطلال وأكوام ، فسميت تل نقراش وكوم جعيف ، وظلت البعثات الأثرية تعمل لاكتشاف ماضيها ففى سنة ١٨٨٥ م اكتشف جاردنر Gardner جبانها بالقرب من شمال تل نقراش ، ولا تزال بقاياها بالقرب من قرية نبيرة .

وذكر جورج القبرصى كورة نقراشيا Naucratea كإحدى كور الدلتا البالغ عددها ثلاثا وثلاثين كورة قبيل الفتح الإسلامى ، ويتبين لنا ذلك جليا فى الخريطة التى بها التقسيم الإدارى لغرب الدلتا ، نقلا عن معلوماته .

### هرقليوم Heracleium

تقع هذه المدينة القديمة فيما بين أبوقير والمعدية ، على ساحل البحر ، ونرجح أنها اليوم أطلال نطلق عليها اسم ( الطابية الحمراء ) التى تمثل لنا بقايا العمران فى الميناء الشرقى لفرع كانوب المندثر .

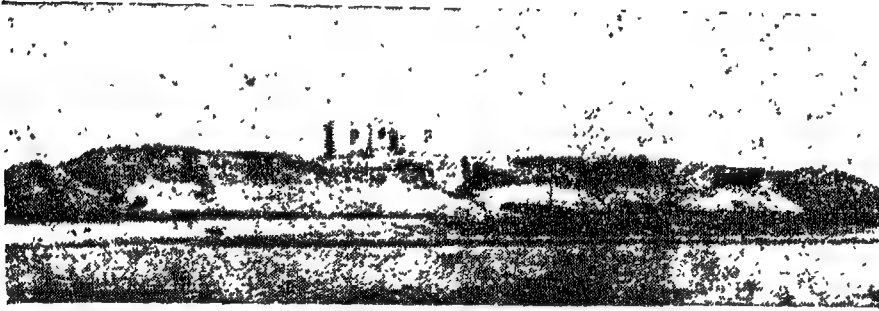
وقد أقيم فى هذا المكان معبد لهرقل سُمى ( الهرقليوم Heracleium ) ، كان يحج إليه المصريون القدامى ، وكثرت حوله المباني فأصبحت مدينة عامرة ، وسمى فرع النيل لشهرتها بالهرقلى .

وفى أثناء الحرب بين أسبرطة وطروادة ، ركب باريس Paris ملك طرواده وهيلانه Helen التى اختطفها من زوجها منيلاوس زورقها ، فألقت به الرياح على شاطئ البحر أمام مدينة هرقل ، فلم يجد لها مأوى غير المعبد الفاسم يومئذ

على الشاطئ القريب من الفرع الكانوبي ، ولكن ( ثونيس Thonis ) الحاكم المكلف بحراسة مصب النيل عند كانوب ، قد أرسلها أسيرين إلى ممفيس : . ليرى الملك المصري ( بروتوس Proteus ) فيها ما يراه .

وفي الصورة التالية صورة لبقايا هذا المعبد القائم الآن أطلالا في أحضان ( الطابية الحمراء ) أو ( الكوم الأحمر ) ، وهو تل قديم ، من المرجح أنه القلعة القديمة التي كانت على الضفة اليمنى للفرع الكانوبي .

وفي أعلى التل كما يبدو في الصورة مبنى حديث يقيم به حراس « سد أبو قير » كما تبدو أيضا في غربه مياه متخلفة عن المطر والرشح ، يمتلئ بها المجرى القديم للفرع الكانوبي المندثر .



بقايا معبد الهرقل دوم

وعلى ذلك نستطيع أن نحدد تاريخ هذا المعبد بما قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ولهذا ورد ذكره على لسان هيرودوت وهو الذي زار مصر مبتدئا من مصب الفرع الكانوبي ، وقد أطلق عليه استرابون ( الفرع الهرقلي ) وذكر قيام تلك المدينة من حوله بل قريبة كل القرب منه ، وعلى ضفتي الغربية على وجه التحديد .

أما هرقل ، فقد روى أنه جاء مصر ، فستخر منه المصريون ، وساقوه في كرنفال ساخر إلى معبد آمون ، ليقدموه قربانا له ، فتظاهر بالخضوع لمشيتهم ، حتى إذا وصلوا به إلى المذبح ، أمعن في الكهنة تقتيلا وتذبيحا ، فأفنى عددا كبيرا منهم ، فأمن المصريون بألوهيته ، وأقاموا له هذا المعبد ، ثم خلطوا فيما بعد

بين عبادته وعبادة الإله (خنسو) ثم (آمون) .  
وكان لمعبد الهرقليوم قدسية كبرى عند المصريين ، فما كان يحل لسيد أن  
يطارد عبدا له أوى إلى رحاب هذا المعبد ، فما كان أكثر العبيد الهاربين من  
أسيادهم . . في رحاب هرقل . .

غير أن هوميروس في الإلياذة ، قد ذكر أن الربان (كانوبيس Canopus)  
قاد سفينة (منيلاوس) ملك أسبرطة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد بعد حروب  
طرواده ، فألقت مراسيها على هذا الشاطئ ، فقد جاء ليسترد هيلانه زوجته  
الحسنة التي اختطفها خصمه (باريس) فتلقيها (تونيس) بالبشر والترحاب ،  
وأبلغ ملك مصر بذلك ، فدعاه إلى ممفيس ، وكان قد احتجز بها باريس وهيلانه .  
فلما حضر ، تسلم زوجته وانصرف .

وكان أسرى حروب طرواده ، قد احتموا بقدسية معبد هرقليوم ، فأكرم  
الكهنة المصريون وفادتهم ، فجددوا مباني هذا المعبد اعترافا منهم بفضيل الكهنة  
عليهم . . ولهذا أخطأ بعض المؤرخين فقالوا إن هؤلاء الأسرى هم الذين أقاموه .  
وكانت تمثيل (ليزيس) أم (هوريس) ، وربة البحار . ، أكثر التماثيل  
ذيو عا في هذا المعبد .

وتقول الأسطورة إن ربان سفينة (منيلاوس) قد  
عضه ثعبان ، فكانت لدغته السامة سببا في وفاته ، فدفن بين أطباق هذه الرمال  
ومن هنا سميت هذه الأرض باسمه ، فهل معنى ذلك أن الفرع الكانوبي  
سمى باسم ميناء كانوب ، التي تنسب إلى هذا الربان .

نحن إذن في حيرة : أى التسميتين أسبق من الأخرى (الفرع الكانوبي)  
أم (الفرع الهرقلي) ؟ إن الذى نفهمه من الأسطورة على هذا النحو . . أن معبد  
هرقل سبق في الوجود مدينة هرقل ، وهى بدورها أسبق من كانوب .

### كانوب Canopus

كان (كانوبيس Canopus) ربان سفينة (منيلاوس) أول من دفن في الرمال  
الواقعة غرب (الهرقليوم) ، وأخذت المباني تظهر حول قبره بالتدريج ، حتى  
سميت هذه المدينة باسمه .

غير أن خطيباً من أهل القرن الثاني الميلادي ، لم يعترف بأن هذه المدينة ترجع في تسميتها إلى كانوبيس الريان . . وقال بل هي مدينة مصرية قديمة ، وجدت قبل أن يرسو عليها كانوبيس بسفينته ، بقرون طويلة . . فهي تنسب إلى « كاهينوب » ، أى أرض الذهب ، وصار اسمها بالقبطية ( كاهي نوب Kahi-noub ) وقال هذا الخطيب مفاخرًا بأن المصريين أعرف بتاريخ بلادهم من هوميروس وهكتاتئوس .

هذا الخطيب هو ( إيليوس أريستيديس Aelius Aristides ) وقد نقل قصته هذه التسمية المصرية من أحد مشاهير الكهنة في كانوب نفسها .

هذا وقد حاول كل من ( سويداس Suidas ) و ( سيدرينوس Cedrenus ) و ( روفينوس Rufinus ) في بحوث أسطورية لهم عن كانوب . . أن يثبتوا أنها نسبة إلى الإله المصري القديم Canopus ، حتى لقد أطلق المصريون على رموس الخزيات الجنائزية اسم ( الخزيات الكانوبية ) ، واستخدموها في حفظ رفات الموتى أثناء عملية التحنيط .

وفي العصر الفرعوني ، لم تكن كانوب ذات أهمية ، لبعدها عن منفيس ، ومع ذلك عثر فيها على تمثال رمسيس الثاني وبنته ، وقد سيطرت هذه المدينة على الفرع الكانوبي من جهة البحر ، كما سيطرت على الميناء النهري ( نقراتيس ) .

ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد كانت كانوب تتمتع بشهرة زائدة ، فقد ورد ذكرها على ألسنة الكثيرين منهم Scylax, Eschyle و Hécateé de Milet وفي جوار كانوب كان يوجد معبد هرقليوم الذى تحدثنا عنه ومعبد أفروديت الذى أقامه أمير البحار Callicratès ، ومعبد سيرابيس الذى تحدث عنه استرابون وزارها هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد ولما أنشئت الإسكندرية في القرن الرابع قبل الميلاد ، كانت كانوب إحدى ضواحيها ، وزارها الإسكندر ، فصارت في حدود «منطقة الإسكندرية» بعد العنف الذى استعمله ( كليمانس Cleomenses ) مندوب الإسكندر ، مع تجارها حتى رشوه ليتركهم وشأنهم ، فقد عز عليهم أن يهجروا كانوب الغنية بأسواقها ليفتحوا أسواقاً جديدة في المدينة الجديدة «الإسكندرية» .

وبدأت كانوب في الانحدار مع البطالة ، على الرغم من المعابد التى أقيمت بها

للملكة أرسينوى زوجة بطليموس الثانى فى القرن الثالث قبل الميلاد .  
وقد استجار ( كليومونس ) ملك أسبرطة ببطليموس الثالث ليعينه على  
استرداد ممتلكاته ، فمات ، وخلفه بطليموس الرابع محب أبيه سنة ٢٢٢ ق.م .  
ولم يخف لنجدته ، فندد به ملك أسبرطة ووصفه بالعازف على المزمار مع  
الشبان فسجنه بالإسكندرية .

وفى ذات يوم ، ذهب بطليموس إلى كانوب ، فحرض كليمونوس المساجين  
على الثورة ، فخرجوا والسيوف فى أيديهم ؛ ولكن أحدا لم ينضم إليه ، ثم عمد  
إلى قلعة الإسكندرية فحطم أبوابها وأخرج مساجينها ، وأعطاهم الأسلحة ، ولكن  
كبار الحراس بالقلعة أخذوا هذا التمرد ، وعاد بطليموس الثالث من كانوب إلى  
الإسكندرية ، فأمر بصلب كليمونوس وذبح زوجته سنة ٢٢٠ ق.م .

وتغنى شاعر الإسكندرية اليونانى ( كاليماخوس Callimachus ) بتمثال  
قدمته ( سيلينا Selenaea ) إلى ( معبد الزفير يوم ) القريب من كانوب ، والذى  
قدمت إليه الملكة ( بيرينيس Berenice ) زوجة بطليموس الثالث خصلة من  
شعرها . وفاء بالنذر التى قطعت على نفسها إذا عاد زوجها سالما من أشور .  
وقد وجد بكانوب معبد أوزيريس تمجيدا لوالد هوريس ، الذى قتله أخوه  
الغدار ( نست ) ، والمعروف أن بطليموس الثالث وزوجته تلك هما اللذان شيدا  
هذا المعبد .

وفى سنة ٢٣٨ ق.م . أصدر الكهنة قرار كانوب المشهور ، بعد اجتماعهم فى  
هذا المعبد الذى أصبح أكبر معابد المدينة ، وفيه اعتراف منهم بالوهية ( بيرينيس )  
الفتاة التى ماتت فى ريعان شبابها ، وكانت تسمى باسم أمها ، وقرر الكهنة أنه فى  
يوم ٢٩ كيهك من كل سنة ، تنحرك سفينة أوزيريس من معبد الهرقليوم إلى  
معبد بيرينيس ، وذلك أحد الطقوس التى حددها القرار .

وأقيم فى كانوب أيضا معبد ( سارايبس ) ، أخذ يحج إليه أهل الإسكندرية  
طلبا للشفاء من الأمراض ، وقد وصف ( استرابون ) هؤلاء الوافدين على كانوب  
من الإسكندرية عبر التربة ، وهم يرقصون ويطربون ، حتى يصلوا إلى كانوب ،  
فيقضون الأيام والليالى فى عبث وجمون ، ويقدم لهم الكانوبيون ، الفطائر  
والسمك وأم الخلول النيلية ، ويبيعون لهم الملابس القبرصية الرائعة ، ويستمتعون

بالجو المنعش ، والنسيم العليل ، وعلى إحدى اللوحات كتبت عبارة Deliciae Canopi أى « ملذات كانوب » .

وزار كانوب مؤرخ صقلية المشهور ( ديودور ) فى القرن الأول الميلادى ، فرأى قناطرها على ضفتى السكانونى والحصون والمساكن هنا وهناك ، ومظاهر الحضارة البطلمية تسرى فيها بالروعة والجلال .

ولما شهد عام ٣٠ قبل الميلاد انهيار البطلمية على أيدي الرومان ، نظروا إلى كانوب البطلمية نظرة استمزاز حتى نسبوا إليها كليوباترة المستهجنة الأصم - حتى قالوا « كانوب مدينة كليوباترة » ، وحتى قال أوغسطس قبل موقعة أكتيوم : [ لقد اقتنصت كليوباترة الفاجرة راقص الصاجات فى كانوب ] يعنى أنطونيوس ، وصوروها وهى تطارد النسر بها . أى كبار القواد الرومانيين ، وقال ( أوفيد ) إنها حاولت عبثا جعل روما إحدى ضحايا كانوب . وعابوا على أهل كانوب عاداتهم ، واشماز الحاكم الرومانى ( كايوس بالبولس Caius Baibulus ) عندما زار كانوب سنة ٥٥ م . فرأى معركة دامية أخذ فيها تمايح الهير يمزقون درافيل البحر لإربا إربا .

وأصبح الكتاب وعلى رأسهم ( فرجيل Virgil ) يتحدث عن السكانونيين على أنهم هم المصريون ، ولما زارها الامبراطور ( هادريان Hadrian ) فى القرن الثانى للميلاد ، أعجب بتماثيلها وحدائقها وقصورها ذات الأبهاء التى من دورين والبوابات الرائعة ، فأمر بتخصيص ركن من حديقة قصره على نهر النيل بروما وسماه « كانوب » ملأه بتماثيل كانوب .. الرائعة .

ولما ذاعت التعاليم المسيحية فى مصر ، أخذت ( كانوب ) نصيبها ، فاستشهد بها سنة ٣١٢ م فى مذبحه ( الامبراطور ديوقلتيان ) الراهب ( كير ) وزميله ( يوحنا ) ، ورفاقها ، وصارت كانوب مأوى الصالحين من دعاة المسيحية والمهاجرين من الاضطهاد الرومانى ، وأقيمت بها الكنائس ، على أنقاض المعابد التى شيدتها البطلمة ، ومنذ سنة ٤٥٧ م صار بطريرك الإسكندرية الملاكاني يقيم فى كانوب .

ترى .. هل كانوب هذه هى حقيقته ( أبوقير ) ، أم أن هناك مدينة أخرى .



تقع شرقى كانوب بنحو ميلين هي التي قامت على أنقاضها (أبوقير) ؟ ماهى إذن هذه المدينة القديمة ، وكيف تولدت عنها أبوقير ؟

### مينوتيس هل هى أبوقير ؟

قلنا إن ( كانوب ) قد نسبت إلى ( كانوبيس ) قائد سفينة ( مينيلاوس ) ، ونقول أيضا إن زوجته كانت تسمى ( إيمونيثيس Eumenouthis ) وقد أطلق اسمها على مدينة تجاور كانوب ، وتقع على مسافة ميلين إلى الشرق منها ، وقيل إنها دفنا معا فى قبر واحد على تل قريب من الساحل ، وصار أهل هذه المنطقة يقدسونها .

وقد حرف اسم المدينة فصار ( مينوتيس Menouthis ) ، وقيل ( تونيس Thonis ) باسم حاكم الميناء الكانوبى الذى استقبل بارس وهيلانة ، بعد أن ألقت الأمواج زورقها على الشاطئ .

على أن ( استرابون ) لم يذكر شيئا عن ( مينوتيس ) . . حتى إذا انتقلنا إلى القرن الثانى لليلاد ، وجدنا تماثيل ( إيزيس ) يقدمها الناس إلى معابد مينوتيس ، إلى جانب تمثال الصدق الذى اشتهرت به ، وكثر التردد عليها فى القرن الرابع من الرجال والنساء على السواء ، وظل معبد إيزيس قائما بها حتى حطمه البطربرك ( تيوفيلوس ) وشيد على أنقاضه كنيسة ، ومع ذلك لم ينقطع سيل الوافدين على مينوتيس لزيارة إيزيس ، فى القرن الخامس ، وكان رفات ( كير ) و ( يوحنا ) قد نقلتا من الإسكندرية فى ٢٨ يولية سنة ٤١٤ م ودفنا فى ( مينوتيس ) . وبُنيت لها كنيسة ، صار يحج إليها المسيحيون حتى القرن السابع طلبا للشفاء ببركتها ، ويقول ( سوفرون ) إن هذه الكنيسة كانت قريبة من الساحل وفى مكان منخفض ، صارت الأمواج والرمال تعبت بمناها زمنا ، وصار أهل الإسكندرية يرون أبراجها العالية على البعد .

ولما توالى الأيام ، وزحفت الأمواج ، والسحب الرمال ، لم يبق إلا ذلك المكان الذى فى شمال مينوتيس حيث دفن ( الأب كير ) . . Apa Kyr . . لهذا أطلق على بقايا هذه المدينة ، التى زالت معالمها باسم ( أبو كير . . أبو قير ) التى كانت تابعة لإقليم البحيرة ، ثم صارت ضاحية من ضواحي الإسكندرية منذ سنتين .

وقد كانت أبو قير هدفا لغارات القراصنة من صقلية وقبرص ، كما حدث في ٢٧ شعبان سنة ٧٦٤ هـ عندما أسروا من البساتين والقصور ٦٦ مسلما ومسلمة وأثاث البيوت وفروا إلى صيدا . فاقتداهم المسلمون ، وردوهم إلى أبو قير كما كانوا .

ولما كانت أبو قير متطرفة عن الطريق البري بين الإسكندرية ورشيد وهما المرحلة الأولى للسفر من الإسكندرية إلى الناهرة ، فقد أهمل شأنها في العصور الإسلامية ، ولم نسمع عنها شيئا اللهم إلا ذلك الشيخ (الأبوقيري) الذي ذكره السخاوي في القرن التاسع الهجري ، وزيارة ابن زنبيل الرمال لها الذي يقول عنها [ قلعة حصينة ، دخلتها في ربيع الأول سنة ٩٥١ هـ وكان دزدا ويقال له الأمير على فأزلتني عنده وفرجني على ما بها من الأراج والمدافع فرأيتها قلعة أعظم من مدينة وأكثر عددا ] .

ولعل اندثار الفرع الكانوبي في القرن التاسع الميلادي هو السبب في فقدان أبو قير مكائنها التجارية والعمرانية ، ولكن المواقع الحربية التي جرت وقائعها على مياه شواطئها ، وبين طيات رمالها قد جعلت أبو قير تدخل التاريخ عن طريق المعركة البحرية التي حدثت بها في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ حيث انتصر نلسون على أسطول نابليون ثم تلتها معركة برية بها في ٢٥ يولية سنة ١٧٩٩ ، انتصر فيها الفرنسيون على العثمانيين ، ثم احتلها الإنجليز في مارس سنة ١٨٠١ ، وقتل حسين باشا القبطان بالمماليك في أكتوبر من هذه السنة . وبدأت الأنظار تهتم بأبو قير طوال القرن التاسع عشر : بتحسين قلاعها ، التي تحوالت أحيانا إلى سجون .

وبالاختصار لقد لعبت أبو قير دورا هاما في الكفاح . . قبل أن تنفصل عن البحيرة لتتضم إلى الإسكندرية ، فتجدد شبابها ، ودب العمران إلى أرجائها فأصبحت أهم مصطاف ومشتى . . على ساحل البحر الأبيض على الإطلاق .

وقد حظيت أبو قير بشرف عظيم من لفتات أمير الشعراء أحمد شوقي ، حينما استوحى رمالها ونخيلها فقال قصيدته المشهورة في وصف النخيل . وفي الحق أن يد الثورة ، قد لمست أبو قير . . فأحالتها إلى شيء آخر . .

يفخر به كل مصري وعربي ، الشباب والشيوخ في ذلك سواء . .  
وعنى المؤلفون أخيرا بالكتابة عنها فوضع عنها إبراهيم الفحام  
كتابه « أبو قير » . وكذلك وضعت بطريكية الأقباط الأورثوذكس كتابها  
( أبو قير ) وكتب عنها ( فيفر Faivre ) كتابه .

Canopus, Menouthis, Aboukir.

واشتهر في عالم الجغرافيا ( سد أبو قير ) و ( بحيرة أبو قير ) وقد خصصنا  
لها بحثين في باب ( بحيرة البحيرات ) .

وتحدث عنها ( فورستر Forster ) في كتابه عن ( الإسكندرية ) ، كما أن  
الحجرة السابعة من المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية قد اشتملت على عدد  
وافر من الآثار التي عثروا عليها في أبو قير منها قلعة ( سبابا ) التي ترجع إلى  
سنة ١٣٠٠ ق.م .

وتحدث عنها أيضا على مبارك في الجزء العاشر من الخطط التوفيقية تحت  
عنوان ( بوقير ) . وكذلك لإسماعيل باشا سرهنك ، وكوت بك في الجزء الأول  
من « ملحة عامة إلى مصر » .

## الكريون Kérioun

مدينة قديمة ذكرها كل من أمينو وجوتيه ، واسمها المصري القديم ( كيرو  
Khereu ) والروماني ( كيريس أو كيرون أو كريون Kheris, Khairon  
Kherouon ) واللاتيني ( كيروم Choereum ) والتبطل ( كيروي Kherey )  
أو ( كريون Kérioun ) وهو اسمها العربي الحالي ، وكان استرابون قد ذكر  
أنها ( أكابريون كومه ) أي أنها قديمة وعلى يمين النيل بالنسبة للمسافة بين شيدا  
إلى منفيس .

ورد ذكرها في الفتح الإسلامي ، حيث كان بها آخر حصن روماني قبل  
الإسكندرية في زحف عمرو بن العاص عليها سنة ٥٢٠ هـ — ٦٤١ م ، وعلى الرغم  
من صمود تيودور أمام العرب اعتادا على المدد الوارد عليه من ( سنطيس )  
و ( خيس ) و ( سخا ) و ( بليب ) إلا أن أن المسلمين انتصروا على الروم .

وعندما سقطت الكريون أمام عمرو بن العاص ، انكشف الطريق له إلى الإسكندرية ، وكان انتصاره على الروم في الكريون حاسما ، وعندئذ حث المسلمين على دخول الإسكندرية قائلا : سيروا على بركة الله .

وقد ورد ذكر ( الكريون ) في شعر كثير عزة حيث قال .

اعمرى لقد رعتم غداة سويقة      بيدكوايا (عز) حق جزوع  
ومرت سراعا عبرها وكأنيها      دوافع بالكريون ذات قلع  
وحاجة نفس قد قضيت وحاجة      تركت وأمر قد أصبحت بديع  
واعتبر ابن السكيت هذه التبعة نهرا فقال : [ الكريون نهر بمصر يأخذ من النيل ] ، ولذلك شبه كثير عزة العير بالسفن ذات القلع ، وورد ذكرها أيضا في شعر عبد الله بن قيس الرقيات في مدحة لعبد العزيز بن مروان في خروجه إلى الإسكندرية مع الأشراف والشعراء وذلك سنة ٨١ هـ .

لحي من أمية ليس في أخلاقهم رفق  
غدوا من مدرج (الكريون) حيث سفينهم حرق  
فلما أن علون النيل والرايات تختفق  
رأيت الجوهر الحكيم والديساج يأتلق  
سفائن غير مغرقة إلى حلوان تسابق  
محمل قد نحل به لذيذ عيشه غدق  
يحل به ابن ليلي والندی والحلم والصدق  
أحب إلى من قوم إذا ما أصبحوا نعتقوا

ولما قدم مروان بن محمد إلى مصر سنة ١٣٢ هـ ، وكانت الدعوة إلى العباسيين قد شاع أمرها ، أرسل الكوثر بن الأسود الغنوى وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي إلى الأسود ابن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الذي دعا للعباسيين بالإسكندرية وفي ذى القعدة شهدت ( الكريون ) لقاء داميما بين الفريقين ، قتل فيه عيسى ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، وانكشف الطريق إلى الإسكندرية أمام الكوثر فدخلها واستشهد عبد الأعلى بن الهجرس مولى مراد ورأس الموالى .

وفي سنة ٢٥٢ هـ شق جابر بن الوليد عصا الطاعة على المعتر بالأسكندرية فبعث والى الإسكندرية محمد بن عبيد الله بن يزيد بن يزيد الشيباني جيشا من ثلثائة رجل بقيادة نصر الطحاوى ، فزلوا الكريون ، وكان جابر قد تركها إلى ( صا ) فرجع نصر إلى (جنوبيه) ونزل بها ، وهناك قدم جابر فصددهم ، حتى استنجد نصر بمدد من الإسكندرية ، وأخذ ينتظر بالكريون حتى وافاه برد بن عبد الله وأبو الدواء ، ومضوا إلى دسونس ، والتقوا بجابر فانهزم نصر وبرد وانتصر جابر ، وعاد جيش الإسكندرية مشأت الشمل وتحصن بأسوار المدينة .

وقد ورد ذكر الكريون في فتوح مصر للواقدي وفتوح مصر لابن عبيد الحكم وابن خرداذبه ووصفها ابن حوقل في القرن الثالث الهجرى فقال إنها مدينة عظيمة جميلة على ضفتى ترعة الإسكندرية وبها جامع وفنادق وكروم تصدر أعشابها إلى ما حوالها ، وكان النجار يركبون منها القوارب إلى القسطنطينية ، وفي وقف القيصان ، وكانت مقر حاكم كورة الكريون وتحت إمرته فرسان ومشاة . ومن أشهر رجائها في القرن السابع الهجرى أبو رزين الكريونى الذى سيرد في أعلام الكريون ، غير أنها في هذا القرن كانت [ قرية مشهورة بقرب ثغر الإسكندرية ] كما يقول المنذرى في كتابه (١) ، وفي القرن الثامن الهجرى ذكر ابن دقاق : ملاحظات الكريون (٢) .

وورد ذكر الكريون في فتوح البلدان للبلاذرى وفي معجم البلدان لياقوت وقوانين الدواوين لابن عماتى والخطط المقرية وتحفة الإرشاد وفي النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى وفي التحفة السنية لابن الجيعان حيث كانت في القرن التاسع الهجرى من عمل البحيرة ومساحتها ٣١٦٠ فداناً وبها رزق ، وأقطعت باسم برد بك التاجى ثم باسم الديوان السلطانى وذكرها تلى مبارك في خططه وهى الآن بالقرب من قرية (معمل الزجاج) بكفر الدوار .

(١) المنذرى : التكملة لوديات النقلة : الجزء ٤٢

(٢) الانتصار بواسطة عقد الامصار

## الطراثة : ترنوط - تيرنوتيس

ذكرها جوتييه في قاموسه وقال إن أصلها المصري (بيرانوط Per Rannout) وسميت في العصر الروماني (تيرنوتيس Térénothis) ، وقال (ألمينو) إن اسمها القبطي (تيرنوط Ternout) وكتبها العرب (ترنوط) و (الطراثة) وذكرها جورج القبرصي كقسم إداري في التقسيمات الكبرى لمصر. قبل الفتح الإسلامي كأبرشية مصرية .

ولما فتح عمرو بن العاص حصن بابليون في ٩ أبريل سنة ٦٤١ م سار بجياله يريد الإسكندرية فالتحم مع الروم في الطراثة التي تؤدي إلى أديرة القبط في ليبيا وفيها انتصر عمرو على الروم انتصارا رائعا ، ومضى بعدها إلى (نيقيوس) أو شبشير فسلبت في ١٣ مايو ومضى المسلمون في الفتح من بلد إلى بلد ومن نصر إلى نصر (١) .

وكان بها في القرن الثالث الهجري كنيسة باسم العذراء مريم ، وجامع بمئذنة فضلا عن الكنائس الكثيرة ، ولكنها خربت ، وصارت قرية بعد أن كانت مدينة ، وفي الغرب تل مرتفع فوقه مقام الشيخ أبي عبد الله .

وذكرها ابن خرداذبة في كور مصر في القرن الثالث الهجري ، وذكرها قدامة في أعمال مصر وكورها وكذلك يعقوبي ، وذكرها الإدريسي أيضا وقد وصفها ابن حوقل فقال : إن بها جامعا في جانبها البحري ، وبها كثيرة للنصارى وأسواقا عامرة وحمامات ، وكان لها عامل يقوم بشؤونها وله عسكر تحت يده ، ولها غلات كثيرة ، وفي الجنوب مخزن النطرون الوارد إليها من وادي النطرون وأغلب معاش أهلها من استخراج النطرون ونقله وكذلك البردى والحلفاء (السيار) . وقال ياقوت : إنها قرية على النيل وإن أكثر فاكهة الإسكندرية منها وقال [لا تطول الأعمار كما تطول ترنوط وفرغانة] وكان لها ميناء نهري ، وعندها يعبر المسافرون النيل في طريقهم إلى الإسكندرية ، وبالطراثة عربان كثيرة لا يضبط عددهم ، كما أشار إلى ذلك غرس الدين خليل في « زبدة كشف الممالك وبيان

الطرق والمسالك ، في القرن التاسع الهجرى .

وقد أفاض أبو عبيد الله البكرى في كتابه « المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب » في وصف ترنوط فقال إنها جامعة على النيل ، بها أسواق ومسجد جامع وكنيسة خراب كثير خربته كتامة إذ كانوا هنالك مع أبي القاسم بن عبيد الله الشيعى ، وبها معاصر سكر ، وقصور في صحراء الرمل ، بحكمة البناء منجدة الجدر أكثرها على أزاج معقودة يسكنها الرهبان ، وبها آبار عذبة ، كما توسع البكرى في وصف القبو العظيم الذى فى آخر بنيانها والتمايل الرخامية التى لأبومينا وصور الأنبياء التى فى كنائسها ، والمساجد التى حولها أشجار الفسكهة ولا سيما اللوز والخروب والكروم التى تحمل أغصانها إلى مصر ، ومن الطرانة يخرج الطريق إلى أديرة قديمة بالجبل : بالبراموش والسرمان وبشام ومقار ، وعند هذا الجبل تنفرع الطرق إلى الفيوم وسيوه والإسكندرية ومريوط ، ويتول موتسنجر باشا إن سعيد باشا كان ينزل فى قصره الخاص الذى بناه بها .

### تروجة Troughah

بلدة قديمة قريبة من الإسكندرية لها تاريخها الهيروغليفى<sup>(١)</sup> عند (دارسى) الذى قال إن أصلها (هاتاب آست Hat-ab ast) أو (هاتاب مننت Hat-ab-ment) وقال إنها تروجة Trougi أو Troughah وبالتبعية تروجة أى La Tharange de la Devise des chemins de Babyloine وعلى أى حال فهى فى الرمال ، وكان الرهبان يقيمون بها فى القرن الرابع الميلادى<sup>(٢)</sup> ، ولكن لم يرد ذكرها فى الكتب العربية إلا منذ القرن الرابع الهجرى ، حيث كتب المقرئى<sup>(٣)</sup> أنه فى شهر صفر سنة ٣٥٨ هـ ، عزل شاور عن (قوص) فحشد الجند ودار عبر الواحات إلى تروجة فجمع الناس حوله ومضى حتى وصل القاهرة ، ففر رزك ، واستقر شاور فى الوزارة .

(١) Gauthier : Dict. des noms Geog. T : 4 P : 47. +

Daressy : Annales services ant. 9 : 224.

(٢) عمر طوسون : وادى البطرون

(٣) اتعاظ الحنفا

وفي جمادى الآخرة من هذا العام أيضا سارت جيوش المعز لدين الله الفاطمي نحو الإسكندرية ، بقيادة جوهر ، الذى التقى فى تروجة بأعيان مصر — وعلى رأسهم جعفر مسلم بن عبد الله الحسينى — يشترطون عليه الأمان فكتبه لهم بخطه بها فى شعبان من ذلك العام ، ثم سار بالعسكر إلى الجيزة (١) .

وفى سنة ١١٨ هـ نزل الروم على تروجة وحاصروها ثم انصرفوا عنها ثم أقبلت سفن الروم ثمانية وأسروا نعيم بن العجلان وعبد العزيز بن مروان .

وفى سنة ٢٥٣ هـ كان جابر بن الوليد مقيما بتروجة بينما أقام يزيد بن عبد الله بالشراك وقد عقد له مزاحم بن خاقان ليقاتل جابر ، وكان اللقاء عند تروجة فهرب جابر ووقع رجاله أسرى ، واستمر جابر إلى (نهيا) والفيوم ثم وقع أسيرا وأرسله مزاحم إلى العراق .

وفى سنة ٣٠٦ هـ دب النزاع بين المظفر بن ذكا بالإسكندرية وبين مغاربة البحيرة ، وكانوا فى تروجة فخرج إليهم المظفر ، وأوقعهم ثم عاد من حيث جاء . وفى سنة ٣٢٤ هـ التقى جيش الأمير محمد بن طنج وعلى رأسه يعيش السكتامى بالمغاربة فيما بين تروجة وأبلوق فى ٥ جمادى الأولى فانهمز المغاربة وأمعن الترك فيهم قتلا وفتكا وأسرا ، وقتل يعيش ودخل ابن طنج الإسكندرية .

وفى القرن السابع الهجرى (٢) كانت تروجة تقصد السلاطين للصيد ، ومحط انتقالهم عبر الصحراء إلى الإسكندرية ، وفى ٦ شوال سنة ٦٦١ هـ أقام بها السلطان الظاهر بيبرس عدة أيام ثم دخل الصحراء للصيد وبعد مدة وجيزة غادرها إلى الإسكندرية .

وفى سنة ٦٦٨ هـ نزل بها أيضا وصاد الغزلان والنعام وخلع بغلطاقا (قباة صغيرة) على كل جندي صاد غزالا ؛ ومنح حصانا مسرجا ملجما لكل من صاد نعامة .

وفى سنة ٦٧٣ هـ نزل بها السلطان الأشرف خليل للصيد فقتله بها الأمير بيدرا .

(١) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ٢

(٢) المقرئى : السلوك قسم ٣ - ١ + النورى : نهاية الأرب



وفي القرن الثامن الهجري مر بها ابن بطوطة <sup>(١)</sup> ووصفها بأنها قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر ، وأشاد بمكارم أخلاق أهلها ، وصحب قاضيها صفى الدين وخطيبها فخر الدين ، وناظرها زين الدين الذى أضافه وكذلك عبد الوهاب العابد الفاضل الذى نزل عنده ، ومدح مبارك المسمى زين الدين أحد القضاة من أهلها .

وذكرها أيضا ابن دقاق <sup>(٢)</sup> تحت عنوان « الأعمال البحرية » ويقصد بها إقليم البحيرة وكان يتبعها عدة كفور ، ثم وردت عند ابن الجيعان فى القرن التاسع الهجري على أنها مع كفورها لم تسمح وكانت عبرتها ( حصيتها ) اثنين وسبعين ألف دينار كانت للديوان الخاص ثم صارت للديوان المفرد ، وقال ابن خلكان إن أكثر زراعة أهلها الكراويا .

واشتهر عدد كبير من أهلها فى هذا القرن بالعلم والتجارة وسائر الصناعات ومنهم من نزح إلى الإسكندرية والقاهرة والهند ، كما سنجد ذلك فى أعلام تروجة . وكان لمربان تروجة شأن أى شأن فى موقفهم لإزاء الصراع الدامى بين المماليك ، فى سنة ٩٠٢ هـ (٣) سار إلى الإسكندرية قاصوه الشامى ومصر باى لقتل الأتابكى تراز وقانى بك قرا وكان بالسجن ، فنزلها نائب الإسكندرية ، وخرج عليها عربان تروجة وقبضوا عليها ، وقتلوا مصر باى وعلقوا رأسه على باب الإسكندرية . هذا وقد ذكرها محمد رمزى فى البلاد المندسة ، وقد اندثرت معالمها ومكانها اليوم ( كوم تروجة ) بناحية زاوية صقر بمركز أبو المطامير (٤) ، وذكرها أيضا عمر طوسون فى كتابه الفرنسى عن جغرافية مصر فى زمن العرب ( مصر السفلى ) .

### مصيل Maçil

مدينة قديمة كانت عاصمة لكورة مصيل أورد ذكرها مؤلفو العرب : ابن خرداذبه واليعقوبى والهمدانى وقدامة والمسبحى والدمشقى والقضاى وابن

(١) ابن بطوطة : الرحلة .

(٢) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ٥٠٠

(٣) ابن لياس : بدائع الزهور .

(٤) القاموس الجغرافى : القسم الأول ص ١٩٠

دقاق والخزوى والمقرى والمقرى والمقرى ، ووردت في تحفة الإرشاد باسم ، محلة مصيل ، كعمل من أعمال البحيرة ، واعتبرها رمزى من البلاد المندثرة ، ولا تزال أطلالها تعرف باسم كوم المدينة ، التابعة لبسنتواى بمركز أبو حصص ، ويقول عمر طوسون : إنها كانت تشغل المكان بين ترعة الإ-كندرية وفرع رشيد أمام قوة ، وقديما كانت تشغل الجزء الشمالى الشرقى من قسم هر موبوليس حسب التقسيم الإدارى عند جورج القبرصى ، أى فى مكان ميتيليس قديماً .

أما ياقوت فيقول : إنها قرية تنسب إلى كورة مصيل ، وجاء فى تحفة الإرشاد : محلتا الشيخ ومصيل ، ومكانها بعد أن اندثرت ( كوم الأحمر ) على مسافة سبعة كيلو مترات جنوب غرب ( العطف ) .

وقد ورد ذكرها فى حوادث الفتح الإسلامى ، إذ كان أهلها من القبط ممن أعانوا الروم على المسلمين فسباهم عمرو وأرسلهم أسرى إلى الخليفة عمر فردهم وعفا عنهم .

وعندما تكلم القلقشندى - وهو فى ذلك يعتمد على القضاعى - عن كور الحوف الغربى جمع قرطسا ومصيل فى كورة واحدة ، وقال : قرطسا قرية من عمل البحيرة بينما قال عن مصيل : من الأسماء التى جهلت . وقد أجمع علماء الآثار على أن ( مصيل ) هى الاسم الحديث لمدينة ( ميتيليس ) عاصمة المقاطعة اليونانية القديمة ( ميتيليت ) المسماة مقاطعة رقم ٧ غرب ، وقد تحدثنا عن ذلك بتفصيل من قبل .

## كوم شريك

مدينة إسلامية لم يظهر اسمها إلا فى حوادث الفتح الإسلامى سنة ٥٢٠ هـ ، وهى باسم الكوم الذى لجأ إليه شريك بن عبد يغوث بن جسر المرادى من صحابة رسول الله ، وكان على مقدمة جيش عمرو بن العاص فى فتح الإسكندرية ، فإنه عندما انحاز شريك بأصحابه إلى هذا التل ( الكوم ) واقع الروم حتى أدركه مالك بن ناعمة الصدفى ، فلم يتمكن الروم من تضيق الخناق عليه ، وبذلك سمى هذا الموضع باسم ( كوم شريك ) .

وحدد ابن خرداذبه (١) المسافة بين كوم شريك ومربوط بثلاثين ميلا ،  
ومنها إلى ترنوط ( الطرانة ) باثنين وعشرين ميلا ووافقتها على ذلك قدامة  
ابن جعفر (٢) .

وفي سنة ٤٤٣ هـ شهدت كوم شريك موقعة بين بنى قرة والطلحين ، وبين  
عسكر المستنصر ، على إثرها فر العربان إلى برقة وأقاموا بها (٣) .  
وورد ذكرها في «التحفة السنية» إذ كانت في القرن التاسع الهجري إقطاعا  
باسم أيدير من صديق ثم آلت إلى الديوان المفرد ، وكانت من أعمال البحيرة  
وأشار إليها المقرئ .

ووضعها على مبارك على نهر أنيس ، وقال لأنها كانت من خوف رمسيس (٤)  
فصارت تابعة لمركز النجيلة ، واعتبرها محمد رمزي في البسلام القديمة من مركز  
كوم حمادة (٥) .

### بلهيب Pelhip

( = فزارة = منية الزناطرة )

وردت في «فتوح مصر» ، وذكرها أمالينو وكاترمير وابن حوقل وابن عماري :  
مدينة مصرية قديمة ، صالحها عمرو بن العاص في الفتح الإسلامي وقرر عليها  
الخراج بعد أن ثار أهلها ضده ، وقد بعث عمر بالشوار من أهلها إلى الخليفة عمر  
فردهم وسأهم ، ولإليها ينتسب أبو المهاجر عبد الرحمن البلهبي من أصحاب  
النبي عليه السلام ، ثار بلهيب في ولاية عمرو ، وجعله معاوية من رؤساء تجيب ،  
وقدم على معاوية وأخبره بفتح (خربت) ، فبنى له معاوية دارا وسط قبيلة بني العجم  
في حارة البلهبي ، وأمر بأن يكتب عليها [ هذه الدار ملك لعبد الرحمن رئيس

(١) المسالك والممالك

(٢) الخراج وصناعة الكتابة : ص ٢٢١

(٣) ابن ميسر

(٤) التوفيقية : ١٥

(٥) القاموس الجغرافي : ص ٢٣٩

تجيب [ ومنحه معاوية سيفاً توارثه من بعده الأولاد والأحفاد ، ولما ولي مصر عبد الله بن الحبحاب ، قال للبهليبي : [ سأجعلك عاملاً عندى ورئيساً للبهليبي ] فرد عليه قائلاً : [ سأكون وأقربائى خدماً لك ، وسأقيم العدل والمساواة بين الناس ] ، وثار أقباطها سنة ١٥٦ هـ .

وفى القرن الرابع الهجرى كان بها جامع وحمام وأسواق ، ولها حاكم وصاحب معونة . وكانت نزهة أهل الإسكندرية فى فصل الربيع ( ) .

ودب الخراب إلى بهليبي فقامت على أطلالها ( منية الزناطرة ) لاذ نزل بها جماعة من ( بنى زنطر ) واستوطنوها فسميت باسمهم ، ثم نزل بها بعد خرابها جماعة من فزارة قيس هم بنو فزارة بن ذبيان فسميت ( فزارة ) ، وبها عشائر بنى شمع وظالم ومرة ومازن وشكهم وسعد ولوذان ، وعرفت بذلك فى العصر العثمانى . وكان يروى بها بحرياطس ، كما يقول ابن ممتق .

ومكانها الآن العطف أو ديروط أو شمال ديروط ، وينسب إليها أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن على الفزارى السكندرى (٢) الذى صنف كتاباً فى أسماء البلدان والأماكن والجبال والمياه ، ومات بأصهان سنة ٥٦١ هـ . ومعنى ذلك أنه نشأ بفزارة ، وعاش بالإسكندرية وتوفى بأصهان .

وفى فزارة جامع به ضريح الشيخ موسى كساب الشافعى ، وضريح آخر يقال إنه ضريح الشيخ على بدير الفزارى (٣) .

### خربتا Kherbeta

هذه المدينة قديمة ذكرها جوتيه تحت اسم ( ماب Mâb ) (١) وأرجعها إلى قائمة العام الثالث من حكم الملك أمازيس وتسمى ( مدينة الثلاثين ) ، وقال إنها ( تماخيربت Tamakhirpet ) المدينة المصرية القديمة ، وقال إنها ربما كانت فى مكان ( أندروبوليس Andropolis ) اليونانية الرومانية التى ذكرتها القوائم

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك

(٢) السيوطى : بنية الوعاة

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية ١٤

(٤) Gauthier : Dict. T : 3 P : 15

القبطية باسم ( خربتا Kherbeta ) وهى ( مكان الثلاثين ) أو ( مابيت Mâbit )  
التي وردت فى « كتاب الموقى » فى الفصاين ١١٥ و ١١٧ .  
ووردت فى ( مباهج الفكر ) تحت اسم ( زماخير ) وهو اسمها القبطى  
كإحدى نواحي خوف رمسيس واسمها العبرى ( أرواط Arouat ) ، ولكنها  
وردت باسم ( خربتا ) فى الروك الصلاحى سنة ٥٧٢ هـ ، وهذا هو اسمها العربى  
الذى ورد فى الكتب العربية منذ الفتح الإسلامى ، وهى تبعد عن الإسكندرية  
بثمانين كيلومترا (١) .

وروى ابن عبد الحكيم (٢) [ وكان عمرو حين توجه إلى الإسكندرية خرب  
القرية التى تعرف اليوم بـ ( خربة وردان ) ] لأن أهل ( الخربة ) قد اختطفوا  
وردان مولى عمرو بن العاص أثناء توجهه لقتال الروم فى نيمبوس ، وظل عمرو  
يتفقد حتى وجده مخبوا فى بعض دورهم ، فأمر بإخراجهم منها .  
وفى رواية عبد الملك بن مسلمة أن أهل الخربة كانوا جميعا رهبا فغدروا  
ببعض مشاة عمرو وقتلوه بعد وصول عمرو إلى الكريون ، فبعث إليهم وردان  
فقتلهم وخربها ، فهى خراب إلى اليوم .

وفى رواية ابن عبد الحكيم أن أهل الخربة كانوا أهل توثب وخبث وقد  
أمر عمرو بإحضار جراب من ترابها ، ثم دعاهم ولم يستجيبوا له ، وفعل ذلك  
مرارا وهو يفرش تراب أرضهم تحت مصلاه ويتعد عليه . حتى قال أخيرا : هذه  
بلدة لا تصلح إلا أن توطأ ، فأمر بتخريبها .

وفى أول يوم من رمضان سنة ٣٦ هـ شهدت خربتا معركة بين حزب عثمان  
وحزب على ، فبعث ابن أبى حذيفة المتزعم لحزب عثمان بجيش عليه قيس بن  
حرملة اللخمى وفيه ابن الجثما البلوى لقتال العائدين من الحجاز بعد قتلهم عثمان ،  
ودارت رحى القتال عند خربتا فقتل قيس وابن الجثما وعدد من أنصارهما ،  
ولما ولى أمر مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ودخلها سنة ٣٧ هـ  
عمل على استمالة الخارجيين من أهل خربتا على الخليفة على بن أبى طالب ، وبعث

(١) رمزى : القاموس الجغرافى : ج ٢ ص ٣٣٤

(٢) فتوح مصر : ص ٢٣٨

إليهم أعطيتهم ، وأكرم الوافدين إليه من أهلها ، وكان بها يومئذ عشرة آلاف كتب عنهم قيس إلى على يقول: إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ ، وذلك ردا منه على كتاب منه بتسألهم ، وأثبتت الأيام بعد نظر قيس وحسن سياسته في إطفاء الفتنة التي امتد لهيبها من خربتنا ، ولما قدم محمد بن أبي بكر واليا على مصر بدلا من قيس بن سعد ، أراد أن يتقاتل أهل خربتنا ، فقتلوه .

وفي عصر الخليفة المأمون العباسي ، ثارت بلاد الدلتا أعرابا وأقباط سنة ٨٢١ هـ وذلك في ولاية تيسى بن منصور ، وقدم « الأفشين » من برقة فحارب أهل ( إيليم ) ولكن بنى مدليج حاصروهم في حصن الإسكندرية ، ولكن الأفشين التقى في طريقه إلى الإسكندرية بطائفة من بنى مدليج من خربتنا فاتصر عليهم ، ثم عاودوا الكرة عليه بمحلة الخلفاء فزهمهم وأسروهم ، وهناك عند قرطسا ضرب أعناقهم ودخل الإسكندرية ظافرا بعد أن فر معاوية بن حديج زعيمهم وبحر بن على اللخمى وابن عقاب اللخمى .

وفي القرنين الثالث والرابع للهجرة كانت خربتنا إحدى كور مصر السفلى ، كما ورد على لسان اليعقوبى والهمداني وابن خرداذبه وقدامة والمتدسى ، وظلت كذلك في القرن الخامس الهجرى ، حيث كانت عاصمة الكورة . ويرجح عمر طوسون أنها كانت تشغل الجزء الشمالى من قسم ( أندرونيكيو ) عند جورج القبرصى أى مركز كوم حمادة .

وذكرها ياقوت وضبطها اعتمادا على ابن عبد الحكم والحازمى والقضاعى ونصر وقال أخيرا إنها [ الآن خراب لا يعرف ] ، وكانت خربتنا بعد ذلك من أعمال حوف رمسيس ، كما ورد في قوانين ابن مباتى وتحفة الإرشاد ، أما ابن الجيعان فقد جعلها في القرن التاسع الهجرى من أعمال البحيرة ، حيث كانت إقطاعا لأرغون شاه الاشرقى ثم للديوان السلطانى المفرد .

### كفر مستنان

يؤكد رمزى في قاموسه أن أصلها ( الاحياز ) ، وقد وردت في التحفة السنية من كفور لقانة ، ووردت في الانتصار ، واستمر اسمها يرد في تربيعة سنة ٩٣٣ هـ

ودقر المقاطعات سنة ١٠٧٩ هـ وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ، وتنسب إلى رجل عربي استوطن قرية الأحياز في أواخر أيام دولة الماليك ، فتد زمامها باسمه في ربيع سنة ٩٣٣ هـ .

غير أن السخاوي أورد في « الضوء اللامع » شخصيتين باسم المستناني هما عند العزيز وولده محمد وهما من علماء القرن التاسع الهجري وقال : [ مستنان قبيلة من المغرب ] (١) .

وعلى أي حال فإن هذا الكفر من البلدان القديمة من مركز شبراخيت ، ويعتبر من مواطن المغاربة .

### درشابة

وهي قرية قديمة ، اسمها القبطي ترشبي Tarschēbi وذكر أمينو في ( الجغرافيا ) أنها كانت من قسم دنطو ، وتابعة لأسقفية مصيل ، وتقع على فرع رشيد في متابل دسوق بالقرب من أطلال دنطو في مكان عزبة الكوم الكبير بالقرب من مصيل ، وكانت دنطو قسما يشتمل على قرى كثيرة منها درشابة حتى سنة ١٨٠٠ ويجمعها إقليم فوة والمزاحمتين .

ورد ذكرها في قوانين ابن عاتى وفي تحفة الإرشاد ، وكانت من أعمال البحيرة في التحفة السنية حيث كانت إقطاعا باسم طاز العثاني ثم باسم خير بك من حديد .

ويقول رمزي إنها كانت تابعة لمركز شبراخيت ، ثم ألحقت بمركز المحمودية عند إنشائه سنة ١٩٢٨ .

وقد أوردنا في باب الأعلام عددا من الذين اشتهروا خلال العصور الإسلامية من أبناء درشابة : العلماء والشهداء .

### البلساقون

مدينة مصرية ذكرها جوتييه (٢) في قاموسه ، وأصلها (هسلقون Ha-slakhoun)

(١) السخاوي : الضوء اللامع : ج ٤ انظر عبد العزيز المستناني

Gauthier : Dict. T 6 P : 149 (٢)

والآن اسمها ( بسلقون Paslakoun ) وذكرها ( دارسى Darassy )<sup>(١)</sup> فقال  
لأنها هي البسلقون التي تبعد أربعة كيلومترات من جنوب ( تل لوقين ) وفي البسلقون  
وضع القرار المقدس للبقاطعة السابعة لمصر السفلى ، والمعروف أن ( لوقين ) تبعد  
٣٢ كيلومترا عن الإسكندرية .

وقد ورد ذكرها في قوانين ابن ممتى وفي تحفة الإرشاد وفي الانتصار وفي  
التحفة السنية حيث كان إقطاعا باسم أيدير من صديق ، ثم باسم قبحاس الإسحاق  
أمير أخور باعتبارها من أعمال البحيرة ، وهي الآن تابعة لمركز كفر الدوار .  
وينسب إليها عدد من العلماء ذكرناهم في باب الأعلام .

### إشليم

بلدة قديمة تغير اسمها حتى سميت إشليمه ، ذكرها الكندي في كتابه<sup>(٢)</sup>  
في ولاية عيسى بن منصور عندما ثار العرب والقبط في الدلتا المصرية في سنة  
٥٢١٦ هـ ، وأخرجوا العمال العباسيين من بلاد الوجه البحري لسوء سلوكهم ، فقدم  
الافشين من برقة ، وكان في إشليم مكان اجتماع الثوار من أهل ( تنو ) و ( تمى ) بزعامه  
ابن عبدوس القهرى وهو من ولد عقبة بن نافع ، ودارت رحى القتال في  
إشليم ، فانتصر العباسيون ووقع الثوار أسرى في أيديهم ثم قتلوهم ، وعاد  
عيسى بن منصور إلى الفسطاط ومضى الافشين إلى الحوف الغربى وشتت شمل  
الثوار ، ولكن ما لبث بنو مدلج أن حصروه في حصن الإسكندرية فواقعهم  
في خربتا حتى قضى عليهم ، وتمكن من دخول الإسكندرية في ذى الحجة  
من سنة ٥٢١٦ هـ .

وقد ذكر السخاوى بعض أهل العلم من أهلها في القرن التاسع الهجرى ،  
على أن ابن الجيعان قد ذكرها هكذا ( إشليمه ) وكانت إقطاعا (٣) باسم يابغا  
المنجكى ثم باسم تانى بك الجالى في القرن التاسع الهجرى ، وكانت إذ ذاك من  
أعمال البحيرة .

(١) Revue de l'Egypte T : 2 P : 25

(٢) ولاية مصر : ص ٢١٤

(٣) التحفة السنية



## وادی النطرون

هذا الوادی قديم الصلة بإقليم البحيرة منذ العصر الفرعونی ، فقد كان سكانه وهم فی الاصل لیبیون فی نزاع دائم مع المصریین . وكثیرا ما كانوا یشتون الغارة علی الدلتا ولاسیما الجزء الغربی من لإقليم البحيرة ، ففی سنة ١١٧٠ ق.م. انتصر علیهم رمسیس الثالث أول ملوك الأسرة العشرین .

وفی زمن الفراعنة ، كان وادی النطرون كورة قائمة بذاتها وقسمها لإداریا مستقلا ، وكان فی عهد البطلمة Sekhet Hemam أى « حقل الملح » أما استرابون فتمال لأنه كان یسمى « لإقليم النطرون » وهناك سادت عبادة (سارابیس Sarapis) وذكر بطليموس الجغرافى فی القرن الثانى المیلادى منطقة من لویبة المصریة فی جنوب بحيرة مریوط تسمى (منطقة ستیاكا Scythiaca Regio) وقال سان جیروم — وهو من أهل القرن الرابع المیلادى — لأنه كانت توجد فی هذه المنطقة مدينة ( نترى Nitrie ) أى مدينة النطرون ، وكانوا یخزنون بها النطرون الذى یستخرجونه من البحیرات لیشحجنوه إلى الطرانة ، وقد أطلق القبط والعرب هلی وادی النطرون عدة أسماء منها : برية الإسقيط ، وبرية شیهات ، ووادی الرهبان ، ووادی الملوك ، ومیزان القلوب ، ووادی هبیب (نسبة إلى هبیب ابن مغفل الغفارى من الصحابة) .

وفی القرن التاسع الهجرى ، كان وادی هبیب تابعا للبحيرة ، كما ورد ذلك فی « التحفة السنية » غیر أن القلقشندى قال إن بركة النطرون غربى عمل البحيرة ، وفی زمن الممالیک ، تنازل مراد بك عن وضع یده علی هذه المنطقة إلى تاجر البندقية ( روسسى Rossetti ) وقنصل ألمانيا فی نظیر مبلغ اتفق معها علی دفعه . وقد لجأ إلى وادی النطرون عدد كبير من المسیحیین فرارا من مظالم الرومان وأقاموا به نحو مائة دیر لم یبق منها إلا سبعة ، ولما فتح عمرو بن العاص مصر ، قدم نحو سبعین ألف راهب لمقابله بالطرانة یسألونه الأمان ، فأمنهم ، وأعطاهم محصول الوجه البحرى وقد بلغ فی إحدى السنین أكثر من خمسة آلاف إردب ، وأخذ عدد الرهبان ینقص تدريجیا تبعا لغزوات المغاربة ، كما ورد ذكر وادی النطرون علی ألسنة المقریزى وابن فضل الله العمرى والبكرى ، وزاره من

السلطين الناصر قلاون ، وقايتباى ، وهناك كنيسة تضم رفات تسعة وأربعين راهبا قتلهم المغاربة ، وبنهاا لهم إبراهيم الجوهري وبها مقصورة مكاريوس الإسكندرانى ومكاريوس أسقف إدكو .

### حوف رمسيس

الحوف هو الجانب ، ورمسيس هى المدينة التى كانت قاعدة لهذا الحوف الذى كان يشمل جميع البلاد الواقعة جنوب إقليم البحيرة الحالى ، فسمى حوف رمسيس نسبة إلى قاعدة هذا الجزء من الإقليم ، وتشغل حالياً إحدى قرى مركز إيتاى البارود .

وكان يطلق على النواحي المجاورة للصحراء من حوف رمسيس اسم « الكفور الشاسعة من حوف رمسيس » أى البعيدة النائية منه ، ويظهر أنها كانت مشوبة عند العرب بالخرافات والأساطير ، فأطلقوا على جهاتها أسماء الوحوش والحيوانات الكاسرة .

وكان حوف رمسيس من الأقسام الإدارية الكبيرة فى الوجه البحرى ، وقد أنشئ فى أوائل حكم الفاطميين ، واشتمل على أكثر من مائة ناحية إدارية ، ثم ألغى هذا الحوف فى الروك الناصرى سنة ٧١٥هـ وبالتالى ألغيت كفوره الشاسعة ولم يعد يحسب فى الأعمال المصرية ، وأحيلت بلاده إلى « أعمال البحيرة » التى انضم إليها تبعاً لذلك منطقة كوم حمادة والدلتجيات والأجزاء الجنوبية من مركز إيتاى البارود ومنهور وأبو المطامير .

وكان العرب قد أطلقوا على البلاد الواقعة على جانبي فرع رشيد اسم الحوف الغربى ، وكان يشتمل على إحدى عشرة كورة هى التى ذكرناها من قبل ، وهى حالياً كفر الزيات ودسوق وفوه على الجانب الشرقى ، وبلاد مديرية البحيرة بأكملها وبلاد لوييا .

وجاء فى التحفة السنية أنها كانت لإقطاعاً فى القرن التاسع الهجرى لصرعتمش الأشرقى ثم للديوان المفرد .

## الرحمانية .

بلدة عربية ذكرها ابن ممتى وياقوت وابن الجيعان والسلفى والزبيدي وصاحب تحفة الإرشاد وكانت تسمى ( محلة عبد الرحمن ) وينسب إليها فيقال : الرحمانى . ولم يرد ذكرها فى الكتب قبل القرن السابع الهجرى ، فقد أورد السخاوى فى « الضوء اللامع » بعض علمائها منهم : محمد بن على الشمسى الرحمانى الفقيه الناضى بدمهور وديروط والمتوفى سنة ٨٠٢ هـ <sup>(١)</sup> ، وينسب إليها أيضا داود الرحمانى من ذرية سيدى نفيس دفن الرحمانية ، ولداود هذا شهرة فى العلماء الذين تولوا الإقراء والإفتاء والتدريس بالأزهر وله مؤلفات فى شتى العلوم الدينية وتوفى سنة ١٠٧٨ هـ ودفن بتربة المجاورين <sup>(٢)</sup> .

وفى القرن التاسع الهجرى كانت ( محلة عبد الرحمن ) إقطاعا باسم قراجا ثم قرقماس الأشرفى ، وكذلك باسم قطنة ثم العلائى الخراسكى ثم قانى بك من شاد بك <sup>(٣)</sup> .

وهى فى القرن الثامن عشر مدينة صغيرة على النيل بالقرب من أطلال مدينة ( سايس = صا ) وبالقرب من ( نقرطيس ) <sup>(٤)</sup> ، وذكرها على مبارك <sup>(٥)</sup> وأشار إلى زعم القائلين بأنها فى محل نقرطيس ، وهى لاتزال إلى الآن تابعة لمركز شبراخيت ، وقال مونتسنجر إنها شمال غربى ( مرقص ) وبها جزيرة اشتهرت بالبصل الرحمانى ، وبها محالج وقيسارية ومعمل دجاج وأضرحة ، وقد زارها الخديوى عباس حلمى الثانى سنة ١٩١٤ فى أثناء رحلته للوجه البحرى ، وزارها أحمد باشا محمود عميد آل محمود الذين لاتزال منهم بقية صالحة من وجهاء الرحمانية وأعيانها .

(١) السخاوى : الضوء اللامع : ٨٠ ص ١٥٨

(٢) المحبى : خلاصة لأثر : ٢٠ ص ١٤٠

(٣) ابن الجيعان : الحفة السفة .

(٤) كلوت بك : لحة عامة إلى مصر ١٠ ص ٤٢٦ .

(٥) الخطط التوفيقية : ١٥

ونظرا لموقع الرحمانية على النيل ، فقد حدثت على ضفافها ، وفي سهولها وقائع هامة أسهبنا في ذكرها في كفاح البحيرة ، كما أن نابليون قد اعتزم أن يجعلها عاصمة لمصر .

## أبو حمص

لا يوجد لدينا أى مرجع عن سبب هذه التسمية ، غير أن السيد أحمد خيرى ذكر لى أن رجلا صيدا هو «أبو حمص» كان يسكن فى كوخ بين كفر الدوار ودمنهور ، فلما مد الخط الحديدى ، بين الإسكندرية ودمنهور ، اختاروا مكان هذا الكوخ ليضعوه محطة ، فلم يبدوا اسما يطلقونه عليها إلا « أبو حمص » .  
غير أنها تقع على أطلال مدينة قديمة هي ( شابرياس Chabrias ) التى ذكرها ( استرابون ) فى الطريق من الإسكندرية إلى منف بعد ( شيدا ) واسمها القديم ( قرية شابريا Chabriu Cômé ) ووصل بعدها استرابون إلى ( هرمبوليس ) أى دمنهور .

وعرفها العرب باسم ( شربار ) وقد وصف المقرئى <sup>(١)</sup> موقعها وذكر ترعتها التى بين ترعة محلة الكروم ( القروى ) وترعة قافلة ، وذكرها ياقوت <sup>(٢)</sup> فى كورة البحيرة ، ووردت فى كتاب ابن الجيعان <sup>(٣)</sup> فى أعمالها حيث قال : ( شبرى بار ) باسم عمر بن أرغون شاه ثم على بك الظاهرى وقانصوه والشرفى يونس وعند ابن عاتق <sup>(٤)</sup> ثم حرفت إلى ( شبنار ) .

وكانت أبو حمص على العموم عزبة صغيرة ثم مركزا إداريا سنة ١٨٧١ مقره دمنهور لخلوه من أما كن تصالح للإدارات الحكومية ، ومساكن للوظفين ، وكانت دمنهور نفسها تابعة لهذا المركز ، وفى سنة ١٨٨١ استقر ديوان المركز بأبو حمص .

(١) الخطط ح ١ ص ١٧١

(٢) المشترك .

(٣) التحفة السنينة

(٤) قوانين الدواوين

## بقية بلدان البحيرة

أبلوق : كانت تابعة لثغر الاسكندرية ووردت في « التحفة السنية » أبلوق  
أبلوت ، وكانت في القرن ٩ هـ وقفا للجامع العمري بالاسكندرية وصارت  
ولاية البحيرة حسب دليل سنة ١٢٢٤ هـ ثم نقلت إلى الاسكندرية ، وفي  
سنة ١٢٢٨ هـ سميت كفر سليم .

أبو الخاوي : ( بالخاوي ) ذكرها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ باسم أصحاب  
لإقطاعات والأوفاف والرزق .

أبو خراشة : ذكرها ابن الجيعان وكانت باسم محمد بن نزار ثم باسم تغري  
دي الطياري

أبو الارانب : هي الآن عزبة كوم الارانب ، شمال شرق البرنوجي  
كز دمنهور ، وكانت خرابا في القرن التاسع الهجري .

أبو السحما : وردت في التحفة السنية باسم الأمير منجك ثم الأمير  
جاس الإسحاقى .

أبو الشقاق : وردت في التحفة السنية باسم المقطعين والعربان .

أبو الزراير : مكانها الآن تل قديم بهذا الاسم قرب زاوية حمور ، وكانت  
( الكفور الشاسعة ) ثم من ( أعمال البحيرة ) ، وفي القرن التاسع  
هجري كانت للمقطعين والعربان .

أبو صباه : ذكرها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ ماسكا باسم الأشرف  
بأن تم إقطاعا للأمر تمارز الشمسى .

أبو الضروع : كانت من أعمال خوف رمسيس ، وتسمى ( أم الضروع )  
د المقريزي ، وهي قرية بعد نجارس .

البهى : كانت في القرن ٩ هـ باسم المقطعين . ذكرها ابن الجيعان .

أبو الغزلان : الآن عزبة تحتل التل المسمى أم الغزلان ، وكانت في القرن  
سع الهجري بحرية وقبلية ، أما البحرية فكانت : مقطعة لحسن بن صرغتمش ثم  
أقبا الحسنى ورباط السيد أحمد البدوى ، وأما القبيلة فكانت : للمقطعين .

التميمات والنميريات : كانت في القرن ٩ هـ باسم المقطعين والديوان .

أبو ذريق : الآن عزبة بمركز إيتاي البارود .

أبو يحيى : ذكرها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ باسم المقطعين .

أبيس Apis : وهي قديمة وتقع في المقاطعة السابعة غرب ، وتتبع حالياً محافظة الإسكندرية ، وذكرها ابن الجيعان باسم ( أبيس ) وقال إنها كانت باسم الأمير خليل بن عرام ، والديوان المفرد ، والأمير يلغا ، والأمير خاير بك من جديد .

أثاربشيش Atharbéchis : ذكرها هيروودوت وهي الآن كوم أبو بللو بأراضي الطرانة ، وذكر ابن الجيعان ( اتريس ) وكانت باسم العربان .

اتقو : أوردها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ باسم الأمير أقتمر عبد الغنى ثم الديوان المفرد في إقليم البحيرة ، ثم ذكرها في نواحي ثغر الإسكندرية تحت اسم ( لأكو ) باسم الأمير بشتاك الأشرفي ثم باسم الديوان السلطاني ، وهي الآن ( إدكو ) وقد أفردنا لها فصلاً خاصاً .

أرساج : أو كوم البركة تابعة لكوم لاشو مركز كفر الدواز ، وربما هي أرمياخ ، ولكنها وردت في « التختة السنية » في القرن ٩ هـ ( أرساج ) وتعرف ببركة قرطبة وكانت إقطاعاً لخليل بن عرام ثم للديوان المفرد ، وكانت أيضاً للمقطعين ثم لديوان الذخيرة .

أرسيس : أو أرشيس أو أرشنيس ، وحرفت إلى كوم الرصاص بأراضي زاوية محقر .

أرما : بين الإسكندرية والحمام والآن أم سراية غرب الدخيلة .

الشراك : ذكرها الكندى في أحداث سنة ٢٥٣ هـ نزل بها يزيد بن عبد الله

وقد نقده له والى مصر مزاحم بن خاقان اقتال جابر بن الوليد ، وذكرها ابن الجيعان إقطاعاً لبعض العربان وأوقافاً ورزقاً لغيرهم ، وكانت باسم الأمير تمرباي الحسنى ثم أذلك الأتابكي ، وقد وضع اليعقوبى كورة الشرارك على فرع نسترويه مع سائر الكور التي ذكرها ، وتقع على الضفة اليسرى في مكان الأشرار الحالية

ويقول عمر طوسون إنها تحتل الجنوب الشرقى من قسم هرمبوليس عند جورج القبرصى .

أكاتون : بناحية النقيدى والآن محلها كوم الحصن بأبيوقا .

الاثلة : أضيفت إلى قراقص ، وهى قديمة .

الأصلاب : وردت فى التحفة السنية لإقطاعا باسم أحمد بن يلبغا اليحياوى

وسودون جركس ومحمد بن بيرم بن كوحوى ثم المقطعين .

أمرى : كانت فى القرن التاسع الهجرى باسم المقطعين والعربان وللعبدار .

إمليط : ذكرها ابن الجيعان مع ظهر التمساح ، وكانت باسم أرغون شاه

الأشرفى ثم للديوان .

الاحياز : مستنان بشبراخيت من كفور اقانة وكانت باسم المقطعين ثم لإقطاعا

باسم خير بك المحمدى ( انظر كفر مستنان ) .

أفلاقه : كانت فى القرن ٩ هـ باسم يلبغا المنجكى ثم باسم الديوان وكانت

أيضا لمخلطى وأزبك اليوسفى .

أورين : كانت باسم طاز العثمانى ثم أصحاب الرزق والإقطاع من الأمراء

والعربان ، كما ورد فى التحفة السنية .

البدقون : وذكرت بالذال أيضا ، وردت عند ابن خرداذبه واليعقوبى

والسكندى وياقوت ، وكانت كورة ، وورد ذكرها كثيرا فى الفتح الإسلامى .

برسيم : ذكرها ابن الجيعان لإقطاعا باسم الديون .

بسطرا : وردت فى التحفة السنية لإقطاعا باسم المقطعين والعربان والطينا الصفوى .

برقامه : كانت باسم المقطعين والعربان فى القرن ٩ هـ .

البسري : وحرفت إلى البسرين ثم البساتين بمركز دمنهور ، وكانت فى

القرن ٩ هـ لإقطاعا للعربان ثم وقف لسودون الأشرفى ، كما ورد ذكرها فى

التحفة السنية .

بيشاي : ذكرها ابن الجيعان لتولى مصر ثم للعربان وأصحاب الرزق

والإقطاعات .

التميمات : وردت في التحفة مع الفريات ، بناحية بطورس مركز أبو حمص  
بيت لامه : ذكرها ابن الجيعان ملكا للمكتمر ثم للقطعين وأصحاب  
الرزق وكانت خرابا في القرن ٩ هـ .

يسج : ذكرها ياقوت على النيل شرق البحيرة ، بنى فيها الأمير بركوج  
الناصرى في عصر صلاح الدين معاصر للقص .  
جبارس : كانت في القرن ٩ هـ إقطاعا لأرغون العزى ثم للديوان المفرد  
ثم للقطعين .

الجلبون : وردت في التحفة ومحلها كوم أبو بجنة بمركز أبو حمص ، وفي  
القرن ٩ هـ كانت إقطاعا باسم العربان ووفقا لخجا سودون السيفى نوروز .  
الجنان : ذكرها ابن دقاق ، وذكرت باسم تل الجنان في خريطة الحملة  
الفرنسية .

الحافر : منية السعيد بالمحمودية . ورد اسمها في وقف الغورى سنة ٩١١ هـ  
الحجر المحروق : ذكرها ابن الجيعان باسم مختار الحسامى ثم الديوان  
وأرغون شاه والأمرام والممالك السلطانية في القرن ٩ هـ .  
حوض اليهودى : مجاور لخربنا ، وكان في القرن التاسع الهجرى للعربان  
والمقطعين ثم صار هذا الحوض خرابا .

خضج : وردت في التحفة السنية باسم خضج محمد بن أبي الشقاق ، مع أم  
البن وأبو الشقاق .

خنيزة : ( خرنيزة ) كانت باسم جركس الأحمدي ثم طيغنا ثم اسنبغا  
الطيارى ثم للعربان .

الخيس : كانت كورة ذكرها ابن خرداذبه وابن عبد الحكم  
والقلقشندي عن القضاعى ، وكانت هى والشراك كورة واحدة ، والآن أم حكيم  
بشبراخيت ، وأصلها سوخيت Sokhit ثم حرفت ، واسمها القبطى ( اسختيا  
Esketia ) أوردها إلمينو في كشف الأسقفيات بين قراطيس وفيشا بلخه :



وقال جوتييه إن سوخيت معناها مدينة الحقل وكانت جزءا من قسم نقراشيا في تقسيم جورج القبرصى ، وكانت الخيس إحدى كور إقليم البحيرة .  
دميسنا : كانت في القرن ٩ هـ للمقطعين والعربان خارجا عن ساحل العنب وبها جزء صغير للمقطعين .

الرفيقة : وردت في ( أحسن التقاسيم ) بين كوم شريك والإسكندرية .  
دمشلى : كانت في القرن ٩ هـ لإقطاعا لإينال اليوسفى ثم لديوان المفرد .  
الراهب : ذكرها ابن الجيعان باسم أصحاب الإقطاعات والرزق .  
السابي : وآلان كوم السابي بشبراخيت ، وخربت في العهد العثماني وأنشأ أهلها قرية بجوارها سموها كفر السابي ، ذكرها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ وقال إنها كانت إقطاعا لعلى بن قشتمر المنصوري ، ثم للديوان .  
العمرية : من خوف رمسيس وكانت وقفا للسادة الاشراف ثم للعربان

ومن معهم .

العمريات : ذكرها ابن الجيعان باسم العربان ثم وقفا للمكتمر العلائى .  
العورا والقسطالة : كانت باسم المقطعين ثم باسم الأمير خشقند مقدم الممالك الفاطس ( الفاطر ) ذكرها ابن الجيعان من حقوق فيشة بلخا . وكانت رزقة لفاطمة بنت محمد ومن معها .

التاعة : وردت في ( تحفة الإرشاد ) منية طراد .  
القهيوية : كانت في القرن ٩ هـ باسم المقطعين وأصحاب الأملاك والرزق الكوم الأحمر : أو الطابية الحمراء : على ضفتى الفرع السكاني المندثر عند ساحل البحر ، مكان معبد « هرقليوم » المندثر ، بين الطرح والمعدية ؛ ووردت في القرن ٩ هـ باسم المقطعين ثم باسم متولى الغريسة ، وكانت خرابا في عصر ابن الجيعان .

الليونة : قديمة من ضواحي الإسكندرية ، ذكرها ابن عماتى وابن دقياق .  
لقانة : أصلها ( نقانة ) واسمها القديم بالقبطى ( لا كان Lakan ) وذكر جوتييه باسم راكم Rakaâm ، وذكرها ابن عماتى وابن الجيعان والزييدى

وغيرهم ، وكانت في القرن ٩ هـ باسم (نقانة المرسا) من نواحي روضة باسم الخاض  
ثم ديوان المفرد ثم باسم لقانة لإقطاعا. لمارلباي الظاهري ثم لا'زبك محمد ططخ  
الانابكي .

الناصرية : نسبة إلى الملك الناصر قلاوون ، ووردت في « النجوم الزاهرة » .  
فقد أنشئت بعد حفر خليج الإسكندرية سنة ٧١٠ هـ على هذا الخليج ، وفي مطلع  
القرن الثالث عشر الهجري سميت « كفر نكلا » لأن بعض الانهالي من نكلا  
العنب عمروها

النقيمدى التراز : ( البزاز - البزار ) وكانت باسم المقطعين والعربان .  
النجوم : كورة قديمة ، ذكرها ابن خرداذبه واليعقوبي والقضاعي  
والمقرئى والقلقشندي ، اندثرت ولم يبق منها غير إدكو ، وذكرها أيضا  
ابن الجيعان فقال : أرض تعرف بالنجوم عبرتها ألفا دينار ، وقف  
أولاد الربيعي .

إيلوزيس Eleusis : ذكرها استرابون ، وكانت تقع على ترعة كانوب قبل  
تفرعها إلى فرع كانوب وشيدا ، مكانها الآن حديقة الزهرة وذكرها على مبارك  
( بيلوذة ) و ( إيلارى ) ، كانت في مقاطعة البحيرة ، والآن في الإسكندرية .

برج مغيزل : ذكرها السلقي في « معجم السفر » والسبحاوى في « الضوء  
اللامع » ، وتقع بين البصيل ورشيد ، وينسب إليها فيقال ( البرجي ) -

بردجان : كانت من أعمال البحيرة والآن من نواحي الإسكندرية بين  
الكريون والخيار والتين ، وأقطعت للعربان .

برشوط : الآن « كفر مساعد » بإيتاي البارود ، وكانت في القرن ٩ هـ  
باسم المقطعين ، ووقفا لقراقجا الحسنى ثم لإقطاعا للعربان .

بوقليوط : وردت في « تحفة الإرشاد » في الكفور الشاسعة من أعمال  
حوف رمسيس ؛ محلها عزبة كوم قليط بناحية ( ديرأمس ) أبو حصن -

إدفيينا : قديما تفينه وإتفيننا ، وردت في إقليم فزة والمزاحمتين باسم ( إتفينه )  
وقفا للأشرف شعبان بن حسن في « التحفة السنية » وقوانين الدواوين ، وكانت

قسماً لإداريا سنة ١٨٢٦ ، ثم نقل إلى العطف سنة ١٨٤٣ ثم ألحقت بمركز رشيد سنة ١٨٩٦ ، وذكر على مبارك أن بها حديقة والده عباس ، وقصراً كبيراً .  
تلبانة : ١ — « تلبانة الأبراج » ذكرها ياقوت والمقريزي وهي من خوف رمسيس ، متدثرة ، ومكانها القديم تابع الآن لدست الأشرف حيث عزبة سيدي سراج .

ب — « تلبانة البحرية » وردت في « تحفة الإرشاد » من الكفور الشاسعة وهي غير معروف مكانها الآن .

ح — « تلبانة البحرية » وهي تلبانة عدى بمركز إيتاي البارود ، وهي التي ذكرها ابن الجيعان ، وكانت باسم المقطعين .

تلمسها : ١ — تلمسها الصغرى مكانها الآن تل بكرج جنوب غرب « قافلة » بأبو حمص ، وكانت باسم العربان في القرن ٩ هـ .

ب — تلمسها الكبرى مكانها كوم القناطر بزمام قافلة وكانت باسم العربان المقطعين في القرن ٩ هـ وصارت باسم طيدمر البالسى ثم باسم ديوان المفرد والمقطعين .

حلق الجبل : هي الآن عزبة ، وبها محطة صرف .

حوض الدكاوى : لعله حوض الإدكاوى ، وهو كما ورد في تاريخ ١٢٢٨ هـ « غيط من حيط » وهو غير حوض الدكاوى الذي ذكره رمزي ووضعه بتاحية أجهور الكبرى مركز قليبوب .

حوض الفرس : ورد في « تحفة الإرشاد » على أنه في خوف رمسيس ، وفي « مباحج الفكر » على أنه في البحيرة .

خالي الجني : ذكرها الزبيدي بالقرب من رشيد ، هي الآن « الفنى » على الضفة اليمنى لفرع رشيد ومقابلة لرشيد ، وكانت الفنى في العصر العثماني في القرن ١٠ هـ ، وقفا على أعمال البر في عهد السلطان سليمان .

دبست : وردت في « تحفة الإرشاد » من قرى خوف رمسيس ، وفي « الانتصار » وقوانين الدواوين ، من أعمال البحيرة ، من أراضي الجدية حالياً

ديسة : من كفور تروجة كما جاء في « التحفة » ، ولكن المقریزی جعلها من كفور محلة الكروم ( = القروي ) بناحية زاوية نعيم بأبوحص ، ذكرها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ فقال [ إنها كانت لبلوط الصرغتمشي ثم صارت للديوان المفرد ]

درشا ودرشو : كما جاءت في « التحفة » هي الآن زاوية أبوشوشة بالدلتجات وكانت في القرن ٩ هـ للقطعين .

دسيو : كان بها رزق في القرن ٩ هـ ثم صارت لإقطاعا لموسى بن ديدار بن قرمان ثم بهادر الجمالي ثم سودون جركس .

دقرص : وردت في « التحفة » محلها كوم الشوكة بدمنهور .  
دانجة : من خوف رمسيس كما جاء في تحفة الإرشاد ، ومن أعمال البحيرة كما ذكر صاحب « الانتصار » ؛ والآن كوم دلنجة غرب الدلتجات ، وكانت في القرن ٩ هـ باسم المقتعين والعربان .

دمشويه : وردت في « التحفة » و « المقرزية » و « تاج العروس » ، وفي داليل سنة ١٢٢٤ هـ ويرى رمزي أنها حاليا « زاوية غزال » بدمنهور ، تغير اسمها في العهد العثماني ، وكانت في القرن ٩ هـ وقفا للأمير يونس العلاني وغيره من المقتعين .

ديبي : قديما ديبه Db أو Db1 ذكرها جوتييه في قاموسه ، وورد ذكرها في قوانين الدواوين والتحفة السنية والمخطوط التوفيقية وتاريخ سنة ١٢٢٨ هـ وكانت من أعمال فوة والمزاحمتين ثم من ولاية البحيرة ، ذكرها ابن الجيعان فقال ديبى وهى ديبة والسواقى المعروفة ببشا ( بشاى ) .

دير الزجاج : غرب الإسكندرية . ويرى ( أمليانو ) أنها دير الهانطون .  
ديتمويه وسريقه : ( دمتيزة ) كانت في القرن ٩ هـ لإقطاعا باسم قرايغا الأحمدي ثم إينال الحسنى .

ششت : كانت لسودون جركس ثم لديوان المفرد .  
سندبلس : ذكرها ابن حوقل وياقوت ، الآن سماديس أو سمديس بالمحمودية .

سواقى غرلو الجوكندار : وردت فى التحفة السنية باسم محمد بن قطلوبغا الذهبى ثم باسم المقطعين .

سوخيت : Sokhit ذكرها د جوتييه ، وهى الخيس بالقرب من شبراخيت ، وسماها العرب د أم حكيم ، غرب الاشراك .  
شبرى بار : كانت فى القرن ٩ هـ باسم عمر بن أرغون شاه ثم على بك الظاهرى ثم قانصوه ويونس .

شبرى النخلة وحوض القضاة ، وكفر حريز : وكانت باسم صربغا الناصرى ثم الديوان المفرد .

شارنباره : الآن الجرادات بأبو حمص .

شبرى نونه : كانت باسم حمزة بن سنقر المحمدى ثم تغرى برمش السيفى ثم يشبك من أزدمر .

شبرى وسيم : كانت للمقطعين فى القرن ٩ هـ .

شديا : Schèdia ذكرها د جوتييه ، والآن تل النشو بكفر الدوار .  
شقرا : وردت فى التحفة ، بالفاء ود الخطط المقريرية ، محل تل كوم البارود بحوف رمسيس قديما ، وردت فى القرن ٩ هـ باسم المتطعين والعربان .  
شقراسه : وردت فى تحفة الإرشاد ، بالكفور الشاسعة من حوف رمسيس  
شنشا : وردت فى التحفة ، بالكفور الشاسعة من حوف رمسيس وكانت باسم المقطعين والعربان فى القرن ٩ هـ .

شنشير : وردت فى التحفة ، وكانت قديما د سنسيج ، بولاية البحيرة ، شملت د محلة بشر ، الآن ، وجزؤها الغربى يسمى الآن د حارة سنسيج ، وكانت فى القرن ٩ هـ باسم محمد بن طقتمر النظامى ثم لديوان المفرد .

صفط العين : وردت فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ بخط شبراخيت ، والآن توزع زمامها على زمزم والمناشله والكفر الجديد بشبراخيت .

راكام : Rakaâm ذكرها (جوتييه) وخط (بروكش) بينها وبين لقانة ، أما الأولى فهى علقام بمركز إيتاى البارود ، وقد ذكر ابن الجيعان (علقام) باسم المتقدمين وأصحاب الرزق فى القرن ٩ هـ .

شابور : اسمها المصري شابور ، ذكرها الإدريسي ، ثم ابن الجيعان فقال :  
لنها في القرن ٩ هـ كانت لثقال الجمالي الأشرفي ثم لتاني بك الجمالي .

سبخيت : Sabkhit chmat ذكرها « جوتية » و « إلمينو » و هي الآن  
شبراخيت ، واسمها المصري القديم Sabkhit .

سدرشا : وردت في « تحفة الإرشاد » و « التحفة السنية » و « تاج العروس »  
وكتاب وقف الغوري « وسميت كفر سدرشه وهي الآن كفر شبراخيت ،  
وكانت في القرن ٩ هـ باسم أحمد بن محمد بن لاجين ثم صارت للقطيعين ورزقا ،

سقط الملوك : وردت في « تحفة الإرشاد » و « التحفة السنية » و « قوانين  
الدواوين والانتصار » سماها المقرئ « سقط أبي زينة » باسم الشيخ المدفون بها  
ووردت في تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ باسم « سقط الملوك والأحكام » وكانت في  
القرن ٩ هـ وقفا للشيخ منجك ، وفي عهد الثورة أطلق عليها « سقط الحرية »

سمرو : ذكرها المقرئ ، والآن عزبة كوم الصبيسة بزاوية صقر مركز  
أبو المطامير .

سببا : ذكرها الزبيدي وهي سلباده بالمحمودية ، كانت في القرن ٩ هـ  
للقطيعين ثم للملك الأشرف قايتباي .

سنطيس : أصلها سلطيس ، ذكرها الواقدي إذ أرسل أهلها مددا للروم في  
موقعة الكريون ، وانهمزم فيها الروم أمام ( شريك ) ، وذكر ابن عبد الحكم  
أن من أهلها : عمران بن عبد الرحمن بن جعفر بن ربيعة ، وأم عون بن خازجة  
الخرشي العدوي ، وأم عبد الرحمن بن معاوية بن معاوية بن حديج وهم الأسرى الذين  
عملوا في خدمة مروان بن الحكم ، ومنها أيضا أبان وعمه عراض وكانت في القرن ٩ هـ  
باسم الأشرف شعبان وإخوته ثم للديوان ، وذكرها علي مبارك في الجزء ١٢  
من خطه .

صفيطة : وردت في تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ بخط شابور ، وذكرها الزبيدي  
باسم « سقط السلمون » بالكفور الشاسعة .

طنخينخ : ذكرها ابن الجيعان باسم المقطعين والعربان .

طرانة برنوج : بولاية البحيرة وردت بدفتر المقاطعات سنة ١٠٧٩ هـ  
والآن ملاحاة الطرانة جنوب البرنوجى بدمهور وذكر ابن الجيعان الطرانة  
إقطاعا باسم مختار الحسامى ثم على باى المحمدى ثم الديوان ، كما ذكر أيضا في  
مكان آخر ( برنوج ) باسم المقطعين والعربان .  
طرهونه : الآن عزبة الطرهوني بالأقبعين .  
طلموس : ذكرها ابن الجيعان إقطاعا لأبغاثورشيخو ثم للديوان المفرد  
والمقطعين .

طلمسوس : أو طلمشوش وهى حاليا سحالى ، وبالقرب من ( القروى )  
حوض مجاور لسحالى اسمه طلمشوش ، ووردت فى التحفة السنية إقطاعا باسم  
نصر البالى ثم لاجين الظاهرى  
طمط : ذكرها ابن مماتي .  
طملاس : ذكرها ابن الجيعان إقطاعا باسم مغلطاي البدرى ، ثم لديوان  
الدولة .

طوخ دجانة : وردت فى « مباهج الفكر » و « قوانين الدواوين » و « تاج  
العروس » و « التحفة » حيث ذكرت كإقطاع لأبى بكر بن طاز ثم المقطعين ،  
ثم باسم حاج بن مغلطاي ثم للديوان المفرد والامير يونس النوروزى .  
طيبسه : وردت فى التحفة السنية باسم العربان ثم الديوان المفرد .  
قلاوة بنى عبيد : ذكرها المقرئى ، كانت فى خوف رمسيس ثم الآن  
ضمت إلى القلاوة بكوم حمادة .

قلمين : وردت فى « مباهج الفكر » و « تحفة الإرشاد » من أعمال البحيرة .  
قلية بدران : وردت فى التحفة محرفة ، والآن عزبة كوم بدران بزرقون .  
كرفسه : ( كرفيه ، كركفة ) وردت فى « تحفة الإرشاد » و « قوانين  
الدواوين » و « التحفة السنية » كانت من ضواحي الإسكندرية ، وكانت من  
أعمال البحيرة ، وكانت إقطاعا للعربان فى القرن ٩ هـ .

كسلا : وردت في « فتوح مصر » و « الانتصار » كان الروم يسمونها ( شيديا ) والآل « كوم النشو » بالنشو البحري .

كوم التلول : ذكرها المقرئى . الآن عزبة كوم الطيار بنقرها .

كوم الطبول : وردت في « التحفة » بزاوية حمور بالدلتجات ، وكانت باسم العريان .

[ كوم الشاه ] ، [ كوم الضيع ] ، [ كوم العقبان ] ، [ كوم الغيلان ] ، [ كوم البقر ] ، [ كوم الحور ] ، [ كوم البصل ] ، [ كوم الولاند ] ، [ كوم عز الملك ] ، كلها أماكن عربية من الكفور الشاسعة بحوف رمسيس ، وردت في « تحفة الإرشاد » و « التحفة السنية » و « قوانين ابن بماتى » .

محلة الأمير : وردت في « تحفة الإرشاد » و « التحفة السنية » و « قوانين الدواوين » من أعمال البحيرة وكانت من أعمال فوه والمزاحمتين ، وقال ابن الجيعان إنها كانت باسم الشريف أمير المدينة المنورة في القرن ٩ هـ ، وكانت ملكا لشيخو . [ محلة الخلفاء ] ، [ محلة الكنيسة ] ، [ محلة حسن ] ( بين فرنوى ولمرى ) ، [ محلة ديا ] ، [ محلة زبال ] ، [ محلة مارية ] ، [ محلة مرقه ] ، [ محلة مسروق ] ، [ محلة خروف ] ، [ محلة نصر ] ، [ محلة نمير ] ، [ محلة مصيل ] ، كلها في البحيرة ذكرها مع التفاوت : ياقوت والمقرئى والزبيدى ، وابن الجيعان ، وابن دقاق ، وغيرهم ، بعضها في الكفور الشاسعة ومعظمها في ولاية البحيرة ، منية الجبالى : وردت في « تحفة الإرشاد » بالكفور الشاسعة .

منية الزجاج : ذكرها ياقوت ، كانت على خليج الإسكندرية ، وكان يوجد بها دير للأرثوذكس في القرن الخامس الميلادى ، وقتل به مكاريوس أسقف إداكو ، وبها قبر عتبة بن أبى سفيان مات بالإسكندرية في ولايته على مصر سنة ٧٤ هـ ودفن بها ، ودخلت في حدود الإسكندرية ، وتسمى الآن « محفل القزاز » ، منية القرآن : ذكرها على مبارك ، شمال كفر محلة داود وشرق سنهور ، والآن بكفر الشراقوه تابعة لمنية بنى موسى بدمهور .

مات إاست : Hat Ist = قصر إيزيس ، ذكرها ( جوتيه ) و ( برش )



و ( بروكش ) ، وهى الآن دست ( دست الاشراف ) بكوم حمادة .  
هات شات + هات شاو : د قصر الرمال ، قال د جوتيه ، هى قلعه شيدھا  
 الملك (منقطة) على حدود ليبيا لصدهجات البدو ، والآن د درشاى ، على حدود  
 صحراء ليبيا بالدلتجات .

ياطس : ورد هذا الاسم فى د التحفة ، والآن مكانها عزية كوم ياطس  
 بناحية بويط بالمحمودية ، وكانت فى القرن ٩ هـ باسم المقطعين .  
الأبقعين : ( أصلها الأبيقع ) بخط حاجر بنى عون ، كانت فى القرن التاسع  
 الهجرى للمقطعين ثم للديوان المفرد ثم للأمير طشمر الصلاحى ثم للذخيرة .  
القرنين : كانت تابعة لأبو حمص ثم ضمت إلى الكوم الأخضر .  
النرية : وكانت النيريات والتيميات ثم صارت تابعة لأبو حمص .  
كفر الواق : ( وأصلها قبر روق ) تابعة لأبو حمص .  
أبو المطامير : كانت تابعة لأبو حمص ثم صارت مركزاً سنة ١٩٣٠ .  
البوطة : عربية معناها البيت المبنى بالطوب .  
الزيميات : وهم جماعة من العرب نزلوا بها فنسبت إليهم .  
الغينة : نسبة إلى ذرية الشيخ غيث الدين الذين استوطنوها .  
[الكردود] ، [كوم حفين] ، [المهدية] ، [النجيل] ، [أولاد الشيخ] ،  
[الياسينية] ، [حرارة] ، [زاوية سالم] ، [زاوية صقر] ، [كوم الحنش] .  
حوش عيسى : نسبة إلى شيخ العرب الأمير عيسى بن إسماعيل أمير بنى  
 عون ، ومن كبار أعيان القرن العاشر الهجرى وصارت مركزاً فى آخر  
 تقسيم إدارى .

منشأة ثروت : أنشأها عبد الخالق باشا ثروت المتوفى سنة ١٩٢٨ .  
منشأة جناكليس : د نستور جناكليس ، تاجر الدخان اليونانى بمصر .  
منشأة خياط باشا : د خليل خياط باشا من كبار تجار الإسكندرية .  
الصخرة : بلدة قديمة ذكرها المقرئى ، والآن هى كوم الصخرة ، ووردت  
 فى تريع سنة ٩٣٣ هـ ودفتر مقاطعات سنة ١٠٧٩ وتاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ،

القروى : كانت قديما تسمى «محلة الكروم» وتنسب إلى الشيخ محمد القروى المدفون بها وله مقام ، ورد اسمها في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السنية .

النخلة البحرية : قديما ( أبو الغزلان البحرية ) ذكرها صاحب التحفة ووردت في تزييع سنة ٩٣٣ باسم « النخلة » ، وفي سنة ١٨٨٤ وردت باسم « النخلة البحرية » .

برسيق : قديما ( أبرشيق ) ذكرها ابن حوقل بين قرنفيل ( قايليل ) والكريون وذكر أنه كان بها جامع وبيع للنصارى وأسواق وقال إنها كورة كبيرة ، ووردت في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السنية وكانت في القرن ٩ هـ باسم يلبغا المسمى ثم باسم المقطعين وقد جددت الحكومة المصرية مساكنها سنة ١٩٤٠ على إثر ما أصابها من الدمار على يد جهافل النمل الأبيض .

بركة غطاس : قديما ( بركة فضال ) ذكرها ابن دقاق ، وقال عنها موتسنجر : بها حديقة ومكتب وجامع وطاحونة هواء .

بسنواى : قديما ( بسنويه ) ذكرها ابن بياتى وابن دقاق ، أما ابن الجيعان فقد ذكر ( باجييه بسنويه ) وقال إنها لإقطاع باسم مبارك الطازى ثم وقف الملك الظاهر جقمق على الحرمين ثم صارت باسم المقطعين .

بطورس : ذكرها ( إلمينو ) و ( ابن بياتى ) و ( ابن الجيعان ) ، تنسب إلى القسيس اليونانى باتلاس ( بطورس ) الذى لقي قسيسا آخر اسمه مقنار عند جبل برنوج ، وكانت في خوف رمسيس ثم من عمل البحيرة ، ووردت في التحفة السنية لإقطاعا باسم أرغون الأشرفى ثم باسم الديوان .

بلقطر : قديمة وردت في تحفة الإرشاد والتحفة السنية والانتصار ومعجم البلدان وقوانين الدواوين ، اشتهرت بصنع عباءات من الصوف لا يعمل مثلها في الدنيا ، كما يقول ابن دقاق ، وكانت في القرن ٩ هـ باسم الأمير على بن الأشرف شعبان ثم لىديوان الدولة ، كما كانت للامير جاني بك المسمى التاجر .

دسونس الحلقاية : قديما دسونس المقاريضى التى ذكرها ابن الجيعان في

القرن ٩ هـ وكانت لجامكية البازدارية تم لخاير بك العلائي ، ويفصل المقرزي بين ناحيتين : دسونس والحلفاية ثم صارتا بلدا واحدا ، وردت في تحفة الإرشاد ، والتحفة السنية والانتصار .

دير أمس : قديمة وردت في التحفة السنية بكسر الهمزة ؛ وكانت للمقطعين ثم صارت وقفا لمدرسة السيفي أيتمش البجاسي في القرن التاسع الهجري .  
زاوية نعيم : قديما ( دبيسة ) من كفور تروجة ، وهي عند المقرزي من كفور محلة الكروم ، وقيل أصلها ( دست ) أيضا واندثرت ومكانها الآن عزبة كوم دميصة ، وأشهر توابعها في القرن الحادي عشر الهجري « زاوية نعيم » نسبة إلى الشيخ نعيم عبيد السلام الأسمر المغربي من زليطش بطرابلس الغرب ، وله جامع ومقام بها .

سحالي : ( طلبشوش ) قديما ، وتنسب إلى عهدها سنة ١٢٤٥ هـ الشيخ محمد إبراهيم سحالي ، وذكرها ابن عاتق وابن دقاق وابن الجيعان .  
كفر حصام : قديما ( قبر عصام ) ، أو كفر عصام من أعمال خوف رمسيس ثم البحيرة ، ورد ذكرها في ابن عاتق وتحفة الإرشاد والتحفة السنية ، وتواريخ سنة ١٢٢٨ هـ وسنة ٢٤٥ هـ وكانت في القرن ٩ هـ إقطاعا لعبد الله ابن محمد بن طرغية .  
قافلة : كانت وقفا للاشراف قايتباي كما ذكر ابن الجيعان في « التحفة السنية » .  
كفر عزاز : قديما ( الراهب ) ، وضمت إلى برسيق ، وجاء ذكرها في ( التحفة ) .

كوم البصل : قديما ( كوم الولائد ) ذكرها المقرزي ، وهي من قرى مركز أبو حمص ، وقد ألغى اسم ( كوم البصل ) نهائيا ، وأصبحت تسمى ( قرية الشهيد جواد حسني ) شهيد بور سعيد سنة ١٩٥٦ ، لأنها قرية والده السيد علي زين العابدين وقد أقام السيد وجيه أباطه نصبا تذكاريا في نادي هذه القرية بحضور مندوبين عن المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، بمناسبة عيد النصر سنة ١٩٦١ ، ومن ثمت أصبح يطلق عليها هذا الاسم الجديد ، تخليدا لذكرى شهدائنا الأبرار من أبناء البحيرة .

كوم القناطر : قديما (تلبسا الكبرى) ورد ذكرها في (التحفة) و (الاتصار)  
والخطط المقرزية وتاريخ ١٢٢٨ هـ .

محلة كيل : وردت في بعض الكتب هكذا محلة كيك ، ومحلة كيل ، ،  
ذكرها ابن مئق وابن دقاق وابن الجيعان وغيرهم ،  
أبو الحضر : (أبو الحضر) كما وردت في جدول سنة ١٨٨٠ م ، وفصلت  
من بسنواوى في تاريخ سنة ١٢٥١ هـ .

[ الجرادات ] ، [ الجرن ] ، [ الحرفة ] ، [ الدراوية ] ، [ الرزقة ] ،  
[ الزينى ] ( أنشأها قناوى الزينى من الإسكندرية سنة ١٩٢٥ ) ، [ الغابة ] ،  
[ منشأة دميستا ] ( تكونت سنة ١٨٩٢ ) .

روضة خيرى باشا : كانت تسمى (كوم المجارى) لكثرة الجير في تلالها، وقد  
أنشأها سنة ١٩٢٠ أحمد خيرى باشا مدير البحيرة ، وأسس بها ولده السيد العلامة  
أحمد خيرى مكتبة تضم أكثر من ٢٢ ألف مجلد في شتى العلوم واللغات ،  
مخطوطة ومطبوعة ، وله على الكثير منها تعليقات قيمة ، وقد زرتها وأعجبت  
بنوادى المؤلفات فيها .

إتياى البارود : ذكرها أملىنو وابن مئق والزبيدى ، وذكرها  
ابن الجيعان في القرن التاسع الهجرى باسم ( إتييه ومنيتها ) وكانت للقطيعين  
والعربان ثم للديوان المفرد ، واسمها القبطى ( إيتى Eiti ) وتحولت إلى (إتييه)  
في خوف رمسيس ، ثم البحيرة ، وأنشئ بها معمل البارود في العصر العثمانى  
فسميت بالتركى ( إتييه باروت ) ثم برزت في تاريخ سنة ١٢٢٨ باسم (إتياى  
البارود) وصارت مركزا للدلتجات سنة ١٨٨٤ ثم سمي مركز إتيياى البارود  
سنة ١٨٩٦ .

أرمية : أو أرمانيه ، وبالقبلى (أرمونيم) ، منها اشترى أحد القسس  
قمحا للتمديدس باخوم في وقت اضطهاد المسيحية بالإسكندرية ، ورد ذكرها  
في قوانين ابن مئق وتحفة الإرشاد والتحفة السنية ، وكانت في القرن التاسع  
الهجرى إقطاعا لخليل بن عرام ثم للديوان المفرد .

البهسي : بلدة قديمة وردت في قوانين ابن مئاق وتحفة الإرشاد في خوف رمسيس ، وفي التحفة من أعمال البحيرة ، وصحها المقرري هكذا : البهوط ، وهي غير ( بهوت ) وذكرها ابن الجيعان ، وكانت للمقطعين في القرن ٩ هـ .

الضهرية : قديما ( الظاهرية : محلة ببيج ) ذكرها ابن حوقل وابن مئاق في قرى خوف رمسيس ، وفي الروك الحسامي ، باسم منية ببيج ، وفي تحفة الإرشاد ، في خوف رمسيس ، وفي الروك الناصري ، الظاهرية وسميت باسم الظاهر بيبس بمناسبة حفرة خليج الإسكندرية سنة ٦٦٢ هـ ابتداء من منية ببيج ، وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ الظهرية ، والآل الكريون . وذكرها ابن الجيعان وهي ( منية ببيج ) وكانت باسم المقطعين في القرن ٩ هـ ، وكانت في العصر العثماني من الموقوفات على تكية السلطان مراد بالمدينة المنورة .

العوامر : قديما ( العمريات ) ورد ذكرها في التحفة ، ود الانتصار ، وفي دفتر المقاطعات سنة ١٠٧٩ هـ ، وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ، وكانت باسم « العمريات » ثم « كفر العوامر » ومن سنة ١٢٧٣ هـ « العوامر »

النيرة : وردت عند ابن مئاق من أعمال خوف رمسيس ، وفي التحفة السنية من البحيرة ، وذكرها المقرري باسم النيرة ، وكانت في القرن التاسع الهجري للأوقاف الحسكية ثم لطشتمر الصلاحى ثم لبرسباى المحمودى .

برقائمة : وردت عند ابن مئاق من أعمال خوف رمسيس ، وفي التحفة ، من أعمال البحيرة ، وذكرها الزبيدى وجوتيه Rakaam وقال بروكش : إنها علقام بكوم حمادة .

جنهواى : أصلها القديم ( جنويه ) وينطقها العمامة جبواى وجنيه ذكرها الكندى في أحداث سنة ٢٥٢ هـ باسم جنويه وقال : إنها من كورة البدقون وذكرها صاحب تحفة الإرشاد والتحفة وذكرها ابن مئاق . وينسب إليها فيقال الجنيدى ، وقال عنها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ : إنها كانت للمقطعين ثم للديوان المفرد .

خمارة : وردت باسم « الخمارتين » عند ابن ماقى وتحفة الإرشاد من أعمال حوف رمسيس ، وباسم « الخمارة » فى الروك الناصرى ، وأيضا حوض خمارة وخمارة دكدوكة وذكرها صاحب « التحفة » ثم انفصلتا سنة ١٢٢٤ ، وفى سنة ١٢٢٨ خمارة فقط ، وفى دليل سنة ١٢٢٤ دكدوكة وتعرف بدقده ، وكانت فى القرن ٩ هـ تسمى ( خمارة دكدوكة ) وكانت للوقف الصالحى ثم للمقطعين والعربان ، وذكرها ابن الجيعان فى مكان آخر باسم ( الخمارة ) وكانت ملكا لدمرداش المحمدي .

شبرا النيرة : ذكرها املينو باسم تيجيفرونيه Tidjeproné ذكرت فى المشترك وتحفة الإرشاد والتحفة وغيرها ، كانت من أعمال حوف رمسيس ثم البحيرة .

ششت الانعام : ذكرها ابن ماقى : ششت من حوف رمسيس ثم ذكرها ابن الجيعان من البحيرة .

شنديد : قديمة ، وردت فى تحفة الإرشاد ، وفى التحفة السنية بهذا الاسم وكذلك ( شنديود ) وكانت لطنبغا الصفوى .

صافية : ( صيفية ) كانت فى حوف رمسيس ثم فى البحيرة ، وذكرها ابن ماقى وابن الجيعان وابن دقماق . ووردت فى تاريخ سنة ١٢٢٨ صفية .

صفط خالد : صفط القرعة بشبراخيت ، ووردت فى « المشترك » و « قوانين الدواوين » و « تحفة الإرشاد » و « التحفة السنية » و « الخطط التوفيقية » ، ظهور التساح : ذكرت مع « إمليط » فى « التحفة السنية » .

قادوس : قديما ذ محلة جعفر ، من حوف رمسيس ثم البحيرة . وبها جامع وفيه عمود عليه تاريخ ٦٤٧ هـ وردت فى قوانين ابن ماقى و « تحفة الإرشاد » و « التحفة السنية » .

قليشان : كانت فى حوف رمسيس ثم صارت فى البحيرة ، وكانت فى القرن ٩ هـ وقفا للأشراف العثمانيين .

كفر مساعد : قديما برشوط ، كانت في حوف رمسيس ثم البحيرة ، وردت في « مباحج الفكر » ، و « تحفة الإرشاد » ، ودليل سنة ١٢٢٤ هـ .  
كنيسة الضهرية : قديما ( كنيسة مبارك ) وقيل ( كنيسة منازل ) كانت في حوف رمسيس ، وردت في « تحفة الإرشاد » ، و « التحفة السنية » ، و « الانتصار » ، و دليل سنة ١٢٢٤ هـ .

محلة عبيد : قرية قديمة ، وردت في « القوانين » ، و « تحفة الإرشاد » ، و « التحفة السنية » ، ثم سميت « منية بن منصور » ، في القرن ٩ هـ وكانت للبقطعين ثم للعربان وكانت تمنح رزقة ، وسميت أيضا منية محلة عبيد .  
معنيا : قديما ( محلة معن ) كانت في حوف رمسيس ، وفي « التحفة » ، معنية ، كانت باسم المقطعين والعربان في القرن ٩ هـ .

نكلا العنب : ذكرها اميلينو باسم ( أكلا Aqèla ) ووضعها بالقرب من صا الحجر ، ويرى رمزي أن أكلا هي نكلا ، ثم سميت محلة نكلا ، وفي العهد العثماني عرفت باسم « نكلا العنب » ، ذكرها ابن عاتق وابن دقاق وابن الجيعان ووردت في تحفة الإرشاد ، أما كفر نكلا فقد عمره حوالى سنة ١٢٠٠ هـ جماعة من نكلا العنب بعد اندثار الناصرية التي نشأت على الخليج الناصري سنة ٧١٠ هـ باسم الناصر قلاون وعمرها المقداد بن شماس وأولاده ، ثم ضمت إلى سناباده بعد خرابها .

[إبراك حمام] ، [الإبراهيمية] ، [التوفيقية] ، [الحوتة] ، [الخوالد] ، [الدرملية] ، [الروقة] ، [الشعيرة] ، [العيون] ، [جبارس] ، [زبيدة] ، [أبو زريق] ، [كفر العسكري] ، [كفر أبو مندور] ، [كفر الحاجة] ، [كفر الحناوى] ، [كفر الستة] ، [كفر الشيخ مخلوف] ، [كفر الغابة] ، [كفر خليفة] ، ( من كفر خليفة الناقورى ) ، [كفر عسكر شديد] ، [كفر عسكر صقط] ، [كفر عوانة] ، [كفور السوالم] ، [منشاة الصيرى] ، [وأثریات فاضل باشا] .

كل هذه البلاد فصات في تواريخ متفاوتة ما بين سنة ٩٢٣ هـ و سنة ١٢٧٣ هـ

وصارت لها وحدة ، وكلها في مركز إيتاي البارود .

الدلنجات : قاعدة مركز الدلنجات : منذ سنة ١٨٧١ ، اسمها القديم ، الاسم الطيب ، كما في « التحفة السنية » ، و « الانتصار » ، وتقع شرقي قرية دلنجة وكانت في خوف رمسيس ثم أصبحت من أعمال البحيرة ، وكانت إقطاعا لتولى البحيرة ثم صارت خرابا في القرن ٩ هـ ثم أعطيت للمقطعين ، ووردت في دفتر المقاطعات سنة ١٠٧٩ هـ باسم « دلنجا عافية » ، وأصابها الخراب في العصر العثماني ، فانتقل أهلها إلى قرية « الاسم الطيب » ، فصارتا بلدا واحدا سمي « الدلنجات » ، ولما أنشئ مركز الدلنجات كانت قاعدة له سنة ١٨٧١ ثم نقل ديوان المركز سنة ١٨٨٤ إلى إيتاي البارود لوقوعها على محطة السكة الحديد ، وفي سنة ١٨٩٦ أنشئ مركز إيتاي البارود ، وفي سنة ١٩٠٦ صارت الدلنجات مركزا للمرة الثانية .

المخايض : وردت في التحفة السنية إقطاعا باسم المقطعين والعربان وأصحاب الرزق .

المحيلات : وردت بها أيضا إقطاعا باسم يونس الصلاحى ثم باسم أحمد بن عبد الغفار ثم باسم أصحاب الرزق .

المرج : ذكرها ابن الجيعان في كفور لمانه ، إقطاعا باسم مثقال الجمالى الأشرفى ثم للمقطعين .

المسين : كانت في خوف رمسيس ثم البحيرة ، ذكرها ابن بمانى وابن الجيعان وهو الذى قال إنها كانت إقطاعا لا يدمر من صديق ثم لشادى بك المحمدى ثم للمقطعين ثم كانت رزقا وفيها وقف للأزهر الشريف :

المعصرة : ذكرها ابن الجيعان باسم المقطعين ثم أصحاب الرزق .

جزائر عيسى : بلد قديم ورد في « التحفة السنية » .

رزافة : أصلها ( ورزافة ) ذكرها المقرئ ( منية ورزافة ) وفي « الانتصار » ، و « التحفة » ، ورزافة فقط .

زاوية أبو شوشة : أصلها « شقراء » من خوف رمسيس ، وردت في « تحفة الإرشاد » ، و « الخطط المقرئية » .



قبور الأمراء أصهارا ( نبتيت ) ومعناها قبر المرأة . من الكفور الشاحة ،  
ثم صارت في البحيرة ، ذكرت في « تحفة الإرشاد » .  
قحة : وردت في « التحفة السنية » من الكفور الشاحة وكانت باسم العربان  
والمدرسة السنقرية .

كوم زمران : أصهارا ( طوخ دخايه ) من حوف رمسيس ، مجاورة لزمران  
النخل .

الوفائية : قديما ( اليهودية ) في حوف رمسيس ، وتغير اسمها سنة ١٩٢٤  
بناء على اقتراح الشيخ سليمان عصفور ، عضو مجلس النواب وفاء من المسلمين أهل  
هذه البلدة .

[أبو سعيقة] ، [أبو مسعود] ، [البستان] ، [الحاليية] ( نسبة إلى خليل  
باشا خياط التاجر بالإسكندرية ) ، [العلامية] ، [واليوسمية] ( أنشأها أحمد  
يوسف المزارع ) ، [زاوية حمور] ، [زاوية مسلم] ، [زمران النخل] ، [أحمد  
أغا وانلى] . [الطيرية] ( كانت في القرن ٩ هـ باسم العربان المقطعين ) [القاسى  
مطروذ] ، [المنشاوى الللاح] ، [حنا حنا] ، [سعدداود] ، [عبد الله المقرحى]  
[يوسف حمزة] ، [لحيمر] ، [أبو وافية] ( باسم محمود أبو وافية من عربان  
السذنا ) ، [بشارة] .

هذه زرايا وكفور وعزب ومناشى ، فصات في تواريخ متفاوتة عن غيرها  
ما بين سنة ١٣٣٣ هـ وسنة ١٣٥٤ هـ .

الكوم الأخضر . ذكرها ابن الجيعان لإقطاعا باسم حسن بن صرغتمش ثم  
باسم المنطعين وأصحاب الوقف .

المحمية : ذكرها أيضا لإقطاعا باسم جاهين المحمدى ثم رزقا متفرقة .

العطف : ذكرها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ وكانت باسم طنبغا العزى ثم  
باسم جاني بك العلائى كما ذكرها ياقوت وكتب عنها في « معجم البلدان » ،  
والمشترك ، وصارت قسما إداريا سنة ١٨٤٣ باسم قسم العطف ، ثم مركزا  
إداريا سنة ١٨٧١ ، ولما ألغيت محافظة رشيد سنة ١٨٩٥ نقل المركز من

العطف إلى رتيبة ابتداء من سنة ١٨٩٦ . وقد ذكرها ابن الجيعان من أعمال  
فوة والمزاحمتين ، ولما أنشأ محمد علي قناطر فم ترعة المحمودية نسبة إلى السلطان  
العثماني محمود ، أطلق عليها اسم المحمودية ، ثم صارت مركزا إداريا سنة ١٩٢٨ .  
بويط : قديما ( بويط ) ، وردت في معجم البلدان وقوانين الدواوين وتحفة  
الإرشاد والتحفة السنية ، ودفتر المقاطعات سنة ١٠٧٩ هـ ودليل سنة ١٢٢٤ هـ  
وتاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ومنذ سنة ١٩٢٨ ألحقت بالمحمودية ، وأصلها القديم ( ياطس )  
ثم صارت ( الخزان ) سنة ١٢٧٥ هـ وفي القرن ٩ هـ ذكرها ابن الجيعان مع جزيرة  
مالك وكانت المقطعين .

دسيا الكنايس : أصلها ( دسيو ) ووردت ( ديسيو ) و ( ديسو ) و ( ديسوه )  
وكانت تابعة لرشيد سنة ١٩٢٨ هـ ، وذكرها ابن مسماتي وابن الجيعان والمقريري ،  
والزبيدي ، وفي تحفة الإرشاد والكشاف .

دشني : ( دنشال ) ذكرها ابن الجيعان باسم المقطعين .

ديروط : كانت تابعة لثغر الإسكندرية ثم لرشيد ، وردت في التحفة السنية .  
سرنباي : ووردت سرنبي وسرنبي وسرنبي وسرنبي وشيرنوبه ، وسرنبايه ،  
وينطقها العامة سرنبيه ، ذكرها الإدريسي والمقريري . ووردت في دفتر المقاطعات  
سنة ١٠٧٩ هـ .

سلبون : وردت في التحفة السنية باسم المقطعين والعربان .

سماديس : أصلها سمديس ، ووردت سنديس وسنباذه وسناباده وسناباده  
وسمديسه وسمدية ، ذكرها الإدريسي وابن حوقل وياقوت وابن مسماتي أما ابن  
الجيعان فذكرها لقطاعا للعربان ، اشتهرت بكثرة بائعي الخنور وبيع النصاري  
وكثرة الخنازير ، وكانت تابعة لدمهور حتى سنة ١٩٢٨ هـ ، وكانت بين فيشه  
( فيشه بلخه ) وبلهيب ( فزارة ) وقد هجرها أهلها سنة ١٢٤٠ هـ لكثرة الرشح  
والسباح بها فسكنها جماعة من الرحمانية وسموها كفر الرحمانية .

سمخرات : كانت تابعة لشبراخيت حتى سنة ١٩٢٨ هـ ، وقد ذكرت في  
قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد ، وفي التحفة السنية كانت باسم المقطعين والعربان .

سیدی عقبه : فصلت سنة ١٩٠٣ من توابع عزبة خالد مرعى ، وألحقت برشيد حتى سنة ١٩٢٨ ، ثم فصلت عنها سنة ١٩٤٠ ، وهى بالقرب من مكان تكييلو أو دكلوبه بالقبطية Tkyllo أو Dakloubâ ويضعها لميلينو فى أسقفية مصيل ، وقد ولد بها صمويل القلوبى ، ويقال إنها نسبة إلى عقبه بن عامر الجهنى الصحابى الذى قدم إليه أبو ذر الغفارى يطلب حديثا ، ولكننا نعلم أن عقبه هذا مدفون بالمقطم .

فيشا بلخه : قديما ( إلفستو Iphestou ) ذكرها لميلينو وابن حوقل وابن ماقى وابن الجيعان وابن دقاق وياقوت ، وتقع بين محلة أبى خراش وسنباذه ، وكانت تابعة لمركز دمنهور حتى سنة ١٩٢٨ ، ثم فصلت سنة ١٩٤٠ من الخزان وورد اسمها : فيشا ، وفيشه بلخاوية ، وفيشا بلخا ، وقال ابن حوقل عنها فى القرن الرابع الهجرى : ضيعة بها منبر ( جامع ) ولها بادية لا بأس بها ، ووردت فى التحفة السنية : فيشه بلخاية وكانت فى القرن ٩ هـ إقطاعا للأمرأ والعربان ، منية الشيخ : قرية الشيخ ، فى شمال فيشا بلخه وشرق زرقون ، وردت فى قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السنية ووقف الغورى ، وفى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى نزل بها جماعة من ( أريمون ) بمركز كفر الشيخ ، وعمرها فسميت منشأة أريمون ، وظلت تابعة لمركز دمنهور حتى سنة ١٩٢٨ ، ثم مركز المحمودية ، وقال ابن الجيعان إنها كانت باسم يلبغا الناصرى والمقطعين فى القرن ٩ هـ .

منية السعيد : قديما الحافر ، ورد ذكرها فى نزعة المشتاق والانتصار والتحفة السنية ، وهى بين سماديس والجدي ، وفى القرن السابع الهجرى سميت « منية السعيد » وكانت تشتمل على الجنان والحافر ، وكانت حدود ثغر الإسكندرية تشتمل عليها ثم ألحقت بمركز رشيد حتى سنة ١٩٢٨ .

مرجنا ومرسنا : كانت فى القرن ٩ هـ باسم العربان والمقطعين وأصحاب الرزق ، وذكرها ابن الجيعان فى التحفة السنية :

أبو حمار : كانت فى القرن التاسع الهجرى إقطاعا لطشتمر العلاق ثم لسودون

العلائق ، ثم وردت باسم : أبو حمار الكبير ، وبو الخير ، وبو حير .  
 [ البساتين ] [ قديما البسرين ] ، [ الشوكة ] [ قديما دقرص أو دقرس ]  
 [ إفلاقه ] ، [ البرنوجي ] ( أصلا برنوج ) كانت في القرن ٩ هـ للقطيعين ثم  
 رزقه للعربان ، [ الصفاصيف ] ( قديما الصفصافة ، الصياصف ، الصفاصف ،  
 الصفاصفه ، الصياصيف ) ، [ العمرية ] ( أصلا العميرة ) ، [ الخايض ] ، [ بسطرة ]  
 ( بسطرا ، بيطرا ، بطرا ) ( حفص ) ( محلة حفص ) ، ( سنطيس ) ( سلطيس ) ،  
 ( طاموس ) جزء من دمنهور الحالية ومكانها أبو الريش ، وكانت في القرن  
 ٩ هـ للقطيعين ووردت أيضا تحت اسم طابوس .

هذه البلاد قديمة ، وأسمائها تدل على عروبتها ، وكلها كانت من الكفور  
 الشاسعة من خوف رمسيس ، وذكرها مع التفاوت كل من ابن عاتق وابن الجيعان  
 والمترزي والمقدسي ، وهي تابعة لمركز دمنهور :

شبرا دمنهور : شبرا النخلة ، كفر حريز ، حوض القضاية ، شبرا الدمنهورية ،  
 وقد أنشئت سنة ١٢٧٣ من زمام دمنهور كاه وكفر حريز (أبو الحريز) وحوض  
 القضاية ، وأصلها ميفامونيس Mephamonis وبالقبطي ميسامون وبالعربي  
 أبو مينا ثم شبرو أبو مينا ، ذكر ابن حوقل جامعها وكثرة غلاتها وكثرة أهلها ،  
 وفي العصر العاطمي سميت شبرا نخلة ثم شبراى النخلة ثم شبرا والدمنهورية ثم  
 شبرا الدمنهورية ثم شبرا دمنهور ، وعليها الآن المساكن الغربية من دمنهور .

دسونس أم دينار : وأصلها دسونس بودينار وكانت أيضا باسم (أبو دينار)  
 وسميت بأم دينار التي أضيفت إليها سنة ١٢٢٨ هـ ، ذكرت في تحفة الإرشاد ،  
 وفي التحفة السنية ، كانت وقفها على برج نجر الإسكندرية ، وهي غير  
 (دسونس المقاريضي) .

زرقون : أصلها منية زرقون ، اتسمها ترعة المحمودية قسمين ، وورد ذكرها  
 في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السنية ، وكانت في القرن ٩ هـ للقطيعين  
 والعربان .

زهرة . قديما من أعمال خوف رمسيس ، ذكرها ابن عاتق وابن الجيعان  
 وهي بحرية وقبلية والأولى هي الأصلية .

سكنيده : قديمة أصلها اسكنيده ، ضمت إلى دمنهور سنة ١٩٣٥ وعليها حاليا مساكن دمنهور الشمالية . ورد اسمها في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والانتصار سنهور : قديما سنهور الصغرى ( سنهور المدينة : مركز دسوق ) وسنهور طلوت ، وسنهور طلبوس ، ذكرها المقدسى وابن الجيعان وورد ذكرها في تاريخ سنة ٨-١٢ هـ ، وكانت في القرن ٩ هـ للبطعين والعربان .

شرفوب : وردت في « قوانين الدواوين ، و تحفة الإرشاد ، و التحفة السنية » ، و تاج العروس ، ، وكانت في القرن ٩ هـ للبطعين .

طرابنبا : أصلها طرنبة ، ووردت في تحفة الإرشاد طرنبة ، وذكرها ابن عاتق وابن الجيعان الذى قال إنها - في القرن ٩ هـ - كانت باسم نصر البالى ثم باسم لاجين الظاهرى .

قابيل : وردت قبيل وقرنفيل بين شبرو أبو مينا (شبرا الدمنهورية) وأبرشيق (برسيق) قال جوتيه لإنها (كابان Kaban) ، وقال : سيدجلبرج إن قابيل في شمال دمنهور بقبيل وتقع على ترعة الإسكندرية ، وقال ابن حوقل : قرنفيل ضيعة بها جامع وعمارة أهلة ، وبرسمها ضياع تعرف بالجابرية ، وذكرها ابن عاتق أيضا وابن الجيعان الذى قال لإنها - في القرن ٩ هـ - كانت للبطعين ثم باسم لاجين الظاهرى .

قراقص : وردت في تحفة الإرشاد وقوانين الدواوين والانتصار والتحفة السنية والخطط التوفيقية وذكرها ابن الجيعان باسم قراقص وكانت - في القرن ٩ هـ - باسم صريغا الناصرى ثم تمراز الشمسى رأس نوبة .

قرطسا : ( قرطا ) هى الآن الشمال الشرقى من مدينة دمنهور كانت قسم هرموبوليس في تقسيم جورج الفبرصى ، ثم كانت كورة وبلدة كبيرة بها حمام وجامع وفيها كروم وهواكه ولها ضياع كثيرة كتبها لاملينو هكذا : ( قرطسا Qarnatsa ) وذكرها ابن خرداذبه وابن حوقل وياقوت وابن عاتق ، وكانت في القرن ٩ هـ باسم المقتعين .

( ندييه ) ، ( نغرها ) ، ( العوجا ) . ( السلانكلى ) ( أنشأها محمود بك السلانكلى ويسمىها ورثته سلانكلا باسم بلدهم الاصلى ببلاد الترك ) ، وكانت .

في القرن ٩ هـ باسم المتطمعين وأرباب الرزق .

البصيلي : بعد إداكو في الطريق إلى رشيد ولعلها المصيلي نسبة إلى مصيل ، لم تعرف في التاريخ .

الجديّة : أصلها الجديدية ، وتغير اسمها في القرن السابع الهجري ، يقابلها برنيسال على الضفة اليمنى للنيل ، قال الإدريسي ، إنها قرية عامرة ، وقال ابن الجيعان إنها ( في القرن ٩ هـ ) من أعمال ثغر الإسكندرية ، وذكرها ابن دقاق تتبع رشيد سنة ١٨٩٦ بعد أن كانت تابعة للعطف ، وينسب إليها فيقال : الجداوى . مليدس : كورة قديمة كانت تشغل جنوب غرب قسم شيديا عند جورج القبرصي ، ويقول عمر طوسون إنها ميتليس القديمة ومكانها الآن فوه ، ويعود فيرى أنها في مكان الأكوام الواقعة في شمال العطف .

الحمد : أصلها منية بنى حماد ، كانت من أعمال البحيرة ، وكانت في القرن ٩ هـ باسم محلة حماد وباسم جانيه المحمودى وذكرها ابن الجيعان في إقليم فوه والمزاحيتين .

وعرفت في العصر العثماني باسم الحمد بولاية فوه والمزاحيتين ، وكانت تابعة للعطف ، وعرفت بانتصارها الباهر على حملة فريزر في ٢١ أبريل سنة ١٨٠٧ م . الشماسة : سكنها في مطلع القرن الثامن الهجري المقداد بن شماس وأولاده في زمن الناصر محمد بن قلاوون فسميت بهم ، كانت تابعة للعطف والآن تتبع الحمد .

المعدية : سميت بذلك لأنها تقع على الضفة اليسرى لبوغاز بحيرة إداكو ، وكانت هناك استراحة أو خان على الضفة اليمنى يبيت فيه المسافرين من الإسكندرية إلى رشيد في طريقهم إلى القاهرة بالنيل ، حيث كان العربان والصيادون بمواشيهم ينقلون أمتعة المسافرين ، وقد وصف الرحالة هذا الخان وصعوبات العبور وجشع العربان منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، وكان هناك محطة لنقل المهات الحربية في حملة فريزر سنة ١٨٠٧ وتسمى ( قيروان سزاي ) ، وانقضت المعدية عن إداكو في ٣ يونيو سنة ١٩٤٤ .

منشية ديبونو : كانت في زمام إدكو منذ أنشأها الخوارجا ديبونو أحد كبار التجار الطليان بالإسكندرية .

أبتوك : قديما محلة بتوك ووردت : محلة مبتوك ومحلة تبوك وبتوك ، وردت في قوانين الدواوين والانتصار وتحفة الإرشاد والتحفة السنية والكشاف وكانت في القرن ٩ هـ باسم محلة بتوك إقطاعا للقطعين .

أبو السحما : بوسحما ، ذكرها ابن ماتي .

أبو خراش : أصلها محلة أبو خراشة ، كانت - كما يقول ابن حوقل - بين فرنوه ( فرنوى ) وفيشه ( فيشا بلخه ) وكانت مدينة كثيرة الأسواق وبها حاكم وصاحب معونة في عسكر صالح ، وبها جامع وحمام ولها كورة ذات غلال كثيرة .

أبو درة : بودة - بوردة - ورد ذكرها في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السنية ، وفي القرن ٩ هـ كانت باسم الأمير جان تمر الصالحى ثم للديوان الشريف المفرد ، ثم للقطعين .

أبو منجوج : بومنجوج - ذكرها ابن الجيعان في القرن ٩ هـ وقال إنها كانت باسم الأمير أحمد بن الملك ثم باسم الأمير تمار ، وكانت أيضا باسم الأمير تليغا ثم للأمير لاجين .

أبو يحيى : بويحيى ، كفر أبو يحيى ، ذكرها الزبيدى .

أسمانيه : أسبنيه - أسمنيه ؛ وردت في قوانين الدواوين والتحفة السنية فقال ابن الجيعان - في القرن ٩ هـ - إنها كانت باسم طشتمر الدوادار ثم رزقة لإسماعيل ابن فارس المسمى وكانت أيضا باسم متولى البحيرة .

الاشراك : أصلها الشراك - كانت كورة ، ذكرها ابن خرداذبه وابن دقاق وغيرهما .

الأصلاب : وحدة مالية في الروك الناصرى سنة ٧١٥ هـ .

المعصرة : المعصرة من كفور نقانه ( لقانه ) ذكرت في قوانين الدواوين

وتحفة الإرشاد والتحفة السنية وجدول سنة ١٨٨٠ م

لامرى : أصلها مياميريس Miamyris بالقرب من نقراطيس وردت في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السنية .

أورين : ذكر جوتييه اسمها المصرى Hourn أو الرومانى Orine ، وردها دارسى إلى أورين شبراخيت ، وردت في معجم البلدان والمشارك وقوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السنية ، أما كنيسة أورين المجاورة لها فأصلها كنيسة عبد الملك وتعرف بكنيسة النجل لكثرة بها .

جزيرة نكلا : أصلها جزيرة محلة نكلا ، وقال ابن الجيعان هي : أم طراد وابن طراد .

شبراخيت : قال جوتييه هي في الأصل Khet خيت ، ونسبها بدج إلى نقراطيس وسبخيت شبات Sabkhit chmat وابن مباتى وباقوت . وصارت مركزا منذ سنة ١٨٢٦ ، وكان ابن الجيعان ذكرها هكذا (شبرى خيت) وقال إنها في القرن ٩ هـ كانت لخليل بن قرطاي الأشرفى ، ثم ملكا لخوند شقرا بنت الملك فرج برقوق .

شبرايريس : شبراويش وشبرى ريش : وردت في التحفة السنية وتحفة الإرشاد ، وكانت في القرن ٩ هـ للمقطعين ثم للعربان .

فرنوى : فرنوه ، وضعها ابن حوقل بين ببيج (أبيج) ومحلة أبو خراشه (أبو خراش) وقال هي مدينة كثيرة البادية (عربها كثيرون) وبها جامع وعليها حاكم وفيها بيع عداد (متعبدات النصارى) وفيها سوق صغيرة ، وفي القرن ٩ هـ كانت باسم المقطعين ثم رزقا بناء على ما ورد في « التحفة السنية » .

كفر مستنان : قديما الأحياز وكفر ميت سنان وكفر متسنان ، ومستنان رجل عربى استوطن الأحياز فى أواخر دولة المماليك وعرفت باسمه فى تريمح سنة ٩٣٣ هـ وهى من كفور لقائه ووردت فى التحفة السنية وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ .

(محلة بشن) ، (محلة ثابت) (وكانت فى القرن ٩ هـ باسم تغرى بردى الطيارى) (محلة داود) ، وكانت فى القرن ٩ هـ باسم جمال الدين بن بلكبتمر الحاجب ثم



للديوان المفرد ، [ محلة صا ] (نسبة إلى صا الحجر ، وكانت باسم حاجى بك ابن شادى ) ، [ محلة فرنوى ] ، [ محلة قيس ] ( وكانت فى القرن ٩ هـ ملكا للعزى عبد العزيز بن أخى أمير المؤمنين ) ، [ محلة مرقص ] ، [ محلة كيل ] ( كيك ، وكانت باسم طنبغا العزى ) ، [ محلة مارية ] ( وكانت باسم قطانتمر العلانى ثم قانى بك اليوسفى فى القرن ٩ هـ ) ، [ منية سلامة ] ، [ الأبر قجى ] ، [ محلة نصر ومحلة مسروق ] ( وكانت فى القرن ٩ هـ باسم عامل الإسكندرية ثم وقفاً للجبالى ناظر الخواص الشريفة ، والآخر مكنها عزبة سليم باشا طوبجيان بجوار محلة نصر ) ، ( الربدان ) ، ( المناشلة ) ، ( زمزم ) ، ( عزبة إبراهيم أغا ) ، ( عزبة الجوخدار ) ، ( عزبة الشماشجى ) (نسبة إلى مصطفى الشماشجى واليوم تعرف باسم عزبة قرداحى ) ، ( عزبة حسن قبودان ) ، ( عزبة حسين الديب ) ، ( عزبة سعادة ) ، ( عزبة صقر ) ، ( عزبة الصناديدى ) ، ( عزبة حماده ) (نسبة إلى خليل حمدى حماده باشا مدير الأوقاف وصاحب العزبة ) و ( محلة حسن ) و ( محلة حفص ) و ( محلة جعفر ) .  
هذه كلها من بلاد مركز شبراخيت .

البسلقون : وردت فى قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة السفينة والانتصار ، وتتبع كفر الدوار ، وفى القرن ٩ هـ كانت إقطاعاً لايدمر محمد صديق ثم لقجاس الإسحاقى أميراً خور .

البيضا : ذكرت فى قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والمشارك .

النبامة : استوطنها ذرية الشيخ عبيد التامى ، وذكرها ابن ماقى وابن الجيعان وابن دقاق ووردت فى تحفة الإرشاد ومباهج الفكر وجدول سنة ١٨٨٠ م .

الكنائس : وتسمى الوزيرية ، والبيضاوى ومعها قرية برك الصيادين ، وتتبع الكريون وتقع على الشاطئ الجنوبى الغربى لبحيرة إدكو .

النشو البحرية : نشأت على أطلال شيدا ، ذكرها استرابون على الفسرع الكانونى وكان بها جمر ، وفصلت عن الكريون سنة ١٢٢٨ هـ ، ولعلها نسبة إلى النشو الحاكم الطاغية ، الذى كان ناظر الخاص للسلطان الناصر قلاوون واسمه

شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله . وقد انتهى أمره بالقتل والمصادرة .  
وتوسع المقرين في سيرته في كتاب السلوك ، في سنة ٧٤٠ هـ وما حوفا .  
وكانت كورة ملبس تشغل الجنوب الغربى من قسم شيدا عند جورج  
القبصى .

كوم البركة : قامت على أطلال أرساج ، وفي الروك الناصرى تسمى بركة  
قرطيطة ، وضمت إلى البسلقون سنة ١٢٢٨ ثم إلى كفر الدوار سنة ١٨٩٢ وفي  
سنة ١٩٣٩ سميت كوم البركة وهى فى زمام البسلقون وكوم لاشو  
لوقين : ذكرها أملينو وعلى مبارك ، وحدثت موقعة بها بين الروم  
والمسلمين وأحاط بها الماء فصارت كالجزيرة وسميت جزيرة لوقين ، ووردت فى  
التحفة السنية لإقطاعا باسم محمد بن طلبغا شاد الخاص ثم للديوان السلطانى .  
الصير : قرية الصير، ذكرها ابن حوقل فى القرن الرابع الهجرى فى الطريق بين  
دمهور والإسكندرية على ساحل بحيرة إدكو ، وكانت مع الوزيرية فصارت  
تسمى السكنايس ، ووردت سنة ١٢٢٤ مع الوزيرية باسم قرية الصيادين بولاية  
البحيرة ، وضمت إلى كفر سليم سنة ١٢٢٨ هـ وسميت « برك الصيادين » ثم  
فصلت باسم « بركة الصيادين » سنة ١٩٣٠ ، وفى سنة ١٩٣١ سميت منشأة  
بسيون نسبة إلى الشيخ بسيونى حجاج عميد عائلة بسيونى ومالك أغلب أراضي  
الناحية ، وفصلت سنة ١٩٣٣ من كوم الطرفاية .

الطرخ : بين محطتى الطابية والمعدية على طريق المعمورة رشيد ، وربما  
سميت بذلك لكثرة ما كان يطرحه البحر على هذه الجهة نظرا لانخفاضها عن  
منسوبه حيث تلى منطقة سد أبوقير إلى الغرب مباشرة .

العرقوب : عرقوب الوالى فى زمام كوم لاشو .

العكريشة : فصلت من توابع الكريون سنة ١٩٣٣ باسم العكريشة  
ودفشو ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ سميت باسم العكريش العجوز وفى تاريخ سنة  
١٢٦٠ باسم العكريشة .

المعمورة : كانت تسمى ( الخرابية ) ، لكثرة كتبائها الرملية وكهوف

الدثاب والثعالب بها ، ثم عمرت ، فأُنشئ بها قصر المحمورة ، وفصلت من أبوقير ، وعندها يتفرع الخط الحديدي : الإسكندرية - أبوقير ، فيمتد إلى رشيد .

سيدي غازي : أو المغازي . صاحب المقام ، وكانت في زمام البسلقون .

كفر الدار : عندما مد الخط الحديدي بين الإسكندرية والقاهرة ، وأريد تسمية المحطات ، لم يوجد في مكانها غير ( دوار ) صغير لأحد الفلاحين ؛ فوق كفر قديم ، فسميت كفر الدوار ، فصارت عن البسلقون سنة ٢٥١ وصارت مركزا سنة ١٨٩٣ ، ثم بسدر كفر الدوار سنة ١٩٢٧ ، وعندها انتصر عرابي على الإنجليز سنة ١٨٨٢ .

كنج عثمان : فصلت من البيضاء ، وسميت باسم كنج عثمان بك ناظر المدرسة البحرية في زمن محمد علي ، وقد جعل عرابي مقر قيادته بها في سنة ١٨٨٢ .

كوم الطرافيه : قامت على تل قديم ، وفصلت سنة ١٩٠٠ من النشو البحري .

صيرة : باسم الخواجه أرتينو سرا الإيطالي أحد أعيان الإسكندرية ،

وحرقت إلى صيرة ، وهو الذي أنشأ لنفسه عزبة بها وفصلت سنة ١٢٥١ من توابع الكريون .

خورشيد : باسم محمد باشا خورشيد مدير السكة الحديدية في عهد إسماعيل ،

فصلت من توابع البيضاء سنة ١٩٣١ :

محل الزجاج : ( قرب الإسكندرية حيث كان يصنع الزجاج الذي اشتهرت

به ) ومنشأة الهلباوى ، ومنشأة بولين ، ومنشأة عامر ( نسبة إلى الشيخ سليمان عامر من كبار الملاك بها ) ومنشأة يونس ( نسبة إلى الشيخ سعد يونس من تجار دمنهور ) ، بردلة ( كفر قديم كان تابعا للبسلقون وفصل منه سنة ١٢٤٩هـ ) .

كوم حماده : قديما دمنية أسامى ، كما جاء في المقرئى ، وتغيرت التسمية ،

في العهد العثماني ، وكانت تابعة لمركز النجيلة ، حتى صار مركزا سنة ١٩٠٢ ، وأكثر البلاد التابعة له من خوف رمسيس مثل :

( أبسوم Abusam ) كما ذكرها لاملينو وذكر ابن الجيعان أنها كانت

في القرن ٩ هـ للقطيعين وأبو الخاوى ( أصلها البلخاوى ) ( وأبو نشابة ) ( أصلا

أبو يحنس ) كانت في القرن ٩ هـ باسم الأمير مبارك الطازي ثم للديوان المفرد ( وأبيوقا ) ( أبيوقه ) كانت باسم العربان في القرن ٩ هـ ( والبلاكوش ) ( أو البلكوش أو البلكوش وكانت في القرن ٩ هـ لجر كنمر الأشرفي ثم للمقطعين ، وكان بها أملاك وأوقاف ) .

( الحدين ) ( جمعت مع الجيزي في القرن ٩ هـ كانت للعربان ) ، ( الزعفراني ) ( كانت للعربان والمقطعين في القرن ٩ هـ ) ، ( الصواف ) ( وكانت في القرن ٩ هـ من الأملاك الشريفة ثم وقفا على الجامع الأزهر ثم جاني بك ) ، ( الطود ) ( توفوت Touphtout ) كما ذكرها لملينو على الفرع السكاني بين شطنوف والإسكندرية وكان بها حاكم وملعب ) ، ( الطيرية ) ، ( القلاوات ) ( قلاوة بني عبيد ، وقلاوة ميسنا ) ، ( النجيلة ) ( التي مر بها الغوري سنة ٩٢٠ هـ في طريقه إلى الإسكندرية ، وكانت مركزا إداريا من سنة ١٨٢٦ حتى نقل منها إلى كوم حمادة سنة ١٩٠٢ ) ، ( التقيدى ) (حلة تقيده التي ذكرها ابن حوقل بين شابور وذنشال ، ( بریم ) ، ( بولين ) ( وأصلها بوليم ثم بولين الفوايد وهم عرب الفوايد الذين استوطنوها وردت في التحفة السنية لإقطاعا لتديغا الأشرفي ثم تغري بردى الشمسي ) ، ( ببيان ) أو ( بابايون Bâbâouin ) كما ذكرها لملينو وذكرها ابن الجيعان باسم ( ببيان وأم البيض لإقطاعا للأمر على بن الأشرف شعبان ثم للديوان المفرد ) ، ( تلبقا ) ( تل + بقا وكانت ملكا للأشرف شعبان ثم صارت للمقطعين في القرن ٩ هـ ) ، ( دست الأشراف ) أو ( هات إسمت Hat Ist ) ، كما يقول جوتييه أي قصر إيزيس ، وأصلها القبطي تسميت Tsyte ثم أضيفت إليها كلمة « الأشراف » في العهد العثماني لأنها كانت في القرن ٩ هـ وتسمى ( دست ودبس ) وقفا للأشراف العثمانيين ثم باسم العربان والمقطعين ، وكان بها أملاك وأوقاف ، ( دمتيوه ) وأصلها Damatiou كما يقول جوتييه ، ( دمشلي ) ( وأصلها دمشيل ) ، ( زاوية البحر ) ( وأصلها الرافقة ) ( واقد ) - حيت في القرن ٩ هـ (حلة بني واقد) وكانت باسم مغطاي ثم أزيك اليوسفي ثم صارت للمقطعين والعربان ( زاوية مبارك ) ، ( سريقه ) ، ( سلامون ) ، ( شابور ) التي قال ابن حوقل عن كثرة عبيدها والمجندين فيها ،

وخيوها وفي القرن هـ كانت لثقال الجمالى الأشرفى ثم تانى بك الجمالى ( شبرا وسيم ) وأصلها القبطى جبر ميسين Djebro Ménésine والعربى ( شبرا ميسينا ) وقد ورد ذكرها فى تاريخ بطارقة الإسكندرية . ( صفط العنب ) ( وأصلها صفط قليشان ) ، ( وعلقام ) وسميت بكوم علقام وكوم علقام ، ولها ذكر فى حديث رويغف وكانت للمتطين فى القرن هـ ( كفر غانم ) ( وأصلها مسجد غانم كانت فى القرن هـ للمتطين ثم رزقة باسم أولاد محمد بن موسى بن خضر ) ، ( مغنين ) ( وأصلها منية مغنين وكانت فى القرن هـ للمتطين ثم المديوان المفيد ) ، ( ميت يزيد ) ( وأصلها منية يزيد ) ، ( تنبا ) ، ( محلة أحمد ) .



٣

## البحيرة في موكب الحضارة

هوريس على عرش البحيرة : (١)

تبدأ الحضارة المصرية بأسطورة « إيزيس » و « أوزيريس » ، التي نبتت في « طيبة » وترعرعت في « دمنهور » ، ثم نال كل إقليم في مصر نصيبه منها على مر السنين والأيام .

فقد زعموا منذ عهد سحيق جدا ، أن (نوت) إله السماء تزوج ، من (جب) إلهة الأرض ، فأنجبا أربعة هم : (إيزيس) و (أوزيريس) و (ست) و (نفتيس) ، ولما نما عود (إيزيس) الجميلة ، تزوجها أخوها (أوزيريس) ، بعد غرام جمع بين قلبيهما ، وتربيع (أوزيريس) على عرش مصر ؛ فنشر العلم ، وأقام العدل ، وغرس الحضارة في ربوعها ، كما علم أهلها الزراعة والصناعة ، فأحبوه ، مما أثار حقد أخيه (ست) الشرير ، فدبر مؤامرة لقتله والتخلص منه ، لينخلو له عرش مصر .

أقام (ست) مأدبة كبيرة ، ودعا إلهها (أوزيريس) ، وبعد قليل ، انقض عليه سبعة من أعوانه ، فسمروا عليه صندوقا يطابق جسمه ، كانوا قد أعدوه له ، وألقوا به في النيل .

وحزنت (إيزيس) أشد الحزن ، وخرجت هائمة على وجهها ، تجري على ضفاف النيل ، تبحثا عن الصندوق ، حتى بلغت مستنقعات الدلتا ، المليئة بالأحراش ، ولكن التيار كان قد دفع الصندوق إلى (بيلوس) ، الذي هو الآن ميناء (جبيل) بساحل الشام ، واستقر في أسفل شجرة عاتية ، أخذت تنمو

---

(١) راجع مقالنا بهذا العنوان في الأهرام في ١٤ يوليو سنة ١٩٥٠ .

حواله ، وظلت محتضنه ، حتى صار في جوفها ، ولم يعد يراه أو يعلم به أحد .  
ولقد لفتت ضخامة الشجرة نظر أمير (بيلوس) ، فأمر بقطع جذعها ، وجعل  
منه عمودا لبهو كبير في قصره ، واحتالت (إيزيس) حتى دخلت قصر الأمير ،  
لتعمل وصيفة لابنه ، وظلت طول مدة إقامتها بالقصر ، ترقب العمود وقد  
ألهمتها الآلهة أنه ينطوى على صندوق أوزيريس ، فلما التست العودة إلى مصر ،  
حقق الأمير لها أمنيته ، فأمر بشق العمود ، لتستخرج منه الصندوق .

وعادت (إيزيس) بكنزها الثمين ، إلى مصر الطيبة ، وبينما هي تختبئ  
بزورقها مستنقعات غرب الدلتا ، جاءها المخاض ، فوضعت مولودها (هوريس)  
في (خميس) بالقرب من (بوطو) وسط الدلتا ، وتركته في رعاية الآلهة ،  
ومضت هي بالصندوق إلى (طيبة) ، وأخفته في كوخ على الضفة ، حتى عثر  
عليه (ست) مصادفة ، أثناء تجواله في نزعة للصيد وسرعان ما رفع الغطاء ،  
واستخرج جثة (أوزيريس) ، فزقها أربعة عشر قطعة ، وذهب ليخفي كل  
قطعة منها في جهة نائية ، حتى لا تعثر عليه (إيزيس) ، لئلا يزداد آلامها ،  
وتشتد أحزانها .

ولم يهدأ بال (إيزيس) ، فأخذت تجوب البلاد ، تجمع أشلاء (أوزيريس)  
وتدفنها حيث تجدها ، ومضت إلى (بوطو) ، لتتعم بقاء ولدها (هوريس) ،  
وكان قد كبر وترعرع ، فراحت تحرضه على الثأر من قاتل أبيه ، حتى دارت رحى  
القتال بينهما ، فاتصر (هوريس) على (ست) ، وساقه إلى أمه أسيرا ، ولكنها  
وجدت نفسها ، وقد سكنت عنها الغيظ ، ورف على قلبها نسيم من الرقة والحنان ،  
نحو أخيها ، ففكت قيوده ، وعفت عنه .

أما (هوريس) فقد استشاط سخطا على أمه ، وألقى بتاجها على الأرض  
فاستعاضت عنه تاجا آخر ، يعلوه رأس البقرة (هاثور) ، واتصر الخير على  
الشر ، وجلس (هوريس) على عرش المملكة ، وكان آخر من حكم مصر من  
الآلهة <sup>(١)</sup> . ورمزوا إليه بالصقر Horus وجعلوه ، إله الشمس ، المائل في قرص

---

(١) ديودور الصقلي : ك ٢ ف ٤٤

الشمس المجنح ، رمزا على القوة والنور والنشاط ، وكان من الأسماء التي عرفت بها مصر قديما ( هوريس أودييو Odebaw ) أى شواطىء الإله هوريس يعنى شواطىء النيل ، كما سميت المقاطعات المصرية ( سبات هور ) أى مقاطعات الإله هوريس (١) .

ومن ثمت أقام المصريون معابد للإله ( هوريس ) ، وجعلوا باسمه فى غرب الدلتا ( مدينة هوريس ) وسموها بلغتهم ( دى - من - هور ) : التى هى الآن ( دمنهور ) عاصمة البحيرة ، كما أن ( كانوب ) اشتهرت بمعبد ( ليزيس ) لإلهة الجمال فى الديانة المصرية القديمة ، وتعددت المعابد على طول الشاطئ مزدانة بتماثيل ليزيس ، التى وجدت فى ضاحية ( مينوتيس ) فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وهى التى حدد علماء الآثار موقعها عند ( طابية الرمل ) ، وحددها بعضهم (٢) قريبا من ( المنتزه ) ، وتقع الآن أبوقير على أطرافها .

ولما كانت ( كانوب ) أقرب ميناء لمصر بالنسبة لبلاد اليونان ، ومنها بدأت الحضارة المصرية تأخذ طريقها إلى الإغريق ، فقد انتقلت منها هذه الأسطورة الرائعة ( ليزيس وأوزيريس ) ، واستقرت فى أدب ( هوميروس ) وزخرف حواشيها ( تلياخوس ) بعد أن استبدل بالأسماء المصرية أسماء يونانية ، فصارت ليزيس أفروديت ، وانقلب هوريس إلى أبولو .

وقيل إن ( كانوبيس ) - الذى باسمه سميت ( كانوب ) - كان ربان زورق ( ليزيس ) (٣) فى عودتها من ( بيلوس ) ومعها صندوق ( أوزيريس ) . وتضمنت « حروب طراردة » فى تفاصيلها - كما جاء فى « الإلياذة » - أن ( باريس ) خطف ( هيلانة ) من زوجها ( منيلاوس ) فاستقل سفينة إلى كانوب ، فألقى القبض عليه ( تونيس ) حاكم مدينة ( هرقليوم ) وأرسلها إلى ( منفيس ) ، وحضر ( منيلاوس ) بدعوة من ملك مصر ليتسلم زوجته .

(١) أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى

(٢) Alex. ad Aegyptum

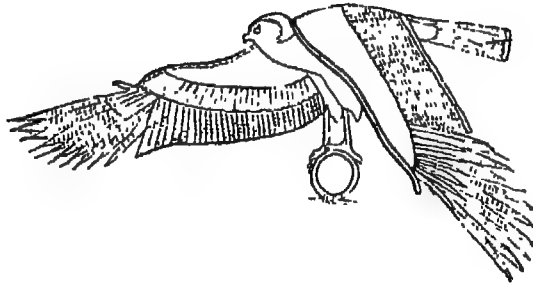
(٣) مصر فى القرن ٩ : ص ٣٣



وقد ألقى الأستاذ (فلاير) محاضرة قيمة بالجمعية الجغرافية بالقاهرة عن (حروب طروادة وطريق الفينيقيين)، وشرح هذه القصة بتفاصيل وقائعها، ونشرت مجلة المقتطف<sup>(١)</sup> ملخصاً لهذه المحاضرة.

وما يحكى عن مصر، وقد كانت كعبة قصاد العلم من فلاسفة اليونان، أن أحدهم قدم إليها قبيل الأولمبياد الخامس والتسعين أى سنة ٣٩٢ ق م، وأخذ يحول في أرجائها بحثاً عن كنوز الفلاسفة، حتى عثر على رواق توصل إليه تحت الأرض وقرأ عليه العبارة الآتية:

[كل ابن أنثى إذا سار غير هياب ولا وجل في هذا المعبد المقدس، فاضت عليه الأنوار، وطهره الهواء والماء، ووقف على دفائن الأسرار الفلسفية للإلهة ديميزيس،] (٢).



(١) عدد يناير سنة ١٨٩٢

(٢) مصر في القرن ١٩ ص ١٦

## تطور الحضارة في إقليم البحيرة

في بدء تكوين الأسرات الفرعونية ، كان المصريون خليطاً من الجنس الحامى المسمى ( الجنس الأسمر ) ، والجنس السامى ، وظهر جنسان آخران بعد الأسرة الثانية هما جنس الجيزة ، ثم العنصر الليبى فى غرب الدلتا ، واتحدت العناصر الأربعة مع الزمن ، وبعد أن كان المصريون فى العصر الحجري القديم صيادين ، تدرجوا فى الاقتراب بعد ذلك من الوادى واشتغلوا بالزراعة ، وتم لهم الاستقرار فنشأت القرى والمدن .

وكان لكل مدينة شعارها ، واستمرت هذه الشعارات فى عهد الأسرات ، فانقسم المجتمع إلى عشائر ، لكل عشيرة طوطمها الذى اتخذته إلهة لها ولجيران المدينة ، فنشأت المقاطعات .

أما أهل الدلتا فاختاروا ( الصقر ) معبوداً لهم ، وسموه ( هوريس الصباح ) و ( هوريس السماء ) وجعلوا الشمس والقمر عينيهِ اللتين بها يرى . واختار أهل الصعيد كلب الصيد معبوداً لهم ، وجعلوه حامياً لهم من الظلام والشر ، وسموه ( ست : إله الظلام ) ، وبهذا أصبح ( هوريس ) إله النور والخير فى الدلتا ، و ( ست ) إله الظلام والشر فى الصعيد ، وقرنوا اختلاف مظاهر الطبيعة فى السماء والأرض ، والشمال والجنوب بمعارك بين هوريس وست ، وانتصر هوريس المتقدم فى حضارته على ست المتخلف عن ركبها .

ومنذ أواخر الأسرة الخامسة انقضى عهد الآلهة الحاكين ، فأناست الملكية الفرعونية وانقسمت الدلتا إلى شرق وغرب . ففى الغرب — حيث إقليم البحيرة — زحف الليبيون نحو الوادى فزرعوا الأرض ، ورعوا الماشية ، وصادوا السمك والطير والحيوان من المستنقعات والصحارى ، واتجروا مع من حولهم ، وتسلاحوا للدفاع عن أنفسهم .

وسمى غرب الدلتا باسم ( أمنت ) ورمزوا له بريشة نعام ، اتخذ منها الليبيون حلية لهم ، وظلت الريشة رمزا على الغرب ، وباسم ( ربة الغرب ) اتحدت مقاطعات غرب الدلتا ٣ و ٥ و ٧ ، ورمزوا لها بامرأة تحمل الريشة فوق

رأسها ، وجعلوها تقود المحاربين ، كما دل على ذلك رسم من عهد أحد ملوك طيبة .  
واتحدت الإمارات في غرب الدلتا ، وما لبث هذا الاتحاد أن سرى إلى  
شرقها ، وصار هوريس ملك البلاد بعد أبيه أوزيريس .

أما هوريس فقد ولدته أمة ليزيس في ( خميس ) بالقرب من ( بوطو ) ،  
فلما كبر وانتقم من عمه ( ست ) قاتل أبيه ، سمي ( نجأت ف ) أى المنتقم لأبيه ،  
وكثر أتباعه وصارت علامة الغرب شعارهم ، واتخذوا من ( صا ) أو ( سايس )  
عاصمة لاتحاد غرب الدلتا ، وصار الإله المحلى ( هوريس ) لاله الشمال والجنوب  
جميعا ، وسمى أنصاره ( أتباع هوريس ) .

ومنذ سنة ٥٥٠٠ ق.م ، برز النظام الإدارى في المدن والقرى في الدلتا  
ولا سيما في عاصمتها ( بوطو ) ، وانتعشت الزراعة على ضفاف الفرع السبعة  
للنيل ، وراجت التجارة مع آسيا ، وازدهرت الحضارة ، ثم شهدت سنة ٣٤٥٠  
ق.م ، انقضاء حكومة الإله هوريس إلى الأبد ، وابتداء حكم الفراعنة ، ولم  
يكدهمضى ربع قرن على هذا التاريخ حتى قام عهد جديد ، وهو عهد نارمر ،  
فرعون مصر الأول .

## الديمقراطية الأولى

تعلمت اليونان من مصر - أول ما تعلمت - أصول العلم والفلسفة ،  
فعلمتها أوروبا ، وكانت جزيرة كريت ، وبلاد الهند ، كما يقول إدوار جوفان (١) ،  
تتألفسان في تطبيق القوانين الفرعونية على سكانها .

وكافت مصر في فجر حضارتها تنقسم إلى إمارات صغيرة مستقلة ، وأخذت  
هذه الإمارات المتميزة بشاراتها Totems تلتئم فيما بينها تدريجيا ، حتى تكونت  
منها مملكتان عظيمتان : إحداهما في الوجه البحرى ، والأخرى في الوجه القبلى ،  
لهذا كانت مصر تسمى « أرض القطرين » ، (٢) منذ سنة ٢٤١٠ قبل الميلاد أى من  
نحو ستة آلاف سنة ، وهو أقدم تاريخ معروف إلى الآن على ظهر الأرض .

(١) مصر في القرن ١٩ س ٢٥

(٢) تاريخ مصر : برستيد : ف ٢

والمعلوم أن الوجه البحرى ، كان أسرع فى طريق الحضارة والتطور من الوجه القبلى ، إذ تكونت بالدلتا عدة أحلاف سياسية ، ضمت إليها عددا من المقاطعات أو الإمارات ، منها الحلف الغربى ، الذى كان يضم بعض المقاطعات الواقعة فى غرب الدلتا ، حيث يقع الآن « إقليم البحيرة » ، ومنها أيضا حلف الإله (عثرى) ومقره ( أبو صير ) بالقرب من سمثود ، وجاء حلف الإله ( أوزيريس ) لينحلف هذا الحلف الأخير فى مقاطعاته ، واتسع نطاقه حتى شمل معظم مقاطعات الدلتا ، ومنها أيضا حلف الإله ( هوريس ) ، وغيره من سائر الأحلاف التى جمعت شمل أراضي الدلتا ، فى حلف واحد ، مقره مدينة ( بوطو ) .

ومن الطبيعى أن تزحف موجة الحضارة نحو البداوة ، والتقدم نحو التخلف ، والنشاط نحو الركود ، ومدنية الدلتا نحو جمود الصعيد ، فقد كان ( هوريس ) يتربع على عرش الشمال ، بينما يتربع ( ست ) على عرش الجنوب ، وكانت ( بوطو ) أعظم مدن الدلتا فى عصور ما قبل الأسرات المصرية . وكانت عبادة ( هوريس ) تنتشر بسرعة فى أرجاء الصعيد ، وتنتقل فى ركابها تجارة الشمال ومدنيته ، فكان ذلك تمهيدا لنشوب الحرب بين الحزبين الكبيرين ( هوريس ) و ( ست ) .

أما إقليم البحيرة فكان وقتئذ يتمتع بنظام جمهورى ديمقراطى ممتاز ، لم يسبقه إلى ذلك أى إقليم آخر فى مصر ولا فى العالم أجمع .

والدليل على ذلك ، تنطق به « لوحة نارمر » المشهورة بوجهيهما ، ونارمر هذا هو الملك ( مينا ) الصعيدى الذى زحف بجيشه نحو الشمال سنة ٣٤٠٠ ق.م . ليوحد مصر تحت تاج واحد ، فكان بهذا أول ملوك مصر المتحدة ، ومؤسس « الدولة القديمة » فى تاريخ بلادنا ، ورأس الأسرة الأولى ، التى نقلت عاصمتها من ( طينة ) إلى ( منفيس ) ودامت هذه الأسرة حتى سنة ٢٤٧٥ ق.م .

سجل الملك مينا فى لوحته هذه ، انتصاره على الحكم الذاتى . وقضاه على أول حكومة ديمقراطية عرفها التاريخ ، فى المقاطعة التى تقع حاليا فى الشمال الشرقى من إقليم البحيرة ، تلك المقاطعة التى عرفت فى العصر اليونانى باسم ( ميتيليت Metelite ) وعاصمتها ( ميتيليس Metelis ) ، بالقرب من رشيد إلى

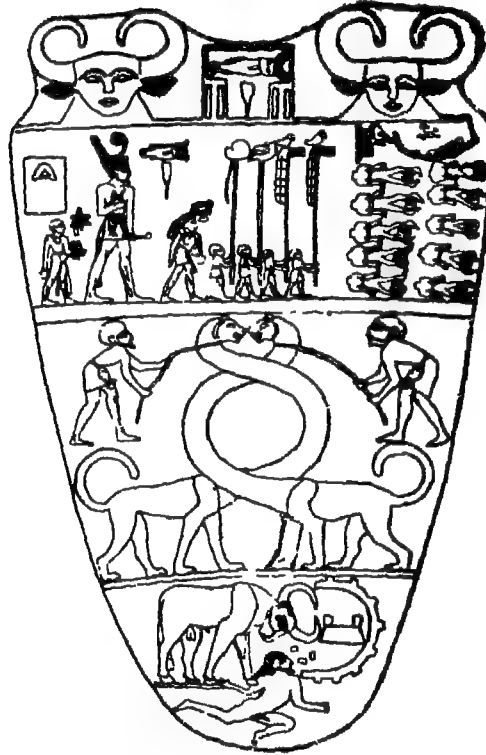
الجنوب ، وفي الوجه الأول لهذه اللوحة يظهر نارمر ، وهو في قامته المديدة ممسكا بيده اليمنى عصاه ، وببيده اليسرى فاصية ( حاكم البحيرة ) كما هو مكتوب باللغة المصرية القديمة إلى اليمين ، حتى لا يذبح بالمرار من كان أقل منه درجة في حكم البحيرة ( كما هو ظاهر في أسفل الصورة ) ومن خلفه بدوى يقدم للملك خذاه .



الوجه الأول من لوحة نارمر

وتبدو صورة الصقر ( هوريس ) وهو شعار لإقليم البحيرة ، وباسمته يتكلم حاكم البحيرة ( كما يظهر من الغصن الواصل بين علب هوريس وفهم الحاكم ، الذى رأسه مرسوم دون الإله المعبود ) وقد حمل حاكم البحيرة على عاتقه - كما هو في الصورة - أعباء الحكم في هذا الإقليم الذى ترمز إليه نباتات البردى وهو رمز الدلتا لأنه يتمو بصفة خاصة في أرجاء البحيرة ، وفي الرسم ستة نباتات إشارة إلى الانتصار على ستة آلاف من أهل البحيرة .

أما الوجه الآخر، فتظهر في أعلاه صورة نارمر وقد دخل ( المدينة ) ، وأزال من فوق جدرانها شعار المقاطعة وهو ( الخطاف ) ، وبعد أن كان شأن ( هوريس ) عالياً وشعاراته سائدة ، خمدت أنفاس الحكام العشرة الذين كانوا يمثلون أهل المدينة في مجلسها المحلي ، فقد قضى عليهم نارمر أو مينا ، ولم يعودوا يرون الحياة ، كما هو في اثنين من أعلى الصورة ، وما يتبقى منها إنما يرمز إلى النصر الحاسم ، الذي كان حليف صاحب التاجين وموحد الوجهين .



الوجه الآخر من لوحة نارمر

وهكذا ثبت أن ممثلي إقليم البحيرة ، أو على الأقل المقاطعة الشمالية الشرقية منه ، ورقها ٧ في التفسير الإداري القديم ، قد حملوا شعلة أول ثورة مصرية في التاريخ ، حفاظاً على النظام الديمقراطي الذي ارتضوه ، ودفاعاً عن مجلس الأعيان ، المشكل من عشرة أعيان ، هم ممثلو المقاطعة ، الذين كانوا يرفعون الشعارات القومية الموروثة عن ( هوريس ) .

هى إذن ثورة الديمقراطية على الدكتاتورية ، ثورة اللامركزية على المركزية ، ثورة الاستقلال على التبعية ، ثورة الجمهورية على الملكية ، ثورة الشعب ، من أجل حريته ، وديمقراطيته .

وبالإضافة إلى ( لوحة نارمر ) ، تصف لنا تعاليم الملك ( خيتي ) ، حياة الديمقراطية التي كان يتمتع بها أهل الدلتا قاطبة ، غير أن لوحة نارمر ، تعتبر أقدم وثيقة تؤكد لنا رسوخ ( الحكم المحلي ) في ( إقليم البحيرة ) ، مهد الديمقراطية الأولى في مصر ، بل في العالم كله .

ولقد سرت عدوى هذه الثورة إلى المدن المجاورة في الدلتا فانتشرت الثورات تباعاً - كما يشير إلى ذلك ( حجر بلم ) ، ولكن ملوك الأسرة الثالثة ، أخذوها بالبطش والجبروت ، وقضوا نهائياً على ( مجالس الأعيان ) ، وأصبح حكام المدن من الموظفين الذين يعينهم الملك ، ومهمتهم - كما يدل على ذلك اللقب الحكومى ( عزم ) - الإشراف على حضر الترع ، ومراقبة الفيضان وهو العمل الذى كان يشغل أهل الدلتا ، لتوسيع رقعة التجارة ، مع داخل البلاد وخارجها .

### سكان البحيرة وأصولهم الأولي

في ليلة ٢١ سبتمبر سنة ١٩٦٠ ، تمت عملية آخر إحصاء دقيق للجمهورية التي بلغ عدد سكانها ٢٦٨٠٠٠٠ ستة وعشرين مليوناً وثمانين ألف نسمة ، وقد حرص المسؤولون عن عملية الإحصاء ، على تبيان عدد الذكور والإناث والحضر والريف ، فظهرت النتيجة الآتية :

#### سكان البحيرة بالآلاف

الجملة	إناث	ذكور	
٠٢٠٧	١٥٢	١٥٥	الحضر
١٣٧٥	٦٩٨	٦٧٧	الريف
١٦٨٢	٨٥٠	٨٣٢	الجملة

وتنقسم محافظة البحيرة ، إلى أحد عشر مركزا ، وبندر واحد هو بندر دمنهور ، وفيما يلي توزيع السكان على هذه الوحدات بالآلاف :

بندر دمنهور ٢٦ ، مركز دمنهور ١٥١ ، مركز أبو المطامير ٨٠ ، مركز أبو حمص ١٥٤ ، مركز إيتاي البارود ١٦١ ، مركز الدلتجات ١٠٤ ، مركز المحمودية ١١٤ ، مركز حوش عيسى ٦٣ ، مركز رشيد ١١٩ ، مركز شبراخيت ١٣٦ ، مركز كفر الدوار ٢٥٥ ، مركز كوم حمادة ٢١٩ .

ومن الملاحظ أن الذكور في هذا الإحصاء لا يزيدون على الإناث إلا بنسبة ضئيلة جدا ، وهي ثمانية عشر ألفا فقط ، كما أن الأغلبية الساحقة لأهل الريف بنسبة مليون وثلثمائة وخمسة وسبعين ألفا ، إلى ثلاثة آلاف وسبعة فقط .

ومن الملاحظ أيضا أن مركز كفر الدوار هو أكثر المراكز ازدهاما بالسكان ، نظرا لوجود المصانع الكبرى ، أما مركز حوش عيسى فهو أقلها جميعا في النسبة العددية .

وإذا رجعنا إلى إحصاء مصر سنة ١٩١٧ (١) وجدنا أن السكان قد بلغوا ١٢٧١٨٠٠٠ نسمة عدا العربان الذين كان عددهم ٣٣ ألف نسمة .

في هذا الإحصاء كان سكان البحيرة ٨٩٢٢٤٦ نسمة منهم ٢٠٩١ من الأجانب ونسبة المسلمين ٨٩١ في الألف ، والمسيحيين ١٤ في الألف ، بينما كان الأجانب بنسبة ٢ في المائة .

ونلاحظ أن البحيرة كان ترتيبها الرابع في كثرة عدد السكان بعد الدقهلية وأسيوط والشرقية مباشرة ، أما دمنهور فكان عدد سكانها ٤٧٨٦٧ وترتيبها الرابع أيضا بعد طنطا وأسيوط والمنصورة .

وسكان إقليم البحيرة قد تجمعوا فيه وانصهروا في بوتقة التاريخ ، وترجع



أصولهم بصفة عامة إلى ثلاث قارات : إفريقيا وآسيا وأوروبا فضلا عن جزر البحر الأبيض المتوسط ، وهم لم يستقروا في هذا الإقليم ، إلا بعد موجات متتابعة من المد والجزر ، في الحرب والسلم على السواء .

ولا شك أن إقليم البحيرة كان قليل السكان جدا إلى حد الندرة لكثرة المستنقعات في أرجائه ، فلما بدأت هذه المستنقعات تجف أو تجف ، بفعل الطبيعة أو بفعل الإنسان ، بدأت تفد عليه جموع المهاجرين ، من داخل البلاد : من المناطق القريبة والبعيدة أى من الدلتا ومصر الوطى ومصر العليا وكذلك من الصحارى المجاورة لها من جهة الغرب ، ثم تلت ذلك طبعاً أو تخلته غزوات أجنبية من آسيا : الهكسوس والعرب والتتار . ومن جزر اليونان ، ومن أوروبا .

وسكان مصر في العصر الحديث بصفة إجمالية يتكونون من عشرة عناصر كما يقول (كارل بيديكير Karl Baedeker) (١) وهم : الفلاحون . القبط . البدو . سكان البنادر من العرب . النوبيون . السودانيون . الأتراك . الشوام . الأرمن واليهود . الأوروبيون ، فضلا عن بقايا سلالات العناصر الأولى من عصر الأسرات وما قبلها .

ويندرج تحت البدو الرحل : القادمون إلى مصر من جزيرة العرب ووريا وشمال إفريقية من البربر ، والأحباش والنوبيين ، وعندما تحدث (بيديكر) عن بدو الشمال ، خص منهم بالذكر قبيلة أولاد على وقال إنهم قد ورثوا أصل القبائل الصحراوية في الشجاعة والاستقلال ،

ولأنه ليكاد يكون من المستحيل أن نجد الآن صفات مميزة لسكان البحيرة ، سواء في طول القامة أو السحنة أو لون العينين والبشرة ، أو ملامح الوجه ، أو الخصال الموروثة ، أو اللهجة ، بل على العكس من ذلك تماما ، نراهم أخلطا متسافرة من شتى الأجناس والقبائل والألوان والخصال ، ولكننا نستطيع أن نزعم بأن هذه الخلط قد امتزجت كلها فأصبح «العنصر العربي» هو الغالب على أهل البحيرة .

ولا شك في أن النواة الأولى لسكان هذا الإقليم كانت من سكان الدلتا ، الذين كانوا في كفاف مستمر مع فيضانات النيل عندما كان يغمر الأرض ، ويفرق ما عليها من منشآت .

وتلا ذلك عنصر جديد وإن كان موعلا في القدم ، ذلك هو العنصر الليبي ، وما يجاوره من عنصر البربر ، وأعقبه في الزحف على الإقليم ، عنصر الصعيد عند توحيد القطرين على يد الملك نارمر وما لبث العنصر النوبي والحبشي أن أخذ طريقه إلى هناك ، وتلاه الهكسوس وهم رعاة قدوا من جزيرة العرب ، وتوغلوا في جميع الأقاليم المصرية ، وتعرضت مصر بعد ذلك للغزوات الأجنبية في الحرب والسلم من الفرس واليونان والرومان والعرب والترك والسلاجقة والشراسة والألبانيين ، والفرنسيين والإنجليز ، من مختلف الملل والنحل ، ومن شتى الأجناس والألوان ، وكان للاستقرار في ربوع الإقليم - طالت مدته أو قصرت - أثره في خلق مجتمع ينفرد دون غيره بظروفه وملابساته ، وقد كان في مختلف العصور مركزا جاذبية قوية ، لتجمعات الشعوب فيه ، من جميع النواحي وعن طريق البحر والنيل وعبر الصحارى والوديان ، على ظهور المراكب والدواب وبالقطارات والسيارات ، وسيرا على الأقدام في غالب الأحيان .

## ليبيون ويونانيون

كان إقليم البحيرة منذ أزمنة بعيدة ، هدفا للهجوم من الصحراء الليبية ، نظرا لما كان يتمتع به أهله من النعيم ، والليبيون فيما نعلم ينتسبون كالمصريين إلى الجنس الحامى ، وقد اشدت بأسهم ، وقويت شوكتهم ، حتى أصبحوا يشكلون خطرا على مصر ، ولهذا كانوا يتخذون من مشارف الإقليم على حدود الصحراء مواقع للهجوم عليه ، كلما واتتهم الفرصة ، وقد جرد ملوك مصر عليهم حملات متوالية ؛ كانت تردهم على أعقابهم أحيانا ، وتنهزم أمامهم أحيانا أخرى ، كما فعل ( سبتى الأول ) ، وحدث في أواخر عصر الأسرة التاسعة عشرة أن صد هجائهم ( منفتح ) وسارع بإقامة الاستحكامات على الضفاف الغربية للفرع

البوليتيني (فرع رشيد) وحشد الجنود لصد غارات الليبيين ، واليونانيين والصقليين ولى الرغم من كبر سنه ، فقد لقنهم درسا قاسيا ، إذ انتصر على المغيرين ، فى أول وقعة جرت فى التاريخ ، اشتبك فيها المصريون مع الشعوب الأوروبية وكان النصر الحاسم لإقليم البحيرة ، على يد (منفتاح) الذى سجل انتصاراته على جدران معبد الكرنك ، كما انتصر عليهم رمسيس الثالث .

ومع ذلك لم تزل فلول الليبيين تنسرب إلى البحيرة وتتوغل فى أراضي الدلتا وتستقر فيها ، وتستولى على شئونها . فصار منهم ملوك الدلتا (١) الذين اتخذوا (بوسطيس) قرب (الزقازيق) عاصمة ملكهم ، وقد تتابعت أيضا على الدلتا جماعات من شعوب جزر وسواحل البحر وهم : (الشرذن) (والشكش) ، واتخذ منهم المصريون جنودا مرتزقة ، وقال (إرمان) (لنهم من الشرذن والليبيين (٢) فتكونت منهم طبقة محاربة وقوى نفوذ قوادهم فى شئون الدولة ، ومن هذا كله . اكتملت عناصر القوة للأستريين ٢٢ و ٢٣ اللتين حكم ملوكها مصر ، وهم لبييون لحما ودما .

وكانت مقاطعة (سايس) الواقعة غرب الدلتا يحكمها الأمير (تف نخت) ، وقد تمكن من ضم مقاطعات الصعيد إلى نفوذه سنة ٧٣٠ ق.م . وخلفه ابنه الملك (باك إن رنف) ، ووسس الأسرة ٢٤ وفى خلال ست سنوات ، كانت الدلتا كلها تدين له بالطاعة ، ثم جاءت الأسرة ٢٥ ، وكان ملوكهم من أصل حبشى . غير أن (تف نخت) أمير (سايس) أو (صا) الذى حمل لواء الاستقلال ، قد صادفته عوامل التجاح فى حركة التحرير التى قام بها وظل صاحب السلطان إلى سنة ٧٢٠ ق.م . وركزه وطيده فى (صا) ، حتى جاءت الأسرة الصاوية وهى ٢٦ . ووسسها بسمايك الأول سنة ٦٦٣ ق.م . الذى ما إن علم بوجود ثلاثين سفينة ، ألقت مراسيها على ساحل (بوليتين = رشيد) ونزل منها جنود جاءوا من جزر اليونان ، لغزو مصر حتى أسرع بإقامة معسكر هناك ، وهو المعسكر

(١) تاريخ مصر : شارف

(٢) مصر والحياة المصرية : ص ٢٧

( الميليزي ) الذى سعى بذلك ، لأن الغزاة كانوا - كما يقول استرابون - من الميليزيين وهم سكان بعض الجزر اليونانية ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم ، فزاد مجد ( صا ) تألقا وارتفاعا ، وتركزت السلطة فيها ، وقوى إلى جوارها شأن ( بوطو ) و ( أتريب ) و ( بوبسطيس ) .

وتولى ( نيخاو ) أو ( نيقوس ) سنة ٦٠٩ ق.م. بعد أبيه ، حتى سنة ٥٩٣ ق.م. ، حيث آل الملك إلى ابنه بسماتيك الثانى ، وهو الذى استعان بجنود مرتزقة من اليونانيين ، وسمح لهم ولتجارهم بالاستقرار فى مصر وأقطعهم المناطق الواسعة ، يبنى بذلك وقف النفوذ الليبى والأشورى حتى لا يتغلغل فى مصر .

وقدم حوالى سنة ٥٩٠ ق.م. من ( ملطية ) وهى مدينة يونانية فى غربى آسيا الصغرى ، جماعات استقرت فى غرب الدلتا ، وشيدت ( نقراطيس ) ، على الفرع الكانوبى ، غير بعيدة عن ( صا ) العاصمة ، ومن ثم نشأت المدن الإغريقية ، فى إقليم البحيرة ، إلى جانب المدن المصرية ، وامتزجت الحضارتان العريقتان المصرية والإغريقية لأول مرة فى التاريخ ، فى بوتقة لإقليم البحيرة ، فى ( بوطو ) و ( صا ) و ( دمنهور ) و ( كانوب ) و ( بولبيتين = رشيد ) ، و ( نقراطيس ) ، وأخيرا فى ( الإسكندرية ) البنت البكر لإقليم البحيرة .

ولما غزا ( قمبيز ) مصر ، جعل ( صا ) عاصمة البلاد ، وما لبث الفرس أن انهزموا أمام قوات الإسكندر الأكبر المقدونى مؤسس الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق.م. بعد أن قصد إليها من منفيس إلى كانوب عبر الفرع الكانوبى .

## اليونان والرومان

قلنا إن مصر كانت منذ عصور ما قبل الاسرات ، إمارات مستقلة ، لكل إمارة جميع مظاهر الاستقلال والوحدة الإدارية ، والسياسية والدينية ، وعلى الرغم من الحركة الخطيرة التى قام بها الملك مينا ، نحو « الوحدة المصرية » فإن كل وحدة أو مقاطعة ؛ لم تفقد استقلالها على الفور ؛ كما يتبادر إلى الذهن ، بل على الأقل مضى زمن طويل قبل فقدان هذا الاستقلال ، ولا شك أن

فترات الغزو الأجنبي للبلاد ، قد أوجدت قلائل مستمرة ، اتسمت بها السنوات الأخيرة من عهد الاضمحلال .

ونستطيع أن نلقى بعض الأضواء ، على التقسيم الإدارى لإقليم البحيرة فى ، الفترة المحصورة بين الفتح المقدونى على يد الإسكندر الأكبر ، وبين العصر الرومانى ، وتبلغ هذه الفترة نحو ثلثائة سنة ، كانت مصر فيها مقسمة إلى مقاطعات ، لكل مقاطعة حدود تقريبية ، ولها عاصمتها ، وغالبا ما كانت المقاطعة تنسب إلى المدينة ، التى هى قاعدة لها كما أن كل مدينة كانت تنتهى بكلمة polis مثل هليوبوليس ، وتنتهى المقاطعة بمقطع ite ، ولهذا سنرى من الآن الفرق واضحا بين Métélis وهو اسم المدينة و Métélite وهو اسم مقاطعتها . ويجب أن ننبه إلى أن (دمهون) قد بلغت أوج العظمة ، حتى أوشكت أن تحجب ما عداها من مدن الدلتا جميعا ولهذا قرر (ويلخين Wilcken ) أنها كانت عاصمة الدلتا ، لأنها (مدينة هوريس) ذات الأصل المصرى العريق .

وكذلك يقرر (شامبليون) الذى يعيد إلى الأذهان التسمية البيزنطية لدمهون وهى (هرموبوليس پارفا Hermopolis parva) نسبة إلى إله الحكمة هرمس Hermès (تحت Thot ) ، والمعروف أن معظم المدن المصرية قد اتسمت بالطابع الإغريقى فى ظلال مصر المتأثرة ، وتغيرت أسماؤها تبعاً لذلك ، فإذا كان (هوريس Horus) يقابله فى اليونانية (أبوللو Apollo) ، فقد تغير اسم (دمهون) من Dmi-n-hr إلى (أبوللينوپوليس Apollinopolis) أى مدينة أبوللو ، غير أن هذا الاسم أطلق أيضا على (إدفو) فلزم التمييز بينهما ، فسميت دمهون (مدينة أبوللو الكبرى parva) أما (استرابون) ، وهو الذى زار مصر عام ٢٤ ق.م. فيعتبر (صا) عاصمة الدلتا .

ومها يكن من شئ فإن إقليم البحيرة كان يشتمل على عدة مقاطعات Nomes لكل منها عاصمتها ، وقد تضاربت أقوال المؤرخين وعلباء الآثار ، بشأن حدود هذه المقاطعات ، وتداخل بعضها فى بعض ، أو انفصال بعضها عن بعض ، خصوصا فى عهد البطالمة والرومان من بعدهم .

ولن يفوتنا - قبل كل شيء - أن نشير إلى أسماء المدن التي ذكرها  
( استرابون )<sup>(١)</sup> في إقليم البحيرة ، منذ القرن الأول قبل الميلاد وهي :  
( كانويس = أبوقير ) و ( شيدا = كوم النشو ) و ( هرقليوم = الطابية  
الحرام ) و ( سايس ) صا = ( صا الحجر ) و ( شابرياس = أبو حصص )  
و ( هروبوليس = دمنهور ) و ( جيناكوبوليس = كوم فيرين )  
و ( ومنييس = كوم أبو بللو ) و ( نقرطيس = كوم جعيف ) .

والمعروف عن الرومان أنهم زادوا مقاطعات أخرى على المقاطعات البطلمية  
السابقة فأنشأوا في الشمال الغربي للدلتا مقاطعة فتيتو Phthenetu وكباسيت

Cabasites وميتليت Metelites ومريوطيت Mareotite .

## ١- مقاطعة إيمنتي Imenti<sup>(٢)</sup>

وهي مقاطعة مصرية قديمة ، وتقع على الفرع الكانوبي ، وتشتمل على  
الأراضي الواقعة شمال منطقة مريوط ، في الوقت الحاضر ، وكان الجغرافيون  
اليونان والرومان يعتبرونها مقاطعة ليبية ، وكان معبودها ( هوريس ) ، الذي  
انتقلت عبادته على مر الزمن ، قبل العصر التاريخي ، في شتى البلاد ، ثم كان  
معبودها في العهد التاريخي ، الإلهة (حتحور) أو (هاتور) أي (أم هوريس)  
وعاصمتها ( مومنييس Momenphis ) . كان ( كوم الحصن ) ، التي تقع جنوبي  
دمنهور بمسافة ثلاثين كيومترا . ( وكوم الحصن ) بالمصرية القديمة كان يسمى  
( آمو ) أي شجرة آمو ، وهي الشجرة التي تسكنها إلهة الغابات ( آمو ) ،  
ومعنى ذلك أنها كانت معبودة مدينة كوم الحصن ، بعد أن كان ( هوريس )  
معبوداً في مدينة ( دمنهور ) التي كانت تسمى أيضا ( بجدت ) . وكان ذلك  
فيما قبل التاريخ ، حيث كانت ( دمنهور ) هي ( مدينة الإله هوريس ) عاصمة  
المقاطعة ، ثم انتقلت هذه العاصمة إلى ( كوم الحصن ) .

(١) الجغرافيا : ١٥ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣

(٢) انظر صفحة ٧٩ وقد وقع خطأ مطبعي على أنها المقاطعة الشمالية والصحيح أنها  
المقاطعة الجنوبية . رجاء تصحيح الخطأ .

ومن معبودات هذه المقاطعة أيضا - كما ورد في قائمة سنوسرت - الإله (حابي) وكانت العاصمة (حتيت) ، التي كانت تسمى في العهد الإغريقي وما قبله بمقاطعة (أبيس) أى العجل أبيس ، أما حابي فهو ابن هوريس ، وقيل إنه اسم آخر للعجل أبيس ، وجاء في قاموس رلين أن (حتيت) معناها إلهة برأس بقرة .  
على أن (بجدت) هى تلك المدينة التي بنيت في أواخر أيام البطالمة لتكون مدينة ملحقة بدمنهور . ومن البلدان القديمة التي كانت تشمل عليها هذه المقاطعة :

- ١ - نقراطيس Naucratis : نقراش : كوم جعيف . ٢ - مريوطيس Mareotis : مريوط . ٣ - أورين ( حورن ) . ٤ - عاقصام ( راكم ) . ٥ - قابيل ( كابان ) . ٦ - دمنهور ( تيم - ن - هور ) .

## ٢ — مقاطعة خاسيت

مقاطعة مصرية قديمة ، نسبة إلى (سحا) أى أنها مقاطعة الصحراء ، وعاصمتها ( بوطو ) أو ( لبطو ) المعروفة الآن حيث ( تل الفراعين ) ، بالقرب من ( دسوق ) إن لم تكن هى . ومن البلدان القديمة فيها :

- ١ - خبيت ( كوم الخبيزة ) وحرفها اليونانيون إلى ( خميس ) ، التي تربي فيها ( هوريس ) طفلا .
- ٢ - بوطو : وفيها بحث ( ليزيس ) عن جثمان ( أوزيريس ) .
- ٣ - كاحسب : ( شباس الشهداء ) .
- ٤ - ام : ( كوم الأمان ) ، وقد وصلت إليها ( ليزيس ) من ( خبيت ) بحثا عن ولدها ( هوريس ) .

## ٣ — مقاطعة ميتيليت Métélite<sup>(١)</sup>

وتسمى بالمصرية القديمة ( رع ليمتي ) أو ( نفسر ليمتي ) وتشغل المثلث

---

(١) انظر ص ٨٠ وقد وقع خطأ مطبعي على أنها المقاطعة الجنوبية والصحيح أنها الشمال

المحضور بين دمنهور ، وطريق السكة الحديدية دمنهور - الإسكندرية وفرع رشيد والبحيرة أى أنها تقع فى منطقة بحيرة إدكو جميعها ، كما يقول (هومل Hommel)<sup>(١)</sup> سنة ١٩٢٦ وعاصمتها اليونانية (Métélis) أما عاصمتها الفرعونية فهي (سنتى نفر) و (بر - نب ليمنت) ومعناها (دار الإله هوريس) وهو رب المغرب وقد كان (بلين Pline) أول من ذكرها فى المؤرخين وفسر (بروكش Brugche) تسميتها اليونانية (Métélis) بمعنى (بلد الأجانب) ، إشارة إلى الهلينيين المهاجرين إلى شمال غرب الدلتا ، على الضفة الغربية ، للفرع الكانوى ، على مقربة من البحر ، وقد سماها العرب (مصيل Maçil) ، ويعتقد (سرهنك) أنها فى مكان مدينة (رشيد) ، ويرى (هنرى هن Henri Henne) أنها (قرطسا Kartassa) التى فى جنوب دمنهور ، ويقول (اسطفانوس البيزنطى) إنها لم تكن بعيدة عن الإسكندرية ، ويرى (فلنדרز بترى Fl. Petrie) أنها هى إما (كوم الملاشا Malasha) أو (كوم الماراسكا Maraska) وهما من الأكوام الواقعة فى شرق بحيرة إدكو ، ويقول (داريسى Daressy) إنها عند (كوم النجيل) على الضفة اليمنى لفرع رشيد ، ويرى (جوتيه Gauthier) أنها على الضفة اليسرى لهذا الفرع ، قرية جدا من العطف ، وقد احترقت سنة ٦٠٠ م ولم يعد لها وجود . ومحلها الآن (مصيل) .

وأهم مدن هذه المقاطعة : (رع قد) = (راقوده Rhacotis) مكان الإسكندرية قبلا ، و (إدكو) أو (تاج) أو (إدقو) و (قارباتى) أو (كربانى) على البحر بالقرب من بحيرة إدكو .

#### ٤ - مقاطعة نقراطيت Naucratis

ورد ذكرها على ورق البردى ، و ذكرها (استرابون) و (بلين) وكانت المستعمرة المليزية القديمة أيام بساتيك الثانى فى القرن السادس قبل الميلاد ، وكانت جزءا من مقاطعة (سايت Saite) ، ثم أصبحت مستقلة بذاتها ، ولا سيما فى الطقوس الدينية ، وعاصمتها (نقراطيس Naucratis) ، التى كانت على الضفة



الشرقية ، للفرع الكانوبي ، في رأى ( بترى ) أو في رأى بطليموس الجغرافى على الغربية من الفرع البوابتينى ( فرع رشيد ) عند ( كوم جعيف ) ، حاليا بين ( النبيرة ) و ( نقراش ) ، وكانت قبلا من بلدان مقاطعة ( إيمفى ) ، وقد وجدت بها آثار باللغة الالهية ، ومنها لوحة من الجرانيت الأسود ، تعبر عن تويج الملك فى ( صا ) والقرايين المقدمة لمعبد الإلاهة ( نيت ) .

وقد كان لمدينة ( نقراطيس ) أثر كبير فى تاريخ الحضارة المصرية . وامتزاجها بالحضارة الإغريقية ، ولهذا شغلت الباحثين ، مثل ( فلندرز بترى ) الذى وضع كتابا عنها ، وكذلك كتب كثير غيره مقالات مستفيضة ، منهم Von Bissing فى العدد ٣٩ من مجلة « جمعية الآثار بالإسكندرية » ، سنة ١٩٥١ Edgar, Gjerstadt, Griffith, Scharf, Breasted, Bouillet, Hogarth, كما أن الباحثين المصريين فى تاريخ مصر القديم ، لم يغفلوا ذكرها بل أسهبوا فى ذلك ، ومنهم الدكتور إبراهيم نصحي والدكتور نجيب ميخائيل ، وقد أفردنا لهذه المدينة فصلا خاصا فى موضعه من الكتاب .

## ٥ - مقاطعة مينيلايته Ménélaité

وينسبونها إلى ( مينيلالوس Ménélaos ) وهو أخو بطليموس الأول ، ومعنى ذلك أنها ترجع إلى العصر البطلمى ، وكانت هذه المقاطعة مع مقاطعة الإسكندرية تتمتعان بنظام خاص ، ولا سيما فى النواحي المالية والضرائبية وفى القرن الرابع كان أسقف الإسكندرية يقيم فى ( شيدا ) وكان يحمل لقب ( أسقف شيدا ومينيلايته ) ، كما أن ( التمساح ) كان الرمز الإقليمى لهذه المقاطعة كما يقول ( هن Henne ) ، وعاصمتها ( مينيلالوس Ménélais ) بالقرب من ( كانوب ) ، ويحدد ( هن Henne ) هذه المقاطعة داخل المثلث الآتى : ( ايلوزيس - شيدا - كانوب ) ، ويتفق ( بريشيا Breccia ) و ( جوثييه Gauthier ) و ( هرمان كيز Hermann Kees ) و ( داريسى Daressy ) على أن ( هر موبوليس = دمنهور ) كانت عاصمة لمقاطعة ( مينيلايته ) وأن ( مينيلاليس ) كانت عاصمتها التى صارت فيما بعد ( مقاطعة دمنهور ) .

أما ( تل لوقين ) الواقعة في الجنوب الغربي من ( الكريون ) بمسافة ٣٥ كم ، وتبعد عن الإسكندرية بـ ٣٢ كم ، فقد حلت محل ( مينيليس ) القديمة ، ويرى ( دارسى Darassy ) في بحثه المنشور سنة ١٨٩٤ ( بمجلة علم الآثار Revue archeolog. ) أن (إدكو) قد تكون هي مركز المقاطعة ، ولكنه عاد فراجع نفسه سنة ١٩٢٩ فكتب بحثا في ( مجلة مصر القديمة Revue de l'Egypte ancienne ) ميز فيه بين (كانوبوس Kanôbos) البطل الوارد ذكره في (الأوديسا) لهوميرس وبين ( مينيلوس ) ، أخى بطليموس الأول ، وقد كشف في هذا البحث عن معلومات جديدة ، رجع فيها إلى بطليموس الجغرافى ، الذى قال إن (كانوب) كانت عاصمة مقاطعة ( مينيليت ) ، ورجع أيضا إلى (استرابون) ، الذى حدد المقاطعة في المنطقة الواقعة جنوب الفرع الكانوبى ، بين كانوب ومقاطعة مريوطيت ، وقد ضاقت مساحتها بعد أن اقتطعت منها مقاطعة جديدة باسم ( ميتيليت Métélite ) .

## ٦ - مقاطعة جينوكوپوليس Gynécopolice

ذكرها ( استرابون ) بعد ( هرموپوليس = دمنهور ) ، وبعد نحو قرن من الزمان ذكرها ( بلين ) بين ( ميتيليت ) و ( مينيليت ) ، وفي القرن الثانى ، ورد ذكرها في الأماكن التى كانت تعبد فيها ( إيزيس ) ، واسم المتاطعة هو اسم العاصمة ومعناها ( مدينة النساء ) ، ويتول ( إدجار ) إنها مكان ( كوم الحصن ) ، وهى مقر عبادة ( هاتور ) إلهة الأشجار ، ويرى ( دارسى ) أنها في مكان ( أندروپوليس Andropolis ) التى هى ( كوم الحصن ) ، ولكنه يضع ( جينوكوپوليس ) على مسافة ١٥ أو ٢٠ كيلومترا إلى الشمال الغربى من ( كوم فيرين Kom Ferin ) ، أما ( سيلاريوس Cellarius ) فلا يفرق بين ( أندروپوليس ) و ( جينوكوپوليس ) ، بل يعتبرها مدينة واحدة : أولاها سبقت الأخرى في التاريخ ومعنى الأولى ( مدينة الرجال ) ، والأخرى ( مدينة النساء ) ، ويرى ( هومل Hommel ) سنة ١٩٢٦ أن هذه المقاطعة هى مقاطعة ( إيمنتى ) .

وهذه المقاطعة ملاصقة لمقاطعة ( مومفيت Momemphite ) التي انفصلت عنها في بداية الحكم الروماني ، مع بقاء حاكم واحد يتولى شئونها معا .

#### ٧ - مقاطعة مومفيت Momemphite

وضعها ( استرابون ) على الضفة الغربية للفرع الكانوبي بين جينوكوپوليت في الشمال الغربي ، وبين مقاطعة وادي النظرون Titriôte جنوبا ، وكان أهلها يعبدون ( أفروديت ) ، ولهذا ذكر ( ديودور ) وادي أفروديت الذهبي ، قرب عاصمة المقاطعة ، وهي ( مومفيس Momemphis ) المجاورة لعدة مدن هي : ( ماريا ) و ( أبيس ) و ( أفروديتوپوليس ) وكلها حول ( كوم أبو بللو ) مركز كوم حمادة ، بينما يرى ( كيز Kees ) أن مكانها قريب من ( أندروپوليس ) ، التي هي ( خربتا ) القريبة فعلا من ( كوم أبو بللو ) المسمى ( تيرينوتيس Térénothis ) التي هي ترنوط أو الطرانة .

#### ٨ - مقاطعة أندروپوليت Andropolite

ذكرها بطليموس الجغرافي لأول مرة ، وكانت في العصر المسيحي مقرا لاسقفية ( خربتا ) التي كانت من قبل تسمى ( أندروپوليس ) ، حيث انتصر ( أمازيس ) على عدوه كما يقول ( داريسي ) ، وهي مدينة رومانية صارت عاصمة لهذه المقاطعة ، ويقول ( جريفيث Griffith ) إنها هي جينوكوپوليس القائمة الآن أطلالها في ( كوم الحصن ) .

#### ٩ - مقاطعة مريوطيس Maréotis

جعلها ( بلين ) بجوار غرب الفرع الكانوبي متاخمة للمنطقة الليبية ، وعبر عنها باسم ( منطقة regio ) لا باسم ( مقاطعة nomus ) ، وقد ذكرها ( ديودور ) و ( استرابون ) و ( بطليموس ) ، وكانت عاصمتها في الشمال الشرقي من ( العامرية ) الحالية ، على شبه جزيرة تمتد نحو الساحل الجنوبي لبحيرة مريوط في ( كوم إدريس ) بالقرب من ( مرغ ) كما يقول ( برشيا ) ،

فهى إذن كانت تقع فى الجنوب الغربى من بحيرة مريوط ، وتلتقى بالبحر من الناحية الغربية .

وكانت (مازيا Maréa) ذات أهمية بالغة فقد كانت مجاورة لليبيا ، وعندها جرت عدة معارك ، كما أنها كانت مركزا تجاريا كبيرا ، ومنها كان يصدر النبيذ المريوطى والنبيذ الأبيض إلى روما ، وكانا موضع تقدير خاص عند الرومان .

#### ١٠ - مقاطعة بيرينيس Bérenice

وعاصمتها ( بسيناموزيس Psenamôsis ) ، ويرجع تاريخ هذه المقاطعة إلى القرن الثالث فتمط أى منذ نهاية العصر البطلمى ، ويحددها ( بریشيا ) بالمنطقة التى حول بحيرة إدكو أى أنها مكان ( مقاطعة ميثيليت ) ، وكانت هذه المقاطعة شاسعة الأرجاء ، وتشتمل على أبرشيتين : إحداهما العاصمة القريبة من ( شيديا ) والأخرى على ضفاف بحيرة إدكو فى مكان يسمى ( أليكزارخوس Alexarchos ) ، وفى نهاية العصر الرومانى ، كان لهذه المقاطعة شهرتها فى الخصوبة والثراء ، فى الجنوب - كما يقول ( بریشيا ) - كان يجتمع كبار الزراع من اليونانيين فى العاصمة على هيئة جمعية مكونة من ٢٩ عضوا فى دار Oikos وملحق بها ميدان gymnase خاص بهم أيضا ، على قطعة من الأرض ، منحهم إياها ( باريس Paris ) ، ليقیموا باسمه كل عام عيدا فى موسم جنى العنب ، وهذا هو المعروف الآن عن أهل منطقة ( كوم تنالة ) وأهل بحيرة إدكو ، التى على إحدى ضفافها ، أو إحدى جزرها ، كانت تقام مثل هذه الأعياد وقد تولدت هذه المقاطعة عن مينيلايث التى كانت تمتد من شرق الفرع الكانوبى .

#### ١١ - منطقة الإسكندرية Alexandriae regio

تسکلم عنها ( جوتيه Gauthier ) فى كتابه ( مقاطعات مصر Les Nomes d'Egypte ) باعتبارها منطقة regio ، وتکلم عنها ( هن Henne ) فى مقال له نشر سنة ١٩٣٨ على أنها ( كورة الإسكندرية Alexandreon chôra ) فأعاد

إلى الأذهان المصطلح العربى الذى حل محل « المقاطعة » وهو ( الكورة ) .  
والحديث هنا عن الإسكندرية كإقليم يكشف لنا عن تاريخ التقسيم الإدارى  
للبحيرة ، وتطور مقاطعاتها ، فإن « منطقة » الإسكندرية ، منذ زمن أغسطس ،  
كانت أوسع نطاقا من « مدينة » الإسكندرية ، ولكنها فى العصر البطلمى كانت  
مقاطعة لها وضع خاص ، يدبر شؤونها حاكم عام stratège ، ومقره فى  
( دمنهور = parva = Hermopolis ) .

أما فى العصر المسيحى فكانت أكثر من مدينة أو منطقة ، إذ كان معظم  
المؤرخين يقولون ( قطر الإسكندرية pays ) أو بلاد الإسكندرانين ، وكانت  
عاصمتها ( دمنهور ) ، تقع فى وسط المساحة التابعة لها والممتدة من الشرق إلى  
الغرب ، من حدود كافوب حتى مقاطعة ( كابازيت Cabasite ) = ( شبناس  
الشهداء ) ، وقرامى جنوبا حتى تلتهى إلى الضفة الشمالية لترعة الإسكندرية ،  
وكان ( فرس البحر ) أو الخنزير المائى رمز الإسكندرية .

ويجب ألا ننسى أن منطقة الإسكندرية نشأت معاصرة لمقاطعة ( مينيلاي )  
الواقعة فى شرقها ملاصقة لها ، وكان مصيرها واحدا ، ولكنها كانت تمتاز عليها  
بوجود أبرشيات بها .

ويجب ألا ننسى أيضا أن منطقة الإسكندرية كانت بهذا الوضع قسما دينيا  
أكثر منه أى شىء آخر ، فند كان الأسقف السابق - بعد عزله - يقيم بها ، ومع  
ذلك فإن التقسيم الذى وجدناه ، إنما يعنى الجانبين الإدارى والدينى معا ، فليس  
ثمة فارق كبير بين regio و patria ، بل إن بينهما تشابها قريبا ، خصوصا  
إذا عرفنا أن الإسكندرية ، بسبب وضعها الجغرافى الخاص ، كانت متاخمة لمصر  
كما هو المفهوم من كتاب ( بريشيا Breccia ) المعروف ( الإسكندرية المتاخمة  
لمصر Alexandria ad Aegyptum ) .

هذه هى المقاطعات التى كانت معروفة فى إقليم البحيرة فى خلال ثلاثة قرون  
قبل الفتح الإسلامى ، حيث كان هذا الإقليم يوج بالحضارة الإنسانية أكثر  
من أى إقليم آخر فى مصر : تجارة خارجية ، اتصالات ثنائية ، صناعات وفنون ،  
دبانات وعبادات ، إدارات محلية ، حكومات منظمة ، عادات وتقاليده ، وأخيرا

تراث عريق وتطور اجتماعي ، وتلك هي مظاهر المدنية ، ومشاهد الحضارة في إقليم البحيرة ، كما رأينا في بحوث المنقبين ، الذين عثروا على مختلف الآثار ، فكشفوا بذلك الغطاء عن عراقية هذه المنطقة ، التي سارت ردها طويلا في ركب الحضارة .

## آثار البحيرة

كانت سايس أو (صالحجر) الواقعة على الفرع الكانوبي مدينة تجارية هامة ، ثم صارت على يد (تفنخت) أول ملوك الأسرة ٢٤ عاصمة مصر ، ولا يزال علماء الآثار يعثرون على مخلفات هذا العصر وما بعده ،

أما كوم الحصن فقد عثروا بها على جزء من أسفل بوابة (١) ، وعليه نقش يرجع تاريخه إلى (شيشق الثالث) وهو يحلف الإله ملك الوجهين (وسماعت رع ستين رع) ، واهب الحياة مثل (رع) ، وعلى الإلهين صور الإلهة ، تقف خلف (آمون) قاعدا ، وأمام (آمون) الإلهة (مرى) وعلى رأسها بعض النباتات ، وغداثر شعرها مسترسلة على ظهرها ، وفي النهاية صورة الملك وهو يجرى والعجل في يده ، وعلى اليسار منظر مومياء لإيزيس وأوزيريس ، ويستدل الباحثون من وجود قسم من المقاطعة باسم (حقل آمون) على أن (آمون) كان أحد آلهة المقاطعة .

وفي فقراتيس وجدت آثار للإله (هوريس) : فقد عثروا على لوحة من الجرانيت الأسود تشير إلى تتويج الملك في (صا) والقرايين المهده لمعبد الإلهة (نيت) ، وقد استدل (ماسبيرو) من خطوطها على صلة كاتب اللوحة بالإغريق الذين كانوا يقطنون فقراتيس ، بينما يرى (Piehl) أن هذه الكتابة مصرية خالصة ، لا تشوبها شائبة من لغات أخرى ، ويرى سليم حسن (٢) أنها تدل على بداية اتصال مصر بالثقافة الإغريقية ، خصوصا عندما قوبلت بالترحاب في بلاط

(١) مصر القديمة ج ٩

(٢) مصر القديمة ج ١٣

فرعون ، وقد ذكر ( ديودور ) ما كان من إعجاب بسماتيك الاول ، بهذه الثقافة ، فأمر أن يتشف بها أولاده

وقد عثر الاثريون على لوحة في نقراطيس ، تمثل رجلا وامرأة واقفين ، يتحدث إليهما عن شجاعة وأنه من سلالة فيلونيد Philonides والكلام الذى تحت الصورة أكثر تعمقا من لغة هوميروس ، ويردها ( جوجيه Jouguet ) إلى القرن الاول المسيحى ، ويقول ويس Wace (١) إن هذه اللغة تشبه اللغة التى كانت شائعة فى الإسكندرية وهى لغة شعرائها الإغريق مثل : ( كاليماخوس ) و ( أبولونيوس ) و ( تيوكريتوس ) وهى مثل اللوحات التى اكتشفت بالشاطبي بالإسكندرية ، وفى إبريل سنة ١٩٥٠ اكتشف دريتون مقبرة اليونانيين بنقراطيس **وفى دمنهور** عثروا أيضا على ناووس من الجرانيت الأسود للإلهة ( نيت ) ، وهو مودع الآن بالمتحف المصرى ، وسقف هذا الناووس مقبب ومزين من الأمام بقرص الشمس الممنح ، وعليه نقش ( بجدى ) رب السماء وواهب الحياة ، وعلى عارضتى بابه من اليمين نقش كتب عليه : ( حور رع ) قوى الساعد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ( خپر - كا - رع ) بن رع نخت نبف ، محبوب الفوى الساعد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ( خپر - كا - رع ) بن ( رع ) ( نخت نبف ) محبوب ( نيت ) لإلهة ( آست خت ) .

(و) ( آست خت ) هى ( كوم العزلة ) وهى قرية صغيرة الآن فى النخلة البحرية مركز أبو حمص ، وهى المشهورة كما يقول ( داريسى ) بعبادة أوزيريس الشمال فاتح الطرق ، وإن كانت فى هذا المتن منسوبة إلى الإلهة ( نيت ) .

وفى رشيد عثروا على قطعة حجرية مزروعة من بين عمودين مزينة بكورنيش ، رسوم عليه صف من الصقور ، وصورة الملك ( نكتانيب الاول ) راعيا يقدم قربان للإله ، وهذا الحجر طوله أربعة أقدام فى عرض قدمين ونصف قدم ، وقد عثر عليه فى خرائب مدينة رشيد ، وأهداه جورج الثالث ملك إنجلترا للمتحف البريطانى سنة ١٧٦٦ م .

## حجر رشيد

وفي أغسطس سنة ١٧٩٩ بينما كان (بوشارد Bouchard) أحد جنود الحملة الفرنسية مكلفا بالعمل في قلعة بشمال رشيد ، عثر على حجر مبني في جدار قديم ، كان لا بد من هدمه لوضع أساس (قلعة سان جوليان) ، وسرعان ما علم قنصل الإسكندرية المستر هاريس Harris أن الجنرال (مينو) قد أمر باستحضاره إلى منزله بالإسكندرية ، بعد أن نظفوه واعتنوا به ، كيلا يصيبه أى خدش ، وعلم الدكتور (برش Birch) ، وهو الذى قال [إن الحجر - على ما يظهر - كان مقاما بمعبد (توم) أو (توموس) Tomos أو Tum ، الشمس الغاربة ، وذلك في عهد نقطان في النصف الاثول من القرن الرابع قبل الميلاد] ، ونقل الحجر إلى القاهرة ، وألغى عليه نابليون نظرة إعجاب ، وسرعان ما أذيع خبره في العالم ، ثم نقل إلى لندن في فبراير سنة ١٨٠٢ ، وبدأ علماء الآثار في العالم كله يفسرون نقوشه ، ومن ثمت عرف باسم «حجر رشيد» .

وقد وجد بحالته التي نراها في الصورة ، وطوله ١١٥ سم وعرضه ٧٣ سم ، وسمكه ٢٨ سم ، وقته العليا وزواياه من اليمين والشمال ومن أسفل كلها ضاعت ، ويرجح علماء الآثار أنه كان مستديرا في أعلاه على نحو ما هو معروف عن (حجر كانوب) في عصر البطالمة .

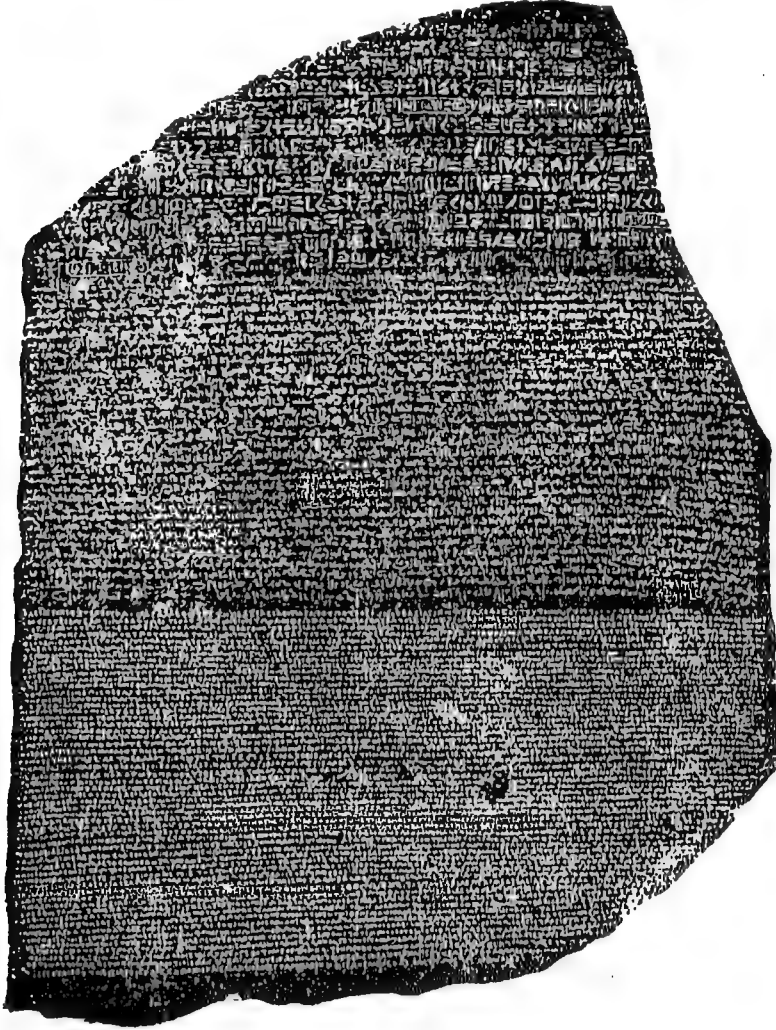
ويقال إنه كان يمثل قرص الشمس المنحرج رمز هوريس ومن تحته اثنتان من الأفاعي ، إحداهما متوجة بتاج الوجه القبلي والأخرى بتاج الوجه البحري والأرجح أن ارتفاعه كان في الأصل ما بين خمسة أو ستة أقدام ، وأنه كان قائما على قاعدة مرتفعة قريبا من تمثال الملك في الهيكل .

ولما اكتشفت اللوحة المائلة لحجر رشيد بمعبد فيلة أمكن استكمال الناقص ، والوقوف على النص الكامل عن طريق المقارنة بينها .

هذا الحجر من البازلت الأسود الصلب مكتوب بثلاث لغات هي من أعلى إلى أسفل : الهيرغليفية والديموطيقية واليونانية ، ويرجع تاريخه إلى ما يقابل



٢٧ مارس سنة ١٩٦ ق.م. في أيام الملك بطليموس الخامس لإييفانس الذي حكم  
مصر فيما بين ٢٠٣ و ١٨١ ق.م.



حجر رشيد

والمعروف أن المصريين في ثورتهم خربوا المعابد وحطموها ، وثار كهنة  
لدلتا على بطليموس فيلوباتور ، وتوالى الثورات مما شل حركة البطلمة في البحر  
عطل حركة التجارة ، وزادت الثورة اشتعالا في عهد بطليموس الخامس  
ييفانس ، وانهزم البطلمة في ( پانيون ) ، ولما أراد وضع حد لهذه الفوضى ،

عفا عن المصريين والجنود ، ومنحهم المعابد وألغى الضرائب . وتنازل عن ديون الحكومة لدى الأهالي ، وأفرج عن المساجين ورد إلى الثوار ممتلكاتهم المصادرة . من أجل هذه الأعمال الجليلة شهد معبد بتاح وأبيس بممفيس اجتماعا ضم كهنة مصر شمالها وجنوبها في العام التاسع من حكم بطليموس الخامس لتجديد أعماله ، سائلين الله له القوة والنصر والحياة والصحة ، وقرروا أن يسجلوا لحامي مصر أفضاله هذه بإقامة تمثال له يوضع مع كل إله محلي في كل معبد ، وأن تقدم له الصلوات ثلاث مرات في اليوم ، ويحتفل بعيد ميلاده وعيد جلوسه كل شهر ، واتفقوا على أن ينقش هذا القرار باللغات الثلاث على حجر من البازلت وتعمل له صورة على حجر صلب ومعه صورة الملك في كل المعابد التي من الدرجة الأولى حتى الثالثة .

وكان في معابد الوجيين البحري والقبلي نسخ عديدة من هذا القرار ، ولكن لم يبق منها إلا د حجر رشيد ، أو ( الكتابة الرشيدية ) ، كما وجدت نسخة أخرى له عند ( النبيرة ) ، ويرى ( بذج W. Budge ) (١) أن الكهنة اكتفوا بنسخ صورة منه في مدن الدلتا القريبة من الإسكندرية عاصمة البطالمة ، ومنها مدينة ( بوليتين Bolbitine ) التي اندثرت وقامت ( رشيد ) على أنقاضها ؛ وربما يكون هذا الحجر في وقت ما قد نقل من معبد في هذه المدينة إلى المكان الذي فيه عثر عليه ( بوشار ) ، ولا سيما معبد كليوباتره .

وهكذا حفظت رشيد هذا الحجر العريق ، الذي كشف عن حقائق لم تكن معروفة من قبل وهي اللغات المصرية القديمة بمقارنتها باللغة اليونانية ، وكذلك أعطى المؤرخين ثروة لم يكونوا يحلبون بها من قبل ، بالحصول على معلومات عن خامس ملوك البطالمة في مصر بعد أدق ترجمة له قام بها ( بروكش Brugsch ) سنة ١٨٤٨ .

وبالقرب من رشيد أيضا ، وعلى التحديد في قل أبو منصور (٢) عثر علماء

---

The Rosetta Stone (١)

(٢) دكتور نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ١ ص ٢٢٩

الآثار على كتابة ترجع إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ، وفيها كلام عن خمسة رؤساء وكاتب مجلس محلي ، واستفتج من ذلك العلماء أنها إشارة إلى نظام الحكم المحلي بالإسكندرية في هذه الفترة من عهد البطلمة (١) .  
وهناك في إدكو بعض الحجارة التي على خرزات الآبار ، وتحوى خطوطا مسمارية ، كما وجد حجر صغير عليه خطوط يونانية نقل إلى إدكو من الكنائس وقد فسر المختصون بأنه يشير إلى صوامع الغلال وهو الآن بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية منذ سنة ١٩٣٦ وهذه هي الكتابة التي على هذا الحجر وقد نقلتها بخط يدي :

ΑΣΙΔΕΩΣ ΠΡΟΞΤΑΕΑΤΩΣ  
ΤΑΣΙΕ .. ΑΣΧΡΗΜΑΤΟ  
ΘΗΚΑΣ ΟΜΗΠΡΑΓΜΑ  
ΜΟΧΟΤΑΧΕ

خطوط يونانية على حجر عشر عليه المؤلف  
إدكو نقل إليها من الكنائس

### حكومة البحيرة

لذا رجعنا إلى عصر ما قبل التاريخ ، وجدنا أن إقليم البحيرة كان أول إقليم وصلتنا عنه أخبار ثابتة ، فيما يتعلق بنظام الحكم السائد ، فقد دلت لوحة نارمر ، على أن الجزء الشمالي من هذا الإقليم كان يتمتع بنظام الحكم المحلي ، وهو أروع ماوصات إليه الديمقراطية الصحيحة من نظم الحكم ، وكان تفسير علماء الآثار لهذه اللوحة التاريخية أن « العشرة الكبار » هم الذين كانوا يتولون شئون هذه المقاطعة ، فلما قدم ( نارمر ) من ( منف ) لتوحيد الدلتا والصعيد ، اصطدم بهذا النظام ، وتغلب عليه .

وفي عصور الفراعنة حيث انقسمت مصر إلى أمارات ومقاطعات ، لكل منها رمزها وجميع مظاهر استقلالها ، لم تشذ البحيرة عن هذا الوضع ، فتقلبت في فترات مختلفة بين المركزية واللامركزية ، محتفظة مع ذلك بوحدتها الطبيعية مع تغيرات طفيفة .

ولإذا انتقلنا إلى عصر البطلمة ، وجدنا أن البحيرة كانت أول درع تقى به الإسكندرية — وهي عاصمة امبراطوريتهم — جميع الغارات ، التي كان يشنها على مصر الآشوريون والليبيون والأحباش وغيرهم ، أما حكومة البحيرة ، فكانت تتمثل في إدارة تلك المقاطعات التي ذكرناها ، وهي التي استمرت في عصر الرومان ، ولكل منها حاكمها العام وقائدها العسكري ، وسائر الموظفين الذين كانت أعمالهم الكبرى تنحصر في الإشراف على تجفيف المستنقعات ، وأعمال الري والصرف ، وجباية الأموال من الملتزمين وانتقلت حكومة البحيرة إلى أيدي العمال المسلمين ، الذين كان يعينهم الخلفاء من العاصمة الإسلامية ، ويتقيدون بأوامرهم وسياساتهم العامة .

ومنذ العصر العثماني ، حظى ثغر رشيد باهتمام السلاطين العثمانيين والولاية المبعوثين من قبلهم لحكم مصر ، فأنشأوا برشيد الوكالات والمقاهي والمتاجر أما البحيرة إطلاقاً ، فقد أوقف السلاطين من قراها عددا كبيرا على أعمال البر ، ففي سنة ٩٢٦ هـ اختار السلطان سليمان من قرى البحيرة : مطويس الرمان ، ومنية المرشد ، وشمشيرة ، وعزبة عمرو ، والقنى ، كما أن السلطان مراد أنشأ تكية بالمدينة المنورة رقف عليها محصولات نكلا والضاهرية (١)

وضج أهل مصر بالشكوى من ظلم العثمانيين فلما قدم محمد باشا خسرو الوالي الجديد إلى رشيد سنة ١٠١٦ هـ ، تراكت عليه الشكاوى خاصة من أهل الإسكندرية ورشيد ، ووقفوا له في الطريق يشكون حتى وصل مصر وهو يكتف في صدره أمرا ، ومالبث أن استدعى ( كوسى على ) كاتف البحيرة ورمى عنقه وولى مكانه كاشفا آخر (٢) .

(١) الإسخاقى : أخبار الأول : ص ١٤٥ ، ص ١٤٦

(٢) المرجع السابق

وأعاد الفرنسيون النظر في التقسيم الإدارى لمصر وجعلوا الإسكندرية لأول مرة عاصمة لإقليم أو قسم يشمل الإسكندرية ورشيد والبحيرة وذلك ليضمنوا السيطرة العسكرية الكاملة على هذه المنطقة الثائرة .

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر والبحيرة عرضة للحروب الدامية بين الذناب المتصارعة من أجل التهامها ، فلم تستقر بها الأمور ، وكان الولى يعين ويعزل فى فترات متلاحقة ، فلما أصبحت مصر ولاية يديرها محمد على وذريته من بعده ، ولى على البحيرة الأغوات والمباشرين من أقاربه ، ومنحهم البحيرة ومعظمها أبعاديات له .

ومن ثانيا المعلومات التى ضمنها ( سونينى Sonini ) رحلته (١) فيما يختص بالبحيرة ، فى أواخر القرن الثامن عشر ، نستطيع أن نحظى ببعض معالم حضارة الإقليم ، فقد وصف مصادفه فى البلدان من مظاهر المعيشة ، وتحدث عن أنواع السمك والطير والحيوان بما لقيه هناك ، والأسواق الرائجة فى القرى وأشار إلى أن الأوروبيين كانوا يجدون فى رشيد من المتاعب أقل مما يلقونه فى غيرها ، وذكر أيضا الآثار الإغريقية التى وجدها بالفرب من أبو قير فى إحدى قباب المسلمين ، ووصف لنا بدقة موكب رؤية هلال رمضان فى رشيد وطريقة تجفيف الأرز بها ، وأسهب فى ذكر حدائقها ، وعادات أهلها ، وجمال موقعها ، واعتدال مناخها ، واسترعى انتباهه بها الطراز الذى بنيت عليه منازلها فوصفها ، ولم يفته الحديث عن أصل تسميتها ، وتحدث عن رمضان وبقايليد الرشيدة فى سهراتهم ، حتى غادر رشيد إلى الإسكندرية ، ومنها استقل سفينته إلى أوروبا فى ١٧ أكتوبر سنة ١٧٧٨ .

وعلى أية حال ، كانت رحلة سونينى هذه ، واهتمامه بدقائق الأمور ، فرصة نقف منها على مدن البحيرة وقراها فى دمنهور ورشيد وأبو منصور وبيسان وشابور وصفط والنجيلة وكوم شريك والمعدية وقراقص والكريون .  
وبالنظر فى نصيب « البحيرة » من ميزانية الدولة سنة ١٢٣٣ هـ ، نرى ما يأتى

أولاً : أن إيرادات البحيرة بلغت ١٠١٥٢ كيساً و ٣١١ قرشاً و ٣٨ بارة ،  
عن الأطنان الآتية :

١ - مال الأطنان : وقدرها ١٩٥٦٧٨ فداناً و ٩ فراريط .

وهي موزعة كالآتي :

١ - نحو ١٨٢ ألف فدان فلاحية

٢ - نحو ٥٢٧٣ فداناً أوسية

٣ - نحو ٨٤٠ رزق

ب - مال الأواشي : وقد بلغ ٢٤٢ كيساً و ١٦٤ قرشاً و ٤ بارة عن

٤٥٣٤ فداناً و ١٧ قيراطاً .

ثانياً : أن إيرادات شوتة الميرى برشيد بلغ ٣ أكياس و ٢٩ قرشاً و ٣٠ بارة .  
وبعد أربع سنوات بلغت إيرادات البحيرة :

١ - ١٠٦٢٧ كيساً خراج أطنان قدرها ١٥١٩٨٣ فداناً .

٢ - ٢٤٤ كيساً مال نخيل .

٣ - ٢٦٥ كيساً مال أواشي قدرها ٣٧٧٠ فداناً .

وفي سنة ١٢٣٩ هـ نبه محمد علي مأموري المديرية إلى قلة المحاصيل الزراعية ،  
وظهر أن البحيرة لم تنتج شيئاً من السمسم والعصفر والنييلة ، بينما أنتجت  
٩٤٧٣ أردباً من الحنظل و ٢٨٨١ أردباً من بزر الكتان و ٢٤ أردباً من القرطم  
و ٥٤١ قنطاراً من الدخان و ٢٥ قنطاراً من القطن و ١٨٠ قنطاراً من الكتان .  
وتبين من جدول المحاصيل أن البحيرة كانت أقل الأقاليم البحرية - بعد  
الجيزة - لإنتاج القطن ، بينما كانت أكثرها جميعاً في إنتاج الحنظل .

ليس ببعيد إذن على محمد علي - وهو في حاجة إلى المال - أن يجعل نصيب  
البحيرة منه سنة ١٢٥٠ هـ : ٤ آلاف كيس ، ألزم المدير بتحصيلها في مدى  
شهرين ، وإخباره بمن يتأخر من النظار .

ولم تكن البحيرة المصدر الوحيد لمحمد علي في إبتزاز الأموال ، بل اتخذ من  
عسكرها - جيشاً يبعث به في حروبه الخارجية لإرضاء مولاه ، ففي ١٦ محرم  
سنة ١٢٥٠ هـ استدعى مائتي جندي من الفرسان المقيمين بدمهور مع محمد الدالي  
باشا ليحطوا محل العساكر الذين كانوا في الأقاليم الوسطى ، وأرسلهم في الحروب  
الوهابية .

وفي هذه السنة كثر سطو اللصوص على الممتلكات في المديرية، وفتكهم بالأرواح، وعلم الباشا فكتب إلى مدير البحيرة في ٨ محرم يقول له [ وبذلك قد وسخت البكوية، فإما أن تزيل هؤلاء اللصوص من الوجود، أو أنا أزيلك وأبقيهم، فأى الأمرين تختار فدائى عاجلا ] .

واشتهرت البحيرة إذ ذاك بصناعة الطرابيش من صوف الأغنام، وقد أعجب بها الباشا أيما إعجاب فوافق على الاستمرار في صنعها بدون خلطها بالصوف الإفرنجى .

ولما خشي أن يفلت الزمام من أيدي المديرين في الأقاليم، أمر في ٢٢ شوال سنة ١٢٥٢ بتعيين أحد رجال القانون في رشيد ودمهور، وفي ذى القعدة فتحت مدارس بالنجيلة وشبراخيت .

واستورد محمد على قطعانا من غنم المارينوس لتربيتهما بدمهور وإمداد المصانع بالأصواف، ولكنه عاد فعدل عن إقامة الحظائر بدمهور لقلّة المياه بها، وذلك بعد أن كانت البحيرة تقوم بصنع الملابس الصوفية اللازمة للجيش منذ بداية القرن التاسع عشر .

وفي ١٢٤٣ هـ أصدر محمد على أمره إلى مأمور نظام نصف البحيرة بصنع عشرة آلاف خرام صوف بإقليم البحيرة لكسوة العساكر البحرية وإرسالها على سبيل السرعة .

وفي عصر سعيد باشا، كانت موارد البحيرة، لا تنفق على مصالحها والباشا لا يعلم جهات صرف المتحصل منها، فقد ورد في ٢٧ شعبان سنة ١٢٧٥ الأمر العالى من سراى القبارى بالإسكندرية إلى مدير البحيرة يقول :

[ عرضت إلينا مكاتبة من محافظ أسكندرية رقيم غاية رجب سنة ١٢٧٥ تمر ١٠٧ بخصوص التقديرة اللازمة للصرف بالمحافظة، ومن حيث لم علم لدينا كيفية الجارى في تحصيلات مديريتكم، وجارى إرسالها لآى جهة وأى جهة، فيقتضى بوصول أمرنا هذا إليكم تحرروا كشف بأصل تقسيط السنة ببيان قسطة، والمستحصل منه لغاية الآن، وبيان جهات إرساله والباقي، وتبادروا بإرسال المخصص لإرساله إلى المحافظة كما هو مطلوبنا ] .

وبعد أن كانت البحيرة نصفين ، صارت منذ أول المحرم سنة ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٣ ) مديرية لها ديوان مقره دمنهور ، ومنها يتولى ( المدير ) مهام منصبه تعاونه جميع الأجهزة من حيث الشرطة والتعليم والثقافة والرى والصرف ، كما أقيمت المحاكم فى دمنهور وفى المراكز .

وفى ٣ من ذى القعدة سنة ١٢٨١ أصدر الخديوى إسماعيل أمره لمجلس الأحكام بتعيين المفتين فى الأقاليم ، فكان الشيخ عبد الله النابلسى مفتى مديرية البحيرة ، وكان مرتبه فى الوظيفة الجديدة ١٥٠٠ قرشا بعد أن كان ١٢٥٠ قرشا .

على أن الوثائق التى تحت يدى ، تشير إلى أن المحاكم الشرعية كانت منتشرة فى جميع أرجاء القرى فى البحيرة منذ أكثر من ثلثائة وخمسين سنة ، وكان القاضى الذى يتولى الحكم يتعين من قبل قاضى القضاة ، ويجلس فى مجلس الحكم ويفصل فى جميع المنازعات التى تنشعب بين الأهالى والمهاليك مدنية وشرعية وجنائية ، وكان يتحرر محضر لكل ما يجرى فى الجلسة ويوقع عليه القاضى والشهود .

والوثيقة التالية صادرة من محكمة إداكو فى ١١ صفر سنة ١٠٥٩ هـ وأهم ما ورد فيها بعض معالم الحياة فى العصر العثمانى ، حيث كان يوجد بقلعة أبوقير بعض المكلفين بالحراسة منهم محمد غيطانى ، وأن سليمان بن زيتون قد ادعى على سالم موسىك المعروف بابن الأرض الإداكوى بأن أمير إقليم البحيرة وهو أمير اللواء حسن بك أرسل قواصا إلى إداكو يأمر أهلها ، بجمع الأموال من بينهم ليدفعها أجرا لحراس قلعة أبوقير ، فتمرد بعض أهالى إداكو ، وانتهى الأمر إلى القضاء بين يدى متولى أمرها الشرعى عبد الحق على المالكى المذهب ، فاتخذ كل ما يوجب الشرع من تبيان الحق من الباطل ، حتى أصدر حكمه [ اللائق بحاله ، الرادع له ولا مثاله ] فى تاريخه .

ونخلص من هذا إلى أن حاكم « إقليم البحيرة » منذ أكثر من ثلثائة سنة كان أحد أمراء المهاليك وهو أمير اللواء حسن بك ، وأنه كان يفرض على أهالى القرى أن يدفعوا أجور المرابطين بالثغور ومنها أبوقير ، وأن الأهالى كانوا لا يعيرون هذه الأوامر التفساتا ، وكانوا يتمردون على أمراء المهاليك فى جرأة وشجاعة .



حريانه كما يحسنه  
 الحق على يكي  
 عفا



هو انه يجلس الشرف وحفل الذي المنيف شعرا نكو المحرر اجله الله الى انا  
 بركة متوليا بين يدى ليها الحاكم الشرعي بالشر المرفوع خلافة الذي سيوف خط  
 اعلاه لطف الله به في فضاه اذ عني خسرنا سال المكون المبدع محجبا المدعو اعطاف  
 احد الانقاذ فضلة اذ في العلي المير الحاج النجله سلطان المعروف بان  
 من يوز احد الاعيان بالشر المرفوع علي محمد بن المرحوم الحاج سالم موبسك  
 المعروف بان الزر الانكاوي بانه من نحو اربعة ايام تقديف علي نازيحه ض  
 الي الشر المرفوع من رجل قواص وعلي يد ورقه شريفة من حظه قدوة الامر الكو  
 عمدة الكو النعمامير اللو الشرف السلطاني وامير اقليم الجيم محالا الامير  
 بك دام عنه منوثة تحمده السعيد علي العاي خطا بالايالى المير المرحوم سيع  
 خد العسكر الجاري بها العاد وتسلمها للتواص حامل للورقة المذكورة فبادر الي  
 الشر واجتمعوا وفروا المبلغ المطلوب علي انفسهم كل منهم علي قدر طاقته فجمعوا  
 علي محمد المير علي المذكور عشرة اضعاف فضة في كامل السنة فعصى وفرد فقال له المير

وثيقة من محكمة اذكو تشير الى مير الواء  
 الأمير حسن بك أمير لانيم البحيرة منذ ٣٢١ سنة

لمن الشر المرفوع اللايق بالارواح اولامنا لوجهها شرها وبقيتة انيف  
 امر الشر المرفوع وحري فلكد حور وبمتمد في حاد عن صفر تسع وخمس مائة

الجزء الأسفل من الوثيقة وتاريخها

١١ صفر سنة ١٠٥٩ هـ

وشد ما كان حرص الاحتلال الإنجليزي على حكم البلاد بيد من حديد ،  
فنشأ منذ سنة ١٨٨٢ نظام مجالس المديريات ، فكان مجلس مديرية البحيرة  
يتولى أمر التعليم في المديرية ، ويضم بين أعضائه ديدا من الأعيان ذوى الأملاك  
ولم يكن القانون يخول لهم سلطات فعالة ، وكان مجلس مديرية البحيرة في المبنى  
الذى تحتله الآن محافظة البحيرة .

ورأت الثورة بثاقب نظرها أن نظام مجالس المديريات لم يكن إلا أثرا من  
آثار الاحتلال ، وأبقت عليه الحكومات المتعاقبة في العهد البائد ، كما رأت أنه  
لا يؤدي المهمة التى تدفع بالإقليم - أى إقليم - نحو الديمقراطية الصحيحة ،  
فاستبدلت به الثورة نظاما أكثر إيجابية هو نظام مجالس المحافظات ، .

### حاكم البحيرة

ليس من السهل أن نجد ثبوتا وافيا بأسماء من حكموا البحيرة منذ أقدم  
العصور إلى اليوم ، فالراجع لا تسعفنا إلا بقدر ، ومع ذلك ، استطعنا أن  
نجمع فيما يلي ما أمكن جمعه من أسمائهم :

ففى القرن السابع الهجرى ، كانت دمنهور مقر نائب الوجه البحرى ويطلق  
عليه [ ملك الأمراء ] <sup>(١)</sup> ، وهذه بداية الاستقرار لأن نيابة الوجه البحرى  
كانت قبل ذلك ، أى فى عهد الفاطميين ، بيد كاشف يسمى [ والى الولاية ] ولم  
يكن له مقر خاص ، ولما آل الأمر إلى الأيوبيين جعلوها [ ولاية حرب كبيرة ] <sup>(٢)</sup>  
وجعلوا نائبها بمثابة [ كاشف كبير ] وصارت دمنهور له مقرا .

ولذا ذاك كان لإقليم البحيرة على النحو التالى :

١ - عمل البحيرة : ويشتمل على خوف رمسيس والكفور الشاسعة وحاكمه  
وال من الولاية .

ب - عمل لازاحمتين : ويتحدث بشأنه شاد ، وفى القرن الثامن الهجرى ،  
وفى عصر قلاوون بالذات يحدثنا المقريرى عن كاشف البحيرة الأمير  
ركن الدين القلنجقى سنة ٧٢١ هـ كما سبق أن ذكرنا فى صفحة ٤٢ من

(١) ابن دقاق : الانتصار : ص ١٠١

(٢) القلنجقى : صبح الأعشى .

الكتاب ثم نرى وإلى البحيرة أسند من القلنجتى الذى نقل من ولاية البحيرة إلى ولاية القاهرة سنة ٧٢٣ هـ ، ويخلفه على البحيرة الأمير بلبان العتريس ثم غرس الدين خليل الظاهرى الذى نقل فى ٢٤ من ذى الحجة سنة ٧٣٧ هـ نائب السلطنة بالإسكندرية ، ويخلفه على البحيرة الجمالى عبد الله ، ونسمع أيضا أن الأمير ركن الدين بيبس الركنى المظفرى كان كاشف البحيرة ، ثم وإلى الإسكندرية حتى توفى سنة ٧٤٠ هـ ، وفى سنة ٨٥٧ هـ كان كاشف البحيرة قشم المحمودى الناصرى ، ولما قتله عرب البحيرة خلفه حسن الدنكرى ، وفى سنة ٨٧١ هـ كان خشقدم كاشف البحيرة ثم عزل ، وجاء بعده محمد الصغير ، وفى سنة ٨٧٩ هـ يكون الكاشف هو خشقدم الزينى الذى أعده السلطان قايتباى توسط ، وفى سنة ٨٩٠ هـ عزل كاشف البحيرة أمير سلاح قراقرز الترازى ، وخلفه الأمير كرتباى الأحمر أحد أقارب السلطان ، وفى سنة ٩٢٨ هـ كان حاكم البحيرة الأمير تراز الشمسى السيفى الاتابكى .

ونسمع أيضا بابن بريم ملك الأمراء بالبحيرة وهو محمد بن عبد الله بن محمد ابن خليل بن بكتوت بن بريم بن بكتوت الشمسى وهو كردى الأصل قدم أجداده مع صلاح الدين الأيوبي . وفى سنة ١٠١٦ هـ كان كوشى باشا كاشف البحيرة وقد شكاه من ظلمه أهل الإسكندرية ورشيد للوالى الجديد محمد خسرو باشا ، فضرب عنقه وعين بدله كاشفا آخر .

وظل أمر الولاية والكشاف على هذه الموضى فى زمن العثمانيين ، حتى تذكر لنا الوثيقة المؤرخة سنة ١٠٥٩ هـ أن الأمير حسن بك أمير إقليم البحيرة وانقسمت البحيرة إلى نصفين على كل منهما مدير [ مدير نصف البحيرة بحرى ] و [ مدير نصف البحيرة قبلى ] وذلك حتى سنة ١٢٤٩ هـ حيث صار للبحيرة كلها مدير يسمى « مدير البحيرة » واستمر هذا الوضع حتى صارت جميع المديرات محافظات سنة ١٩٦٠ ، فصار حاكم البحيرة يسمى « محافظ البحيرة » . وكان مدير البحيرة - يتولى مهام منصبه بناء على أمر صادر من محمد على ثم الذين خلفوه ، ويلاحظ أن مدة المدير كانت غير كافية للتعرف على أحوال

المديرية ، لهذا تقاربت مدد التولية والنقل على نحو ظاهر .  
وفما يلي مثال من أمر التولية الصادر من سعيد باشا لمحمد المرعشلى بك  
مدير البحيرة .

[ فى ٩ ربيع الثانى سنة ١٢٨٣ إرادة لمحمد المرعشلى بك ، قد استحسننا  
وقررنا بتعديل مأمورىكم الحالية بمديرية البحيرة ، فعندما تحيطون علما بذلك  
يجب أن تبادروا بالسفر إلى مأمورىكم ، وأن تباشروا أعمالها بالدقة والعناية  
اللازمة كما هو أول ومنتظر منكم ، فلذلك أصدرنا أمرا هذا وأرسلناه  
إليكُم ] ، وكان مرتب المدير أثنى قرش فى الشهر (١) .

وهذا بيان بمديرى البحيرة من عهد محمد على إلى اليوم .

حاكم البحيرة	من	إلى
حسن بك الشماشجى	: كان حاكم البحيرة سنة ١٢٣٥	وقد فتح سيوه على رأس قوة من البحيرة .
رستم أفندى	: أول مدير للبحيرة	- سنة ١٢٤٩ هـ
أمير اللواء عبد الله بك	: قبل ٢٦ شعبان سنة ١٢٦٠	- آخر رمضان ١٢٦١
محمد سعيد أفندى	: أول شعبان سنة ١٢٦١	- ١٢٦٣
حسن بك	: ١٢٦٣	-
الأمير الالى إسماعيل بك	: ٢٩ شوال سنة ١٢٦٤	- ٢٧ شوال سنة ١٢٦٥
محمد فاضل بك	: ٢٨ شوال سنة ١٢٦٥	- ١١ شوال سنة ١٢٦٦
إبراهيم بك	: ١٢ شوال سنة ١٢٦٦	- ٢٠ ربيع الثانى ١٢٦٧
أحمد بك	: ٢١ ربيع الثانى سنة ١٢٦٧	- ١٨ رجب ١٢٦٨
رستم بك	: ١٩ رجب سنة ١٢٦٨	- ١٢ محرم ١٢٦٩
عارف بك	: ١٣ محرم سنة ١٢٦٩	- ٤ صفر ١٢٧٠
حسن أغا	: ٥ صفر سنة ١٢٧٠	- آخر ربيع الأول ١٢٧٠
جعفر أغا	: أول ربيع الثانى سنة ١٢٧٠	- ٦ القعدة ١٢٧٠
محمد عرفان بك	: ٧ القعدة سنة ١٢٧٠	- ٢ محرم ١٢٧٢

(١) حسب الأمر الصادر بذلك إلى مفتشى عموم الأقاليم فى ٧ رجب سنة ١٢٨٣ هـ .

١٢٧٢ محرم ٢٥ -	٣ : محرم سنة ١٢٧٢	إسماعيل بك
١٢٧٢ جمادى الثانية ٢١ -	٣٠ : محرم سنة ١٢٧٢	يعقوب بك
١٢٧٥ محرم ٥ -	٢٥ : جمادى الثانية ١٢٧٢	السيد أباطة بك
١٢٧٩ رجب ٢٩ -	٦ : محرم سنة ١٢٧٥	محمد راشد بك
١٢٧٩ رمضان ٢٠ -	٣٠ : رجب سنة ١٢٧٩	على شكري باشا
١٢٨٠ محرم ١٦ -	٢١ : رمضان سنة ١٢٧٩	أحمد صادق بك
١٢٨٠ ربيع الثاني ٧ -	١٧ : محرم سنة ١٢٨٠	محمد شاكر بك
١٢٨٠ شوال ٤ -	٨ : ربيع الثاني سنة ١٢٨٠	جعفر بك
١٢٨٢ شوال ٤ -	٥ : شوال سنة ١٢٨٠	حسن سري بك
١٢٨٣ ربيع الأول ١٠ -	٣ : شوال سنة ١٢٨٢	محمد توفيق بك
١٢٨٣ رجب ٧ -	١١ : ربيع الأول سنة ١٢٨٣	محمد مرعشلي بك
١٢٨٤ جمادى الأولى ١٨ -	٨ : رجب سنة ١٢٨٣	يوسف صدق بك
١٢٨٤ الحجة ٢٦ -	١٩ : جمادى الأولى سنة ١٢٨٤	صالح شرعى بك
١٢٨٥ صفر ٧ -	٢٧ : رجب سنة ١٢٨٤	إسماعيل بك
١٢٨٥ شوال ١٣ -	٨ : صفر سنة ١٢٨٥	مراد بك
١٢٨٦ جمادى الآخرة ٣ -	١٤ : شوال سنة ١٢٨٥	إسماعيل دانش بك
١٢٨٦ أول رمضان -	٤ : جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦	محمد توفيق بك
١٢٨٦ شوال ٥ -	٢ : رمضان سنة ١٢٨٦	محمد الصيرفى بك
١٢٩٠ جمادى آخر ٢٥ -	٦ : شوال سنة ١٢٨٦	أحمد الشريف بك
١٢٩٠ رجب ٤ -	٢٦ : جمادى الآخرة سنة ١٢٩٠	محمد شاكر باشا
١٢٩٠ شعبان ٦ -	٥ : رجب سنة ١٢٩٠	على حيدر باشا
١٢٩٠ رمضان ٥ -	٧ : شعبان سنة ١٢٩٠	محمد شاكر باشا
١٢٩٠ شوال ٢٦ -	٦ : رمضان سنة ١٢٩٠	أحمد الجوخ دار باشا
١٢٩١ صفر ١١ -	٢٧ : شوال سنة ١٢٩٠	مصطفى مراد بك
١٢٩١ شعبان ١١ -	١٢ : صفر سنة ١٢٩٠	داود بك
١٢٩١ الحجة ٧ -	١٢ : شعبان سنة ١٢٩١	يعقوب بك

إدريس بك	: ٨ الحجية سنة ١٢٩١	- ١٦ صفر ١٢٩٢
محمد صيرفي بك	: ١٧ صفر سنة ١٢٩٢	- ٩ شعبان ١٢٩٢
يعقوب صبرى باشا	: ١٠ شعبان سنة ١٢٩٢	- ٢ شوال ١٢٩٣
يعقوب فهمى باشا	: ٤ شوال سنة ١٢٩٢	- آخر صفر ١٢٩٣
يعقوب صبرى باشا	: أول ربيع أول سنة ١٢٩٣	- آخر جماد أول ١٢٩٣
طه بك	: أول جمادى الآخرة ١٢٩٢	- ٢١ رجب ١٢٩٣
أحمد رأفت باشا	: ٢٢ رجب سنة ١٢٩٣	- ١٦ رمضان ١٢٩٣
محمد صيرفي بك	: ١٧ رمضان ١٢٩٣	- ٣ القعدة ١٢٩٣ (١)
محمد خورشيد باشا	: ٤ القعدة سنة ١٢٩٣	- ٦ شوال ١٢٩٤
يعقوب صبرى باشا	: ٧ شوال سنة ١٢٩٤	- ١٠ جماد آخر ١٢٩٤
درمللى حسين باشا	: ١١ جمادى الآخرة ١٢٩٤	- ١٩ رمضان ١٢٩٤
خالد باشا	: ٢٠ رمضان سنة ١٢٩٤	- ١٨ القعدة ١٢٩٤
إسماعيل دانش باشا	: ١٩ القعدة سنة ١٢٩٤	- ١١ جماد آخر ١٢٩٤
عثمان حلمى بك	: ١٥ صفر سنة ١٣٠٥	

عبد الرحمن سامى بك : ١٥ صفر سنة ١٣٠٥ ( ٨٨٨ )

محمد محمود باشا : ( ١٩١٤ + ) إبراهيم حلمى بك : ( ١٩١٧ + ) محمد  
 علام بك : ( ١٩٢٠ ) محمود نصرت باشا : ( ١٩٢٢ ) سالم محمد بك  
 ( ١٩٢٣ ) بدرخان على بك : ( ١٩٢٤ ) محمود شيرين بك : ( ١٩٢٥ )  
 محمود صادق يونس بك : ( ١٩٢٥ ) محمود زكى بك : ( ١٩٢٦ ) محمد  
 رفعت بك : ( ١٩٢٦ + ) محمد نيازى بك : ( ١٩٢٩ ) عبد السلام  
 الشاذلى بك : ( ١٩٢٩ ) إسماعيل أحمد بك : ( ١٩٣٠ ) عبد السلام الشاذلى  
 باشا : ( ١٩٣٠ ) بيوى على نصار بك : ( ١٩٣٣ ) أحمد محمود عزى بك :  
 ( ١٩٣٦ ) محمود عثمان غزالى بك : ( ١٩٣٦ + ) إبراهيم رشدى قحقة بك :  
 ( ١٩٣٨ + ) سالم حسن مباشر بك : ( ١٩٣٨ + ) محمد توفيق رضوان  
 بك : ( ١٩٣٨ + ) محمود حسيب بك : ( ١٩٤٠ + ) محمد عزيز أباطه

(١) كان محمود بك طيوز ذاده وكيل المديرية ، وحل محله محمد بك حمودة عمدة برمه ..

بك : ( ١٩٤١ ) ( وكان وكيلًا للمديرية ١٩٣٥ ) محمد نديم بك : ( ١٩٤١ + )  
 أحمد محمد الحفناوى بك : ( ١٩٤٢ ) على عبد الهادى بك : ( ١٩٤٢ ) محمد  
 عزيز أباطه بك : ( ١٩٤٢ ) أحمد محمد الحفناوى بك ( ١٩٤٣ ) محمد كمال  
 الطرابلسى بك : ( ١٩٤٤ ) صابر طنطاوى بك : ( ١٩٤٥ + ) على حلمى  
 بك : ( ١٩٤٧ + ) عبد الحليم منظور الدالى بك : ( ١٩٤٩ ) محمد خيرى  
 عثمان بك : ( ١٩٥٠ + ) اللواء مصطفى المتولى : ( ١٩٥٢ ) اللواء عبد المجيد  
 أحمد : ( ١٩٥٢ ) عبد الحميد عارف بك : ( ١٩٥٣ ) اللواء عبد الرموف  
 عاصم : ( ١٩٥٤ + ) اللواء محمد لبيب : ( ١٩٥٦ ) اللواء منير محمد  
 صالح : ( ١٩٥٩ ) .  
 وهو آخر مدير للبحيرة وقد نقل فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٦ مديرا للأمن  
 بمحافظة المنوفية .

## البحيرة والحياة النيابية

وفى ٣ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ هـ ( ١٨٢٩ م ) اجتمع « مجلس الشورى »  
 بالقاهرة برئاسة ابراهيم باشا بن محمد على ، وكان يتشكل من مأمورى الأقاليم  
 والعلماء ومشايخ البلاد ( العمدة ) ، وحضره عن البحيرة :  
 ١ - دفتى مصر محمد خسرو بك مأمور الجيزة والمنوفية والبحيرة .  
 ٢ - رستم أفندى مأمور نصف البحيرة ، عن مأمورى الأقاليم .  
 ٣ - الشيخ دسوقي خير الله عمدة دمنهور .  
 ٤ - الشيخ محمد عمدة الرحمانية .  
 ٥ - الشيخ مصطفى عمدة النجيلة .  
 وطلب دفتردار بك أفندى من مجلس المشورة قسمة مأمورية نصف البحيرة  
 إلى أربعة أقسام وتعيين ثلاثة كتاب لكل قسم وناظر . فوافق المجلس (١) .  
 وعند افتتاح مجلس شورى النواب فى ١٧ رجب سنة ١٢٨٣ هـ بالقلمة ، كان

ممثلو البحيرة في العمدة الآتية أسماؤهم على اعتبار أن كل قسم بالمديرية يمثل شيخ أو ائمان :

- ١ - الشيخ محمد الصيرفي عمدة قليشان عن قسم النجيلة .
- ٢ - الشيخ حسنين حمزة عمدة البريجات .
- ٣ - الشيخ أحمد أبو دبوس عمدة نكلا العنب عن قسم شبراخيت .
- ٤ - الحاج علي عمار عمدة ببيان عن قسم دمنهور .
- ٥ - الشيخ محمد الوكيل عمدة سمخراط عن مأورية الأزرق .

وفي سنة ١٢٨٦ كان المنتخبون من مديرية البحيرة :

- ١ - الشيخ حسين أمين عمدة شابور .
- ٢ - الشيخ علي منها عمدة كفر سلامون .
- ٣ - الشيخ أحمد علي محمود عمدة الرحمانية .
- ٤ - الشيخ عبد الله ناصر عمدة محلة بشر .
- ٥ - الشيخ محمد الأنصاري عمدة إدفينا .

وفي سنة ١٢٩٠ صدر الأمر بتشكيل « مجلس خصوصي » في كل محافظة وكل

مديرية ، ويتكون من أربعة يرأسهم المحافظ أو المدير وهم :

وكيل المحافظة ( أو المديرية ) ، أحد العلماء العاملين ، عمدة التجار في المحافظة

أو عمدة منتخب في المديرية ، أحد أعيان المحافظة أو المديرية .

وعلى ذلك كان لرئيس مجلس خصوصي باعتبارها محافظة ، وآخر للبحيرة

باعتبارها مديرية ، ومقره دمنهور ، على أن هذه المجالس عموما كانت صورية ،

وامتدت حتى تحولت إلى مجالس المديرية سنة ١٨٨٣ في ظل الاحتلال

الإنجليزي ، وظل هذا النظام على حاله مبرأ عن مصالح الإقطاع ، حتى استبدلت

به حكومة الثورة سنة ١٩٦٠ نظام الإدارة المحلية .

وصارت حكومة البحيرة ممثلة في « مجلس محافظة البحيرة » ويرأسه المحافظ ،

وهو بحكم القانون يتولى جميع سلطات الوزراء بالنسبة للمصالح التابعة لهم الواقعة

في دائرة المحافظة ، وينوب عن المحافظ في غيابه مدير الأمن ، وهذا المنصب

يعادل وظيفة « مدير البحيرة » في النظام السابق .



ومجلس محافظة البحيرة مجلس نيابي تنفيذي ، قراراته نافذة في الحدود التي رسمها القانون ، ويتكون من :

أولا : أعضاء بحكم وظائفهم : ويمثلون الوزارات التي لها مصالح بالبحيرة وهؤلاء هم : اللواء محمود الشافعي ( وكيل المجلس ومدير الأمن ) والاستاذ على أحمد المغربي ( مدير عام التربية والتعليم ) ، والسيد أحمد رفعت أحمد ( مدير الشؤون الاجتماعية ) ، الدكتور عبد الرازق عبد السلام ( مدير المنطقة الطبية ) ، المهندس عبد العزيز الشريف ( مدير الإسكان والمرافق ) ، المهندس محمد لبيب محمود ( مراقب الإصلاح الزراعي ) ، السيد محمد اسماعيل عرفة ( مدير بنك التسليف الزراعي والتعاوني ) ، المهندس محمود عبد الله خليل ( مفتش الري ) ، السيد محمد صديق حلبي ( مدير منطقة العمل ) ، والسيد مفتش الطرق والنقل البري ، والسيد عبد القادر قريطم ( مراقب التكوين ) ، والسيد شكري توفيق صبحي ( المراقب المالي ) والمهندس محمود الحناوي ( مدير منطقة الزراعة ) .

ثانيا : أعضاء منتخبين : ويمثلون الاتحاد القومي ، وهم السادة :

**مركز دمنهور :** إبراهيم أحمد آدم ، محمد عبد الغني غبينة ، ومحمد فريد إسماعيل التتامي ، وزكي نصر الشامي .

**مركز دمنهور :** محمد سعيد حسين الجبشي ، وسعيد أحمد شعبان العيسوي ، ومحمد عبد المنعم حنفي مسكرم ، وعبد الحميد إسماعيل نوار .

**مركز شبراخيت :** محمد محمد دلي الخولي ، ومحمد كمال إبراهيم صيد ، وصبحي محمد عبد العاطي خليفة ، ومحمد عبد المنعم حمدي الديب .

**مركز كوم حمادة :** مصطفى كمال محمد أبو رية ، وعبد الصمد علي مبروك الجيار ، وعثمان إبراهيم عثمان جبريل ، محمد مهدي مبروك هندی ،

**مركز كفر الدوار :** عبد المقصود حسن علي الزربة ، وعباس زيدان عبد السلام ، وعبد الحميد عبد الواحد عرمش ، وعوض عبد الحليم إبراهيم بسيوني .

**مركز الدلتا :** حسين عبد الله درويش ، ومحمود الشافعي أبو وافية ، ومبروك أحمد خلف الله ، وحلبي ثروت رشوان .

**مركز حوش عيسى :** عبد الهادي مبروك قريطم ، ومحمد عبد العزيز عكاشة ،

وعبد المالك عبد الوهاب صقر ، ومحمد أحمد أبو السعد .

مركز المحمودية محمد محروس العتال ، ومحمد السيد عبد العال ، وعبد الحميد محمد غنيم ، وسعد عبد الحميد المنياوى .

مركز رشيد : عبد العزيز ابراهيم زايد ، وأحمد فتح الله يونس خاطر ، ومحمد عبد اللطيف عواد ، وحافظ محمد عجوه .

مركز ابو المطامير : بركات عبد الملك مقاوى ، محمد سيد أحمد الخلوji ، وعلى عبد الجواد زيدان ، وعبد العزيز عبد الواحد خلاف ،

مركز اتياء البارود : محمد على القوفى ، ومحمد عبد السلام الصيرفى ، وحسن كامل طایل دبوس ، ومحمد جاد شنيش .

مركز ابو حمص : جرجس يونان جرجس ، وتوفيق متولى رجب ، وغازى داود رمضان ، وعبد الحليم يوسف عيسى .

ثالثا أعضاء مختارين وهم السادة :

أحمد محمد الوكيل ، ومحمد فخرى مهنا ، وأنور محمد حماد ، وعلى محمود ضفدع ، وعبد الرموف محمد أبو خطوة .

واقضى تطبيق نظام الإدارة المحلية تقسيم المحافظة إلى مدن وقرى ، ولكل مدينة مجلس ، ولكل قرية كبيرة أو مجموعة من القرى الصغيرة مجلس أيضا ، وفيما إلى هذه المجالس ورؤساؤها :

## رؤساء مجالس المدن

(إدكو) لبيب حبشى عبد السيد ، (كوم حماده) شوقى على سليمان ، (دمهور) يوسف لطفى الهمشرى ، (حوش عيسى) يوسف محمد قريطم ، (أبو المطامير) ابراهيم قنديل العوضى ، (أبو حمص) محمد راشد الحنفى ، (رشيد) عبد الكريم رشوان حامدى ، (الدلتجات) عبد العزيز لبيب هندی ، (شبراخيت) محمود إسماعيل أبو شلوع ، (المحمودية) عبد المنعم الغنام ، (إتياء البارود) محمد عاطف أحمد ، (كفر الدوار) أحمد محمد السيد .

## رؤساء المجالس القروية

(سيدى غازى) عبد العزيز محمد مبارك ، (منشأة بولين) السيد هيبه بسيونى ،  
(شرنوب) ، السيد عبد الرحمن قرقوره ، (صفط الحرية) (صفط الملوك سابقا)  
إسماعيل أحمد أبو الفضل ، (نكلا العنب) أحمد طایل دبوس ، (الطود) جلال  
على السيد شعب ، (البريجات) أحمد محمود خليل حمزة ، (محلة الأمير) عبده محمد  
مصطفى عجوه ، (كوم زهران) محمد الشافعى أبو وافية ، (الوفائية) أحمد محمد  
عبد الحكيم عصفور ، (محلة بشر) أحمد أحمد أحمد محمود ، (الشهيد جواد حسنى)  
(كوم البصل) السعيد يوسف عيسى ، (عزب دفشو) عبد الحليم على محمد  
بركة ، (محلة فرنوى) عبد الله محمد خالد ، (الضهرية) كمال الدين محمد عسران ،  
(قليشان) أحمد حامد حلى الصيرفى ، (دست الأشراف) كامل مصطفى على  
عاشور ، (طيه) كمال عبد الحميد عياد ، (المسين) حلى عبد الرؤوف الجالى أبوورك  
(الرحمانية) محمد طاعت على محمود ، (النجيلة) أحمد محمد إبراهيم يونس ، (كوم  
القناطر) عبد الحميد عبد الله حمد ، (كوم شريك) حازم عبد العزيز الصوفانى ،  
(منشأة دميستا) إدريس عبد الرحمن عنيون ، (الكوم الأخضر) عبد المنعم إبراهيم  
خليل ، (زاوية غزال) أحمد محمد شعبان العيسوى ، (أرمانية) السيد مصطفى  
مرعى ماضى ، (ششت الانعام) عبد العزيز عرفات ، (النيرة) محمود محمد  
عوض القونى ، (كفر داود) سيف النصر عثمان باظه ، (شابور) حسين رياض  
إسماعيل ، (رزافة) عبد الرؤوف محمود محمد الشريف ، (الكفر الجديد) جاب  
الله محمد عبد الله الساخى .

.. والمعروف أن مجالس المدن وتعيين رؤسائها يكون بقرار من السيد رئيس  
الجمهورية أما مجالس القرى فيصدر بها قرار السيد وزير الإدارة المحلية، وهذه المجالس  
جميعا تحت إشراف محافظ البحيرة .

## أبناء البحيرة فى مجلس الأمة

.. وفى مجلس الأمة الأخير كان من أبناء البحيرة ٢٥ نائبا عن ٢٥ دائرة على

التالى : السادة : محمود عبد اللطيف الجيار ( الخطاطبة ) ، محمد حامد محمود ( شبراخيت ) ، محمد عيسى نوار ( حفص ) ، محمد على قاسم ( إدكو ) ، أحمد صلاح الدين على بسيونى ( كفر الدوار ) ، بخاطره محمد حموده ( البيضا ) ، حسن ابراهيم عامر ومحمد ابراهيم فهمى السيد ( لائى البارود ) ، حسين فهمى حسين ( كوم حماده ) ، زكى زيدان عبد السلام وطناشى ديمترى راندوبلو ( أبو المطامير ) ، عبد العزيز عبد الرحمن منخيون ( أبو حمص ) ، عبد المنعم الميقاتى ( رشيد ) ، عبد الواحد عمار ( الطود ) ، عطية أبو بكر حنينة ومحمد عبد المالك قريظم ( حوش عيسى ) ، محمد عبد الرحمن قرقوره ( سنهور ) ، محمد عبد العزيز فتحى ( دسونس الحلقايه ) ، محمد فتحى الشراوى ( نكلا العنب ) ، محمد لطيف محمد ( الدلنجات ) ، محمد محمود الصيرفى ( قليشان ) ، محمود على محمد الوكيل ( بندر دمنهور ) ، مصيلحى ابراهيم عبد الله ( مركز دمنهور ) ، محمد محمود العتال ( المحمودية ) ، مدوح حلى صالح ( شبراخيس ) .

هذا وقد سبق انتخاب رؤساء الاتحاد القومى لائى عشر مركزا فى محافظة البحيرة ، توصلوا إلى مجلس الامة ، نيابة عن هذه المراكز .

## النشاط الصناعى

لا يقل النشاط الصناعى فى البحيرة أهمية عن النشاط الزراعى ، وقد أوتيت البحيرة من الإمكانيات الطبيعية ما جعلها فى مقدمة المناطق الصناعية فى العالم ، نظرا لقربها من ميناء الإسكندرية ، والاتصال به بالنيل والسيارات والسكة الحديدية ، وكذلك كثرة المواد الخام المحلية .

وقد عرفنا قديما مصانع الفسيخ التى شهدتها الرحالة فى القرن الأول الميلادى فى كانوب ، كما كانت المصانع فى دمنهور ورشيد فى مطلع القرن التاسع عشر تنتج ملابس الجيش ومهاته ، وانتشرت فى إدكو صناعة النسيج من الصوف والحرير .  
والآن تزداد مصانع شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار كل يوم تألقا فى انتاج ونسج أجود النطنيات ، وقد أنشئ هذا المصنع سنة ١٩٣٨ ، وكذلك أنشئ سنة ١٩٤٦ مصنع شركة مصر للحرير الصناعى بكفر الدوار أيضا

وفي البيضاء أنشئ مصنع شركة صباغى البيضاء سنة ١٩٣٨ لصبغ وتجهيز القطن المنسوج ، وكان في رشيد مصنع لصناعة خوص الطرايش ، فيما قبل الثورة ، ولكنه تعطل إلى الأبد بعد أن اندثر غطاء الرأس الذي يرمز إلى الاحتلال العثماني لمصر التي تحررت على يد جيش مصر الباسل في ثورته المباركة سنة ١٩٥٢ ، وفي سنة ١٩٣٢ أنشئ مصنع بدمهور لإنتاج الكبريت وفي سنة ١٩٤٢ أنشئ بكفر الدوار مصنع سلفاجو لتجفيف البصل ، وفي حوش عيسى قامت شركة طرانات البحيرة لاستخلاص الصودا من النطرون ، لصناعة الصابون ، هذا عدا صناعة حلب القطن التي اشتهرت بهادمنهور ، وصناعة تبييض الأرز في رشيد وإدكو ( أخيرا ) ، والسجاجيد بدمهور أخيرا في عهد الثورة على أساس من التعاون الاشتراكي بعد القضاء على الإقطاع والاحتكار .

ولا تزال الثورة تعنى بالصناعة في إقليم البحيرة وفق تخطيط منظم ، حسب دراسات عميقة يراد بها زيادة الإنتاج ومصلحة العامل ، ومراعاة قرب مصادر المواد الخام من المصانع ، وما يتبع ذلك من تسويق داخلي وخارجي ، وقريبا جدا سنرى مصانع تجفيف السمك والأطعمة المحفوظة والورق وغير ذلك .

## الإقطاع والالتزام في البحيرة

عرفت البحيرة الإقطاع في عهد الإمارات الفرعونية ، أيام كان فرعون يسمح للأمرأ بإدارة ( الإمارة ) حيث يسخر الفلاحين والعمال في إقامة المعابد وإنشاء الطرق وبناء السدود وحفر القنوات ، والعمل في المستنقعات .

فبعد أن كانت الأرض قبل عصور التاريخ ملكا للتبيلة ممثلة في رئيسها ، أصبحت ملكا لفرعون يديرها لحسابه الأمير المولى من قبله ، حتى منح ملوك الأسرة الثامنة عشرة بعض الإقطاعات للمحاربين ، أما في الأسرة التاسعة عشرة في عهد رمسيس الثاني فقد وزعت الأرض بين فرعون والسكينة والمحاربين ، وفي ظل الأسرة التاسعة والعشرين ، أعاد الملك نفريت Nephertites النظر في القوانين السابقة التي شرعها بوخوريس Bocchoris وما جرى عليها من تعديلات ، وانتهى إلى سن قرار يقضى بالملكية الفرد لا للأسرة ،

ولما آل الأمر إلى البطالة ، لم تعد للمحاربين إقطاعات ، بل أُحيلت إلى الدولة ، ويتولى حكام المقاطعات إدارتها وفق النظام الإداري الدقيق الذي وضعوه ، ضمّانا للسيطرة الكاملة على محصولات البلاد للدولة . بينما الفلاحون فيها أجراء مسخرون ، أو مزارعون يؤدون أبهظ الضرائب .

وسار الرومان على نهج البطالة ، منذ سنة ٣٠ ق.م. وصارت مصر كلها د زرع قمح لتوین روما ، وكان لإقليم البحيرة مخزن الغلال الواردة من هنا ومن هناك ، وعبر خليج الإسكندرية عند ( الكريون ) تنقل الغلال إلى الإسكندرية ومنها إلى روما .

ومن أسوأ ما سنه الرومان من تشريعات نظام التماس الحماية Patronage ، وبمقتضاه كان للمصريين أن يلتمسوا حماية ذوى النفوذ المقربين إلى القصر ، فرارا من مظالم ذوى الاملاك الذين أثقلوا كواهل الفلاحين بالسخرة والضرائب ، وعجز الملاك بدفعهم عن أداء ما عليهم للحكومة ، نهجروا بملكاتهم ، فاستولى عليها أصحاب الحماية ، في ظل القانون الذى وضعه قسطنطين ، بل أعفاهم من الضرائب ، فضج الجباة بالشكوى .

وقد عرفنا عن ابن عبد الحكم ، كيف كانت المنطقة الشمالية من إقليم البحيرة إقطاعا لامرأة المقوقس عظيم القبط في مصر ، وكانت تسخر المصريين في زراعتها كروما . وكانوا يؤدون الضريبة لها عينية لا نقدية ، فلما كثرت مخور الممصرة ولم تجد وسيلة للانتفاع بها ، طالبتهم بالضريبة نقدا ، فجزوا ، فأمرت رجالها الشداد الغلاظ ، فشقوا البحر ، وأغرقت دياهه أراضيهم وساكنتهم ، فكانت نشأة بحيرة إدكو ، الحالية .

وعلى يد عمرو بن العاص ، كان القضاء المبرم على جميع هبذه المساخر من الإقطاع والالتزام ، عملا بقوله تعالى : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، فصارت مصر كأى مصر ملكا لكافة المسلمين في أى بقعة من الكرة الأرضية ، وخليفة المسلمين يبعث إليها بعامل يتولى خراجها ، على أسس من العدالة الاجتماعية المحلية ، والتكافل الإسلامى الشامل .

وفي ظل شريعة الإسلام ، أصبحت الأرض لمن يزرعها بشرط إذن الحاكم ، وأداء الخراج والعشور للصالح العام ، ولم يعرف عن عمر أنه أقطع أحدا شيئا من أرض مصر إلا ألف فدان لابن سندر بمنية الإصبغ . وجاء بنو أمية وبنو العباس فأقطعوا أراضي مصر خواصهم ، فكان الخراج ينفق على الجنود وما يلزم من التكاليف ، ويحمل الباقي إلى بيت المال وأنشأ الفاطميون « ديوان الإقطاع » ، حتى آلت الإقطاعات كلها للدولة الأيوبية ، فأقطعت للسلطان والأمراء والجنود .

وقام هذا النظام على فلسفة جديدة أساسها أن صاحب الإقطاع سيعنى لا محالة بعمارة قريته ، وبذا يعم العمران أرجاء البلاد ، وتم ذلك فعلا ، غير أن الأمراء استأثروا بخيرات مصر دون الأجناد ، نظرا لفوضى التوزيع فقد كان يخص السلطان وحاشيته عشرة قراريط والباقي للأمراء والأجناد .

أما الجراكسة فكانوا يتوارثون الإقطاعات كبرا عن كابر ، حتى انتزعها السلطان سليم الأول من أيديهم ، ووزعها بين جنوده والموالين له من المماليك ، فمنهم من أعطيت له بحق الانتفاع فقط ، ومنهم من أعطيت له ملكا خالصا ( رقة ومنفعة ) كما يقولون وكانت هذه الأرض تسمى ( رقة ) أى يرتزق صاحبها من غلتها .

وزاد نفوذ المماليك ، وصاروا يعطون الأراضي لمن يلتزم بدفع ضريبتها ( عبرتها ) مقدما عن سنة أو أكثر بالمزايدة ، أو باتفاق مع ديوان الرزنامة ، وذلك بموجب عقد تلزيم يسمى ( التقسيط ) ، فأصبح الملتزم هو السيد الأمر الناهي في رقاب الفلاحين ، يسومهم سوء العذاب ، حتى يفوا بالتزاماتهم ، وإلا أعطيت الأرض لغيرهم ، وصودرت أملاكهم وإذا كان الملتزم من المقرين ، منحه ( شيخ البلد ) أى رئيس المماليك أرضا أخرى بلا ضريبة يستخر فيها الفلاحين لزراعتها ، نظير ما يذشته بها من مدارس وجوامع وحمامات ، وما ينفقه على الأجناد من طعام وشراب ومبيت . فسميت هذه الأراضي [ بالائواسى ] ومفردتها ( وسية ) .

ومنذ ولى محمد على أمر مصر وقضى على دولة المماليك ، آلت أراضي مصر

كلها إلى يده وحده ، وميز بين الأراضى البور والأراضى المنزرعة ، أما الأراضى البور المعفاة من الضريبة فسميت [أبعادية] ، لأن الباشا (أبعدها) من السجلات وبلغت سنة ١٢٥١ هـ نحو ٢٠٠ ألف فدان ، ومنحها الأغوات وأصحاب المعاشات من رجال الإدارة والحربية وأعيان البلاد ليزرعوها ، عوناً لهم على الحياة وكان الأمر يصدر منه إلى الرزنامجى ( مصلحة الأملاك ) لاستخراج التقسيط اللازم ومسح الأراضى وتسليمها للشمول بالرعاية ( رزقة بلا مال ) .

وأبطل محمد على ( الالتزام ) شكلاً فقد طلب عتود الالتزام وأحرقها ، وحتى لا يثور عليه الملتزمون ، ترك لهم الارتفاع بأطيان ( الأواشى ) بلا ضريبة ليستغلوها مدى حياتهم مع منحهم ( الفاض ) أى المرتب السنوى المقرر لهم .

أما مشايخ البلاد فقد منحهم الباشا ما يسمى ( مسموح المشايخ ) أو ( مسموح المصطبة ) وهى الأراضى التى يزرعونها ويتفعلون بها مقابل ما يؤدونه للحكومة من خدمات ونظير لىواتهم الأغوات ( المحافظين والمديرين والمأمورين ) والمباشرين ( الموظفين ) والجنود عند مرورهم بالقرى ، وكان اشيوخ المشايخ فى القرية أى العمدة أن يسخر الفلاحين فى أرضه ، وإلا عومل بأقسى العقوبة .

وصارت الأراضى الأخرى أى المنزرعة تسمى ( أراضى خراجية ) ، يعطى للفلاح أو القادر على زراعتها ما بين ثلاثة أفدنة وخمسة ويدفع ما عليها من الخراج سنوياً ، ومقدماً لمدة سنوات عند الاقتضاء حسب الأوامر المشددة الصادرة من الباشا لمديرى الأقاليم .

وعرفت الأراضى الممتازة الواسعة الأرجاء التى كانت تمنح لأفراد أسرة محمد على ، وخاصة الخاصة من الأقارب ( بالجفالك ) ، وصارت الجفالك والابعاديات فى عهد سعيد باشا تسمى ( بالأراضى العشورية ) . وسرى عليها ما كان يسرى على الأراضى الخراجية ، لانتفاعها مثلها بما تنشئه الحكومة من قناطر وجسور وترع ومصارف .

وفى ما بين سنة ١٨١٣ و سنة ١٨١٥ قسمت أراضى مصر إلى ( أحواض ) محدودة ، وعين محمد على عدد الفلاحين الذين يقومون بزراعة كل حوض ، ولكن الفلاحين عجزوا عن أداء الضرائب الباهظة التى فرضها عليهم ، فكان يأمر



بمصادرة مواشيهم وأقواتهم ، بلا رحمة ، بما هيأ للبasha فرصة الاستيلاء على الاراضى وجعلها ملكا له ، فتركها الفلاحون ، غير عابئين بما عليها من محصولات لانهم يعلمون حق العلم أنهم حصدها ، ولكن الباشا سيستولى عليها .

وظلت أسرة محمد على من سنة ١٨٠٥ حتى سنة ١٩٥٢ ، وهى تؤكد الإقطاع فى مصر عامة ، والبحيرة خاصة ، على نحو ظاهر ، نظرا لاتساع مساحتها ، وإمكان تحويل مستنقعاتها إلى تفتيش عرفت (بأملك الخاصة) ، وكثيرا ما كان ناظر الخاصة يطرد الفلاحين من أكوأخهم ، لأن الأنظار الملكية يجب ألا تقع على مناظر كهذه فى طريق حضرة صاحب الجلالة الملك ، وسرعان ما يصدر الأمر الملكى بشراء هذه الاراضى قسرا وبأبخس الأثمان .

وكان الأمراء وهم أفراد الأسرة المالكة والباشوات يملكون هم والأجانب إقليم البحيرة ، فيما عدا المستنقعات والبحيرات والملاحات والرمال وأقل القليل من الاراضى الزراعية . ومع ذلك امتدت أيدى فؤاد وفاروق إلى كل ذلك ، حتى قامت الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢ .

وفى بلى مظاهر حية ، مضحكة مبكية فى آن واحد عن الإقطاع فى البحيرة فى مدى المائة والخمسين عاما التى سبقت الثورة ، من واقع الوثائق ، وأصدق حقائق التاريخ .

فى ١٣ شوال سنة ١٢٤٦ ؛ أصدر محمد على أمرا إلى دفتر دار بك بإنعامه على السيدة خيرة بنت عبده من دمنهور ، ومرضعة ولديه الأميرين سعيد وعبد الحليم بساقية ، ومقدار ما يمكن ربه منها من الاراضى المجاورة لها ، وبإستخراج التقسيط من الرزنامة ليكون ذلك ملكا لها .

وفى سنة ١٢٥٢ هـ منح محمد على أرسلان أغا ناظر ذخائر الإسكندرية عشرة أفدنة من أراضى إدكو كما رأينا ذلك من قبل .

وفى ١ رمضان سنة ١٢٧٥ أصدر سعيد باشا أمره إلى مدير البحيرة ، بتسليم ٣٠١ فدان لزوجة والده محمد على من ناحية تلبيانة ، وهذا هو نص الأمر [ إن إسكنجى قادن حرم جنت مكان المرحوم والدنا تلتمس بإعراضها هذا الإحسان عليها بالثلثة فدان وواحد وكسور الجارى زراعتهم على ذمتها من

متروك ناحية ( تلبانة ) بالإيجار ، وقد سمحت لإرادتنا بربط العشور عليهم ابتداء من سنة ١٢٧٦ ويفضلوا معها لتنتفع منهم بالزراعة وتسدد عشورهم ، وأصدرنا أمراً هذا إليكم للاجرى بموجبه .

وفي هذا الوقت ، فطن الأجانب إلى ضعف أسرة محمد علي ، وانفاس أفرادها في الملذات ، فسمحوا للأجانب أفراداً وشركات بامتلاك الأراضي الشاسعة بالبحيرة ، والتزام الصيد في بحيراتها مثل الخواجه انجليطو ، ولا تزال بعض الجهات في إقليم البحيرة تسمى بأصحابها الأجانب قديماً مثل ( منشأة ديونو ) شرق إدكو ، وشركة أراضي المعديّة ، وقومبانية أراضي أبوقير الإنجليزية التي تكونت سنة ١٨٠١ عقب كسر سد أبوقير لتجفيف أراضي البحيرة ، ويعملها البصريين وهي أملاكهم التي سبق أن أغرقها الغزاة ، وأراضي جناكليس وكازوليا وغيرها من اليونانيين مثل ديمتری زريني وجورج تليبي وإيلي شماع وإيلي ليمبيوز وجربوعه وبركليس .

وكان الأجانب مولعين باقتناء أراضي البحيرة ولو كانت بوراً أو رمالاً ، ويدعو أن القناصل كانوا يشجعونهم على ذلك ، فشلا اشترى ألبرتو سفاريزي الإيطالي الجنسية ستين فدانا من أراضي البور بأبو حمص سنة ١٩٠٤ ، واشترى تريناندوفولو جورجي ترينانداس التاجر الإنجليزي بالإسكندرية أربعة أفدنة من رمال إدكو في مثل هذا التاريخ .

ومع ذلك كانوا يتوقفون عن دفع الضرائب المقررة غير عابئين بالمسكاتبات المتبادلة بين مديرية البحيرة ومحافظة الإسكندرية وقنصلياتها ، بل كانوا يضربون عرض الحائط بالأوامر العالية الصادرة من سعيد باشا إلى مدير البحيرة (٢١ محرم ١٢٧٧) بوجوب التحصيل منهم [ أسوة بأرباب الأتبان الخراجية والعشورية كما أن ذلك من الأصول البلدية ] .

وقد أحصت حكومة الثورة الأتبان الزراعية التي يملكها الأجانب في مصر فبلغت ١٤١١٥١ فدانا يملكها ٢٦١٤ أجنبياً منها ٧١٩٦٥ فدانا بالبحيرة يملكها ٦٠٥ من الأجانب ، وهي أكبر نسبة في جميع المحافظات على الإطلاق (١) .

(١) راجع الأوامر في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦١

وفي سنة ١٢٩٣ هـ أنعم الخديوى لإسماعيل على دولتو عصمتلو والدته بأبعادية عشورية بالبحيرة منها ٣٩٠ فداناً بناحية حفص و ٦٣ فداناً بناحية زمران النخل، وإلى جانب ذلك منحها فى نفس السنة ٣٥٨ فداناً وكسور بناحية (معنية) المخلفة عن الست هداية ومعتوقة المرحوم عباس باشا ، بسائر ما بها من المواشى والمبانى والأدوات والفلاحين ، مع صدور الأوامر الخديوية العاجلة بتسليم الأبعادية إلى دائرتها وتحرير الحجة والتقسيم ، فأصبحت والدته لإسماعيل تملك فى سنة واحدة بمجرد صدور أمر الخديوى ٧١١ فداناً بالبحيرة وحدها ، خلاف ١٧٠ فداناً بالجيزة ، وغير ذلك فى غير الجيزة والبحيرة .

هذا بينما تعطف جناب الخديوى فى أول ربيع الثانى سنة ١٢٨٨ على الشيخ سرور الزواوى العالم الدهنورى بأبعادية خمسين فداناً من أطيان الميرى المتروك والمستبعدات « لأجل سعة معاشه » .

وفى إحصاء سنة ١٢٩٣ هـ ( ١٨٧٦ م ) كان بالبحيرة وحدها ١٠٢١ فداناً من أملاك الحكومة ، ومع الإقطاعات الكبرى الممنوحة للمحوظين ، فرض لإسماعيل باشا - عند اشتداد الضائقة المالية - تحصيل ٢٤٣١٢ ليرة استرلينية من البحيرة وهو نصيبها فى سداد أصل الدين العمومى وفوائده ، وقد بلغت جملة نحو ٦ مليون ليرة (١) ، واضطر الخديوى إلى تعيين مأمور مالية على كل مديرية لهذا الغرض فكان مأمور مالية البحيرة محمد رشيد بك ثم محمد الصيرفى بك . ومن مظاهر السخرة فى عهد لإسماعيل أنه كان يفرض على كل عمدة قرية إرسال عدد من الفلاحين كل سنة إلى حديقة لإدقينا لتسخيرهم فى تقليم أشجارها ، وتلقيح نخيلها ، وتعهدها بالسقى حتى تثمر ، والعمل على إنزال البلح منها عند نضجه ، وقد أخبرنى جدى رحمه الله أن لإدكو كان نصيبها أربعة رجال فى هذه السخرة ، التى أمر عباس باشا بإلغائها .

والمعروف أن دوائر لإسماعيل الزراعية كانت أولاً ١٥ ألف فدان ثم اتسعت فصارت ٩٥٠ ألف فدان أى ما يساوى ١/١٠ المنزرع من أراضى مصر ، وعنى

بإصلاح مزارعه دون غيرها ، وهو أول من أباح للأجانب حق تملك الاراضى ، كما أعطى المحظوظين مئات الافدنة لإحسانا منه على العربية والسفريقية والحلاقين والطباخين من رجال القصر .

وفيما يلي إشارة خاطفة إلى الحداثق التى يملكها الإقطاعيون من أسرة محمد على والباشوات والأجانب والشركات الاحتكارية التى استغلت هذه الاراضى فى زراعة الموالح والسكروم والنخيل والفواكه الأخرى والزيتون .

<u>بالفدان</u>	<u>الجهة</u>	<u>المالك</u>
٠٠٥٥	كفر الدوار	الخاصة الملكية
٠٠٤٥	"	دائرة عمر طوسون
٠٠٨٤	"	دائرة على ماهر باشا
٠٠٧٦	"	دائرة زكى الأبراشى باشا
٠١١٥	الطرح	الشركة الإنجليزية
٠١٠٣	كفر الدوار	دائرة على أمين يحيى باشا
٠١٢٩	"	دائرة درانيت باشا
٠٠٥٠	العامة	الخاصة الملكية
٠١٨٣	كفر الدوار	دائرة السلطان حسين كامل
٠٠٤٥	"	على فرغلى بك
٠٠٩٢	إدفيما	الخاصة الملكية
٠٠٩٧	أبو حمص	دائرة إسماعيل صدق باشا
٠١٢٥	الدلتجات	الأوقاف الملكية
٠٠٢٥	إيتاى البارود	"
٢٠٣٧	أبو المطامير	جنا كليس
٠٢٩٠	"	ميشيل باسينى
٠٠٧١	"	أحمد علوبه بك
٠٠٧٠	"	محمود علوبه بك

٠٠٦٢	أبو المطامير	محمد حسن القبانى بك
٠١٠٤	"	الاميرة شويكار
٠١١٤	"	شركة توحيد الاراضى

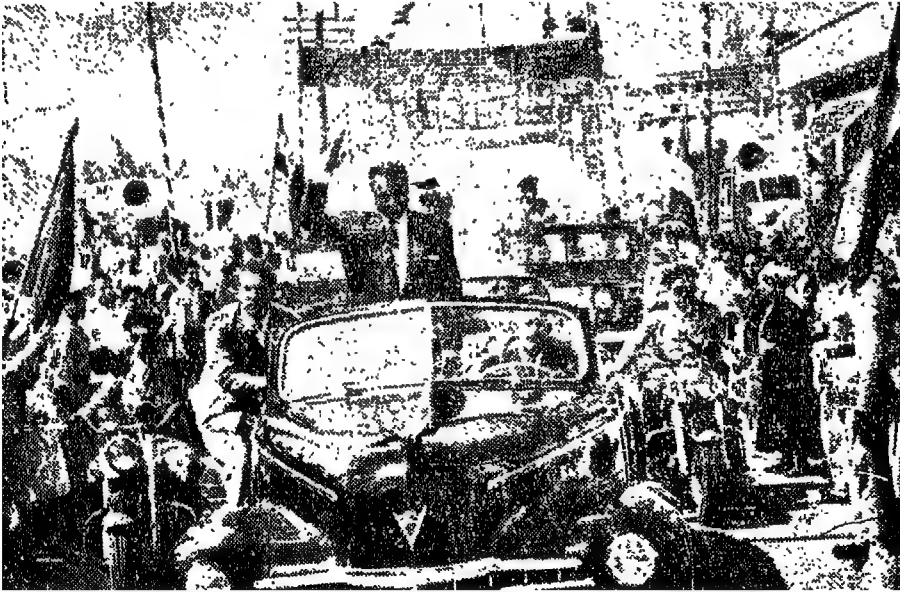
وتقدر أطياف الأوقاف الملكية عموما فى البحيرة بعشرين ألف فدان ، كما أن  
لحمودية ١٤ ألف فدان كان يملكها محمد المغازى باشا ، وكانت الأميرتان  
رية وسميحة حسين كامل تملكان ٥ آلاف فدان فى جبارس ، وقد استولى  
بيها « الإصلاح الزراعى » جميعها ووزعها على الفلاحين حسب القانون ، للقضاء  
لن الإقطاع ، والتقريب بين الطبقات ، وتحقيق العدالة الاجتماعية .  
وفى الحق أن الإقطاع فى إقليم البحيرة قد بلغ مداه فى عهد الملك فؤاد ومن  
مده الملك الخليف فاروق : أما فؤاد فكان له تفتيش إدفينا الذى زادت مساحته  
رغام الملاك المجاورين على بيع الأراضى الملاصقة للخاصة الملكية ، وأضيفت  
ليه تفتيش سميت بأسماء أفراد الأسرة المالكة مثل : النازلية والفؤادية  
الفاروقية والفوزية والفائزة والفائقة والفوقية والفتحية ، وقد أنشئت كلها فيما



فاروق والحاشية بعد صيد البط من بحيرة إادكو سنة ١٩٣٦  
وبعدها أمر بتجفيفها لضم أراضيها إلى ممتلكاته بإدفينا

بين سنة ١٩٢٣ و سنة ١٩٢٦ ، وكان فرّاد يستقل قطارا ملكيا في صيف كل عام من الإسكندرية إلى أدينا ، وكانت تقام له الزينات ، وتتخذ أدق الإجراءات لحراسة الطرق خوفا على حياته ، حتى يصل إلى قصر إدينا ، ليتفقد شئون التفتيش .

أما فاروق فإنه عند ما تولى الملك بعد أبيه سنة ١٩٣٦ نفخ الشيطان في منخريه ، وغره شبابه ، فكان يرتاد بحيرة إدكو لصيد الطيور مستقلا قارباً بخاريا ، وأغرته الحاشية بتجفيف الجزء الشرقى من البحيرة لزراعته وضمه إلى تفتيش إدينا ، فصادف ذلك هوى في نفسه ، وبدأ التجفيف ، ولكن شاءت الأقدار أن يطول أمد هذا الإصلاح ، حتى استعجلته حكومة الثورة .



الرئيس جمال عبد الناصر يحى أهل البحيرة في طريقه إلى إدكو وإدينا  
لتوزيع الأراضي على الفلاحين في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥٩

وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٣ قرر مجلس قيادة الثورة مصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد علي ، التي آلت لآلهم بالوراثة أو المصاهرة أو القرابة ، وردها إلى

الشعب ، وتلا ذلك قانون « الإصلاح الزراعي » ، فعادت الأرض إلى أصحابها الأصليين ، وهم الفلاحون الذين ذاقوا المر أشكالا وألوانا من الاستعمار والالتزام والسخرة والسيطرة والاحتكار والاستغلال والإقطاع ، ومضى الرئيس جمال عبد الناصر إلى إادكو وإدفينا ، في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٥٩ ووزع الأرض على



فلاح من إادكو يتسلم عقد تملك الأرض  
من الرئيس جمال عبد الناصر

الفلاحين الذين أصبحوا ملاكاً لها بعد أن كانوا فيها عبيداً للدخلاء والأجانب والملوك والباشوات ، فانهضى الإقطاع المزمن إلى غير رجعة ، في ظل الحكم الجمهوري ، لبناء المجتمع الاشتراكي .

### طرق المواصلات في البحيرة

رأينا فيما مضى كيف كانت البحيرة ضحية الفيضانات من جهة النيل وغارات البحر من جهة أخرى ، فكانت المستنقعات تغمرها فترة طويلة من السنة ، يتعذر

فيها الانتقال من جهة إلى أخرى ، فكانت القوارب الشراعية خير وسيلة لذلك . فلما أمكن التغلب على إصلاح الجسور ، استخدمت دواب الحمل أيسر الطرق نسييا في الانتقال من مكان إلى آخر ، وأمكن مع ذلك تعبيد الطرق على النحو البدائي المعروف ، إلى جانب استخدام قوارب شراعية للسفر والنقل في فروع النيل والبحيرات .

ومع تطور الزمن ، صار الانتقال من الإسكندرية أو رشيد إلى القاهرة من الصعوبة بمكان ، فقد تحدث ( إيتين كومب Et. Combe ) عن هذا في مدى القرون المنحصرة بين الرابع عشر والثامن عشر سواء عبر إقليم البحيرة أو عبر بحيرات البحيرة إلى رشيد ومنها في النيل إلى القاهرة .

حتى كان مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، في ٢٠ القعدة سنة ١٢٦٧ ( ١٨٥٠ م ) بدأ عباس حلمي الثاني في اتخاذ ما يلزم نحو إنشاء خط حديدى بين الإسكندرية والقاهرة ، فكان من الطبيعى أن يخترق إقليم البحيرة ، مما يؤدى حتما إلى بعث حضارة جديدة في هذا الإقليم ، وبدى بتجديد ثلاثة مراكز أحدها في الإسكندرية والآخر في القاهرة والآخر في وسط الطريق ، ومهمة هذه المراكز ترتيب الأمور اللازمة للمشروع .

وتعاقدت حكومة مصر مع ( استيفنسون ) الإنجليزي مخترع أول قاطرة ، وفي سنة ١٨٥٤ انتهى العمل من مد سبعين ميلا من القبارى إلى دمنهور ومن دمنهور إلى كفر الزيات في مدى سنتين ، وكان الخط مفردا بحيث لا يمكن تسيير غير قطار واحد على طول الطريق ، ثم ازدوج الخط لأول مرة سنة ١٨٦٤ ما بين القبارى ودمنهور ، وفي السنة التالية ازدوج من دمنهور إلى كفر الزيات ، وفي سنة ١٨٧٢ مد الطريق الحديدي من إيتاى البارود إلى بشقيل ومنها إلى بولاق التكرور .

وهكذا ظلت خطوات الخط الحديدي تتوالى حتى تم ربط الإسكندرية بالقاهرة عن طريق دمنهور ، فانتعش اقتصاد البحيرة ، وزاد انتعاشا وعمرانا بإنشاء الطريق الآخر ما بين الإسكندرية ورشيد منذ سنة ١٨٧٥ بعد أن بدأ أولا من الإسكندرية إلى أبوقير .

وظلت الخطوط الحديدية المرعية تربط قرى البحيرة بدمنهور وسائر المراكز



وسميت ( خط الدلتا ) ، حتى عادت الطرق الزراعية منذ نهاية القرن التاسع عشر ، فسيرت عليها السيارات ، التي أخذت في التطور السريع ، حتى أصبح لإقليم البحيرة أشبه بشبكة موصلات نهريّة وبحريّة وحديديّة وزراعية بما زاد في عمراتها . وزاد من خيراتها ، ومكن من استتباب الأمن فيها .

## والمدارس

وفي عهد الجراكسة - كما ذكر ابن دقاف - كان بدمهور عدة مدارس ، وبرسيد مكتب للإيتام ، ومع ذلك كان بعض مأموري الأقسام ( المراكز ) في عهد محمد نلى أميين لا يقرأون ولا يكتبون ، ثم صدر قرار بعد ذلك بعزلهم وإبدالهم بغيرهم ، حتى أصدر إسماعيل باشا أمرا في ٢٥ فبراير سنة ١٨٦٧ بإنشاء مدرسة في كل مديرية لتعليم الأحداث القراءة والكتابة وجميع العلوم ، وفي سنة ١٢٥٣ هـ أنشئ مكتب بدمهور وآخر بالرحمانية سنة ١٢٥٣ هـ . ثم أنشئت مدرسة دمنهور الصناعية سنة ١٩٠٦ ومدرسة الزراعة سنة ١٩١٢ ، ومدرسة الفنون الطرزية التي انفصلت عن المدرسة الابتدائية للبنات سنة ١٩٤٤ ثم مدرسة التربية النسوية سنة ١٩٣٨ وفي سنة ١٩٤٧ أنشئ مركز ثقافي كان يسمى « الجامعة الشعبية » ، والآن يطلق عليها « قصر الثقافة » . وكان يوجد بدمهور حتى سنة ١٩٤٧ كلية الزراعة التابعة للجامعة الإسكندرية وقد احتلت مبنى مدرسة دمنهور الثانوية ، ثم نقلت إلى الإسكندرية لتكون مع سائر الكليات الأخرى .



# عرب البحيرة في مختلف العصور

## عرب مصر

لم تكن هجرات العرب من الجزيرة العربية إلى مصر في عصور ما قبل الإسلام لتقطع على مر السنين ، أما حركة الهكسوس - وهي عربية في جوهرها - فقد تركت آثارها في مصر عامة ، والوجه البحرى خاصة .

وكان جيش المسلمين الأول القادم إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة ١٨ هـ ( = ٦٣٩ م ) خليطا من القبائل العربية ، وأظهرها ( لحم ) و ( جذام ) ، وما لبث الخليفة عمر أن سباهم ( القبائل المصرية ) ، ومن ثمت صارت القبائل الأخرى تفد على مصر تباعا ، وبدون انقطاع لتعميرها ، فقد كان أكثر كورها خاليا من العمران ، كما كتب بذلك عبد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك . هذا وقد ذكر الواقدي (١) أن الصحابة - لما فتحت مصر والوجه البحرى - تفرقوا في الإسكندرية ورشيد وغيرها ، وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف بالمنزلة مثل : القعقاع بن عمرو التميمي ، وهاشم بن المرقال ، وميسرة ابن مسروق العبسى ، والمسيب بن نجيم المزارى .

وبالرجوع إلى « مدونة الأمير غانم » نرى أن أمراء المسلمين الفاتحين ، قد استقروا في البحيرة ، وكان من بين الصحابة الأمير غانم بن عياض الأشعري وهو من أمراء جيش عمرو بن العاص ، الذى جعل له الإمارة على ( البهنسا )

و ( مصر = الفسطاط ) و (دهشور) و ( الجيزة ) ، ودفن بالبرلس بعد وفاته .  
 وأمه أسماء بنت صفوان بنت حاتم الطائي ، وغاله عدى بن حاتم ، وكان من  
 الأشاعرة الذين استقروا بمصر عدد كبير سكنوا البحيرة ، كما سئرى بعد قليل .  
 ومن وفود العرب سنة ٦٢ هـ ، جماعة قدمت بصحبة عبد الرحمن بن جندم  
 وإلى مصر من قبل عبد الله بن الزبير ، وتبعها قبائل ( جذام ) و ( عك )  
 و ( بلى ) و ( قيس ) ، وتلتها بطون و بطون ، استقرت كلها في جميع أرجاء  
 مصر ، واختلطت بالمصريين اختلاطاً سريعاً ، كتب له التاريخ أن يدوم أربعة  
 عشر قرناً من الزمان .

غير أن المقرئ (١) يذكر أنه لم يكن بمصر حتى سنة ١٠٩ هـ من قبائل  
 العرب غير ( فهم ) و ( عدوان ) وقد نزل العرب بأرياف مصر واستوطنوها  
 وتكسبوا بزراعة أراضيها ، وتزوج القبط بعد إسلامهم بالعربيات المسلمات .  
 ويبدو أن صلاح الدين الأيوبي قد أحسن معاملة عرب مصر ، فقرر لهم  
 سنة ٥٧٧ هـ في ميزانية الدولة مبلغاً كبيراً من المال وذلك بعد أن انحلت  
 الإقطاعات في أيام من سبقوه عن [ العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة ] وغيرهم  
 من الفقهاء والقضاة والصوفية كما تحدث عن ذلك المقرئ في « السلوك » ، وظلت  
 الموجات العربية تتدفق على مصر من شمال إفريقيا ولاسيا في القرن الثامن عشر ،  
 وتساهم في أحداثها ، وامتزجت بذلك العناصر العربية فجعلت مصر ملتقى  
 العروبة قديماً وحديثاً .

### عرب البحيرة .

قلنا إن عدداً كبيراً من أمراء الإسلام الأولين قد استقروا في مصر في مطلع  
 الفتح ، ومنهم الأشاعرة ، وقد استقر منهم في البحيرة عدد كبير توزعوا في  
 أرجائها نذكر منهم : الأمير جبير وقد سكن ( محلة الأمير ) وعلى الجبرتي وعبادة  
 ابن الصامت الذي استقر بالهنسا مدة .

ومن ذرية الأمير غانم : على بن خضر الذي سكن ( دبي ) ، وشيلى

غانم وقد سكن ( محلة بشر ) ، وسيدى محمد أبو الريش الذى استقر فى ( رشيد ) ،  
أما الأمير عيسى بن زهير — وهو أول أحفاد الأمير عيسى الكبير — فقد  
تزوج امرأة من البرلس اسمها ( طاوس ) فولدت له ولدا أسمته ( عيسى ) أيضاً ،  
ويتضح ذلك من هذا الجزء الذى ننقل إلى اليسار صورته الشمسية من المدونة  
المذكورة .

ولما قدم ( بنو هلال ) من غزة إلى مصر ، تصدى لهم الأمير عيسى بتجريدة  
عدتها أكثر من مائة فارس من أهله وأقاربه ، فانهزم بنو هلال رراعهم ما عليه  
خصومهم من شجاعة نادرة ، ولما عرفوا أنهم من ذرية الأمير غانم بعثوا فارساً  
من الزحلان إلى الأمير عيسى فقبل يده ، واصطاح الطرفان ، إذ تبين لكل منهما  
أنهم بنو رجل واحد ، وأكرمهم الأمير عيسى ، ثم ودعهم ، وبعد ذلك جلا  
( بنو هلال ) عن أرض البرلس إلى ( الزحلان ) و ( زغبة ) وأهدوا إلى عيسى  
لحذى بغاتهم المسماة عزيزة الزغبة ، فتزوجها بالبرلس ، وودعهم حتى أوصلمهم  
إلى ( تروجة ) من أرض البحيرة ، ثم عاد إلى البرلس .

ويقول أحد أولاد غانم مفاخرًا بحسبه ونسبه :

( لغانم ) راية من عهد الأكاير	على الرايات ترمى كل غادر
طليق الباع هشام الأعادى	إذا طالت وطالت فى الحوافر
أمير القوم من أب وعم	وخال و ( الأمارة ) و ( النواصر )
ملك ( أرض البحيرة ) مع ( تروجة )	وفى ( الجيزة ) له فيها أشاير

وقد حرص اليعقوبى على أن يذكر لنا فى القرن الثالث الهجرى منازل  
الطريق إلى المغرب ، وعندما تحدث عن ( الرمادة ) قال : [ وهى أول منازل  
البربر ( المغاربة ) ويسكنها قوم من ( مزاتة ) ، وغيرهم من العجم ، وبها قوم من  
العرب من ( بلى ) و ( جهينة ) و ( بنى مدلج ) وأخلاط ] .

ولعل فيما ذكره اليعقوبى إشارة إلى اختلاط المغاربة بالعرب على حدود إقليم  
البحيرة ، وسنرى فى ثنايا فصول الكتاب ما كان لهذه القبائل من كفاح على مر الزمان ،  
كما أن هذه القبائل أصبحت مصرية تنتسب إلى البحيرة بعد أن استقرت سلاطاتها فى

اهلها السادة الكرام فمنهم النفاطني عياض بن موسى بن عياض الايشوري رضي الله عنه ومنهم  
 سبدي ابي الحسن الايشوري رضي الله عنه / هارم الخقيق ودين اعيان الطريفي ومنهم سبدي  
 ابراهيم علي الفخميل بن عياض رضي الله عنه / كرمشداكي الله والي حمص تله والد اعيالي  
 جناب الله وحبسته ومنهم سبدي مزروع بن عياض الايشوري رضي الله عنه قتل بالبهنسا  
 ودفن بها ومنهم ولده سبدي محمد الكشوعي بالبركي رضي الله عنه ومنهم الا مير خبير بخلانة  
 والا مير رضي الله عنه ومنهم الا مير عباس بن مزراحش السليبي بحدينة صالحي رضي الله عنه  
 ومنهم سبدي محمد بن الكوي ساكن باب الكهلي رضي الله عنه ومنهم سبدي علي الجري بجمهر  
 وولده سبدي ساهر رضي الله عنها ومنهم سبدي عبادة بن الصامت بحدينة / نهنسا  
 رضي الله عنه ومن ذريته سبدي علي بن حفص بديني رضي الله عنه ومنهم سبدي غانم  
 بعلكت يشي رضي الله عنه ومنهم سبدي محمد ابي الكيش بناحية رشيد رضي الله عنه ومنهم  
 سبدي علي ابو الزيد بالبركي الا ان هجارو يسكن اولاد الا مير خاخر رضي الله عنهم فهذا

جزء من مدونة الأمير غانم ويبدو منه أسماء بلاد الجيرة التي سكنها أولاده

هذا الإقليم واتخذت منازلها فيه ؛ وكان الأشاعرة من ذرية الأمير غانم في الطليعة منذ الفتح الإسلامي ، ثم توالى الوفود ، فاستقرت به ( بنو قرة ) في القرن الرابع الهجرى حتى قدم التائر الأوى ( أبو ركوة ) من الأندلس ، واستعان بعرب برقة والبحيرة وانضم اليه بنو قرة ، ولكنه منى بالفشل سنة ٣٩٧ هـ ، وقبض عليه الفاطميون ، وتشتت شمل بنى قرة ثم عادوا إلى البحيرة واستولوا عليها وعلى الإسكندرية ، واشتبك معهم الفاطميون سنة ٤٤٢ هـ فاتتصر بنو قرة ، فعظم الأمر على الخليفة المستنصر بالله الذى لم يربدا من استقدام جموع من ( كلب ) و ( سنابس ) لكسر شوكة بنى قرة .

أما سنابس فهى تنسب إلى ( سنابس بن معاوية بن جرجول بن ثعل ) ، وأصلها من ( طى ) المعروفة بالجوهر الزائد ، والفروسية والشجاعة ، وكلها فضائل ورثها أهل البحيرة على مر الأجيال ، وعلى اختلاف أفخاذها وعشائرها .

وكانت ( سنابس ) تنزل أصلاً بأرض فلسطين على مقربة من غزة ، حيث ارتفعت رايته ، وزاد نفوذها ، واشتدت وطأتها على الولاة ، فبعث إليهم أبو محمد الحسن اليازورى سنة ٤٤٢ هـ وهو وزير المستنصر الفاطمى يستقدمهم إلى مصر ، فحفوا إليه بخيلهم ورجلهم حتى انتصروا على ( بنى قرة ) بعد قتال عنيف سنة ٤٤٣ هـ وأقطعهم البحيرة ، التى كانت يومئذ منازل ( بنى قرة ) وقد جلاوا إلى الصعيد واستقروا هناك فى إحدى قرى أسىوط وتسمى باسمهم إلى اليوم ، وبذلك علا شأن ( سنابس ) ، وأوطأهم الوزير أرضهم وديارهم ، ومكن لهم حتى اتسعت رقعتهم ، وظل الخلفاء والوزراء الفاطميون وراءهم بالتأييد .

وتمضى الأيام والسنون ، وتزداد ( سنابس ) بعروبتهما الأصلية اعتصاما واستمساكا ، وليس أدل على ذلك من حوادث عام ٦٥١ هـ عندما أعلن عز الدين أيوبك التركانى نفسه ملكا على مصر ، فأبى ( سنابس ) أن تباعه بالملك لأنه يملك سبق أن مسه الرق ، ليس فى شريعة الإسلام ، ولا فى عرف العرب أن يتحكم العبد الرقيق فى أمة من السادة الأحرار ، واجتمعت كلمة سنابس مع سائر القبائل الأخرى ، على إقامة الشريف حصن الدين مجد العرب ثعلب الجعفرى ملكا

على مصر ، ودارت رحى القتال في ( ديروط ) ، ففضوا إلى سخا ( غريبة ) حيث احتشدت جموع ( سنابس ) وأحلافهم من ( لواتة ) التي سكنت البحيرة ففتك بهم الترك فتكا ذريعاً وذلك ( سنابس ) وقلت ، وتشتت شملها في بلاد لإقليم الغربية ( أى غرب الدلتا ) ، ولكنها ظلت قائمة في مصر ، عند قدوم الغز صعبة ( أسد الدين شيركوه ) .

وكان من ( جذام ) و ( لحم ) بالإسكندرية عدد كثير عرفوا بالشجاعة والإقدام ، وسجلت لهم الأيام مفاخرهم وأمجادهم ؛ كما أنه كان من ( لواتة ) طوائف بالجيزة والمنوفية والبحيرة ، ونزل أيضاً عوف بن سليم بن منصور ابن تكرمة بالفيوم والبحيرة وبرقة ، وكان بالغربية والبحيرة طوائف من ( مزانة ) و ( زناتة ) وها من البربر ( المغاربة ) (١) ، وكانت منازل ( هواره ) في زمن الفاطميين بالبحيرة وانتشروا هناك من الإسكندرية إلى برقة حتى سنة ٧٨ هـ حيث أنزلهم الظاهر برقوق الصعيد الأعلى .

ومن الأفخاذ والعشائر التي تنسب إلى - سنابس - كما يقول المقرئ (٢) - بنو لبيد ، وعمر ، وعدى ، وأبان ، وجرم ، ومحصب ، وقنه ، وإلى قفه هذه ينسب معالى بن فريج مقدم سنابس بالبحيرة وقد اشتهر بالمروءة والكرم والشجاعة . وقتل بالقاهرة .

ومنهم أيضاً ( الخزاعلة ) الذين تفرعت عنهم ( بنو رميح ) وقد سكنوا ناحية ( درشا ) بالبحيرة وتعرف اليوم باسم ( زاوية أبو شوشة ) التابعة للدلتا ، وكانت لسنابس أحلاف كثيرون منهم عذرة ومدلج ، وكان يجاورهم أعيان الفاطميين في خلافة الفاتح ووزارة الصالح .

وقد ظل العرب في مصر منذ الفتح إلى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الأقل وهم يكافحون في سبيل البقاء ، وقد اعتبر القلقشندي أمراء العرب في مصر في الطبعة الرابعة والأخيرة من « دولاة الامور » ، وكان خالد بن أبي سليمان

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب : السويدي .

(٢) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب .

وفائد بن مقدم في مقدمة أمراء البحيرة في عهد قلاوون كما يقول القلقشندي (١) ، وهما كما يقول ابن فضل الله العمري (٢) أميران سيدان جليلان ذوا كرم وأفضال وشجاعة وثبات رأى وإقدام ، وقد اتقى القلقشندي في الإسكندرية بأمير عرب برقة بعد سنة ٧٨٠ فوجد آثار الخير ظاهرة عليه . . . وقدمت من طرابلس الغرب في أزمنة متتابعة قبائل عربية هي : المغاربة ، وأبو كريم ، ومحارب ، كما يقول لطفى السيد (٣) والمغاربة هم عرب ابن وافي ، وطرهونة عرب أبي كريم ، والمحارب وبنو سلام .

و ( أولاد علي ) من ( العقاقرة ) نسبة إلى جدهم ( عقار ) ويسمون أيضا ( الزيانبة ) وهم فرع من ( الجعافرة ) لأنهم ( أولاد دلي ) بن عبد الله بن ( جعفر ) ابن أبي طالب وأمه ( زينب ) بنت الإمام علي كرم الله وجهه ، وعلى ذلك ينتمى ( أولاد علي ) إلى ( قریش ) ، وقد وفد العقاقرة على مصر جماعات جماعات منذ مائتي سنة ، كما قدم ( الجوازي ) في القرن الماضي وظلت قبائل ( سليم ) في ( الجبل الأخضر ) حتى حروب الطليان الأخيرة .

وقد قامت الحملة الفرنسية بإجراء إحصاء عن العرب في مصر فكانوا : ١٣٠ ألفاً ، كان منهم في البحيرة وحدها قبائل أولاد علي وآخرين ، وفي تعداد مصر سنة ١٨٨٢ تبين أن بها ٧٥ قبيلة عربية هي : أولاد علي وشيخها علوان محمود وتقيم بالبحيرة ، ولها فروع في طرابلس والشمال الغربي من مصر منها قبيلتان : الجمعيات والأزد بالدلتا ، وسالموس بالصعيد (٤) .

وتنقسم بنو عقار ( العقاقرة ) إلى قبيلتين هما الحرابي وأولاد علي وهذه تعتبر أكبر القبائل العربية في مصر ومقرها البحيرة ، وقد وفدت بعد بني سلام في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، وقد ذكر نعوم شقير (٥) أنهم كانوا

(١) صبح الأعشى : ج ٣ ص ٦٧ .

(٢) مسالك الأبحار .

(٣) قبائل العرب في مصر .

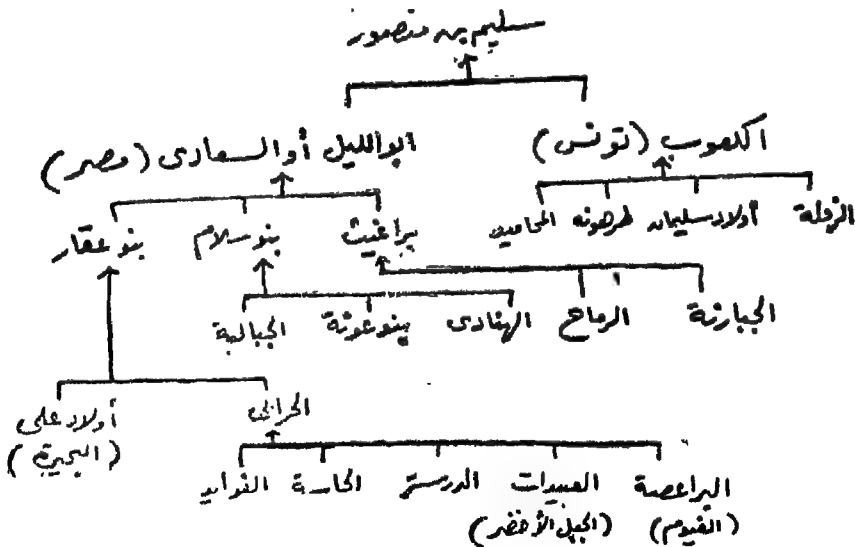
(٤) Description de l'Egypte : T : 18 P : 59 +

(٥) تاريخ سيناء ص ٢٦٣ .



قدمون كل سنة نحو ٥٠ جملا للمحمل مناوبة مع العرب الآخرين ،  
 وكان ( أولاد علي ) منتشرين في البحيرة والدقهلية والغربية والمنوفية ، بينما  
 كان ( الهنادي ) في الشرقية والقليوبية والمنوفية وبنى سويف والفيوم .  
 كانت قبائل عرب البحيرة إذن هي : أولاد علي والبهجة وبنو عونة والجوابيس  
 ( الجوابيس ) (١) ، والجميعات والحوارة ، واللزد ( الأزدي ) والنجمعة والثمامة ،  
 وبنو هلال الذين باسمهم إلى اليوم قرية ( بني هلال ) التابعة لمركز دمنهور ، وهم  
 بطن من بني عامر بن صعصعة .

وقد جاء في نشرة قانون العربان ، الرسمية المؤرخة ٧ يناير سنة ١٩٠٦ أن  
 في مديرية البحيرة : أولاد علي ، وفروعها ( أولاد علي الأحمر ، وأولاد  
 خروف ، والسنا ، والسناقرة وعمدتهم عمر بن خير الله الدجن ) ، والجميعات ،  
 وسالوس ، والدمينات ، والقوايص ، والقيام ، وهوارة ، والرباع ، واللزد .  
 وأغلب الظن أن القبائل العربية المتأخرة أى الإفريقية تنسب إلى سليم بن  
 منصور حسب الجدول الآتي :



(١) لها القوايص نسبة إلى بني قبيصة ، فجرى عليها تحريف في النطق

ومن هذا يتبين أن (أولاد علي) كانوا بالوجه البحرى فقط وفى تعداد سنة ١٩٢٤ بلغ عددهم ١٩٣٤٤ نفسا .

وهم جميعاً قبائل رحالة ، برع أفرادهم فى إرشاد السالكين فى الصحارى إلى ارتيادها بأمان ، والواحد منهم مرتفع القامة ، وأعضاؤه غير مستديرة ، والأغلب عليهم نحافة الجسم ، ولون البشرة أبيض لوحته الشمس ، والمرأة بارعة الجمال متناسقة الأعضاء ، مع الشجاعة والمروءة والحياء ، وهم يفخرون بصراحة أنسابهم ، وسلامة أصولهم من الشوائب . ويندر أن تنعقد المصاهرة بينهم وبين غيرهم ، اللهم إلا فى السنين الأخيرة وعلى نطاق ضيق جداً ، كما أنهم يتعلمون من آبائهم وأجدادهم سلسلة أصولهم ويعلمونها لأبنائهم وأحفادهم لاستكمال فروعهم ، ويحرصون على تذكر مواقفهم المجيدة ، وما قيل فيها على ألسنة البدو من شعرائهم بما يشبه الملاحم والأساطير ، والمتعلمون منهم فى العصر الحاضر يكتبونها ويتلوونها على غيرهم ، على سبيل العزة والفخار ، كما سنرى ذلك فى موضعه .

ويشهد التاريخ أن عرب البحيرة ولا سيما فى (خربتا) قد كانوا أهلاً لاحترام الولاة ، وفى سنة ٣٧ هـ ساهم قيس بن سعد فى كتابه إلى الخليفة على بن أبى طالب وأسود العرب ، وكان منهم الزعماء الذين سنتحدث عنهم فى غير هذا المكان .

وفى عصر بنى أمية ، لقي ترب مصر عامة ، من الأذى ما جعلهم ينددون عن حياتهم ، حتى تصير مصر ولاية ابنى العباس ، فأتى العرب أن يحكمهم ولاية من الأتراك ، وكان لبنى مدليج فى البحيرة وما حولها مواقف باسلة فى هذا الصراع .

وفى أواخر القرن الثامن الهجرى أذن السلطان الظاهر برقوق لطوائف من (هواره) بالقدوم إلى مصر من (سرت) و (طرابلس) فنزلت جماعة بالبحيرة ، ونزلت أخرى بالصعيد ، أما فرع البحيرة فقد انتشر انتشاراً واسعاً فى أرجاء

الإقليم ، وفيما بين الإسكندرية غربا ، والعقبة شرقا ، كما يقول المتعري والقشندى (١) .

وفي آخر القرن الثامن الهجرى هجمت ( زناتة ) وحلفاؤها من عرب البحيرة ، فأجلت ( هواره ) عن منازلها إلى ( جرجا ) وما حولها ، وهناك اشتد بأسهم وارتفعت رايتهم .

ويجب أن ننبه إلى بطون ( هواره ) لنعرف مدى اتساع نفوذها في الشمال والجنوب وهذه البطون هي : أبو محمد وأولاد مأمون وبندار والعرايا والثلثة وشحوم وأولاد مومنين والزابع والروكة والبركية والبهاليل والاضابغة والدناجلة والمواسية والبلازر والصوامع والسدادرة والزبانبة والخيافشة والطردة والاهلة وأزلتين وأسلين وبنو قمير والتبية والتبايعه والغنائيم وفزاره والعبادة والاساورة والغليان السبعة .

وفي هذا القرن أيضا كانت الإمرة على عرب البحيرة في أيام الناصر محمد بن قلاوون لفايد بن مقدم وخالد بن أبي سليمان وهما من أمراء العرب وسادتهم كرما وشجاعة ، ويسكني أنهما من ( فائد ) وهى فرع أصيل من بني سليم التي جاءت إلى مصر سنة ١٠٩ هـ في ولاية الوليد بن رفاعه .

ومن فروع بني سليم هذه انتشر العرب من الإسكندرية إلى برقة وأشهرهم بنو هبيب الذين نسب إليهم ( وادى هبيب ) المعروف الآن بوادى النطرون ، ومن الإسكندرية إلى العقبة الكبيرة وأشهرهم فائد وخفاجة وهواره وسماك ولبيد وسلام وفزاره ومحارب وقطاب والزعاقية وبشر والجواشنة والبعاجنة والقباييص ( القواييص ) وأولاد سلمان والقصاص والعلاونة ( بنو علوان ) ، ومن أولاد مقدم المنتشرين في هذه الجهات بطنان : أولاد التركية وأولاد فائد مقدم سلام .

ولإذا تركنا للتعشندى الحديث عن قوة نفوذ عرب الهواره بعد نزوحهم من البحيرة إلى البهنسا وديروط وجرجا وإخميم وأسوان ، وما صار لهم هناك من

إمارة ، فلنرجع إلى ما يضارعها في البحيرة في الدولة الناصرية القلاونية حيث علا شأن خالد بن سليمان وفائد بن مقدم وقد أفاض ابن فضل الله العمري في وصف فضائلها على نحو يدعو إلى مطالعة ما ورد في كتابه « مسالك الأبصار » .

## في العصر التركي

و بالرجوع إلى (ابن إياس) مؤرخ القرن العاشر الهجري للوقوف على مظاهر النشاط العربي في مصر منذ بدأت شمس القرن السابع في الغروب نرى أن الصور التي رسمها صاحب « بدائع الزهور » عن عرب مصر عامة ، غير واضحة المعالم ، ولكنها تتمشى مع ما عرف عنهم من النخوة والشهامة وغيرهما من صفات البداوة التي ذكرها ابن خلدون ( في المقدمة ) .

فلنرجع قليلا إلى ما قبل ذلك لنربط الأحداث بعضها بعضا : ففي أواخر القرن السادس الهجري ، نرى اختلاطا بين عرب البحيرة وبين عرب ليبيا الذين يسميهم المقرئى (عربان الغرب) ففي أحداث سنة ٥٩٢ هـ هبط عرب المغرب إلى البحيرة ، سعيًا وراء العيش ، فقد كان أهل المغرب يشكون مجاعة طاحنة ، فلم يجدوا متنفسا لهم إلا البحيرة التي كانت عامرة بالخيرات .

غير أن أهم الأحداث في تاريخ عرب البحيرة هو ما جرى سنة ٦٥١ هـ فقد اتخذ العرب موقعا كانت له خطورته بالنسبة للأتراك ، وفي هذه السنة ثار العرب في الصعيد والوجه البحري ، وقال الأمير الشريف حصن الدين ثعلب : « نحن أصحاب البلاد ، ودعا إلى منع الأجناد الأكراد من جباية الخراج بعد أن أنف عرب مصر من خدمة الترك وقالوا : إنما هم عبيد للخوارج ، وكتبوا إلى صاحب دمشق الملك الناصر يستحثونه على القدوم إلى مصر :

يومئذ كان العرب من الكثرة والوفرة بحيث أخذوا يلتفون حول حصن الدين في (ديروط) قادمين من أقصى الصعيد وأطراف بلاد البحيرة (١) والجيزة والفيوم ، وكانوا اثني عشر ألف فارس ، والمشاة لا يحصون عددا ، فأرسل إليهم

---

(١) السلوك : المقرئى

المعز أيلك الأمير فارس الدين أقطاي جمدار في خمسة آلاف فارس ، وقامت معركة عند ( ذروة ) من أعمال ( المرتاحية ) ، وتفانى العرب دفاعا عن حصن الدين ، ومات منهم أربعمائة ، ولكنهم لم يصمدوا أمام الترك الذين عادوا بالغنائم إلى ( بلبس ) وعبروا إلى عرب ( سنبس ) و ( لواتة ) في سخا وسنهور ، وسجن حصن الدين بالإسكندرية ، وزيدت القطيعة ( الغرامة ) على العرب ، وعوملوا بالقسوة حتى ذلوا وقلوا .

ولما لنى ( البحيرة ) منذ نشأت دولة الأتراك ( ٦٤٨ هـ ) نزهة ملوكهم وسلاطينهم :

ففى سنة ٦٦١ هـ أقام السلطان الظاهر بيبرس فى ( تروجة ) ثم توغل فى الصحراء ، وضرب حلقة فوق فيها صيد كثير ، وفى نفس السنة بعد عودته من الإسكندرية إلى القاهرة نزل ثمانية بتروجة وأمر عربائها بالسباق بين يديه ، فاجتمع من ( عرب تروجة ) وحدها ألف فارس وانضم إليهم فرسان السلطان . وقد عين لهم مسافة السباق ، ووقف يشرف بنفسه من فوق تل مرتفع ، وأعد الجوائز السخية من ثياب وأموال .

وفى العام التالى ، أدركه عيد النحر وهو فى ( تروجة ) وقد ضرب الحلقة برسم الصيد ، وهناك علم بأمر قطاع الطرق من عرب هواره وعرب سليم ، فألزمهم بعارة البلاد ، وجعل سيف الدين عطا الله بن عزار شيخا على عرب برقة وألزمه بالتزام أمور الدين فى جباية الزكاة والعشور .

وتوجه إلى البحيرة الملك الأشرف خليل ، وقد سبقه ( ابن السلوس ) لإعداد اللازم ، وضرب خيامه بالحمامات الواقعة غربى ( تروجة ) وأقام بها مدة حتى أبدى رغبته فى التوغل فى الصحراء للصيد منفردا وهناك قتله أسراؤه فى ١٥ محرم سنة ٦٩٣ هـ وأقاموا بعده الأمير ( بيدرا ) نائب السلطنة ، وحمل والى ( تروجة ) الأمير أيدمر الفخرى جثة الملك على ظهر جمل ليدفن بالقاهرة .

ولما سمع أنصار الأشرف بهذه الفاجعة أرادوا الانتقام من ( بيدرا ) ، الذى التقى بجمعهم عند ( الطرانة ) فانتصروا عليه ، فرجع ( بيدرا ) بعرب الجيزة من ( الطرانة ) إلى البحيرة .

وفى سنة ٦٩٩ هـ بعث السلطان قلاوون حملة قوامها عشرون أميراً - على رأسهم الأمير بيبرس المنصورى أمير دوا دار كبير - لكسر شوكة الطوائف العربيتين بالبحيرة : جابر ومرديس ، والتجم القتال فى ( تروجة ) ونال العرب من هذه الحملة أذى كبير ، فقد تشتت شملهم ونهبت جواهرهم وأغنامهم ، وسبيت نساؤهم ، وأسرت أولادهم .

وتتضى السنون تباعا طوال القرن الثامن الهجرى ، وطابع الحكم التركي يتميز بالموارات والغلاء والطاعون ، ويطمع الأجنى فى غزو مصر كما حدث سنة ٧٦٧ هـ حيث غزا أسطول القبارصة نهر الإسكندرية ، فهب عرب البحيرة للدفاع عنها بالمهيج والأرواح ، ومما قاله شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة فى هذه الواقعة يرى الإسكندرية :

أتاها من الإفرنج سبعون مركبا وضافت بها العربان فى البر والبحر  
ومح ذلك لا تلقى البحيرة - وهى متنزه السلاطين والملوك - أى اهتمام ، فإذا فاض النيل ، صارت أراضيها يركا ومستنقعات ومخاضات ، هكذا وجدها السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٧١ هـ فى طريقه إلى الإسكندرية .

أما (دمهور) عاصمة البحيرة فقد تعرضت سنة ٧٨١ هـ لغارة شنعاء من خمسة آلاف رجل يترعهم بدر بن سلام ، نهبوا أسواقها وبيوتها ، وخرّبوا عدة بلاد أخرى ، فبعث الأتابكى برقوق - وهو يومئذ الوصى على السلطان القاصر - ثمانية من الأمراء المقدمين هم : آلان الشعبانى أمير السلاح ، والطنبغا الجوبانى أمير المجلس ، وأيتمش البجاسى رأس نوبة النوب ، ومأمون القلمطاوى وبلاط الصرغتمشى ، وبهادر الجمالى ، ونزار العمرى الناصرى وهم من المقدمين ، ومعهم ١٠ أمراء طبليخانات ، و ١٢ أمير عشرة ، ونحو ٤٠٠ من المماليك السلطانية :

وضرب العساكر خيامهم بالبحيرة ، وأعد للعرب كمين بالليل ، فلما هجموا على الخيام وجدوها خاوية على عروشها ، فانقض عليهم الأتراك بالسيوف ، فقتلوا نحو ألف ، وكان عدد الأسرى أكثر من ذلك ، وغنموا من المواشى ما لا يعد ولا يحصى ، ولاذ بدر بن سلام بالفرار إلى الجبال فى جنح الظلام ، وساق

العساكر أمامهم جموع الأسرى والغنائم إلى القاهرة .

وفي هذه الواقعة يقول الشاعر البدوي خلف الغباري .

سوقها وأخربوا البلد	جا دهن-ور عرب خدو
هو اللى للجميع حشد	وابن سلام أميرهم
سعدتها زال واختفى	البحيرة من الفستن
وقد تكدر الصفا	وبقى فرحها حزن
كل حد شهوتو رغيف	جا ابن سلام معو رجال
وذا فى رقبتهو شليف	ذا على رقبتهو تفال
وذا لودرع خوص وليف	وذا لو درع سيسبان
وخرا ئطهم الجعب	والقسى قسى من نخيل
وخودهم قصع خشب	وصواريهم الجريد
هدت الترك ما بنى	جا بنى شىء بلا أساس
خربت حين لها دنا	وتررجة المعمره
والسكفات من العنب	قلعوأ أبوابها الجميع
وعليه يوقع العتب	يسكو بدر يعتبهوه
لصلاح النساء فسد	بدر تبت يدا أباه
جيدها جبل من سد	كم مليحه أنت وفى
( بدر ) فى ذا الذى قصد	وقال لى شخص من(حنين)

فى هذا الشعر البدوى الساذج إزاحة الستار التاريخى الذى حجب عنا معالم الحياة فى هذا العصر ، وما كان يستعمله البدو من أسلحة فطرية ، وما كان مع الترك من الحديد والفولاذ ، كما يتبين لنا من هذا الشعر مظهر العمران فى (تروجه) وما كان بها من مساكن وكروم ، وفى الشعر أيضا إشارة إلى اعتزاز بدر بن سلام بكثرة رجاله فلم تغن عنه شيئا ، كما حدث للمسلمين من النصر فى غزوة (بدر) على قلتهم ، ومن الهزيمة فى غزوة ( حنين ) على كثرتهم .

ولم يهدأ مع ذلك لعرب البحيرة بال ، فتجمعت قبائلهم وقررت الانتقام

للشرف العربى المثلوم ، وبدأوا يستردون منازلهم ، فبعث إليهم السلطان حملة من ٥٠٠ مملوك ، وعلى رأسهم أمير السلاح آلان الشعبانى ، فانتصر عرب البحيرة وقتلوا عددا كبيرا من المماليك ، وسمع السلطان بما جرى ، وتواترت الأنباء فى القاهرة ، فأوفد نيابة عنه حاكم الاسكندرية — وهو نائب سلطان — فخرج إليهم بعدد كبير من العرب ، فهزمهم وطاردوهم فى الصحراء حتى وصلوا إلى برقة .

ولم يكتف عرب البحيرة بهذا النصر وما قبله ، بل مضوا يستردون الأسلاب فبعث إليهم السلطان سنة ٧٨٣ هـ الأتابكى برقوق على رأس حملة من خمسمائة مملوك ، عليهم ستة أمراء مقدمين ، ولكن الدائرة فى هذه المرة دارت على عرب البحيرة ، إذ بلغت خسارتهم نحو تسعة آلاف رأس من الإبل والغنم والماعز ، ساقها الترك بين أيديهم إلى القاهرة .

وغربت شمس سنة ٧٨٤ هـ على صفححة دولة الأتراك ، وبدأت دولة الجراكسة ، وعرب البحيرة هم العرب ، على الرغم من هـذا السور الذى أمر السلطان الظاهر برقوق بإقامته حول دمنهور لصد غارات العرب عليها .

وفى سنة ٨٠٣ هـ تواترت الأخبار بما يجرى فى الشام على يد تيمورلنك ، فأسرع الناصر برقوق بجمع فرسان العرب المصريين فوفد إليه من عرب البحيرة ستة آلاف فارس ومعهم كاشف البحيرة ، كما وفد من عرب الشرقية ٢٥٠٠ ومن بنى وائل ١٥٠٠ ومن جبل نابلس ٥٠٠٠ ، وبهذا كان فرسان عرب البحيرة أكثرهم عددا .

شعر عرب البحيرة أنهم لم ينالوا حقهم كاملا منذ حدثت (موقعة دمنهور سنة ٧٨١ هـ) ، على الرغم من تلبية نداء السلطان كدسا حزب الأمر ، وهم الأكثرون عددا ، فنارت ثأرتهم سنة ٨٠٤ هـ ، وما لبث الناصر أن جرد عليهم (١)

---

(١) بكتمر الركنى أمير سلاح والمقر السعدى إبراهيم بن عراب أمير مجلس ، والمقر السيفى يشبك الشعبانى أمير دوا دار ، وسودون الماردىنى ولبغا النامرى ، ولينال باى ابن قجاس وسودون بن عسى باى وقطلوبا الكركى وآلان اليجساوى ولينال الملائى نائب حلب .



حملة من ٤٠٠ ملوك يتقدمهم ١٠ من الأمراء مقدمي عشرة المذكورين و ١٤ أمير طبلخانته ، و ١٤ أمير عشرة ، و طاردوا عرب البحيرة إلى برقة بعد نهب أموالهم .

أما الأمراء الذين أوفدهم السلطان إلى الشام فتقدموا فخرجوا عن طاعته سنة ٨٠٦ هـ وسمع بذلك العرب في مصر ، مما شجع عرب الشرقية والغربية على الوقوف صفاً واحداً مع إخوانهم عرب البحيرة ، والأخذ بثأرهم من السلطان وأمرائه وماليكه .

ولا ندرى لماذا أغفل المؤرخون ذكر تحركات العرب المصريين من سنة ٨٥٧ هـ فلا نظفر إلا بلبحة خاطفة عن بعض القبائل العربية في البحيرة عند المقرئ (١) ، في حديثه عن خليج الإسكندرية فيقول [ ويثرب بن خليج الإسكندرية وما يفيض منه أهل الباطن ( ويقصد بطن الريف ) وأهل البحيرة في فيجاج وأودية ، فيكون ذلك الماء صلة وهم قبيل من : ( دنانة ) و ( الرحانة ) و ( بنى يزان ) و قبائل البربر ( المغاربة ) ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج ] . ومن هذه العبارة وحدها نفهم وجود قبائل عربية هذه أسماؤها تقطن أطراف البحيرة المتصلة بقبائل العرب الليبية اعتماداً على ترجمة الإسكندرية .

ويقول ابن إياس عن حوادث سنة ٨٥٧ هـ إن عرب البحيرة قتلوا غدرا كاشف البحيرة قشم المحمودى الناصرى ، وخلفه في كشف البحيرة حسن الدنكرى ، ثم يعود ابن إياس فيحدثنا عن خروج حملة البحيرة سنة ٨٥٨ هـ يتقدمها باش العسكر جانم الأشرفى ، وبرسباى البجاسى ، وجماعة من الجنود ، لماذا ؟ لأجل عرب البيد .

ونستطيع أن ندرك من ثنايا هذه العبارة المتمتصة أن العرب في مصر عامة - وفي البحيرة خاصة - كانوا لا يزالون يناصبون الأتراك العداء ، حتى بعث إليهم السلطان الجديد خشدتم سنة ٨٦٩ هـ حملة يتقدمها خمسة أمراء مقدمين منهم الأمير قرقاس الجلب أمير سلاح ، والأمير جاني بك قلقسير .

وانتهز عرب البحيرة كثرة الثغرات المفتوحة على السلطان ، فساروا ضده وأيدهم عرب الشرقية والغربية والصعيد سنة ٨٧١ هـ ، واستولوا على بلاد المقطعين من الأمراء ، وأشعلوا النار في الجرون ، فعزل السلطان كاشف البحيرة خشقدم ، وعين في مكانه محمد الصغير ، كما تقرب إلى شيخ العرب صقر وجعله شيخ عربان البحيرة .

ولكن السلطان كان عاجزا — مع ذلك — عن مواجهة الموقف الدقيق ، فأفلت منه الزمام ، وقويت شوكة عرب البحيرة ، وقد تلاحت النكبات من بين يديه ومن خلفه إذ تفشى الطاعون في البلاد ، وثار عليه الشرقية والصعيد ، ثم إن ( سوار ) قد ألحق الهزيمة المنكرة بعسكره سنة ٨٧٣ هـ مما اضطره إلى خفض نفقات العسكر ، كما فعل بالأتاكي أربك باش عسكر البحيرة ، الذي تمرد على السفر إليها ، لكسر عربان لبيد الثائرين ، مما دعا الأمير يشبك ، إلى طلب النجدة سنة ٨٧٥ هـ ، فخرج إليها أربك وهو غير مستريح البال ولكنه صد هجاتهم ، وظل على هذا النحو سنتين كاملتين ، ثارت خلالها عرب بني وائل وبني حرام ، وزحفت على القاهرة . وتبعهم عرب البحيرة ، ولكن أربك تغلب عليهم وساقهم إلى الحديد إلى القاهرة وأودعهم سجن ( المنشرة ) .

وصمم السلطان قايتباي على أن يلتزم من عرب البحيرة أشد انتقام ، وبلغ منه الأسعار مبلغه ، حينما أمر سنة ٨٧٩ هـ بتوسيط (١) كاشف البحيرة خشقدم الزيني والكاتب ابن الطواب لمجرد تأخيرها في سداد المال المستحق عليها ، كما أمر بسجن سليمان بن عيسى أمير عرب هواره حتى مات في سجنه سنة ٨٨١ هـ ، وكان كلما ثارت ثائرة العرب في الشرقية أو الغربية أو البحيرة أو الصعيد ، فكل السلطان بزعم الثوار أشد التنكيل ، كما فعل بهواره الصعيد وزعيمهم يونس بن عمر سنة ٨٨٢ هـ الذي قتله وحز رأسه ، وكما شنق قاسم بن بيبس بن بقر شيخ عرب الشرقية سنة ٨٨٥ هـ وهو من خيار بني بقر ، كما يقول ابن لإياس ، وكما توفي محمد بن عجلان بن بقر سنة ٨٨٦ هـ مما جرى عليه من الشدائد والمحن ، وكما

(١) التوسيط : ضرب الشخص من وسطه بالسيف حتى ينقسم قسمين .

بعث ابن الزرازيرى السكاشف برأس محمد بن عامر وغيره من عرب الهوارة وشيوخهم سنة ٨٩٠ هـ ، للطواف بها في شوارع القاهرة .

في هذه الحقبة العصبية ، كانت البحيرة على فوهة بركان ، لهذا عزل كاشفها أمير سلاح قراكن مملوك تمرز ، وجعل مكانه أحد أقربائه المقربين وهو الأمير كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر ، ويومئذ كان شيخ عرب البحيرة محمد الجويلي المعروف بشدة بأسه ، وصلابة عوده ، وقد بعث إليه السلطان بحملة من ٢٠٠ مملوك يرأسهم باش العسكر قرقاس المعلم أحد الأمراء العشراوات ، وأسبأى المبشر وأزبك قفص ، ومامأى ، ودارت رحى القتال بين الفريقين ، ولكن الترك لم يظفروا من هذا العربي ومن معه بأذى طائل ،

وذا ذاك اشتد ضغط العثمانيين على الشام ، وأحس السلطان بالخطر يقترب من مصر ، فكلف كرتباى الاحمر بجمع ما يقدر عليه من فرسان البحيرة ، وعرض على كل فارس ٣١ ديناراً ، ولكن جدوة الخصومة ما تزال في اشتعال خلال عامي ٨٩١ و ٨٩٢ هـ في هذه المنطقة الحساسة وكذلك في الشرقية والغربية ، وقد حاول السلطان من سنة ٨٩٣ حتى سنة ٨٩٥ هـ أن يجمع من فرسان العرب المصريين حملة يصد بها آل عثمان بلا جدوى ، ويغتم الممالك الجلبان هذه الفرصة فيطالبون بحقوقهم ، فيجمعهم ويهددهم ( بالنزول عن الدكة والفسر إلى مكة ) . وما يزال يتلطف بهم ، ويتودد إليهم ، حتى ينصرفوا بما أغدق عليهم ، ثم يرسل حملة في سنة ٨٩٨ هـ إلى البحيرة ، وتلى رأسها الأمير أزبك اليوسفى رأس نوبة النوب ومعه عدة وافرة من الأمراء العشراوات والجنود ، بينما يحصد الطاعون أرواح الشعب حصداً ، ويترصد جماعة من العرب عند ( تروجة ) لاثنيين من أمراء السلطان بعث بها من القاهرة لقتل الاتابكي تمرز وتانى بك قرا بالإسكندرية فيقبض عليها العرب — ولا يقتلونها — بل يبعثون بها إلى الإسكندرية ليكون السجن مأواها سنة ٩٠٢ هـ وتأتى السنة التالية وطابعها [ الغلاء والفناء والمصادرات وجور السلطان في حق الناس وأذى الممالك في حق الرعية ] كما يقول ابن إياس . وتبلغ الحمية حدداً عند اثنين من أبطال العرب في البحيرة هما الجويلي ومرعى سنة ٩٠٤ هـ ، فقد عقدا العزم واقسما ألا يمكنا أرباب الدولة من خراج الغريبة

والبحيرة ، فقتل الله الرعب في قلب السلطان ، وخشى سوء العاقبة ، إذا هو قابل هذا التحدى بحملة من حملاته ، فكظم غيظه :

ونار عرب عجالة سنة ٩٠٤ هـ على كاشف البحيرة ، ووحفت جموعهم حتى بلغوا ( الوراق ) قرب ( شبرا ) ، واتجهوا من خلف ( الجبل الأحمر ) نحو بحر ( بلامه ) قبالة ( طرا ) ثم ( المعصرة ) . ونزلوا بها ، فأرسل السلطان من يصد هجماتهم ، فكان النصر لعرب ( عجالة ) الذين أوعنوا في الترك تقتيلا وتذبيحا ، ومضوا إلى الصعيد غانمين ، فلما جاء المدد من قبل السلطان ، وجدوا أرض المعركة تغطيها الدماء والأشلاء ، فعادوا مغموين ، وكان اليوم عيد المطر ، الذي انقلب في القاهرة مأتماً ، والسبب في هذه الواقعة هو [ أن الترك استخفوا بالعرب فأكنوا لهم أكنة فخرجت الترك وخرج العرب من ورائهم فانكسروا وقتل منهم من قتل ] (١) .

وتوجه طومان باي الدوادار الكبير إلى ( عجالة ) بالصعيد ، فقبض على نحو ٣٠٠ منهم ما بين رجل وامرأة وصبي ، جاء بهم أسرى إلى القاهرة وهم في حالة يرثى لها ، فقد كان الرجال في الحديد ، والنساء والصبيان في الجبال ، ورموس الشهداء معلقة في رقاب النساء ، وكان اليوم عيد الحمل ، فكانت الفرجة فرجتين ، وأمر السلطان بتسميرهم على الجبال والطواف بهم في شوارع القاهرة ، وعلقوا كل عشرة منهم على باب من أبوابها ، وصارت العامة ترجعهم بالحجارة .

ونهب العرب في الشرقية والغربية سنة ٩٠٨ هـ حتى أوشكوا أن يملكوا البلاد من أيدي المقطعين ، فتوجهت حملة سلطانية إلى الشرقية ، فبادت بالحنية والفشل ، وتوجهت أخرى إلى البحيرة ، يقودها أربك المكحل ، أحد المتقدمين ودولات باي قرموط ، ففعلت بعرب البحيرة ما لا يدور بخلد إنسان ، إذ بلغت الوحشية بالأتراك إلى درجة أنهم كانوا يقطعون رموس شباب العرب ويرسلونها إلى التاهرة على الجمال ، في شلف التبن ، وكان طراباي ينشر العربان بالمشار من رموسهم إلى أقدامهم ، ويسلخ الكثير منهم ، وزاد ددد القتل من العرب على الألفين .

(١) ابن مياس : بدائع الزهور .

ومع هذا كله ، لم يهدأ للعرب بال ، ولم يشجع سعار الأتراك ، حتى جاء عام ٩١٨ هـ فتحالت سبع طوائف من عرب البحيرة ، على الأخذ بالتأثر ، وانضم إليهم عرب ( عجالة ) وغيرهم ، وحاصروا البلاد ، وكان فيهم شيخ العرب الجويلي ، فوقع السلطان بين نارين : العرب من جانب ، وإسماعيل شاه الصفوى من جانب آخر ، وصدرت الأوامر للعسكر بالإقامة بالبحيرة إلى ما بعد وفاة النيل سنة ٩٢٠ هـ مع أن طومان باى قد عاد من البحيرة ، وترك بها الوزير يوسف البدرى ، فتمد كانت البلاد في أشد حالات الفوضى والاضطراب ، سواء في ذلك الدواوين أو المدائن والقرى منذ لقي الجويلي حتفه ، مما شجع عرب ( عجالة ) على الزحف إلى ( البدرشين ) قرب الجيزة ، والنزول بها ، فباغتهم طومان باى ، الذى أسر منهم نحو ١٦٠ ، وقد اعتزم السلطان على تسميرهم على أبواب القاهرة ، لولا أن خوفه الأهرام من ذلك ، وإلانهت ( عجالة ) إقليم الجيزة .

ودقت أجراس الخطر على أبواب القاهرة ، وكان الخراب يعم البلاد ، والطاعون يفتك بالعباد ، ومع ذلك يبدأ السلطان الغورى رحلته إلى الإسكندرية ورشيد عبر البحيرة ، في شهر ذى القعدة من عام ٩٢٠ هـ فيكون خط سيره هكذا : المنية ( أى بولاق ) والمنصورة والنجيلة حيث قضى ليلتين وأحضر له الصيادون تمساحاً فأمر بتوسيطه ثم وصل إلى نهر رشيد ومن هناك إلى الإسكندرية في موكب حافل ، وتقبل التقدّم من الكشاف والمشايخ ثم عاد إلى دمنهور والنجيلة ثم الطرانة فالمنصورة فالمنية ثم كان الاستقبال الرسمي بالريديانية .

وفي العام التالى زار رشيد ودمياط والإسكندرية ليتفقد بنفسه الأبراج استعداداً للقاء العثمانيين ، وقد أمر ببناء سور على رشيد من البحر ، وهو يعلم أنها مفتاح الهجوم على مصر ، قبل غيرها من الثغور ، ولجأ بعد ذلك إلى استئلاف قلوب المماليك ولا سيما العاطلين منهم ، فوزعهم على البحيرة والطرانة ، ليكونوا مع الكشاف في صد غارات العرب ، وحفظ البلاد من أعداء السلطان وكان الأمير قانصوه أبو سنه ، متولى المماليك العاطلين المبعوثين إلى البحيرة .

وصار طومان باى سلطانا على مصر بعد الغورى ، وكان الأمير طقطباى حاجب الحجاب والمتحدث فى كشوفية البحيرة قد اعتزم السفر إليها ، فأنكر عليه الأمر ذلك ، فانصرف عن عزمه .

## العصر العثماني

واقتربت ساعة الغزو العثماني لمصر ، فجمع السلطان فرسان العرب المصريين وشجعانهم من (عجالة) و (محارب) و (هواره) ، ولكن الأمر خوفه من عاقبة الأمر ، ونصحوه بالاستعانة بالغنصر المغربي دون العرب ، فصرف العرب ومد يده إلى المغاربة فأبوا أن يكونوا معه فى محاربة العثمانيين لأنهم مسلمون مثلهم ، وليس فى الإسلام أن يشهر المسلم سلاحه فى وجه أخيه المسلم .

وانهزم طومان باى فى (مرج دابق) وفسر من وجه السلطان سليم ، حتى وصل إلى (تروجه) فأواه صديقه القديم حسن بن مرعى وأخوه شكر بضيعة (البوطة) ثم غدرا به وسلباه للسلطان سليم ، وهو فى ملابس عرب الهواره .

وتقدم سليم فى ألف فارس إلى الإسكندرية ، وكان قد أرسل جيشا عن طريق البر ، بتميادة يونس باشا إلى تروجه ليلتقى به هناك ، وأقام سليم بالإسكندرية ، ثلاثة أيام ، تلقى فيها تقادم العرب وهداياهم .

ولإذ ذلك وردت الأخبار ، بمحاصرة العرب لحسن بن مرعى والجويلي ، ولا بد أن يكون العرب قد أنكروا عليها غدرها بطومان باى ، فأسرع سليم بتجريد حملة قوامها ألف جندي ، لحماية الخونة ، من فتكات عرب البحيرة . ووصل حسن بن مرعى إلى القاهرة سالما ، غير أن السلامة لم تدم ، فقد نال جزاء خيانتته من السلطان ، بأن سجنه فى برج القلعة هو وابن صقر وابن أخى الجويلي ، ولكنه برد الحديد وفر من السجن ، ولم يطل به الاختفاء ، فقد أرسل أخاه (شكر) سنة ٩٢٤ هـ يطلب الأمان من السلطان ، فأمنه ، وأرسل حملة إلى البحيرة على رأسها أمير آخور يعنى (رئيس الاصطبلات) أخو ملك الأمراء ومعهم جماعة من الانكشارية والرماة بعشر عجلات ، يحملون الخلعة والأمان لابن مرعى ، بينما طرد عرب الغريبة (أى الحوف الغربي) لإسماعيل بن الجويلي

من أرض ( البساط ) بالقرب من ( تروجة ) وملكوها ، ودخل ابن مرعى التاهرة وعلى رأسه منديل الأمان ، وخلعة ملك الأمراء ، تشيعه لعنات العرب في كل جيل .

ومنذ سنة ٩٢٥ هـ والنزاع في مصر على قدم وساق ، بين الانكشارية والأصباهية ، وحاكم مصر هو « ملك الأمراء خاير بك بلباى » الذى باسم السلطان سليم شاه وابنه من بعده سليمان شاه ، صار يعزل القضاة كما يشاء ويفعل بالعرب ما تقشعر منه الأبدان .

ويبدو أن الميدان قد انتقل من البحيرة إلى الشرقية والغربية . فإن المعارك الطاحنة التى كانت تحتاج لإقليم البحيرة قد انتقلت إلى الشرقية ، أما عرب البحيرة فلم نسمع عنهم شيئاً على أسنة المؤرخين ، فإن ابن إياس خلال السنوات الواقعة بين سنة ٩٢٥ و سنة ٩٢٨ هـ لا يأتى بخبر عنهم اللهم إلا ما بعث به السلطان سليمان من قفطان حرير مخمل إلى شيخ العرب إسماعيل بن أخى الجويلى شيخ عرب البحيرة ومعه مرسوم خاص سنة ٩٢٨ هـ . كما بعث بستة قفاطين أخرى إلى سائر مشايخ عرب الأقاليم ، وما كان ذلك إلا تودداً منه ، وكاشف البحيرة يومئذ الأمير تمرار الشمسى السيفى الأتابكى الذى توفى سنة ٩٢٨ هـ وقال عنه ابن إياس [ وكان لا بأس به ] .

ولما ذهب ملك الأمراء إلى البحيرة بقصد النزهة في ٢٢ صفر سنة ٩٢٨ هـ نزل بالنجيلة للصيد . حيث وافاه أعيان البلاد وكبار موظفيها ، وعاد من النجيلة إلى قليوب وبات بها ضيفاً على شيخ العرب ابن أبى الشوارب ، وتقرب إليه الناس بالهدايا والمآذب ولا سيما من العرب ، كما فعلوا أيضاً بنائب السلطان الأمير سنان بك .

وفي ربيع الثانى من هذه السنة انقضت عرب عجالة على ( البساط ) ونهبوها ولكن إسماعيل بن أخى الجويلى هزمهم وصدهم واستولى على كل ما كان معهم وأرسل كل ذلك هدية إلى ملك الأمراء فشكره .

ويطلع القرن الثانى عشر ، وتمضى السنوات تباعاً حتى يكون المالك حزين : قاسمية وفتارية ، فما يأتى عام ١١٤٢ هـ حتى يكون بعضهم قد قضى على البعض

الآخر ، وعندئذ يولى الممالك وجوههم شطر العرب المصريين ، حيث الحباية فى الوجه البحرى بقيادة سويلم بن حبيب ، والحوارة فى الصعيد بزعامة همام ، وما يزال على بك الكبير بهم هو وتليذه محمد بك أبو الذهب ، حتى يتخلص من هؤلاء وهؤلاء سنة ١١٨٣ هـ ، ويصبح سيد الوجهين ، وشيخ البلد ، ولكنه لم يكذب يحنى ثمار هذه السياسة ، حتى لقي ختفه سنة ١١٨٧ هـ : غدر به تليذه ، لينخلو الجو له .

ماذا كان موقف عرب البحيرة من هذا الصراع الدامى ؟ كان عرب الهنادى بالبحيرة أحلافا للحباية لم يتخلوا عنهم ، وكانوا ينزلونهم منازلهم بالبحيرة ، كلما جرد الممالك حملاتهم عليهم ، ولم يتخلوا عنهم فى هذه المحن ، لأنهم عرفوا عن العثمانيين الغدر والخيانة ولا سيما بالحباية ، فقد ورد سنة ١١٣٥ هـ فرمان يبيح لجميع العرب فى مصر الاستقرار فى أماكنهم فيما عدا سويلم بن حبيب وإخوته ومن يولد بهم ، لأنهم كانوا - بحق - شوكة فى ظهر الحكومة العثمانية ، التى تمثل سياستها المتتوية فى الخطاب الرسمى الذى افتتح به عهده ، أحد ولاتهم وهو على باشا حكيم أوغلى سنة ١١٥٣ هـ ، يوم عمل له أول ديوان ، بقراميدان ، وأذاع على الناس مرسوم التولية ، ثم قال [ أنا لم آت إلى مصر لأجل إثارة فتن بين الأمراء وإغراء ناس على ناس ، وإنما أتيت لأعطى كل ذى حق حقه ، وحضرة السلطان أعطاني المقاطعات ، وأنا أنعمت بها عليكم فلا تتعبوني فى خلاص المال والغلال ] .

وكان سويلم بن حبيب قوى الشكيمة واسع الثراء من ضياع ودور ، وكان مقره القليوبية ، وقد بلغت به الجرأة حتى أنه كان يفرض على السفن التى تعبر النيل من بولاق إلى رشيد ودياط أتاوة ، إلى أن حاربه على بك الكبير فى البحيرة ، وقضى على نفوذه سنة ١١٨٣ هـ .

واتخذ ( كومب ) من ذهاب عربان البحيرة إلى الإسكندرية لاستقبال الغازى حسن باشا سنة ١٢٠٠ هـ دليلا على سيرهم فى ركاب العثمانيين حتى أصدر فرمانا لصالحهم .

ومها يكن من شئ فإن عرب البحيرة كانوا يسالمون من يسالمهم ، ويحاربون



من يحاربهم ، ولا يقبلون من العثمانيين أو المماليك ما يمس كرامتهم ، ويخرج تقاليدهم الموروثة .

ولقد حاول المماليك إشعال نيران الفتنة بين العرب بعضهم بعضا ، كما حدث سنة ١١٩٩ هـ لعرب البحيرة ، واستنجد فريق منهم بإبراهيم بك على خصومهم ، فأرسل معهم مراد بك إلى البحيرة ، وما لبث أن ارتشى من فريق على فريق وخان أمانة التوفيق بين المتنازعين ، وفي جنح الظلام انقض على المستنجدين به في منازلهم ، وقتك بهم ، وعاد بالغنيمة ، والرشوة ، مع العار ، إلى القاهرة .

وفي هذا الوقت كانت (رشيد) تغلى مراجلها من مظالم المماليك . فبعث إبراهيم بك ومراد بك إليها لاشين بك ومصطفى بك الساجدار للمحافظة على الأمن ، ولتوثيق العلاقات بعرب الهنادى ، ولاصطحاب أحمد باشا الجداوى الوالى الجديد إلى القلعة ليتولى مهام منصبه ، وعند ما رست به السفينة على الإسكندرية ، ذهب إليه مشايخ عرب الهنادى والبحيرة ، ولا سيما أهل دمنهور ، فكساهم ومنحهم الأموال ،

ولا شك فى أنهم قد شكوا للبasha الجديد ما يعانونه من المظالم ، لأنه - وقد وصل إلى رشيد - بعث فى ١٦ رمضان سنة ١٢٠٠ هـ إلى مشايخ البلاد وأعيانها ومشايخ العرب يدعوهم لمقابلته فى رشيد للنظر فى أمر هذين الذئبين المسعورين إبراهيم بك ومراد بك .

أما المماليك فقد خافوا سوء المنقلب ، إذا هم واجهوا البasha الجديد ولما كن مشايخ العرب مضوا إليه سراعا ، فالتقوا ببعض المماليك فى (قوه) فشتوا شملهم ، وفر الزعيان الكبيران إلى أسيوط ، بينما تقدم عرب الهنادى فيما بين رشيد والجزيرة ، وقتلوا فى يوم واحد من المماليك فى (النجيلة) نحو ٣٠٠ ، وسرت العدوى إلى عرب الشرق والجزيرة ، واستطاع إبراهيم بك أن يستميل إلى جانبه بعض العرب فى الجهات القريبة من القاهرة ، فكان منهم نفر من عرب البحيرة والصعيد والجزيرة والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم .

وعلى الجملة فإن البدو فى مصر عامة خلال العصر العثمانى قد تحامل عليهم

المؤرخون الأجانب ومنهم ( إيتين كومب Et. Combe )<sup>(١)</sup> وصورهم في صفحات التاريخ على أنهم عناصر القوضى في البلاد ، وقطاع الطرق على حجاج بيت الله . وأنهم كانوا في صف العثمانيين كلما تحركت قواتهم ، وهذا ليس من الحقيقة في شيء .

## مع الفرنسيين

وكان القدر على موعد مع أهل البحيرة ، الذين سجلت لهم أشرف المواقف عند قدوم الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣ هـ ، حينما بعث أهل الإسكندرية إلى كاشف البحيرة ليجمع العرب ويأتي بهم للدفاع عن الثغر . الذي كان حاكمه الحقيقي السيد محمد كريم ، وهو المعروف عند أهل البحيرة عامة - والعرب خاصة - بالشهامة والأمانة .

لبي كاشف البحيرة نداء الوطنية ، واستجاب له العرب الأبحاد من أهلها ، وخفوا رجالة وخيالة ، واستشهد منهم من استشهد ، وزحف نابليون على أشلائهم المبرورة ، بجيوشه المسعورة نحو دمنهور ورشيد وفوه والرحمانية وكان لإبراهيم بك ، قد حشد لهم العرب القريين من القاهرة ، كما حشد لهم مراد بك عرب البحيرة والجزيرة والصعيد وأولاد على والهنادى وغيرهم ، حتى وصل الفرنسيون إلى ( أم دينار ) في ٧ صفر سنة ١٢١٣ هـ ( ٢١ يوليو سنة ١٧٩٨ هـ ) .

أدرك نابليون أن العرب قد تركوا جراحهم جانبا ليفرغوا له ، واجتمعت كلتهم على النضال ، واسترخصوا الأرواح في سبيل دفع غوائل هذا الكافر الأفاق ، الذي أمعن فيهم تقتيلا وتذبيحا في الشرقية والمنوفية وغيرها ، أما في دمنهور ، فقد بذل العرب الذين كانوا بها أرواحهم ، وهجموا على جنود نابليون وأخذوا يتعقبونهم في الرحمانية ورشيد ، وتصادف أن ظهر أحد المغاربة ؛ فأخذ يحث الناس على جهاد الكفار ، والتف حوله أهل البحيرة . وزحف بهم على مخيمات الفرنسيين بدمنهور ، ولم تستطع مدافعهم أن تقف في وجوه المناضلين ،

الذين ظل المغربى يمضى بهم شرقا وغربا ، ويذيع الفرنسيون منشورهم في ٢٣ يونيه سنة ١٧٩٩ ( = ١١٢٤ هـ ) في أرجاء الدلتا بالتشجيع على ( الغز = الأتراك ) والعربان ، بقصد الانقضاء من حولهم ، فما يزيد هذا المنشور وأمثاله ثورة عرب البجيرة إلا اشتعالا .

وكان النيل في فيضان ذلك العام قد شارك العرب في ثورتهم على الغزاة الآتين ، فلم يجد بوفائه ، وإذا رحل أهل البجيرة إلى المنوفية والغربية ، فاستحسن رحيل عرب البجيرة [ لأنه بقى لهم في الحى نخيل ] كما يقول الجبرقى .

ولقد تجلى موقف عرب البجيرة حقا ، إزاء الفرنسيين في زحفهم من الإسكندرية إلى القاهرة ، على النحو الذى ذكره ( إدوار جوان )<sup>(١)</sup> حين تحدث عن المفاجأة التى صدت الغزاة قبل وصولهم إلى الرحمانية ، فقد كان العرب يتربصون للجنود المتخلفين ، فينفردون بهم ، ويستذلونهم ، ثم ينكلون بهم ، ولا يتربصونهم إلا طعمة للذباب الأزرق ، والكلاب المسعورة . ومنهم ( الجنرال ميرور ) الذى وجد مذبوحا على مقربة من باب المعسكر ، كما وقع ( دينانو ) مساعد أركان حرب الحملة أسيرا فى قبضة العرب ، فأرسل نابليون مبلغا كبيرا من المال ليفتيديه ، ولكنه لقي مصرعه على يد شيخ القبيلة الذى لم يفلح المال فى إغرائه ، وكذلك قتل العرب ضابطا كبيرا كان قد أرسله نابليون إلى الأميرال الفرنسى ، وقد حزن عليه نابليون أشد الحزن ولكنه كظم غيظه .

وهناك أمام قرية ( شبراريس ) تربص المماليك والعرب آلافا مؤلفة للفرنسيين ، ولكن المدافع الثقيلة كانت تحصدهم حصدا ، وهم لا يبالون . ومع هذا لم يسلم التاريخ من المغالطات ، ولم ينج المؤرخون من التلبيس ، حتى الجبرقى الذى قال إن عرب الهنادى كانوا يحملون الميرة إلى الفرنسيين المحصورين بالإسكندرية سنة ١٢١٦ هـ .

ولكن ميخائيل شاروويم<sup>(٢)</sup> فى نقله هذه العبارة عن الجبرقى أعطاها صورة من عنده هو ، فعب عنها بما يفيد تهريب المؤن من طريق مجهول إلى الفرنسيين ، أثناء

(١) مصر فى القرن التاسع عشر

(٢) السكاكى : ٣٠

حصار الإنجليز لهم بالإسكندرية ، مما يوحى إلى القارىء بأن العرب - والهنادى هم المقصودون طبعاً دون أن يذكرهم - كانوا صنائع الفرنسيين ، ولكن يكفى أن يكون هذا الإيحاء من لدن شارويم ، ويكفى أن يقول كلوت بك <sup>(١)</sup> إن نابليون قد عزم على كبح جماح ما بين ٢٠ ألفاً و ٣٠ ألفاً منهم وسماهم للصوص المعتصين بالصحراء .

ومما يمكن من شيء فإن عرب البحيرة قد ذاقوا المر في خضم هذه الأحداث الدامية ، فتأقت نفوسهم إلى الهدوء بعد القلاقل ، فكتبوا إلى السلطان العثماني برغبتهم في الاستقرار معلنين الطاعة والولاء فأصدر فرماناً في شعبان سنة ١٢١٥هـ (١٨٠١م) [ ... إلى نائب البحيرة، والمشايخ من عربان الهنادى والأفراد والجميعات والبهجة وبني عونة .. أنكم أنهيتم إلى ديواننا الهايوني أنكم من قديم الزمان ، منازلكم أبا عن جد ، في فيافي البحيرة وفدافدها ، وأنكم تحت قدم الطاعة والمحافظة للرعايا والطرق الواقعة بناحية البحيرة .. والتستم استقراركم في منازلكم القديمة كما كنتم .. فحيث أنه جرت العادة أن قبائل العربان في الديار المصرية كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم لا ينازعهم فيها غيرهم ، ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم ، فبحسب التماسكم .. قد أقررناكم في منازلكم .. بالشروط التي تعهدتم بها وقبتموها في حضور صدرنا الأعظم .. والخذرتم الخذر من المخالفة ] . ولكن الأحداث الجارية لم تكن لتعزل عرب مصر عامة وعرب البحيرة خاصة عن ميادينها ، وقد كان ثمت جانبان يتنازعان البلاد هما المصرية والعربان كما يسميهم الجبرتي ، فإلى أى الفريقين ينحاز عرب البحيرة ؟

## مع الألفى

لأنهم في هذه الفترة ينضون تحت لواء المصرية وهم الأمراء المماليك وزعيمهم حينذاك محمد بك الألفى ، وقد جمع حوله الحويطات والعايد والهنادى ، ولندع الجبرتي مؤرخ العصر يتحدثنا عن هذه الظاهرة ، حيث يقول عن الألفى [ ومن

عجيب أمره .. امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصرى لأمره ، تسخيرهم وطاعتهم له ، لا يخالفونه فى شيء ، وكان له معهم سياسة غريبة ، ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم ، فكأنما هو مربى فيهم أو ابن خليفتهم ، أو صاحب رسالتهم ، يقومون ويقعدون لأمره ، مع أنه يصادرهم فى أموالهم وجمالهم ومواسيهم ، ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ، ومع ذلك لا ينفرون منه .. وقد تزوج كثيرا من بناتهم <sup>(١)</sup> فالتى تعجبه يقيها .. والتى لا توافق مزاجه يسرحها إلى أهلها ، ولم يبق فى عصمته غير واحدة - وهى التى أعجبته - فبات عنها .. فلما بلغ العرب موته .. اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب ، تنساقلته أرباب المغاني .. والعجب منه .. أنه لما كان ينزل .. فى كل سنة إلى شرقية بلبس ويتحكم فى عربانها ويسومهم سوء العذاب .. ويتعاون على البعض منهم ببعض الآخر .. ويمنعهم من التسلط على فلاحى البلاد .. [

وأعجب من هذا كله أن أولاد على والهندادى وعرب الشرقية جميعا ، قد انصرفوا ، بعد موته مباشرة سنة ١٨٠٧ م عن خلفائه المالك واتخذوا لأنفسهم سياسة أخرى .

ولا شك أن زواج الألفى من بنات العرب ، كان إحدى وسائله إلى الهدف السياسى الذى كان يتوق إلى تحقيقه ، ولكن يجب أن نضيف إلى هذا أن العرب كانوا ولا يزالون يعتقدون بمبدأ (الكفاءة) وبموجبه يكون غير العرب - من أتراك ومماليك وفلاحين - غير أكفاء لبناتهم ، ومع ذلك تزوج الألفى منهم وهم يعلمون أنه كان عبدا رقيقا اشتراه سيده مراد بك بألف إردب من القمح ، ولذلك سمى الألفى ، وكذلك تزوج أحمد باشا الجزائر البشناق كاشف البحيرة الذى مات سنة ١٨٠٤ من عرب الهندادى بالبحيرة ، واشترك من قبل فى الحملات على الهندادى والحبايبة .

---

(١) يسالغ إخوان جوان ليقول « وكان من عادته وهو فى البحيرة أن يتزوج كل يوم جمعة بنتا عربية جميلة » .

وكان عرب الهنادى ذوى حمية وأنفة . حتى لقد هموا بقتل ( أبو طويلة ) شيخ العايد ، حينما قدم احتجاجا على مصاحبة ( هبود العرب ) للماليك فى نهبهم لمخاضيل الشرقية ، وأوشكت هذه الكلمة ( هبود = صعايلك ) أن تقدر زناد الحرب بين عرب البحيرة وعرب الشرقية سنة ١٨٠٤ .

هذا ، وقد كان ( بالرحانية ) جماعة من عرب ( القوايص ) وهم كما يقول الجبرقى [ طائفة مرابطون ليس يقع منهم أذية ولا ضرر لأحد مطلقا ] ومع ذلك انقض عليهم عسكر العثمانيين فى يونيه سنة ١٨٠٦ م ونهبوا منهم الشيء الكثير ، عندما اعطف العثمانيون فى واجهة الألفى بك بعساكره الذين تحركوا من ( الرحانية ) و ( مرقص ) إلى ميدان القتال فى ( النجيلة ) ، و ( أولاد على ) منتشرون فى البحيرة ، فتم له النصر ، ولكن شيئا واحدا يجب أن نضعه نصب أعيننا : هو أن جميع العرب المصريين فى مطلع القرن التاسع عشر ، كانوا حلفاء للماليك ، خاضعين لأميرهم محمد بك الألفى .

وتولى شاهين بك المرادى من بعده زمام الماليك ، ولكن العرب انفضوا من حوله ، فور وفاة الألفى ، كما يقول الجبرقى وأن رجلا من العرب قد توجه إلى محمد على ليزف إليه خبر وفاته ، وفى هذا وحده ما ينفى قول لإدوار جوان بأن شاهين بك قد احتفظ بموقعه فى البحيرة وكان معه من العرب ثمانية آلاف . ولا ينكر أحد - حتى إدوار جوان - أن عرب مصر كانوا فى صف الماليك فى ولاية محمد باشا خسرو سنة ١٨٠٢ ، والإنجليز يؤمّن مرابطون بالبلاد ، فكان مع الماليك ٣٥٠٠ من فرسان العرب . ومثلهم من العيايدة ، و ٢٥٠٠ من عرب أولاد على ، وقادهم جميعا مراد بك .

## مع محمد على

كان عدد عربان مصر جميعا منذ الحملة الفرنسية إلى عهد محمد على نحو ١٠٠ ألف ، موزعين على ٦ قبائل ، كان منهم محاربون أكثرهم من الفرسان نحو ٢٠ ألفا ، وطالما وقعوا فى حروب مع الفلاحين ، وطالما قطعوا الطرق ، فعمد محمد على إلى مهادتهم ثم استعمل معهم القوة ، وأرغمهم على أن يقيم مشايخهم بالقاهرة

كرهائن وأجرى عليهم الأرزاق وأقطعهم البلاد الشاسعة وأعفاهم من ضرائها فاندحوا في المجتمع ، ثم أمر بتجنيدهم مبتدئا برؤساء العشائر واستأجرهم على ذلك بشرط أن يحضر كل واحد ومعه فرسه وبندقيته ، وأشركهم في حروبه فعلا (١) . ولقد كان من تدبير الشيخ عبد الله الشرفاوى والسيد عمر مسكرم تنظيم مظاهرات القاهرة ، فرحا بانتخاب محمد على واليا على مصر سنة ١٨٠٥ ، واستقدم السيد عمر جمعا كبيرا من قبائل العرب في الشرق والغرب لالهذا الغرض ، بل ليستعين بهم محمد على في حصار القلعة ، فصعد بالعساكر والعرب ، وغيرهم إلى المقطم ، فأنزلوا الوالى المعزول من القلعة توطيدا لمركز محمد على . فهل حفظ محمد على للعرب هذا الجليل ، ورد إليهم ما كانوا قد افتقدوه عند الممالك أو الأمراء المصرية كما يسميهم الجبرقى ؟ أم تراه قد نسي انطلاق الأربعة آلاف من عرب البحيرة والفلاحين نحو ( الحساد ) لصدملة فريزر على رشيد سنة ١٨٠٧ م .

إن خمسة عشر عاما قضاهما العرب المصريون ، ولا سيما عرب البحيرة وفيها ذاقوا المر أشكالا وألوانا من يد الوالى الغادر الذى سعى بينهم بالوقية حتى ضرب بعضهم وجوه بعض ، ونكل هو بهم جميعا ، كما تنصص عن ذلك الصفحات التالية :

ففى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٠٤ جاء الخبر إلى محمد على بأن طائفة من عرب أولاد على نزلوا قرب الأهرام في طريقهم إلى الصعيد ، فركب إليهم الباشا فوجدهم قد مروا ، ولكنه وجد قبيلة القواييص في نجوعهم وهم جماعة مرابطون من خيار العرب لم يعد منهم ضرر ولا أذى ، فقتل منهم جماعة ونهب نجعهم وجالهم وأغنامهم وأسر بعضهم ، وساقهم إلى مصر وباع الأغنام والماعز قهرا للجزارين ، وبيعت الجمال بالرميلة .

وحل عام ١٨٠٨ ، وأولاد على بمنازلهم بالبحيرة ، حيث الاستقرار والعيش الطيب ، ولكن عرب الهنادى والجهنة ذهبوا إلى محمد على ، وأفصحوا له عن

ولأنهم وطلبوا منه أن يعيدهم إلى منازلهم بالبحيرة ، التي استقر بها أولاد علي ، فبعث محمد علي معهم شاهين بك الألفى وخشدا شينه ( بماليك ) إلى ( دمنهور ) ، وطردها أولاد علي ، الذين تحركوا إلى ( حوش ابن عيسى ) ، ودارت رحى القتال ، فانهزم العرب ، ووقع منهم في الأسر أربعون ، وتركوا أموالهم من الاغنام والجمال ولاذوا بالفرار إلى الفيوم .

وقد شهدت أقلام المؤرخين أن هذا العام كان خرابا في جميع الأراضي المصرية ، ولكن أولاد علي لم يلبثوا غير ستة أشهر ، حتى عادوا في أكتوبر إلى إقليم البحيرة ، وشاركوا الفلاحين في الزراعة ، كما كان يفعل الهنادى والجهنة ، وكان الصلح قد تم بين المماليك من أتباع الألفى وبين محمد علي ، فتوسط زعيمهم شاهين بك في الصلح بين الهنادى والجهنة وبين الباشا ، نظرا لصلة المصاهرة ، التي كانت تربطهم بأستاذة الألفى ، ونزل معهم فعلا إلى البحيرة ، وأباح لهم عمرانها كما كانوا قبلا ، وطردهم أولاد علي ليتمكنوا من البحيرة .

وعرف أولاد علي الطريق إلى الباشا فعرضوا عليه - بواسطة أحد رجال الدولة - مائة ألف ريال ، نظير عودتهم إلى البحيرة ، وطرده الهنادى منها ، فقبل الباشا هذا العرض السخي ، وعلم الهنادى ، فسرعان ما أعلنوها حربا على أولاد علي ، وضيقوا عليهم الخناق ، وامتنع أولاد علي عن دفع ما سبق أن ارتبطوا به من أموال الدولة ، وحشدوا جموعهم ( بحوش ابن عيسى ) ، فجرد عليهم محمد علي حملة يقودها عمر بك الألفى ، وانضم إليهم الهنادى ، ولكن النصر كان حليف أولاد علي ، فقد لقي على أيديهم أكثر من مائة من الدلاة ( جنود محمد علي ) مصرعهم ، ومثل هذا العدد من العثمانيين ونحو خمسة عشر من المماليك .

وبعث محمد علي مددا بقيادة نعمان بك إلى الفيوم لمطاردة العرب النازحين إليها من البحيرة ، كما أن محو بك الكبير كاشف البحيرة لم يدخر وسعا في التنكيل بأهلها ، وألقى القبض على تقيب الأشراف بدمنهور يومذاك وهو السيد حسين ، وأهانته أشد الإهانة ، وصادر أمواله وتملكاته (١) .

---

(١) ولقد انتقم الله من محو بك الكبير لاذنفساء محمد علي إلى أبوفير وصادر أملاكه ، وأنعم ببيته الذي كان بحارة عابدين على محو بك الصغير الأورفي بما كان في هذا البيت من الجوارى والحيول والجمال والخيام والأمتعة .



وعاد شاهين بك الألفى إل القاهرة بعد أن تأكد من ارتحال أولاد علي عن البحيرة ، ولكنه ما لبث أن خرج في حملة أخرى في ٣ فبراير سنة ١٨٠٩ إلى البحيرة ، لأن أولاد علي ما زالوا حريصين على منازلهم بالبحيرة ، يفتدونهم بأرواحهم ، وفي ٢٦ مايو سنة ١٨١٠ حضر إلى الباشا وفد من مشايخ أولاد علي ، ولعلمهم كانوا ثمانية لأنه ألبسهم ثمانية شيلان كشميرية ، وأنعم عليهم بمائة وخمسين كيسا .

أما عرب الهنادى فقد انحازوا إلى أمير الممالك يومئذ ، وهو شاهين بك الذى كانت له الكلمة النافذة على طوائف العرب والفلاحين ، كما كان المتحكم فى معظم بلاد البر الغربى والفيوم .

وعهد محمد على إلى الفت فى عضد الممالك ، للخلاص من زعيمهم ، حتى إذا ضرب الراعى تفرقت الخراف ، وقد نجحت مؤامرة محمد على فعلا ، ودب الفشل بين الممالك ، وانفضوا من حول شاهين بك ، طمعا فى الأمانى المعسولة ، التى وعدهم بها محمد على ، وما لبث العرب بدورهم أن خلعوا أنفسهم من الممالك جميعا ، وبهذا مهد محمد على للمذبحة الممالك الكبرى بالقلعة فى ٢ مارس سنة ١٨١١ ، وبعث إلى كشاف الأقاليم ( المديرين ) لذبحهم أينما وجدوهم ، وهم الذين بعث بهم لتحصيل الأموال باسمه من الأهلين ظلما وعدوانا ، فكان كل يوم تطلع فيه الشمس على القاهرة ، يستقبل رؤس القتلى من الممالك الذين بعث بهم الكشاف . ثم أدار محمد على وجهه شطر أولاد علي بالبحيرة ، فاستقدمهم إلى القاهرة ، ولما مثلوا بين يديه فى ٨ إبريل سنة ١٨١١ فرض عليهم الأموال الباهظة فصبروا ، ثم خلع عليهم الخلع السنية فشكروا ، ثم استبقاهم وأرسل العساكر تنهب بنجوعهم ، وتسبى نساءهم ، وتأسر أولادهم ، وتستولى على مواشيهم ، فماذا يفعلون ؟

كظم أولاد علي غيظهم ، حتى زحفوا كالأسود الغضاب ، فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨١٢ على الفيوم ، فتصدى لهم حسن أغا الشاشرجى ولكنه وجد نفسه بمن معه أقل من العرب قوة وعددا ، فأسرع إلى القاهرة مستنجدا بالباشا ، الذى أمدّه بحملة كبيرة ، يقودها نائبه ( كتخدا بك ) ولم يكف بهذا ، بل لجأ إلى أساليبه المعروفة بالخدعة والدسيسة ، فاستدرجهم حتى قدم إليه كبارهم فأخذ

بعضهم رهائن ، وأنعم على البعض الآخر ثم عين لهم جهات معلومة يسكنونها ولا يجاوزونها بشروط .

وفي سنة ١٨١٣ قرر الباشا غرامة مالية كبيرة على عرب القوايد بالجيزة ، فأعلنوا التمرد والعصيان ، ولكنه أصدر تعليماته إلى كاشف البحيرة بنهب أموالهم وسبي نسايتهم وأولادهم ففعل ، ولم يكن أعيان الصعيد والحوارة أقل نصيبا من التعذيب على يد إبراهيم باشا .

واندلعت الثورة في ٢ أغسطس سنة ١٨١٥ في القاهرة ، وطافت المظاهرات بالشوارع هدفها اغتيال الباشا ونهب داره ، وفقد الباشا كل ثقته في كشاف الأقاليم ، فأرسل أولاده إبراهيم وطوسون وإسماعيل ومعهم فرق الجيش للحفاظة على الأمن .

أما أولاد علي فكانوا فريقين سنة ١٨١٧ : فريق مع الباشا وفريق ضده ، وهؤلاء قد انحدروا إلى سيوة ، فجرد عليهم حملة يقودها حسن بك الشماشرجي ، فزهمهم في بادئ الأمر ، ثم انتصروا عليه ثانية ، وعاد إلى مصر ، فأمدده الباشا بعساكر ، وضم إليهم الفريق الآخر من أولاد علي ، فانقضوا عليهم ، حتى قتلوا بهم . ورجع حسن بك بمن معه من مشايخ أولاد علي المنتصرين ، وبما معه من الغنائم ، فلما مثلوا بين يدي الباشا ، أمر بحبسهم ورد الغنائم إلى الفيوم ، وكان عدد الأغنام أكثر من ١٦ ألف رأس ، والجمال نحو ٨ آلاف ، ولما جرى بهم أطلق سراحهم .

وجرد حملة أخرى في ١٥ مارس سنة ١٨٢٠ كلف حاكم البحيرة حسن بك الشماشرجي بقيادتها ، وحشد جنوده بها مع طائفة من العرب ، هجم بهم على سيوة من الجنوب ، فاستولى عليها . وعاد في ١٦ أبريل ، وغنم من أهلها مبلغا كبيرا من المال ، فضلا عن الغرامة التي ألزمهم بها للدولة كل عام ، أما إبراهيم باشا فقد رجع من الفيوم ، ومعه أربعة من كبار العرب بها ، فضرب أعناقهم في اليوم التالي : اثنان بالرميلة ، والآخران بباب زويلة .

هذا وقد أشار عبد الرحمن الرافعي إلى ميزانية مصر سنة ١٨٣٣ وقال إنها بلغت ٢ مليون جنيه تقريبا ، كان منها ٢٥ ألف جنيه أجورا للعربان وحدهم ،

وهذا دليل على أهمية العرب في هذا الوقت .

ويبدو أن محمد علي - بمكره ودهاته - قد اتخذ خطة للقضاء على عرب البحيرة من حيث لا يشعرون ، ففي سنة ١٨٣٢ أصدر أمره بتشيت شمل مشايخ عربان الجميعات وأولاد علي وكذلك مشايخ عربان الهنادى بالشرقية بخيولهم ، وطلب في نفس السنة من أمور دمنهور لإرسال ثلثائة من عربان أولاد علي مددا لإبراهيم باشا في حرب الشام .

ولما تمرد عربان غزة سنة ١٨٣٤ لم يجد بدا من كسر شوكتهم بالاستعانة عليهم بأحمد المقرحى شيخ عربان أولاد علي والشيخ هندواى شيخ الجميعات لتجهيز ٢٥٠ من كل قبيلة من العربان في مدى يومين ، بقصد [محو عربان غزة] كما نص أمر الباشا إلى مدير الأقاليم الوسطى ووعدهم بمنح كل واحد منهم خمسمائة قرش ( بقشيش ) ، وأن الباشا [منون جدا من مشايخ عربان أولاد علي والجميعات من استجابتهم للذهاب مع عربان القبائل بدون مصاريف على الحكومة] واكتفى بأن تصرف لهم الدخائر من المديرية التابعين لها . وأمر بترحيلهم فوراً إلى غزة رأساً لا إلى القاهرة

### مع خلفاء الباشا

كانت حروب محمد علي وسيلته الكبرى إلى تحقيق المجد الذى كان يصبو إليه ، وكان العرب في مصر عنصراً جوهرياً في كسب الانتصارات التي أحرزها وكان قد عرض عليهم الانتظام في الجيش .

وفي الحرب الوهابية اشترك عرب الوارة وأولاد علي وفي فتح السودان كان في جيش إسماعيل عدد كبير من العرب ، وفي حملة إبراهيم إلى عكا مضى عباس حلمي بن طوسون ، بمدد معظمه من العرب والواردة ، وكان عباس الأول يحب النزول على الهنادى بالشرقية ، وطالما استخدمهم في قتال عرب أولاد علي بالبحيرة ، الذين كان لهم ميل نحو عمه سعيد ، وهو الذى شرد عرب المنيا ، عندما دعاهم إلى الانخراط في الجندية ، فعصوا أمره وقالوا : [نحن وعيالنا متعهدون بخضر الدروب والجبال منذ ولاية محمد علي إلى هذا الحين فلا يصح لإدخال أولادنا في مصاف العسكر وإذهاب ما بين أيدينا من الحقوق المعطاة لنا من ذلك العهد] .

واتبع عباس حلمى الثانى مع عربان مصر خطة جديدة ، حتى لا يكونوا شوكة فى حلقه ، فأمر فى سنة ١٨٥٠ بالإنعام عليهم بالأراضى ، وحتم عليهم أن يشتغلوا بزراعتها ، بدون الاستعانة فى ذلك بالفلاحين ، حتى لا يفكروا فى [ ارتكاب الجرائم ] ، والترجمة الصحيحة لارتكاب الجرائم هنا هى أن يضعوا السلاح ، فبأن عباس جانبهم ، ومع ذلك كان لهم فى سائر الجهات سيطرة شاملة ، ونفوذ قوى ، فعاثوا بالفساد فى البلاد .

أما سعيد باشا فقد أمر مدير الغربية بعدم السماح لقبائل العربان بالانتقال من مناطقهم إلى مناطق القبائل الأخرى ، وخص بالذكر عربان أولاد على بمديرية البحيرة .

وعلم سعيد بفرار عمر المصرى زعيم العربان إلى الغرب ، فجن جنونه ، وتوالت أوامره إلى أقاليم الصعيد ومديرياته . بإبقاء ألف نفر فقط من الجماعات والقواويس وأولاد على ، وتعيين شيخ على الباقين منهم ، وتكليفهم بمباشرة الزراعة بالجهات المقيمين بها ، وكان تارة يوزع الأسلحة عليهم وتارة أخرى يجمعها منهم ويسلح بها غيرهم ضدهم ، وسلط مدافعه عليهم حتى أفنى منهم الخلق الكثير ، وأمر يعقوب بك مدير بنى سويف فشنت شملهم ، فنزحوا إلى الشام والحجاز ، وأما من نجوا بنفسه منهم فقد اختفى فى قرى مصر ، وتزيا بزي العامة والفلاحين ، وعدل عن لهجته ، [ وكان الفقير منهم يأنف من مخالطة أهل البلاد ومكالمتهم فتغير الحال ، والتجأ كبارهم إلى أصغر بيوت الفلاحين ] كما يقول صاحب الكافى (١)

أما لإسماعيل فقد جردهم أولا من السلاح ، وأمرهم بالاستقرار فى الأقاليم الشمالية وزراعتها ثم أدخلهم فى الجيش ، واشتركوا فى غزو الحبشة ، ولمّا تولى البارودى رئاسة الوزارة ، التمس منه العرب أن يعيد إليهم امتيازاتهم ، التى منحت لهم ، بفرمانات محمد على ، فى نظير خفارة الحدود ، وصدد الأعداء فى إغارتهم عليها . فقال لهم : [ إن الحكومات السابقة ، قد فصلت فى هذا الأمر ، فلا داعى لتجديد النظر فيه ، ولكنهم صمموا على الامتناع عن التجنيد والسخره ،

( ما دامت البادية بادية ونحن حارسوها ) [ ، ولكن البارودى تلتف معهم وصرفهم برفق ،  
وبما لا جدال فيه أن عرب البحيرة ، قد انضموا إلى الحركة العربية ،  
واشتركوا في معركة كفر الدوار ، حتى كان الأمر حليف عرابي ، فلا عجب إذا  
صرح كلوت بك عن حقه الدفين ، للعرب المصريين ، حين أقترح (١) إبادتهم  
نهائياً من البلاد الواقعة تحت سيطرة فرنسا ، على النحو الذي فعله نابليون بهم  
في مصر ، وقد حصرهم في أيام الحملة الفرنسية في ستين قبيلة : بها مائة ألف نفس ،  
منهم نحو عشرين ألف فارس ، وقد شبههم كلوت بك بالقوزاق في الجيش ، وحدد  
دورهم في الحروب التي اشتركوا فيها بالاستطلاع عند الزحف ومطاردة العدو عند  
هزيمته والقيام بمناوشته ، [ وهم خير من يصلح لهذا ] ، على حد تعبيره (٢) ،  
كما شهد لأولاد على بأنهم أدرى من غيرهم بأسرار صحراء ليبيا ، وكل سائر القبائل  
أدرى بصحاريها .

### الملاحم العربية في البحيرة

قلنا في مطلع هذا الفصل إن عرب البحيرة يحفظون ملاحمهم ويتدرون بها ،  
ومن عجب أنها سجل خالد لتاريخ ما أهمله التاريخ ، فيما بين أيدينا من الكتب  
والمراجع ، ومع ذلك يبدو لنا صدقها وأصالتها ، وعدم الاصطناع في روايتها ،  
وفيما يلي يطالع القارئ إحدى هذه الملاحم كما رواها لي الشيخ طاهر الدجن  
حفيد المرحوم خير الله الدجن شيخ أولاد علي ، المقيم الآن قريبا من إدفينا .  
كانت قبيلة ( الجميعات ) مرابطة في ( أبو حصص ) ، وكانت قبيلة ( الهنداوى )  
صاحبة نفوذ وجبروت في هذه المنطقة وما حولها . لدرجة أن الهنداوى كان يربط  
فرسه على باب أية خيمة من بيوت الجميعات ، لتكون هذه إشارة إلى صاحبها  
بالخروج منها في الحال ، ليدخل الهنداوى ويبقى ما شاء له أن يبقى ، دون أن  
يعترضه أحد فيما يرى إليه .

(١) لحة عامة إلى مصر ص ٢ .

(٢) ص ١٧٨ .

لم تستطع الجمعيات الوقوف في وجوه هؤلاء الطغاة . وفي ذات يوم ركب (البقوشى) شيخ الجمعيات ، ومضى بفرسه إلى (برقة) ، حتى نزل ضيفاً على (أولاد على) بمنزلهم (بالساقية الحمراء) عند (الجبل الأخضر) ، وكان معه في هذه السفرة . أحد أتباعه ، كما أنه كان قد وضع في محلاة فرسه ثمانياً وأربعين كرة ، نصفها من الذهب والنصف الآخر من الفضة .

ولقى البقوشى عند أولاد على حق الضيافة ، وأقام بينهم عدة أشهر ، وهو المعزز المسكرم ، ورآهم يلعبون (السيجة) على الرمال ، بقطع من بحر الجبال ، فأنكر عليهم ذلك ، وأخبرهم أن قطع السيجة عند أفراد قبائمه وسائر القبائل العربية في مصر من الذهب والفضة ، لا من الأبعاد ، وسرعان ما أمر تابعه فأخرجها من المحلاة ، فبهتوا وأخذت منهم الدهشة كل مأخذ .

ظلت هذه الواقعة عالقة في أذهان أولاد على ، وتناقلتها ألسنتهم ، وتاقت نفوسهم إلى مصر هذه ، وطاروا إليها على أجنحة من اللهفة والخيال ، إلى حيث الجنة والنعيم ، وما لبثوا أن زوجوه إحدى بناتهم ، وعاد بها إلى (أبو حصص) ، فلزمت خباءها لا تبرحه ، كما هي عادة العرب من الحجاب .

وعلم أحد الهنادى بأمر البقوشى وزوجته التي جاء بها من الغرب ، فأبى إلا أن يقتحم عليه منزله ، وكانت الزوجة ترى وتسمع ، من حيث لا يراها أحد ، وداخلها العجب من خنوع زوجها على هذا النحو ، وأنكرت عليه هذا الهوان ، إذ هو اعترض سبيل هذا المتعجرف ، فأخلى له الطريق إلى حرممة الشرف ، ودخل الهنداوى .

وظاهرت الزوجة بإحضار ماء من بئر قريبة ، وأخذت تستصرخ وتستغيث وقد شقت ثوبها ، وحلت غداً شعرها ، وهاج الجيران وماجوا .

عندئذ كان ثلاثة من أصهار البقوشى قد وصلوا من بلادهم لزيارة أختهم ، ففاجأهم هذا المنظر الفاجع الذى رأوا فيه أختهم ، واستخبروها فأخبرتهم ، فظل أدهم معها دند البئر ، ومضى الآخرون إلى الخباء ، فوجدوا الهنداوى وهو في حالة ذعر ، فعاجله أحدهما بضربة من سيفه فأرداه قتيلًا ، وركبا راجعين بأختها إلى برقة .

وروت المِأَة لقومها ما عليه الجميعات والهنادى ، وكان حديثها عن خيرات  
إقليم البحيرة مطابقاً لما كان قد ذكره البقوشى فى رحلته الأولى إلى قومها ،  
وجاءت الطوائف من أولاد غلى تنزح من الضبعة ومريوط إلى أبو حصص ،  
وأدرك الهنادى ما واره هذه الوفود من خطر على مراكزهم ، وداخلهم الشك فى  
أمر البقوشى ، فضوا إليه يستوضحونه الأمر ، وصارحوه علانية ، بأنه قد دبر  
معهم استقدام هذه الجموع إلى أبو حصص ، وأن وراء هذه الحركة خطراً عليهم ،  
فأقسم لهم أنه ما جمعهم إلا لىكونوا معهم لا عليهم ، فصدقوه فى سذاجة وبلاهة  
وتركوا البقوشى ومضوا من حيث أتوا ، ولكنهم رأوا أن عدد الوافدين يزداد  
يوماً بعد يوم ، فهاهم الأمر .

وتنازع أولاد على والجميعات ، على فيا فى البحيرة ، حول مركز كوم حمادة ،  
وقامت بينهم حرب طاحنة ، انتصر فيها أولاد على ، وفر الهنادى إلى وسط الدلتا  
وشرقيها ، وقام أمراء الممالك بالتوفيق بين الطرفين ، وتم الصلح على أساس أن  
تكون منازل أولاد على فى الغرب من فرع رشيد ، ومنازل الهنادى فى الشرق ،  
وعلى أن من كان من الهنادى عرباً فهو من أولاد على ، ومن كان من أولاد على  
شرقاً فهو من الهنادى ، وبذا حقنت الدماء .

وقد انضم إلى جيش إبراهيم باشا خمسة وعشرون ألفاً من أولاد على برعاية  
شيخ العرب خير الله الدجن الكبير ، وكان النصر حليف إبراهيم ، فقوى نفوذ  
أولاد على وعاشوا فى رفاهية سابعة ، وكذلك اشترك أخو خير الله فى حملة طوسون  
ابن محمد على إلى السودان ، واستشهد هناك .

ولكن عباس حلمى الأول خشى من ازدياد نفوذ أولاد على بعد هذه  
الانتصارات التى حققوها ، فصمم على كسر شوكتهم ، وأخذ يحرص عليهم  
( الصفاة ) وهم ثمانى قبائل مرابطة بالفيوم ، ومنها طوائف ( الباسل ) و ( الملو )  
و ( شديد ) و ( السعدى ) وغيرهم ، وأمدهم بالسلاح ، وزحفوا على أولاد على  
بالبحيرة ، وكانوا على علم بهذه المؤامرة .

وكان على ( الصفاة ) أن تجمع معها ( الجميعات ) فى أبو حصص و ( العفنيات )  
فى الجيزة ، ولكنها خشيت بأس الحكومة ، فتخلت قبيلة الصفاة عن أولاد على ،

وظلت على الحياء ، ترتبص بالفريق المغلوب . لتنفق عليه ، وغاية ماتشبهه أن تتخلص نهائيا من الهنادى وأولاد على أجمعين .

وذهب خير الله الدجن ، على رأس أربعين من مشايخ عرب أولاد على ، إلى عباس وأنهى إليه ما تواتر من أنباء المؤامرة التي يدبرها مع الصفاني ضد أولاد على ، فأنكر في بادئ الأمر ، ثم ما لبث أن اعترف بعدم رضاه عن سلوكهم ، ولكنه الآن عفا عنهم ، ووعدهم بالألا يكون مؤيدا لأحد الطرفين على الآخر ، ولكن خير الله طلب منه أن يأمر الصفاني بوقف الحشود ، بعد ما تبين له أن الأسلحة التي معهم إنما أمدتهم بها الحكومة ، فاستجاب عباس ، وتصاصر أمام هيئة زعيم أولاد على .

ولم يكذب خير الله يدبر وجهه ، حتى لقي على باب القصر رحيم البطران ، الذي بدأ يتودد إلى خير الله ويتملقه ، ويبدى له ولاءه لأولاد على ، وهنا خير الله على سياسته الناجحة ، فرد عليه خير الله بهذه القصيدة :

يا مرحبا شيخ (العفنيات)	(رحيم) كثير الدبار
وبالك تصدق منامات	حلم ليل يظهر نهاره
نجعك وسليب (الجميعات)	كما غاب من الكيس باره
إحنا مثلنا في القرينات	كلوسكو في النصاره
إحنا لاهت فيه جفلات	يرن ملاعب صغاره
وما نعلبو فيه من مات	على الخول جالنا خبار

فهو بهذا الشعر البدوي يرحب برحيم ويصفه بكثرة التدبير ، ويندد بما كانت قد سولت له نفسه من أحلام كشفتها الحقائق ، ويقول له إن نجمة وخيول الجميعات لا قيمة لها ، فهم كأصغر عملة (باره) ضاعت من كيس مال . وهم كلوسكوفيين القياصرة بالنسبة للمسيحيين ، أما أولاد على فهم لا يخافون من هذه الجوع ، وهم لكثرة عددهم فيما بين المغرب والمشرق ، إذا مات منهم واحد ، لا يعلمون خبر وفاته إلا بعد مضي سنة .

وعاد رحيم البطران إلى نجوعه بالجيزة ، وعلت كلمة أولاد على ، وحسنت سيرتهم في الناس ، وكانوا لذلك يفخرون بأنهم « أهل زناد وبرهان » : الزناد



لأنهم أهل منعة وقوة وسلاح ، والبرهان على شرف النسب والحسب ، بنبا  
غيرهم لا زناد له ولا برهان .

ودقت الطبول ، وقامت هنداوية تقول مفاخرة بأخوالها أولاد علي ، وقد  
أفطروا في رمضان استعدادا للحرب :

قرضنا مع رمضان وشئ ما قضيناه (لعل)

معانا ثمانى صفوف عليك نوريا (خالى على)

ومعنى ذلك أن قبيلة الصفاني كانت ثمانية صفوف مرابطة بالفيوم استعدادا  
للقاتال مع أولاد علي .

وفي غضون هذه الخصومات بدت مظاهر الفخر والهياء ، فكانوا يقولون :

الكذب عند (الهدايد) منهم خدوه (الفواخر)

والخبص عند (الجميعات) هل شاربا بومناخر

والبيت الثاني يشير إلى الفسق الذى يتهمون به قبيلة الجميعات حتى ظهرت

آثاره على مناخرهم الضخمة ، وهم الذين استقروا بأبو حمص .

ولا تزال بأبو حمص إلى الآن بقية صالحة مستنيرة من عرب البحيرة ولا سيما  
عائلات المصرى ومخيون والزيات وعيسى وشطور ، وهم جميعا لهم من الأعمال  
المجيدة ما لا يتسع له المجال هنا ، وأولاد على فرغان :

١ - أولاد على الأبيض : ومنهم أولاد الدجن ، وأولاد السناقرة ، وأولاد

خروف ، ومنهم المقرحى ، وأولاد منصور وعلى رأسهم قبيلة كاشيك بأبو المطامير .

٢ - أولاد على الأحمر : ومنهم الحرابي وأبو رقيق بالدلتجات وعلى رأسهم

قبيلة القنيشات .

ومن أولاد على أيضا : الزغيبات والعزائم ، كما أن من المرابطين لأولاد على

بأبو حمص قبائل : الجميعات وشيخهم البقوشى ، والكيلات والسنة والموالك

وهم مرابطون بيض من ذوى البرهان ( الشرف ) وكذلك السمالوسى والأمنفة

والقطعانى والهوراة .

وفي ٢١ مايو سنة ١٨٦٧ أباح الأمر العالى للعرب المصرين الانتفاع بزراعة

بعض الاراضى البور الحكومية ، على مياه الامطار الارترزاق منها ، وحرم عليهم

التصرف فيها بالبيع أو الرهن أو التنازل عن حق الانتفاع الشخصى بها إلى الغير إلا إذا تملكوها بموجب عقد رسمى .

وفى سنة ١٩٢٤ ألغى مجلس الشورى امتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها من عهد محمد على وهى : الإعفاء من الجندية ، ومن القيد فى سجلات المواليد ، ومن الضرائب ، ومن الاحتكام إلى قانون الدولة ، فتوجه سليمان بن خير الله الدجن إلى سعد زغلول رئيس الوزراء وألقى الخطبة الآتية بين يديه :

أيها الأمير ، قصدتك وفود العرب ، تنسل من كل حذب ، لما نالها فى هذا الزمان الطلب ، وهم من سليم بن منصور وتغلب بن وائل ، ومن بنى هاشم الفطاحل ، ومنهم من بدو أفريقيا ، ليعرضوا ظلامتهم نثرا وشعرا ، أما الشعر عندنا فطريقتان : طريق الهوى وهو ترقيق وتنميق ، وطريق النفيظ وهو هذا نسوق معانيه فى خشونة قوافيه ، كما نسوق الفنق ( الإبل ) الغضاب ، نضربها لتصد الصعاب ، وتنحدر برؤوسها إلى الهضاب ، فاسمع وما إخالك إلا سامع ، لما نفهمه فيك أنك أكبر مقارع ، غير هياب فى ظلمات المعامع :

يا عيس إن شط المزار وأبرقت	فى وجهك القفراء والخضراء
وتعثر طرقاتها وتمثلت	وجرت عليها طمة الإعفاء
وبلى إلى (سعد) العلا وجنابه	تجدين منه ذروة وحماة
رجل عصامى لا يناظر فضله	لاتدخره الحجة الجوفاء
واذكريه بفضله وبحزمه	وبأننا لاناألف الضياء
قولى له يا (سعد) إن حماتنا	طالبون منك توضحا وجلاء
هل ترضى يا (سعد) وأنت عميدنا	أن نستذل وتدخل السفراء
ما حالهم جلسوا على أنتخاتهم	حتى تناجوا نحونا وتراموا
هل أكلوا ما كان ينقص مصرنا	لم يبق غير الامتياز فداء
ماذا ترى فى عصبية قد أجمعوا	فى أنفسهم حقدا لنا رعداء
نحن يعيرنا (البلاغ) <sup>(١)</sup> بأتنا	قوم على جهل بها وغباء

(١) يقصد مصحبة ( البلاغ ) التى كان يصدرها عبد القادر حمزة ، وكانت قد عبرت العرب بالجهل بحرب التل الكبير سنة ١٨٨١ م

هل نجعل الحرب التي هي فخرنا  
للحرب مجد قد ورثنا عليها  
(للتل) لارحنا ولا كسابها  
بل فاسأل (النظام) عندهم ومهم  
لا شيء أزعجهم سوى خلواتها  
بل كان في (كنجى) مرابض جيشنا  
نحن (العلايا) مجدنا متسلسلا  
أبقى الزمان عوائلنا مألوفة  
انظر إلى (شارل) و(تاشفين) ثوبا  
ثلث عروشهم وانتنت بملوكها  
في (الشام) لما حوصرت أجنادنا  
قنا على الجرد القوارح نبتلى  
كم كان في (السودان) مناضيجهم

هل ننسى خدعتها وعظم دهاء  
من جد يتسلو جد والآباء  
بل كان ماسمومهم و (النظام)  
في ليلة ظلماء قبل دهاء  
والريح تضرهم بنى الوهماء  
هل فيه منفذ تدخل الأعداء  
يبنى إلى (العقار) فيه بناء  
الضعف يتوى لاذيحك صدام  
في الشرق والغرب الجميع سواء  
والبغي أنزلها إلى البرحاء  
ودعانا (إبراهيم) للبيضاء  
أغوارها وجبالها الوعراء  
لولانا ما فتحت ولا سحراء.

وهذا الشعر شبه المنظوم على ما فيه من عيوب الظم واللغة والقافية ، إنما  
ينم عن عدة أمور لها دلالتها على ما كان لأولاد علي (العلايا) من أجداد ، وهم  
الذين جدودهم (العقارة) - نسبة إلى (العقار) - كانت لهم مساهمة فعالة في  
حرب الانجليز في كفر الدوار سنة ١٨٨٢ في صفوف عرابي ، وفي ( كنجى  
مريوط ) ، وهم لم يشتركوا في ( موقعة التل الكبير ) التي انهزم فيها العرابيون  
ومع ذلك انسأقت « صحيفة البلاغ » وراء صنائع الخديوى توفيق وعملاء  
الاستعمار للتشجيع على العرب المصريين ، واتهامهم بالخيانة ، وهم من ذلك - كما تشهد  
وقائع التاريخ - أبرياء منها براءة الذئب من دم ( ابن يعقوب ) وهم ينفخون  
باشترائهم في حروب الشام والسودان ، فكذب لهم النصر ، وهم غير نظاميين  
(نظام) ومع ذلك انتصروا بما توارثوه عن الأجداد من فنون الحرب المسماة  
(حرب العصابات) ، وتدلل هذه المنظومة أيضا على اهتمامهم بتاريخ العرب في الغرب  
وحوادث الحرب بين شارل وابن تاشفين .

وابتليت مصر بالاحتلال الانجيزى سنة ١٨٨٢ ، فكان لابد للسلطة الحاكمة

من أن تضع في حسابها مشكلة العرب في مصر، لهذا جاء في تقرير (لورد دوفرين) إلى (لورد جرانفيل) في ٦ فبراير سنة ١٨٨٣ أن قبائل البدو في مصر نحو أربعين ألف نفس وأنهم قادرون على حمل السلاح، وأكد التقرير أنهم يحتفظون بصفاتهم الحربية، وأن الحكومة المصرية كانت تحسب لهم ألف حساب، وقد رأينا أساليب محمد علي وخلفائه في التخلص منهم، حتى لا يكونوا شوكة في ظهره وظهورهم، وأما الكثيرون منهم فتد طحتهم الحروب الدامية والذين تباقوا بعدهم، شغلوا بالزراعة وصاهروا الفلاحين، واندمجوا فيهم بعد عزلة طويلة الأمد، وخضعوا لسلطة الحكومة، وفقدوا امتيازاتهم الأولى (١)، ومع ذلك احتفظوا ولا يزالون يحتفظون بصفات البدو، من الاعتزاز بالنفس، والذود عن الكرامة، والتمسك بأهـداب الفضيلة، والمصارعة إلى إغاثة الملهوف، وبذل النفس والنفيس.. في سبيل الخير والحق معا، وكانت خاتمة المطاف من جهادهم على اختلاف الدول الحاكمة كما يقول المثل « آخر خدمة الغز علقه » :



# ٥ كفاح البحيرة معارك وانتصارات

## أرض الثورات

كان لإقليم البحيرة - منذ آلاف السنين - مهد الثورات على اختلاف أنواعها : ثورات على قوى الطبيعة ، ثورات على الغزاة والقراصنة ، ثورات على الظلم والفقر ، ومنذ عرف التاريخ هذا الإقليم ، شهدت البشرية ثورة النيل في فيضانه على الأرض ، بما عليها ومن عليها ، و ثورة البحر على الأرض بما عليها من عليها ، وأهل الإقليم ، بين ثورة النيل و ثورة البحر ، في صراع عنيف من أجل البقاء ، ولإلا انقرضت سلالاتهم منذ أقدم العصور .

ومن الطبيعي لذن أن يعلن أهل البحيرة أول ثورة لهم على النيل وعلى البحر ، أما على النيل ، فذلك يوم صنعوا الزوارق لينقلوا بها وسط الأحراش والأعشاب بحثاً عن القوت من نبات أو سمك أو حيوان ، ويوم حضروا فرع رشيد لتصفية مياه الفيضان ، في مجرى مساعد للفرع الكانوني الأصيل ، وأما على البحر فذلك يوم أقاموا سدا من الحجارة والتراب في وجهه ، حتى لا يغمر الأرض المنخفضة ، ويوم أقاموا القناطر على ضفتي النهر وحصنها بما استطاعوا من قوة ورباط ، وثاروا أيضا على الصحراء الكبرى المترامية الأطراف ، فتصيدوا وحوشها ، وزحفوا على قفارها فوصلوا إليها الماء ليزرعوها ، وإلى أحراش المستنقعات ، فاجتثوها .

حقا إنه صراع عريق بين أهل البحيرة وبين النيل والبحر والبحيرة والوحش والصحراء ، صراع مريب طال أمده ، حتى كتب التاريخ لهم النصر والبقاء في البحيرة .

وثار أهل البحيرة أيضا على الهواء في البر والبحر والبحيرات جميعا ، فقد أقاموا طواحين الهواء على التلال العالية ، وركبوا عليها أجنحة لتدور فتطحن الغلال ، وانتصروا على الرياح ، فركبوا للزوارق أشعة تمتلئ بالهواء لتدفعهم إلى حيث يريدون في البحر والبحيرات .. كلها ثورات عاشتها البحيرة .. أرض الثورات .

## أول ثورة على الملكية

لولا د لوحة نارمر ، لصاعت معالم حياة لإقليم البحيرة قبل عصر الأسرات ، فقد كشفت لنا هذه اللوحة ، عن أول ثورة في العالم ، لا في مصر وحدها ، أول ثورة شعبية على النظام الملكي ، ثورة الديمقراطية على الدكتاتورية ، ثورة أول نظام نيابي . على نظام الحكم المطلق ، ثورة الاستقلال على التبعية ، ثورة الحكم المحلي على الحكم الشامل ، ثورة اللامركزية في المقاطعة ، على المركزية في الدولة ثورة الحرية على الاستبداد ،

ذلك أن الملك ( مينا ) منذ خمسة آلاف سنة ، تقدم بجيشه من ( طينه ) بالصعيد نحو الشمال ، لتوحيد الوجهين القبلي والبحري ، وضمها تحت قاج واحد ، غير أن سكان إقليم البحيرة ، أعلنوا الثورة في وجهه ، ولم يقبلوا الانضواء تحت لوائه ، فهو ( صعيدى ) وهم ( بحاروة ) ، ثم هو ملك وهم شعب ، شعب يتمثل في ( مجلس العشرة الكبار ) ، لقد أعلنوها ثورة على الملكية ، أول ثورة قامت بها مقاطعة ميتليت Metelite الواقعة في الجزء الشمالى من إقليم البحيرة ، وهو أسرع أجزاء الإقليم نحو الحضارة ، حيث كان المهد الأول للديمقراطية الأولى في العالم ،

لقد سجل الملك مينا أو ( نارمر ) انتصاره على ( العشرة الكبار ) ، ولكن كفى البحيرة فخرا أنها كانت أول إقليم في العالم رفع لواء الثورة ، باسم الشعب ، إن مقاطعة ميتليت اتى عاصمتها ميتليس بطلمية في تسميتها ، وهذا لا يمنع من أنها أقدم من العصر البطلمى بكثير .

## دعاء.. علي « الكانوبي »

وشهد الفرع الكانوبي قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام بنحو ١٦٠ سنة فصلا رائعا من « الثورة المصرية » الخالصة على الحكم البطلي ، الذي ضج منه المصريون ، وضاقوا به ذرعا ، وحمل لواء الزعامة شاب مصري هو (ديونيسيوس بيتوزارابيس Dionisius Petosarapis) وبدأت الثورة ، الإسكندرية ، وهي يومئذ عاصمة مصر ، والمعسكر الأول للجيش البطالة ، تلك الجيوش المتجمعة من عناصر شتى : يونانية ومرترقة . ومالبت زعيم الثورة أن تقهر إلى (إيلوزيس Eulosis) مكانها الآن (المنصورة) شرق أسكندرية ، وهناك انضم إلى صفوفه أربعة آلاف من الثوار ، ومع ذلك لم يستطع الصمود في وجه البطالة ، ولذا بالفرار نحو الشرق ، فاضطر هو ورجاله إلى عبور الفرع الكانوبي سباحة ، وشهد (ديونيسيوس) عارى الجسد ، وقد انقص من حوله أتباعه ، وقتل معظمهم . وسار هو بفلول جيشه نحو الصعيد ، لكي يلهب نار الحماسة في المصريين ، ويحرزهم على حكم البطالة الأجانب الذين تولوا زمام أمورهم ، وهم الذين لا يرتضون بغير « السيادة الكاملة » بديلا .

ومن حق التاريخ أن يسجل هذه المعركة التي تعتبر بحق إحدى حركات المقاومة المصرية في عهد البطالة <sup>(١)</sup> شهد إقليم البحيرة أحداثها ووقائعها .

## البحيرة .. مقبرة الرومان

استهل القرن السابع الميلادي ، والدولة الرومانية كالشمس أخذة في الغروب ، وبلغ الامبراطور (هرقل الأكبر) من العمر أرذله ، فألقى بزمام الحكم إلى ولده الصغير ، وكان يسمى (هرقل) أيضا ، وجعل (نيكتاس) نائبا عنه . وكانت مصر منذ سنة ٦٠٢ م في قبضة القائد الروماني (فوكاس) . وقد صمم (نيكتاس) على أن ينتزعها من يده ، فجرد حملة أخذت طريقها في الهجوم على الإسكندرية ، من جهة الغرب بمحاذاة الساحل ، وقبل أن يصلها ، مر (بمروط) الغنية بخيراتها ، واستمال إليه حاكمها ، وهو يومئذ موظف تابع لحاكم لإقليم الإسكندرية .

(١) حركات المقاومة الوطنية في مصر البطالة : الدكتور محمد عواد حسين .

وفي نفس الوقت قدم جيش الامبراطور من ( بينظط ) إلى الاسكندرية ومنوف وأتريب (بنا) ، وكذلك تحرك جيش من سوريا باستدعاء الامبراطور. الذي أمر (بنوسوس) بالزحف منها على مصر . كان جيش ( نيكتاس ) قاب قوسين أو أدنى من غرب الاسكندرية ، واستسلمت له المدن المجاورة لها مثل ( كبسين ) وسقط في يديه حصن ( كرسونيسوس ) .

وما لبث أن بعث بعض رجاله ، للتجسس على الثورة ضد ( فوكاس ) ، في المنطقة التي على جانبي ( ترعة الثعبان ) ، ووقعت الواقعة ، ودخل ( نيكتاس ) من ( باب القمر ) وهو الباب الغربي للمدينة ، وفر حاكمها ، وسمت القوضى أرجاء الوجه البحري فسقطت ( قتيوس ) وهي الآن ( شبشير ) (١) و ( منوف ) وتمردت (أتريب) و ( سبتيس ) التي تعرف اليوم باسم ( سمود ) .

أما ( بنوسوس ) فقد أرسل جيشين ، ركب السفن من البحر ، عبر فرعى الدلتا ، حتى وصل إلى (أتريب) وركب منها إلى (منوف) ، وانتصر على خصمه في ( قتيوس ) ، وصار الوجه البحري ، في قبضة يده ، غير أن الثوار سارعوا إلى الاسكندرية ، رافعين علم الثورة على الحكم البيزنطي ، وكان بها يومئذ ( نيكتاس ) على استعداد للقاء عدوه ، فسار إليه ( بنوسوس ) برا حتى نزل ( مومفيس ) التي هي ( شبرا دمنهور ) ، ومنها إلى ( دمكاروني ) أي مدينة ( الكريون ) ، فلما بلغ الجانب الشرقي من الاسكندرية ، نزل بجيشه تحت أسوارها الحصينة .

وخرج ( نيكتاس ) للتماته من (باب أون) أي باب الشمس وهو الباب الشرقي من أبواب ( المدينة الكبرى ) كما كانت تسمى في هذا الوقت ، وتقدمت الجيوش الامبراطورية نحو المدينة ، فبادرت المجانيق من فوق الاسوار ، وتمزق جيش ( بنوسوس ) وارتد إلى ( الكريون ) عبر الترع ، حتى وصل إلى الفرع الغربي للنيل ؛ حتى بلغ ( نيقيوس ) حيث استرد أنفاسه ، ثم سلك ترعة أخرى تسمى ( ترعة الروجاشات ) إلى ( مريوط ) ثم ( ترعة الثعبان ) التي في غرب الاسكندرية

---

(١) وتقع على الضفة اليسرى للنيل قريبا من التحسام ( ترعة فرعون ) بالنيل وهي التي تربط فرعى الدلتا بين أتريب ومنوف .



فأمر (نيكتاس) بهدم القنطرة التي عند (دفاشير) بالقرب من مريوط ، و- لكن (بونوسوس) سار في البر إلى (دفاشير) وأمعن في أهلها قتلا وذبحا ، ثم عاد أدراجه إلى (نقيوس) ليحتمي بها .

وسار (نيكتاس) إلى (مريوط) وسيطر عليها وعلى الإقليم كله ، كما سيطر على ضفتي فرع النيل الغربي بما على جانبيه من المدن والقرى ، ومضى إلى (نقيوس) تحت ستار من الظلام ، وهجم على (بونوسوس) في عترداره ، حتى مزق شمله ، ولأذ بالفرار إلى (أتريب) ثم (سايس) ، وظل هائما على وجهه حتى وصل إلى فلسطين ، وبهذا وطد (بونوسوس) لهرقل في مصر ، بعد هذه الواقعة الحاسمة التي تعرف في (ديوان بسكال) باسم « ثورة أفريتا والإسكندرية » ، تلك الثورة التي بدأت تزحف من ساحل شمال أفريقيا على الإسكندرية . ودامت حواشها بضعة أسابيع من نوفمبر سنة ٦٠٩ ميلادية ، ويرجع الفضل في سرد تفاصيلها إلى (حنا النقيوسي) .

ومن ذلك الوقت ، أقام (نيكتاس) بالإسكندرية نائبا عن (هرقل) في حكم مصر ، وفي عهده لقي أقباط مصر ما كانوا ينشدونه من حرية العبادة ، وبناء الكنائس والأديرة ، لقاء ما قدموه لنيكتاس من عون ، في حربه الطاحنة ، التي جرت وقائعها على أرض البحيرة .

## البحيرة . . وشاهين الفارسي

زحفت جيوش الفرس على الشام ، وأمعنت فيها فسادا ، ومن هناك سار القائد الفارسي (شاهين) إلى مصر في خريف سنة ٦١٦ م ، وسلك الطريق الذي اتبعه من قبله قمبرز والإسكندر ومر بالعريش والفرما ومفيس حتى وصل إلى (نقيوس) . ومن ثمت سار في (الفرع البولييتيني) وهو فرع رشيد حتى استولى على الإسكندرية ، ومصر كلها وليبيا إلى حدود إثيوبيا .

وتحت أسوار الإسكندرية ، توقفت جيوش (شاهين) ، وعاث الفرس فسادا في أديرة الاقباط ومكتباتها الكائنة شرق المدينة وغربها ، واستولى الفرس على الرعة التي تخترق المدينة وتصلها بالبحر - بحيلة ماكرة وبهذا تمكنوا من امتلاك مفاتيح

الإسكندرية ، وبعث بها شاهين إلى كسرى في أول عام ٦١٨ م ، وظل الفرس يحكمون البلاد ، حتى شغلهم عنها حروبهم مع الروم في الشرق . فاضطروا إلى الجلاء سنة ٦٢٧ م

وعمل الأقباط على استعادة سيطرة الرومان على مصر ، وصار ( قيرس ) بطريرك الإسكندرية سنة ٦٣١ م ، وهو الذى سماه العرب فيما بعد ( المقوقس ) عظيم القبط من قبل الروم .

وقد اقترن حكمه بالإقطاع والاستبداد ، ولقى المصريون منه كل أذى ، وقد أفاد ( ألفرد بتلر A. Butler ) عدة صفحات من كتابه ( فتح العرب لمصر ) للتدليل على فساد حكمه ومظاهر ظلمه ، فإذا صح ذلك ، استطعنا أن نصدق بسهولة ما رواه ابن عبد الحكم عن امرأة المقوقس التى كانت تملك منطقة الكروم اتى أمرت بكسر البحر لإغراقها على المزارعين حتى صارت ( بحيرة إدكو ) .

ولما كان العام التاسع عشر للهجرة ( سنة ٦٤٠ م ) مضى عمرو بن العاص إلى فتح مصر ، وقد سلك الطريق الذى سار فيه الرومان والفرس من قبله ، وكانت البحيرة فى جميع هذه الحوادث ميدان المعركة الفاصلة ، وعلى أرضها ارتفعت ألوية النصر منذ أربعة عشر قرنا ، إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله ، فإن ( موقعة الكريون ) كما سنرى فى الصفحات التالية ستسجل انتصار المبادئ الإسلامية ، واندحار المجادلات البيزنطية ، وسيكون للبحيرة دور جليل فى التاريخ الإسلامى العام ، ولا سيما فى « الفتنة الكبرى » بين الإمام على الخليفة الرابع للمسلمين ، وبين الأمويين ، المطالبين بدم سلفه الشهيد عثمان الخليفة الثالث .

### البحيرة قنطرة الاسلام<sup>(١)</sup>

كان يوم ٩ لبريل سنة ٦٤١ م ( عام ٢٠ هـ ) بداية انطلاقة هائلة للسلميين نحو الهدف الذى قادهم من أجله عمرو بن العاص إلى مصر ، ففى هذا اليوم انتهى

---

(١) اعتمادا فى هذا الفصل على مصادر الفتح الإسلامى لمصر مجتمعة فى أقوال ومؤلفات البلاذرى والواقدى وابن عبد الحكم والسكندى والمقرئى وياقوت وكاترمير وبتلر وعكوش .

الحصار الذى ضربه على ( حصن باب ليون ) لمدة سبعة أشهر ، وبعدها ركب عمرو بخيله عبء الصحراء يريد الإسكندرية ، والتحم مع الروم فى ( ترنوط ) التى تسمى الآن ( الطرانة ) فانتصر عليهم ، ومضى إلى مدينة ( نقيوس ) التى عرفنا أهميتها فى الأحداث السابقة ، فى وقائع ( نيكتاس ) و ( شاهين ) ، وكان بها حصن منيع ، وأقام بها عمرو بضعة أيام حتى سلمت يوم ١٣ مايو ، وتشنت شمل السفن الرومانية ، وتقهقر القائد الرومانى ( تيودور ) بجيشه إلى الإسكندرية ، ثم عبر النيل إلى الضفة الغربية ، ومن هناك بعث ( شريك بن سمى ) ليقضى على فلول الجيش الرومانى المهزوم .

وفى هذا الوقت ، كان إقليم البحيرة كثير الترع ، متعدد القنوات والمستنقعات فركب عمرو بخيله ليتفادى كل مكان دهس .

وكان ( شريك ) قد سبق ، وسرعان ما أدركته إمدادات ، بعث بها إليه عمرو مع ( مالك بن ناعمة الصدفى ) وكان يعرف بصاحب الفرس الأشقر المسمى ( أشقر صدف ) لأنه كان فرسا لا يجارى ، وأدركه الروم عند قرية تقع فى شمال ( الطيرية ) بين ( إمبابة ) و ( إيتاى البارود ) ، فاعتصم بكوم هناك فأحاط به العدو فى حركة التفاف ناجحة ، ولكن سرعان ما انقض ( مالك ) عليهم بفرسه من أعلى الكوم ، وأسرع الروم من خلفه فلم يدركوه ، ونجا منهم بأعجوبة ، على كثرة ما لديهم من العدد والعدة ، وسمى هذا المكان ( كوم شريك ) باسم ( شريك ) الفارس المغوار ، الذى أسرع إلى معسكر القائد العام عمرو بن العاص لينخبره بما جرى فى ( كوم شريك ) .

وسار عمرو بحاذاة التربة التى تلى الصحراء فى اتجاه الشمال الغربى ، حتى وصل إلى ( الدلتجات ) ، ومضى فى طريقه حتى اعترضته حامية الروم عند ( سنطيس ) أو ( ساطيس ) وهى فى جنوب ( دمنهور ) بسبعة كيلو مترات ، وهناك درات المعركة ، وانتصر المسلمون ، ولذا الروم بالفرار ، واستمر عمرو فى زحفه نحو ( دمنهور ) فبدد بها شمل العدو ، واتجه إلى الإسكندرية ، وكانت ترعة الإسكندرية يومئذ قد نضب ماؤها ، فعبرها دون مشقة ، وقطع مسافة عشرين ميلا ، حتى بلغ ( حصن الكريون ) ، وكان الروم قد تحصنوا به ، وآووا

إلى ظله ، وهم في حيرة من أمرهم ، وكأنهم يتساءلون : ماذا يحدث إذا سقط  
( حصن الكريون ) في أيدي العرب ؟

قع ( الكريون ) على الضفة اليمنى من ترعة الإسكندرية واشتهرت في العصر  
الرومانى بوجود محطة لنقل الغلال عندها من إقليم البحيرة إلى الإسكندرية ،  
عبر ترعتها وكانت أيضا تهيم على هذه التربة ، باعتبارها الشريان الأصلى للحياة  
الاقتصادية بالنسبة للإسكندرية . وفضلا عن هذا كله ، كانت آخر معقل  
للرومان من السلسلة الطويلة الممتدة من الحصون والقلاع ما بين ( باب ليون )  
و ( الإسكندرية ) .

وكان الرومان قد أسرعوا بترميمات حصون الكريون ، ومع ذلك كانت  
أقل مناعة من حصون ( نقيوس ) و ( باب ليون ) ، ولم يجد ( تيودور ) القائد  
الرومانى بداً من الاعتصام بها من زحف المسلمين نحوهم ، وهناك توالى  
الإمدادات من ( بيزنطة ) ، كما بعث الأقباط بالمعونة من ( خيس ) و ( سخا )  
و ( بلهيب ) التى هى ( ديبى ) و ( سنطيس ) .

وعند ( الكريون ) دارت رحى القتال ، وحمل الوطيس ، بضعة عشر  
يوما ، وصمد جيش المسلمين ، بقيادة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد أیده  
أبوه بجمال اللواء ( وردان ) ، ويومئذ كان المسلمون اثنى عشر ألفا ، يواجهون  
حامية من الروم ، لا يقل عددها عن خمسين ألفا .

وأصيب عبد الله بجراح خطيرة ، فطلب من ( وردان ) مولى أبيه أن يتقهقر  
قليلا إلى الوراء ، فعرف ( وردان ) أنه يستبقى الحياة فسأله مستنكرا ، وأجابه  
مشجعا ، حيث قال : الروح تريد ؟ الروح أملك وليس خلفك .  
وعلم عمرو بالخبر : فأرسل يسأل عن ابنه ، غير أن عبد الله - إزاء  
الإيمان بالموت فى سبيل الله - أظهر الشجاعة فى رده على أبيه ، مستشهدا بقول  
( ابن الإطنايه ) :

أقول لها إذا جشأت وجاشت      رويدك تحمدى أو تستريحى  
فقال عمرو : إنه ابنى حقا .

وأقبل (وردان) على القتال ، ووجهه عبد الله متهكماً على جراحه ، حتى صار في الشهداء .

تأخر عمرو في فتح الإسكندرية ، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يؤنبه على هذا التأخير ، وعقد اللواء لعبادة بن الصامت ، وصلى عمرو بالمسلمين صلاة الخوف ، ثم قام بهم إلى ساحة الخلود ، بين (الطرائة) و (الكريون) ، وخطب فيهم وقال : [ سيروا على بركة الله ، فمن ركن منكم ربحاً في دار ، فهي له ولبنى أبيه من بعده ] والتجم الفريقان ، حتى فتح الله عليه (الكريون) ، ولم تعد أمامه عقبة في الاستيلاء على (المدينة الكبرى) . . . الإسكندرية .

تقهقر الروم إلى الإسكندرية . . . ونزل المسلمون ما بين (حايوة) و (قصر فارس) شرقاً ، وإلى ما وراء ذلك ، وكان الأقباط يناصرون الروم ، ويمدونهم بالمؤنة ، فأقاموا شهرين ، حتى تحول عمرو منها إلى (المقس) ، فخرجت عليه الخيول من ناحية البحيرة ، مستترة بالحصن وجرى القتال عنده عنيفاً ، حتى قتل في (كنيسة الذهب) اثنا عشر رجلاً من المسلمين .

المسلمون الآن عند (الكريون) لا يبرحونها : فتمد خلا لهم الطريق بعدها إلى الإسكندرية ، ففضى إليها عمرو بين بساتين السكروم وأشجار النخيل والكنائس والأديرة المنتشرة بأرباضها ، حتى وصل إلى أسوارها فحاصرها حتى سلمت مفاتيحها في نوفمبر سنة ٦٤١ م ، وأبرم عمرو عقد الصلح مع (المقوقس) كبير الأقباط ، والحاكم العام باسم الروم في الإسكندرية ، وجعل (وردان) واليا عليها ، ثم سار عمرو من (الكريون) نحو الشرق ، على ضفاف النيل في (الخوف الغربي) وهو الاسم الذي أطلقه العرب على إقليم البحيرة ، حتى وصل إلى (إخسا : إدكو حالياً) وهي غير بعيدة عن الإسكندرية ، ف ضرب الحصار حولها حتى اضطر حاكمها (طلما) إلى التسليم بعد وقوع عدد كبير من أهلها في أسر المسلمين ، فأرسلهم عمرو إلى الخليفة ، وعرض الإسلام عليهم فأسلموا ، وأقبل (طلما) متوسلاً إلى عمرو أن يخفف الجزية فأشار إلى كنيسة مجاورة وقال : [ لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ، إنما أنتم خزائن لنا ، إن كنز علينا أكثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم ] وتم الصلح ، كما تم

مع ( قزماس ) أو قزمان حاكم رشيد و ( حنا ) حاكم البرلس ، حتى وصل المسلمون إلى دمياط ، وبهذا تم استيلاؤهم على منافذ النيل على البحر . . بحر الروم ، الذي سيصبح بعد هذه الواقعة بحيرة إسماعيلية ، ومن ثم فقدت الإسكندرية مكانتها كعاصمة لمصر بعد أن وقع اختيار عمرو على ( الفسطاط ) فجعلها العاصمة .

وكانت ( سنطيس ) و ( مصيل ) و ( بلهيب ) قد أعانت الروم على الفاتحين فصدر أمر الخليفة - بعد أن علم بذلك - بجعل هذه القرى ذمة للمسلمين ، وضرب الخراج على أهلها .

وفي عام ٢٥ للهجرة ، أرسل هرقل جيشا من القسطنطينية ( بزنطة ) يقوده ( مانويل الخصي ) بغية استرداد مصر من أيدي المسلمين ، وعاث الروم فسادا في اقصى المجاورة للإسكندرية من إقليم البحيرة ، وعندما خف جيش عمرو لصدد هذه الحملة الفاشلة عن الإسكندرية ، أمر بتخريب القرية التي اختطفت ( وردان ) ، وأخرج أهلها منها ، وقيل إنهم قتلوا المشاة من جيش عمرو بعد وصوله إلى ( الكريون ) ، فبعث إليهم ( وردان ) فأمن فيهم تقييلا ، وفي بيوتهم تخريبا ، لهذا سميت ( خربة وردان ) .

وتفرق الصحابة بعد الفتح في الإسكندرية وأمسوس ودمياط ورشيد وبلبيس وأرسل عمرو كتابا إلى الخليفة يحمله عامر بن لؤي يخرج به بفتح م مربوط والإسكندرية ودمياط وفوه والمحلة ودميرة وسمنود وجرجا ودمنهور وإيسار والبحيرة ، (١)

وعرفت الأماكن التي اختطها المسلمون بأسمائهم فكانت (لخم) بالإسكندرية (وخزاعة) بأبو قير (٢) ووادي هبيب (وادي النطرون) باسم هبيب بن هغل (٣) وانطوى آخر علم الرومان في مصر ، بل في الشرق كله ، ولم يكتب له أن

(١) فتوح الشام : الواقدي ٢ ص ٩٥

(٢) الإلام : النويري السكندري

(٣) أخبار من نواحي مصر : أبو صالح الأرمي

وروت المائة اقومها ما عليه الجميعة والهنادى ، وكان حديثها عن خيرات  
 إقليم البحيرة مطابقاً لما كان قد ذكره البقوشى فى رحلته الأولى إلى قومها ،  
 وجاءت الطوائف من أولاد على تنزح من الضبعة ويرى إلى أبو حصص ،  
 وأدرك الهنادى ما وراء هذه الوفود من خطر على مراكزهم ، وداخلهم الشك فى  
 أمر البقوشى ، فمضوا إليه يستوضحونه الأمر ، وصارحوه علانية ، بأنه قد دبر  
 معهم استتدام هذه الجموع إلى أبو حصص ، وأن وراء هذه الحركة خطراً عليهم ،  
 فأقسم لهم أنه ما جمعهم إلا ليكونوا معهم لا عليهم ، فصدقوه فى سذاجة وبلاهة  
 وتركوا البقوشى ومضوا من حيث أتوا ، ولكنهم رأوا أن عدد الوافدين يزداد  
 يوماً بعد يوم ، فهاهم الأمر .

وتنازع أولاد على والجميعة ، على فىاى البحيرة ، حول مركز كوم حمادة ،  
 وقامت بينهما حرب طاحنة ، انتصر فيها أولاد على ، وفر الهنادى إلى وسط الدلتا  
 وشرقيها ، وقام أمراء المماليك بالتوفيق بين الطرفين ، وتم الصلح على أساس أن  
 تكون منازل أولاد على فى الغرب من فرع رشيد ، ومنازل الهنادى فى الشرق ،  
 وتلى أن من كان من الهنادى عرباً فهو من أولاد على ، ومن كان من أولاد على  
 شرقاً فهو من الهنادى ، وبذا حققت الدماء .

وقد انضم إلى جيش إبراهيم باشا خمسة وعشرون ألفاً من أولاد على بزعامة  
 شيخ العرب خير الله الدجنى الكبير ، وكان النصر حليف إبراهيم ، فمضى نفوذ  
 أولاد على وعاشوا فى رفاهية سابعة ، وكذلك اشترك أخو خير الله فى حملة طوسون  
 ابن محمد على إلى السودان ، واستشهد هناك .

ولكن عباس حلمى الأول خشى من ازدياد نفوذ أولاد على بعد هذه  
 الاقتضارات التى حققوها ، فصمم على كسر شوكتهم ، وأخذ يحرض عليهم  
 (الصفافى) وهم ثمانى قبائل مرابطة بالفيوم ، ومنها طوائف (الباسل) و (الملوم)  
 و (شديد) و (السعدى) وغيرهم ، وأمدهم بالسلاح ، وزحفوا على أولاد على  
 بالبحيرة ، وكانوا على علم بهذه المؤامرة .

وكان على (الصفافى) أن تجمع معها (الجميعة) فى أبو حصص و (العفنيات)  
 فى الجيزة ، ولكنها خشيت بأس الحكومة ، فتخلت قبيلة الصفافى عن أولاد على ،

وظلت على الحياذ ، تتربص بالفريق المغلوب . انتقض عليه ، وغاية ماتشئيه أن  
تتخلص نهائيا من الهنادى وأولاد على أجمعين .

وذهب خير الله الدجن ، على رأس أربعين من مشايخ عرب أولاد على ،  
إلى عباس وأنهى إليه ما تواتر من أنباء المؤامرة التي يدبرها مع الصفافى ضد أولاد  
على ، فأنكر فى بادئ الأمر ، ثم ما لبث أن اعترف بعدم رضاه عن سلوكهم ،  
ولكنه الآن عفا عنهم ، ووعدهم ألا يكون مؤيدا لأحد الطرفين على الآخر ،  
ولكن خير الله طلب منه أن يأمر الصفافى بوقف الحشود ، بعد ما تبين له أن  
الأسلحة التي معهم إنما أمدتهم بها الحكومة ، فاستجاب عباس ، وتصاغر أمام  
هبة زعيم أولاد على .

ولم يكذب خير الله يدبر وجهه ، حتى لقي على باب القصر رحيم البطران ،  
الذى بدأ يتودد إلى خير الله ويتملقه ، ويبدى له ولاءه لأولاد على ، وهنا خير  
الله على سياسته الناجحة ، فرد عليه خير الله بهذه القصيدة :

يا مرجبا شيخ ( العفنيات )	( رحيم ) كثير الدباره
وبالك تصدق منامات	حلم ليل يظهر نهاره
نجمك وسليب (الجميعات)	كما غاب من الكيس باره
إحنا مثلنا فى القرينات	كالوسكو فى النصاره
إحنا لاهت فيه جفلات	يرنن ملاعب صغاره
وما نعلو فيه من مات	على الحول جالنا خباره

فهو بهذا الشعر البدوى يرحب برحيم ويصفه بكثرة التديبر ، ويندد بما كانت  
قد سولت له نفسه من أحلام كشفتها الحقائق ، ويقول له إن نجمة وخيول  
الجميعات لا قيمة لها ، فهم كأصغر عملة ( باره ) ضاعت من كيس مال . وهم  
كالوسكوفيين القياصرة بالنسبة للمسيحيين ، أما أولاد على فهم لا يخافون من هذه  
الجموع ، وهم لكثرة عددهم فيما بين المغرب والمشرق ، إذا مات منهم واحد ،  
لا يعلمون خبر وفاته إلا بعد مضي سنة .

وعاد رحيم البطران إلى نجوعه بالجيزة ، وعلت كلمة أولاد على ، وحسنت  
سيرتهم فى الناس ، وكانوا لذلك يفخرون بأنهم « أهل زناد وبرهان » : الزناد



لأنهم أهل منعة وقوة وسلاح ، والبرهان على شرف النسب والحسب ، بينما  
غيرهم لا زناد له ولا برهان .

ودقت الطبول ، وقامت هنداوية تقول مفاخرة بأخوالها أولاد علي ، وقد  
أفطروا في رمضان استعدادا للحرب :

قرضنا مع رمضان وشي ما قضيناه (لعل)

معانا ثمانى صفوف عليك نور يا (خالى على)

ومعنى ذلك أن قبيلة الصفافى كانت ثمانية صفوف مرابطة بالفيوم استعدادا  
للقتال مع أولاد علي .

وفى غضون هذه الخصومات بدت مظاهر الفخر والهجاء ، فكانوا يقولون :

الكذب عند (الهداهيد) منهم خدوه (الفواخر)

والخبص عند (الجميعات) هل شاربا بومناخر

والبيت الثانى يشير إلى الفسق الذى يتهمون به قبيلة الجميعات حتى ظهرت  
آثاره على مناخرهم الضخمة ، وهم الذين استقروا بأبو حمص .

ولا تزال بأبو حمص إلى الآن بقية صالحة مستنيرة من عرب البحيرة ولا سيما  
عائلات المصرى ومخيون والزيات وعيسى وشطور ، وهم جميعا لهم من الأعمال  
الجيدة ما لا يتسع له المجال هنا ، وأولاد علي فرعان :

١ - أولاد علي الأبيض : ومنهم أولاد الدجن ، وأولاد السناقرة ، وأولاد  
خروف ، ومنهم المقرحى ، وأولاد منصور وعلى رأسهم قبيلة كاشيك بأبو المطامير .

٢ - أولاد علي الأحمر : ومنهم الحرابى وأبو رقيق بالدلتا وعلى رأسهم  
قبيلة التنيشات .

ومن أولاد علي أيضا : الزغيبات والعزائم ، كما أن من المرابطين لأولاد علي  
بأبو حمص قبائل : الجميعات وشيخهم البقوشى ، والكميلات والسنة والمواك  
وهم مرابطون بيض من ذوى البرهان ( الشرف ) وكذلك السمالوسى والأنفة  
والقطعانى والهوراة .

وفى ٢١ مايو سنة ١٨٦٧ أباح الأمر العالى للعرب المصريين الانتفاع بزراعة  
بعض الأراضى البور الحكومية ، على مياه الأمطار الارتزاق منها ، وحرم عليهم

التصرف فيها بالبيع أو الرهن أو التنازل عن حق الانتفاع الشخصى بها إلى الغير إلا إذا تملكوها بموجب عقد رسمى .

وفى سنة ١٩٢٤ ألغى مجلس الشورى امتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها من عهد محمد على وهى : الإعفاء من الجندية ، ومن القيد فى سجلات المواليد ، ومن الضرائب ، ومن الاحتكام إلى قانون الدولة ، فتوجه سليمان بن خير الله الدجن إلى سعد زغلول رئيس الوزراء وألقى الخطبة الآتية بين يديه :

أيها الأمير ، قصدتك وفود العرب ، تنسل من كل حذب ، لما نالها فى هذا الزمان الطلب ، وهم من سليم بن منصور وتغلب بن وائل ، ومن بنى هاشم الفطاحل ، ومنهم من بدو أفريقيا ، ليعرضوا ظلامتهم نثرا وشعرا ، أما الشعر عندنا فطريقتان : طريق الهوى وهو ترقيق وتنميق ، وطريق الغيظ وهو هذا نسوق معانيه فى خشونة قوافيه ، كما نسوق الفنىق ( الإبل ) المضاب ، نضربها لتصد الصعاب ، وتنحدر برؤوسها إلى المضاب ، فاسمع وما لإخالك إلا - اجمع ، لما نفهمه فيك أنك أكبر مقارع ، غير هباب فى ظلمات المعامع :

يا عيس إن شط المزار وأبرقت	فى وجهك القفر والخضراء
وتعثرت طرقاتها وتعثلت	وجرت عليها طمة الإعفاء
وبلى إلى (سعد) العلا وجنابه	تجدين منه ذروة وحاء
رجل عصامى لا يناظر فضله	لاتدخره الحجة الجوفاء
واذكرية بفضله وبجزمه	وبأننا لانألف الضياء
قولى له يا (سعد) إن حماتنا	طالبون منك توضحا وجلاء
هل ترضى يا (سعد) وأنت عميدنا	أن نستذل وتدخل السفراء
ما حالهم جلسوا على أمتعاتهم	حتى تناجوا نحونا وتراءوا
هل أكلوا ما كان ينقص مصرنا	لم يبق غير الامتياز فداء
ماذا ترى فى عصبية قد أجمعوا	فى أنفسهم حقدا لنا وعداء
نحن - ميرنا (البلاغ) (١) بأننا	قوم على جهل بها وغباء

(١) يقصد صحيفة (البلاغ) التى كان يصدرها عبد القادر حمزة ، وكانت قد عيرت العرب بالجهل بحرب التل الكبير سنة ١٨٨١ م

هل نجعل الحرب التي هي فخرنا  
للحرب مجد قد ورثنا عليها  
(التل) لارحنا ولا كنهاها  
بل فاسأل (النظام) عندهم ومهم  
لا شيء أزعجهم سوى خلواتها  
بل كان في (كنجى) مرائب جيشنا  
نحن (العلايا) مجدنا متسلسلا  
أبقى الزمان عوائلنا مألوفة  
انظر إلى (شارل) و (تاشفين) ثوبا  
ثلث عروشهم وانتنت بملوكها  
في (الشام) لما حوصرت أجنادنا  
قنا على الجرد القوارح نبتلى  
كم كان في (السودان) مناضغهم

هل ننسى خدعتها وعظم دهاء  
من جد يتسلو جد والآباء  
بل كان ماسومهم و (النظام)  
في ليلة ظلماء قبل دهاء  
والريح تضر بهم بنى الوهاء  
هل فيه منفذ تدخل الأعداء  
يمنى إلى (العقار) فيه بناء  
الضعف يتوى لإذ يحك صدام  
في الشرق والغرب الجميع سواء  
والبغى أنزلها إلى البرحاء  
ودعانا (إبراهيم) للهبجاء  
أغوارها وجبها الوعراء  
لولانا ما فتحت ولا سحراء

وهذا الشعر شبه المنظوم على ما فيه من غيوب الظلم واللغة والقافية ، إنما  
ينم عن عدة أمور لها دلالتها على ما كان لأولاد على (العلايا) من أجداد ، وهم  
الذين جددوهم (العقارة) - نسبة إلى (العقار) - كانت لهم مساهمة فعالة في  
حرب الانجليز في كفر الدوار سنة ١٨٨٢ في صفوف عرابي ، وفي (كنجى  
مربوط) ، وهم لم يشتركوا في (موقعة التل الكبير) التي انهزم فيها العرباويون  
ومع ذلك انساقت « صحيفة البلاغ » وراء صنائع الخديوى توفيق وعملاء  
الاستعمار للتشنيع على العرب المصريين ، واتهامهم بالخيانة ، وهم من ذلك - كما تشهد  
وقائع التاريخ - أبرياء منهم براءة الذئب من دم (ابن يعقوب) وهم يفخرون  
بأشراكهم في حروب الشام والسودان ، فكذب لهم النصر ، وهم غير نظاميين  
(نظام) ومع ذلك انتصروا بما توارثوه عن الأجداد من فنون الحرب المسماة  
(حرب العصابات) ، وتدلل هذه المنظومة أيضا على اهتمامهم بتاريخ العرب في الغرب  
وحوادث الحرب بين شارل وابن تاشفين .

وابتليت مصر بالاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ ، فكان لابد للسلطة الحاكمة

من أن تضع في حسابها مشكلة العرب في مصر، لهذا جاء في تقرير (لورد دوفرين) إلى (لورد جرانفيل) في ٦ فبراير سنة ١٨٨٣ أن قبائل البدو في مصر نحو أربعين ألف نفس وأنهم قادرون على حمل السلاح، وأكد التقرير أنهم يحتفظون بصفاتهم الحربية، وأن الحكومة المصرية كانت تحسب لهم ألف حساب، وقد رأينا أساليب محمد علي وخلفائه في التخلص منهم، حتى لا يكونوا شوكة في ظهره وظهورهم، وأما الكثيرون منهم فتد طحتهم الحروب الدامية والذين تبقوا بعدهم، شغلوا بالزراعة وصاهاروا الفلاحين، واندجوا فيهم بعد عزلة طويلة الأمد، وخضعوا لسلطة الحكومة، وفقدوا امتيازاتهم الأولى (١)، ومع ذلك احتفظوا ولا يزالون يحتفظون بصفات البدو، من الاعتزاز بالنفس، والذود عن الكرامة، والتمسك بأهذاب الفضيلة، والمصارعة إلى إغاثة الملهوف، وبذل النفس والنفيس.. في سبيل الخير والحق معا، وكانت عاتمة المطاف من جهادهم على اختلاف الدول الحاكمة كما يقول المثل «آخر خدمة الغز علقه».




---

(١) مذكراتي في نصف قرن : ج ١ ص ٢٢٣ : أحمد باشا شفيق

# ٥ كفاح البحيرة معارك وانتصارات

## أرض الثورات

كان لإقليم البحيرة - منذ آلاف السنين - مهد الثورات على اختلاف أنواعها : ثورات على قوى الطبيعة ، ثورات على الغزاة والقراصنة ، ثورات على الظلم والفقر ، ومنذ عرف التاريخ هذا الإقليم ، شهدت البشرية ثورة النيل في فيضانه على الأرض ، بما عليها ومن عليها ، و ثورة البحر على الأرض بما عليها من عليها ، وأهل الإقليم ، بين ثورة النيل و ثورة البحر ، في صراع عنيف من أجل البقاء ، وإلا انقرضت سلالاتهم منذ أقدم العصور .

ومن الطبيعي إذن أن يعلن أهل البحيرة أول ثورة لهم على النيل وعلى البحر ، أما على النيل ، فذلك يوم صنعوا الزوارق لينتقلوا بها وسط الأحراش والأعشاب بحثاً عن القوت من نبات أو سمك أو حيوان ، ويوم حفروا فرع رشيد لتصفية مياه الفيضان ، في مجرى مساعد للفرع الكانوبي الأصيل ، وأما على البحر فذلك يوم أقاموا سداً من الحجارة والتراب في وجهه ، حتى لا يغمر الأرض المنخفضة ، ويوم أقاموا القناطر على ضفتي النهر وحصنوها بما استطاعوا من قوة ورباط ، وثاروا أيضاً على الصحراء الكبرى المترامية الأطراف ، فتصيدوا وحوشها ، وزحفوا على قفارها فوصلوا إليها الماء ليزرعوها ، وإلى أحراش المستنقعات ، فاجتثوها .

حقاً إنه صراع عريق بين أهل البحيرة وبين النيل والبحر والبحيرة والوحش والصحراء ، صراع مرير طال أمسه ، حتى كتب التاريخ لهم النصر والبقاء في البحيرة .

وثار أهل البحيرة أيضا على الهواء في البر والبحر والبحيرات جميعا ، فقد أقاموا طواحين الهواء على التلال العالية ، وركبوا عليها أجنحة لتدور فتطحن الغلال ، وانتصروا على الرياح ، فركبوا للزوارق أشعة تمتلئ بالهواء لتدفعهم إلى حيث يريدون في البحر والبحيرات .. كلها ثورات عاشتها البحيرة .. أرض الثورات .

## أول ثورة على الملكية

لولا لوحة نارمر ، لضاعت معالم حياة إقليم البحيرة قبل عصر الأسرات ، فقد كشفت لنا هذه اللوحة ، عن أول ثورة في العالم ، لا في مصر وحدها ، أول ثورة شعبية على النظام الملكي ، ثورة الديمقراطية على الدكتاتورية ، ثورة أول نظام نيابي . على نظام الحكم المطلق ، ثورة الاستغلال على التبعية ، ثورة الحكم المحلي على الحكم الشامل ، ثورة اللامركزية في المقاطعة ، على المركزية في الدولة ثورة الحرية على الاستبداد ،

ذلك أن الملك ( مينا ) منذ خمسة آلاف سنة ، تقدم بجيشه من ( طينه ) بالصعيد نحو الشمال ، لتوحيد الوجهين القبلي والبحري ، وضمها تحت تاج واحد ، غير أن سكان إقليم البحيرة ، أعلنوا الثورة في وجهه ، ولم يقبلوا الانضواء تحت لوائه ، فهو ( صعيدى ) وهم ( بحاروة ) ، ثم هو ملك وهم شعب ، شعب يتمثل في ( مجلس العشرة الكبار ) ، لقد أعلنوا ثورة على الملكية ، أول ثورة قامت بها مقاطعة ميتليت Metelite الواقعة في الجزء الشمالى من إقليم البحيرة ، وهو أسرع أجزاء الإقليم نحو الحضارة ، حيث كان المهد الأول للديمقراطية الأولى في العالم ،

لقد سجل الملك مينا أو ( نارمر ) انتصاره على ( العشرة الكبار ) ، ولكن كفى البحيرة فخرا أنها كانت أول إقليم في العالم رفع لواء الثورة ، باسم الشعب ، إن مقاطعة ميتليت التي عاصمتها ميتليس بطلمية في تسميتها ، وهذا لا يمنع من أنها أقدم من العصر البطلمى بكثير .

## دماء.. على « الكانوبي »

وشهد الفرع الكانوبي قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام بنحو ١٦٠ سنة فصلاً رائعاً من « الثورة المصرية » الخالصة على الحكم البطلمي ، الذى ضج منه المصريون ، وضاقوا به ذرعاً ، وحمل لواء الزعامة شاب مصرى هو (ديونيسيوس بيتوزارابيس Dionisius Petosarapis) وبدأت الثورة ، من الإسكندرية ، وهى يومئذ عاصمة مصر ، والمعسكر الأول للجيش البطلمى ، تلك الجيوش المتجمعة من عناصر شتى : يونانية ومرتقة . ومالبث زعيم الثورة أن تقهر إلى (إيلوزيس Eulosis) مكانها الآن (المنصورة) شرق اسكندرية ، وهناك انضم إلى صفوفه أربعة آلاف من الثوار ، ومع ذلك لم يستطع الصمود فى وجه البطلمية ، ولاذ بالفرار نحو الشرق ، فاضطر هو ورجاله إلى عبور الفرع الكانوبى سباحة ، وشهد (ديونيسيوس) عارى الجسد ، وقد انفص من حوله أتباعه ، وقتل معظمهم . وسار هو بفلول جيشه نحو الصعيد ، لكن يلهب نار الخاسة فى المصريين ، ويحرضهم على حكم البطلمية الأجانب الذين تولوا زمام أمورهم ، وهم الذين لا يرتضون بغير « السيادة الكاملة » بديلاً .

ومن حق التاريخ أن يسجل هذه المعركة التى تعتبر بحق إحدى حركات المقاومة المصرية فى عهد البطلمية <sup>(١)</sup> شهد لإقليم البحيرة أحداثها ووقائعها .

## البحيرة .. مقبرة الرومان

استهل القرن السابع الميلادى ، والدولة الرومانية كالشمس آخذة فى الغروب ، وبلغ الامبراطور (هرقل الأكبر) من العمر أرذله ، فألقى بزمام الحكم إلى ولده الصغير ، وكان يسمى (هرقل) أيضاً ، وجعل (نيكتاس) نائباً عنه . وكانت مصر منذ سنة ٦٠٢ م فى قبضة القائد الرومانى (فوكاس) . وقد صمم (نيكتاس) على أن ينزعها من يده ، فجرد حملة أخذت طريقها فى الهجوم على الإسكندرية ، من جهة الغرب بحاذية الساحل ، وقبل أن يصلها ، مر (بريوط) الغنية بخيراتها ، واستمال إليه حاكمها ، وهو يومئذ موظف تابع لحاكم لإقليم الاسكندرية .

(١) حركات المقاومة الوطنية فى مصر البطلمية : الدكتور محمد عواد حسين .

وفي نفس الوقت قدم جيش الامبراطور من ( بزنطة ) إلى الاسكندرية ومنوف وأتريب ( بنها ) ، وكذلك تحرك جيش من سوريا باستدعاء الامبراطور. الذى أمر ( بنوسوس ) بالزحف منها على مصر .  
كان جيش ( نيكتاس ) قاب قوسين أو أدنى من غرب الاسكندرية ، واستسلمت له المدن المجاورة لها مثل ( كبسين ) وسقط في يديه حصن ( كرسونيسوس ) .

وما لبث أن بعث بعض رجاله ، للتجسس على الثورة ضد ( فوكاس ) ، في المنطقة التى على جانبي ( ترعة الثعبان ) ، ووقعت الواقعة ، ودخل ( نيكتاس ) من ( باب القمر ) وهو الباب الغربى للمدينة ، وفر حاكمها ، وسمعت القوضى أرجاء الوجه البحرى فسقطت ( قتيوس ) وهى الآن ( شبشير ) (١) و ( منوف ) وتمردت ( أتريب ) و ( سبنتيس ) التى تعرف اليوم باسم ( سمبود ) .

أما ( بنوسوس ) فقد أرسل جيشين ، ركبا السفن من البحر ، عبر فرعى الدلتا ، حتى وصل إلى ( أتريب ) وركب منها إلى ( منوف ) ، وانتصر على خصمه في ( قتيوس ) ، وصار الوجه البحرى ، في قبضة يده ، غير أن الثوار سارعوا إلى الاسكندرية ، رافعين علم الثورة على الحكم البيزنطى ، وكان بها يومئذ ( نيكتاس ) على استعداد للقاء عدوه ، فسار إليه ( بنوسوس ) برا حتى نزل ( مومفيس ) التى هى ( شبرا دمنهور ) ، ومنها إلى ( دمكاروني ) أى مدينة ( الكريون ) ، فلما بلغ الجانب الشرقى من الاسكندرية ، نزل بجيشه تحت أسوارها الحصينة .

وخرج ( نيكتاس ) لقاتله من ( باب أون ) أى باب الشمس وهو الباب الشرقى من أبواب ( المدينة الكبرى ) كما كانت تسمى في هذا الوقت ، وتمتدت الجيوش الامبراطورية نحو المدينة ، فبادرتا المجانيق من فوق الاسوار ، وتمزق جيش ( بنوسوس ) وارتد إلى ( الكريون ) عبر الترع ، حتى وصل إلى الفرع الغربى للنيل ؛ حتى بلغ ( نيقوس ) حيث استرد أنفاسه ، ثم سلك ترعة أخرى تسمى ( ترعة الروجاشات ) إلى ( مريوط ) ثم ( ترعة الثعبان ) التى فى غرب الاسكندرية

(١) وتقع على الضفة اليسرى للنيل فربا من النحام ( ترعة فرعون ) بالنيل وهى التى تربط فرعى الدلتا بين أتريب ومنوف .



فأمر (نيكتاس) بهدم القنطرة التي عند (دفاشير) بالقرب من مريوط ، واستكن (بونوسوس) سار في البر إلى (دفاشير) وأمعن في أهلها قتلا وذبحا ، ثم عاد أدراجه إلى (نقيوس) ليحتمي بها .

وسار (نيكتاس) إلى (مريوط) وسيطر عليها وعلى الإقليم كله ، كما سيطر على ضفتي فرع النيل الغربي بما على جانبيه من المدن والقرى ، ومضى إلى (نقيوس) تحت ستار من الظلام ، وهجم على (بونوسوس) في عترداره ، حتى مزق شمله ، ولأذا بالفرار إلى (أتريب) ثم (سايس) ، وظل هائما على وجهه حتى وصل إلى فلسطين ، وبهذا وطد (بونوسوس) لهرقل في مصر ، بعد هذه الواقعة الحاسمة التي تعرف في (ديوان بسكال) باسم « ثورة أفريتا والإسكندرية » ، تلك الثورة التي بدأت ترحف من ساحل شمال أفريقية على الإسكندرية . ودامت حواشيها بضعة أسابيع من نوفمبر سنة ٦٠٩ ميلادية ، ويرجع الفضل في سرد تفاصيلها إلى (حنا النقيوسي) .

ومن ذلك الوقت ، أقام (نيكتاس) بالإسكندرية نائبا عن (هرقل) في حكم مصر ، وفي عهده لقي أقباط مصر ما كانوا ينشدونه من حرية العبادة ، وبناء الكنائس والأديرة ، لقاء ما قدموه لنيكتاس من عون ، في حربه الطاحنة ، التي جرت وقائعها على أرض البحيرة .

## البحيرة . . وشاهين الفارسي

زحف جيوش الفرس على الشام ، وأمعنت فيها فسادا ، ومن هناك سار القائد الفارسي (شاهين) إلى مصر في خريف سنة ٦١٦ م ، وسلك الطريق الذي اتبعه من قبله قمبيز والإسكندر ومر بالعريش والفرما ومغفيس حتى وصل إلى (نقيوس) . ومن ثمت سار في (الفرع البوليبتيني) وهو فرع رشيد حتى استولى على الإسكندرية ، ومصر كلها وليبيا إلى حدود إثيوبيا .

وتحت أسوار الإسكندرية ، توقفت جيوش (شاهين) ، وعاثت الفرس فسادا في أديرة الاقباط ومكتباتها الكائنة شرقي المدينة وغربها ، واستولى الفرس على الرعة التي تخترق المدينة وتصلها بالبحر بحيلة ماكرة وبهذا تمكنوا من امتلاك مفاتيح

الإسكندرية ، وبعث بها شاهين إلى كسرى في أول عام ٦١٨ م ، وظل الفرس يحكمون البلاد ، حتى شغلهم عنها حروبهم مع الروم في الشرق . فاضطروا إلى الجلاء سنة ٦٢٧ م

وعمل الإقباط على استعادة سيطرة الرومان على مصر ، وحصار ( قيرس ) بطريك الإسكندرية سنة ٦٣١ م ، وهو الذى سماه العرب فيما بعد ( المقوقس ) عظيم القبط من قبل الروم .

وقد اقترن حكمه بالإقطاع والاستبداد ، ولقى المصريون منه كل أذى ، وقد ألف د ( ألفرد بتلر A. Butler ) عدة صفحات من كتابه ( فتح العرب لمصر ) للتدليل على فضائح حكمه ومظاهر ظلمه ، فإذا صح ذلك ، استطعنا أن نصدق بسهولة ما رواه ابن عبد الحكم عن امرأة المقوقس التى كانت تملك منطقة الكروم اننى أمرت بكسر البحر لإغراقها على المزارعين حتى صارت ( بحيرة لادكو ) .

ولما كان العام التاسع عشر للهجرة ( سنة ٦٤٠ م ) مضى عمرو بن العاص إلى فتح مصر ، وقد سلك الطريق الذى سار فيه الرومان والفرس من قبله ، وكانت البحيرة فى جميع هذه الحوادث ميدان المعركة الفاصلة ، وعلى أرضها ارتفعت ألوية النصر منذ أربعة عشر قرنا ، إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله ، فإن ( موقعة الكريون ) كما سنرى فى الصفحات التالية ستسجل انتصار المبادئ الإسلامية ، واندحار المبادئ البيزنطية ، وسيكون للبحيرة دور جليل فى التاريخ الإسلامى العام ، ولا سيما فى « الفتنة الكبرى » بين الإمام على الخليفة الرابع للمسلمين ، وبين الأمويين ، المطالبين بدم سلفه الشهيد عثمان الخليفة الثالث.

### البحيرة قنطرة الاسلام<sup>(١)</sup>

كان يوم ٩ لبريل سنة ٦٤١ م ( عام ٢٠ هـ ) بداية انطلاق هائلة للسليبين نحو الهدف الذى قادم من أجله عمرو بن العاص إلى مصر ، ففى هذا اليوم انتهى

---

(١) اعتمادا فى هذا الفصل على مصادر الفتح الإسلامى لمصر مجتمعة فى أقوال ومؤلفات البلاغرى والواقدى وابن عبد الحكم والكندى والقريزى وياقوت وكاترمير وبتر وعكوش.

الحصار الذى ضربه على ( حصن بابليون ) لمدة سبعة أشهر ، وبمساعده ركب عمرو بجياله عبر الصحراء يريد الإسكندرية ، والتجهم مع الروم فى ( ترنوط ) التى تسمى الآن ( الطرانة ) فانتصر عليهم ، ومضى إلى مدينة ( تقيوس ) التى عرفنا أهميتها فى الأحداث السابقة ، فى وقائع ( نيكتاس ) و ( شاهين ) ، وكان بها حصن منيع ، وأقام بها عمرو بضعة أيام حتى سلمت يوم ١٣ مايو ، وتشتت شمل السفن الرومانية ، وتقهقر القائد الرومانى ( تيودور ) بجيشه إلى الإسكندرية ، ثم عبر النيل إلى الضفة الغربية ، ومن هناك بعث ( شريك بن سمى ) ليقضى على فلول الجيش الرومانى المهزوم .

وفى هذا الوقت ، كان لإقليم البحيرة كثير الترع ، متعدد القنات والمستنقعات فركب عمرو بجياله ليتفادى كل مكان دهس ،

وكان ( شريك ) قد سبق ، وسرعان ما أدركته إمدادات ، بعث بها إليه عمرو مع ( مالك بن ناعمة الصدفى ) وكان يعرف بصاحب الفرس الأشقر المسمى ( أشقر صدف ) لأنه كان فرسا لا يجارى ، وأدركه الروم عند قرية تقع فى شمال ( الطيرة ) بين ( إمبابة ) و ( إيتاى البارود ) ، فاعتصم بكموم هناك فأحاط به العدو فى حركة التفاف ناجحة ، ولكن سرعان ما انقض ( مالك ) عليهم بفرسه من أعلى الكوم ، وأسرع الروم من خلفه فلم يدركوه ، ونجا منهم بأعجوبة ، على كثرة ما لديهم من العدد والعدة ، وسمى هذا المكان ( كوم شريك ) باسم ( شريك ) الفارس المغوار ، الذى أسرع إلى معسكر القائد العام عمرو بن العاص لينخبره بما جرى فى ( كوم شريك ) .

وسار عمرو بهيأة البرعة التى تلى الصحراء فى اتجاه الشمال الغربى ، حتى وصل إلى ( الدلتا ) ، ومضى فى طريقه حتى اعترضته حامية الروم عند ( سنطيس ) أو ( سلطيس ) وهى فى جنوب ( دمنهور ) بسبعة كيلو مترات ، وهناك درت المعركة ، وانتصر المسلمون ، ولذا الروم بالفرار ، واستمر عمرو فى زحفه نحو ( دمنهور ) فبدد بها شمل العدو ، واتجه إلى الإسكندرية ، وكانت ترعة الإسكندرية يومئذ قد نضب ماؤها ، فعبرها دون مشقة ، وقطع مسافة عشرين ميلا ، حتى بلغ ( حصن الكريون ) ، وكان الروم قد تحصنوا به ، وآووا

إلى ظله ، وهم في حيرة من أمرهم ، وكأنهم يتساءلون : ماذا يحدث إذا سقط  
( حصن الكريون ) في أيدي العرب ؟

تقع ( الكريون ) على الضفة اليمنى من ترعة الاسكندرية واشتهرت في العصر  
الروماني بوجود محطة لنقل الغلال عندها من إقليم البحيرة إلى الإسكندرية ،  
عبر ترعتها وكانت أيضاً تهيمن على هذه التربة ، باعتبارها الشريان الأصلي للحياة  
الاقتصادية بالنسبة للاسكندرية . وفضلاً عن هذا كله ، كانت آخر معقل  
للرومان من السلسلة الطويلة الممتدة من الحصون والقلاع مابين ( باب ليون )  
و ( الإسكندرية ) .

وكان الرومان قد أسرعوا بترميمات حصون الكريون ، ومع ذلك كانت  
أقل مناعة من حصون ( نقيوس ) و ( باب ليون ) ، ولم يجد ( تيودور ) القائد  
الروماني بداً من الاعتصام بها من زحف المسلمين نحوهم ، وهناك توالى  
الإمدادات من ( بزنطة ) ، كما بعث الأقباط بالمعونة من ( خيس ) و ( سخا )  
و ( بلهيب ) التي هي ( دبي ) و ( سنطيس ) .

وعند ( الكريون ) دارت رحى القتال ، وحمل الوطيس ، بضعة عشر  
يوماً ، وصمد جيش المسلمين ، بقيادة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد أيدته  
أبوه بجامل اللوام ( وردان ) ، ويومئذ كان المسلمون اثني عشر ألفاً ، يواجهون  
حامية من الروم ، لا يقل عددها عن خمسين ألفاً .

وأصيب عبد الله بجراح خطيرة ، فطلب من ( وردان ) مولى أبيه أن يتقهقر  
قليلاً إلى الورا ، فعرف ( وردان ) أنه يستبقى الحياة فسأله مستكراً ، وأجابه  
مشجعاً ، حيث قال : الروح تريد ؟ الروح أمامك وليس خلفك .

وعلم عمرو بالخبر : فأرسل يسأل عن ابنه ، غير أن عبد الله - إزاء  
الإيمان بالموت في سبيل الله - أظهر الشجاعة في رده على أبيه ، مستشهداً بقول  
( ابن الإطنايه ) :

أقول لها إذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي

فقال عمرو : إنه ابني حقاً .

وأقبل (وردان) على القتال ، ودهه عبد الله مدينا على جراحه ، حتى صار في الشهداء .

تأخر عمرو في فتح الإسكندرية ، فكتب إليه أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب يؤنبه على هذا التأخير ، وعقد اللواء لعبادة بن الصامت ، وصلى عمرو بالمسلمين صلاة الخوف ، ثم قام بهم إلى ساحة الخلود ، بين (الطرانة) و (الكريون) ، وخطب فيهم وقال : [ سيروا على بركة الله ، فنركز منكم رمحا في دار ، فهي له ولبنى أبيه من بعده ] والتحم الفريقان ، حتى فتح الله عليه (الكريون) ، ولم تعد أمامه عقبة في الاستيلاء على (المدينة الكبرى) . . . الإسكندرية .

تقهقر الروم إلى الإسكندرية . . . ونزل المسلمون ما بين (حولة) و (قصر فارس) شرقا ، وإلى ما وراء ذلك ، وكان الأقباط يناصرون الروم ، ويمدونهم بالمؤنة ، فأقاموا شهرين ، حتى تحول عمرو منها إلى (المقس) ، فخرجت عليه الخيول من ناحية البحيرة ، مسترة بالحصن وجرى القتال عنده عنيفا ، حتى قتل في (كنيسة الذهب) اثنا عشر رجلا من المسلمين .

المسلمون الآن عند (الكريون) لا يبرحونها : فقد خلا لهم الطريق بعدها إلى الإسكندرية ، فمضى إليها عمرو بين بساتين الكروم وأشجار النخيل والكنائس والأديرة المنتشرة بأرباضها ، حتى وصل إلى أسوارها فحاصرها حتى سلمت مفاتيحها في نوفمبر سنة ٦٤١ م ، وأبرم عمرو عقد الصلح مع (المقوقس) كبير الأقباط ، والحاكم العام باسم الروم في الإسكندرية . وجعل (وردان) واليا عليها ، ثم سار عمرو من (الكريون) نحو الشرق ، على ضفاف النيل في (الخوف الغربي) وهو الاسم الذي أطلقه العرب على إقليم البحيرة ، حتى وصل إلى (إخسا : إداكو حاليا) وهي غير بعيدة عن الإسكندرية ، فحضر الحصار حولها حتى اضطر حاكمها (طلما) إلى التسليم بعد وقوع عدد كبير من أهلها في أسر المسلمين ، فأرسلهم عمرو إلى الخليفة ، وعرض الإسلام عليهم فأسلموا ، وأقبل (طلما) متوسلا إلى عمرو أن يخفف الجزية فأشار إلى كنيسة مجاورة وقال : [ لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ، إنما أنتم خزنة لنا ، إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم ] وتم الصلح ، كما تم

مع ( قزماس ) أو قزمان حاكم رشيد و ( حنا ) حاكم البرلس ، حتى وصل المسلمون إلى دمياط ، وبهذا تم استيلاؤهم على منافذ النيل على البحر . . بحر الروم ، الذى سيصبح بعد هذه الموقعة بحيرة إسمـ لامية ، ومن ثم فقدت الإسكندرية مكانتها كعاصمة لمصر بعد أن وقع اختيار عمرو على ( القسطنط ) فجعلها العاصمة .

وكانت ( سنطيس ) و ( مصيل ) و ( بلهيب ) قد أعانت الروم على الفاتحين فصدر أمر الخليفة - بعد أن علم بذلك - بجعل هذه القرى ذمـة للمسلمين ، وضرب الخراج على أهلها .

وفي عام ٢٥ للهجرة ، أرسل هرقل جيشا من القسطنطينية ( بزنطة ) يقوده ( مانويل الخصى ) بغية استرداد مصر من أيدي المسلمين ، وعاث الروم فسادا في القرى المجاورة للإسكندرية من إقليم البحيرة ، وعندما خف جيش عمرو لصد هذه الحملة الفاشلة عن الإسكندرية . أمر بتخريب القرية التي اختلطت ( وردان ) ، وأخرج أهلها منها ، وقيل إنهم قتلوا المشاة من جيش عمرو بعد وصوله إلى ( الكريون ) ، فبعث إليهم ( وردان ) فأمن فيهم تقييلا ، وفي يومهم تخريبا ، لهذا سميت ( خربة وردان ) .

وتفرق الصحابة بعد الفتح في الإسكندرية وأمـسوس ودمياط ورشيد وبلبيس وأرسل عمرو كتابا إلى الخليفة يحمله عامر بن لؤى يخـبره بفتح مـريوط والإسكندرية ودمياط وفوه والمحلة ودميرة وسمنود وجرجا ودمنهـور وإبيـار والبحيرة ، (١)

وعرفت الأماكن التي اختطها المسلمون بأسمائهم فكانت (لخم) بالإسكندرية (وخزاعة) بأبو قير (٢) ووادي هبيب (وادي النظرون) باسم هبيب بن غفل (٣) وانطوى آخر علم للرومان في مصر ، بل في الشرق كله ، ولم يكتب له أن

(١) فتوح الشام : الواقدي ٢ ص ٩٥

(٢) الإنام : النويري السكندري

(٣) أخبار من رواحى مصر : أبو صالح لأرمـن

غرب الدلتا ، وهناك التقيا به عند ( دمنهور ) ، فانهزم طرخان وفر تحت  
جنح الظلام .

وكان عمارة النبي مغمورا بعطف ( شاور ) الذي كان يقيم بالبحيرة ولا سيما  
بعد كسرة طرخان ، فاستدعاه إلى البحيرة يوما ، وأكرمه ، فدحه بقصيدة  
قال فيها :

وإلى ( البحيرة ) لا إلى صوب الحيا طارت بنا العزمات كل مطار  
ليبك من داع أتيت ملييا لما دعا والشعر فيه شعارى  
لما ولت على ( البحيرة ) أصبحت حرما رخيص الأمن والأسعار  
أمنتها حتى توهم أهلها ألا يروع ليهم بنهار  
وحيت قطرها فليس بجوها ريج تهب ولا خيال سار  
وقد عبر عمارة عن استتباب الأمن بعد هذه الحروب الطاحنة على أرض  
البحيرة ولا سيما بد سنة ٥٥٧ هـ حينما أصبح نجم الدين بن مصال واليا عليها بعد  
الإسكندرية ، فقال يمدحه :

شكر الورى لك فى ( البحيرة ) سيرة أبقت عليك من الثناء خلودا  
سعدت بعدلك بعد جور طالما أشقى طريفا ، واستباح تليدا  
ونسخت من جور الولاة شريعة يتوارثون رسومها تقليدا  
فقدت بك ( الإسكندرية ) أنسا فأعدت فيها أنسا المفقودا  
كنا وأنت على ( البحيرة ) نازل والثغر يشكو فترة وخمودا

ولما رأى ( شاور ) أن مركزه فى خطر ، لجأ إلى أعداء الملة ، فكاتب ملك  
الإفرنج ( لمرى ) يغريه بغزو مصر ومساعدته ، وفطن العرب المصريون للخطر  
الداهم الذى يهدد العالم الإسلامى كله ، نفخ أسد الدين شيركوه - وكان فى الصعيد -  
ونفض معه الصعايدة والعربان ، وأجلوا شاور والإفرنج عن الإسكندرية بعد  
حصار وقتال استمر ثلاثة أشهر .

ولما عزل شاور من ولايته على قوص ، امتنع وزحف إلى ( تروجة ) سنة ٥٥٨ هـ  
وحشد جمعا كثيفا سار به عبر الصحراء نحو القاهرة وقبض على زيك وزير العاضد

في ( اطفيح ) ، وآلت الوزارة إلى شاور حتى وثب عليه ضرغام واغتصبها منه .  
ورد صلاح الدين الأيوبي كيد الإفرنج وعملاتهم في مصر إلى نحوهم ، فخطى  
بتأييد الخليفة العاضد وسماه الملك الناصر فلما قدم أبوه نجم الدين أيوب إلى مصر  
سنة ٥٦٥ هـ خلع عليه الخليفة ولقبه « الملك الأفضل » وأقطعه الإسكندرية  
ودمياط والبحيرة <sup>(١)</sup>

وهكذا انطوت دولة الفاطميين- وكانوا يسمون أنفسهم بالمصريين بعد أن  
أخذت أعلامهم تحفق مائتي سنة ، ولكن شاور [ هو الذي أطمع الإفرنج والغز  
(الأكراد = أيويين) في الدولة ، حتى انتقلت عن أهلها (الفاطميين) ] كجاء  
في نسمة عمارة البني .

### خيرات البحيرة .. ينهبها الغزاة

منذ دب النزاع بين الوزراء المصريين ، والتجأ بعضهم إلى الصليبيين ، يستعديهم  
على البلاد، صارت مصر هدفا لعدة غزوات من السواحل الشمالية ، فيما بين دمياط  
ورشيد والإسكندرية

في ذلك الوقت كانت الدولة الفاطمية تلفظ آخر أنفاسها ، وتنفض على  
إثرها دولة بني أيوب فكان قيامها بمثابة (مفرج الكرب) والمحن التي  
تجتازها البلاد .

ففي سنة ٥٥٠ هـ هاجم مصر أسطول العدو المكون من ستين سفينة بعث بها  
( روجر الثاني Roger II ) صاحب صقلية ، وعاث القراصنة فسادا في مميس  
ورشيد والإسكندرية .

وعقد صلاح الدين الأيوبي مجلسا استشاريا بالإسكندرية سنة ٥٦٧ هـ بقصد  
غزو برقة ، بعد إذ رأى كثرة رجاله وقلة أمواله ، وقد جاءه أن بلاد برقة واسعة  
الأرجاء، وعربانها قليلون لا يقدرّون على صد هجومه، واستقر الرأي على أن تتكفل  
(كورة البحيرة) بنفقات الجيش الذي ندب إقيادته تقي الدين عمر بن شاهنشاه .  
وتسامع أهل مصر بغارة الإفرنج على الشرقية سنة ٥٦٠ هـ ، فاضطربت أحوال  
العباد لهذه الغارة التي سماها المصريون ( الهجة الكدابة ) وعندئذ أمر صلاح ابن  
أخيه تقي الدين بالذهاب إلى ( البحيرة ) لكشف أحوالها وكان معه كاتبه الرضى  
ابن سلامة ، فاستدفع حسابات الدواوين ، وحملها بغل يسوقه تقي الدين فقصت

(١) كتاب الروضتين : أبو شامة .



عليه صاعقة من السماء ، واحترق البغل بما عليه من الحسابات ، وعاد تقى الدين بخفى حنين .

وقطع الملك العزيز بن صلاح الدين راتب الفقيه الكمال الكردي ، فقام بحملة ضد الملك ، وحرص عليه الناس ، واستعان بعرب البحيرة على إشعال نار الثورة ضد العزيز .

وكان عام ٥٩٠ هـ عام غلاء وفناء ، على أثر فيضان النيل الذى أغرق البلاد ، وساءت الأحوال ، لا فى مصر وحدها ولكن فى بلاد برقة المجاورة ، أما البحيرة فلم تشعر بوطأة هذه الأزمة الفاتكة ، بل كانت فى رخاء غامر ، حتى حملت غلاتها إلى برقة لشدة الغلاء بها وبالإسكندرية .

وفى سنة ٥٩١ هـ كان عبد الكريم البيسانى مشرفا على الشؤون المالية بالإسكندرية والبحيرة ، وكان هذا ( الإشراف ) إلى جانب توليه حكم المدينة ، من زمن طويل ، فاعتنى واقتنى الكثير من الأموال والممتلكات ، بينما الإسكندرية فى مجاعة طاحنة وباء فتاك ، ولا عجب إذا هبط عربان الغرب بسبب القحط فى بلادهم على البحيرة سنة ٥٩٢ هـ يشترون القمح من أهلها بأعلى الأسعار ، حتى بلغ سعر الويبة دينارا كما يقول المقرئى <sup>(١)</sup>

وفى سنة ٦٠١ هـ قدم أسطول الإفرنج من ( رشيد ) إلى ( فوة ) ، <sup>(٢)</sup> وأقام هناك خمسة أيام ينهب المحاصيل ، بينما العساكر على الضفة الغربية لا يملكون من أمرهم شيئا ، وكان ( الأسطول العادل ) لا وجود له .

وإن أكبر دليل على ما كانت فيه البحيرة من خيرات لم تتوفر فى إقليم آخر ، ذلك الكتاب الذى بعث به الملك العادل سنة ٦٣٦ هـ إلى نائب السلطنة بدمشق يستدعيه لأخذ رأيه فى أمر من الأمور ، فامتنع ، فأرسل يغريه بأنه يحطيه قلعة الشوبك وبلادها وثغر الإسكندرية وأعمال البحيرة وقلوب وعشر قرى من بلاد الجيزة نظير مثوله بين يديه فى قلعة الجبل بمصر .

هكذا كانت البحيرة فى زمن بنى أيوب ، الذين دالت دولتهم سنة ٦٥٠ هـ ، وفى العام التالى نهض العرب المصريون فى الصعيد والوجه البحرى ، وعلى رأسهم

(١) السلوك : أخبار سنة ٥٩٢ هـ

(٢) مفرج الكروب : ج ٣ ص ١٦١

الأمير الشريف العربي حصن الدين ثعلب . الذى هاله أن يرى مصر نهبا للأكراد  
الدخلاء ، فقال لأصحابه : نحن أصحاب البلاد ، وحرص على عدم دفع الخراج  
والثورة على الأتراك عبيد الخوارج ، وانضم إليه من عرب البحيرة قبيلتنا (سنبس)  
و (لواتة) ، والتقى العرب والأكراد عند (ذروة) من أعمال المرتاحية ،  
ولكن شاء القدر أن يهزم العرب في المعركة ، وانتقم منهم الأكراد أشد الانتقام ،  
حتى ذلوا وقلوا ، ولو أن المقادير كانت في صف العرب يومئذ ، لتغير وجه  
التاريخ ، ونجت البلاد من حقبة طويلة حكمها فيها ملوك كانوا بمالك اشتراهم  
أسيادهم من أسواق العبيد .

ولكن عرب مصر عامة ، وعرب البحيرة خاصة ، ستدفعهم حميتهم الموروثة  
لحمل لواء الكفاح بعد هذه المعركة ، وسيطول هذا الكفاح ويستثنى ، دفاعا عن  
حقوقهم كما تبين ذلك جليا من الفصل الذى عقدناها بعنوان «عرب البحيرة في  
مختلف العصور» ، ولا سيما منذ القرن السابع الهجرى .

## البحيرة .. حمامات الدم

اهتم سلاطين الأتراك أشد الاهتمام بالثغور المصرية ، فقد بنى الظاهر بيبرس  
سنة ٦٠٩ هـ بئر رشيد مرقبا لكشف البحر ، كما أمر بدم فم بحر دمياط ،  
وأنشأ عدة شوانى بدمياط والإسكندرية وكان السلطان يتفقد بنفسه منشآت  
الثغور ، التى فى متمدتها جميعا رشيد والإسكندرية ، ومن الطبيعى أن تنال البحيرة  
خطها من العناية السلطانية ، لأنها فى الطريق إلى هذين الثغرين .

فقد توجه بيبرس فى ٦ شوال سنة ٦٦١ هـ إلى الإسكندرية ، ونزل فى الطريق  
عند (تروجة) عدة أيام ، وتوغل فى صحرائها ، لصيد الغزلان والنعام ، واستدعى  
إليه حاجبه الأمير شجاع الدين الزاهدى فحضر عنده ، وكلفه بجشد العمال من  
الإسكندرية لحفر الآبار وتطهيرها ، حتى يستطيع أهل البحيرة سقى مواشهم ورى  
مزروعاتهم ، ثم مضى إلى الإسكندرية ، وقصد زيارة شيخها الزاهد المبارك

الشيخ القبارى ، كما زار قبر الشاطبي ، وجلس للنظر في المظالم ، ثم تحرك الركاب السلطاني إلى القاهرة .

وفي الطريق نزل ثمانية عند ( تروجه ) ، وأمر العربان بالسباق بين يديه . فاجتمع ألف فارس من عرب ( تروجه ) وتسابقوا مع فرسان عسكر السلطان الذي حدد لهم مسافة السباق ، وجلس على تل مرتفع يرقب المتسابقين ، وأوقف الرماح والجوائز المالية والعينية ، في ثياب من الأطلس ، وبعد السباق أعطى كل فائز ما يستحق ، وأخذ السلطان طريقه إلى القاهرة .

وفي سنة ٦٦٢ خرج إلى ( الطرانة ) ، وسار إلى ( وادي هبيب ) ويسمى الآن ( وادي النظرون ) وزار الأديرة التي هناك ، وتوجه إلى ( تروجه ) ثم إلى ( الحمامات ) غربيها ، وسلك إلى العقبة ، واستعد للصعيد ، وعلم من أهل الصحراء أن بعض العرب يضايقونهم ، فأحضر ( هواره ) و ( عرب سليم ) وألزمهم بالتزام الأمن وعند ما نزل ( بتروجه ) أمر بأن يكون سيف الله عطا الله بن عزار شيخا على عرب ( تروجه ) ، وألزمه بجباية زكاة المواشي وتحصيل العشور حسب الشريعة ، وأنعم عليه بسنجد ( علم ) ونقارات ، كما كلفه باستخراج الزكاة والعشور من عربان برقة .

وفي سنة ٦٦٨ هـ توجه يببرس أيضا إلى الإسكندرية ، وبعد أن لعب الكرة ( الصولجان ) خارج المدينة ، ذهب إلى ( الحمامات ) ونزل بمكان يسمى ( الليونة ) من أعمال ( مريوط ) ، وابتاعه من وكيل بيت المال .. ويقال أيضا إنه نزل في هذه المرة ( بتروجه ) فصاد النعام والغزلان ، وأعطى بغلطاقا ( قباء صغيرا ) لكل جندي صاد غزالا ، وحصانا مسرجا ملجأ لكل من صاد نعامة .

وفي سنة ٦٩٣ هـ توجه الملك الأشرف خليل إلى ( البحيرة ) بقصد النزهة والصيد ، وضرب خيامه ( بالحمامات ) ، وأقام بها ، ودب النزاع في الإسكندرية بين صاحب ( الوزير ) ابن السلوس ونائب الإسكندرية الأمير بيدرا بسبب نهب بهاره ( توابله ) ، وأوغر ( ابن السلوس ) صدر السلطان على ( بيدرا ) فاستدعاه وأغلظ له في القول ، فأصرها ( بيدرا ) في نفسه .

وانتهز فرصة انفراد السلطان بالصيد في الصحراء ، فعاجله بسيفه فقتل عليه ، وأقيم ( بيدرا ) سلطانا .

وطار الخبر إلى أمراء القاهرة ، فركبوا خيولهم ، حتى التقوا عند ( الطرانة ) ( بيدرا ) ومن معه من المتآمرين ، فانهزم هؤلاء ، وفر عربان الجيزة الذين كانوا معهم إلى ( البحيرة ) ، ولقي ( بيدرا ) مصيره المحتوم ، أما جثة الأشرف خليل ، فقد ظلت في الصحراء تنهشها الذئاب ثلاثة أيام ، حتى حملها وإلى ( تروجه ) أي دمر الفخري على جمل وأرسلها إلى القاهرة ، وأصبح السلطان الناصر محمد بن قلاوون ملكا على مصر .

وفي سنة ٦٦٩ هـ دب النزاع في عرب البحيرة بين قبيلتي ( جابر ) و ( مرديس ) وأقبل كل منهما على ضياع ( البحيرة ) نهباً وسلباً ، فأرسل السلطان إليهم حملة يقودها باش العساكر الأمير بديرس المنصوري ، فالتقى بهم عند ( تروجه ) وهزمهم ، حتى لجأوا إلى الجبال تاركين أغنامهم وجماهم وأولادهم ونساءهم غنيمة .

وفي ٢٣ صفر سنة ٧٦٧ هـ تعرضت ( الإسكندرية ) لإحدى غارات القراصنة الذين جعلوا ( قبرص ) مركزاً لتجمعات أسطولهم ، ولكن عرب البحيرة كانوا أسرع من البرق دفاعاً عن الإسكندرية فبدلوا ما في وسعهم في المعركة الدامية ، التي وقعت عند ظاهر البحر ، بينما فر الأمراء والأجناد ، لأن الاستحكامات على هذا الشعر الخطير لم تكن على بال السلطان ولا نائب السلطان في الإسكندرية ، ونزل السلطان الفتى الأشرف شعبان ( بالطرانة ) وأعد العدة لمعاودة الهجوم ، ولكن العدو كان قد أمعن في الإسكندرية نهباً وسلباً وحرقة ، وعاد بالغنيمة إلى ( قبرص ) ، ومنذ هذه الموقعة ، أصبحت الإسكندرية ( نسيابة ) بعد أن كانت ( ولاية ) ، واحتلت من الحكومات المتعاقبة كل عناية واهتمام ، ولم تنقطع زيارات السلاطين والملوك والأمراء لها عبر ( البحيرة ) على الرغم من المخاضات والمستنقعات التي كانت تعوق سيرهم ، كما حدث سنة ٧٧١ هـ عندما توجه السلطان الأشرف شعبان إلى الجيزة ومنها إلى البحيرة حتى بلغ الإسكندرية بعد المشقة الزائدة بسبب أحوال الطريق .

وفي سنة ٧٨١ هـ حدثت ( موقعة دمنهور ) المشهورة ، عندما أحاط بها شيخ عرب البحيرة بدر بن سلام ومعه خمسة آلاف ، ونهبوا كل ما قدروا عليه في المدينة ، وسرعان ما أرسل إليهم الاتابكي برقوق حملة كبيرة عليها ثمانية أمراء مقدمين وعشرة أمراء طبلخاناه ، واثنان عشر أمير عشرة ، وأربعائة مملوك سلطاني فخرجوا على المشاغبين حتى عسكروا حول دمنهور ، وأراد العربان أن يهجموا على المعسكر ليلاً ، ولكن الخبر كان قد سبق بهذه النية إلى العسكر ، فأخلوا

خيامهم ، ولما تقدم العربان نحوها وجدوها خاوية على عروشها ، فانقض عليهم  
المساكر من الجهات التي كنوا لهم فيها ، وأمعنوا فيهم قتلا ، وفر الذين كتبت  
لهم النجاة إلى الجبال ، ودخل الأمراء مدينة القاهرة بالأسرى من الرجال والنساء  
في القيود ، وخرج الناس ينظرون إلى موكب النصر ، وتغنى خلف الغبارى بهذا  
في شعره البدوى الذى عرضنا بعضه في الفصل الخاص بعرب البحيرة .

وعاد عرب البحيرة مرة ثانية سنة ٧٨٢ هـ ، فخرج إليهم خمسمائة مملوك  
سلطاني وعلى رأسهم ألان الشعباني أمير سلاح ، فكفهم عن مناوشاتهم التي  
روعت بها البحيرة ، وعادوا الكرة في العام التالي ، فانبرى لهم الاتابكي برفوق  
في خمسمائة مملوك ، فأصاب منهم غنائم كثيرة .

وهكذا كانت البحيرة في دولة الأتراك تسبح في حمامات من الدماء ، دماء  
القتلى والجرحى والغزلان والنعام ، من السلاطين والأمراء والعربان والأهلين  
والغزاة على السواء ،

وانفض سامر الدولة التركية ، وقامت على أشلائها ودمائها دولة الشراكسة  
سنة ٧٨٤ هـ ، فهل كفت هذه الدماء عن أن تسيل على .. أرض البحيرة ؟

## البحيرة أرض الميعاد

قامت دولة الجراكسة ، والبحيرة - كما كانت في الماضي - شوكة في حلق  
سلاطينهم وملوكهم ، وما كان عرب البحيرة لينسوا ما أصابهم من المحن على  
أيدي الأتراك ، وما كان الجراكسة لينسوا أيضا ما عليه هؤلاء المنكوبون من  
قوة الشكيمة ، وشدة البأس ، وسرى في القرن التاسع الهجري والربع الأول من  
القرن الذي يليه ، ميادين القتال المرير ، وهي تغص بالأحداث الهامة على أرض  
البحيرة ، وسيكون القرار الأخير للقدر المحتوم هو : انقضى الجراكسة وبقى  
العرب .

ففى سنة ٨٠١ هـ أنشأ السلطان قايتباى سورا حول مدينة (دمهور) ، لحمايتها  
من الغارات المتتابعة ، التي ظل العرب يشنونها على أمراء السلطان وكشافه ،  
الذين يستأثرون بخيرات الإقليم ، ويسومون الأهلين والعرب منهم - سوء العذاب .

وكان من الطبيعي أن يثور عرب البحيرة ثورات لا هوادة فيها ، وهم يعلمون أن حملات السلطان قادمة عليهم ، ولكنهم يدركون أمرا لا مفر منه هو أن معاركهم هذه إنما هي من أجل الحياة ، فلا مناص من خوض غمارها ظالمين أو مظلومين .

وفي رجب سنة ٨٠٢ هـ ورد كتاب من البحيرة إلى الأمير بيبرس بأن الأمير سودون المأموري الحاجب أخذ الأمراء من دمياط وتوجه إلى الإسكندرية ، فلما وصل ( ديروط ) لقيه الشيخ عبد الرحمن بن نفيس الديروطي وأضافه ، فلما جلس سودون والأمراء للطعام ، انقض عليهم يلبغا المجنون ومن معه وقبضوا عليهم ، وتصادف أن مرت بشاطئ ديروط في هذا الوقت حراقة قادمة من القاهرة فيها أربعة من الأمراء في القيود ، فوثب يلبغا عليها وفك قيودهم وساقهم إلى أصحابه ، ثم كتب إلى نائب البحيرة يستدعيه ، كما استولى على خيول الطواحين ، وتوجه بالأمراء إلى دمنهور ، فقبض على متوليها ، وواقته العربان من كل فج عميق فصار في كثرة غالبية ،

وأمر مناديا في البحيرة يعلن رفع الخراج عن أهل البحيرة عدة سنوات ، تقريبا لإيهم ، ثم استولى على مال السلطان المستخرج من ( تروجه ) ، وطلب الأموال من النواحي ، فهابه الناس ، فقد تولى الاستاذ دارية سنوات ،

وكتب بيبرس بذلك كله إلى السلطان والأمراء ، فقد كان الموقف خطيرا ويستحق الاحتراز ، ولا سيما على مدينة الإسكندرية ووصل خطاب بذلك إلى نائبها للاستعداد ، ولا سيما أن في سجن المدينة عددا من الأمراء .

وسرعان ما توالى الأوامر السلطانية إلى مشايخ عرب البحيرة باستنكار ذلك والقبض على يلبغا ومن معه ، وتلقى الأمراء المماليك السلطانية أمرا من السلطان بقتله ، وتلقى عرب البحيرة أيضا مثالا من السلطان بحط الخراج عنهم ثلاث سنوات .

وأحس يلبغا المجنون بأن عرب البحيرة لن يقفوا معه في هذا التمرد ، فولى وجهه شطر الغربية ، خوفا منهم ، وغادر البحيرة إلى المحلة ، وأمعن في دار كاشفها

ويبوت أعيانها نهباً وسلباً ، وظل على هذا الحال حتى عاد إلى القاهرة وأمرأوه من حوله حاملين المنهوبات والمسلوبات  
وفي سنة ٨٠٣ هـ نودى بالجهاد الأكبر لصد غارة تيمورلنك ، فلبى عرب  
البحيرة نداء الوطن فحضر منهم في ٧ رجب ٦ آلاف فارس ، وتبعهم آلاف  
أمثالهم من شتى الأقاليم .

وفي ٩ ذى الحجة من هذه السنة ، أرسل مشايخ ( تروجه ) كتاباً يفيد أن  
سعد بن غراب قدم عليهم ومعه مثال سلطان يطلب الخراج ، فورد أمر السلطان  
بالقبض عليه وعلى من معه وإرسالهم في القيود إلى القاهرة .

وصل سعد بن غراب إلى الإسكندرية وطلب العصاة فيها وساقهم إلى ( تروجه )  
وقد أعطى كل واحد منهم ٥٠٠ درهم وانفق معهم على قتل النائب الذي علم  
بذلك ، فقبض عليه وعلى رجاله وقتل عدداً منهم ، وعذب الآخرين ، وأفلات هو  
من أيديهم ، حتى طلب له أهل تروجه الأمان من السلطان فعفا عنه ، وأعادته إلى  
وظائفه القديمة .

في سنة ٨٠٤ هـ ثار عرب البحيرة ، فطاردهم أعوان السلطان ، وهم بماليسكة  
حتى فروا إلى ( برقة ) .

وفي سنة ٨٢٧ هـ أرسل برسباى ثلاث حملات لفتح جزيرة قبرص ، نجحت  
الأولى والثانية مما شجع السلطان على تجريد الحملة الثالثة ، التي غادرت ميناء رشيد  
بعد سنتين وفي يونيه سنة ١٤٢٦ م ، وكانت تتكون من ١٨٠ سفينة ، يقودها  
تغرى بردى قاصدة إلى ( ليماسول ) فسقطت في أيدي المصريين في ٢ يوليو ،  
واستولوا على ميناء ( لارناقا ) ، واشتبك تغرى بردى مع ملك قبرص (جانوس  
لوزينان) فانهزم القبارصة في موقعة ( شيروكيتوم Cheirocitium ) ، وسبق  
(جانوس) أسيراً ودخل الجراكسة ( نيقوسيا ) ، ثم عادت قواتهم إلى القاهرة في ١٣  
أغسطس ، وكانت معالم الزينات تقام في جميع الأحياء فرحاً بهذا النصر .

وما جاء عام ٨٢٦ هـ حتى كانت البلاد تعاني الجذب بسبب ردم ترعة  
الإسكندرية ، وضعف جريان الماء فيها ، فوكل السلطان إلى الأمير جرباس  
المعروف بقاشق عمليات إصلاحه ، فأتىها في أربعة أشهر ، وعم الرخاء .

وفي سنة ٨٥٧ هـ لم يطق أهل البحيرة صبرا على مظالم كاشفها قشم المحمودى فقتلوه ، وتولى الكشوفية بعده الأمير حسن الدنكرى ، وفى العام التالى جرد السلطان حملة من الجند ، عليها جانم الاشرقى ورسباى البجاسى إلى عرب البحيرة ، وحملة أخرى فى العام الذى يليه عليها الأمير خشمقدم ، وحملة مثلها سنة ٨٦٩ هـ معرزة بخمسة من الأمراء المتقدمين فيهم قرقاس الجلب وجانى بك قلقسير .

وخرج عرب البحيرة على طاعة السلطان قايتباى علانية سنة ٨٧٢ هـ ، وما لبث أن نزل على إرادتهم فعزل خشمقدم كاشف البحيرة ، وجعل فى مشيخة عربانها شيخ العرب صقر .

وعم الوباء لإقليم البحيرة سنة ٨٧٣ هـ ، فانخفضت رواتب الممالك فأظهروا الامتناع ، وحضر من البحيرة الأتابكى أذربك بسبب ذلك ، أما الأهليون فلم يعودوا يحتملون مظالم الممالك ، فالأزمة طاحنة ، والوباء فتاك ، وهم لا يرحون ، وثار عرب البحيرة سنة ٨٧٥ هـ وكان بها الأمير يشبك فطلب النجدة من السلطان فجرد له حملة على رأسها الأتابكى أذربك بعد أن أخذ السلطان يسترضيه ويستميله ، وجعله باش عسكر .

وطايرت الأخبار بغزو جديد ، يهدد البلاد ، فكان لا بد للسلطان أن يتخذ للأمر عدته ولا سيما عند الثغور ، وكان لا بد من إخماد كل حركة يراد بها زعزعة مركزه فى السلطنة ، ولهذا بنى قايتباى برج رشيد سنة ٨٧٦ هـ لأن رشيد أقرب ميناء مصرى بالنسبة لاسطنبول ، وهى مبعث الخطر المستظر يومذاك ، وعاد أذربك سنة ٨٧٧ هـ إلى القاهرة ، وبين يديه أسرى من الثوار العرب فى البحيرة ، وبدأ الإفرنج مناوشاتهم على ساحل البحر ، فيغدى السلطان على من حوله ، ويخلع على أذربك ، بينما يأمر بتوسيط كاشف البحيرة خشمقدم الزينى والسكانب ابن الطواب ، لأنها تأخرا فى أداء ما عليها من المال ، والتوسيط هو ضرب الشخص بالسيف من وسطه فيشطره شطرين .. ياللقسوة !

وتهدأ العاصفة عدة سنوات ، فيزور قايتباى الإسكندرية وإدكو ودمهور سنة ٨٨٢ هـ [ وغير ذلك من البلاد الغربية ، وانشرح السلطان من هذه السفرة إلى الغاية ، واستمر يرحل من مكان إلى مكان على سبيل التنزه نحو من أربعين



يوما حتى عاد إلى ( القلعة ) [ على حد تعبير ابن إياس .

. وكان كاشف البحيرة لا يقيم طويلا بها ، وكثيرا ما كان ينزل إلى القاهرة حيث يسكن أهله ، وقبل أن ينزل بداره ، يتشرف بالثول بين يدي سلطانه ليغدق عليه ، إن كان مرضيا عنه ، أى إذا أظهر براعة فى تأديب العصاة ، وحصل الأموال ، ولم يتأخر عن أدائها لمولاه السلطان : ففى سنة ٨٨٧ هـ قدم من البحيرة تماراز النشى ، وخلع عليه السلطان ثم نزل إلى داره ، وخلفه فى كشوفية البحيرة بملوكه قراكر ، ثم خلعه السلطان سنة ٨٩٠ هـ وأقام بدله كرتباى بن مصطفى المشهور بكرتباى الأحمر ، وفى العام التالى طلب منه السلطان أن يجمع من عرب البحيرة أكبر عدد ممكن ، ليزج بهم فى الحرب إذا غزا البلاد غاز من العثمانيين ، بعد أن تواترت الأخبار بقرب الغزو ، وفى الوقت نفسه جرد السلطان سنة ٨٩١ هـ حملة على رأسها قرقاس المعلم ، واسباى المبشر ، وأزبك قفص ، وماماس ومعهم مائتان من المالك السلطانية ، وكان هدف هذه الحملة كسر شوكة محمد الجويلى شيخ عرب البحيرة ، وكانت مقتلة مروعة ، تلك التى دارت على أرض البحيرة بين الترك والعرب ، وكان عدد القتلى من الطرفين كثيرا جدا ، وعادت الحملة دون أن تظفر من الجويلى بشئ .

ولم تنقطع حملات السلطان على البحيرة منذ الهزيمة التى منى بها بمالكة ، فبعث كرتباى الأحمر كاشف البحيرة أميرا للحج سنة ٨٩٥ هـ ، وفيها بعث حملة على البحيرة يرأسها أقبردى الدوادر ، ومثلها سنة ٨٩٩ هـ عليها أزبك اليوسفى . وفى سنة ٩٠٢ هـ دبت الفتنة بين الأمراء ، وتآمر بعضهم على بعض ، وذلك فى عهد السلطان الناصر ابن قايتباى ، وظفر عرب البحيرة بالمتآمرين فى طريقهم إلى الإسكندرية لقتل نائبها فقتلهم عرب ( تروجه ) .

واشتد ساعد العرب فى البحيرة سنة ٩٠٤ هـ على نحو لم يعرف من قبل إلا فى زمن برقوق فى ثورة بدر بن سلام : فى هذه السنة أقسم الجويلى ومرعى على شق عصا الطاعة ، وعندم دفع خراج البحيرة والغريبة لأرباب الدولة ، وتميز السلطان غيظا ، ولكنه لم يفعل شيئا ، وثار عرب ( عجمالة ) على كاشف البحيرة ، ولكنهم فروا إلى ( الجبل الأخضر ) واستقروا ( بالمعصرة ) ، وهناك دار القتال ، وانهمزم الشراكسة هزيمة منكرة بعد أن كبّدوا العرب خسائر فادحة ، ثم زحف

عرب عجالة إلى الصعيد ، فعاجلهم بها الأمير طومان باي الدوادر ، فانتقم منهم أشد انتقام حتى لقد أمر بتسميرهم على الجمال ، والسير بهم على هذا النحو ، في شوارع القاهرة ، وعلقوهم على أبوابها ، وفعلوا بهم ما هو أشد من ذلك سنة ٩٠٨ هـ في أيام السلطان الغورى ، عندما أوشك العرب أن يملكوا زمام الحكم وأن يطردوا المقطعين (أصحاب الإقطاعات) من أراضيهم ، وكانت البحيرة طبعاً هي مبعث كل ثورة ، لهذا أرسل إليهم السلطان أزيك المكحل ودولات باي ، كما بعث غيرهما إلى جميع الأقاليم ، وصار الثراكسة يقطعون رموس شبان العرب ، وينشرونهم بالمنشائر من فوق رموسهم إلى أقدامهم ، ويسلخون جلودهم ، حتى بلغت الضحايا أكثر من ألفين .

وصودرت الممتلكات بسبب وبدون سبب ، فقد حدث في رشيد سنة ٩١٢ هـ أن قتل رجل يسمى عمر بن عبد اللطيف زوجته وأحرقها في برميل ، فاستدعاه السلطان إلى القاهرة ، ولما سأله أنكر ، فحبسه أربع سنوات وصادر أمواله ، وأمر بتعذيبه .

وظن الغورى أنه بذلك أخمد الثورة ، فولى وجهه شطر رشيد والإسكندرية سنة ٩١٣ هـ حيث أرسل علاء الدين ناظر الخاص لتجهيز المراكب ولكن عرب البحيرة في سنة ٩١٨ هـ قد تضامنوا وتحالفوا على الثورة ، ومعهم في هذا التضامن الجوىلى شيخ جهات البحيرة ، فتمكن الثوار من طرد كاشف المنوفية وغيره من الكشف ، وعلم السلطان فجعل البحيرة نصب عينيه أولاً ، لذا أرسل إليها طومان باي ، كما أمر فرسانه بالبقاء والمرابطة بالبحيرة لحفظ أمنها ، كما أرسل أمراء آخرين إلى الفيوم والبهنسا ، وما لبث الجوىلى أن مات سنة ٩١٩ هـ وخلفه في مشيخة البحيرة ابن أخيه ، فقدم إليها الوزير البدرى ، في وقت بلغت فيه الفوضى أقصى حدها في ديوان الدولة وذلك في سنة ٩٢٠ هـ ، ومع ذلك يمضى برقوق إلى الإسكندرية في أهبة الملك ، ويقضى الأيام والليالي بالبحيرة في (دمنهور) و (النجيلية) ، وبها أمر الصيادين بتوسيط تمساح بين يديه ، وكأنه لم يشبع من دماء البشر ، فأتوا له بالتمساح ليقتلوه فيشفى سعاره ، وفي رحلته هذه زار (رشيد) و (الطرائة) ثم عاد إلى زيارة الإسكندرية و (رشيد) وتفقداً أبراجها ، وأمر ببناء

سور على ساحل البحر أمام رشيد ، ظنا منه أنه يحتوى به من هجوم سليم الأول العثماني ، وقد جعل خير بك العلائي متحدثا في شئون برج الأشرف قايتباي ، مبالغة منه في الاهتمام بأمر الثغور .

ويظهر أن الغوري قد داخله الوسواس من قبل كشف الأقاليم ، أو بالأحرى أراد أن يشجعهم على مطاردة السمرقند فبعث سنة ٩٢٢ هـ بماليكة الكهول إلى الكشف ، فجاء إلى البحيرة والطرائق منهم الأمير قانصوه أبو سنة

وفي هذه السنة كان موقف الغوري قد بلغ أقصى درجة من الضعف والانهيار في مصر والشام ، وصار الكشف ومشايخ العربان في إقطاعاتهم يأخذون أموال الناس اغتصابا ، وضعف شأن الجنود ، وضاعت هيبة الأمراء والماليك ، ومع ذلك ، ما زالت البحيرة أكبر شوكة في جنب السلطان ، فهي التي طالما أقضت مضجعه ومضاجع من كان قبله من ملوك وسلاطين في مختلف الدول . وأرسل في هذه السنة طقطباي حاجب الحجاب متحدثا في كشوفية البحيرة ، كدليل على شديد اهتمامه بشأن الثورات ، التي ما كانت لتندلع شرارتها الأولى إلا من البحيرة ، ولكن الأمراء قالوا للسلطان : إن الخروج إلى حرب العثمانيين — وهم على الأبواب — أولى من الخروج إلى البحيرة .

وسرعان ما قدمت جموع العرب من عجالة ومحارب وهوارة إلى القاهرة ، كما أمر بذلك سلطان الزمان ، فعرضهم ، وظن أنهم سيحمون ظهره إذا غزا مصر الغزاة ، ولكن ما هي إلا عشية أو ضحاها حتى هبطت أسهم الجراكسة ، فقد سقطت بلاد الشام في يد (سليم العثماني) ، وأيقن المصريون أنه في الطريق إلى مصر ، وأنه لا بد سيطلبهم بالخراج ، فامتنعوا عن أدائه لأمراء الجراكسة ، حتى لا يؤدوه مرتين .

وكانت معركة (مرج دابق) سنة ٩٢٢ هـ حدا فاصلا بين دولتين : إحداهما - وهي دولة الجراكسة - قد ذهبت مع الريح ، والأخرى هي دولة العثمانيين الجديدة . ترى ماذا سيكون دور البحيرة مع السلالة الجديدة من الأتراك العثمانيين ، بعد أن قلبت البحيرة أظافر الدول التي سبقتها في كفاح مرير . . طال أمده ؟

## البحيرة بين السلطان وشيخ البلد

انتهت دولة الجراكسة ، وقامت دولة السلاطين العثمانيين ، فأصبحت مصر ولاية عثمانية ، يبعث السلطان من ( إسطنبول ) إلى مصر ، إلى ( الإسكندرية ) ، ومنها إلى ( رشيد ) ، ليستقل النيل إلى القاهرة ، فيصعد إلى ( القلعة ) ، ليحبس نفسه بها حتى يأتيه أمر العزل عاجلاً أو آجلاً .

أما السلطة الفعلية في البلاد فكانت بأيدي « المماليك » ، هؤلاء البكوات الذين كانوا بإقطاعهم يمثلون مركز الثقل في ميزان الدولة ، فانطفت مع وجودهم شموع الولاة ، وانحلت القوى الشعبية ، فاستطاعوا أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت السلطان ، حتى أصبح الحكم العثماني ، هو حكم هؤلاء المماليك ، وقد تركز في يد كبيرهم ، شيخ البلد ، المقيم في القاهرة : والأضيضه وخشداشينه من حوله ، وتمكن على بك شيخ البلد سنة ١٧٦٩ م أن يعلن استقلال مصر عن دار السلطنة بعد أن قضى ست سنوات كاملة أنزل خلالها بأهل البحيرة كل ألوان التعذيب والتنكيل ، لثوراتهم ضده وضد مماليكه وعلى رأسهم أحمد باشا ( الجزائر ) ، الذي لم يلقب بالجزار ، إلا لسكرة مذابحه ، ووفرة قتلاه من أهل البحيرة وعربائها ، ثم تأمر عليه تابعه محمد بك أبو الذهب باسم السلطان حتى قتله سنة ١٧٧٤ م ، فكافأه على فعلته هذه بولاية مصر ، وصارت مشيخة البلد في يد إبراهيم بك ومراد بك حتى شن نابليون حملته على مصر سنة ١٧٩٨ م .

وكانت البحيرة ، منذ صارت مصر في قبضة السلطان العثماني الأول سليم سنة ١٥١٦ هـ نزوة المشتاق ، بما كانت تتمتع به من خيرات ، حتى تلهف السلطان سليم إلى زيارة الإسكندرية ، فخرج في موكب يحف به خمسمائة من أخصاء عسكره فزار ( فوة ) و ( رشيد ) ، وغيرها من البلدان المجاورة [ ورأى تلك الأرزاق ورأى الخيرات التي كانت في أيام الجراكسة ، فتعجب من ذلك ، وقال : إن هذا الإقليم لا نظير له في كثرة الأرزاق والخيرات ، وأحاط برشيد عليها ، ثم طلع في البر إلى الإسكندرية ، وأقام بها ثلاثة أيام ثم عاد إلى القاهرة ] (١) .

تمت هذه الجولة ، وكشف دمنهور يونس البدوى ، وشيخ عربان البحيرة الجويلي ، وخيرات البحيرة كما رآها ابن زنبيل ، لم تكن خيرات زراعية فحسب ، بل كانت أيضا خيرات معدنية ولاسيما النطرون ، فقد استدعى على بك الكبير - وهو شيخ البلد - من البندقية التاجر ( كارلو روسيتى Carlo Rossetti ) لتنظيم شئون مصر الدبلوماسية ، وولاه منصب ولاية ( الطرانة ) ، لتحصيل الضرائب من الاهالى ، وفي أيام مراد بك ، حصل على امتياز استخراج النطرون . وهذا المعدن - كما يقول القلقشندى - يوجد في عمل البحيرة ، مقابل بلدة ( الطرانة ) على مسافة يوم منها ، ومحصول الطرانة منه أكثر من محصول أى بلد آخر في الدنيا ، إذ يوجد هناك نحو مائة فدان كانت تغل سنويا نحو مائة ألف دينار (١) .

وكان ( ابن مدبر ) نائب مصر في زمن أحمد بن طولون أول من احتجز النطرون - كما يقول النويري في « نهاية الأرب » - وفي القرن التاسع الهجري ، زاد محصول النطرون ، وغلا سعره ، لاحتجار (١) السلطان له ، وكان يشرف على استخراجه ونقله موظفون حتى يصل إلى ( الطرانة ) على ضفة النيل ، حيث تقام سوق لبيعه للسافرين إلى الصعيد فقط ، ثم أصبح هذا النطرون خالصا للسلطان يجرى في الديوان المفرد ، ويقوم أستاذ دار بالنظر في نقله إلى الإسكندرية والقاهرة ، لتخزينه بمباشرة موظفين آخرين .

ومن الملاحظ أنه منذ تولى السلطان سليمان بعد أبيه سنة ٩٢٦ هـ صار ملك الأمراء ، في مصر يرسل الخراج إليه ، وما كان يستخرج غير خراج الشرقية والغربية والبحيرة والصعيد ، وكان هذا السلطان راغبا في كسب ود عرب مصر ، فكان يبعث إليهم بالقفاطين والمراسيم . كما فعل سنة ٩٢٨ هـ ونال إسماعيل ابن أخى الجويلي شيخ عرب البحيرة قفطانا مخملا من السبعة المرسلة من اسطانبول إلى مشايخ العربان ومع كل واحد منها مرسوم سلطاني .

(١) صبحى الأعشى ٣ ص ٤٦٠

(٢) يلاحظ أن القلقشندى يستعمل هنا ( احتجر ) و ( الاحتجار ) وهما الامقان العريان

الأصيلان لعنى ( احتكر ) و ( الاحتكار ) .

ويتولى السلطنة مراد خان سنة ٩٨٢ هـ فينشئ تكية ورباطا بالمدينة المنورة وتكون بعض قرى البحيرة وقفا عليها وهذه القرى هي: نكلا والضاهرية ، وفي سنة ٩٩٩ هـ يعنى والى مصر العثماني أحمد حافظ باشا الخادم بأمر رشيد ، فينشئ بها كثيرا من المنشآت ، وكذلك والى محمد باشا سنة ١٠١٦ هـ الذى أخذ الجزر المقابلة لرشيد (١) .

### « ملك الأمراء » فى البحيرة

سمع السلاطين العثمانيون بما كان يفعله سلاطين الجراكسة فى البحيرة ، التى كانت ولا تزال متنزا للصيد ، الصيد الذى على المستوى السلطاني ، وعلى هذا المنوال سار د ملوك الأمراء ، فى مصر ، وهم السلاطين الحقيقيون فى مصر .  
فى سنة ٩٢٨ هـ نزل خير بك بلباى ملك الأمراء إلى ( النجيلة ) للصيد : ولحق به إلى هناك الأمير جانم الخزاوى ، ونقيب الجيش الجبالى يوسف ، والقاضى شرف الدين بن عوض ، ويوسف بن أبى الفرج المفتش ، وابن أبى لصبيغ ، ومعهم الأعيان وكبار رجال الدولة المصرية ، وبعد أن قضى ملك الأمراء مأربه من الصيد ، غادر ( النجيلة ) إلى القاهرة .

هذا وقد كان ملك الأمراء يحدد فى المنازعات بين العربان ( صيدا ثمينا ) يستأثر به دون سواه ، إذ يحددنا ابن إياس أن ( عرب عجمالة ) قد نزلت سنة ٩٢٨ هـ بالقرب من ( تروجة ) فتوجه إليهم ( ابن الجويلى ) بمن معه ، وحاربهم ، وأرسل بالغنائم إلى ملك الأمراء بالقاهرة .

هكذا كان ملوك الأمراء ، وهم نواب السلطان فى الديار المصرية ، وهكذا كان شأنهم فى « البحيرة » ، وبما لاشك فيه أن ( رشيد ) فى الأيام العثمانية ، كانت بمثابة الثغر الأول من ثغور مصر ، وهى بالتالى مفتاح البحيرة ، وطريق القادم من اسطانبول إلى الديار المصرية ، دون المرور بالإسكندرية إلا لمالما ، لهذا علا شأن البحيرة ، تبعا لاتعاش ( رشيد ) حتى بلغ سكانها ثلاثة عشر ألفا بينما كان سكان الإسكندرية نمانيه آلاف ، وقد أنشأ بها مراد بك البرج

(١) الإسعاقى : أخبار الأول فىمن تصرف فى مصر من أرباب الدول .

المشهور ببرج رشيد ، كما أنشأ بها (ديوان البدعة) ويختص بتصدير الغلال إلى الخارج وجعل ديناراً على كل إردب ، وأعطى التزام هذا الديوان لرجل سراج من أعوانه ، استقر برشيد ، وصارت له فيها كلمة نافذة ، وكثرت أمواله وتملكاته [ وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيين ، وطعمهم في الإقليم المصرى ] كما يتول الجبرقى .

## جزار البحيرة

يبدأ القرن الثانى عشر الهجرى (نهاية القرن السابع عشر الميلادى) ، والبحيرة براكين ، تفور بالثورات والمذابح ، ردا على حملات متتالية يشنها المماليك ، وهم يومئذ منقسمون إلى : (قاسمية) و (فقارية) ، ويسرع محمد بك الجزار إلى (رشيد) ، ولا يكاد ينزل من مركبه حتى يحتفى فى أحد مخازنها ، ويعلم حسين جوربجى الخشاب ، فيستل سيفه ليطيح برأسه ، فيقبض القاتل ممن هذا الرأس ، بتولى الصنجقية وكشوفية البحيرة ياله من جزار جديد !

وتنقضى عشر سنوات ، ويطلع عام ١١٤٨ هـ ، ويطلب الباب العالى من مصر ثلاثة آلاف جندى للمحافظة على الأمن فى بغداد ، بشرط ألا يكونوا من الثوار وخاصة أهل البحيرة ، الذين كانوا على الدوام شوكة فى جنب كل معتد أثيم ، ومن أجل هذا كانت (رشيد) فى قبضة (صنجق) من عتاة المماليك ، مثل سليمان بك دهشور سنة ١١٥٨ هـ ، ثم إذا قدم الصنجق الجديد على القديم ، فإما الفرار ، وإما القتال ، كما حدث سنة ١١٧٩ هـ عندما قدم حمزة باشا إلى رشيد بعد عزل حسن باشا من ولاية مصر ، فيسرع على بك بلاط شيخ البلد إلى إبعاد صالح بك من رشيد كيلا يلتقى بحمزة باشا فيضطر صالح بك إلى الفرار بمن معه تحت جنح الظلام إلى البحيرة ، ويقام بها مدة من الزمن ثم يغادرها إلى الفيوم والمنيا ، فيمضى حمزة باشا فى مطاردته .. لماذا ؟

انه الشقاق المرير الذى دب فى صفوف المماليك ، وفى صفوف العربان ، ففى سنة ١١٨٢ هـ أيوب بك يتعقب سويلم بن حبيب ، فيشعر به سويلم فيمسرع بالفرار من : (سندهور) إلى (البحيرة) ويلجأ إلى (الهنادى) ، وسرعان ما يجرد شيخ البلد حملة إلى سويلم والهنادى سنة ١١٨٣ هـ وكان كاشف البحيرة

يومئذ عبد الله بك أحد أتباع شيخ البلد على بك الكبير ، وتقوم المعركة ، ويلقى كاشف البحيرة حتفه ، وتصبح حوائجهم نهبا للنهابين وتستمر المعارك بين المماليك والعربان ، والبحيرة مصدر القلاقل ، ورشيد مفتاح البحيرة ، ومنفى المغضوب عليهم ، ويصدر شيخ البلد ، وهو يومئذ سيد الوجيين ، أمراً بشنق المنفيين في بلاد النفى ، ومنهم على كتف الخربوطلى في منفاه برشيد .

وياله من تناقض عجيب ، حينما نشهد في هذا الحمام من الدماء ثلاث قرى من بلاد الارز برشيد وهى ( تقينه = إدفيا ) و ( ديبى ) و ( حصه كتامة ) تتحول إيراداتها إلى الجهات الخيرية ، بعد أن كانت من أوقاف الأمير عبدالرحمن كتخد إلى حين وفاته سنة ١١٩٠ هـ ويتجدد الدم في هذا الحمام باستمرار ، ففى سنة ١١٩٣ هـ يتوجه إلى رشيد إبراهيم بك الوالى ، ويلقى القبض على اثنين من المماليك وهما تلى بك الحبشى وسليمان كتخدا ، ويقتلها ، وينشق عربان البحيرة على أنفسهم سنة ١١٩٩ هـ ويستعين أحد الفريقين بإبراهيم بك ضد الفريق الآخر ، فيوفد إليهم من قبله مراد بك ، فيصحبهم في هيله وهيلانه إلى ( البحيرة ) ، وهناك يسيل لعبه تلك الرشوة السخية التى ينحى إياها أحد الفريقين ، فيهب على الأولين ، فى الظلام ، وهم فى أمن ودعة ، فيعمل فيهم السيوف ، وينهب ما يقدر عليه منهم ويتركهم فى حيص بيص ، ويعود إلى القاهرة .

وفى العام التالى يتخذ مراد بك ذريعة للعبث فى الوجه البحرى ، فيدعى أنه قادم إلى هذه الجهات بحشا عن رسلان والنجار ، وأن كل قريه يثبت عليها أنها آوتها ، فعليها الإرشاد عنها وإلا نهبا من أهلها ، ثم حرقها ، حتى يصل إلى رشيد ومعه الزبانية ، فيفرض غرامة على أهلها ، وعلى تجار الارز بها ، فيفرون من وجهه ، هائمين على وجوههم ، ويمضى من رشيد إلى الإسكندرية ، ويمر بقرية ( جيجمون ) وقرية ( كفر دسوق ) ، فيهدم بيوت كل منها على أهلها .

وفى رحاب شهر رمضان المبارك ، يتفق الذئبان المسعوران ، إبراهيم بك ومراد بك فيما بينهما على قمع كل حركة ، فى رشيد ، فيرسلان إليها لاجين بك ومصطفى بك السلحدار ، وليخطبا ود ( الهنادى ) ، الذين ذهبوا إلى الإسكندرية لمقابلة أحمد باشا الجداوى ، فيخلع عليهم الخلع السنية هم وأهل دمنهور ، وتلك إحدى المحاولات



الفاشلة ، لإخضاع البحيرة لمظالمهم الشنيعة .

ويستقبل مصطفى جورجي - سردار رشيد - قبطانا وفده إليه من الإسكندرية - حسن باشا ، يحمل مكتابة تخص الأمراء والماليك ، ومايلبث حسن باشا أن يذهب بنفسه إلى رشيد ، وبها يحرق الفرمانات باللغة العربية إلى مشايخ البلاد وأكابر العربان والأعيان ، وفيها استنكار للفظائع التي يقوم بها الطغاة من الماليك وأمرائهم ، وبهذا يستميل العثمانيون جانب المواطنين ، ليقبلوا ظر المحن لأعدائهم ، الذين زرعوهم في مصر ، فنمت طوائفهم على دماء المصريين .

ويخف إلى رشيد ولاية الأمور من المشايخ والأعيان ، فيثون حسن باشا شكواهم المرة بما يعانيه الشعب ، فيحسن مقابلتهم ، ويطمئن خواطرهم ، ويهدئ مشاعرهم ، ويعودون من رشيد - وفيهم الشيخ العروسي - بعد أن رفعوا شكوى البلاد والعباد ، من أهل الظلم والفساد ، ومع ذلك لا تزال البحيرة - رضة لهجمات القراصنة ، وكاشف البحيرة يومئذ محمد بك النجفي ، ضالع معهم وشريك لهم . ويبدأ العام الأول من القرن الثالث عشر الهجري ويتحرك الأسطول العثماني في النيل من رشيد إلى ( فوة ) ، ويخف للقائه أسطول الماليك عند ( الرحمانية ) ، وهناك ينزل إلى الضفة اليمنى من النيل سليمان بك الأغا وعثمان بك الشرقاوي ومحمد بك الألفي وهم يومئذ أركان حرب إبراهيم ويدب النزاع بين الماليك ، فيتقدمون إلى ( محلة العلويين ) ، وكان بها فريق من حسكر العثمانيين ، فيستولون عليها ، ويمضى العرب إلى ( فوة ) لمطاردة الماليك حتى أسيوط ، فيستقر مراد بك بإسنا ، وإبراهيم بك بقنا ، ثم ينفرد إسماعيل بك بالإمارة ، ويجعل محمد أغا البسارودي في الوزارة ، وينزل الوالي المعزول بمحتوياته من القلعة إلى بولاق ؛ فلا يكاد حسن باشا ينتهي من حسابه ، حتى يستقل النيل إلى رشيد ، وهناك يضييق عليه مرة أخرى ، مطالباً إياه بما عليه من المال ، فلا يجد ما يفرج به عن نفسه ، فيضطر إلى أن يبيع أمته ويهضي إلى أ - طامبول .

ولم يسكد ينتفضي العام حتى رحل حسن باشا عن مصر ؛ وكان إبراهيم بك قشطة في توديعه إلى رشيد ، وكان الراحل ظلماً غشوماً ، قال فيه الجبرتي متهكماً . [ ولومات حسن باشا بالإسكندرية أبو رشيد هلك عليه الإقليم أسفاً ، وبنوا على

قبره مزارا وقبة وضريحاً بقصد الزيارة [ .  
ودأب العثمانيون على تفتيت وحدة البلاد وتشيت جهود أهلها ؛ بتحريض  
العناصر بعضها على بعض ، كما فعل سنة ١٢٠٢ هـ ( ١٧٨٨ م ) لإسماعيل بك  
حين استدعى عرب البحيرة والهنادى ؛ وأباح لهم علناً - وبلا خجل أو  
حياء - أن يسلبوا وينهبوا كيف شاموا فيما بين رشيد والجيزة ، فعم القتل  
والنهب ، حتى قتلوا من (التحيلة) وحدها أكثر من ثلاثمائة شخص ، وقطعوا  
على الناس طريق السفر براً وبحراً ، وذهب الى المنوفية فى العام التالى أحد  
أقارب على بك الكبير ؛ وهو رضوان بك - ولم يفته أن يأخذ طريقه الى رشيد  
ليستكمل المهزلة الخالدة .

وفى هذا العام ير رشيد الرجل الفاضل المرتضى الزبيدى صاحب « تاج  
العروس » ، ويشهد آثار هؤلاء المجرمين ، وفظائعهم فى ( رشيد ) وهى يومئذ  
أحد ثغور الإسلام ، ولسكنها على الدوام ، فى عبوس . لا ابتسام .

### نابليون والفردوس المفقود

عكف نابليون بونابرت ، قبل أن يقوم بمغامرته فى غزو مصر ، على قراءة  
ما كتبه الرحالة عن مصر ، أمثال ( فولنى Volney ) و ( سافارى Savary ) ،  
وما كان عليه لإقليم البحيرة من خيرات ، سال لها لعاب نابليون ، ولكن سرعان  
ما خيبت الحقائق ظنونه ، فذهبت أحلامه أدراج الرياح .

ففى اليوم الثانى من شهر يوليوس سنة ١٧٩٨ م نزلت جنود نابليون من  
المراكب عند ( العجمى ) غربى الإسكندرية ، وكان الوقت ليلاً ، وقد مضى  
على بدر السماء أربع ليال ، وفى الصباح وجد أهل الإسكندرية جنود نابليون  
يحتلون مدينتهم ، ولم يكن ذلك الاحتلال مما يثير دهشة الأهلىين ، فنذ عشرة  
أيام ، والأخبار تتوالى وتترادف ، كما أن كاشف البحيرة ، قد تلقى رسائل من  
أهل الإسكندرية بطلب النجدة ، فجمع عربان البحيرة أنفسهم ، وانضم إليهم  
المجاهدون من الإقليم ، وتقدمهم الكاشف ، وزحفوا على ظهور خيولهم ، دفاعاً  
عن الإسكندرية .

ولما رأى أهل الإسكندرية بسالة أهل البحيرة ، اشتد أزرهم فوقفوا يصدون

جنود فرنسا عن احتلال الاسكندرية ، ولكنهم لم يصمدوا أمام الفرنسيين ، وإن كانوا قد كبدوهم من الضحايا مائة وخمسين رجلا ، وأصيب كل من ( كليبر ) و ( مينو ) بجراح .

ومنذ وطئت أقدام الفرنسيين أرض الإسكندرية . بدأوا ينفذون خطة الاحتلال على الفور ، وكانت تقضى بأن يتجه الجنرال ( دوجا Dugua ) من الإسكندرية إلى رشيد ، ليحتلها ثم يحجز أسطولا يسير في النيل ، حتى يصل إلى الرحمانية ، وهناك ينتظر الشعبة الأخرى من الجيش ، الذى يقوده نابليون بنفسه من الإسكندرية إلى القاهرة بالطريق البرى ، ويكون اللقاء عند الرحمانية .

وسار ( دوجا ) من الإسكندرية ، وولى وجهه شرقا شطر رشيد ، ومر بأبو قير ، وعبر بوغاز بحيرة إدكو ، وواصل سيره حتى وصل إلى رشيد فاحتلها يوم ٦ يوليو ، بقواته البرية ، تعززها قوة بحرية ، بقيادة ( بيريه Perrée ) وفى اليوم التالى ، ترك فى رشيد حامية بقيادة ( فوست Faust ) ، مكونة من مائتى جندى ، حتى يحضر الجنرال ( مينو Menou ) ، الذى صدر أمر نابليون بتعيينه حاكما على رشيد منذ اللحظة الأولى للحملة .

ولم يجد ( دوجا ) مقاومة تذكر من أهل رشيد ، خصوصا وأن المماليك قد غادروها ، فراراً من الفرنسيين ، وخيم السكون على المدينة ومع ذلك طلب ( مينو ) قوة عسكرية لتعزيز حاميته ، استعدادا لما كان يتوقعة من هجمات العربان والآهالى عليه .

ولما رأى ( مينو ) أن المؤنة التى كانت معه كادت تنفد ، أسرع بفرض ضريبة على أهل رشيد ، ففارت ثأرتهم ، وبدأت مراحل السخط تغلى وتفور ، ولاشك أن المهمة التى نيّطت بالجنرال ( مينو ) فى رشيد ، كانت شاقة للغاية ، فقد كان عليه أن يحمى بوغاز رشيد من أى غارة يشنها الإنجليز عليه وأن يحمى المواصلات بين الإسكندرية ورشيد ، وأن يتولى إدارة منطقة رشيد ، وأن يجمع كل ثورة يقوم بها الآهالى .

أما مراد بك ، فقد أخذ للامر عدته ، وأصدر تعليمات لصنع سلسلة ضخمة من الحديد طولها مائة وثلاثون ذراعا ، تربط ضفتى النيل عند بوغاز رشيد أمام

( برج مغيزل ) ، وتصطف المياكب في عرض النهر ، وتنصب عليها المدافع والمتاريس ؛ وكانت هذه الفكرة من وحي على باشا ، وفي أغلب الظنون أن العمال الذين صدرت إليهم التعليمات بعمل هذه السلسلة قد سخروا منها ، وعلى أى حال ، كانت الأحداث أسرع من هذه المبتكرات العثمانية ، التي يراد بها منع تقدم الأسطول الفرنسي في فع رشيد .

أما الجيش الذى سلك طريق البر ، فقد غادر الإسكندرية ، وعلى رأسه نابليون ، ومر في محاذاة ترعة المحمودية ، بالمواقع الآتية : ( البيضا ) و ( العكريشة ) و ( الكريون ) و ( العوجا ) و ( بركة غطاس ) ، أما الترعة فتد جف ماءؤها ، لأنها لم تكن تمتلئ بالماء إلا في زمن الفيضان ، فلقب الجنود تعباً شديداً في الطريق بسبب العطش ، ولم يبق أمامهم إلا الشرب من الآبار ، ولكن الأهالي قد أتلوها حتى لا يفتقح بها العدو ، وتلاقت الفرق في ( دمنهور ) يوم ٧ يوليو ، وفي صباح اليوم التالى ، وصل نابليون ومعه أركان حربه : وفي ليلة ١٠ يوليو ، قامت الفرق كلها من ( دمنهور ) ، قاصدة إلى ( الرحمانية ) فاحتلتها في اليوم التالى ، وهناك التقت القوات البحرية بقيادة ( دوجا ) مع القوات البرية بقيادة نابليون ، ومن ثمت كتب التاريخ ، ولد موقعة حربية كان ميدانها ، على أرض البحيرة .

### نيران على ضفاف شبر اخيت

جمع نابليون قواد الحملة وهو في ( الرحمانية ) يوم ١٢ يوليو ، وأخذ يصدر إليهم التعليمات تلو التعليمات ، ويذكرهم بأغراض الحملة ، ويحذرهم من العدوان على الأهالي ، وكرر على ( دوجا ) أوامره هذه مشدداً عليه أن يراعيها ، ومع ذلك لم يرع الجنود للبيوت وأهلها في القرى والمدن حرماها التي تقدسها الشرائع والأذواق .

وتحرك الأسطول الفرنسي من الرحمانية ، وكان يتكون من اثنتى عشرة سفينة ، وعدد من المراكب النزالة ، يقل كتيبه من الجنود ، بقيادة الجنرال ( أندريوسى Andreossi ) ، ومعها الذخيرة والمؤن ، وبعض علماء الحملة .

وانقضت ليلة ١٣ يوليو ، والأسطول أمام ( منية سلامة ) التي تقع على

الضفة اليسرى لفرع رشيد بين ( الرحانية ) و ( شبراخيت ) وهناك على مقربة من شبراخيت التقى الأسطول الفرنسى بأسطول ( مراد بك ) الذى لم يكن يقل فى عدد قطعه عن أسطول ( أندريوسى ) ، وقد جعل قيادته للقبطان خليل الكريتلى .

وتبوءت القنابل بين الأسطولين ، بينما كان الأهالى على ضفتى النيل ، وقد تسلحوا بالبنادق والعصى ( الشمايخ ) ، وكان جيش مراد بك فى تقدير مراقبى المعركة ، يتكون من حوالى اثنى عشر ألفا ، منهم ثلاثة آلاف فارس من المماليك ، والباقي وهم حوالى ألفين من العرب والفلاحين والأهليين .

وبدأ الأهالى يطلقون النار على الفرنسيين من الضفتين فأغرقوا لهم خمس سفن ، واستولوا على اثنتين ، وجرح ( بيرييه ) ، ولكن المدافع الفرنسية صوبت قذائفها على سفينة البارود ، التى كان جل اعتقاد مراد بك على ذخائرها ، فنسفت فى الحال ، وأخذ الفرنسيون يوالون لإطلاق النار ، على الأهالى المتجمهرين على الضفتين لإبعادهم ، بعد أن أنزل قائد الأسطول جنوده إلى البر ، وحضر نابليون بعد ثلاث ساعات ، وأعاد تنظيم قواته ، وأصبح المماليك أمام نيران المدافع الفرنسية وجها لوجه ، فاضطروا إلى الانسحاب السريع نحو ( شبراخيت ) ، ولقى منهم مائتان مصرعهم المحتوم ، وظل الفرنسيون يطاردونهم حتى احتلوا ( شبراخيت ) ، ولم يبق أحد من الجاهير على الضفتين .

أما سفينة البارود ، فقد شبت النار فى شراعها ، وامتدت إلى البارود فانفجر ، وسمعت البلاد البعيدة دوى الانفجار ، واحتترقت السفينة ، وتطاير من كان على ظهرها فى الهواء ، واحترق خليل الجرينلى ، وأتمن مراد بك بالهزيمة الساحقة فى ( معركة شبراخيت ) التى شهد يومها ( ١٣ يولييه ) أول انتصار لنايلون على المماليك .

ومضى الفرنسيون فى زحفهم إلى القاهرة ، فوصلوا إلى ( شابور ) يوم ١٤ يوليو ، و ( كوم شريك ) يوم ١٥ ، و ( علقام ) يوم ١٦ ، و ( الطرانة ) و ( أبو نشابة ) يوم ١٧ ؛ و ( وردان ) يوم ١٨ ؛ و ( أم دنيار ) يوم ١٩ ؛ ولم يعد بينها وبين القاهرة إلا خمس فراسخ ؛ وكان اللقاء التالى مع قوات مراد بك فى ( لمبابة ) يوم ٢١ حيث دارت ( معركة الأهرام ) فانكسر فيها المماليك

كسرتهم النهائية ، وفر بعدها مراد بك إلى ( الجزيرة ) ، وإبراهيم بك إلى ( بلبس ) ، وكان مراد بك قد استعد للمعركة ، فالتف حوله دفاعا عن القاهرة ؛ حشود العربان والانكشارية والمماليك والأغوات والأعيان والمشايخ وكان أكثرهم من عرب البحيرة والجزيرة والصعيد وأولاد علي والهنادى .

### المقاومة الشعبية على طول الخط

كانت ( البحيرة ) أول إقليم حمل راية المقاومة ، قبل أن تطفأ أقدام جنود نابليون شواطئ الاسكندرية ؛ لأن البحيرة كانت على الدوام الدرع الأول للدفاع عن مصر ، كلما شن عليها العدو غارة من البر أو البحر على السواء . لهذا كان أهل البحيرة من الفلاحين والعربان ، في مقدمة الذين لبوا نداء كاشف الإسكندرية لمقاومة الغزوة الأجنبية ، ولكن شتان بين أسلحة وأسلحة ، وشتان أيضا بين النظام والفوضى ؛ أما حكومة مصر فكان زمامها يومئذ بأيدي الدخلاء الغرباء ؛ لا بأيدي أهلها وولاة أمرها ، وكمنحجوا من المظالم ، التي أهدق كواهلهم بها سلاطين وأمراء وأغوات ؛ ولكن البلد في خطر داهم ، وسردان ما خف أهل البحيرة قبل غيرهم إلى النضال مع جلاذيتهم وجزائريهم جنبا إلى جنب ؛ دفعا لغوائل الفرنسيين الذين حاولوا التفرير بالمصريين ؛ زاعمين لهم أنهم مسلمون ، وأنهم إنما قدموا لتخليص رقابهم من أيدي المماليك ، وأنهم أصدقاء السلطان ، وعساكر السلطان .

وكان أهل البحيرة أول عضد لأهل الاسكندرية ؛ وهم كالعهد بهم وقود لكل حرب على الغزاة المعتدين على شرف البلاد ، لم ترهبهم مدافع نابليون ؛ بل تربصوا لجنوده على طول الخط ؛ فإنه لم يكن جيشه يبتعد بمسافة فرسخ عن ( الكريون ) ، حتى كان العرب والفلاحون ينقضون على كل كتيبة ، ويخطفون المتخلفين من الجنود ، فيقتلونهم ويدفنونهم في الرمال ويتخذون من أسلحتهم عدة للمقاومة . وقد شهد ( إدوار جوان ) بفقد عدد كبير من الجنود والقادة الفرنسيين على أيدي الأهالي ، على الرغم من تحذيرات ( الجنرال ميورور ) لرجالهم بعدم الابتعاد عن المعسكر .

ولما وصل الفرنسيون إلى ( دمنهور ) ، كان ستة آلاف رجل من الأهالي ؛

على استعداد للقتال ، وخشى الجنرال ( ديموى ) أن يصطدم بهم ، وإلا كان في هذا الصدام سحق الحملة عن آخرها ، فلجأ إلى إبعادهم بقذائف مدافعه ، واضطر إلى الانسحاب عن ( دمنهور ) وإخلائها والتقهقر إلى ( بركة غطاس ) ، وترتبص لهم أهل المنطقة ثانية ، حتى أفلتت الكتيبة منهم بكل صعوبة ، إلى أن وصلت إلى الإسكندرية ، وهى مشحنة بجراحها ، ثم عدلت خط سيرها نحو ( رشيد ) ، بعد أن خسر ( ديموى ) ثلاثين من جنوده بين قتل وفقد ، مما شجع المواطنين على مواصلة مناوشاتهم ، حتى دخلت الكتيبة معسكرها بالإسكندرية يوم ٢٠ يولييه ، وظلوا مرابطين خلف أسوارها ، وكانت روحهم المعنوية عالية .

وأخذ أهل القرى في إقليم البحيرة ، على طول خط سير الحملة ، يتعقبون جنود نابليون ، الذين يتخلفون عن الفرق التابعين لها ، سواء بسبب التعب أو المرض ، أو بسبب التخلي لإبلاغ الرسائل اليومية والبلاغات الحربية إلى قادة الفرق ، فأمعن المواطنون فيهم قتلا وذبحا ، لأن العدو - بسبب الجوع والعطش - أخذ في سلب القرى التى كانت فى طريقه ، ففى ١٤ يوليونهب الجنود التابعون للجنرال ( بون ) و ( الجنرال فيال ) قرية ( النجيلة ) ، فكان صياح الأهالى ، وبكاء النساء يصم الآذان ، فاضطر الجنرال ( دوجا ) إلى أن يعسكر بها لحفظ النظام ، ومع ذلك لم يستطع الضباط مقاومة جنودهم وهم يتدمرون من الجوع والعطش ، حتى أوجب نابليون على نفسه ألا يتناول غير وجبة واحدة خفيفة ، كل ثمانية عشرة ساعة ، ولما وصل الجنود إلى ( الطرانة ) ، صادروا المواشى ، ونهبوا البيوت ، وأسرع الأهالى ، فأشعلوا النيران فى جرون الغلال ، حتى لا يحصل العدو على علف الخيول من التبن والشعير ، وكانت ( وردان ) أغنى القرى التى مروا بها فنهبوها فى طريقهم إلى ( القطا ) ، فغادرها أهلها فرارا من الغزاة الطغاة .

وفاجأ الفرنسيون عددا من المرابطين يوم ٢٣ يولييه عند ( باب رشيد ) ، وهو الباب الشرقى من أسوار الإسكندرية ، وضاعت أنفاس جنود ( ديموى ) بهذا الحصار الذى ضرب به الشعب حوله ، فاضطر إلى قتل ثلاثة وأربعين من الأهاليين ، وأدرك يومئذ أن هناك اتصالا وثيقا بين المكافحين فى الإسكندرية وبين

المكافحين في دمنهور ، مما أثار دهشة الفرنسيين ، فصبوا جامات غضبهم على البطل الإسكندري محمد كريم ، وقد انتهوا منه بالحكم عليه بالإعدام بعد مهزلة سموها محاكمة ، وكانوا قد نقلوه من الإسكندرية إلى رشيد ، فقام أهلها بمظاهرة شعبية يوم ٣٠ يوليو ، فاضطروا إلى نقله فورا إلى القاهرة .

واشتدت المقاومة الشعبية ، وقدم المواطنون كل ما لديهم من العون إلى جيش مراد بك ، وهاجر معظمهم من القرى تاركين بها مواشيهم ومزروعاتهم ، إلى داخل الدلتا وقلت الأقوات ، في القرى الواقعة على امتداد الضفة اليمنى لفرع رشيد .

وعندما وصل نابليون إلى ( أم دينار ) يوم ١٩ يوليو ، كانت أخبار ( شبراخيت ) قد وصلت إلى الأهالي ، فزادت المقاومة الشعبية ، ووقف الشعب صفًا واحدًا مع المماليك في معركة الأهرام .

وإذا رجعنا إلى الطريق النيل ، وجدنا الكولونيل ( داما Damas ) يحتمل البريد من الإسكندرية إلى القاهرة ، عن طريق فرع رشيد ، فينحدر بسيفته من رشيد يوم ١٦ يوليو ، فما يكاد يقترب من ( مطوبس ) و ( إدفينا ) ، التي في مقابلها على الضفة اليسرى ، حتى يهاجمه المواطنون ، فيضطر عائداً إلى رشيد ، ويحاول استئناف سيره ، ولكنه على مسافة اثني عشر فرسخا يتلقى الرصاص من الضفتين وهو ينال عليه كالطر من برناب والسالية ودسوق ، وشباس عمير وسنهور فيعود إلى رشيد ، ليستثير حماسة ( مينو ) ، الذي أصدر أمره بإشعال النار في ( السالية ) على اليمن ، لأن أهلها قتلوا ثمانية من حملة البريد الفرنسي . وكان ( مينو ) مع ذلك يخشى أن يجازف بثلة من حاميته ، التي لم تكن تزيد على ستمائه جندي ، لا يكفون مطلقا للدفاع عن المدينة ، في حالة ما إذا نشب القتال مع الأهالي ، فاكفى بإصدار منشورات التهديد لأهالي البلاد الواقعة على الضفتين ، فيما بين رشيد وأبوقير ، وأهالي البلاد الواقعة على الخط ما بين أبوقير والرحمانية .

وشهد ( مينو ) في خطاب بعث به إلى ( نابليون ) في ٤ أغسطس ، بصعوبة المواصلات بين رشيد وأبوقير ، عن طريق البر ، وصعوبة الخروج من البوغاز



إلى البحر ، كما أن ( مينو ) قد ضاق ذرعاً بمناوشات منطقة رشيد له ، على إثر فرض الضرائب ، التي قررها عليهم حتى كتب إلى ( الجنرال برتية ) يشكو من إقامته برشيد ، قائلاً : [ لئني أفضل مائة مرة أن أكون على رأس فرقتي ، على أن أأدفن في هذه المدينة ، فقد جئت إلى مصر لأحرز المجد أو أموت فيها ، لا لأجبي الضرائب ] .

أما ( كليبر ) - وهو يومئذ محصور في الإسكندرية - فقد كان موقفه أشد حرجاً من ( مينو ) : فإن الكتيبة التي معه لم تكن كافية لقمع حركات إقليم كبير كالبحيرة ولا سوا البلدان الشمالية منه المتصلة بالإسكندرية ، ويقصد بذلك إدكو ورشيد والكريون ، فإن ثورة يقوم بها أهالي هذه البلاد ، من شأنها قطع المواصلات على جيش الحملة ، في طريقه من الإسكندرية إلى رشيد ودمهور ، وتهديد الإسكندرية عن طريق البر ، وقطع ماء الشرب عنها ، بالاستيلاء على ترعة المحمودية .

لهذا كتب ( كليبر ) إلى نابليون في ٣١ يولييه يقترح عليه وضع حاميات قوية من المشاة والفرسان ، في دمنهور والكريون ، بالدفاع [ لتوطيد النظام ، في المثلث الكائن بين البحر والنيل وترعة المحمودية ، وحماية المواصلات البرية في إقليم البحيرة ] .

أما ( بركة غطاس ) فقد تحمس أهلها ، وقطعوا ترعة المحمودية ، ولكن كليبر أرسل إليها من جنوده العتاة ستائة ، وأمر بحرق البلدة ونهبها . ولعل الخطر الداهم من هذا العمل التخريبي ، لم يكن بسبب قطع ماء الشرب عن الإسكندرية بقدر ما هو بسبب قطع طريق الملاحة النهرية عن الاسكندرية .

ولم ينس نابليون ما فعله أهل دمنهور ، بقوات الجنرال ( ديموى ) ، فأرسل إليها القومندان ( بيرب Birbes ) ، فتوجه من القاهرة إلى ( الرحمانية ) ، ومنها إلى ( دمنهور ) فجرد أهلها من السلاح ، وأعدم خمسة من أعيانها ومشايخها ، الذين اشتركوا في الموقعة ، وأرسل خمسة وعشرين رجلاً كرهائن إلى القاهرة ، وأمره بالعودة إلى الرحمانية ، فأقام بها قلعة ، وأنشأ بها مستودعات الذخيرة ، تمهيداً لجعلها عاصمة للبحيرة بدلاً من دمنهور .

ولم ير (كايير) بدا من حشد كتيبة للطواف من الاسكندرية إلى البحيرة ، وكان عليها أن تمر على دمنهور ورشيد وأبوقير للاطمئنان على سلامة المواصلات ، وجعل قيادة هذه الكتيبة للجنرال (دومى Dumuy) .

وهكذا انقضى شهر يوليو ، وأهل البحيرة يحملون شعلة الكفاح ، في وجه نابليون وجنوده ، غير هيايين ، على الرغم من قلة أسلحتهم ، وعدم انتظام صفوفهم ، وعدم وجود قيادة شعبية لها رصيدها .

لقد رفعت البحيرة علم الثورة ، حتى دخل نابليون القاهرة ، فأسلمته إليها لتقوم هي الأخرى بدورها ، ولكن هل استسلمت البحيرة ، وألقت عن كاهلها عبء الثورة ، وكفاها ما لقيت من الضحايا والنكبات ؟

كلا فإن ثورة أخرى لا تزال مراحل البحيرة تهيؤها وتعد لها لتكون الشرارة الأولى لعدة ثورات شملت مصر من أقصاها إلى أقصاها ، والبحيرة هي المصدر الذى اندلعت منه .

ترى أين بدأت .. ؟ .. وكيف نشأت .. ؟ وإلى أين انتشرت ؟

## أسطول نابليون يتحطم في أبوقير

احتل نابليون القاهرة ، وتلاحمت أوامره كأنها مدافع سريعة الطلقات ، فصادر ممتلكات المماليك في رشيد والإسكندرية وغيرها ، وأصدر أمرا بتشكيل دواوين المديرية ، وجعل على كل منها مندوبا فرنسيا لتحصيل الأموال التى كان يجيبها المماليك ، وفرض مائة ألف فرنك ذهابا على أهل رشيد ، وطلب مشايخ البلاد وأعيانها إلى القاهرة ، فجاء من دمنهور الشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ يوسف الشبراخيتي ، وكانا من الأعضاء العشرة الذين تكون منهم الديوان الذى أنشأه نابليون ليكون أداة الحكم في مصر .

وبينا كان نابليون غارقا في أحلامه ، منهمكا في تخطيطاته ، كان ( نلسون Nelson ) الإنجليزى يحوب سواحل مصر ، بحثا عن أسطول نابليون ، ولم تكن الحملة في زحفها الخاطف نحو القاهرة ، قد عززت مواقعها التى خلقتها وراءها . فالإسكندرية لم تقع تحت سيطرة نابليون ، كما أن دمنهور ورشيد لم تعتبر .

محتلين بالمعنى الصحيح لكلمة « احتلال » ، وكانت التحصينات الساحلية غاية في الضعف ، وخصوصا قلعة أبوقير القديمة المسماة ( طابية البرج ) .

وصل أسطول ( نلسون ) إلى الإسكندرية ، ثم صار في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ م أمام أبوقير ، فوجد أسطول نابليون محتيا بالخليج ، وكان يتكون من ثلاث عشر بارجة كبيرة وأربع فرقاطات ، وعدد من المراكب : عليها ألف ومائة وثمانون مدفعا ، وثمانية آلاف وتسعمائة بحار تحت قيادة ( برويس Brueys ) ، وكان الأسطول الإنجليزي متكافئا مع الأسطول الفرنسي ، لأنه كان مكونا من خمس عشرة سفينة حربية ، مزودة بألف وخمسين مدفعا ، وعليها

ثمانية آلاف ومائتان وأربعون بحارا .

وبدأت المدافع تفتح نيرانها منذ الساعة الثالثة من مساء أول أغسطس ، حتى الساعة الثانية عشر ظهرا من اليوم التالي ، وتحطم خلال هذه الفترة أسطول نابليون ، ومات قائد أسطوله أثناء ضرب النار ، وتولى القيادة بعده (فلنوف Villeneuve) الذي فر بأربع سفن نجت من المعركة بأعجوبة ، حتى رسا بها على ( مالطة ) ، وقد فقد الفرنسيون في هذه المعركة أربعة آلاف بحار ، ولم ينج إلا ثلاثة آلاف وسبق الباقي في ذل الأسر إلى الإسكندرية ، بينما فقد الإنجليز مائتين وثمانية عشر جنديا ، وبلغ عدد الجرحى نحو سبعمائة .

بهذه المعركة التي حدثت أمام خليج أبوقير ، فقدت فرنسا هيبتها في البحر ، وأصبح اتصال الحملة بفرنسا متعذرا ، ولم تصل أنباء هذه الموقعة إلى أسماح نابليون ، إلا وهو في (الصالحية) يوم ١٣ أغسطس ، فتميز غيظا على ( برويس ) ولكنه لم يستطع إلا التسليم بالواقع المر ، والهزيمة الشنعاء .

أما أهل هذه المنطقة في رشيد وإدكو وأبوقير والإسكندرية ، فقد طرق اسماعهم دوى المدافع ، ورأوا بأعينهم ألسنة اللهب وهي تشتعل في السفن ، وأعمدة الدخان وهي تتعالى في السماء وتغطي الأفق ، وميض التيران يحطف أبصارهم ، قبيل كل طلقة من مدفع . وتناقل المصريون فيما بينهم نبأ هزيمة الفرنسيين ، فشمت فيهم كل مصري وبات نابليون مكسور الجناح .

لم يعد نابليون قادرا على ضمان وسائل الاتصال بينه وبين قواده ، لهذا

أمر بتعيين ثلاث فرق من اليونانيين في ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٩٨ ، ومهمة هذه الفرق حراسة « عربات البريد » في الطريق بينه وبين سائر الحاميات ، وكانت كل فرقة تتكون من مائة يوناني وجعل مراكزها في القاهرة ودمياط ورشيد .

## الثورة على نابليون .. في إدكو وإدفينا

منذ انكسر الأسطول الفرنسي في (موقعة أبوقير) ، والسخط ينصب على الفرنسيين ، والهيبة التي كانوا يأملون فرضها على الشعب تنمحي يوما بعد يوم ، وأصبحت الحملة في حالة يرثى لها .

وإذا كانت (البحيرة) كلها قد أصبحت تغلي مراحها ، فإن الجزء الشمالي منها كان أشد البلاد حساسية ، فكأنما كانت هذه المنطقة قائمة على براميل البارود ، وانفجارها على وشك أن يحدث ، لمجرد لمسه . ولا عجب في ذلك ، فإن هذه المنطقة من إقليم البحيرة ، هي هي مقاطعة (ميتيليت) التي ثارت على (الملك مينا) منذ آلاف السنين ، دفاعا عن الحرية ، وما أشبه الليلة بالبارحة ! .

فقد اضطحب (مينو) معه الجنرال (مارمون Marmont) وبعض علماء الحملة وكتيبة من مائتي جندي وبعض الضباط ، وكان يريد بذلك كشف شمال الدلتا ، فبدأ خط السير من رشيد في ١٢ سبتمبر ، فوصلوا (برنبال) ثم (طوبس) ثم (قوة) ، ثم (دسوق) حتى بلغوا حدود مديرية رشيد ، وعادوا منها إلى دسوق ، فلما وصلوا إلى (سنهور) مضوا في طريقهم إلى (شباس عمير) فانقض عليهم أهلها ، وقتلوا الفنان الفرنسي (جولي Joly) ، وكانت (شباس عمير) محصنة بسور مرتفع عليه أبراج تحصن بها الأهالي وأخذوا يطلقون النيران منها، ولما اقتحم الفرنسيون الحصن أخلاه الأهالي ، واعتصموا ببرج واحد من هذه الأبراج ، وعادوا لإطلاق الرصاص ، حتى أصابوا حصان (مينو) .

أمر (مينو) جنوده بحرق (شباس عمير) ، ولكن أهالي القرى المجاورة خفوا لنجدة إخوانهم ، وتبوءت النيران بين الطرفين ، حتى اضطهر مينو إلى التراجع السريع إلى سنهور ومنها إلى دسوق حتى وصل إلى رشيد وهو يجرر أذيل القشمل والحذية .

عهد نابليون إلى الجنرال ( مارمون ) بقمع الثورة في شمال مديرية البحيرة ،  
لتأمين مواصلات الجيش في ترعة الإسكندرية ( المحمودية ) وفرع رشيد ، وحماية  
السواحل من هجمات الإنجليز ، وتحصين البواغيز ، ومرسى العجمى غرب  
الإسكندرية .

وصدع ( مارمون ) بالأمر ، فوصل إلى ( الرحمانية ) يوم ٢٠ سبتمبر سنة  
١٧٩٨ ، ثم مضى إلى ( دمنهور ) ، فأصلح ضفاف ترعة المحمودية ، وأقام مخافر  
رئيسية بمركز الرحمانية وأخرى ثانوية بمركز العكريشة ، فضلاً عن مخافر أخرى  
على امتداد الضفتين ، وسرعان ما دب النشاط من جديد في التركة ، واستأنفت  
السفن سيرها ، تحمل الغلال والذخائر .

وفي ٢٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ اندلعت الثورة من جديد في رشيد وما حولها ،  
ورفع الأهالي علم الثورة ، فأسرعت إليهم حملة فرنسية ، تمكنت من أسر بعض  
المتجهرين ، وقدمتهم إلى المحاكمة الصورية ، واتهمت مشايخ إدكو وإدفيينا  
بالتحريض على هذه الثورة ، فأمر ( الجنرال مينو ) بإعدام المتهمين في ( رشيد )  
رمياً بالرصاص ، وتم له ما أراد .

## دمنهور .. على فوهة البركان

ظن الفرنسيون أن هذا الإرهاب سيوطد مركزهم في البلاد ، وحسبوا أن  
( ثورة إدكو وإدفيينا ) قد انطفأت بإطلاق الرصاص على مشايخها ، ولكن  
الثورة شاملة ، وكانت انطلاقة العملاق . قد بدأت من هاتين القريتين . وكان  
لها موعد مع القدر ، وهو الذي سيحدد خط السير ، بما لم يكن في حساب ( مينو )  
و ( كليبر ) ، ولا ( نابليون ) نفسه .

وأثبتت الأيام ما كان خافياً بظهر الغيب ، فإن جميع الثورات التي اندلعت  
ضد الفرنسيين وعمت الوجهين البحري والقبلي ، إنما كانت امتداداً للثورة الأولى ،  
التي انفجرت في إدكو وإدفيينا يوم ٢٠ نوفمبر .

ولم يسكد ينقضى الشهر حتى كانت ( دمنهور ) قد رفعت علم الثورة ، وتأهب  
لإخمادها ( الجنرال مورا Murat ) فخفف لها من ( رشيد ) بأمر ( مينو ) ،

الذى أخذ الأمر أهبطه ، فعزز قوة (مورا) بقوة أخرى يقودها (لوتورك Leturc) ، وقامت القوة من رشيد إلى الرحمانية ومنها إلى دمنهور فاحتلتها ، وجيء بزعماء ثورتها ، وسيقوا إلى ساحة الشرف والقداء ، ساحة الإعدام رميا بالرصاص ، وفرضت على المدينة غرامة حربية ، ولأذ الثوار بالفرار إلى الصحراء ، فأخذت قوات (مورا) تتعقبهم ، ثم استمر مقيما مدة أيام في دمنهور ، لإسكات الثورات في القرى المجاورة ، وفرض الغرامات عليها ، وعهد (مورا) إلى (لوتورك) بهذه المهمة ، فكانت الدفعة الأولى ستين جملا محملة بالغلال ، صادرها من القرى المحيطة بدمنهور ، وأرسلها إلى الإسكندرية .

وغادر (لوتورك) دمنهور في أوائل ديسمبر ، إلى قرية (دير أمس) ، وكان الثوار يرابطون بها ، وعلى رأسهم سليم كاشف ، ولأبراهيم الشوريجي ، فحضر الجنرال عليها الحصار بقواته ، ولكن الثوار تمكنوا من التسلل إلى الصحراء ، وأخذ الفرنسيون بعض الراحة في (دير أمس) .

وعاد (مورا) إلى (دمنهور) و (الرحمانية) ، وغادرها يوم ٥ ديسمبر إلى (شابور) ، وتصادف أن كانت قافلة من الثوار مرابطة في معسكرها بالصحراء ، قريبا من (الصواف) ، فتعقبها (مورا) حتى أحرق المعسكر في اليوم التالي ، وكان الفرسان نحو سبائة فمطل حركتهم ، ثم مضى إلى (الطراثة) وسلك طريقه إلى القاهرة .

## حرائق في علقام .. بأمر نابليون

أوفد نابليون ياوره (جوليان Julien) من القاهرة برسالتين إحداهما إلى أبوقير والآخرى إلى كاير ، فخرجت به السفينة في فرع رشيد ، حتى وصلت إلى (علقام) ، فجنحت السفينة إلى الضفة ، ونزل الجنود الفرنسيون منها ، وأدرك الفلاحون أنهم قادمون عليهم بالشر المستطير ، فهجموا عليهم هجمة رجل واحد ، وقتلهم حتى لم يبق منهم جندي واحد .

وطار الخبر إلى نابليون ، فاشتد غيظه ، ولكنه لم يلبث أن أفرغ كل سخطه على (علقام) وأمر الجنرال (لانوس Lanausse) بحرق القرية ، ففعل ، حتى لم يبق بها ديار ولا نافخ نار .

وفكر نابليون - منذ هذه اللحظة - في إنشاء أسطول نهري من السفن الحربية الصغيرة ، للقيام بدوريات على ضفاف فرع رشيد ، وجعل المسافة على ثلاثة مراحل : ١ - من رشيد إلى الرحمانية ٢ - من الرحمانية إلى الطرانة ٣ - من الطرانة إلى بولاق .

من أين لنابليون هذا الأسطول ؟

انه استطاع نابليون بشاقب فكره أن يجمع شتات السفن الحربية الصغيرة ، التي أفلتت من «معركة أبوقير» وضم إليها المراكب التي استولى عليها من الممالك بعد هزيمتهم في شبراخيت ، وسلاحها جميعا بالمدافع ، وجعل قواعد هذا الأسطول المرقع في بولاق ومصر القديمة ورشيد ودمياط والصعيد .

### الثورة الكبرى في البحيرة

غربت شمس سنة ١٧٩٨ ، والثورات تندلع تباعا من البحيرة ، وتنتقل إلى القليوبية والشرقية والقاهرة ، وما تزال الإسكندرية ورشيد والبحيرة مراكز الانفجارات الثورية .

وحدث في أوائل فبراير سنة ١٧٩٩ أن أطلق الأسطول الإنجليزي قنابله على الفرنسيين في الإسكندرية ورشيد ، ثم عاد الإنجليز إلى الظهور ، بالقرب من بوغاز رشيد ، وأطلقوا الرصاص على القرى المجاورة لها . وأحس الجنرال (مينو) قبل أن تهب العاصفة ، فبعث إلى نابليون بتاريخ ١٥ فبراير يقول : [ بدأنا نشعر باختار فكرة الثورة ، في البلاد المجاورة لرشيد وأخذ أهالي بعض القرى الثائرة يهددون الملاحة في النيل ] .

فلما كان شهر مارس ، كانت الثورات الأهلية قد اندلعت نيرانها في الإسكندرية ورشيد وما حولها ، وبما زاد الثورة في رشيد اشتعالا أن (مارمون) قومندان الاسكندرية قد فرض على مديرية رشيد بأسرها غرامة - تحت اسم سلفة - فدفعت أهالي رشيد وفوة ما يخصهم ، وامتنع سائر المواطنين ، فأرسل (جولييان) قوة فرنسية وزودها بالمدافع ، لإرهاب الفلاحين والفتك بهم ، فعمت الثورة جميع البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لفرع رشيد : (برنبال)

و ( مطوبس ) و ( كفر شباس عمير ) و ( القنى ) و ( السعدة ) ، وكانت هذه البلاد تابعة لمديرية رشيد يومذاك ، مع وقوعها على الضفة اليمنى للنيل .

وفي إبريل سنة ١٧٩٩ اشتد أوار الثورة في البحيرة ، على إثر ظهور رجل مغربي ، أخذ يحض الناس على قتال الفرنسيين ، أعاداه الله والوطن ، فالتف حوله ( أولاد علي ) و ( الهنادى ) والفلاحون من جميع القرى ، وزحف بجموعه حتى وصل إلى ( دمنهور ) يوم ٢٥ إبريل ، وكانت حاميتها بقيادة ( مارتان Martin ) ، فانقض الثوار على رجاله حتى أفنؤهم .

كثر أتباع المغربي في البحيرة ، عقب هذا النصر ، ومرت دورية الكولونيل ( لوفيفر Lefebvre ) لجباية الأموال وتحصيل الغرامات ، فوصلت إلى ( دمنهور ) بعد انكسار حاميتها ، ثم ولت وجهها شطر ( الرحمانية ) ، وأقامت عند قلعة الفرنسيين المقامة في المكان الذي تبدأ منه ترعة الإسكندرية ، وانتظر المدد من الإسكندرية ، فوافته قوة على رأسها ( ريدون Redon ) فالتقت بجموع المغربي قبل ( الرحمانية ) ، ودام القتال بينهما خمس ساعات انسحب بعدها ( ريدون ) ، فعهد ( مارمون ) إلى ( جوليان ) بإنجاد ( الرحمانية ) ، فترك في ( رشيد ) قوة تكفي لقمع أية ثورة يمكن أن يحدث الأهليون أنفسهم بالقيام بها ، وسار إلى ( الرحمانية ) .

وفي ٣ مايو سنة ١٧٩٩ التحمت القوات الفرنسية في قتال مع المغربي وجموعه عند ( سنهور ) القريبة من ( دمنهور ) ، وكانت معركة شديدة المول ، لأن المغربي كان يحارب ومن حوله خمسة عشر ألفا من المشاة ، وأربعة آلاف من الفرسان ، كلهم من العرب والفلاحين والمشايخ والأعيان ولم يكن فيهم أحد من المماليك ، لأنهم كانوا قد لاذوا بالفرار إلى الصحارى والقفار ، واستمرت المعركة سبع ساعات حتى أرحى الليل سدوله ، وكان مع المغربي مدفع غنمه من الفرنسيين في ( معركة دمنهور ) ، ظل يستعمله ويطلق قذائفه على الفرنسيين فيحصد منهم حصدا ، وارتبك ( لوفيفر ) وأوشك على الانسحاب من المعركة والارتداد من ( سنهور ) إلى ( الرحمانية ) ، فلم يبدأ من اقتحام صفوف المجاهدين ، حتى خرج من هذه المجازفة ، وقد تكبد أمدح الخسائر من جرائها ، كما استشهد من المصريين



ألفان ، كان منهم إبراهيم الشوربجي وعبد الله باش وهما من «شاخ (دمهور) ، واستشهد مراد عبد الله شيخ عرب (الهنادى) .

وكتب الله النصر للمجاهدين وارتد الفرنسيون إلى (الرحمانية) ، فقصده إليهم المغربي برجاله ، فلما رأى أنهم في موقع منيع ، عاد إلى (دمهور) ، وجعل منها مقر قيادته .

وصدر الأمر إلى (لانس) بمغادرة (ميت غمر) في ٤ مايو سنة ١٧٩٩ ، لقمع الثورة الكبرى في البحيرة ، وصدع بالأمر ، والتقى في طريقه بقوة أخرى يقودها (فوجييه Fugières) فتقدمت هذه القوات معاً إلى (الرحمانية) ، وواصلت تقدمها إلى (دمهور) ، حيث قامت المعركة الفاصلة ، وأسفرت عن هزيمة المغربي ، وتمكنت الفئة الباغية من اقتحام (دمهور) ، وإحراقها وتخريبها حتى صارت يوم ٦ مايو - كما يقول (ريبو Reyboud) - [ركاما من الحجارة السوداء مختلطة بأشلاء القتلى ودماء الشهداء] .

ومن العجب أن هذه الجرائم الشنعاء كانت مفخرة على أسنة الفرنسيين ، كما نصت على ذلك رسالة (لوفيفر) إلى (دوجا) في ١٠ مايو ، وكما كتب (لانس) إلى (دوجا) من الرحمانية يقول [والآن لم يعد لدمهور وجود ، فقد قتل من أهلها نحو ألف ومائتين . أو ألف وخمسمائة ماتوا قتلاً أو حرقاً] .

أما مراد بك فقد فر إلى (القيوم) ثم إلى (وادي النطرون) ، قاصداً البحيرة فأرسل إليه نابليون فرقة يقودها (دستنج Destaing) و (مورا Murat) ليقطعا عليه الطريق إلى البحيرة ، فضى إلى الصعيد ، فكلب نابليون الجنرال (ديزيه Daisaix) بإرسال (فريان Friant) لمطاردة مراد بك ، وإرسال نصف الفرسان إلى (الرحمانية) وكلف أيضاً (كايبر) بالتحرك من دمياط إلى رشيد ، وأمر (مينو) بالندوم من (وادي النطرون) إلى (الرحمانية) . أصدر نابليون هذه التعليمات ، وتحرك هو إلى (الرحمانية) فوصلها يوم ١٩ يوليو ، ولم يفس أن يعهد إلى (دو هارتان) بتحصين الساحل فيما بين رشيد وأبو قير والإسكندرية ، فلقى حتفه برشيد متأثراً بجراحه ، من الرصاص الذي أطلقه عليه أهالي (طنوب) و (الزعيرة) وهو يستقل سفينه في النيل .

ورصلت المراكب التركية من ( الإسكندرية ) إلى ( أبوقير ) ، ونزل عثمان خججا إلى قلعتها ومعه مصطفى باشا ، فأطلقت النيران على الفرنسيين الذين كانوا بالقلعة ، واستولى دايها الأتراك وأسروا من كان بها .

كان صالح بك قد ولي عثمان خججا ( إمارة رشيد ) ، فلما مات صالح بك عاد عثمان خججا من تركيا بصحبة مصطفى باشا ، وفي هذه الفترة كان نابليون في ( الرحمانية ) ومنها أصدر منشوره المعروف يحذر فيه المصريين من الروس القادمين من موسكو ، ويذكرهم بأنهم أعداء الإسلام ، ويهدد فيه المصريين أيضا بأشد أنواع العقوبة ، كما فعل بأهل ( دمنهور ) ، وغيرها من بلاد الأشرار . وفي اليوم التالي انتصرت الحامية الفرنسية بأبوقير على حامية مصطفى باشا ، واستولوا على القلعة ، وسبق مصطفى باشا أسيرا إلى الجزيرة ، وعثمان خججا إلى الإسكندرية ، ثم أعيد إلى ( رشيد ) ، حاصر الرأس ، حافى القديمين ، وطافوا به في شوارع المدينة ، والطبول من حوله ، حتى أرسلوه إلى داره ، وعندها حزوا رأسه ، وعلقوه على إحدى نوافذها ، وتركوه ليراه المارة بالسوق ، إرهابا لأهل رشيد .

وفي الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٧٩٩ وصل ( كليبر ) إلى رشيد ، تلبية لدعوة ( نابليون ) له بالمقابلة هناك ، ولكنه فوجئ بما لم يكن في الحسبان ، إذ علم بمغادرة ( نابليون ) مصر في طريقه سرا إلى فرنسا . وبعد بضع ساعات تلقى ( مينو ) خطاب ( نابليون ) ، وفيه جعل قيادة الحملة في مصر للجنرال ( كليبر ) بالنيابة عن [ الطير الذي طار من وكره ] ، وعاد ( كليبر ) إلى رشيد ، فأقام بها بعض الوقت في حيرة وارتباك ، وما لبث أن ركب سفينته في النيل إلى القاهرة ، وأمر بعقد اجتماع الديوان .

وأعاد ( كليبر ) النظر في تقسيم مصر الإداري ، فجعلها منذ ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٩ ، ثمانية أقسام ، ولأول مرة يجعل ( الإسكندرية ) و ( رشيد ) و ( البحيرة ) قسما واحدا عاصمته الإسكندرية ، وقد كان كل همه هو إحكام السيطرة على الإقليم بواسطة النظام العسكري والإداري ، الذي ابتكره : حامية بقيادة أحد الجنرالات ، وكاتب ومترجم وأمين من الأقباط . وأبقى على نظام الديوان في

كل مديرية ، وكان نابليون قبل رحيله قد عهد إلى ( مينو ) بالقيادة العامة على الإسكندرية ورشيد والبحيرة ، ولكنه ما لبث أن تخلى عن الإسكندرية للجنرال ( لانوس ) ، مكثفيا برشيد .

### مينو . . يتزوج زبيدة الرشيدية

استطاب الجنرال ( مينو ) مقامه برشيد ، منذ صار حاكما عليها ، ومن ثمت أخذ يتقرب من أهلها شيئا فشيئا ، فأعلن إسلامه ، وسمى نفسه ( عبد الله مينو ) ، وبدأ يشارك المسلمين في شعائرهم الدينية ، وأخذ يرتاد المساجد معهم ، ويصلي التراويح في رمضان مثلهم ، وكتب بذلك إلى نابليون مفاخرًا بأنه استطاع اجتذاب القلوب إليه ، وفي هذا كسب كبير لسياسة ( نابليون ) .

ولم يكتف ( مينو ) بذلك ، بل خطب زبيدة بنت الرجل الرشيدى السيد محمد البواب إلى أبيها ، ف عقد عليها في ٢٥ رمضان سنة ١٢١٣ ( ٢ مارس سنة ١٧٩٩ ) ، على سنة الله ورسوله ، وقد وجد هذا العقد في سجلات محكمة رشيد الشرعية .

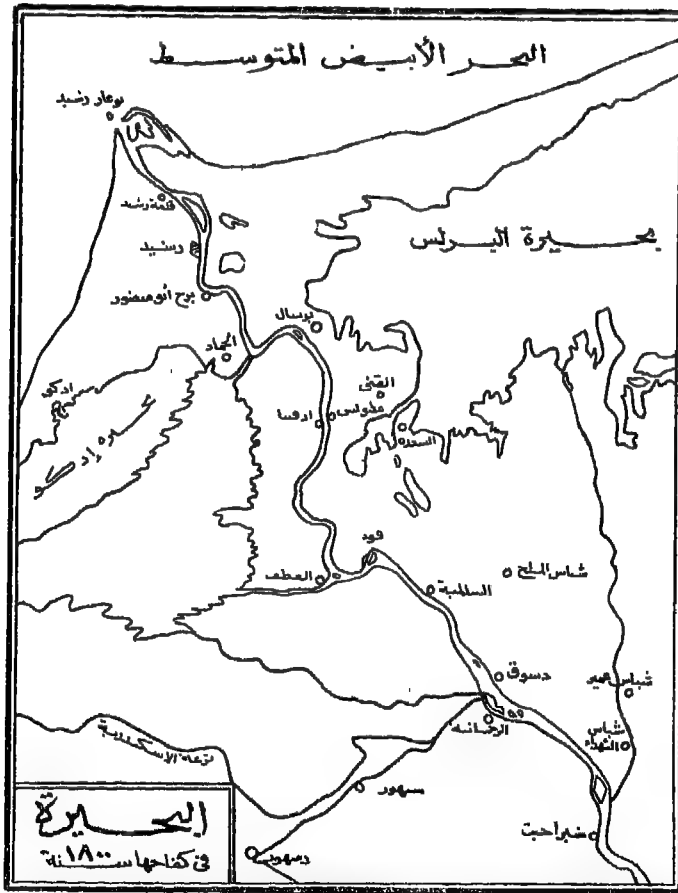
تزوج مينو من زبيدة ، وأنجب منها ولدا سماه ( سليمان ) ، قيل إنه اختار له اسم سليمان الحلبي ، قاتل سلفه الجنرال الكبير ، تملقا لعواطف المصريين والمسلمين منهم خاصة ، غير أن هذا الزواج كان موضع تنذر من الجزالات الفرنسيين .

وعاشت زبيدة في قصرها برشيد مع زوجها ، الحاكم العام على رشيد ، ومديرية رشيد ، وعندما تقدم الاتراك والإنجليز بأسطولهم المشترك ، استصحبها على الرشيدى أخوها إلى الرحمانية ، وقيل لأنها وقعت في أسر الإنجليز ، الذين ردوها إلى ( مينو ) في الإسكندرية معززة مكرمة ، يخطبون بذلك ود المصريين .

وسرى أن ( مينو ) ، عند الجلاء الفرنسى عن مصر سنة ١٨٠١ سترك زبيدة ، في ( تورينو ) بإيطاليا ، ويستغرق في مجونه وخلاته مع الراقصات ، ويهجر زبيدة ، فتموت كندا ، وكان إسلامه ، لم يكن غير ذر للرماد في العيون .

## الرحمانية محور ارتكاز نابليون

قصد نابليون إلى (الرحمانية) في ١٩ يوليو سنة ١٨٠٠ ، استعدادا لصد أسطول الأتراك ، واتخذ من الرحمانية نقطة ارتكازه في الهجوم المباغت عليهم . ولما نزلت قوات مصطفى باشا ، على ساحل أبوقير ، أسرع نابليون إلى (بركة غطاس) ، وركز فيها هجومه ، على منطقة أبوقير ، ليقطع الطريق على



الأتراك ، من الإسكندرية ورشيد إلى داخل البلاد ، وتم نقل المعدات من (الرحمانية) إلى (بركة غطاس) في ٣١ يوليو . وفي ظلام الليل ، انتقل نابليون من (بركة غطاس) ، وأقام معسكره في

(كفر سليم) و (العكر يشة) ، وتحت جناح الظلام أيضا ، انتقل إلى الإسكندرية ، فجعلها مقر قيادته العليا ، وأرسل (دستنج) على رأس كتيبته ، لاستكشاف الطريق من (الإسكندرية) إلى (أبوقير) ولللاطمثنان على سلامة الآبار .  
ومن ثمت أصدر أوامره بالزحف من (البيضا) إلى (سد أبوقير) ، وترعة الإسكندرية ، ومن هناك إلى (أبوقير) ، وتقدمت من (رشيد) نحوه قوات (كليب) ، ولم يعد بين (نابليون) و (أبوقير) غير سبعة كيلو مترات ، وفي صباح يوم ٢٥ يوليو دارت المعركة فانهمز مصطفى باشا ، وتحصن بقلعة أبوقير ، ولكنه وقع في أسر نابليون ، وبهذا النصر استرد أنفاسه ، بعد أن منى الهزيمة النكراء ، في موقعة أبوقير ، فإذا كان في الأولى قد انتصر عليه الإنجليز بحرا ، فإنه في هذه المرة قد انتصر على الأتراك برا .

### البحيرة بين مخالف الذئاب

منذ دبت الأقدام الفرنسية على الأرض الطيبة ، والمصريون في الميدان وحدهم ، يصطلون النكبات واحدة في إثر الأخرى ، والسلطان لا يحرك ساكنا ، ومراد بك أعلن ولائه للفرنسيين الذين احتلوا مصر وحطموا قواته في (موقعة الأهرام) ، ودمروا أسطوله في (موقعة شبراخيت) ، ولم يجد شعبنا زعيما يلتفون حول رايته غير إبراهيم ومراد ، فتقدموا كل مرتخص وغال ، دفاعا عن الأرض التي رووها بالعرق والدمع ، ولم يبخلوا عليها بالدم ، ثم تخلى الممالك عن هذا الشعب ، وتركوا ظهره عرضة للذئاب المسعورة .

وتحالفت إنجلترا وتركيا ضد نابليون ، فأرسلتا الأسطول المشترك إلى مصر ، فرسا على خليج أبوقير في ٢ مارس سنة ١٨٠١ ، وكان (لورد كيث) قائدا للأنوات البحرية الإنجليزية ، وعدتها سبعة عشر ألفا وخمسمائة مقاتل ، على رأسهم الجنرال (رالف أبركرومبي) (Ralph Abercromby) ، وكان حسين باشا قبطان السفن التركية ، وعددها ٥٧ وكانت تقبل نحو ستة آلاف من الأتراك والانكشارية ، ولكنه لم يصل بهم إلا يوم ٢٥ مارس

وفي ٨ مارس بدأ الإنجليز ينزلون إلى شاطئ أبوقير ، على متن ثلاثمائة

وعشرين زورقا ، نزلت جميعا فى صف واحد على خمس مجموعات ، بقيادة ( كوكران ) ، وكان فى مقدمة كل منها مدفعية ، وتقدمت الزوارق نحو الشاطئ تحت ستار من القذائف الفرنسية ، أطلقتها مدافعهم الساحلية ، وكان الجنرال الفرنسى ( فريان Friant ) قد تحرك إلى هناك على رأس ألف وخمسمائة مقاتل وأعد مدافع أبوقير للقتال ، وزودها بمدافع أخرى ، على تل مرتفع ، ليكون ظهيرا للمدافع قلعة أبوقير ، وجهاز قوة ضاربة من ألفى مقاتل .

وفتح ( فريان ) أفواه مدافعه على الإنجليز ، أثناء نزولهم إلى الشاطئ ، وكثر القتل فى الجانبيين ، حتى تمكن الإنجليز من النزول ، وارتد ( فريان ) إلى ( المنصورة ) ثم تقدم ( لانوس ) بقواته إلى مايل ( الرحمانية ) لإنجاد قوات ( فريان ) ولكنه لم يكن أسعد حظا منه ، فانضمت القوتان .. زحفا .. ولكن سبق السيف العذل ، فقد استولى الإنجليز على الساحل ، ثم طاردوا قوات ( فريان ) إلى ( معسكر قيصر ) حيث توجد ثكنات مصطفى باشا التى صارت تعرف اليوم بمعسكر مصطفى كامل الواقع شرق سيدى جابر بالإسكندرية .

وعلى مقربة من مسجد ( سيدى جابر ) ، انتصر الإنجليز على قوات ( فريان ) وزميله ( لانوس ) فى ( معركة سيدى جابر ) فى ١٣ مارس سنة ١٨٠١ ، ثم فى معركة ( كانوب ) بالقرب من محطة ( النزهة ) فى ٢١ مارس ، حينما حاول ( مينو ) أن يقذف من ( أبوقير ) إلى الجهة اليمنى من البحر والمعسكر الرومانى القديم بثمانمائة ألف وثمانمائة جندي من قواته ضد استحكامات الإنجليز البالغ عددهم يومئذ ستة عشر ألفا ومائتين تحميهم المدافع الثقيلة ، وشقت قوة من الفرسان قوامها ألف ومائتا فارس طريقا وسط استحكامات الإنجليز ، ولكنها باءت بالفشل وانهمز ( مينو ) فى محاولاته هذه ، وقصمتمتر الفرنسيون غربا إلى الإسكندرية ، وكانت القوات التركية قد وصلت يوم ٢٥ ، ومن ثمت وقعت البحيرة - وهى دائما مفتاح مصر - فريسة بين مخالف الفرنسيين والأتراك والإنجليز والمماليك .

أما ( كليبر ) فقد اغتاله الفدائي السورى سليمان الحلبي سنة ١٨٠٠ ، ولحق به مراد بك سنة ١٨٠١ وهو بالصعيد فتك به الطاعون ، وانزوى ( مينو ) فى الإسكندرية ، وعمد الجنرال ( هتشنسون Hutchinson ) بعد مقتل ( أبركرومبى )

إلى قطع خط الرجعة على ( مينو ) ، فمكسر سد أبوقير ، في إبريل سنة ١٨٠١ ، وبهذا تلف ماء ترعة الإسكندرية ، وطففت مياه البحر على مساحة كبيرة من إقليم البحيرة ، فنحربت القرى ، وقلقت المزارع ، وبهذا انقطعت المواصلات بين (مينو) في الإسكندرية وبين حاميتها ، التي كان يعول عليها في (الرحمانية) ، وظل محصورا بين البحر والبحيرات .

وكان الجنرال ( سبنسر Spencer ) مكلفا بالاستيلاء على رشيد تمهيدا لمرور زوارق المدفعية الإنجليزية في فرع رشيد ، أما وقد اطمأن ( سبنسر ) إلى أن (مينو) لن يستطيع الزحف شرقا إلى رشيد ، بعد كسر سد أبوقير ، وإغراق هذه المنطقة الشاسعة بمياه البحر ، فقد عمل استحكاماته النوية في (القلعة المربعة) الواقعة في شمال رشيد على بعد فرسخ ، وعززها بأربعة آلاف تركي ، استعدادا للهجوم على رشيد ، فاستولى عليها ، ثم زحف إلى فوة ، ومضى إلى الرحمانية ، حتى بلغ الجيزة .

ووصل مراد بك من الصعيد ليدرك القوات التركية ، في معسكر أبوقير ، ولكن الفرنسيين ، كانوا قد ولوا الأدبار .

## عمدة إدكو يتجسس لحساب فرنسا؟!.. كلا

بات الجنرال ( مينو ) في حالة لا يحسد عليها ، وأصبح في مأزق شديد لا فكاك منه ، وأحذق به الخطر من كل جانب : فالعثمانيون - أصحاب البلاد الشرعيون - قد استيقظوا من سباتهم العميق ، فجاءوا صلبة الاسطول الإنجليزي ليستردوا مصر من براثن الفرنسيين ، والمماليك - على الرغم من ولائهم للحملة - لا أمان لهم ، والشعب هو العدو رقم ١ بالنسبة للجميع ، وأشد المناطق حساسية هي تلك التي أصبحت مسرحا للحوادث الجارية ، وهي المنطقة الواقعة بين إدكو ورشيد ، كانت ولا تزال مصدر كل ثورة ، وشيوخها وأعيانها كانوا في طليعة الثوار ، فأعدموا رميا بالرصاص ، فهل نسي أهل المنطقة كل ذلك ؟ أم هل نسي ( مينو ) وهو الذي أمر بإعدامهم في رشيد يوم كان حاكما عليها ؟ أرسل (مينو) قوة من فرسانه ، للقيام باستكشاف هذه المنطقة ، وخصوصا

فيا بين (إدكو) و (القلعة المربعة) ، وكان على رأس هذه القوة ضابط من كبار الياوران ، ويظهر أن الضابط قد شعر بالخذلان ، فلم تسعفه الحماسة للقيام بمهمته على الوجه الأكمل ، وإنما اكتفى بالتجوال أمام رشيد والتقى صدفة بأحد الأهالي ، واستطلع منه معلوماته ، فاكفى بها الضابط الكشاف ، وعاد بها سريعا ، وأعد تقريرا موجزا ، يفيد أن القوة التي احتلت (القلعة المربعة) فيا بين سبعائة وثمانمائة جندي ، وأنها تقصد باحتلال هذه القلعة لإنشاء مستشفى لعزل الأتراك عن بقية الجيش..

وفي الواقع أن هذه المعلومات لم تكن صحيحة ، بل الصحيح هو ما نقله شيخ (عمدة) إدكو في ٦ أبريل سنة ١٨٠١ إلى (سان فوست) عن عدد القوات الموجودة بالقلعة وكانت في تقديره أربعة آلاف ، وعن تحركاتها استعدادا للزحف على رشيد في اليوم التالي

وامتلاء قلب (فوست) بالذعر ، خصوصا وأنه لا يملك قوة تكفى لصمد مثل هذا العدد الضخم من المقاتلين ، وشرع في نقل المدفعية والمرضى والجرحى من جنوده إلى قلعة رشيد الشهيرة بقلعة (جوليان) ، وظل يرقب تحركات العثمانيين والانجليز طوال يوم ٧ أبريل ، حتى غربت الشمس فلم يظهر أثر للعدو. وفي اليوم التالي فوجئ (فوست) بالعثمانيين أمام رشيد ، واشتبك معهم في معركة ، قرر أثناءها إخلاء رشيد ، وقد حضر (سارتلون Sartelon) من قبل (مينو) لنقل المؤن إلى (الرحمانية) ، فوجد أن وسائل النقل في رشيد لا تقضى بهذا الغرض ، فترك المؤن بها وغادرها مسرعا إلى (فوه) و (الرحمانية) تاركا بقلعة رشيد وبرج أبو منصور حاميتين خفيفتين .

وفي عصر ذلك اليوم ، شهد العثمانيون من برج أبو منصور وهم يزحفون إلى رشيد وقلعة رشيد ، وفي يوم ١٠ أخذوا مواقعهم أمام المدينة فسلبت بلا مقاومة ، وكاد قلب (مينو) ينخلع من صدره فزعا ، فأرسل قوة من القاهرة يقودها (بييان Pépin) لتعزيز القوة المرابطة يومئذ بالرحمانية ، باعتبار أنها مصدر تموين الإسكندرية ، كما عمل على إقامة التحصينات اللازمة عند (العطف) لوقف الزحف الإنجليزي ، ولكن كسر دسد أبو قير ، وإتلاف ترعة الإسكندرية ،



وإغلاق هذه المنطقة على النجو الذي اختاره (هتشنسون) ، كان خطة ناجحة في عزل القوات الفرنسية الثلاث عن بعضها بعضا ، فلم يعدت اتصال بينها في الإسكندرية والرحمانية والقاهرة ، سواء بالبر أو بالنيل وتمكن الإنجليز عندئذ من نقل مقر القيادة إلى رشيد ، وزحف (هتشنسون) إلى (الرحمانية) ومعه قوات القبطان باشا .

وعلى الرغم من القوات الفرنسية الكائنة عند (العطف) بقيادة (لاجرانج Lagrange) ، فإن الإنجليز استطاعوا أن يبرروا بقواتهم فيما بين ميسرة المعسكر الفرنسي بالعطف وبين بحيرة إدكو ، وسلكوا الطريق فيما بين إدكو وبحيرة أبو قير ، وتمكنوا من إرسال قوة عبر هذا الطريق إلى دمنهور ، لغزو (الرحمانية) .

وانسحب (لاجرانج) من (قوة) إلى (الرحمانية) في ٧ مايو ، على الرغم من قوة التحصينات التي قام بها عند العطف ، وكانت تمتد إلى مسافة ثلاثة أميال في عرض السهل من النيل جنوبي بحيرة إدكو ، إلا أنها كانت تحمي المواقع الأمامية فقط ، بينما كانت الفرصة سانحة للفرنسيين بالمرور من المنطقة الخالية فيما بين ميسرتهم وبين بحيرة إدكو ، ولكنهم خافوا من حركة تطويق يقوم بها الإنجليز . وصل هتشنسون ظهر يوم ٩ مايو إلى (الرحمانية) حيث دارت المعركة ، ولم يستطع (لاجرانج) أن يقاومه ، فانسحب منها في مساء اليوم نفسه ، وسلبت في صبيحة يوم ١٠ مايو .

ولا يفوتنا أن نلاحظ ما ذكره أستاذنا الدكتور محمد فؤاد شكرى <sup>(١)</sup> عن شيخ إدكو وموقفه مع الفرنسيين ، وقد عبر عنه بقوله إنه [ كان صادق الولاء لهم منذ قدومهم إلى هذه البلاد ، وقد رجا هذا الشيخ قومندان رشيد (الفرنسي طبعاً) أن يحرق رسائله وأن يمتنع عن مكاتبة خوفاً من وقوع هذه الرسائل في أيدي العدو (العثمانيين والإنجليز طبعاً) ] .

ونحن نستبعد هذه التهمة ونففيها نفياً قاطعاً عن عمدة إدكو أو شيخها مما يمكن اسمه أو شخصه ، والحقائق الثابتة تؤيدنا في هذا النفي ، فإن الدكتور

شكرى قد اعتمد على أقوال المؤرخين الفرنسيين، وهم وحدهم الذين جاءوا بهذا الخبر دون أن نجد له أى أثر فى مراجعنا العربية وفى مقدمتها طبعا الجبترى مؤرخ هذه الحقبة الهامة من الأحداث ، والمعروف دائما عن المؤرخين الفرنسيين عندما تصيهم الهزيمة أن يتهموا المصريين بالخيانة لوطنهم ، أما عمدة إدكو أو أى شخص آخر منها أو غيرها من المنطقة فيستحيل عليه أن يمالئ الفرنسيين وأن يكون « صادق الولاء » لهم ، لا لشيء إلا لأنه ما يزال يذكر أن هذه المنطقة كانت أول مكان قام بشرف الثورة على فرنسا فى إدكو وإدفيينا ، وكانت النتيجة أن مشايخها قد أعدموا فى رشيد ، رميا بالرصاص ، بأمر (مينو) .

وشئ آخر له اعتباره هو أن المؤرخ الفرنسى ( إدوار جوان ) فى كتابه ( مصر فى القرن التاسع عشر ) قد شهد بعزة النفس التى تحلى بها أهل البحيرة فى تصيدهم قادة جيش نابليون فى زحفهم من الإسكندرية إلى الرحمانية عبر البحيرة ، فلم تفلح معهم وسائل الإغراء بالمال لافتراد أحد هؤلاء القادة ، فقتلوه انتقاما للشرف الرفيع .

ولم يعرف عن مواطن واحد أنه خان مصر فى مدة الحملة الفرنسية ، وإنما الخونة هم المماليك وعلى رأسهم مراد بك الذى هزمه الفرنسيون ، ثم صالحهم ، ولما قدم العثمانيون مع الإنجليز ، أحضر ( هتشنسون ) ضامنا من القبطان باشا وانضم بعدئذ إلى الإنجليز ، هذا هو مراد ، وسيكون على شاكلته كما سرى محمد بك الألفى صنيعة الإنجليز الذى خان وطنه ودينه ، وصحبوه معهم إلى (لندن) بعد هزيمتهم المنكرة فى دمنهور سنة ١٨٠٣ ثم أعادوه إلى مصر سنة ١٨٠٤ ، ليقوم بإعداد ترتيبات احتلال مصر من جديد ، وخيبت الأقدار ظنه وظنونهم . وعلى كل حال ، فقد صدق المصريون فى كفاحهم المرير ، وجلا عن بلادهم كل من الذئاب الثلاثة ، وبقي المصريون .

## مؤامرات على البحيرة

هنا الاسكندرية ، واليوم هو ١٨ أكتوبر سنة ١٨٠١ ، وقد أزهق التاريخ سمعه ، لهذا النبأ ، وهو أن آخر جندى فرنسى قد جلا عن مصر ، مع غروب

شمس ذلك اليوم ؛ وبذا انطوى العلم الفرنسى ، وغاب عن الأنظار إلى غير رجعة .  
نعم ، تم جلاء الفرنسيين ، ولكن الإنجليز والأتراك والمماليك ، لا يزالون  
فى مصر ، وهم جميعا دخلاء ، ومن شأن الدخيل أن يعمل على طرد الدخيل ،  
بكل حيلة ليبقى هو .

أما الأسطول العثمانى ، فقد ظل راسيا على مياه أبوقير ، وبه ستة آلاف من  
جنود الإنكشارية . وأربعة آلاف من الأرنؤوط ، مهمتهم الرئيسية : مراقبة  
منطقة غرب الدلتا القريبة من الأسطول ، بينما كان عثمان بك الطنبورجى يحاصر  
الإسكندرية ، بقوة من المماليك عدد أفرادها ستائة .

ويومئذ كان والى مصر محمد باشا خسرو ، وأمير الصعيد الأعلى زعيم المماليك  
محمد بك الألفى ، والمماليك غصة فى حلق العثمانية ، فلا سبيل إلى التخلص منهم ،  
إلا بالمؤامرات والمذابح ، وهكذا فعل حسين باشا القبطان ، حينما دعا كبار  
المماليك فى هذا الشهر إلى معسكره فى أبوقير ، يدعى تخويلهم السلطة .

ركب المماليك زوارقهم عبر بحيرة أبوقير ، التى كانت تفصل المعسكر عن  
مرسى الأسطول ، وخرجت الزوارق من البحيرة إلى المرسى ، فاستقبلتها ثلاث  
سفن تحمل الرجال ، بأيديهم السيوف ؛ فأحاطوا بالضيوف من كل جانب ،  
وأمعنوا فيهم ضربا ، حتى قتلوا عثمان بك الطنبورجى - خليفة مراد بك - وعثمان  
بك الأشقر ، وإبراهيم بك كتخدا السنار ، ومراد بك الصغير .

أما الموائد التى كان قد أعدها حسين باشا لضيوفه ، فتد كانت الطعم الذى  
تمسك به من اصطياد خصومه الألداء ، فقد قيل إنهم لما حضروا أحسن استقبالهم ،  
ثم دعاهم إلى زيارة بارجته فى خليج أبوقير ، فلما توسطوا البحر ، انطلق عليهم  
الرصاص ، وانهالت عليهم السيوف ، فغرق من غرق ، ولم ينج إلا التليل .  
هذا وقد كانت القاهرة إذ ذاك تشهد مذبحه ماثلة ، قام بتأليفها شيخ البلد  
إبراهيم بك .

ولما كان الاتفاق قد تم بين تركيا وفرنسا ، فقد شرع الإنجليز فى مصر -  
على يد الجنرال ( ستوارت Stwart ) - يحرضون المماليك ضد العثمانيين . ويشدون  
أزرهم ، فلما جرت ( مذبحه أبوقير ) ، احتج الإنجليز ، ليظهروا بمظهر المدافع

عن البقية الباقية من الممالك ، وقد آلت زعامتهم إلى اثنين هما عثمان بك البرديسي ومحمد بك الألفى ، أما الأول فكان هواه مع فرنسا ، والآخر مع إنجلترا .

أما فرنسا فقد بعثت جاسوسا لنابليون وهو ( سياستيانى ) لجمع كافة المعلومات من اتصالاته بمن كان لهم النفوذ أيام الحملة ، وأخذ ( سياستيانى ) ينتقل من بيت إلى بيت ومن قرية إلى قرية ، ويتفقد الاستحكامات في أبوقير ورشيد ، وزار بالرحمانية الشيخ محمد أبو على ، وحاول زيارة عمر مسكرم فاعتذر لمرضه ، وقابل نفيسة المرادية ، واتصل بمشايخ العربان ، وأهدى كل من لقيه صورة نابليون .

وما لبث أن ضمن تقسيمه إلى نابليون افتراءات على المصريين بولائهم لنابليون ، مدعيا أن مصر يكفى لغزوها في وضعها الراهن ستة آلاف جندي .. أضغاث أحلام ،

## دهنهور تسحق الأتراك .. والإنجليز يضحكون

أراد الإنجليز أن يردوا للمماليك اعتبارهم ، بعد تلك المذابح التي دبرها ويدبرها لهم العثمانيون ، فحرضوهم على الزحف من الصعيد على الوجه البحرى ، ووعدهم بالمساعدة ، حتى يطهروا البلاد من العثمانيين ، الذين تحالفوا بالأمس القريب مع خصومهم الفرنسيين .

فإنه منذ جلا الفرنسيون عن مصر ، استقر الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا بالقاهرة لتنظيم شئون الحكم ، بينما رسا القبطان حسين باشا بأسطوله أمام أبوقير ، وعقد الوالى محمد خسرو باشا كل عزم على الفتك بالمماليك حتى يتخلص من شرورهم ، التي طالما ضج منها الأهالى بالشكوى .

وقبل الجلاء الفرنسى ، كان القبطان باشا قد أرسل إلى « قلعة الرحمانية » قوة يقودها محمد على ، فدخلها يوم ١٠ مايو سنة ١٨٠١ ليلا ، فأسرع بإخلائها ( لاجرانج Lagrange ) قبل أن يلتحم معه القائد الأرنأوطى في قتال .

زحف المماليك بتحريض الإنجليز على البحيرة ، فأعد خسرو باشا لقتالهم جيشين من أربعة عشر ألفا : مابين مشاة وفرسان . وزودهم بالمدافع والبنادق ،

وكان أحد الجيشين يقوده يوسف كتنخدا وظاهر باشا ، أما الآخر فكان يقوده محمد على .

وكان على محمد على أن يزحف بقوة من الأرنأوط على دمنهور لطرده البرديسي والألقى منها ، وقد كانت قواتها نحو ألفين ومعهم نحو خمسة آلاف من العربان . وصلت قوات المماليك إلى ( حوش عيسى ) فنزلوا بها في أوائل نوفمبر سنة ١٨٠٢ ، ثم تحركوا إلى مكان قريب من دمنهور حيث وقعت الواقعة في ٢٠ نوفمبر ، وحرص الإنجليز على أن يرقبوا المعركة عن كشب ، بينما بذلوا الوعود للمماليك بالمساعدة إذا نشب القتال .

أدرك الإنجليز أن عثمان البرديسي في الميدان وحده ، فليس ثمة مكان للقوات الأرنأوطية التي يقودها محمد على . وبذا كان المماليك قلة قليلة بالنسبة للعثمانيين ، فنصحهم الإنجليز ألا يخوضوا المعركة ، فلم يسمع لهم أحد .

وارتكز يوسف بك كتنخدا بجناحه الأيسر على ترعة الإسكندرية ونصب أمامها المدافع ، وانقض في هذا السهل على المماليك ، حتى انتصر على البرديسي ، واستمر القتال ، فانقض على الجناح الأيسر ، وفك بالمشاة ، ولكن المماليك على قلتهم ، انتصروا أخيرا وكبدوا العثمانيين خسائر في الأرواح قدرت بخمسة آلاف جندي ، ما بين قتل وأسير ، كما استولوا على مدافع كثيرة من العثمانيين في نظير خسارة في الأرواح لا تزيد على ستين رجلا ، وانجلى المعركة عن ثلاثة آلاف جثة ، طرحت بالعراء فيما بين دمنهور والصحراء .

أما الإنجليز ، فقد ظلوا - طول المعركة - يرقبون سيرها من فوق تل مرتفع ، لا يتحركون لنصرة فريق على آخر ، ولكنهم صفقوا لهم طويلا ، وبشوا في وجوههم ، وأغلب الظن أنهم أصبحوا يمتنون عليهم بأطيب التنبؤات ، التي كان لها الأثر الفعال في النصر المبين على قوات السلطان .

ألم يحضر الألقى بك إلى معسكر الإنجليز عند ( بركة غطاس ) ليطلب إليهم التوسط لدى الباب العالي لشموله المماليك بالرضى السامى ؟ ألم يكتبوا من ( حوش عيسى ) إلى ( استيوارت ) أنهم يقتربون من دمنهور .. فالغوث الغوث ! . على كل حال .. لقد انتصر المماليك على خصوم الإنجليز في ( معركة دمنهور ) ،

وبعدها ، واصل الالفى مساعيه لديهم ، لتحقيق مطالب المايك عند الباب العالى من جهة ، ومثليه فى مصر من جهة أخرى .

أما خسرو باشا فقد فاجأه هذا الموقف المتخاذل من محمد على ، الذى لم يدخل المعركة وخالف الأوامر ، وقد حاول خسرو أن يمد يد المساعدة فى المعركة بالعتاد والرجال ، ولكن كل شىء كان قد انتهى ، حتى ( الشركفلك ) الذى أمر بإتمامه ، فتم فى خمسة أيام ، وأرسله على ظهور الجبال ، لم يكن نمت مجال لإرساله ، فقد ركب الخليفة وانفض المولد .

وقد أسرع المايك بإقامة معسكر لهم قريبا من الإسكندرية ، وظلوا هناك نحو ثلاثة أشهر ، فهل كان فى نيتهم الاستيلاء عليها ؟ .. على أية حال فإيهم لم يتخذوا بهذا الصدد خطة حاسمة ، إذ أنهم ما لبثوا حتى غادروها فى ١٦ مارس سنة ١٨٠٣ إلى دمنهور ثم الصعيد .

ولاذ خسرو باشا بالفرار ، وخلفه أحمد باشا خورشيد ، أما طاهر باشا ، وهو يومئذ زعيم الأرنؤوط ونائب محمد على ، فقد اصطدم بعدة مشاكل أهمها ( الرحمانية ) .

نعم ، فإن خسرو قبل فراره ، كان قد عزز ( الرحمانية ) بقوة عسكرية بقصد السيطرة على الملاحة النهرية فى فرع رشيد ، فى حين أنه أهمل إهمالا باتا الاستيلاء على رشيد ، وقلعة رشيد ، التى كانت لا تزال فى قبضة الأرنؤوط .

ورأى حاكم الإسكندرية الجديد - أحمد باشا خورشيد - أن من الحكمة تحطيم جسور بحيرة المعدية ( أبوقير ) ، وكسر سد أبوقير ، وحراسة المنافذ الموصلة إلى المدينة ، وأسرع بالذهاب إلى القاهرة ، ليستطلع الجو ، وليقف على اتجاه الرياح المختلفة ، ولكنه ما لبث أن عاد مسرعا .

أما الإسكندرية فقد أصبحت بمعزل عن رشيد وعن البحيرة وعن القاهرة ، وانقطعت المياه العذبة والمواد الغذائية عن الإسكندرية ، فى سبيل ماذا ؟ البقاء أو القضاء .

## البرديسى .. ينتقم من البحيرة

تم جلاء الفرنسيين ، ثم الإنجليز ، ولم يبق إلا الأتراك ، وكان من الطبيعي ألا يتسلم المصريون حرياتهم طالما الأتراك والمماليك بين ظهرانهم ، مهما تلوت حبال السياسة ، ومهما كان اللاعبون عليها .  
وكان المماليك فى مصر أشبه بالكلاب التى أطلق لها أسبادهما الأطواق ، وانصرف عنها هؤلاء الأسياد ، لمشاغل تهد الجبال الرواسى .

من أجل هذا ، كان المماليك بالنسبة للسلطان عصاة متمردين ، فليهبوا ويسلبوا خيرات مصر ، ما شاء لهم أن يهبوا وأن يسلبوا . ففى ١١ يونية سنة ١٨٠٣ اقتسم الكبار منهم أقاليم مصر فيما بينهم ، فذهب سليمان كاشف البواب بعساكره إلى رشيد ، وتوجه عثمان البرديسى إلى دمياط ، واتفق البرديسى مع محمد على على الاستيلاء على رشيد والإسكندرية على أن يتلاقى جيشاهما عند الرحمانية ، فذهب إليها البرديسى فى فرسانه ، وتبعه محمد على بمشاته ومدفعيته .

أما رشيد فكانت تحت سيطرة حاكمها إبراهيم أفندى التركى ، وكان بها جماعة من الأتراك ، فلما أحس بزحف سليمان أغا كاشف - وهو رئيس قوات البرديسى - على المدينة أخلاها وتحصن ( بـرج مغيزل ) حيث قلعة جوليان ( قلعة رشيد ) ، ففضى إليه وفرض عليه الحصار بها ، وتولى على باشا الجزائرلى أمر مصر فوصل الإسكندرية فى ٨ يولية سنة ١٨٠٣ ، وخشى المماليك أن تسقط رشيد والإسكندرية فى يده ، ولكنه أسرع فأرسل إلى رشيد أخاه على باشا القبطان ، وعلم بأمر هذا الحصار الذى ضربه عليها سليمان أغا كاشف ، فأخبره بحضوره وحضور والى مصر الجديد على باشا الجزائرلى ، واستنكر عليه هذا الحصار ، وظل يقنعه بفك الحصار والارتداد ، نظرا لما يدور من مفاوضات للصلح بين الباشا والبرديسى ، فاقتنع ثم مضى من ( رشيد ) إلى ( الرحمانية ) فى ١٢ يولية سنة ١٨٠٣ ، واحتل رشيد السيد على القبطان بعد أن غادرها سليمان أغا ، وكان الخوف قد دب فى قلبه من أن يهجم عليه العثمانيون من برج مغيزل والإسكندرية .

وعلم البرديسى وهو فى جولاته اللصوصية وكان بالرحمانية مع محمد على ، فقررا

معاودة الزحف على رشيد فبادر بالوصول إليها يوم ٢٣ يولييه ، فتخوف منه على باشا القبطان ، الذى لجأ إلى ( برج مغيزل ) فتحصن به منه ، وكان أهل البرج قد غادروه ، فرارا من هؤلاء ، واستولى محمد على والبرديسى على رشيد ، وقررا عليها ثمانين ألف ريال ، وحاربوا الأتراك ، وانتصرا عليهم ، واستولوا على برج رشيد ، بعد قتال دام أكثر من عشرين يوما .

وكان على باشا الجزائرلى قد بعث من الإسكندرية إلى أخيه بالإمدادات والسفن ، التى وصلت إلى بوغاز رشيد لحماية كل نجدة تصل إلى قلعة رشيد ، ولإحباط كل عمل يقوم به العدو ، ولكن كل هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح ، واستسلمت القلعة فى ١٢ أغسطس سنة ١٨٠٣ .

ووقع على باشا القبطان أسيرا هو ومن معه ، وسبق إلى القاهرة ونال الكثير منهم حتوفهم ، ونفى الآخرون إلى الشام .

وكان على باشا الجزائرلى فى موقف لا يحسد عليه فى الإسكندرية ، ولما كان يتخوف من قدوم المماليك إليه ، فأسرع بتخطيط سد أبوقير ، تماما كما فعل ( هتشنسون ) منذ سنتين ، لينزع المماليك من الزحف إلى رشيد ، وعاد الخراب إلى الإسكندرية والبحيرة من جديد ، وجلا معظم الفسارين إلى ( أزمير ) أو ( قبرص ) .

وما زاد من خراب البحيرة ، ذلك الخندق الذى سخر أهل الإسكندرية فى خضره حول المدينة ، وأطلق ماء البحر ليجرى فيه ، ك محاولة منه لتحصين الإسكندرية ضد المماليك .

ولما استقر البرديسى فى رشيد ، ذهب ( مسيت ) لمقابلته ، ثم توجه ( بتروشى ) لمقابلة البرديسى وسليمان أغا فعرف من هذا أن المماليك يكونون الولاء للإنجليز ، ثم ذهب البرديسى إلى دمنهور قاصدا الزحف على الإسكندرية لإنهاء الحكم العثمانى من مصر ، فحال كسر سد أبوقير ، دون وصوله إليها ، فقد كان الطريق وعرا ، والخراب شاملا ، والاقوات معدومة .

استقر البرديسى فى دمنهور ، وترك على عسكره برشيد مملوكه يحيى بك البرديسى بعد أن عبأ ( برج مغيزل ) بالدخائر ، وفرض على أهل رشيد المغارم الباهظة ،



واستباح غنائمها ومتاجرها ، بعد أن رحل عنها أهلها ، وهاموا على وجوههم ، واستولى المماليك الأوغاد على [ أموالهم من الشوارد والحواصل والأخشاب والاحطاب والبن والأرز ] ولما لم يجدوا علقا لدوابهم غير شعير الأرز والأرز الأبيض ، أطعموها منه .. هنيئا مريئا .

وفي الحق أن الإسكندرية كانت مهددة بهجوم مفاجئ عليها من الأرنؤوط والعرب ، وذلك منذ وصل إلى رشيد سليمان أغا وقبل أن تسقط هي وقلعتها الحصينة في يد البرديسي ومصدر وحيه محمد على .

أما على باشا الجزائرلى - بعد أن أسر أخوه ، وكسر السد من حول الإسكندرية - ، فقد أسرع بتسريح جنود خسرو باشا وأحمد باشا خورشيد ، وبذلك أصبحت الإسكندرية عزلاء معزولة ، فشحت الأقوات ، وقفل ماء الشرب ، وجلا عنها أهلها ، وسحب محمد على قواته إلى دمنهور ، وسحب البرديسي قواته من دمنهور إلى القاهرة ، وبذا نجحت خطة الجزائرلى في تجنيب الإسكندرية غزو المماليك .

وعندئذ ثار الأرنؤوط في دمنهور مطالبين بمتأخراتهم ، في حين أن المغارم التي فرضها البرديسي على رشيد كانت تصل إلى جيبه خالصة ، وتوسط محمد على في تخفيف حدة هذه الأزمة حتى ينسحب من دمنهور وهو على وفاق مع حليفه البرديسي بك ، ثم غادر محمد على دمنهور بالأرنؤوط فدخل القاهرة في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٠٣ ، وتلاه البرديسي بعد تسعة أيام ، وما يزال الإنجليز والفرنسيون يشجعون المماليك كل من جانبه ، بينما على باشا الجزائرلى بالإسكندرية كالأسد المحصور : فهناك أقام مراكز دفاعية بين بحيرة مريوط وقلعة لتورك Leturcq كما حصن موقع السد الذي كسره .

وتفقت ذهن محمد على عن حيلة وهي العمل على اجتذاب الجزائرلى إليه للحد من نشاطه ، وتوسط بالمشايخ لدعوته إلى القاهرة لوقف الحرب ، وفي هذه الأثناء ورد من البساب العالي فرمان بإعادة إبراهيم بك شيخا للبلد كما كان ، واعترف السلطان بسلطة المماليك ، كما جاء ( فرمان البحيرة ) بالإتمام على نائب

البحيرة ومشايخ عربان الهنادى والأفراد والجميعات والبهجة والعونة جميعا فأقرهم على منازلهم وأراضهم في [ فياى البحيرة التى هم فيها من قديم الزمان ] .  
على أن عرب البحيرة لم ينخدعوا بضمون هذا الفرمان السلطانى ، ولم يكونوا بحاجة إليه لتثبيت أقدامهم بإقليم البحيرة ، فهو لهم بوضع اليد ، غير أنهم آثروا الانضمام إلى الجانب المنتصر ، وهو جانب المماليك الذين اشتد بعرب البحيرة أزرهم ، فبدأوا يتربصون الدوائر بالعثمانيين برا وبحرا ، ولم يعدوا وسيلة في القضاء عليهم في كل مكان وبكافة الوسائل .

ففى ١٩ يناير سنة ١٨٠٣ استعان الألفى بعرب البحيرة والهنادى ومعهم مماليك فقطعوا الطريق عند ( النجيلة ) ، وأكثروا الفساد في البلاد والعباد ، وبذا كسب المماليك ظهيرا أقوى من الإنجليز .

وسمح الباب العالي لعلى باشا الجزائرلى بمغادرة الإسكندرية إلى القاهرة بشرط ألا يزيد جيشه على ألف جندى ، ووقف له المماليك بالمرصاد ، وأخذوا يرقبون خط سيره الذى رسموه له وهو ملازمة الضفة الغربية للنيل مارا بدمنهوور والطراقة .

تحرك الجزائرلى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٠٣ فى ألفين وخمسمائة من المشاة ، وخمسمائة من الفرسان ، ولم يتوجه إلى دمنهور حسب الاتفاق ، وإنما توجه إلى إدكو بقصد الزحف على رشيد ، فأسرع إليه يحيى بك البرديسى حاكم رشيد ومعه عمر بك الأرنؤاطى رئيس الحامية بها ، فأدركاه عند إدكو ، ونهباه إلى التزام ما اتفق عليه ، فأكد لها أنه لن يقترب من رشيد ، فتركاه وعادا إلى رشيد .

ولكنه ما لبث أن قبض على اثنين من جنود العثمانيين مساء يوم ٢٧ ديسمبر كانا يحملان رسالة من الجزائرلى إلى عمر بك يدعوه إلى نصرته على المماليك ، ولكن خرجت حامية عمر بك لوقف مناورته ، وراقبت سيره إلى القاهرة دون اشتباك ، وأخذ طريقه مرة على الضفة اليمنى وأخرى على اليسرى حتى وصل القاهرة ، وكانت الأخبار قد وصلت فى ٣ يناير سنة ١٨٠٤ بسوء نوايا الجزائرلى ، لهذا منعه المماليك من دخول القاهرة ، فضاعت الدنيا في وجهه .

أما الإنجليز فإنهم على الرغم من توقيع صلح ( أميان Amiens ) فى ٢٧

مارس سنة ١٨٠٢ وتصدىق فرنسا وإنجلترا وهولندا وأسبانيا عليه ، وتعهد كل من فرنسا وإنجلترا بالجللاء عن مصر ، إلا أنها ظلتا تماطلان وترقبان الحوادث ، وتؤلبان العناصر بعضها على بعض ، لتسحين كل منها الفرصة للانقضاض على مصر .

وأخيرا شهد يوم ١٤ مارس سنة ١٨٠٤ جللاء آخر جندى لإنجليزى عن البلاد ، ومهمهم صنيعة الإنجليز الأكبر محمد بك الألفى ، وفي نفس الإنجليز أمل في العودة إلى مصر ، ولا سيما بعد أن أحرزوا النصر في معركة جبل طارق في ٢١ أكتوبر سنة ١٨٠٥ ، وعندئذ انتعش الأمل عندهم في تحقيق نصائح ( مسيت ) و ( ستراتون ) و ( ألكساندرپول ) و ( لورد نلسون ) وموافقة الباب العالي على قرار لم يحد الإنجليز محيصا عنه وهو : احتلال الإسكندرية .

### الألفى بك من إنجلترا إلى البحيرة

كان عثمان بك البرديسى ، زعيم عصاة المماليك فى المخازى والفضائح التى ارتكبوها فى البلاد ، وعلى الرغم من الانتصار الذى أحرزه المماليك فى دمنهور سنة ١٨٠٢ ، فإن البرديسى لم يبدأ له بال ، طالما الأتراك يهيمنون على المنيا وأسيوط وجرجا ، فكان لا بد من أن يطاردهم فى كل مكان ، حتى يخلو وجه البلاد له وحده ، ولا سيما بعد أن استصحب الإنجليز معهم زميله فى الفساد محمد بك الألفى .

ولكن جاء يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٠٤ ، ورست على أبوقير السفينة الإنجليزية (أراجو) وهى تقل الألفى بك محملة بالهدايا والستة عشر مملوكا من حاشيته الخاصة ، عائدا من عند أسياده الإنجليز ، بعد أن اتفق معهم على تسليم مصر لهم ، ولهذا قدم لعمل الترتيبات اللازمة ، ومن أبوقير سار الألفى ( بك ) على قدميه إلى إدكو فى طريقه إلى رشيد ، غير أن يحيى بك البرديسى وعمر بك رئيس الأرنؤوط بها ، أسرعا لمقابلته بإدكو قبل وصوله إلى رشيد ثم دخلها فى منتصف الليل فضربت له المدافع ، وتلقاه يحيى بك والآهالى بالبشر والترحاب ، وأنزله معززا مكرا بمنزل مصطفى عبد الله أحد كبار تجار رشيد ، كما خف قناعل

الدول لمقابلته والتسليم عليه ، وأعد له (مسيت) نائب التوصل البريطاني سفينة ، خاصة ، وبادر حاكم رشيد بإرسال الخبر إلى عثمان البرديسي بك ، وأخذ ينتظر التعليمات ، ولكن الألفى لم يمض غير ليلة واحدة ، ثم انتقل في آخر الليل إلى منزل قنصل الإنجليز برشيد (پتروشى Petrucci) ولا بد أن يكون قد أبلغه تعليمات حكومته ، وتقضى بتسهيل مأمورية الألفى إلى أقصى حد ، بدليل أنه أهدها مركبا ليهيئ به في النيل إلى القاهرة .

عاد الألفى من لندن ، وهو ممتلئ بالأمل الكبير في الاستيلاء على مصر ، ولم يكن في حسبان أنه يعود ليرى الممالك وقد انفصوا من حوله ، وانضموا بزعامه زميله البرديسي ، إلى محمد علي ، ولكن هكذا تغيرت الظروف ، حتى أصدر البرديسي - بعد أن استشار محمد علي - أمرا بقتل الألفى أينما وجد .

تحركت سفينة الألفى من رشيد يخفق عليها علم الإنجليز ، ولم يكن الأمر قد وصل إلى يحيى بك بقتله بعد ، وأقبل عليه الممالك من بولاق لقتله ، ولكنه نجح بأعجوبة من الموت المحقق ، إذ لجأ إلى نجح عرب الحويطات في (قرنفيل) فأجارتها امرأة منهم ، وجد كل من البرديسي ومحمد علي في التخلص منه بالقتل ، ولكنه فر من أيدي الباحثين عنه ، واختفى إلى حين .

وكان الممالك ينهبون البلاد وظهورهم إلى الإنجليز ، والآن أصبحوا ينهبونها وظهورهم إلى الأرناؤوط أو الدالاتية ، الذين منهم محمد علي ، من ذلك ما لقيته (شابور) في ٣ ديسمبر من هذه السنة ، وقد تحصن بها قادري أغا ، فزحف نحوه صالحو أغا بعساكره وعربانه ، وتعرضت (شابور) بسبب ذلك للأذى الشديد ، وأخلاها أهلها ، وجاء كاشف البحيرة ، وهو وغيره من الكشاف قد أصبحوا من الأتراك في جميع الكشوفيات ، وشدد هو الآخر في الحصار على (شابور) ، حتى فرغت ذخيرة قادري أغا ، فطلب الأمان فأمناه .

أما الألفى ، فقد بات على أحر من الجمر : الإنجليز لم يحضروا إلى مصر حسب الوعد ، وأخشى ما كان يخشاه ، أن يحضروا . فيجدوه مهبض الجناح ، فيتشككوا في زعامته للممالك ، على النحو الذي رأوه عليه منذ رحل معهم - في الجلاء - إلى بلادهم ، ولكن هكذا انشق الممالك على أنفسهم ، فليعتمد هو على

نفسه ، وليجمع حوله خشداً شينه والعرب الذين صاهرهم ، وليستخدم قوة شخصيته وجبروته ، حتى لا تزعزع هذه الأحداث الجارية إيمانه بعون الإنجليز .  
إذن ، فليسرع ، فالزمن ينقضى ، وأن الآوان لحضور «الأعوان» ، فليسبق هو إلى .. دمنهور .

## على اسوار دمنهور تحطمت أحلام الألفى

أين الوجود يا إلهترا ؟ ..

هكذا كان يهمس الألفى لنفسه ، كلما انتضى يوم ، ولم يأت من الإنجليز خبر ، وأغلب الظن أنه - لكي يطمئن نفسه - كان يتخيل هتاف جنودهم ، وهم يتغنون في الطريق : عائدون .. عائدون .

فليستعد إذن ، ولكن ترى أين يكون اللقاء .. ؟ .. في الإسكندرية ؟ كلا .  
في أبوقير ، في رشيد ، في دمياط .. ؟ كلا كلا . لأنه لا يملك قوة بحرية على هذه الثغور ، التي صار أمرها في هذا الوقت إلى الأتراك ، فهل يمضي إلى هناك بعسكره ، ليسلبه بنفسه إلى هلاك محقق ؟ .. أم هل يمضي إلى هناك ، ليوقظ خصومه فيتخذوا العدة لدمره ؟

إذن فمى (دمنهور) ، لأن موقعها يتوسط بين القاهرة والإسكندرية من جهة ، ويستطيع بذلك أن يستولى على الرحمانية ، وعندها ، أى عند دمنهور ، يمكنه أن يخف سريعاً للقاء أصدقائه الإنجليز .

أما وقد وصل الأسطول التركي إلى الإسكندرية ، ثم رسا على أبوقير ، بقيادة قبطان باشا ، فليخف الألفى بعساكره إلى دمنهور ، فوصلها يوم ١٠ يوليو ١٨٠٥ ، وجعلها مقر قيادته ، ولكن الأرنؤوط قاوموه وتحصنوا في داخلها ، وربطوا خلف الأبراج المقامة فوق مرتفعها المنيع ، وضرب عليها الحصار ، واستمر عدة أيام ، تبودلت خلالها القذائف ، وفي يوم ٢٦ يوليو عقلت سبعة رهوس ، أمام باب زويلة بالقاهرة ، بأمر الأغا (المحافظ) لإيهام المصريين أنها للمالك الألفى ، الذين قتلوا في دمنهور .

وأرسل محمد علي - صاحب الكلمة في الأرنؤوط والمالك - بعض هذه

القوات لتحصين ( الرحمانية ) استعدادا لقتال الألفى وكذلك الأتراك ، كان ذلك بقيادة كتنخدا بك طبوزأوغلى و طاهر باشا ، ابن أخت محمد علي ، وتحركت قوات محمد علي هذه من الرحمانية ، وسمع بذلك الألفى فاضطر إلى رفع الحصار عن دمنهور ، وأخذ سبيله إلى ( الطرانة ) .

ومن هناك أوفد الألفى من قبله كتنخدا مع السلحدار للمفاوضة في الصلح مع محمد علي ، على أساس أن يتولى كشوفية الفيوم وبنى سويف والجيزة والبحيرة وماتى بلد التزاما ، ويتعهد بالإقامة الدائمة في الجيزة ، في طاعة محمد علي ، الذى ارتضاه الشعب المصرى - ممثلا في المشايخ - واليا على مصر سنة ١٨٠٥ ، وأقر السلطان اختيارهم .

محمد علي ، الأرنؤطى الذى صار واليا على مصر ، باسم المشايخ ، هو الذى فرض على أهل رشيد أربعين ألف ريال ، يقوم بدفعها ثلاثة عشر تاجرا منهم ، فيذهب وفد من رشيد إلى زعيم الشعب ونقيب الأشراف السيد عمر مكرم ، لا إلى الأرنؤطى ، الوالى ، فيشكون ، وينهض معهم السيد النقيب ، إلى محمد علي ، ويتشفع الشفاعة الحسنة ، فتتخفف الغرامة إلى عشرين ألفا فيقبلونها صاغرين ، ويعودون إلى رشيد ، للنقيب شاكرين .

لا يزال كشاف الأقاليم من الأتراك ، واليوم يبعث الباب العالى بمديرى الجمارك في الإسكندرية ورشيد ودمياط ، من قبله ، ولكن هذا لا يحرك ساكنا من محمد علي ، فهو أدري بالأتراك .

وخرج الألفى من وكره في ( الطرانة ) قاصدا البحيرة ، فوصل إلى دمنهور يوم ٢٩ أبريل سنة ١٨٠٦ ، وضرب عليها الحصار ، وكان السيد عمر مكرم قد بث روح التضحية ولبسالة في نفوس أهلها ، وأمدهم بكل ما أرادوه من إمدادات . فحصنوا المدينة ، وأقاموا حولها سورا منيعا ، وشيدوا عليه الأبراج ، وركبوا المدافع العديدة ، وحفروا الخنادق حولها ، واستحوزوا على البارود والذخيرة والمؤونة بما يكفيهم للصمود سنة كاملة . إذا ضرب الحصار عليهم .

وجاء منتصف يونيه سنة ١٨٠٦ ، والألفى مقسم في ( حوش عيسى ) ،

وهناك وافاه نبأ سعيد أثلج صدره ، نبأ العفو السلطاني عنه ، بشفاعة الإنجليز ، فكاد يطير من الفرح ، وأقام الأفراح بهذه المناسبة ، التي تحمل في طياتها قرب عودة الإنجليز ، وبعث بالبشرى يزفها إلى مشايخ عرب الحويطات والعائد . ولما وصلت سفينة قبودان باشا إلى الإسكندرية في آخر يونية ، كان محمد بك الألفى أسرع إليه من البرق ، يحمل الهدايا والتحف ، التي نسميها نحن ( رشوة ) .

واشتد ساعد الألفى بعفو السلطان ، وعون الإنجليز ، المنتظر عاجلاً أو آجلاً ، وعندما تحرك الأسطول التركي نحو الإسكندرية أذاع منشوراً في دمنهور ، جاء فيه :

[ أرسل الباب العالي فرماناً بتقليدي ولاية مصر ، وسأوجه إلى القاهرة متى تسلمته لتنفيذ ما فيه فعليكم أن تفتحوا أبواب مدينتكم ، لتبرهنوا على إخلاصكم وطاعتكم لي ]

لم يعبأ أهل دمنهور بما أذاعه فيهم الألفى ، بل أرسلوا المنشور إلى محمد علي فكتب إليهم مندداً بخيانة الألفى ، ومعبراً عن ثقته في ولاء أهل دمنهور له . وخرج حاكم الرحمانية ( طبوز أوغلي ) الذي رفاقه محمد علي كتنخدا بك أي نائب الوالي ، منها ، ومعه طاهر باشا وصعد في القنطرة الغربية لفرع رشيد ، ليعطل زحف الألفى نحو الطرانة وحوش عيسى ودمنهور ، فأسرع الألفى برفع الحصار عن دمنهور ، ليتفرغ لقتال الأرنؤوط ، فأقام معسكره بالقرب من النجيلة ، في واجهة معسكر الألفى .

وفي ٢٨ يوليو ، تحرك الأرنؤوط الذين أرسلهم محمد علي إلى ( الرحمانية ) و ( مرقص ) ، ومضوا إلى ( النجيلة ) ، وفي ١٢ أغسطس سنة ١٨٠٦ هـ المماليك على طاهر باشا من يمين النجيلة ، فولى الأدبار بمن معه تاركين السلاح ، وغنم عربان الألفى ما تركه الأرنؤوط ، واشتعل قتل الحرب ، ونشب القتال ، فانتصر الألفى عليهم ، حتى صارت طرايطير الأرنؤوط تطفو على سطح النيل ، بعد أن ألقوا بأنفسهم إلى الماء يريدون النجاة ، وتخففوا من الطرايطير حتى لا تفرقهم في اليم ، ومضت ساعتان ، ثم فر كتنخدا بك وطاهر باشا إلى النجيلة ثم إلى المنوفية ،

وغنم الألفى منهم خياما وخيولا وذخائر ، لا تعد ولا تحصى ، وأرسل بروس القتلى وعددهم ستائة ، إلى قبودان باشا بالإسكندرية .

وانخلع قلب محمد علي ، ولكنه صب جام غضبه أولا على طاهر باشا ، الهارب من معركة النجيلة ، وأمره بالمضى إلى رشيد فأسرع إلى فوة ، واستولى على الرحمانية من المماليك ، انتظارا لتعليات أخرى ، ولما وصل شاهين بك الألفى إلى الرحمانية ، أمر محمد علي طاهر باشا بالتوجه فورا لطرده من الرحمانية ، فاستقل المراكب ، ولكن مدافع شاهين باشا ، فتحت أفواها عليها فغرقت واحترقت ، وظل يطارده برا ، ثم عبر النيل عند الرحمانية في الطريق إلى القاهرة ، حتى جاء أمر محمد علي ، بالعودة لاستئناف القتال .

وعاد الألفى من ( النجيلة ) إلى ( دمنهور ) ، وكان أعينها قد ذهبوا إلى قبودان باشا بالإسكندرية ، فطمأنهم ولكن ظننهم فيه لم تصدق ، فارتابوا كل الرب ، خصوصا وأنه قد طلب منهم أن يذعنوا بالطاعة ، ويضمن لهم عدم عدوان الألفى عليهم . فأبوا عليه ذلك ، لأن مستشارهم الصادق الأمين ، وهو عمر مكرم ، شجعهم على المقاومة حتى النهاية .

وصل الألفى إلى ( دمنهور ) ، وضرب عليها الحصار ثانية ، وقدم إليه من الجيزة ستة من الأمراء لشد أزره ، وطال الحصار ، والقذائف تتوالى من الجانبين ، ومات كاشف دمنهور . وأهل دمنهور مع ذلك في شجاعة نادرة ، يمانعون الألفى ولا يعبأون ، حتى بعد أن قطع ترعة الإسكندرية ، وحرماها هي والبحيرة من الماء ، وهم صامدون .

لقد فعل الألفى ورجاله بأهل دمنهور ما لم يطرق ببال أحد ، من ألوان العذاب الوحشي ، فقد كانوا يعلقون أسرى دمنهور في أغصان الأشجار ، بقطع حادة من الحديد ، يغرزونها من تحت أذقانهم ، فليس بعجيب إذن أن يأخذ أهل دمنهور على أنفسهم العهود والمواثيق بالاستشهاد في سبيل شرف الدفاع عن مدينتهم .

وهجم الألفى بمماليكه على دمنهور خمسة أيام ، فصدتهم أسوارها مدحورين ،



وتعاقد أهل المدينة فيما بينهم على أنه إذا جاء الليل صرخوا صرخة رجل واحد ، فيقذفون الرعب في قلوب المعتدين ، ثم يتلفون أمتعتهم ، ويطلقون عليهم النيران من فوق الأبراج ، ثم يعودون على أضواء المشاعل يتغننون بالنصر ، والأسرى مسجونون على وجوههم كالأغنام .

وجرد محمد على حملة على رأسها بربر باشا الخازندار ، وعثمان أغا ، فوصلت مراكبهم إلى ( الرحمانية ) ، وكان الألفى هناك حامية في معسكرها على ترعة الإسكندرية ، فأجلتها قوات محمد على وطردتها ، ثم اتبع رجال محمد على خطة جهنمية هي فتح الترعة فجرى الماء فيها ، وسيروا عليه مراكبهم ، وأسرع الألفى فسددها عليهم بمسافة غير بعيدة .

وجاء شاهين باشا ، وساعد الألفى على سد فم الترعة بالقطن ، وفتحته من أسفل ، فندفقا ماؤها في السيخات المجاورة ، ونضب ماء الترعة ، تدريجياً ، فتعطلت المراكب ، وخف رجال الألفى إلى المراكب ، فقتلوا من كان بها أو هرب منها ، عند ( منية القصران ) ، ومنهم من فر إلى ( سنهور ) وتحصن بها ، ولكن الألفية التفت بالهاربين وأمعنت فيهم قتلاً ، واستمر القتال بينهما طوال . وانتصف شهر ديسمبر ، والألفى مصمم على حصار دمنهور ، وأهلها صامدون صابرون ، لم ينجدهم محمد على بأى شيء قل أو كثر ، فإنه كان مشغولاً بتكليف عمر مكرم بجمع السلفيات ، لإنقاذه من الأزمة المالية التي يعانيها ، ومن المآزق الحرج الذي انحصر فيه بين الأتراك والألفية والفلاحين .

اعتمد أهل دمنهور على أنفسهم ، وأبدوا من البطولة ما سجله لهم التاريخ ، حتى على ألسنة الأعداء ، ووقف الرجال والنساء والشيوخ والشباب ، وقفة رجل واحد ، فلم ينل منهم الألفى أى منال . وفي خضم هذه الأحداث ، جاء فرمان السلطان باستمرار محمد على واليا على مصر كلها فيما عدا ثغور رشيد ودمياط والإسكندرية التي ظلت تابعة للباب العالي ، وجمع محمد على الديوان ، وقرأ عليهم فرمان . عندئذ أدرك الألفى أن أحلامه في دمنهور قد تحطمت تحت أسوارها ، فقد كان

يأمل أن يتملكها، ليتخذ منها معتقلا ، يقيم به حتى يبر الإنجليز بوعدهم له ، ولكن المقاومة الباسلة التي تذرع بها أهل دمنهور قد أفسدت عليه خطته .

لهذا لم يربدا من الارتداد عن دمنهور مخذولا ، ورجع إلى (الاخصاص) ثم (كفر حكيم) ، ومعه أولاد علي والهنادى وغيرهم من عربان الشرقية ، فقد كان له عليهم سيطرة ونفوذ ، لكثرة نسائه من قبائلهم ، ولاذ بالفسرار إلى الصعيد فأت به مغموما مهموما في ٢٨ يناير سنة ١٨٠٧ ، حتى حكي عنه من كان حوله في البحيرة بعد الخذلان ، أنه فكر في الانتحار ، بعد أن ضاقت الدنيا في وجهه ، وانفض الممالك من حوله ، ولم ينجزه الإنجليز ما وعدوه به :

وسجل التاريخ في صفحات من نور ، لأهل دمنهور أجمادا خالدة في موقعين : أحدهما مع نابليون والآخر مع الألفى

لهذا قال (مانجان Mengin) <sup>(١)</sup> [إن دفاع دمنهور المجيد هو جدير بأن يسجل في صفحات تاريخ مصر الحرب ، فقد تولى أهلها الشجعان هذا الدفاع وحدهم ، دون أن يتلقوا أى مدد أو مساعدة حتى من محمد على الذى كان هذا الدفاع دفاعا عنه فقاوم أولئك الشجعان بكل ثبات وبسالة قوات الألفى كلها إلى أن تكفل دفاعهم بالنجاح ، فكان له تأثير كبير في إحباط خطة الباب العالي] . وقال (جومار) أيضا [إن أهالى دمنهور قد أظهروا مثل هذه الشجاعة والمصابرة أثناء الحملة الفرنسية في ظروف تختلف عن الظروف التي قاوموا فيها قوات الألفى مما يدل على ما فطروا عليه من الشجاعة] .

وانتصرت دمنهور ، ومات الألفى ، ولكن الإنجليز في طريقهم إلى مصر ، بعد أن فاتهم القطار . فلتهم دمنهور قريرة العين ، ولتحمل راية الكفاح بعدها رشيد الباسلة ، وإذا كانت دمنهور قد سحقته (الألفى) ، فإن رشيد ، ستسحق (فريزر) ، فإن لها هي الأخرى موعدا مع القدر في العام التالى ، أيضا على أرض الكفاح ، ومقبرة الغزاة والدخلاء والقراصنة والافاقين ، أرض البحيرة .

## إدكو تقف في وجه محمد علي

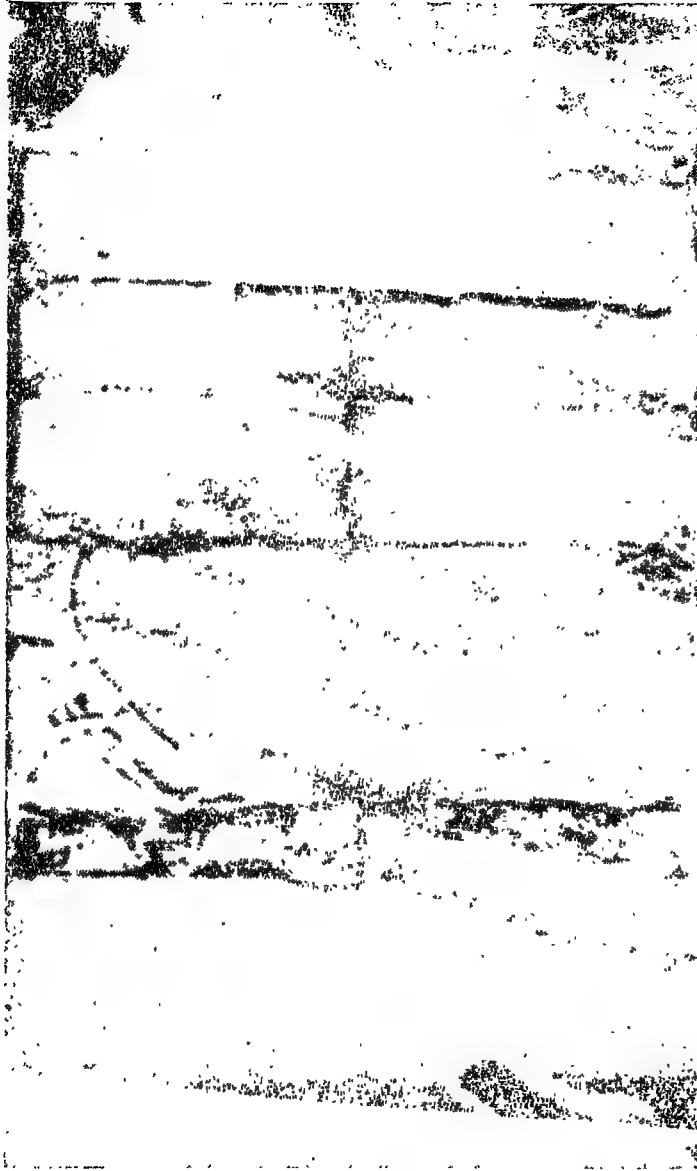
في سنة ١٨٠٦ م تقريبا ، كان شيخ إدكو محمد أحمد صفار ، وكان ذا ثروة طائلة ، وفي أيامه قامت معركة دامية بين عائلتي قاسم و صفار ، انتهت بقتله ، وخلفه في شياخة إدكو أخوه أحمد .

وبلغ الخبر الوالى محمد علي ، فطلب من الشيخ الجديد أسماء القتلة ، فكتب عددا من خصومه منهم البرىء والمذنب ، فجىء بهم إلى الإسكندرية ، وهناك في ميدان المنشية أمر محمد علي بإعدامهم ضربا بالسيف . ودفنوا بالزاوية التي عرفت بزاوية الإدكوية ، ولا تزال قائمة إلى اليوم أمام قسم شرطة المنشية . وكانوا أحد عشر منهم كما أخبرني جدي الحاج محمود زيتون رحمه الله : سليمان جابر . وصالح شويرب ، وسليمان بلال المشهور بعنكش والشيخ علي مصباح الشيخ الذي طار رأسه ولسانه يلهج بذكر الله ، وجوزى شلبي قاسم بتخليع أسنانه .

ولما فشلت حملة فريزر على رشيد والحداد سنة ١٨٠٧ م استتب الأمر لمحمد علي ، ولكنه لم ينس ما فعله أهل رشيد والحداد وإدكو من البسالة في دحر جنود الإنجليز ، فأخذ طريقه من الإسكندرية - بعد توقيع اتفاقية الجلاء مع الإنجليز بها - إلى رشيد لقرض الغرامات على هذه النواحي

وركب حصانه حتى وصل إلى المعديّة ، فأعجبه موقعها ومناخها فأمر بحصرها ضمن أملاكه الخاصة وصارت ( أبغادية ) ، وبعد أن استراح قليلا على رمالها ، وأصل سيره إلى إدكو ، حتى بلغها في المساء ، وراه شيخ إدكو أحمد صفار فاستضافه بمنزله الكائن في وسط البلد إلى الشرق بالقرب من دكاكين على السد القديمة ، وقبل محمد علي ، ورأى ما فيه شيخ إدكو من الغنى والأبهة ، وبعد أن لقي الوالى حق الضيافة الكريمة ، طلب من مضيفه أن يتمنى عليه ليكافئه ، فكان طلب أحمد صفار ينحصر في أمرين : إعفاء أهل إدكو من حراسة النيل أثناء الفيضان ، وأن يكون له ( نفاذ الكلمة ) في إدكو .

وخوفه الوالى من نفاذ الكلمة ، وعرض عليه التزام الصيد ببجيرة إدكو . فلم يرض بغير الطلبين السابقين بديلا ، فأجابه الوالى ، وتحرر له الأمر بالنص التالي ، حسب الوثيقة المؤرخة سنة ١٢٢٣ هـ .



وثيقة نفاذ الكلمة في أدكو تاريخها ٦ د سنة ١٢٢٣ هـ وفي أعلاها ختم محمد علي  
[ صدر المحرر من المطاع ، الواجب القبول والتشريف والاتباع من ديوان  
مصر المحروسة ، خطابا إلى نائب الشرع الشريف ، والوجه والأشراف ، وكامل  
أهالي ( اتكوا ) بوجه العموم يحيطون علما بأن الشيخ أحمد صفار شيخ المشايخ

بناحية اتكوا حضر لنا وقابلنا وأبقيناه ومكناه من مشيخة شيخ المشايخ بالناحية ،  
وأخبرناه أن كامل المصاريف ( الذى ) يصرفها على كامل من يحضر إلى الناحية  
والعبود ( = العبيد ) من أغوات ( = مديرين ) ومباشرين ( = موظفين )  
وعساكر وخلافهم ، كامل ما يصرفه عليهم من المأكولات والكلف والركوب ،  
جميع ذلك يفرد ( = يفرض ) على كامل أهالى الناحية المذكورة ، سكنتها من  
كبير وصغير وأشراف بوجه العموم ، وتكونوا جميعا تحت طوع شيخ المشايخ  
الشيخ أحمد صفار المذكور ، وأمرناكم لا تخرجوا من طوعه ولا خلافه ،  
وتكونوا معه رجل واحدا ، طال وقال وكل أحدا منكم فى حق المذكور ،  
فعليكم بذلك الامثال والطاعة ، وكل من بدا منه أدنى قصور لا يقدر الجواب ،  
ويحصل له الضرر والعقاب ، فبناء على ذلك أصدرنا هذا المرسوم الشريف بحالة  
وصوله إليكم ، يسكون العمل بمضمونه ومقتضاه ، اعلوه واعتمدوه غاية  
الاعتماد ، والحذر ثم الحذر من المخالفة والخلاف . [

٦ د سنة ٢٢٣ - أى ٦ ربيع الثانى سنة ١٢٢٠ هـ .



وفى الحق أنى قد ترددت عند تأليفى كتاب إدكو سنة ١٩٣٥ فى حقيقة هذا  
الفرمان ، فكتبت مضمونه فى الكتاب بصفحة ٥٧ ، وخشيت التعليق عليه ،  
ومع ذلك أرسلت إلى الأمير عمر طوسون أستفسر عنه ، وعن حقيقة الختم ،  
والكلام المكتوب حوله ، فرد على هذا الخطاب المؤرخ فى ١٧ / ٦ / ١٩٣٧ ،  
والذى أنشر صورته كما هى ، توكيدا لفرمان محمد على ، وتفسيرا لختمه :



بسم الله  
عزة الكويت  
عدد للرفقات

الصوت

طرح الأستاذ الفاضل محمد محمود زينونة  
عرضنا الفرمات الذي نفضلتم بالمرء به الى الازمنة  
على عزة صاحب السمو الأمير عيسى بن سعود فكلفتي بسوءه أنه أراد  
بالكم لعدم لزوم مستقوما بشك بسوءه على جهودكم العالية  
والعزيمة .  
فتميزه المناسبة نذكر لكم ما وصل اليه سمنا في حكاية الفتم  
المطروح في رأس هذا الفرمات وهذه صيرتها :-  
« ومنه نذكر رسول الله فتميزه : إنه تلقى الوعد في آجالها .  
المشرك على الله وحده محمد على »  
وقد أرسلنا اليكم اليوم الفرمات المذكور بخطاب سكر يا سكم  
على ادرك فزحونه وصور اليكم إعادتها به من السلام  
عليكم ورحم الله وبركاته .  
٢٧/٦/١٧  
أية عبد الله بن جند  
مذرة عزة صاحب السمو الأمير  
عمر بن سعود باسكندرية

أما أحد صفار ، فقد بالغ في عسفه وخسفه بناء على هذا الأمر من الوالي  
المفلس الذي وجد فرصة لإيواء جنوده المرتزقة من ولاية الألبانيين وهم يهددونه  
كل لحظة بالتمرد طلبا للأرزاق ، وبهذا أحالهم على مشايخ البلاد (العمد)  
يطعمونهم ويؤوونهم ويهيئون له الركائب هم وغيرهم من المديرين والموظفين .

وبلغ الظلم بأحد صفار إلى حد أن تقل من حقول الأهالي ألف نخلة سماني  
أمر بغرسها في حقل له سمى بالألفى ، وضع الناس بالشكوى ، ولكن مذبحه  
الملثية كانت لا تزال أصداؤها ترن في آذانهم ، ففوضوا أمرهم إلى الله حتى  
أرسل الله ريحا صر صرا عاتية إلى (الألفى) فأصبح هذا الحقل أعجاز نخل غاوية .

ومات أحد صفار ، وخلفه ابن أخيه فرحان محمد أحد صفار الذي آلت إليه  
الزروة ، فبنى قصرا من طابقين وكانت مساحته ثلاثين مترا في مثلها ، وكان في  
وسطه أعمدة رخامية مزخرفة وحمامات من البلور ، سخر في بنائه ثلثمائة عامل

حتى أتموه في شهر واحد ، وقد دخلته قبل أن يهدم ، وشهدت المشريات التي كانت تطل على جميع الجهات من الطابق العلوى .  
وبلغ التنافس بين عائلتي قاسم وصفصار إلى حد أن بنت عائلة قاسم في غرب إدكو دارا سحوها ( العباسية ) ولكنها لم تبلغ من الروعة ما بلغت دار صفار ، وتهدمت قبلها .

أما قصر صفار أو كما كان يسميه الأهليون ( دار الصفافرة ) فكان بها رصيف شرق متدرج قنتهى إليه ترعة من النيل ساقها فرحان صفار وأنفق عليها من ماله ، وكانت تبدأ من فرع رشيد مارة بشمال الحماة ، وكانت المراكب تسير فيها محملة بالفلال حتى ترسو على رصيف القصر ، وكان لشيخ إدكو زورق خاص يستقله ليتفقد أحواله التجارية .

وظلت آثار هذه التركة جهة الحماة الشرقى ، وفي خريطة المساحة رقم ٥٥٥/٩٥ لسنة ١٩٣١ آثار هذه التركة ومكتوب عليها « آثار ترعة الإتكاولية » ، وهى غير ترعة الإتكاولية القديمة ، ولم ينقطع جريان ترعة صفار إلا بعد أن مد طريق السكة الحديد من الإسكندرية إلى رشيد مارا بإدكو .

وكان فرحان صفار قد التزم عدة نواحى من فزارة إلى الحماة ، وزرعها أرزا ، ولما عجز عن دفع الالتزام للحكومة ، فرضت الحكومة المتأخر عليه بالقوة على أهالى إدكو ولا سيما الفلاحين وأصحاب النخيل ، وخصصت لها خانة فى قسائم الأموال الأميرية ، وظل الأهالى يدفعون صاغرين حتى سنة ١٨٨٢ م ثم ألغيت ، وعرفت هذه الضريبة ( بكسرة صفار ) .

وأخبرنى جدى عليه رحمة الله أن أهالى إدكو كانوا يعانون الأمرين من كسرة صفار هذه وغيرها من الضرائب وألوان السخرة ، فقد احتكر أحد الأغاوات ملاحه خالى الجنى ( الننى ) التى على الضفة اليمنى من بوغاز رشيد ، وكانت تسمى ملاحه ( طبوز أوغلى ) وهو كتمخدا ( نائب ) محمد على ، فلما عجز الملتزم عن أداء ما عليه ، فرضت حكومة الوالى المتأخرات على أهل إدكو ، وسميت ( طبوز أوغلى ) .

ومن أمثلة السخرة أن كل عائلة بإدكو كانت مكلفة بإرسال فرد منها لتجديد

أعمال سد أبو قير سنوا ، وكان مفروضا على إدكو أن ترسل أربعة يختارهم العمدة قسرا لتقليم أشجار حديقة إدفينا الخديوية والعناية بنخيلها ، وكان يسخر عدد من أهل إدكو أيضا في تطهير ترعة أبو نشابة وترعة الحماة كل سنة ، هذا مع أن إدكو محرومة من ماء النيل .

### قبل العاصفة

كلما اقتربت الشهور الأخيرة لسنة ١٨٠٦ من نهايتها ، زاد اهتمام إنجلترا بإعداد كل ما يلزم لاحتلال الإسكندرية ، وهناك في جزيرة صقلية جمعت قوات الحملة التي بلغت ١٧ ألفا ، عهد بقيادتها العليا إلى الجنرال (فرير Fraser) ، الذي استصحب معه إلى مصر نحو ستة آلاف في مطلع سنة ١٨٠٧ ، كان فيهم من الفرنسيين الهاربين من الثورة الفرنسية عدد كبير ، ووزعت القيادة على (ميد Meade) و (ستيوارت Stewart) و (ووكوب Waucope) ، وتقدمت ٣٠ سفينة من قطع الأسطول من (مسينا) حتى وصلت الإسكندرية بقيادة أمير البحر (لويس Lewis) ، فظهرت بمياه الإسكندرية منذ يوم ٢ فبراير .

عندئذ أحس (دروفيتي Drovetti) ممثل فرنسا في مصر بالخطر الداهم ، فأسرع إلى الوالي محمد علي ليفضى إليه بمخاوفه ، ولينصحه بتعزيز الحراسة وتقوية الاستحكامات ، على طول الساحل ولا سيما عند المنافذ الرئيسية للنيل وهي الإسكندرية ورشيد ودمايط ، ونصحه أيضا بتعزيز الاستحكامات عند دمهور ، لأن الاستيلاء عليها من شأنه قطع المواصلات بين الإسكندرية والقاهرة ، وأدرك (دروفيتي) أن العلاقات بين محمد علي والمماليك ليست على ما يرام ، وفي حالة دخول الإنجليز مصر سيتحالون معهم ضده ، وعندئذ يكمن الخطر على مستقبله ، لهذا أشار عليه بالمبادرة إلى تصفية الحساب معهم .

استمع محمد علي لهذه النصائح الغالية التي زوده بها (دروفيتي) ، وعمل على تنفيذها بلا إبطاء ، فانتقلت جميع قواته التي بالقاهرة إلى دمهور ، وتحركت



قوة مكونة من ألف أرناؤطى عبر النيل إلى رشيد ومنها إلى الإسكندرية ، استعدادا لصد أى هجوم عليها ،

وكان ( دروفى ) قد وصل إلى القاهرة يوم ٢٤ مارس وعقد اجتماعا حضره المختصون ( نائب محمد على ) والمشايخ ، وتقرر فى إثر ذلك ، أن تتحرك جميع القوات إلى مسرح الحوادث ، حتى لا يستولى الإنجليز على ملاحه النيل ، وسرعان ما توجه طاهر باشا وحسن باشا بقواتهما إلى البحيرة ، وصدرت التعليمات إلى جميع الجهات المجاورة لرشيد ليقدم الكشاف كافة المساعدات الممكنة لمدينة رشيد ، التى أصبحت الخطر يحرقها من كل جانب .

وإذ ذاك كان محافظ الإسكندرية التركى هو أمين أغا ، ولم تكن حاميته تزيد على بضع مئات ، وكان طاقم السفينة ( لالون La Laune ) قد وصف استحکامات الساحل سنة ١٧٧٧ ، عند بوغازى دمياط ورشيد وقلاع أبوقير والإسكندرية بالضعف المتزايد ، ومع ذلك أقيمت فى سنة ١٧٩٨ قلعة عند بوغاز بحيرة إدكو كتنعيز لقلعة أبوقير ، وأقيمت قلعة أخرى عند ( كوم البير ) ، أما رشيد فإكان يحميها غير قلعة ( برج مغيزل ) .

## إلى . . رشيد

تواطأ أمين أغا حاكم الإسكندرية مع الإنجليز ، تحت الضغط والتهديد ، وبالرشوة التى اشتروا بها ذمته ، فدبر لهم خطة النزول إلى البر ، بعد أن قصفت نيران المدافع أبراج الإسكندرية ودكت أسوارها ، ولم يتوقف إطلاق النار ، إلا بعد أن توسل الأهليون إلى الغزاة طالبين الأمان .

عندئذ ألفت ٢٢ سفينة حربية مراسيا ، ونزل منها القائد العام ( فريزر ) ، يتبعه ٧ آلاف جندى . وأسرع إلى دار الانصليية الإنجليزية ، واتخذها مرسى قيادته العليا ، ومن ممت أذاع منشورا فى أهل الإسكندرية ، يدعوهم إلى التزام السكينة ، ويتعهد لهم فيه بامتثال حرمة المساكن والمساجد والمحاكم ، وطير الخبر إلى كل مكان .

سلمت الإسكندرية يوم ٢٢ مارس ، دون أن تنطلق قذيفة واحدة من أفواه

مدافعها ، وأخذ ( فرير ) في تدبير أمره ، فقد أرسل في طلب المالك ، فـهـاـه  
أن علم نبأ وفاة حليف الإنجليز محمد بك الألفى ، قبل وصول الحملة بأربعين  
يوما ، كما علم بالانشقاق الذى دب فى صفوف المالك ، حتى صاروا فريقين :  
فريق بالصعيد ، مضى إليهم محمد على لمطاردتهم أو للصلح معهم تحت التهديد ،  
وفريق بالبحيرة طال بهم انتظار حملة الإنجليز على مصر ، حتى إذا مات زعيمهم ،  
ظلوا فى أماكنهم ، يرقبون الأحداث الجارية عن كسب .

أما الأتراك العثمانيون ، فقد لاذوا بالفرار إلى ( فوة ) وعلى رأسهم كاشف  
البحيرة ، الذى ذهب إلى رشيد ، ثم عاد مسرعا إلى ( دى ) و ( حملة الأمير )  
ونزل إلى البر .

ورأى ( فرير ) أن احتلال الإسكندرية ، ليس هدفا فى ذاته ، لأنها فى  
الأوقات العادية تستمد مؤنتها مما يجاورها ، فالماشية تأتىها من منطقة دمنهور  
والرحمانية ، والغلال ترد إليها من رشيد ، فلا بد من الزحف إلى رشيد ، حتى  
لا تتعرض الإسكندرية للجوع ، وإلا فمن أين له تموين الأهلى وقوات الحملة ؟ .  
رشيد يومئذ أهم الثغور المصرية على الإطلاق ، وموضع اهتمام العثمانيين  
سلطانا بعد سلطان ، حاكمها رجل همام هو على بك السلانكلى ، تحت يده حامية  
من الجنود لا يكفون للدفاع عن المدينة من أى جانب ، وكان بها سليمان أغا  
كاشف ، رئيس فرقة من عمال بك عثمان بك البرديسى ، وكان بها السيد حسن كريت  
نقيب الأشراف ، وله السلطة الروحية فى هذا الثغر الإسلامى ، وأخيرا كان  
برشيد ، القنصل الإنجليزى ( بتروشى Petrucci ) ، الذى كان يقيم مؤقتا بقرية  
بالقرب من رشيد .

على أية حال ، لم تكن القوات برشيد لتزيد على ٥٥ بأقصى تقدير لمسييت  
( Misset ) بما فيهم قوات سليمان أغا وحامية رشيد الأصلية ، والأتراك القادمين  
من دمنهور .

وبعث ( بتروشى ) برسالة إلى ( فرير ) أكد له فيها أن أهل رشيد عن  
بكرة أيهم - وعلى رأسهم زعيمهم الشيخ حسن كريت - يستعدون للترحيب  
بالإنجليز لتخليصهم مما هم فيه من مظالم .

وفي الواقع أن هذه الرسالة كانت بناء على ما تلقاه بروشي من ( روزتي Rosetti ) تاجر البندقية بتاريخ ٢٧ مارس حيث قال إن الشيخ حسن قد تمكن في الأيام الأخيرة من إقناع الجنود بإخلاء المدينة ، فاستمعوا له - كما يبدو - وفي ذلك ما يبعث على راحة الإنجليز والأهالي جميعا .

أمام هذه المغريات ، دبر ( فريزر ) خطة الاستيلاء على رشيد ، ولم يغب عن فطنته بعد هذا كله ، أنها بمثابة عنق الزجاجة للطريق بين الاسكندرية والقاهرة ، الطريق النيلي ، وهو أكثر أمانا من الطريق الصحراوي .

وتمت الخطة فعلا : حملة من ١٦٠٠ على رأسها القائدان ( ووكوب Wauchope ) و ( ميد Meade ) .. تتحرك القوات من الاسكندرية يوم ٢٩ مارس ، ومعها مدفعان ثقيلان ، واثنان من قاذفات القنابل ، لا داعي لأكثر من ذلك ، فتلك القوة بل وأقل منها كفيلا بإرهاب رشيد ، حتى ترفع يديها في الحال بالاستسلام ، ومن أجل هذا لم يكلف ( فريزر ) نفسه عناء اصطحاب فرقة من الفرسان ، في حملته ، على رشيد .

سارت الحملة بطريق البر حتى وصلت ( أبو قير ) ، حيث أعيد ( هالويل Hallowell ) عدة سفن مسلحة لنقل الجنود إلى بوغاز بحيرة إدكو ، وعند هذا البوغاز ( المعدي ) أقام الجنود قاعدة ارتكاز أو محطة للانتقال عندها عبر بوغاز البحيرة المذكورة إلى رشيد .

لقد وجد الجنود كل مشقة في هذه الرحلة ، ولكن أنفاس الربيع كانت تبعث الدفء في أوصالهم ، فالسما صافية ، والشمس مشرقة ، والأنسام رقيقة ، ترف بها سواحل البحر ، وضمفان بحيرات الشمال .

ودب النشاط في الجنود ، وهم يعلمون أنهم سيقطعون سبعين كيلومترا سيرا على الأقدام ، بين كتبان الرمال ، وفي ظلال النخيل ، والقوارب الصغيرة عبر بوغاز إدكو ، وغربت عليهم شمس يوم ٣٠ مارس ، وهم آمنون من كل سوء ، فألقوا عصا التسيار على مرتفعات ( أبو منصور ) التي تطل على رشيد من الجهة الجنوبية ، فألقوا أسلحتهم عن كواهلهم ، وأووا إلى الخيام التي نصبوها في ظلال النخيل ، وأشجار التوت والجزير ، يلتمسون الراحة بعد التعب ، فناموا ، حتى الصباح .

وسهر ( ميد ) في خيمته لوضع خطة الهجوم في اليوم التالي، وتتضى بأن تتقدم قواته لاحتلال رشيد على ثلاث فرق :

فرقة تقتحم المدينة من جهة البساتين الممتدة على الضفة اليسرى للنيل ، وفرقة تقتحمها من باب المدينة الرئيسى أى تشقها من وسطها ، وفرقة تقتحمها من باب الاسكندرية .

وفي الساعة السابعة إلا ربعا من صباح يوم ٣١ مارس ، كانت العمليات العسكرية على تمامها ، بينما توجه ( ميد ) إلى منزل ( بتروشى ) ليتناول معه الطعام اللذيذ الذى أعده له من قبل ، وقد رأى بعينى رأسه ، أن المدينة خاوية على عروشها ، فصدق ما كان قد كتبه له القنصل .

تحركت الطوابير أو الفرق كلها . دون أن تكون ثمت قوات احتياطية تحمى المؤخرة ، ولم يجد الإنجليز أمامهم عدوا يلقونه ، ولكن سرعان ما سرى فى أرجاء المدينة صوت أشبه بعواء الذئب ، وعلا من فوق مثانة جامع زغلول صوت الأذان ، الله أكبر ، وانشق هذا التهليل والتكبير ، عن الهول الأكبر ، ولذا بحماة المدينة مترسين فى المنازل خائف الطيقان ، ومنها أخذوا يطلقون بنادقهم على الإنجليز الذين ملأوا البلد ، وصارت الشبايك الصغيرة تقذف نيرانها عليهم فى مدينة الشمس المشرقة ، وكانت أسطح المنازل - كما يقول ( الجزال فيجان Général Weygand ) - خطوطا لدفاع محكم ، وتحت ستار من هذه النيران التى لا يمكن أن تنالها المدافع ، منى الإنجليز بخسائر فادحة ، ولا سيما فى الضباط وأكثرهم فرانسويون .

كان من الصعب على الفرقة الأولى أن تقتحم المدينة إلى داخلها : وذلك لامتداده على طول ضفة النيل . وكان على يساره تل مغطى بالاحراش ، وأهمله ( ووكوب ) فلم يتم باحتلاله ، لهذا انهالت الضربات منه على الإنجليز فاضطربوا وتشتت شملهم .

وكذلك الفرقة الثانية ، تعرضت للحجارة والرصاص والقذائف من كل نوع : تنصب من الشرفات والنوافذ والطيقات والأزقة والعطف والسراديب ، وتذرع

جنود هذه الفرقة بالشجاعة محاولين اقتحام هذا الوابل من القدائف ، درن أن يكون لهم هدف محدود .

وجاء دور الفرقة الأخيرة ، التي فضلت أن تتقهقر منذ اللحظة الأولى ، ولا سيما بعد أن أصابت الجراح (ميد) فاضطرب الجنود ، ثم حاول (ووكوب) أن يعيد النظام إلى صفوفهم . فأصابته جراح قاتلة ، فافظ آخر أنفاسه ، وهو يصدر أوامره إلى رجاله بإسكات الطلقات المتلاحقة وهي تنبعث من بيت مجاور ، وأسرع جنوده باقتحام هذا البيت ، وقتلوا كل من كان به من المجاهدين والمجاهدات . وسقط الجنود الإنجليز قتلى وجرحى ، وتخفف أكثرهم من السلاح الذي كان يحمله ، راضيا بالأسر ، ولأذ بالفرار على غير هدى ، إلى (إدكو) ، حيث كان أهلها يتصيدونهم فيجهزون عليهم ويوارونهم كئبان الرمال ، وأما الناجون فكانوا يصلون بكل مشقة إلى بوغاز بحيره إدكو ، ومن هناك تقلبهم المراكب إلى أبو قير ، وارتد (ميد) إلى إدكو التي جعلها مركز تقدمه .

وكان عدد القتلى من الإنجليز في المعركة ١٨٥ والجرحى ٣٨٢ ، وقيل ٥٠٠ ما بين قليل وجريح ، ووقع في الأسر نحو ٤٠٠ وقد شهد الأوربيون بأن على بك السلانكلى أحسن معاملتهم ، أما رموس القتلى فقد وصلت الدفعة الأولى منها إلى القاهرة يوم ٥ إبريل وعددها ٩٠ عرضت في ميدان الأزبكية على رموس النبأيت وسط مظاهر الأفراح التي لا تبعث على الضحك ، كما يقول (دوران فييل Durand Viel) .

قلنا إن الإنجليز دخلوا رشيد في الساعة السابعة إلا ربعا من صباح يوم ٣١ مارس ، ومن العجب أن هذه المعركة لم تدم أكثر من ساعتين ، انهزموا فيها على غير ما كان يتوقع (فريزر) ظنا منه - حسب المعلومات التي بلغته - أن المقاومة ستكون تافهة ، ولكن خيبت الحقيقة المرة ظنونه .

وإذا رجعنا إلى الجانب المصرى ، وجدنا أن مدير هذا النصر المبين هو الله وحده ، أجراه على يد على بك السلانكلى : فإنه لما علم بسير الإنجليز نحو رشيد - كما يقول إسماعيل باشا سرهنك - [استعد لقتالهم بما لديه من الجنود القليلين ، وأمر أهلها بالسكون والثبات والاختفاء حتى إذا أعطى إليهم الإشارة ، وشنوا

عند ذلك الإغارة ، فانصاعوا لأمره ، وامشوا لما قام بفكره ، وبذلك صارت الطرق والشوارع ، كالأطلال البلاقع ، ودخل الإنجليز بلا مناع ولا مدافع ، فظنوا أن الديار قد خلت من قطاعها ، والمدينة قد خلت من سكانها ، ولم يعلوا أن الآساد رابضة في آجامها ، وأطيار المنايا تغنى على أفنانها ، ولما ألقوا عصا التسيار ، وتفرقوا في أكنافها للاستراحة من الأسفار . لم تمض برهة حتى انسكب عليهم هطال من الليوت ، لا من الغيوث ، ودهمهم الأبطال . وما زال أهالى البلد يلبسونهم حلالا حمراء من نسج السلاح ، ويفتكون بهم فتكا ليس بعده صلاح ، حتى فرقوهم أبادى سبا ، وجعلوهم يعنون فرارا ومهربا .

كما أن السلانكلى قد جمع المجاهدين ، ورتب لهم الخطة ، وأبعد المراكب عن مرسى رشيد على النيل إلى الضفة اليمنى ، فجنى أول ثمار النصر . ومن العجيب أن التجار الأوربيين في رشيد قد ظنوا أن رشيد قد قطت في أيدي الإنجليز ، فأسرعوا - ومنهم ( روزى ) - إلى الإنجليز يطلبون منهم ما يضمن حمايتهم ، وأكد لبتروشى أن الإنجليز تمكنوا من احتلال معظم المدينة ، وادعى أن الشيخ حسن كريت قد أبلغه أنه يطلب حرس شرف لنفسه . على الرغم من كل هذه المحاولات فإن التاريخ قد كتب في ألمع صفحاته ، النصر لرشيد على الإنجليز ، في يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ .

### رشيد تدخل التاريخ

دخلت رشيد الباسلة من باب التاريخ العريض ، منذ بدأت ثمرات انتصارها تصل إلى القاهرة من ٥ لبريل وما بعده ، وأخذ السيد حسن كريت يشحن كل يوم عددا من رموس القتلى إلى بولاق ، يطاف بها في أحياء القاهرة كل نهـار ، وترشق على النبابت ، وسط بركة الأزبكية ، إلى جانب سابقاتها على صفين ، يمر بينهما الداخولون من ( باب الهواء ) ، وقد أحصيت هذه الرموس فبلغت ٣٤ عدا ٢ رأسا لكبار الضباط .

وأصبح من عادة أهل القاهرة كل صباح أن ينتظروا الدفعة الجديدة من هذه

الروس والأسرى بين الحفافات وهي تشق طريقهما من « باب النصر » إلى « باب الفتوح » ، ومعهما كتابات الاستنجد يبعث بها حسن كريت إلى السيد عمر مكرم ، طالباً الرجال والعناد ، استعداداً للطوارئ بعد النصر الذي أحرزهُ أهل رشيد ، ولم يجعلهم يستنيمون له ، بل اجتهدوا في الحرص عليه حتى لا يفر من أيديهم . وشرع السيد عمر مكرم بدوره بحث على التطوع والتبرع ، دفاعاً عن رشيد ، بل دفاعاً عن مصر كلها ، كما دعا إلى تحمسين القاهرة ، فتهافت المواطنون على رشيد ، تهافت الفراشات على النار ، وأسرع عرب البحيرة إلى رشيد في طليعة المدافعين عنها ، وكذلك الفلاحون والصيادون من الجهات المجاورة ، صاروا يتدفقون عليها كل بما ملكت يده

وأعد أهل رشيد صناديق ، وضعوا فيها آذان القتلى ملحة ، وأرسلوها هدايا إلى ( الباب العالي ) ، مصحوبة بالمقالات الضافية ، من قلم إسماعيل الكاشف . وسمع محمد علي وهو بالصعيد [ وكان يحارب المصريين ( = المالك ) ] ويشدد عليهم ، فعند ذلك انحلت عزائمهم ، وأرسل يصالحهم ، على ما يريدونه وطلبونه ، وقد ثبت في يقينه استيلاء الإنجليز على الديار المصرية ، وعزم على العودة متلصكاً في السير ، يظن سرعة ورودهم إلى المدينة ، فيسير شرقاً عن طريق الشام ، ويكون له عذر بغيبته في الحملة ، فلما وصلت الشرذمة الأولى من الإنجليز إلى رشيد ، ودخلوها من غير ممانع ، وحبسوا أنفسهم فيها ، فقتلوا وأسروا ، وهرب من هرب ، ووصلت الروس والأسرى ، وأسرع المبشرون إلى الباشا بالخبر ، فعند ذلك تراجعت إليه نفسه ، وأسرع في الحضور ] .

هذا هو موقف محمد علي من كفاح رشيد كما وصفه الجبرتي ، ومعنى ذلك أن ( ولاية ) محمد علي قد تجمدت ، وأن عبء المقاومة الشعبية قد ألقى على كاهل عمر مكرم ، الذي خف إلى منزل محمد علي بالأزبكية فور وصوله من الصعيد ، ليعرض عليه قرارات المؤتمر الشعبي الذي عقده ببيت القاضي وانهقد فيه الإجماع على مواصلة النضال ، على الرغم من تخذيل طبوز أوغلي بك الكتخد ( = نائب الباشا ) ، ومحاولته شل الحركة الشعبية حتى يصل الباشا .

ووصل الباشا ، فخيّب ظن المصريين فيه ، إذ قال لهم - وعلى رأسهم السيد

عمر مكرم - [ ليس على رعية البلد خروج ( = جهاد ) ، وإنما عليهم المساعدة بالمال لملائف العسكر ] .

وانفض المجلس وركبوا إلى دورهم ، وعند ما أرخى الليل سدوله طلب السيد عمر ، ليكلفه بتحصيل نفقات العساكر ، العساكر الفارين من وجه الإنجليز في رشيد إلى الضفة اليمنى ، وفي دمنهور إلى فوة ، مع الكاشف التركي الجبان .  
أما محمد علي . فعلى ما يسدو ، قد أحس بأفول نجمه ، بعد توليه أمر مصر بسنتين ، وبسطوع نجم عمر مكرم ، ونفاذ كلمة الشعب ، عقب النصر الذي أحرزه هذا ( الشعب ) في رشيد .

وتعطلت الدراسة في الأزهر ، وتسليح المشايخ والطلبة ، وتطوعوا للجهاد ، وعلى الرغم من محاولات طوبوزاغلي ، للتخذيذ . تدفقت الأسلحة والدخائر والمؤمن ، والفلاحون والتجار من البحيرة ، وما حولها ، والقاهرة ، فاشتد أزر المساكين بهم ، ووجد حسن كريت من صرخاته سميماً بجيماً ، من أهل مصر ، للدفاع عن رشيد .

### فريزر .. ينتقم

كان ( فريزر ) و ( مسيت ) يظنسان أن الحملة على رشيد - على حشد تعبير ( دوران فيبل ) - لا تعدو أن تكون رحلة إلى ( بونس أيرس ) ، لهذا لم تصل من مستوى ذكائه إلى القدر اللائق بها ، ومع ذلك ، أعادته الهزيمة إلى أرض الواقع ، فاستيقظ من سباته ، وصمم على الانتقام ، كيف ؟ .

أعد فريزر حملة أخرى من ٤ آلاف جندي وقيل ٢٥٠٠ يقودهم كبار الجنرالات من أمثال : ( دلانسي Delancey ) و ( أوكيف O'Keefe ) و ( رديل Riddle ) و ( ماك ليود Mac Leod ) و ( سوننبرج Sonnengberg ) تؤيدهم قوات بحرية يقودها ( هالويل Hallowell ) ، وجعل القيادة العليا للجنرال ( ولیم استيوارت W. Stewart ) ويعاونه ( أوزفالد Oswald ) ، وزودت الحملة بالمدافع ، وألأى ألماني يسمى ( رول Roll ) ، وكان دليل الحملة هو دليلها السابق ( نابونا ) ويساعده أعرابي يسمى الشيخ مسعود ، وكان ( مسيت ) من الدين رافقوا الحملة .



أند (فريزر) كل هذا ، واتجه هو إلى السفينة (كانوب Canopus) التي جعلها مقر قيادته ، وقد رسا بها على خليج أبوقير أمام إدكو ، ليتمكن من الإشراف على سير العمليات العسكرية .

وقد كانت الخطة تقضى هذه المرة بضرب الحصار حول رشيد ، ونسفها بالمدافع والقنابل ، بكل قوة وبكل شدة حتى تعلن التسليم .

وكما حدث في المرة الأولى ، كان تتمثل الجود عر بوغاز بحيرة لإدكو تحت إشراف (هالويل) ، الذي ذهب أيضا إلى بوغاز رشيد ليشراف بنفسه على دخول الأسطول في فرع رشيد ، بعد هدم قلعة (برج مغيزل) ، وأراد أن يتجنب الخطأ الذي وقع فيه من قبل ، وهو الذي أدى إلى مباغته أهل رشيد له ، فالتخذ وضح ٨٠ . وصلت النجديات التي طلبها فريزر ، واتخذ للوقوف ما يستحقه من العناية في هذه المرة ، وزود القائد العام بما لديه من التعليلات المنسدة ، ولم يرض عليه بعشر قطع مدفعية لتنفيذ الخطة المرسومة .. و .. الانتقام .

## الطريق إلى المعركة

كانت رشيد هي هدف الإنجليز بعد فشلهم الدريع في الاستيلاء عليها ، وهزيمتهم العسكرية بها في يوم ٣١ مارس ، وشاعت الأقدار ، أن تكون (الحامد) درعا أقوى من رشيد في الدفاع عنها ، وعن مصر ، وتشرق قاطبة ، وذلك ما لم يكن أيضا في حسابان فريزر .

فلنكن مع الحملة في خط سيرها ، يوما فيوما ، لتسكون صورة الميدان واضحة المعالم في أذهاننا ، من جميع أطرافها .

تحركت الحملة الجديدة في يوم ٣ إبريل سنة ١٨٠٧ من السلال المرتفعة التي تقع في شرق الإسكندرية ، حيث كان المعسكر الإنجليزي ، ووصلت القوات إلى أبوقير .

وقد تم نقل العتاد بطريق البحر إلى بوغاز إدكو ، وقد اتخذ القائد (نيكولز Nicolls) هناك لنفسه نقطة ارتكاز منذ الارتداد الأول ، وسارت فرق المشاة

وعبرت بوزاغ إدكو ، واسكنها ضلت الطريق ، وسط تلال الرمال وغابات النخيل التي لا تهدي الضال إلى الطريق .

وهناك عند سد أبوقير الذى يبلغ اتساعه نحو ميل ، صعب على الجنود أن يعبروه ، وبالتالي أن ينقلوا عبره ما معهم من الممات الثقيلة ، وتعذر عليهم سحب الخيول والجمال التي استأجروها لحوض هذا السد الغامر من المياه الملحة . وتكررت المأساة عند ما وصلوا إلى بوزاغ إدكو وهو وإن كان أضيق من سد أبوقير إلا أنه كان أعمق منه ، على كل حال ، انقضى يوم كامل في هذه المهمة الشاقة بسبب سد أبوقير وبوزاغ إدكو .

ووصلت الطلائع الأولى للجنود بقودها ( ما كليود ) إلى المرتفعات التي تشرف على إدكو ، حتى لا يتوقف سير الحملة في الطريق بين المعدي وإدكو . وفي يوم ٤ إبريل ، وصلت إلى المعدي المدافع الثقيلة ، والممات التي نقلت بحرا من الإسكندرية إلى بوزاغ إدكو ، ولم يكن من الميسور نقلها بسرعة لقلة الجبال بالإسكندرية ، كما أن مياه بحيرة إدكو كانت تتناقص تدريجيا يوما بعد يوم ، مما تصعب معه الملاحة فيها بالقوارب ، ولو كانت حمولتها خفيفة . وأخذت محطة بوزاغ إدكو تتلقى سيلا دافقا من الممات ، وهناك يضعها الإنجليز في المخازن التي أعدها لذلك ، ثم ينقلونها إلى معسكرهم الذى يبعد بمسافة ٧ كيلومترات في الطرف الشرقى لبحيرة إدكو .

طريق طويل كهذا ، وفي مثل هذه الظروف ، يتطلب حراسة شديدة على طول الخط ، وإلا تعرضت الذخائر لهجمات المصريين ، ومن أجل هذا ، كلف عدد كبير من الجنود بهذه المهمة ، مما أدى إلى نقص القوات التي عهد إليها غزو رشيد .

وكان أمام ( استيوارت ) طريقان من أبوقير إلى إدكو : الطريق البحرى والطريق البرى ، أما الأول فهو كثير الأمواج الساحلية فيما بين العجمى ورشيد ، ولا سيما عند مصب النيل . وأما الآخر فهو أقل خطرا من الأول ، وعلى الرغم من امتداد كثبان الرملية وتعرجها ، وما يعترضه من المستنقعات وبوزاغى أبوقير وإدكو ، فإن به بعض الآبار التي تزود الجنود بماء الشرب .

وأشرفت شمس يوم ٥ إبريل ، و ( ما كليود ) يتخذ مسكانه خلفت إداكو . واستمر الجنود يسحبون بأيديهم المدافع الخفيفة ، فإذا أرهقهم التعب ، قام البحارة لمساعدتهم ، بين الرمال الملتوية الصاعدة الهابطة ، تتبعهم الخيول وهي تجر المدافع الثقيلة . والدخائر على ظهور الجمال ، أما المدفع الكبير ( مورتار ) فقد حرصوا على نقله مع القنابل بالقوارب عبر بحيرة إداكو .

وانقضى اليوم كله في هذه العملية ، ومع ذلك لم يتمكن الإنجليز من نقل جميع المهات ، فتركوا الضروري منها في الطريق ، ورابطوا من خلفه .

وبدأ الحر يشتد ، والإنجليز لا يطيقونه ، لهذا لم يكونوا يسرون أكثر من ميل واحد في الساعة ، وقد ساعدت حرارة الجو على تجفيف مياه بوغان إداكو بما ساعد الإنجليز على نقل المهات التي استطاعت القوارب أن تمضي بها إلى أقصى طرفها الشرق ، قريبا من سهل رشيد .

وبينما كان ( ما كليود ) يادكو ، أحس بتقدم بعض الفرسان فأظهر الاستعداد ، حتى أرغهم على الارتداد ، وأدرك ( ما كليود ) أن المصريين يريدون أن يتخذوا من الطريق بين المعدي وإداكو ميدانا للمعركة ، ولكنه وجد أنه لا يصلح لذلك ، خصوصا وأن قوام القوة المحاربة من الفرسان ، وليس في جيش الإنجليز من الفرسان قليل أو كثير .

ودلت المخبرات السرية ( استيوارت ) على أن المصريين مرابطون عند ( الحاد ) ، فصمم على احتلالها ، لتأمين مؤخرة جيشه ، والسيطرة على الملاحظة في فرع رشيد ، وحماية المواصلات فيما بين المعدي وميدان المعركة .

ونظر ( ما كليود ) في الخريطة ، فوجد برزخا يفصل بحيرة إداكو من طرفها الشرق عن رشيد ، ورأى أيضا انحناءات على الخريطة هي آثار ترعة قديمة عميقة ، تقع ( الحاد ) خلفها ، وتمتد من أقصى البحيرة نحو النيل خلف انحناء النيل جنوب أبو منصور ويعلو شاطئها على الضفتين ، ويمتدان من النيل إلى ثلثي المسافة تقريبا عبر هذا البرزخ ، وفكر ( استيوارت ) في السيطرة على هذين الشاطئين ليتمكن من الإشراف على سهل يقع أمام الترعة وآخر خلفها ، وصدرت التعليمات في الحال إلى ( ما كليود ) .

زحف (ماكلويد) في يوم ٦ إبريل نحو الحماة ، واستطاع أن يقتحم تحرشات الفرسان به قبيل الحماة ، واحتل البلد بلا أدنى مقاومة ، وأصبح أمامه طريقان من إدكو إلى رشيد : الأول طويل يمر عبر كثبان الرمال . والآخر يسير بمحاذاة الساحل الشبلي لبحيره إدكو إلى حيث البرزخ المذكور في أقصى طرفها الشمالي الشرقي ، ثم يستمر الطريق إلى اليسار مع الدوران خلف بعض الكثبان حتى يصل إلى النيل .

سار ( استيوارت ) من إدكو إلى رشيد عن طريق ساحل بحيرة إدكو ، وساعدته الأرض الصلبة على سرعة الوصول قبل غروب شمس يوم ٦ فاحتل المرتفعات الواقعة بين الحماة وأبو منصور ، وبات قرير العين .

ولما أشرقت شمس يوم ٧ حل (فوجلسانج Vogelsang) محل (ماكلويد) بالحماة ، ايزحف هذا إلى مرتفعات أبو منصور ، واستطاع فعلا أن يرد المصريين إلى داخل أسوار رشيد ، وأن يحتل أبو منصور ، وكان استيوارت بدوره قد طوق بقواته التلال الرملية المحيطة برشيد ، وضرب عليها الحصار ، ولكن القوات التي كانت معه لم تكن كافية لإحكام هذا الحصار .

لهذا خرج عليه المصريون بعد الظهر ، فجمع استيوارت قواته ، ووضعها في خط من النيل إلى باب رشيد أي أن هذه القوة شقت المدينة نصفين ثم تنحرف من طرفها الغربي نحو اليسار حيث اتخذ الفرسان المصريون مواقعهم ، وبدأت المدافع الإنجليزية تفتح أفواهها ، والمصريون يردون عليها من الطيقتان ، ومن خلال الأسوار .

وجاء يوم ٨ وقصف المدافع لا يكف ، والمشاة والفرسان لا يعبأون بها ، بل يقتحمونها بكل بسالة ، حتى تم الاشتباك ، وبدأ ( أسوالد ) بحركة تطويق لهم من الخلف ، وفطن أهل رشيد لذلك بعد مراقبة الحركة من فوق المآذن ، فتراجع الفرسان إلى داخل المدينة ، وظلت المدافع التي ركبوها على (أبو منصور) و (كوم الأفراس) ، تطلق نيرانها بلا رحمة ، ليستدرجوا الإنجليز إلى الداخل ، ولم يكف الإنجليز عن المطاردة ، ولم يكف المصريون عن الضرب من بين ثنايا الأسوار ، فكبدهم خسائر فادحة ، وأصيب القائد العام ( استيوارت ) بجراح

خطيرة ؟ وسرعان ما أسقط في يده ، وبعث إلى على بك السلانكلى بدعوه إلى التسليم ، فرد عليه بأنه يتلقأ أوامره من رؤسائه ، وعرض عليه هدنة لوقف إطلاق النار ولكن ( استيوارت ) أخذته العزة بالإثم ، ورفض الهدنة .

رأى ( استيوارت ) أن احتلال الحماة ضرورى جدا ، ليؤمن وصول المهات من بوغاز لإدكو إليه ، وحتى لا تنفصل قسواته عن الجيش الرئيسى المتأهب لسحق رشيد .

واستمر استيوارت يومى ١٠ و ٩ يضرب رشيد بالقنابل ، ويقرب المدافع منها ، وينشئ التحصينات من جذوع النخيل وسعفه ويغطيها بالرمال لوقف أى هجوم عليه ، ومع ذلك لم يكن قصف هذه المدافع إلا كالضرب فى حديد بارد ، واعتلت صحبة ( مسيت ) فترك المعسكر ، واستمر الفرسان فى مناوشاتهم ، حتى جاء يوم ١١ فقتلوا من المدينة ، وانقضوا كاصواعق على الأعداء ، والتحم القتال ، وأصيب إلى السلانكلى ببعض الجراح ، ولكن الإنجليز كانوا من الجبن لدرجة أنهم لم يجرؤوا على مجرد الاقتراب من أسوار رشيد وكأنها كانت فى حسابهم ، أسوار جهنم .

وتولى القيادة فى يوم ١٢ الجنرال ( أسوالد ) ، أما ( فوجلانج ) فقد وصلته النجدة وهو بالحماة ، ولكنه ما لبث أن وجد الثغرات المتعددة تهدده بالخطر ، فقد ظهرت طلائع المتطوعين تدفق من رشيد والقاهرة ، ومعهم المؤن والذخائر من الضفة اليمنى للنيل ، ورأى الإنجليز أن الحصار الذى ضربه على رشيد لم ينجح ، فأوفدوا من قبلهم رسلا إلى الجانب المصرى للمفاوضة ، ولكنهم لقوا مصارعهم فى الطريق ، كما أن العربان خدعوا الإنجليز ، ونقلوا إليهم أخبارا كاذبة ليرضوهم بها ، واستمر المصريون يقذفون معسكر الإنجليز بكل ما لديهم من القنابل .

ووصلت هذه الأنباء إلى ( فريزر ) فى ( كانويس ) فازداد قلقه ، وصمم على زيارة المعسكر بنفسه ، وتفقد أحواله ، فوصل يوم ١٥ ومعاه ( لويس ) . فكتم السهم فى كبده ، وأيقن بالهزيمة ، ولكنه لم يزد على أن أصدر تعليماته إلى

(استيوارت) باتباع الخطة المتفق عليها من قبل وهى تركيز المدافع على رشيد حتى تسلم .

وحاول (استيوارت) أن يشرح له الخطر المحدق به ، ليبرر موقفه ، كما عرض عليه أن الإمدادات لا تصل من محطة بوغاز إدكو إلى المعسكر إلا بصعوبة عبر الرمال ، غير أن (فريزر) لوى عنان فرسه إلى إدكو ، ومنها إلى (السفينة) واليأس يغمر قلبه بالآحزان .

فى ذلك اليوم تقدم (ماكدونالد Macdonald) ومعه ٥٠ جندى من (أبو منصور) نحو الضفة اليمنى للنيل ، فأوقف مدافع المصريين ، ولكن النجدة توالى ، فاضطر إلى التمتهر بمن معه وحاول الإنجليز تعزيز قوات ماكدونالد ، فكبدتهم هذه المحاولة خسائر فادحة ، إذ تعرض (استيوارت) لهجوم داخلى ، إذ جاءت من إدكو فرقة من ٣٠٠ جندى يقودها (فوجلسانج Vogelsang) فانقضت عليه الهجمات من كل جانب حتى أيدت فقتة عن آخرها .

وقامت يوم ١٧ فرقة من الفدائيين المصريين مكونة من ٢٥ فلاح بمحاولة لنطع المواصلات بين إدكو ورشيد للحيلولة بين وصول الإمدادات إلى الإنجليز فأسهرم العدو بين إدكو وخطوطه الأمامية .

وحمل يوم ١٨ ، والنجادات تتوالى على المصريين ، وزادت حيرة الإنجليز ولا سيما إذ رأوا أن العربان لم يعودوا يترددون عليهم بالسلع ، والأخبار ، ولم ير (فريزر) بدا من الكتابة إلى (ابراهيم بك) وهو على ظهر سفينته ، يرجوه أن يرسل بعض المماليك إلى البحيرة والمنوفية وفوة لمنع مرور المتطوعين إلى رشيد. الحق أن المماليك كانوا قد اتخذوا الحيلة فى هذه المعركة ، فهم كانوا يخافون من محمد على ، وقد دب الشقاق فى صفوفهم ، وفى الوقت نفسه ، لم يبادلوا فريزر غير المجاملات إذ وعدوه بأنهم سيحضرون جميعا إليه فى حالة استيلائه على رشيد. ولم يكن فريزر ليظفر بالرد على مكاتباته إلى المماليك إلا بعد مضى . أيام ، بينما الأحداث تتلاحق وتتشابك ، بما لا تشتهى السفن .

على كل حال ، لقد كان الطريق إلى المعركة ، طويلا شاقا محفوفًا بالمسكاره ، والإنجليز لا يبالون ، فليسيروا فى الطريق حتى النهاية

## تيجان النصر على جبين الحماة

« الليل أخفى للويل .. هكذا قال العرب في أمثالهم ، وهكذا رأى الإنجليز بأنفسهم في حملة فريزر ، إذ كان الليل أعدى أعدائهم ، فقد كان النهار يكشف جميع العمليات العسكرية الجارية في هذا السهل الفسيح فيما بين الحماة وأبو منصور وكوم الأفراح ورشيد ، أما الليل فكان خطرا داهيا عليهم .. كان أخفى للويل . في يوم ١٨ أبريل سنة ١٨٠٧ ، استجابت ( أريحية ) محمد علي للدوافع المتأججة في صدور أبناء الشعب وأرسل جيشين أحدهما يتقوده حسن باشا والآخر يتقوده طبوز أوغلي ، وعند ( منوف ) افترق الجيشان ، فسار الأول يسارا ، وسار الآخر يمينا إلى رشيد ، وعبر حسن باشا النيل عند إدفينا ، واتخذها موقعا ، بينما استقر طبوز أوغلي في برنيال ، بالقرب من مرتفع الحماة .

وفي اليوم التالي ، زحف حسن باشا بجيشه من ( ديبى ) الواقعة في شمال إدفينا إلى الحماة ، وانقض على ميسرة ( فوجلسانج ) ولكن الإنجليز استطاعوا أن يصدوه ، وعاد المصريون فاحتلوا ( إدفينا ) وهجموا على الإنجليز بشدة فردوهم ، وخشى الإنجليز أن تنكشف مؤخرتهم ، فلم يواصلوا هجومهم ، فكرت الخيالة المصرية ، وانشقت أسوار رشيد عن وابل من الرصاص ينال على الإنجليز ، فما وجدوا وسيلة خيرا من الانسحاب على الفور إلى محطة بوغاز إدكو ، على ضوء القمر في الليل القصير .

وطلع صباح يوم ٢٠ ، وإذا بالإنجليز يطؤون خيامهم ، ويحملون متاعهم وما خف عليهم من عتاد ، فلما احتوهم السهل الفسيح انقض عليهم الفرسان ، وهم يتقهقرون إلى الحماة ، فقتلوا منهم نحو الثلاثين ، وطار الخبر إلى ( استيوارت ) قبل الظهر ، فأرسل إلى الحماة نجدة عسكرية مع ( ماكليود ) و ( ديلانسي ) ، وإذا بالهجوم الخاطف ينقض على بقية الجنود في رشيد ، وعرف المصريون كم عدهم ، واطمأن ( ماكليود ) إلى موقعه بالحماة ، واستطاع ( استيوارت ) أن يفلت من الأسر حتى وصل إلى الحماة وقتش المواقع ، ونصحه بمدة مة الدفاع عنها ، وأمره بالتهقر إلى بحيرة إدكو في حالة الخطر ، وإذا تعذر عليه ذلك

انسحب إلى مرتفعات رشيد ليلحق بالقوات الرئيسية ، وأسرع (استيوارت) بعد إسداء هذه النوايح إلى (ماكايود) وعاد إلى معسكره أمام رشيد ، فوصلها الساعة الثانية من صباح يوم ٢١ إبريل ، واتفق مع (هالويل) على الانسحاب عند المساء مع اتخاذ الحيلة لذلك ، حتى لا ينخذل الجنود .

طلع صباح يوم ٢١ ، والأسرى ورموس القتلى يردون على معسكر طبور أوغلي في برنبال ، فارتفعت الروح المعنوية عند المصريين ، واشتد أزرهم بهذا النصر ، وانضم طبور أوغلي إلى حسن باشا ، في الزحف على الحماة تحت ستار كثيف من الضباب ولم يستطع معه برج المراقبة في أبو منصور من رؤية السفينتين المسلحتين بالمدافع الثقيلة ، فبادر (ماكايود) بفك الحصار عن رشيد ، ولم يعبأ بالنتيجة التي قدم بها إليه استيوارت ،

زحف ماكايود إلى الحماة ، وإذا بالمصريين يشنون هجوما شاملا من جميع الجهات ، واستعملوا السلاح الأبيض في المعركة ، وكرت الفرسان على الإنجليز في السهل المتسع حتى أبعدهم إلى الغرب ، إلى أن وصلوا إلى (بحيرة إداكو) ، وهناك أدركهم فرسان ومشاة من استمروا في مطاردتهم من الحماة ، فأحذقوا بالإنجليز ، وأحاطوهم بقوات هائلة ، ولكن الإنجليز أسرعوا بنصب مدفع على شاطئ البحيرة ، وقد جففت الشمس بعض أجزاءه ، فجعلت منه أرضا صلبة ، وتحت وابل من قنابل هذا المدفع تراجع الفرسان إلى مسافة بعيدة ، أما المشاة فقد فاجأوا العدو برصاص بنادقهم التي ركبوها على أطراف الرمال .

وأصاب الارتباك استيوارت في ارتداده ، وتخير في أمره ، أيسلك الطريق الآين إلى الحماة ، أم الطريق الأيسر إلى إداكو ولكنه اتسبب النجاة في الطريق إلى إداكو ، وصمم على مهاجمة المصريين في مواقعهم بالحماة ، تحت وابل من الرصاص ، فتقدم نحوها ، بينما تشتت شمل المجاهدين بسرعة فائقة وسط كثبان الرمال .

وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٢١ ، غير الجيش خط سيره ، فظل في طريقه لمدة ساعة ونصف ساعة ، عازيا للنيل ، حتى وجد الخيالة ينسحبون ببطء ، وخيامهم على الشاطئ ، فرجع (استيوارت) بقواته إلى إداكو ، طلباً



للماء والراحة ، وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم وصل إلى شرق البحيرة ، وهناك أعطيت للجنود بعض الخنور والأطعمة ، لتجديد نشاطهم ، أما الجرحى فقد نقلوا مع الذخيرة بالقوارب ، ولم يبق إلا ثلاثة مدافع لم ينقلوها على سبيل الحيلة ، وتمت عملية النقل عبر بحيرة إدكو ، حتى العاشرة ، وعندها واصلوا السير إلى إدكو .

وصل الإنجليز إلى إدكو بعد منتصف الليل ، وكان الهدوء يخيم على البلدة الآمنة ، ولكن قلوب الإنجليز كانت في خوف وهلع : فقد باتوا يتوقعون هجوما مفاجئا من المشاة والفرسان على طريقهم الممتد لمسافة ثلاثة أميال من ساحل البحيرة حتى يؤدي إلى حقول من الرمال واسعة الأرجاء ،

أما أهل إدكو ، فقد هجروها ، حتى لا يتعرضوا للانتقام من المرتدين على أعقابهم ، ولم يتزود الإنجليز من بلدهم إلا بالماء يروون به ظمأهم التام . وقبل أن يصل الإنجليز إلى المعدية ، فاجأهم عدد كبير من أهل إدكو وغيرها ، فأطلقوا عليهم الرصاص ، ولم ينجوا منهم إلا بكل مشقة ، حتى وصلوا إلى بوغاز إدكو بعد ظهر يوم ٢٢ ، وكان باقى العناد قد وصل من أطراف بحيرة إدكو الشرقية بالقوارب التي أرسلها (هالويل) ، وظلت التوات الإنجليزية في انسحابها من الحماة ورشيد ، إلى إدكو ومنها إلى البوغاز ثم إلى أوقير فوصلتها يوم ٢٣ ثم وصلت في اليوم التالي إلى مرتفعات الإسكندرية الشرقية حيث المعسكر الرئيسى لحملة فريزر الفاشلة .

### حديث معركة الحماة

عندما أرخى المساء سدوله يوم ٢٠ إبريل ، كان على (ماكليود) أن يجرر أذبال الخيطة ، وينسحب فورا من الحماة إلى تلال رشيد ، أو إلى أى طريق يوصله إلى إدكو . ولكنه علم بحشد من القوارب المصرية يبلغ عدده نحو مائة ، تعززه سفن كبيرة مسلحة ومزودة بالمدافع ، والنيل يتأوج بها ، وبلغ العناد من هذا التناهد كل مبلغ ، فلم ينسحب إزاء هذا الأسطول ، وأخذ يعزز مواقع دفاعه ، ولكن المصريين خيخوا أمله ، وأجبطوا خططه فانهزم .

وغادر فوجلسانج موقعه ، ليختل موقعا آخر خلف البرزخ ، وتراجع ( تارلتون ) إلى موقع ( موهر ) الذى تركه لما كليود ، وانسحب بقوته لمحاصرة الحجاد ، كل هذا بقصد أن تنضم قوات الحجاد إلى قوات استيوارت برشيد ، ولكن بعد فوات الوقت .

فقد هجم الفرسان هجمة واحدة ، بكل ما أوتوا من عنف وشدة ، فعزلوا قوات ( فوجلسانج ) عن قوات ( موهر ) واستردوا الحجاد دون إراقة نقطة من دم ، وأخذت نيران المصريين تحصد الإنجليز حصدا ، وأقى ما كليود حقه وهو يتراجع إلى إدكو بقوات بعثها الذل والهوان ، تاركا المعركة - لى ينجو بنفسه ، واستمر القتال ، ومات تارلتون فى الميدان ، ولحق به عدد كبير من كبار الضباط وتولى القيادة ( ماكى Mackay ) وقرر الانسحاب ، فعاجله المصريون بوابل من الرصاص ، أخذ يحصدهم ، حتى نجح منهم خمسون جنديا معظمهم مصاب بجراح ، ولم يلحق منهم بقوات فوجلسانج غير خمسة ، ووقع الباقون فى الأسر ، ولم يصمد فوجلسانج للقتال ، فخرج يخترق الصفوف ، ملوحا بمنديل فى يده ، ورسول من المصريين فى يده الأخرى ، فعقدت الدهشة ألسنة جنوده ، فاكافوا يظنون أن التسليم هو نهاية المأساة ، وصمم بعضهم على استئناف القتال ، فواصلوا إطلاق النار ، غير أن المصريين اندفعوا كالصواعق ، على ميدان المعركة ، وقبضوا على كل من وجدوا سلاحه بيده ، وأسروهم ، وعطل ( استيوارت ) مدافعه ، ومضى إلى إدكو طلبا للنجاة ، من نيران المصريين .

وهكذا انقضت الساعات الثلاث منذ الساعة صباحا من يوم ٢١ إبريل ، وسجل التاريخ فى صفحاته أن ( الحجاد ) ، قد دخلت هى الأخرى من باب التاريخ ، وعلى رأسها تيجان النصر ، على الإنجليز الطغاة البغاة .

وفى خسر الإنجليز ٣٨ ضابطا ، أسر منهم ٢٢ وقتل تسعة ، أما الجنود الأسرى فقد بلغ عددهم ٦٦ ، باع المصريون بعضهم فى الأسواق بيع الرقيق ، وبلغ عدد القتلى والجرحى ٧٨٨ .

وسيق الأسرى - وأكثرهم جرحى - إلى القاهرة وبعد ٦ أيام لم يصل منهم

إلا القليل ، فقد مات بعضهم في الطريق ، فألقيت جثثهم في النيل طعمه لآكلة الجيف ، ومنهم من أصابته الحمى في الطريق ، فلم يصل إلى القاهرة إلا وهو جثاء هامده .

وكان لهذا النصر - كما يقول الجنرال ( فيجان Weygand ) - صدها القوى في جميع أرجاء مصر ، بل في الامبراطورية العثمانية كلها ، وعز أثره زال الخطر الإنجليزى الذى كان يهدد القاهرة .

وأمتلاء قلب ( فريرز ) بالهلع والجزع ، وفقد رأسه ، وأملت عليه الوسواس أن أهل رشيد والحماد وإدكو سيزحفون نحوه في الإسكندرية ، فما كان أسرع منه ، حينما حطم ( سد أبوقير ) ليحول بينهم وبينه . فتدفقت مياه البحر ، وأغرقت ١٤٠ قرية حول أبوقير ، حتى وصلت المياه إلى مشارف دمنهور . وأهلك الحرت والنسل ، وخربت الديار .

### ثأر النصر في رشيد والحماد

ذاع في البلاد خبر الانتصار ، انتصار الشعب على الإنجليز ، وأسرع الجنود العثمانيون ، يطرقون الأبواب على أعيان البلاد ، يطلبون ( البقشيش ) بكل وقاحة ، وبلا حياء ، واستباح بعضهم بيوت ( الحماد ) بالاسلة الظافره ، وهبوا أموالها ومواشيها ، وفضحوا نساءها .

وكتب حسن كريت يشكو إلى المفتى ، ولا سميع ولا مجيب ، وأحاط الأرنؤوط - وهم جنود محمد على - برشيد . يبتزون كل ما وجدوه ، فوقف لهم حسن كريت ، بكل ما أوتى من شجاعة ، وفضجهم على الملا ، حتى هاجروا إلى القاهرة ، بعد ما أبدوا في الميدان من بسالة وتضحيات ، [ وليت العامة شكروا على ذلك ، أو نسب لإيهم فعل ، بل نسب كل ذلك للبasha وعساكره ، وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك ] ، هكذا قال الجبرتى .

ومن العجب ، أن السلطان كتب يهنئ البasha وعساكره ، ويشكرهم على النصر ، ويقدم من الشام ٥٠٠ من الأرنؤوط ، لتعزيز القوة العاشمة ، وحماية

الشعور ، ولكن ، كما قال الشاعر : السيف أصدق أنباء من الكتب .  
وشهد ( دوران فيل ) بأن طبوز أوغلي - وهو نائب محمد علي - قد تردد  
في الالتحام مع الإنجليز في الميدان ، فترك حسن باشا يخوض المعركة وحده ،  
وعاد هو بمراكبه من حيث جاء ، فألقى مراسيه على بعد ميل من الحاد .  
فعلام هذا الشكر السلطاني للوالى الذى وقف في وجه الشعب ليحول بينه وبين  
شرف الدفاع عن نفسه ؟ وعلام هذا الشكر للعساكر الذين فروا من الميدان ،  
حتى إذا انتهت المعركة . استباحوا الحرمات ؟ أما أبطال النضال فما كان جزاؤهم  
إلا كما يجزى سنار .

أما الإنجليز فقد لعقوا جراحهم بكل برود ، وأعادوا تنظيم صفوفهم ،  
واستطاع القائد ( هالويل ) أن ييسط نفوذه على البحر بأسطوله الذى أخذ في  
تعزيزه يوما بعد يوم .

وقد سجل يوما ١٠ و ١٦ مايو محاولتين قامت بهما القوات البحرية التابعة  
لأسطول محمد علي ، وذلك بالتحرك من إدكو إلى أبوقير ، فصدت لها مدافع  
السفن الإنجليزية ( أبولو ) و ( استاندرد ) و ( سترن ) ، حتى استطاع التبتطان  
( هارفي Harvey ) قائد السفينة ( استاندرد ) تدمير ثلاث سفن من أسطول  
محمد علي .

وفقد محمد علي رأسه - كما يقول ( دوران فيل ) - إذ لم يجد قوة تسنده في  
مصر ، وأرسل إلى الباب العالي في طلب النجدة ، وهو على يمين من أنه لن يظفر  
منه بأى نجدة .

وأراد محمد علي جاهدا ألا يخرج من المولد بلا حص ، وإلا فقد كل رصيده  
المدخر في مصر ، فأعد جيشا من أربعة آلاف ما بين فارس وراجل ، يتوهم  
طبوز أوغلي وعمر بك وعابدين بك ، وجعل القيادة العليا له هو ، وسار نحو  
الإسكندرية ، فلما وصل دمنهور ، علم أن الإنجليز قد جاءتهم نجدة مكونة من  
ثلاثة آلاف مقاتل . وعلى الرغم من ذلك دب الذعر في صفوف الإنجليز ،  
وباتوا يتلففون إلى الصلح مع محمد علي ، وقد هالهم أن يكون عددا سرام قد بلغ  
الخمسةائة ، وأن جيشا جديدا لم يشترك بعد في المعركة سيسحقهم عن آخرهم .

وبدأت المفاوضات فعلا منذ ١٦ مايو ، فتوجه محمد على بأحمد الضباط يدخل عليه معسكره بدمهور يحمل إليه رسالة من فريزر يتعهد فيها بعدم ائتمانية الجلاء معه ، ففرح محمد على ، وخف إلى الإسكندرية تحت جناح الظلام على الأطراف النائية من بحيرة المعدي ، حتى وصل الإسكندرية في الصباح ، وذهب على التو إلى خيمة فريزر ، وأبلغه أنه كان على وشك الزحف على الإسكندرية ، وأمكن بذلك أن يتفن التمثيل على الإنجليز ، الذين رحبوا به ، وبقوا معه ائتمانية الجلاء يوم ١٤ سبتمبر ، في معسكر محمد على قريبا من دمنهور وتم ذلك بينة وبين ( شبروك ) ورد إليهم الأسرى ، وتبذلت الهدايا والعهود بين الطرفين ، ودخلت الإسكندرية ، منذ هذه اللحظة ، في ممتلكات محمد على .

وغادر الباشا دمنهور ليلا في ألفي رجل ، وفي اليوم التالي أقام معسكره على سواحل بحيرة أبوقير حيث كان ( هالويل ) في انتظاره بزورقه ، وقدم محمد على إلى الإسكندرية في ١٥ سبتمبر ، ثم تركها إلى دمنهور ، غير أن مياه البحر - بعد كسر سد أبوقير - عوقت سيره فعاد ثانية إلى الإسكندرية ومنها إلى رشيد ، فوصلها يوم ٨ أكتوبر وبصحبه حسن باشا ، وبعض القادة والضباط ، ولم يمكث بها غير بضع ساعات ، وأمر بإنشاء سور عليها ، ثم غادرها عن طريق البر إلى دمنهور ، فصادر أملاك كاشف البحيرة محو بك .

وهكذا جنى محمد على ثمار المعركة ، وبات المصريون يصطلون الشوك والقتاد ، فلما عاد إلى القاهرة ، واستقر بالقلمة ، أقام وليمة كبرى ، لكبار رجال الدولة ، ودعا إليها السيد حسن كريت ، بطول معركة رشيد والحامد ، ورحب به أشد الترحيب ، وبعد أن تناول المدعوون ما لذ وطاب ، خرج حسن كريت ، محولا على الأعناق ، وشيعت جنازته بصفة رسمية ، وورى جثمانه الطاهر ، قبرا غير معروف ، إلى يومنا هذا ، وحسبه أنه صار في وادي الخلود .

وظلت هذه المعركة مصدر وحي لكبار الأدباء والزعماء ، حتى كتب على الجارم قصته ( غادة رشيد ) ، كما بدأ الرئيس جمال عبد الناصر قصته ( في سبيل الحرية ) وهو طالب .

## فضائح محمد علي في البحيرة

لم يحفظ محمد هلى الجليل لمدينة رشيد الباسلة وقرية الحاد المكافحة . وأهلها الأبطال ومن انضم إليهم من عرب البحيرة وفلاحها ، وأنكر عليهم جميعا الفضل الكبير في تثبيت قدمه في ولاية مصر ، واعترف الإنجليز به - دون السلطان - في المفاوضات معه مباشرة بشأن الجلاء عن مصر حسب الوثيقة المبرمة في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ .

وقلب محمد على لاهل البحيرة ظهر المجن ، وشرع يضطهدهم أشد الاضطهاد ، ويستبيح حرماهم هو وعساكره الأرنؤط المسعورون ، ففي يوم ٢١ أغسطس توجه بنفسه إلى البحيرة والإسكندرية ، فنزل بالرحمانية ، واستدعى شيخ دسوق ، فأدرك الشيخ ما وراء هذا الاستدعاء من خسف وعسف ، ففسر الرجل ، وآثر الفرار ، على مقابلة الباشا الظالم الغاشم ، فاتخذ من ذلك ذريعة لإطلاق عساكره على دسوق يهبونها ويذبحون طلبة المعهد الدينى بدسوق ، في مقام سيدى إبراهيم الدسوقي .

وعاد إلى أبوقير في ١٦ سبتمبر وياشر بنفسه عمليات إصلاح سد أبوقير ، ولإذ ذاك أصبحت الإسكندرية - حسب فرمان السلطان المؤرخ ١٢ سبتمبر - في نطاق ولايته ، ومن هنا صار له حق التفاوض مع الإنجليز ، بشأن الجلاء . وفي ٨ ديسمبر من هذه السنة تفضل الباشا فأنعم على شاهين بك الألفى بالبحيرة كلها إلى حدود الإسكندرية ، كاشفا وملتزا مع كشوفيات والزامات أخرى في الجزيرة والفيوم والبهنسا ، وجعل له الكلمة النافذة في « سائر البر الغربي » ، كما زوجه الباشا من ابنته قبل أن تحضر من ( قوله ) . وعين أيضا في ١٩ يناير سنة ١٨٠٨ عمر بك تابع الأشقر المصرى محافظا على رشيد ، وأطلق الباشا أيضا على بعض قطع أسطوله أسماء بلدان البحيرة مثل : البحيرة ودمهور ورشيد وأبوقير .

ومن هذا يبدو أن البحيرة قد حظيت باهتمام الباشا ، ولكنه اهتمام من نوع خاص ، فهو يعلم أن البحيرة أرض الثورات ، ومنبع الخيرات ، وعلى ساحلها

الشمالي ثلاثة من ثغور مصر : رشيد وأبوقير والإسكندرية ، وهى المنافذ النيلية والبرية إلى القاهرة .

لهذا كله جعل كشوفيتها والتزامها لأقرب المقربين إليه من أصهاره ، أولئك الذئاب المسعورة ، التى لا تكف عن سعارها ، فالغاية تبرر كل وسيلة ، فى سياحة محمد على .

فى ٢٧ أغسطس سنة ١٨٠٨ غادر الباشا القاهرة وركب النيل فى طريقه إلى الإسكندرية ، بعد أن أصدر أوامره إلى زبائنه بإخلاء البيوت له فى البنادر الآتية : المنصورة ودמיاط ورشيد والمحلة والإسكندرية .

أما لإقليم البحيرة ، فقد عاد إليه الخراب بعد كسر سد أبوقير ، وطالبت حكومة الباشا الملتزمين فى البحيرة بالخراج ، فاحتجوا بالخراب الذى شمل البلاد ، وتلك هى الفرصة التى سنحت للباشا ، فقد استولى على أراضى البحيرة ووزعها على أتباعه والأصفيش ، فلما آلت إلى هؤلاء ، أسرعوا إلى دعوة أهل البلاد الفارين منها إلى العودة إليها .

وهل الباشا إلى رشيد ، وأقام بها ما شاء أن يقيم ، ومن تمت عزم على إرسال هدية تليق بالمقام السلطاني : كميات هائلة من البن والأقمشة الهندية وسبعائة إردب من الأرض الأبيض ، جمعها قسرا وقهسرا من بلاد الأرض المحيطة برشيد ، وأوفد إبراهيم أفندى المردار إلى الباب العالي يحمل الهدية .

وباسم الباشا طبعا قبض كاشف البحيرة محو بيك فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٠٨ على السيد حسين نقيب الأشراف بدمهور ، وبالغ فى إهاتته وصادر ممتلكاته وفرض عليه غرامة قدرها ألفا ريال ، وفى ١١ يناير سنة ١٨٠٩ نفى الباشا كاشف البحيرة إلى أبوقير وصادر أمواله ، وأنعم بداره التى كانت بحارة عابدين بما فيها من الخيرات العظيمة على محو بك الصغير الاورفى ، وفى إبريل من هذه السنة ، عزل الباشا عمر بك الأرنؤطى من ممتلكاته التى فى البحيرة ، وفى يونية من السنة أيضا أمر الباشا بتحرير دفتر لإقليم البحيرة بمساحة أطيائها المزروعة والبور ، وأمر بأن

تضاف أراضى الأوسية والرزق (١) إلى ممتلكات الباشا ، وأمر المباشرين (الموظمين المختصين ) بإخراج كشوفاتها بأسماء الملتزمين ، فعُضج أهل البحيرة بالشكوى إلى المشايخ ، ليكلموا الباشا فى هذا الشأن ، فأُنفى باللائمة على كشف البحيرة عند كشف أراضيها بقصد تقرير ضرائها ، فخافوا ، وجعلها المائة فدان بدلا من الخمسمائة ، وجعلوا الباقي أواشى ورزقا ، ولما أحس الباشا بوقع مظالمه هذه ، تراجع عنها ماغرا ، ولكن على مضض ، وفى منتصف ديسمبر دعم عساكره بعساكر آخرين فى رشيد وأبوقير وغيرها ، وفى ١٢ مارس سنة ١٨١٠ فرض الضرائب الباهظة على الأهالى وألزم الكشف بتحصيلها ، فهرب المصريون حتى امتلأت بهم قرى الشام ، وفى يناير سنة ١٨١٣ كثر الطاعون فى البلاد ، وأنشئ (حجر صحى) فى رشيد والإسكندرية وغيرها ، وصدر الأمر إلى كاشف البحيرة لمنع المسافرين بطريق البر إلى الإسكندرية .

وفى ديسمبر سنة ١٨١٥ خرجت عساكره إلى البحيرة ، وكان قد دبر بالاتفاق مع أولاده مؤامرة للفتك بالدالاتية وعلى رأسهم كبيرهم محوبك لأنه أكثرهم جندا .

وفى ٣ يناير سنة ١٨١٦ أرسل الباشا أولاده على رأس العساكر إلى الأقاليم ، ليظهر لهم أنه يبعث بأفلاذ كبده إلى الأرياف لحفظ الأمن بها ، فتوجه طوسون باشا وإسماعيل باشا إلى رشيد ، ونصبوا الخيام عند (الحاد) و (أبو منصور) ، وكان عرضى (معسكر) حسين بك والى ، وحسن أغا أرزجنلى ومحوبك وصارى جلّه وحجوبك بالبحيرة ، وفى هذه السنة كلف كشف الأقاليم بببناء قشلاقات يسكنها العساكر ، وكان على كل كشف أن يستدعى شيخ القرية ليفرض عليه السخرة الرسمية لضرب الطوب والبناء ، وكل من يخالف الأوامر فالويل له ، وفى الوقت نفسه تمت عملية إصلاح سد أبوقير .

وفى هذا العام مات حاكم رشيد سليمان أغا ، ومات أيضا طوسون باشا

---

(١) الأوسية (الوسية) هى الإنطاكية الممنوحة للعلم لمساعدته على الوفاء بالالتزام المرتبط به ، أما الرزقة فهى الإنطاكية الممنوحة له أو غيره مدى الحياة وهى مغطاة من الضرائب



وكان قد عرض خيامه بالحماد ، وأخذ يتنقل فيما بين رشيد وبرنبال وأبو منصور والعزب ، وجلب معه أهل الطرب إلى رشيد واستقدم الراقصين والراقصات من تركيا إلى قصر برنبال ، ولكن الطاعون فتك به فتكا ذريعا فسلم يمهله ، فأرسل خليل أفندي الروملى حاكم رشيد جثة طوسون إلى القاهرة بعد تجهيزها .

وفي سنة ١٨١٧ عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم ، ثم استدعاهم للحضور بين يديه ليحاسبهم على ما استولوا عليه من أموال الفلاحين وبعث المفتشين للتجسس عليهم . وفي هذه السنة أيضا فكر الباشا في تعديل خط سير ترعة الإسكندرية المسماة إلى الآن خليج الأشرفية ، ولم تتم عملياتها إلا في منتصف يناير سنة ١٨٢٠ وأطلق عليها ( ترعة المحمودية ) تيما باسم ولده السلطان محمود ، وقد سخر فيها مائة ألف فلاح ، كان حكام الأقاليم - كما يقول الجبرتي - [ يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب ] ،

وقد بلغ من اهتمام الباشا بأمر هذه التركة ، أنه في يناير سنة ١٨٢٠ عندما طغى ماء البحر على الجسر الكبير وامتلات به التركة ، توجه إليها ومعه ابنه إبراهيم باشا ومحمد بك الدفتردار ، والكثخدا السابق ، والكثخدا الحالى طيوز أرغلى ، وتم إصلاحها ، وأقلعت فيها المراكب إلى رشيد وإلى الإسكندرية . وفي ١٥ مارس سنة ١٨٢٠ قام حسن بك الشماشرجى حاكم البحيرة على رأس قوة من عرب الإقليم للاستيلاء على ( سيوه ) لحساب الباشا ، الذى كثرت تمقلاته إلى البحيرة ، ولا سيما بعد حفر ترعة المحمودية ، وقد ظل يتعهدا برعايته وعنايته ، وتمكن عن طريقها من تحقيق مآربه الشخصية فى تجارتها مع الإنجليز حسب الاتفاق المبرم بينهما وبينهم ، بعد هزيمتهم فى رشيد سنة ١٨٠٧ .

ومن هذا يتبين أن البحيرة كانت جسرا لمطامع محمد على ومخاسيئه ، يستخر أهلها ، ويبتز أموالهم ، ويمتص دماءهم ، ويستحل أطيافهم ليجعلها ( لقطاعات ) لأولاده وأقربائه ، وظل على هذا المنوال منذ سنة ١٨٠٧ ، أى بعد أن عم الخراب بلدان البحيرة ، على أثر كسر سد أبوقير ، وتلف المزارع بسببه ، وهجرة الفلاحين من القرى إلى الأقاليم المجاورة ، أو إلى خارج البلاد ، فكان هذا الخراب فرصة منحت لمحمد على ، فجعل البحيرة مسرحا للإقطاع والمذابح والفتن . . .

## حوش عيسى تتحدى الباشا

كان محمد على لا يطيق أن يجد لأحد نفوذا إلى جانب سلطانه وجبروته ، فها بالك بعربان البحيرة ، وهم الذين التمسوا حول الألفى عدوه الأكبر ، وهم الذين اقتحموا ميادين رشيد والحماد لسحق الإنجليز سنة ١٨٠٧ ، وهم الذين استطاع الأتراك والمماليك أن يشتتوا شملهم بالجميع بالفتن ، وهم الذين ذاقوا المر من الالتجاء إلى شاهين بك ، يوم أباح البحيرة لقبائل منهم دون القبائل الأخرى .

وقد ضاق ذرعا عرب الهنادى والجهنة ، بالتشرد الذى هم فيه ، بعد أن مكن شاهين بك لأولاد على من البحيرة ، فرأوا أن يطلبوا الأمان من الباشا ، وفى مارس سنة ١٨٠٨ توجهوا إليه يسألونه العودة إلى منازلهم بالبحيرة ، فذهبوا إلى البحيرة ، ورحل أولاد على إلى ( حوش عيسى ) .

واغتنم الباشا هذا النزاع بين أولاد على والهنادى على البحيرة ، فقبل مائة ألف ريال رشوة من أولاد على ، ثمنا للعودة إلى البحيرة ، وعلم الهنادى بذلك ، فجمعوا جموعهم زحفا على ( حوش عيسى ) ، وهناك التقى أولاد على بالهنادى ، وأمد الباشا أولاد على بفرقة من عساكره ، فكان النصر لحليفهم ، بعد مقتل عزيمة مات فيها نحو مائة من الأرنؤاط ومثلهم من العسكر وخمسة عشر من المماليك ، واستطاع شاهين بك فى ديسمبر من هذه السنة . من إجلاله أولاد على عن البحيرة ، ولكن الباشا لم يهدأ له بال ، ما دام العربان على قيد الحياة ، فدبر لهم مؤامرة من هذا النوع الذى برع فيه .

ففى ٨ إبريل سنة ١٨١١ أرسل بالأمان إلى أولاد على ، واحتال حتى تمكن من القبض عليهم ، وفرض عليهم الغرامات الباهظة ، بعد أن كساهم وخلع عليهم رأس البسم الشيلان الكشميرية ، ومنحهم مائة وخمسين كيسا أى ما يعادل سبعمائة وخمسين جنيها ، بينما حضر مشايخ الهنادى عند البقية الباقية من المماليك .

ومها يكن من الأمر ، فإن أولاد على وقفوا كالأسود الكاسرة فى وجه الباشا الكبير ، وقتلوا له فى ( حوش عيسى ) عثمان كاشف وستة من المماليك ، وهم إذا كانوا قد نزلوا إلى القيوم ، وما وراه من أرض الصعيد ، فإنهم أشد

مراسا من المالبك ، ولن يقعوا يوما ما في فح من فحاخه ، التي نصبها للمالبك ،  
فقضى عليهم ، بالفدر والخيانة والمذايح .

## مين زى العسكر فى الطوابى الله ينصرك يا عرابى

أدت مظاهر البذخ والإسراف ، التى انغمس فيها إسماعيل الخليج ، ابن محمد  
على ، إلى إفلاس خزانة البلاد ، وتدخل الدول الأجنبية فى شئون الحكم ،  
ف عزلت الحديوى ، وخلعته ، وطردته وأقامت ابنه ( توفيق ) من بعده .

تحملت الأقاليم هذه الديون ، فكان نصيب البحيرة منها اثنين وثلاثين ألفا  
وثمانمائة وواحد وأربعين جنيها ، كما تحملت محافظة رشيد خمسة آلاف وسبعائة  
وسبعة وثمانين جنيها ، وأصبحت جميع موارد الدولة مرصودة لسداد هذه الديون  
بالربا الفاحش ، على حساب ( روتشيلد ) الإنجليزى اليهودى .

ووقفت عقبتان فى وجه الحديوى توفيق : الحرية النيابية ، وإصلاح الجيش ،  
وهما المطلبان اللذان نادى بهما أحمد عرابى باسم الشعب والجيش ، أما مجلس  
النواب فقد افتتح فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ فهدأت العاصفة ، وبمقتضى أمر  
الحديوى الصادر فى ٢٥ مارس سنة ١٨٨٢ صار عدد النواب مائة وخمسة وعشرين  
منهم خمسة عن مديرية البحيرة ، وكان لعرب البحيرة فى هذا المجلس عضوان .

وتوتر الموقف سريعا ، حتى قدم أسطول إنجليزى إلى مصر بقيادة ( سيمور )  
وضرب الإسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، بناء على مؤامرة الحديوى مع  
الإنجليز ، للقضاء على ثورة عرابى ، واستطاع إبراهيم بك توفيق مدير البحيرة -  
وهو من الجراكسة - أن يبعث فى اليوم التالى خمسمائة من عرب البحيرة لحراسة  
الحديوى فى قصره بالإسكندرية ، وهتاف الشعب فى كل مكان [ مين زى العسكر  
فى الطوابى ، الله ينصرك يا عرابى ] ، والمظاهرات فى الإسكندرية ، شعارها  
« با سيمور يا وش القملة ، مين قال لك تعمل دى العملة » .

وأدرك عرابى تماما ما يديره الحديوى سرا وجها لطنن ثورة الشعب فى  
الصميم ، فإذا فعل زعيم الثورة ؟

## إلى كفر الدوار يا عرابي

أسطول الإنجليز ، ألقى مراسيه على الإسكندرية ، ودكها بمسدفعه ، ونزل العدو إلى المدينة ، فأشعل الحرائق فيها محافظ الإسكندرية عمر باشا لطفي ، والحدوي في قصره ينتظر مجيء أحلافه لينصروه على عرابي الناصر باسم ، الفلاحين على العنصر الجركسي ومن والاه من الأرناؤط .

وأدرك عرابي أن العدو قد دبر خطة لاحتلال مصر ، وأنه في طريقته من الإسكندرية إلى القاهرة عبر البحيرة ، فأخذ للأمر أهبطه ، وجعل للحرب ميدانين : الغربي أولا : ومركزه كفر الدوار ، وثانيا : ميدان الشرقية ، عبر قناة السويس

أما الميدان الغربي ، فقد كان الدرع الأولى لحماية البلاد من الإنجليز الغزاة ، لهذا انتقل عرابي ( ناظر الجهادية ) إلى كفر الدوار ، وجعل منها مقر القيادة العليا للجيش والشعب ، وفي الوقت نفسه جعلها مقر الحكومة المصرية القائمة فعلا باسم الشرع .

وجمع عرابي المهندسين الحريين ، وعلى رأسهم محمود فهمي باشا ، الذي أحال البحيرة ، إلى ميدان حرب حرب بين الحرية والعبودية ، حرب بين الاستعمار وعملائه من جهة ، والشعب المصري من جهة أخرى ، وهذه هي صورة لهذا الميدان .

توجه عرابي ومعه محمود فهمي من كفر الدوار إلى ( كنج عثمان ) ، فقابلها بها حسن بك ابن كنج عثمان ، ورأى عرابي تلا مرتفعا فسأل عن اسمه فقاتل له حسن بك : هذا ( تل الناصر ) فالتفت عرابي إلى محمود فهمي وقال له : إن ابتداء استحكاماتنا يكون هنا .

واختار عرابي ( كنج عثمان ) لتكون معسكره ، فأقام بها الخيمة الكبيرة التي كانت اسعد باشا وأهدتها أسرة الحدوي إلى عرابي رمزا على تأييدها له في نضاله ضد توفيق الخائن .

وكان محمود فهمي واسع الأفق ، حينما وضع في خطته خمسة مواقع رئيسية

للدفاع عن مصر : كفر الدوار - رشيد - من رشيد إلى البرلس ودمياط -  
الصالحية - التل الكبير .

أما كفر الدوار فكانت مركزا لعدة مواقع هامة : تبدأ من ( كنج عثمان )  
التي بالقرب منها قطع محمد نهمى ترعة المحمودية ، فالنسابت مياها إلى الأرض  
السبخة بين المحمودية وسد أبرقير والرمال ، وأقام عند هذا القطع مدافعه لحايته ،  
وتوجه بعد ذلك ومعه خليل بك كامل إلى المحمودية لفحص المنطقة الواقعة بين  
( حجر النواتية ) و ( كفر الدوار ) وجعل معسكره في ( عزبة خورشيد ) على  
مسافة خمسة كيلومترات من محطة ( الملاحه ) .

وفي الحق أن هذا الموقع الحربى كان من المناعة بحيث تمكن العراييون من  
الصمود خمسة أسابيع في وجه الإنجليز ، فقد وضع محمود فهمى في اعتباره الأول  
وسائل وصول الإمدادات إليه بسهولة من جميع جهات الوجه البحرى ولا سيما  
من رشيد وأبوقير ومريوط .

وأرسل عرابى إلى المديرين والمحافظين فبعثوا إليه بكفر لدور خمسة آلاف  
جاموا من الغربية والمنوفية والبحيرة ، وهم الذين قاموا بعمل الاستحكامات تحت  
إشراف قائد منطقة كفر الدوار : طلبه عصمت .

وامتدت الاستحكامات من ( رمل الإسكندرية ) في اتجاه ( كفر الدوار )  
لمسافة أربعة كيلو مترات ، وأقام الحصون على طول الخط ، وعززها بصفة خاصة  
من ( عزبة خورشيد ) إلى ( كفر الدوار ) ، ومن ( ترعة المحمودية ) إلى أرض  
( الملاحه ) ، لأنه جعل مقدمة خطوط الدفاع عند عزبة خورشيد ، فضلا عن  
مركز آخر في ( زاوية غزال ) لتأمين المواصلات بين ( العطف ) و ( دمنهور )  
وأقام مخيما للجنود عند ( الزاوية ) به ألف خيمة .

وجعل العراييون ثلاث خطوط رئيسية للدفاع : أولها من بعد ( كفر الدوار )  
بمسافة كيلو متر على طول الخط الواصل بين ( الرمل ) و ( البيض ) وجعل  
خلف هذا الخط الرئيسى خمسائة موقع حصين من المرتفعات ، وثانيها من ( كفر  
الدوار ) إلى ( أبو حصص ) وعليه أيضا خمسائة موقع حصين ، والأخير من

( أبو حصص ) إلى ( دمنهور ) ، وكانت هذه الخطوط محاطة بأرض غير سالكة بسبب الأوحال والمستنقعات .

وتفرع من هذه الخطوط الثلاثة عدد آخر من الخطوط الأخرى ، على شكل زوايا قائمة ، ممتدة إلى سكة حديد كفر الدوار وترعة المحمودية ، أما الخطوط الرئيسية فكان بين كل واحد منها والذي يليه نحو خمسة كيلو مترات ، وبينها أيضا خندق عمقه خمسة عشر قدما وعرضه ثلاثون مترا ، ليفصل بين الخط والأرض الفضاء .

وكان على رأس الخط الأول قلعة سميت ( قلعة الإسلام ) ، وكانت - كما وصفها بعض الإنجليز - أجمل القلاع شكلا ، وأقواها بناء ، وأحكمها موضعا ، وكان أيضا بين أبو حصص ودمنهور تل يمتاز على غيره من التلال بارتفاعه واتساعه ، اتخذ منه عرابي ظهيرا في حالة الارتداد إلى دمنهور .

وكانت دمنهور في أقصى درجة من المنعة ، لحشد المدافع الكثيرة بها ، وتخزين المؤن والذخائر فيها ، وجعلوا عليها عددا ضخما من المرباطين .

وكان الاعتماد على ترعة المحمودية من جهة ، وعلى السكة الحديد ( الإسكندرية - القاهرة ) من جهة أخرى ، وتم تحصين التلال القائمة بين المحمودية وسد أبو قير بالمدافع الثقيلة ، كما اتخذ من بحيرتي مريوط وأبو قير جناحه الأيسر ، فأقام على هذا الموقع استحکامات أخرى ، يصعب الهجوم عليه من جانبها ، اللهم إلا من بحيرة أبو قير ، ولهذا أعد عرابي هذا الموقع خطا للرجعة من دمنهور إلى القاهرة وردم في الوقت نفسه الخط الحديدي بالأتربة والحجارة .

ومن هذا يتبين أن هذه المنطقة المترامية الأطراف ، أصبحت مزانة بالحصون تعلوها مدافع ( كروب ) ، ولم يعد هناك مزيد من الاستحكامات ، أما الجيش العرابي فكان كله لايزيد - كما يقول ( ألفريد بلنت ) على ثلاثة عشر ألفا ، بينما يتكون المؤرخون المعاصرون لهذه الأحداث ، إن الجيش النظامي وحده كان يتكون من تسعة عشر ألفا ، يضاف إليهم بضعة آلاف من عربان البحيرة . والحقراء النظاميون ، الذين طلبهم عرابي من المديرين فكان نصيب البحيرة منهم ألفا ومائة واثنتين وسبعين خفيرا ، وهذا الجيش الذي عبأه عرابي من المصريين عربانا وفلاحين ،

نظاميين ومتطوعين ، سيكون له شأن أى شأن عند صد جيش الإنجليز الذى كان قوامه أكثر من ثلاثين ألفا ، بقيادة ( ولزلى ) ، حتى كتب الله النصر للمصريين على الإنجليز فى الميدان الغربى ، عند كفر الدوار .

وأصدر عرابى بوصفه القائد العام للنضال المصرى ، أوامره إلى اللواء خورشيد باشا طاهر لنقل كتيبته من رشيد إلى أبو قير بقيادة محمد بك أمين .

### مناوشات على حدود كفر الدوار

لم يعبأ عرابى ، والعرابين بمنشورات الخديوى الخاصه بعزل عرابى من ديوان الجهادية ( وزارة الحربية ) واعتباره عاصيا متمردا ، فقد كان الشعب المصرى عن بكرة أبيه مع عرابى قلبا وقالبا ، وجاء المؤتمر الشعبى المنعقد فى القاهرة وم ٢٣ يوليو ، بقراره الحاسم الذى دمج الخديوى بالمروق من الدين ، وخيانة الوطن ، بانحيازهم إلى العدو المغتصب ، واستعدائه على المصريين وزعماء ثورتهم التحررية ، وقد تولى الشيخ محمد عبده ابن البحيرة عرض الموقف بحكمته التى أكسبت العرايين عواطف الشعب .

وفى ٢٦ يولييه ، زحف ثلاثة آلاف جندى إنجليزى من ( الرمل ) على ( كفر الدوار ) فتصدى لهم أحمد البيار ومشاته ومصطفى عثمان بفرسانه ، وكذلك خورشيد طاهر بفرسانه من جهة أبو قير ، فأطبقوا على الأعداء ، فأنكشوا إلى مواقعهم مهزومين .

وبعد يومين ، عاد الإنجليز إلى الهجوم من ثلاثة مواقع : القبارى وكوبرى المحمودية والرمل ، وكان الجنرال ( وود ) قد نسف الأتربة والحجارة على الخط الجديدى وأصلحه ، وتقدم الإنجليز هذه المرة بقوات أكثر ، استطاعت أن ترد قوات العرايين ، وأن تكشف مواقعهم ، بعد أن تصدى المقدم محمد حشمت للقطار القادم بهم من الإسكندرية ، فعطل سيره بنيران مدافعه .

ولكن هذه المناوشات الإنجليزية على مواقع العرايين فى كنج عثمان ، وحجر البواتية ، وكفر الدوار ، كانت نذيرا باشتباك آخر .

## كفر الدوار تنسف قطارات الإنجليز

عاود الإنجليز هجومهم على كفر الدوار في يوم ٥ أغسطس سنة ١٨٨٢ ،  
جاموها من الإسكندرية في قطارات مسلحة ، تعززها قوات أخرى من (الرملة)  
و (القبارى) ، واشتبك الجيش والجيش ، فارتد العدو إلى الإسكندرية ، وكان  
عدده أضعاف أضعاف المصريين .

لم يفتّر عرائ برسوخ قدمه في الميدان ، ولم يثنه ذلك عن التفكير في الميدان  
الشرقي ، فقد أوفد اليوزباشى عبد الرحمن محمود ( وهو من عائلة محمود المعروفة  
بالرحمانية ) ومعه أربعون فارسا إلى معركة (القصاصين) بالشرقية ، وعاد الفارس  
المغوار منصورا على عدوه .

أما الإنجليز فقد ندموا على هجومهم السابق ، قبل أن يأتيهم المدد من إنجلترا  
ذلك المدد الذى نشنته ملكة الإنجليز فأوفدت ابنها (دوق أوف كانتوت ) قائدا  
للحملة ، فاشتد ساعد ( ولزلى ) ، فضاغف من قوته الضاربة .

وانقض الإنجليز على (عزبة خورشيد) ، فتصدى لهم المقدم محروس ، وكتيبة  
محمد فوده ، وتحركت مدافع أحمد عفت وسليمان تعيلب ورزق حمجازى ، وأسرع  
طلبة عصمت قائد حامية كفر الدوار ومعه فرقة من خيالة أحمد بك عبد الغفار ،  
واستمر القتال طيلة يوم كامل ، كبّد المصريون فيه عدوهم خسائر فادحة بفقد  
سبعة عشر ما بين ضابط وجندى ، بينما استشهد من المجاهدين الأبطال تسعة  
وعشرون منهم الضابط أحمد على ، والمقدم البطل محروس متأثرا بجراحه ،  
وانجملت معركة يوم ٢٠ أغسطس عن صعوبة مراس العرايين وقوة بأسهم .

وعاد الإنجليز للهجوم ثلاثة أيام متوالية ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ أغسطس وركزوا  
ضرباتهم على كفر الدوار ، ولكن العرايين صدقوا في الدفاع ، واشتبكوا مع  
الاعداء بالسلاح الأبيض ، حتى ردوهم على أعقابهم خاسرين ، يلعقون جراحهم تحت  
نخيل ( لرملة ) ، وأرسلوا كتيبة أخرى في قطار آخر ، فأطلق المجاهدون عليه  
النيران فأفنوا من كان به من الجنود والضباط ،

يش الإنجليز كل اليأس من (الميدان الغربى) ، فولوا وجروهم شطر



( الميدان الشرقى ) ، فانتقل إليه عرابي بعد أن منيت حملتهم الفاشلة على ( كفر الدوار ) بالهزيمة السكراء .  
واعترض عرابي أن يردم قناة السويس ، ولكن ( ديلسبس ) خدعه بإتصافه سرا مع الإنجليز على أن يمنع عرابي بعدم ردها .  
واستحكمت حلقات الخيانة ، وقدم الأعداء من القناة ، وحطموا معسكر ( التل الكبير ) دون اشتباك في معركة شريفة مثل ( كفر الدوار ) ، ومكنهم أتباع الخديوى من غزو القاهرة ، وقدموا للجنرال ( ولزلى ) هدية رائعة ، رمز الولاء للاحتلال الإنجليزي .

ودخل الإنجليز القاهرة ، والخديوى فى ركابهم ، وذلك يوم ١٥ سبتمبر ، وسار إلى ( كفر الدوار ) بطرس باشا غالى ومحمود روف باشا ، وتم إصلاح قطع ترعة المحمودية ، وتوجه عبد الله النديم أيضا إلى كفر الدوار ، فلما رأى ما حل بالعرايين ، أسرع بالتخفى عن الأنظار حتى لا يتبع فى قبضة الأعداء ، وعزل الخديوى كل صاحب منصب كبير من العرايين ، وأعاد أوليائه وخلصاءه فرجع إبراهيم بك توفيق مديرا للبحيرة كما كان ، وكذلك حسن بك البغدادي محافظ رشيد .

وذهب إلى ( كفر الدوار ) الجنرال ( وود ) بعد الاحتلال ، للوقوف على أسرار المعركة التي خذلهم فيها عرابي ، فاستقبله بها يعقوب بك سامى وكيل ديوان الجهادية ، وتم إحصاء كل شيء بها للعرايين ، فعرفوا أنه كان بها ستة آلاف مقاتل وسبعائة فارس بأدواتهم ، وخمسون مدفعا وخمسة عشر ألف بندقية ، ونقلت كل هذه الذخائر إلى القاهرة ، كما جمعت بنادق العرايين ومدافعهم من رشيد وأبوقير ومريوط والمكس ، وقد بلغت خمسين ألفا ، ونقلت مدافع طابية أصلان وحصون كفر الدوار إلى محطه الرمل ، وكان الإنجليز لم يعودوا يطيقون آثار هزيمتهم ، خشية العار .

وقد حاول الإنجليز والخديوى وصنائه أن يشوهوا سمعة عربان البحيرة فى انضمامهم إلى الخديوى بعد أن رشاهم ، ولكن ( ألفريد بلنت ) ، وقد كان صديق العرايين قد اعتمد على مذكرات أحمد بك رفعت ، فى استنتاج أنهم كانوا

صادقين في ولائهم للعرايين وجهادهم في صفوفهم ، ولكنهم خدعوا الخديوى واستولوا منه على أموال كثيرة ، ولم ينفذوا له مآربه . والحرب خدعة كما يقولون . وأثبت التاريخ أن الخونة هم الخديوى وحاشيته ثم الشركسى عمر لطفى عافظ الإسكندرية ومدبر حريقها ومذبحتها ، ومعه إبراهيم توفيق وحسن بك البغدادى ، ولكن محكمة الإسكندرية أصدرت حكمها بالنفى إلى مصوع خمسة عشر عاما على عبد الرازق علوان وكيل مديرية البحيرة بتهمة تحريض الثوار في دمنهور ، وأفلت المجرمون الحقيقيون من القضاء ، ولكنهم لم يفلتوا من حكم التاريخ ولم يسلم عرابي بعد ذلك من شناعة الحاقدين عليه . وهم الذين اتخذوا بالانتصار المزيف الذى حققه الخديوى باستعداد الإنجليز على مصر ، من هؤلاء المخدوعين نذكر اثنين :

الأول مصطفى باشا صبحى الذى كتب قصيدة في الشبابة بعراي وأخذيون من انتصاره في كفر الدوار ، يقول فيها :

وفى (كفرة الدوار) خلت مقامكم	منيعا فأظهرتم كين التحقـد
وحالفتمو إبليس فيها وقد خلا	لكم جوها فى فدفد بعد فدفد
فصفرتمسو تها ونقر بعضكم	ولاح لكم بيض به النصر يفقدى
وأظماتمو ( الإسكندرية ) حينما	منعتم وصول الماء من كل مورد

والآخر هو الشيخ حمزة فتح الله صاحب جريدتى (الاعتدال) و (البرهان) اللتين كان يصدرهما بالإسكندرية لحساب الخديوى ، وللطعن في حركة العرايين ، وقد استطاع عرابي في مذكراته أن ينقد مقالاته التى كتبها ضده ، ويثبت للسلأ تهافته وخيائته .

وأخذ الخديوى في التنكيل بأعيان البحيرة الموالين لأحمد عرابي ، وصدرت باسمه أحكام قاسية ضدهم ، فبعد ديسمبر سنة ١٨٨٢ حددت إقامات الشيخ أحمد محمود ( من الرحمانية ) مع وضعه تحت مراقبة الضبطية ( الشرطة ) وتغريمه ثلاثة آلاف جنيه مدة أربع سنوات ، وكذلك إبراهيم الوكيل ثلاثة آلاف جنيه لنفس المدة أيضا ، مع تجريدها من الرتب وعلامات الشرف والامتيازات الممنوحة لهم سابقا .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد كفى البحيرة فخرا أنها وقفت مع عرابي في كفر الدوار ورشيد وأبو حصص وزاوية غزال ودمهور حتى انتصر ، وكان لها من رجاله : محمد عبده وعبد الرحمن محمود ومحروس وغيرهم ، من أبطال البحيرة .

## البحيرة . . و ثورة سنة ١٩١٩

وفي ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ قدم الشيخ عبد الباقى سرور إلى دمنهور ومعه عشرات الآلاف من التوكيلات المطبوعة لتوقيع أبناء البحيرة عليها لتأييد الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول فى طلب استقلال مصر ، ليتندم بها إلى مؤتمر الصلح بلوزان . وأخذ الشيخ عبد الباقي يدرّب شبان دمنهور على المظاهرات عدة أيام ، وفى ١٧ مارس سنة ١٩١٩ قامت مظاهرة كبرى تطوف بأنحاء المدينة ، فأمر مدير البحيرة إبراهيم حليم باشا بتسليط خراطيم المياه الضخمة على المتظاهرين فكانت تجرفهم بقسوة ، كما أمر بالقبض على الشيخ عبد الباقي وإيداعه السجن ، فاشتدت ثورة الجماهير يوم ٢١ مارس سنة ١٩١٩ ، وتوجهوا إلى السجن فحطموه وأخرجوا منه الشيخ عبد الباقي ، واندمج المدير فى المتظاهرين فاعتدوا عليه ضربا بالنعال ، وكادوا يقتلونه لولا تدخل رجال الشرطة ، وسرعان ما أعلنت الأحكام العرفية ، وتشكلت محكمة يرأسها إنجليزى من إيرلندا ، وحكم على الشيخ بالبراءة لفصاحته وجرأته بينما صدرت أحكام متفاوتة على أبناء البحيرة الأحرار ومنهم الشيخ أحمد عبد الكريم وكان من كبار تجار دمنهور بسنة شهور سجن و ٢٠٠ جنيه غرامة وعلى الشيخ عبد السلام عبد الله بستتين سجن و ٢٠٠ جنيه غرامة ، كما حكم بجلد عدد كبير من الشباب الأبرياء ، ونصبت آلة الجلد فى ميدان المحطة ، وكان أول بجلود هو محمد أحمد ربه ، وتلاه محمود فرفور الذى استشهد فى سبيل الوطن أثناء جلده وقتل فى هذه المظاهرات اثنا عشر وطنيا منهم أمين محمد جوهر ، ومحمد سليمان محمد ، وأحمد محمد حسين ، وإبراهيم محمد عمر .

أما المحكوم عليهم بالغرامات المالية من الفقراء ، فقد جمعت لهم الأموال فى سرعة فائقة ، وبدون إرهاب لا أحد ، إذ فرضت قيادة الثورة فى دمنهور على كل فرد مقتدر خمسة قروش ، فضلا عن تبرعات الأغنياء فأطلق سراحهم ، وواصلوا

الكفاح في سبيل الحرية وهم يتلقفون ما يكتبه أصحاب الأقلام النائرة من أبناء البحيرة ، وعلى رأسهم الشيخ عبد الباقي سرور في مجلة « الأفكار » بعنوان « ولنا لاندرى أشر أريد بمن في الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدا » .  
 وصدر أمر عسكري بالأحكام العرفية وبمقتضاها يمنع الاهالي من الخروج فيما بين الساعة مساء والرابعة صباحاً ، ومنع السفر من دمنهور وإليها إلا بجواز رسمي .

وفي مركز كوم حماده ، تظاهر العرب بها ، تأييدا للحركة الوطنية ، فأرسلت السلطات الإنجليزية قوة من جنودها لقمع المتظاهرين

وفي رشيد قامت مظاهرة سلمية يوم ١٧ مارس ، اتجهت من جنوب المدينة إلى شملها ، وانضم إليها جميع أهل رشيد فتصدى لهم مأمور المركز محمد مصطفى حجاب ، وأمر بإطلاق الرصاص عليهم فاستشهد منهم إبراهيم زيدان من أبناء الاعيان فثارت ثائرة المتظاهرين ، وانقضوا على المركز ورشقوه بالحجارة وأشعلوا فيه النار ، وأتلفوا قضبان السكة الحديد ، وأعمدة التلغراف والتليفونات ، ولجأ المأمور إلى إحدى العزب المجاورة لرشيد ، خشية أن يفتك به المواطنون الثوار .  
 غير أن الغيورين منهم ألفوا لجنة من بينهم لحفظ النظام حتى لا يستشري الفساد .  
 وفي اليوم التالي حضر إلى رشيد ضابط إنجليزي على رأس قوة من الجنود الهنود ، والمأمور صاحبهم فألقى القبض على تسعين رجلاً أرشد عنهم المأمور منهم محمد سمك ، وعبد الحميد سمك ، وعبد العزيز عجمية الناجر وعضو المجلس المحلي وأحمد الجارم الطالب بكلية الحقوق ، وعبد الحكيم الجارم ومحمود الطويل الناجر ، ونقلوا مقبوضاً عليهم إلى سجن الحدرام بالإسكندرية ، وأحيل ستون من أهل رشيد إلى المحاكمة بين يدي ضابط من الإنجليز ..

وفي منتصف ليلة ١٢ إبريل هاجم الإنجليز قرية ( كفر مساعد ) التي تبعد عن ( صفط الملوك ) بنحو خمسة كيلو مترات بحثاً عن شخص أطلق الرصاص على داورية بريطانية ، كانت مكلفة بحراسة السكة الحديد ليلاً في هذه المنطقة .  
 حاصر الجنود الإنجليز ( كفر مساعد ) وأخرجوا أهلها من بيوتهم وعرضوهم

على رجال الحراسة التعرف على المتهم ، وفقشوا البيوت والجرون ، وساقوا السكان إلى محطة صفط الملوك وقتلوا منهم يوسف مبروك .

وقيل أن يبرزغ الفجر انقضوا كالغيلان على ( شبرا الشرقية ) على مسافة ألفي متر من ( كفر مساعد ) وفعلوا بها ما فعلوا بكفر مساعد .

وطلع الصباح عليهم وهم يهاجمون ( كفر الحاجة ) والعزب التي حولها وأفحشوا في انتهاك حرمت أهلها ، وساقوا الفلاحين من حتمولهم ، على دوى طلقات البنادق واعتقلوا أهالي هذه البلدان الثلاثة بمحطة ( صفط الملوك ) وحجزوهم على رصيف قطار نقل البضائع بين صفين من الجنود شاهرين السلاح .

حاول الأستاذ محمد توفيق عمران المحامي من أهل ( كفر الحاجة ) وجر جس بولس من أهل ( كفر مساعد ) إقناع القوة الإنجليزية ببراءة المعتقلين ، فلم يأبهوا لكلامهما ، وسبق الخمسة مئة معتقل إلى المحكمة وسئلوا واحداً واحداً ، فلم يقر منهم أحد بشيء ، ودلوا على براءتهم ،

ومع ذلك صدرت عليهم أحكام مشمولة بالنفاذ العاجل ، بأن سيق كل منهم إلى كشك صغير على رصيف المحطة وبه الجنود الإنجليز فزقوا ملابسهم وسلبوهم نقودهم وجلدوهم بالسياط ، ثم كانوا يخرجون لتتناولهم قوة أخرى تركلهم بالأرجل ، وتضربهم بالأيدى ، وأغمى على بعضهم ، وتقيأ البعض الدم ، ولم يراعوا شئبة الكبير ، ولا مقامه في أهله ، ومنهم العلماء والأعيان .

وفي أبريل تشكلت محكمة في الإسكندرية للنظر في حوادث رشيد . وصدرت الأحكام بالأشغال الشاقة لمدة تراوح بين خمس سنوات وبين أقل من سنة على الآتية أسماؤهم نذكرهم هنا للتاريخ ، ولتعلم الأحفاد مقام به الآباء والأجداد من نضال في سبيل الوطن :

الطالب عبد العزيز محمد سمك ومحمود الطويل وأحمد خليل كرات ، ومحمد ماضي ، وأبو النصر طهيخة ، وسعد محمد عبد العال الأشقر ، وأحمد البزم ، ومحمد محمد كونه ، وعبد المنفلوطى ، ومحمد الخضرجى ، ومصطفى الإيازرى ، وأحمد زيدان المباريدى ، ومحمد زروق ، وبسبوني علما ، وأحمد الزهار ، والطالب محمد عزى الصياد ، وعلى على الرزى ، وحسين الكزبرى ، وعلى على أبو سلم ، وعلى

على دياب ، ومحمد محمد البحيرى ، وفرج فرج أبو دياب ، وعبد الفتاح ترك ،  
وعبد الحميد سمك ، وعبد القزق - والسيد منسى ، وحسين على الفشن ومحمد محمد  
سمك ، ومرسى نجيب القزق ، وعبد الحكيم الجارم ، وعبد المحسن شهاب ، وأحمد  
حراز ، وعبد الحكيم جبرى ، ورائف كمال فضلى ، وسيد أحمد أحمد بريس ، ومحمود  
إبراهيم تيجلان ، وإبراهيم الدنف . وعلى الأنكه ، ومحمود على الفشن ، وعبد  
السيد ، وجمعه يوسف مراد ، ومحمد العيونى ، وعلى فايد ، وحسن البربرى .  
ومن هذا يتبين أن هؤلاء جميعا كانوا من أهل رشيد طلبه وتجارا ، يتساوى  
فى ذلك أبناء الأسر العريقة وأبناء الأسر الأخرى . ولكن هكذا الوطنية ،  
تجمع الكل دفاعا عن شرف الأوطان .



# ٦ أعلام البحيرة في موكب النور

بحيرى .. وبحراوى

في الصفحات التالية ، يشهد النارىء موكبا طويلا عريضا من أعلام البحيرة منذ أقدم العصور التى أرخت لهم ، ويرى ملامح متعددة لمالقة كبار فى شتى ضروب المعرفة والكفاح .

نعم ، لقد حفلت مدن البحيرة وقراها وكفورها برجال الدين المسيحى ، والدين الإسلامى فى الثقافة الإسلامية قديمها وحديثها شعرا ونثرا ، كتابة وصحافة ، فنشروا العلوم الدينية والدنيوية ، من فقه وحديث وتفسير وتاريخ وجغرافيا وفلك وميقات وأدب وطب وسياسة واقتصاد ، وغير ذلك .

ومن البحيرة ، خرج هؤلاء الأبطال إلى ما حول البحيرة : إلى الإسكندرية وطنطا والقاهرة ، ثم إلى عالم أوسع هو العالم العربى والإسلامى فى تونس والسودان والشام والعراق واليمن والهند والبنغال ، فنشروا فى العالم ما وهبهم الله به من دين وخلق وعلم وفن .

ومن البحيرة ، كان كبار المفكرين ، وأعوان الحرية فى الصحافة والإصلاح الاجتماعى ، والنضال القومى ، وكان منهم الوزراء والقضاة والولاة وأهل الفتوى والتدريس وشيوخ الأزهر ، وأرباب السيف والقلم ، وبذلك كله سجلوا أمجد المفاخر لأنفسهم ولإقليمهم ، وللقرى والكفور التى أنجبته .

وكثيرا ما كان ينسب هؤلاء الأكابر إلى الإقليم ، فيقال « البحيرى » ، وذلك أن نعمة « البحرأوى والصعيدى » كانت مسيطرة على العقول ، ردحا طويلا من

الزمن ، وأحيانا ما كانت تذهب الفتن بين هؤلاء وهؤلاء ، إذا انتقلت مشيخة الأزهر من الصدايدة إلى البحاروة أو بالعكس .  
على أن كلمة « البحراوى » إنما تدل غالبا على النسبة إلى الوجه البحرى ، بينما « البحرى » نسبة إلى البحيرة ، وكثيراً ما نصادف هؤلاء وهؤلاء فلا نستطيع التمييز بين من ينسب منهم إلى الوجه البحرى ، ومن ينسب إلى البحيرة ، وسنشير إلى ذلك فى مكانه كلما أشكل علينا الأمر .

وعلى كل حال ، فإننا سنعطى لكل مدينة و لكل قرية و لكل كفر فى البحيرة ، ما يستحقه من البحث فى المعاجم و الفهارس ، حتى نكشف عن أعلام كل بلد ، و التنويه بمؤلفاتهم و ما أثرهم ، قدر الاستطاعة  
ولنبداً أولاً بالأعلام الذين ورد ذكرهم فى المراجع و يلقبون بالبحيرى ، ثم نخصص لكل بلد أعلامه حسب التسلسل التاريخى .

#### — سليمان بن شعيب البحرى —

ذكره السخاوى فى الجزء الثالث من « الضوء اللامع » : وهو سليمان بن شعيب ابن خضر البحرى ثم القاهرى ، كان مالكي المذهب ، ولد بعد سنة ٨٣٦ هـ و قدم القاهرة ، و اتفوع بأستاذه النور السنهورى فى الفقه و لازمه ، و أخذ أصول الدين و المنطق عن التقي الحصى ، و أخذ عن الجمال عبد الله الكورانى ، و العللاء الحصى و التقي الشمنى ، و ابن الملقن ، و الشهاب الحجازى ، و أم هانئ الهورينية ، و تصدر للفقه بالأزهر و غيره ، و ناب عن السراج بن حريز ثم عن بنبيه فى تدريس فتمه المالكية بجامع طولون ، و عن ابن شيخه السنهورى بالبروقية ، و نزل بترية الأشرف قايتباى .

#### — نور الدين البحرى —

ذكره التميمكى فى « نيل الابتهاج بتطير الديباج » .  
وهو نور الدين على بن موسى بن جلال البحرى المالكى ، ولد بالبحيرة سنة ٨٥١ هـ ، و أخذ الفقه عن البرهان إبراهيم اللقانى و السنهورى ، و حج سنة ٨٩٥ هـ .



— ٤٥٩ —

وذكره أيضا رمضان حلاوة في تعليقاته على « دستور الإعلام » ، ولكنها لم يذكر تاريخ وفاته ، أو شيئا عن جهوده العلمية .

— عبد الله البحيرى —

ذكره السخاوى في الجزء الخامس من « الضوء اللامع » ، ولم يزد على قوله :  
عبد الله بن عبد الواحد البحيرى مات سنة ٨٥٩ هـ .

— أحمد بن إبراهيم البحيرى —

ذكره السخاوى في « الضوء اللامع » ، بالجزء الأول :  
وهو أحمد بن إبراهيم بن أحمد البحيرى الحانكي ثم المكي ، ولازم السخاوى في الإملاء وغيره بمكة المكرمة في الرحلة الثانية سنة ٨٧١ هـ ومات بعد ذلك .

— شمس الدين البحيرى —

ذكره السخاوى في الجزء العاشر ، وهو محمد شمس الدين البحيرى أحد قراء  
الدهيشة ، ضربه السلطان وأودعه سجن المقشرة لجريمة ارتكبها حتى مات في  
ربيع الثاني سنة ٨٩٥ هـ .

— أحمد بن إسماعيل البحيرى —

ذكره السخاوى في « الضوء اللامع » ، بالجزء الأول :  
وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الشيخ جمعة البحيرى الأصل ، القاهرى ،  
كان مصرفا بباب سكة الجمالى في وقت حسبته وقبلها ، وكان المشهور في الحسبة ،  
وجده ( جمعة ) له ضريح بدمشق .  
نشأ أحمد مع أبيه في خدمة قائم التاجر الاتابىكى ، فالأب كان المهتار ،  
والابن كان في الطشتخانة ، وسافر معه إلى الروم ، وزار بلادا كثيرة ، وأخيراً  
اقتصر على خدمته حتى أصبح برد داره ، ومات في جمادى الأولى سنة ٨٩٨ هـ عن  
بضع وسبعين سنة ودفن بجوار أبيه ، [ وكان عامياً محضاً ] كما يقول السخاوى .

### - شهاب الدين البحيرى -

ذكره ابن العماد في «شذرات الذهب»<sup>(١)</sup> والغزى في «الكواكب السائرة»<sup>(٢)</sup> وكحالة في «معجم المؤلفين»<sup>(٣)</sup>.

وهو شهاب الدين أحمد البحيرى المالكي الشاعر العالم بالعربية ولاسيا التصريف ، توفي سنة ٩٢٩ هـ

### - عمر بن صالح البحيرى -

ذكره السخاوى في الجزء العاشر من «الضوء اللامع» ،

وهو عمر بن صالح بن السراج البحيرى المالكي ، اشتغل بالعلم وتكسب بالشهادة ، وناب في القضاء ، وتنزل في الجهات ، وقال عنه السخاوى [ وليس بمحمود قضاء ومعاملة ]

### - وولده : محمد بن عمر البحيرى -

ذكره السخاوى أيضاً في الجزء الثامن وقال إنه سمع منه

### - محمد البحيرى الصوينى -

ذكره السخاوى في الجزء العاشر من «الضوء اللامع» ،

وهو محمد بن محمد بن يس بن حسين المغربي البحيرى الأصل الصوينى ( نسبة إلى صوينة من أعمال برهمتوش بالشرقية ) القاهري المالكي ، ولد بصوينة في ١٠ محرم سنة ٨٧٣ ، واشتغل بالفقه والتصوف والعربية ، وأخذ عن البرهمنى ، وكان نزول زاوية الحنفى ، ونظم الشعر ، وسمع المسلسل من السخاوى ، وبإدلا الرسائل شعراً .

### - على البحيرى -

ذكره الشعرانى في «الطبقات الكبرى» ، وأشار إلى أنه هو الشيخ على

(١) - ٨ ص ١٦٣

(٢) - ١ ص ١٥٥

(٣) - ١

البحيرى الذى كان يقيم فى القرى يعلم الناس ويفقههم فى أمور الدين والدنيا ، وكان أخذ العلم عن النبتى وابن الأقطيع ، وكانت فتاواه ترد على مصر ، فيتمجّب العلماء من حلاوة لفظها ، وكثرة ما فيها من تخويف الخصوم ، حتى يعودوا إلى الصواب ، ويرجعوا إلى الحق ، وتوفى فى شوال سنة ٩٥٣ هـ ودفن بنواحي سيدى محمد المنير بالإسكندرية ، كما يفهم ذلك من تعليق رمضان حلاوة على دستور الإعلام .

#### - حيدر باشا يكن -

ذكره إلياس زاخوره فى « مرآة العصر » ، وهو حيدر باشا يكن ابن إبراهيم باشا يكن ابن أخت محمد على . ولد بالين سنة ١٢٥٦ واستقدمه خاله إلى مصر سنة ١٢٥٩ مع ابنه وكان يحب البحث والاطلاع على الفلسفة والعلوم والشعر ويميل إلى مجالسة العلماء والأدباء ، وكان رئيس مجلس دمياط فديرا للقلوبية ثم الدقهلية فرئيسا لمجلس استئناف مصر فوكيلا لبيت المال ثم مديرا للبحيرة ، وبعدها نقل أمينا لبيت المال ، وفى سنة ١٨٧٩ أصبح وكيلا لوزارة الداخلية ثم وزيرا للبالية ، وشغل هذه الوظيفة عدة مرات فى عدة وزارات وكذلك فى وزارة نوبار باشا وظل حيا إلى ما بعد سنة ١٨٨٤ .

#### - السيد أباطه باشا -

ذكره أمين باشا سامى فى « تقويم النيل » ، كان مديرا للبحيرة من ١٢٧٢ هـ إلى ١٢٧٥ هـ نقل بعدها وكيلا لوزارة الداخلية ، فديرا للقلوبية سنة ١٢٧٩ . ثم منح رتبة باشا ، وصار وكيل تفتيش عموم الأقاليم سنة ١٢٨٦ ثم مدير عموم الوجه البحرى سنة ١٢٨٧ هـ .  
- أحمد خيرى باشا -

ولد سنة ١٢٦٩ هـ فى الحفير بالسودان حيث هاجر أبوه السيد يوسف من ( هوت ) غربية وينتمى إلى السيد محمد المغازى الشهير بسيدى غازى ، وتوفى يوم ٢٥ صفر سنة ١٣٤٣ هـ مصر ودفن بالقرافة .  
كان مديرا للبحيرة ونال الباشوية بفرمان عثمانى سنة ١٣١٤ وبعدها بعامين

فصل من الحكومة ثم كان أول مدير للأوقاف الخديوية سنة ١٣١٧ ، ثم ناظرًا للخاصة بعد وفاة دى مرتينو باشا ، وحج مع الخديوى عباس الثانى سنة ١٣٢٧ ، وعندما بنى مسجد الرفاعى بالقاهرة أصر على زخرفته بالرخام المصرى بينما أصر المهندس هرتس مدير الآثار المصرية على زخرفته بالرخام الإيطالى .

وكان من أعز أصدقائه عبد اللطيف بك الصيرفى الشاعر الذى سئذ كره فى أعلام بلقطن ، وقد حظى من شعره بالكثير وهو يتقلب فى مناصب الحكم .

وقد حدثنى ولده السيد أحمد خيرى أن الصيرفى بك كان السبب فى شراء والده للأرض التى أقيمت عليها الآن روضة خيرى باشا الحالية ، والتى كانت منذ ٦٥ عاما تسمى ( كوم المجاير ) ، ثم عرفت باسمه إلى الآن تخليداً لمآثره وتضم مكتبة خيرى التى تعزى بها روضة خيرى والتى وضع نواتها بألف كتاب ، وظل نجله السيد أحمد ينمىها حتى أصبحت تضم أكثر من عشرين ألف مجلد من أنفس الكتب فى شتى ضروب المعرفة من عربية وتركية وإنجليزية وفرنسية ، وقد تيحى لى فرصة زيارتها ولقيت السيد أحمد خيرى فإذا به الرجل العالم الفاضل ، أمد له فى عمره ونفع به .

وقد عرفت بلدية دمنهور لأحمد خيرى باشا فضله على البحيرة ، فأطلقت اسمه على أهم شوارع دمنهور وهو المعروف الآن بشارع خيرى .  
وفى كتاب « المدايح الحسينية » لابنه السيد أحمد خيرى ترجمة مستفيضة لوالده .



## أعلام دمنهور

### - حسام الدمنهورى -

ذكره المنذرى فى الجزء ٢٥ من « التكملة لوفيات النقلة » ، فقال إنه فى يوم ٤ من ذى القعدة سنة ٦٩ هـ توفى أبو المهند حسام الدمنهورى ، سمع من عالم الإسكندرية الحافظ السلفى ، أشهر أهل زمانه فى علم الحديث ...  
وكان المنذرى دقيقاً حين قال [ إنه منسوب إلى ( دمنهور الوحش ) البلد المشهور ، على مسيرة يوم من ثغر الإسكندرية ، وهى قصبة عاصمة البحيرة وإليها تنسب الثياب الدمنهورية ] .

### - الجلال الدمنهورى -

ذكره المنذرى فى الجزء ٤٥ من « التكملة لوفيات النقلة » ، فقال إنه الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى نصر الإسكندرانى الشافعى ، الشهير بالجلال الدمنهورى ، توفى بدمشق فى رمضان سنة ٦٢٨ هـ ، ولم يحدث بشئ .

### - عبد الرحمن الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى « تحفة الاحباب » صفحة ٣٨٩ فقال : الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى الحسن بن يحيى الدمنهورى الشافعى ، وكان عاقداً بمدرسة الصالحية وتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

وقال عنه ابن الزيات فى « الكواكب السيارة فى ترتيب الزياره » ، إن قبره - وهو من القبور الدارسة موجود فى سفح ( المقطم ) .

### - عماد الدين الدمنهورى -

ذكره ابن عزم فى « دستور الإعلام » : وهو عماد الدين عبد الرحمن بن أبى الحسن بن يحيى الدمنهورى ولد سنة ٦٠٦ هـ وتوفى فى رمضان سنة ٦٩٤ هـ وكان شافعى المذهب ، ومن مؤلفاته « نكت على التنبية » ، وقال عنه السيوطى فى « حسن المحاضرة » ، إنه كان من مشاهير التابعين بمصر .

### - صالح الدمهورى السنجارى -

ذكره ابن حجر فى « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » ، وهو صالح بن أبى بكر بن إبراهيم بن أبى بكر بن إسماعيل بن محمد السنجارى الأحملى ( من سنجار من أعمال البرلس ) الإسكندرانى تقي الدين . ولد سنة ٦٦٦ هـ بدمهور ، ونشأ فى الإسكندرية ، رسمع على محمد بن إبراهيم بن ترجم ، ومحمد بن عبد الخالق بن طرخان والأبرقوى ، وأجاز له الديماطى ، وابن دقيق العيد ( عالم قوص ) والقوى ، قال عنه ابن رافع : كان رئيساً يحب الفقراء ، [ ودرس بالإسكندرية ، وكان أمين الحكم بالقاهرة ، وتولى أمانة الحكم بها مدة طويلة ، كما تولى مشيخة الطيرسية وحدث ، ولم يحدد ابن حجر أو ابن رافع تاريخ وفاته ، وذكره البدر النابلسى أيضاً فى معجمه ]

### - محمد الدمهورى -

ذكره ابن حجر فى « الدرر الكامنة » فقال إنه : محمد بن أبى بكر بن عبد المنعم بن ظافر بن مبادر اللخمى ناصراً الدين الدمهورى ثم الفاقوسى ثم الإسكندرانى ولد سنة ٦٦١ هـ وسمع من منصور بن سليم ، ومحمد بن سليمان المعافى ، وتوفى فى ذى الحجة سنة ٧١٨ هـ ، وكان « ابن البورى » آخر من حدث عنه بالإسكندرية .

### - تاج الدين الدمهورى -

ذكره السيوطى فى « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » ، فقال إنه عبد الله بن أبى بكر بن عوام بن إبراهيم بن فارس بن أبى القاسم بن محمد بن إسماعيل ابن على الشافعى النحوى تاج الدين الإسكندرى الأسوانى الأصل .

ولد بدمهور سنة ٦٥٠ هـ ومهر فى العربية وأخذها عن ( حافى رأسه ) ودرسها بالإسكندرية وسمع الحديث ، وصحب أبا العباس المرسى وكان من أهل الخير تذكر عنه كرامات ، ومات بالإسكندرية فى شعبان سنة ٧٢١ هـ .

وقال عنه الإدفوى فى « الطالع السعيد » إن أمه بنت أبى الحسن الشاذلى ، وقال أيضاً إنه اشتغل بالنحو والتصريف والتصوف .

أما ( حافى رأسه ) هذا فهو شيخ أهل الاسكندرية فى النحو ، وعليه تخرج الكثير من أهلها ، وتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، كما جاء فى « البغية » ، أو سنة ٦٩١ كما قال « ابو جيان » .

- السراج الدمهورى -

ذكره السيوطى فى « بغية الوعاة » ، وقال : إنه من أخذ عنهم الحسن المرادى اللغوى النحوى الفقيه المعروف بابن أم قاسم ، وقال إنه توفى سنة ٥٧٤٩ هـ .  
- برهان الدين الدمهورى -

ذكره ابن فهد فى « لحظ الألاحاظ » ، وقال إنه : الإمام برهان الدين إبراهيم ابن على بن هبة الله بن على الدمهورى ، سبط الشيخ أبى الحسن الشاذلى وتوفى سنة ٥٧٤٩ هـ .

- سكينة الدمهورية -

ذكرها العراقى فى « ذيل على ذيل كتاب العبر » ، وهى سكينة بنت أبى الحسن على أبى القاسم عبد الله بن الدمهورى ، ولدت بالإسكندرية بعد سنة ٦٧٠ هـ توفيت بها فى ١٨ ربيع الآخر سنة ٧٦١ هـ ، وهى بنت عمه شهاب الدين محمد أحمد بن أبى الحسن الشاذلى ، وقال إنها قاربت المائة من عمرها .

- أبو العباس الدمهورى -

ذكره حسن السندوبى فى كتابه « أبو العباس المرسى » ، قال : إنه يتحدث عن أبى العباس المرسى بقوله « سيدى أبو العباس المرسى ملك من ملوك الآخرة ، ما من أسوان إلى دمياط وإلى الإسكندرية رجل مثله » .  
ونقول إنه لابد أن يكون معاصراً لأبى العباس المرسى المتوفى سنة ٦٨٦ هـ فهو إذن من القرن السابع الهجرى أو أوائل القرن الذى يليه .

- علم الدين الدمهورى -

ذكره العراقى فى « ذيل ذيل كتاب العبر » ، فقال : إنه علم الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن نصر الله بن أبى القاسم بن عبد الله بن طلائع بن القاسم السكتانى الدمهورى ، المحدث ، سمع على العتبى مشيخة سبط السلفى ، وعلى الجلال بن عبد السلام بعض « الموطأ » لابن مالك ، وعنى بالحديث ، وحدث ، وسمع من الهيثمى ومن والد العراقى وغيرهما .  
وتوفى بدمهور فى أواخر محرم سنة ٧٦٥ هـ .

- ابن مسكين قاضى دمنهور -

ذكره ابن بطوطه فى رحلته ، فقال إنه :  
[ قاضى دمنهور فى ذلك العهد فخر الدين بن مسكين وهو من فتناء الشافعية  
وتولى قضاء الإسكندرية بعد أن عزل عنها عماد الدين الكندى ] .  
ومعنى ذلك أنه من أهل القرن الثامن الهجرى ، لأن ابن بطوطه توفى  
سنة ٧٩٧ هـ .

- عمر الدمنهورى -

ذكره ابن فهد فى «لحظ الألاحظ» فقال إنه: السراج عمر بن محمد الدمنهورى  
وقال إنه أخذ عن العراقى ، وتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ .

- ابن مرزوق الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ،  
فقال إنه : محمد بن على بن عبد الرازق بن محمد بن أحمد بن يوسف الدمنهورى  
الأصل ، السكندرى المالكي ، ويعرف بابن مرزوق ، ولد سنة ٧٧٥ هـ تقريبا  
بشعر الإسكندرية وذكره البقاعى مجردا ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، ومعنى ذلك  
أنه توفى فى القرن التاسع الهجرى .

- السنهورى الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى الجزء السابع من «الضوء اللامع» :  
وهو محمد بن أحمد بن على بن خليل السنهورى الدمنهورى ، ولد بدمنهور فى شعبان  
سنة ٧٨٦ هـ ، وقدم القاهرة ، وكان يعمل فى الحمامات يخلق ويغسل روادها .

- ابن عماد الشمس الدمنهورى -

ذكره أيضا فى الجزء السابع .  
وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عماد الشمس الدمنهورى المكي العطار  
- محمد بن أبى الخير الدمنهورى -

ذكره أيضا فى الجزء السابع .  
وهو محمد بن أبى الخير بن محمد بن عمر الدمنهورى الأصل ، المكي الحريرى ،



والمشهور بابن أبي الخير الدمنهورى ، برع فى الميقات وتميز .

- الجمال الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى الجزء الثامن :

وهو محمد بن على بن يعقوب الجمال الدمنهورى سمع ، من السخاوى

- أحمد بن أبي بكر الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى الجزء الاول من د الضوء اللامع ، :

وهو أحمد بن أبي بكر بن محمود بن محمد الدمنهورى ، القاهرى سمع مع

أبيه على الصلاح الزفتاوى والحلاوى والسويداوى والأبناسى والقهارى وابن  
الشيخة والمراغى ، ذكره البقاعى ، ويقول السخاوى د ومالقيته .

- ابن عماد الدمنهورى -

ذكره السخاوى بالجزء الثانى فى د الضوء اللامع ،

وهو أحمد بن محمد بن عماد الدمنهورى ثم المسكى ، تعيش من العطر بمكة وقد

قدمها بعد الثمانين بقليل ، وكان أيضا ينسخ كتب العلم ويرعب فى تحصيلها مثل

سيرة ابن هشام و « الرياض النضرة » للجب الطبرى ، وكان له أملاك بالحزورة ،

وافترق بعد الثغنى ، حتى مات فى شعبان سنة ٨٦٦ ودفن بالمعلاة بعد أن جاوز

السبعين ، وكان من أهل الخير والدين ، وأرخه الفاسى فى د تاريخ مكة ، .

- ابن كمال الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى الجزء الاول من د الضوء اللامع ، :

وهو أحمد بن أحمد بن عثمان شهاب الدين أبو العباس الدمنهورى ، ويعرف

بابن كمال ، ولد بدمنهور ، وقرأها القرآن وجلس مع الشهود بمصر ، وصحب

قاضى دمنهور الزين الأنصارى ، وتردد معه على مكة المكرمة ، وجاورها عدة

سنوات ، ورحل إلى القدس ودمشق ، وكان ممن يمدح النبي عليه السلام فى آخر

الليل بمنارة باب العمرة عدة سنوات ، وتزوج ثم مات عند بيت الزمزمى فى

٢٠ من المحرم سنة ٨٢٤ ، ودفن بالمعلاة ، وقد جاوز السبعين ، وخلف طفلا ،

وترجم له التقي الفاسى فى د تاريخ مكة ، وابن فهد فى معجمه ، وابن حجر فى

د الأنباء .

### - أبو بكر الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى الجزء العاشر :

وهو أبو بكر بن محمود الزين القرشى الدمنهورى السعودى شيخ زاوية أبو السعود الواسطى داخل باب القنطرة ، وعُتسب سوق أمير الجيوش وكان أحد تجاره . توفى فى ذى الحجة سنة ٨٥١ هـ عن سن عالية ، وكان مولده قبيل ٧٧٠ هـ .

### - نور الدين الدمنهورى -

ذكره السخاوى بالجزء الخامس من الضوء اللامع .

وهو على بن محمد بن أحمد بن محمد بن عماد نور الدين الدمنهورى الأصل المكي العطار هو والده من قبله صاهر عبد العزيز ابن على الدقوقى ، ومات بمكة فى شوال سنة ٨٧٢ هـ وأرخ له ابن فهد فى معجمه .

### - أبو الخير الدمنهورى -

ذكره السخاوى فى الجزء التاسع :

وهو محمد بن محمد بن محمد بن الخضر أبو الخير بن العلاء الدمنهورى القاهرى تكسب بالشهادة كأبيه واختص بالتاج بن المقسى وتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

### - ابن مسعود الدمنهورى -

ذكره السخاوى بالجزء الثالث من « الضوء اللامع » .

وهو شعبان بن عبد الله بن محمد الدمنهورى الشافعى المعروف بابن مسعود ، اشتغل بالفقه وقرأ القراءات عن الزين جعفر السهوى ، وصحب بلديه الشيخ محمد البلقطرى ، وبعد موته تزوج بابنته ، وخج وتصدى للتسليك (التصوف) والتربية ، وانتفع به كثيراً أهل البحيرة ، وزاد اعتقادهم فيه ، وعنى « بالترغيب » للمندرى ، ونقل منه ، وحصل على نسخة من ( القول البديع ) للسخاوى ، وتوفى فى ربيع الأول سنة ٨٨٩ ، وقد جاوز الستين ، وأسف عليه أهل البحيرة .

### - الرواوى الدمنهورى -

ذكره ابن عزم فى « دستور الإعلام »

فقال إنه : الزواوى المدفون بدمنهور الوحش بالبحيرة ، وهو العابد الزاهد ، الذى كان جزل الالفاظ والمعانى ، وتوفى سنة ٩٢٣ هـ .

### - محمد الهلباوى الديمهورى -

ذكره أمين سامى باشا فى « تقويم النيل » جزء ثالث . فقال إنه الشيخ محمد الهلباوى الديمهورى ، وكان كاتب الإنشاء العربى لشيخ البلد على بك الكبير ، فهو إذن من أعيان القرن الثانى عشر الهجرى .

### - ابن صيام الديمهورى -

ذكره رمضان حلاوة فى « دستور الإعلام » والجبرى . وكحالته فى « معجم المؤلفين » ومحمد عبد الله عنان فى « تاريخ الجامع الأزهر » وورد ذكره أيضاً فى « فهرست الكتبخانة الخديوية » فى الجزء الأول ، كما ذكره سليمان رصد فى « كبر الجواهر » .

وهو الإمام أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الديمهورى المذاهبي الأزهرى لأنه كان يفتى على المذاهب الأربعة وأجاز له علماءها . ولد بدمهور سنة ١١٠١ هـ ، ثم قدم إلى الأزهر فى صغره بعد أن توفى أبوه . فلم يجد من يكفله ، فحصل العلم ونبتغ ، وأجاز له علماء المذاهب الأربعة ، وأفتى بدمهور [ ولكن - كما يقول الجبرى - لم ينتفع بعلمه ولا بتصنيفه لبخله فى بذله لأهله ولغير أهله ، وربما يبيح فى بعض الأحيان لبعض الغرباء فوائد نافعة ] .

وتولى مشيخة الجامع الأزهر بعد الشيخ الحنفى ، وكان الأمراء يهابونه ، لأنه كان يقول الحق ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، وكان يأمر بالمعروف ، سمحاً بما عنده من أمور الدنيا ، وكان الملوك يقصدونه من كل قطر ، وأهدوه التحف والطرائف ، وكان يحله ولاية مصر من الأتراك ، وحج فى سنة ١٧٧٧ هـ فقدم عليه رئيس مكة وعلمائها لزيارته ، وقد مدحه الشيخ عبد الله الإداوى بقصيدة قال فيها ، يهنئه بالعوة من الحج :

لقد سررنا وطاب الوقت وأنشرفت صدورنا حيث صح العود للوطن  
فالعود أحمد . قالوه وقد حمدت بدأ وعوداً مساعيكم بلاغب  
فأنت أجدنا بل أنت أرشدنا وأنت د أجدنا ، فى السر والعلن  
دعأونا أرخوه ثم أوجدنا قد بر حجك يا علامة الزمن

وكان على الثقافة ، كثير التحصيل ، حضر على الشيخ الشبراخيتى وعبد الفتاح الديماطى ، ذكرهم فى قائمة شيوخه المسماة « اللطائف النورية فى المنهج الديمهورية » وهو مخطوط بمكتبة سوهاج تحت رقم ٣٢١١ ج .

وقد حكى الجبرقي أن حسن بك الجداوى فر إلى بولاق ، والتجأ إلى منزل الشيخ أحمد الدمنهورى ، ثقة بمكانته عند المالك ، من أتباع محمد بك أبو الذهب ، الذين كانوا يطاردونه ، فطلبوا من الشيخ أن يسلمهم إياه ، فرفض ، ولم يجرؤوا على القبض عليه مادام فى بيت هذا الشيخ الوقور ، ولكنه أدرك أنهم لا يراعون لكبير حرمة أو مقاما ، ففر الجداوى من البيت ، وتسلىق الأسطح ناجيا بنفسه من المالك .

واستمر شيخنا للأزهر من سنة ١١٨٢ إلى سنة ١٢٠٩ هـ . وفضلا عن ( اللطائف النورية ) له عدة مؤلفات متنوعة الألوان هى : ( حلية اللب المصون بشرح الجواهر المكنون ) ، وهو كتاب فى علم البيان تأليف عبد الرحمن الأخصرى ، ، وهناك شروح أخرى للجواهر المكنون منها شرح الشيخ مخلوف ابن محمد البدوى ، الذى نوه بفضل الشيخ أحمد الدمنهورى ، ومن مؤلفاته أيضا « منتهى الإرادات فى تحقيق الاستعارات » ، و « نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف » ، و « الحذاقة بأنواع العلاقة » ، و « كشف اللثام عن مخدرات الأفهام » ، وهو على البسطة ، وكذلك « حسن التعبير لما للطبقة من التكبير » ، فى القراءات العشر ، وله أيضا « تنوير المقلتين بضياء الوجه بين السورتين » و « الفتح الربانى بمفردات ابن حنبل الشيبانى » و « طريق الاهتداء بأحكام الإمامة والاقتداء » ، على مذهب أبى حنيفة و « إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد » ، و « الرقائق الألفية على الرسالة الوصفية » ، و « منع الأتيم الحائر على التبادى فى فعل الكبار » ، و « عين الحيا فى استنباط المياه » ، و « الأنوار الساطعات على أشرف المربعات » ، و « حلية الأبرار فيما فى اسم على من الأسرار » ، و « خلاصة الكلام على وقف حمزة و « شام » فى القراءات ، و « القول الصريح فى علم التشريح » ، و « إقامة الحجة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة » ، و « فيض للننان بالضرورة من مذهب النعناع » ، و « شفاء الظلمات بسر قلب القرآن » ، و « إرشاد الماهر إلى كنز الجواهر » ، و « تحفة الملوك فى علم التوحيد والسلوك » ، وهو من مائة بيت ، ، و « إتحاف البرية بمعرفة العلوم الضرورية » ، و « القول الأقرب فى علاج لسع العقرب » ، و « حسن الإنابة فى إحياء ليلة الإجابة » ، و « الزهر الباسم فى علم الطلاسم » ، و « منهج السلوك

إلى نصيحة الملوك « و المنهج الوفية في شرح الرياض الخليفية » في علم الكلام ،  
و « الكلام السديد في تحرير علم التوحيد » و « بلوغ الأرب في اسم سيد  
سلاطين العرب »

وهذه المؤلفات منظومة ومنثورة وأغلبها رسائل صغيرة الحجم .  
اجتمع به عبد الرحمن الجبرتي الموزن قبل وفاته بستين ، وتذكر صداقته  
لوالده الشيخ حسن الجبرتي فيكي الدمهورى . وقال : « ذهب إخواننا ورفقاؤنا »  
وتوفى بمنزله ببولاق في ١٠ رجب سنة ١١٩٢ هـ ، وقيل في ١٠ رمضان  
من هذه السنة ودفن بالبستان ، وقبل وفاته بأيام عين الشيخ الحريرى الحنفى شيخ  
الأحناف والفتاوى ، وقد حدث عقب وفاة الدمهورى نزاع بين الأحناف  
والشوافع على مشيخة الأزهر ، مما أدى إلى تعطيل المشيخة حينئذ من الزمن .

#### - أحمد الدمهورى -

ذكره كحالة في « معجم المؤلفين » وإسماعيل باشا البغدادى في الجزء الأول  
من « هدية العارفين » وهو أحمد بن محمد بن مصطفى الدمهورى الشافعى ،  
مؤلف « كواكب الإشراف في نزهة الأحداق » ، في نوادر الطلاق » وتوفى  
سنة ١٢٢١ هـ .

#### - أبو عائشة الدمهورى -

ورد ذكره في « هدية العارفين » ، وفهرست الكتبخانة : وهو محمد بن محمد  
أبو عائشة الدمهورى الشافعى المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ وقيل سنة ١٢٨٦ هـ ؛  
ومؤلفاته : « الإرشاد الشافى على متن الكافى في العروض والقوافى » وتحت  
يدى نسخة باسم « المختصر الشافعى على متن الكافى » وفي آخر الكتاب أن المتن  
لأبي العباس أحمد بن شعيب الشافعى القناتى ، وأنه قد انتهى من هذه الحواشى  
المختصرة في آخر الحجة سنة ١٢١٠ هـ ، وله « عمدة أهل السنة واليقين في الرد على  
من خالفهم من المبتدعين » و « فتح العليم الباسط في رسم الأرباع والبساط » ،  
و « لقط الجواهر السنية على الرسالة السمرقندية » ، وله رسالة بها لغراب بعض  
آيات القرآنية ، والأمثلة النحوية ؛ في أربعة أبواب فرغ منها في ٢ جمادى

الآخرة سنة ١٢٦٤ هـ كما أنه كان قد فرغ من « لقط الجواهر » سنة ١٢٣٢ هـ ومن « الإرشاد » سنة ١٢٣٠ هـ ،

- ابن عبد المنعم الدمنهورى -

هو أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى ؛ له كتاب مخطوط بمكتبة جامعة الإسكندرية عنوانه « القول المفيد لمعانى درة التوحيد » بخط حسن فهمى فى ٢٤ ذى الحجة سنة ١٢٨٩ ؛ والرسالة نص من متن فى مبادئ علم التوحيد صاغه شعرا وشرحه ؛ قال فيها :

يقول أحمد الدمنهورى      يعون رب فعله مرضى  
الحمد لله الذى توحدا      بخلقه بفضل من وحدا

وقال فى الشرح : الدمنهورى : نسبة لبلده دمنهور الغربية وهى قرية من أعمال مصر ؛ ثم يستطرد فى تبيان رسالته فى التوحيد .

وبعد : هذى ( درة التوحيد )      ماقد حوت يغنى عن التقليد  
لكونها للمبتدى فى العلم      جمعتها صغيرة فى الحجم  
راجيا الوفا على الإيمان      ونفع ذى تقوى من الإخوان

- أبو الفرج الدمنهورى -

ذكره أحمد تيمور فى « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر » الهجرى فقال إنه : الشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهورى المتوفى سنة ١٣١٠ هـ وكان شاعرا أديبا ظريفا على الرغم من دماثة خلقته ؛ ولقد ولد بدمنهور ونشأ بها فقيرا ؛ لازم الشيخ محمد الوكيل القباني أحد أدباء دمنهور المشهورين ، وتعلم منه الشعر ، وصحب الشيخ حميد الدفراوى .

وكان الشيخ محمد الوكيل يلازمه ويجالسه ، وروى وكتب عنه شعره ونثره ونواذره ، واجتمع به فى دمنهور حوالى سنة ١٢٨٥ ، ولم يستتكف من حمل المصباح أمام الشيخ الوكيل إذا سار ليلا .

واطلع على الكتب الأدبية ، ونظم الشعر المتكلف المملوء بالأخطاء والتورية والجناس ، وقد كان معظم أشعاره فى المجون والخلاعة ، ضمنها ألفاظ العيارين .

وامصطحبه الوكيل إلى القاهرة فعزف به شيخ السادات الوفاية السيد عبد الخالق بن وفا ، فأعجب بمجونه وظرفه ، وأنزله عنده كلما نزل بالقاهرة ، وهي التي كانت غاصة بالادباء والاعيان ، فأغدقوا عليه وأحسنوا إليه ، فصلح حاله بعد فتر مدقع .

كما أنه اشترك في الندوة الادبية التي كان يعقدها شاهين باشا كنج بقصره بطنطا ، وهو الذي جمع له من أغنيائها أموالا طائلة اشترى بها عقارا ، واستطاع أن يصلح بها داره بدمهور .

ومن تدماء ندوة شاهين باشا : عبد الله نديم وغيره من أهل الفضل والادب في هذا العصر مثل الشيخ عبد الرحمن قراعة ، وقال عبد الله نديم في مجلة « الأستاذ » إنه حضر مولد سيدى أحمد البدوى بطنطا سنة ١٢٩٤ هـ ومعه السيد على أبو النصر ، ورمضان حلاوة السكندرى ، والسيد محمد قاسم ، وأحمد أبو الفرج الدمنهورى .

وقد داخله الغرور بشعره الركيك ، حتى قيل إنه كان يقرظ قصيدته قبل إلقائها ، ويلقى عليها مستظرفا أثناء الإلقاء ويقول : ( تم على المتنبي وسجقاله ) وكان ممن مدحوا الخديوى توفيق بتقدمه من الإسكندرية ، وكان يغتر أيضا بكينيته ( أبو الفرج ) واضعا نفسه في مصاف العطاء مثل : أبى الفرج بن الجوزى وأبى الفرج الأصفهانى ،

وكان يلبس العمامة الخضراء والجببة الواسعة الاكام رمزا على الشرف ، وظل يسعى حتى جعله أهل دمنهور ( نقيب الاشراف ) بها ، وكان معاصروه يعرفون أصله وفصله ويستظرفونه ويستخفونه ، وكانت وفاته بدمهور في ٢ ربيع الثانى سنة ١٣١٠ هـ .

### - عبد القادر حمزة -

كتب عنه ابنه الأستاذ محمد عبد القادر حمزه بجريدة « المساء » في ١٠ يونيه سنة ١٩٦١ ، والدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه « الصحافة المصرية في مائة عام » .

وهو الصحفي البارع الذى يرجع أصله إلى بندر دمنهور حيث لا يزال هناك منزله ثم تعلم بمدرسة رأس النين بالإسكندرية في رعايته والدته وتخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٠٣ وتوفي في ٦ يونيو سنة ١٩٤١ ، واشتهر بأنه مؤسس صحيفة « البلاغ » ، أو « صاحب البلاغ » .

وكان واسع الثقافة ، ملها بتاريخ بلاده إلماما دقيقاً عميقاً ، وكان رئيس تحرير صحيفة « الأهالي » ، التي تصدر بالإسكندرية ، ولما نشبت ثورة سنة ١٩١٩ هاجم سعد زغلول ، فحاربته حرب « الوفد » ، وهوجمت دار « الأهالي » وكانت تقف أمام مسجد سيدى عبد الرازق الوفائى بشارع ( النبي دانيال ) بالإسكندرية ، وأشعل المتظاهرون وهم الوفديون النيران في الدار ، وكان عبد القادر حمرة على مكتبه ، فنجوا من النار والجماهير .

ولم يمنعه ذلك من مهاجمة الاستعمار والسراى ، وانقد بشدة مشروع (ملنر) فوجد الوفد أن آراءه تتفق مع آرائه ، فجمعت الفكرة الوطنية بينها ، وانتقلت ( الأهالي ) إلى القاهرة ، وأصبحت صحيفة الوفد وتعرضت للمصادرة والغلق على يد ( ثروت ) ثم أصدر ( البلاغ ) في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ ، ولما صدر دستور سنة ١٩٢٣ وكانت المادة الأولى تنص على أن « مصر دولة ملكية دستورية » ، انتقد صاحب البلاغ النص على أن مصر ( ملكية ) ، وكانت دار البلاغ ملتقى رجال السياسة ، وانشق عبد القادر حمرة على الوفد ، وخرج على مصطفى النحاس خليفة سعد زغلول ، وبدأ يدرس تاريخ مصر القديم واللغة الهيرغليفية واطلع على ما كتب عن بلاده باللغة الفرنسية أو ما ترجم إليها فوضع كتابه : « على هامش التاريخ المصرى » وصدر منه الجزء الأول ، وتعتبر مقدمة بحق - دستوراً خالداً للتاريخ الذى قال عنه إنه [ أعظم مذهب للأفراد والشعوب ] وهو الذى يحى في أبناء الوطن الشعور بالعهدة القومية ، ويلقنهم الفضائل الوطنية والاجتماعية .

- محمد محمد الوكيل باشا -

وهو ابن محمد سلمان الوكيل باشا المتوفى سنة ١٣٦٩ هـ من أعيان دمنهور . وأمه كريمة الشيخ العريان أحد علماء دمنهور .



وكان من رجال التانون والسياسة وتولى عدة مناصب هامة ، إذ كان وكيلا لمجلس الشيوخ ، كما تولى وزارة المواصلات ، ثم وزارة العدل ، وله آراؤه في الفن - انون .

والمعروف أنه كان واسع الأفق ، كثير الاطلاع ، تحدثت إليه مرة في دمنهور حول كتاب « روح القوانين » لمونتسكيو ، فبين أنه نادرة في المطابع على فلسفة التشريع وأعجبت بأرائه ، وعندما نشب حريق القاهرة في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ كان أحد نزلاء فندق شبرد ، فخرج من الفندق . وقد نجا من الحريق المروع بأعجوبة ، فلم يجد غير سيارته فقبح بداخلها .

وكان له قصر بالإسكندرية بضاحية بولسكي ( لميزيس ) ، وفي صباح الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٧٩ ( ١٩٥٩ ) فاجأه الموت ، فقصف عمر رجل من عائلة القانون في مصر ، وشيعت جنازة إلى دمنهور حيث دفن بمدفن العائلة ، مأسوفا عليه من التلميح .

#### - إسماعيل الجبروك -

ولد بدمنهور ونشأ بها وتعلم بمدارسها حتى التحق بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية وتخرج فيها ، وظهرت عليه بوادر النبوغ الأدبي وهو طالب بالثانوى ، فكتب القصة القصيرة والأغنية ، ثم كتب القصة الطويلة التي تحولت إلى فيلم سينمائي ، وكتب أيضا بعض القصائد الوطنية ، واستهوته الصحافة فبرز فيها حتى وصل وهو لا يزال في مقتبل العمر أحد رؤساء تحرير صحيفة « الجمهورية » ، وسجل لنفسه براعة فائقة بروحه المحبوبة ، وأدبه الجلم ، وقلمه الحر النزيه ، ولم يمهله القدر ، فامتد إليه المرض حتى وافته المنية في ١٦ مارس سنة ١٩٦١ ، ودفن بمقابر الأسرة بدمنهور مأسوفا على شبابه من جميع عارفيه ، ومن مؤلفاته « امرأة بلا مقابل » و « بقايا عذراء » و « هاربة من الليل » و « الخيانة الزوجية » و « المكافح الصغير » و « الشيخ » و « الزوجة العذراء » . وكلها قصص ناقدة للعيوب الاجتماعية المعاصرة ، صورها الجبروك وعالجها بريشة فنان .

#### - أحمد محمد الوكيل -

وهو نجل محمد سلمان الوكيل باشا ، ولد بدمنهور في ٧ مارس سنة ١٨٩٤

نشأ في الأزهر صغيراً ، وانتخب سنة ١٩٢٦ عضواً بمجلس بلدى دمنهور ، ثم  
عضواً بمجلس النواب سنة ١٩٤٢ عن دمنهور ، وكذلك سنة ١٩٥٠ ، واشتهر  
بنشاطه الاجتماعى وأخلاقه الكريمة ، وكان من أبرز شخصيات البحيرة في جمع  
التبرعات لشراء سرب من الطائرات تهديه البحيرة إلى جيش مصر الباسل في حرب  
فلسطين ، وكان رئيساً للمؤتمر الوطنى لأبناء البحيرة في معركة القنالى سنة ١٩٥١ ،  
وكان رئيساً لعدة جمعيات اجتماعية واقتصادية وخيرية بدمنهور هى : الإسعاف  
والبر بالفقراء ، وتعمير المساجد ، والغرفة التجارية ، والمجلس الأعلى لتنسيق  
الخدمات الاجتماعية ، ولجنة القطن بالبحيرة ، وكان أحد المؤسسين لشركة البحيرة  
للاقطان وشركة البحيرة للأرز ، ولا ينسى أحد همته في دعم جمعية تحفيظ  
القرآن الكريم ، وجمعية رعاية المسجونين ، وجمعية تحسين الصحة ، واللجنة العليا  
لمعونة الشتاء ، وانتخب رئيساً للاتحاد القومى بأبو الريش وعضواً باللجنة العامة  
بالمحافظة ، وعين عضواً بمجلس المحافظة وتوفى رحمه الله في ٣ مايو سنة ١٩٦٢ ودفن  
بمقابر العائلة بدمنهور .

- محمود على الوكيل -

توفى إلى رحمة الله في ٢٣ مايو سنة ١٩٦٢ ، ودفن بدمنهور أيضاً ، وقد  
أتم تعليمه الجامعى حتى حصل على ليسانس الحقوق ، وانتخب رئيساً للاتحاد  
القومى عن بندر دمنهور ، وكان له نشاطه السياسى والثقافى والاجتماعى الملحوظ  
في محافظة البحيرة .



## أعلام رشيد

يجب أن يلاحظ القارئ أنه ليس كل من يسمى (الرشيدى) أصله من (رشيد) فإن (الرشيدى) أحيانا تكون نسبة إلى (صفط رشيد) وهى بلد بالصعيد ، وأحيانا أخرى نسبة إلى هارون الرشيد - كما يقول المنذرى - وأحيانا أخرى كذلك إلى صفة رشيد - كما جاء فى الرواة - أن محمد بن محمود الرشيدى النيسابورى كان أبوه ذاحظ فى الأمور ففيل لأنه رشيد ، فوقع عليه هذا الاسم ، ومن هنا يتبين للقارئ إصرارنا على إثبات أقوال المترجمين فى نسبة الأعلام إلى (نفر رشيد) .

- عبد الله بن الصامت -

الصحابى الجليل

وهو من أشهر الصحابة الذين نزلوا برشيد قال عنه ابن سعد (١) كاتب الواقدي [ ابن أخى أبى ذر الغفارى ويكنى أبا النضر وكان ثقة وله أحاديث ] وذكره أيضا ابن قتيبة الدينورى بصدد كلامه عن أبى ذر الغفارى فقال « عبد الله بن الصامت ابن أخى أبى ذر ويكنى أبا نضر » (٢) أما أبو ذر فقد توفى بالربذة سنة ٣٢ هـ وليس له عقب .

وجاء فى الفصل الذى عقده السيوطى بعنوان « در الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » (٣) : [ السائب الغفارى : ذكره ابن الربيع وقال : لا يوقف له على حضور الفتح ، ولأهل مصر عنه حديث واحد من طريق ابن لهيعة عن أبى قبيل عن رجل من بنى غفار حدثه أن أمه أتت به إلى رسول الله (ص) وعليه تيممة فقطعها رسول الله وقال : ما اسم ابنك ؟ قالت : السائب ، فقال النبي بل اسمه عبد الله . فكانت أمه تسأله : أتجيب بكليتها ؟ فقال : لا والله ما كنت لأجيب إلا على اسم رسول الله الذى سماني ] .

(١) الطبقات الكبرى .

(٢) المعارف : ص ١١٠

(٣) حس المحاضرة : ص ١٠

وقبر عبد الله بن الصامت موجود بجوار جامع زغلول برشيد وعليه قبة .

- سيدى محمد أبو الريش -

ورد ذكره فى « مدونة الأمير غانم بن عياض الأشعرى » ، ومراجعها طبقات الصحابة وتاريخ ابن خلكان والأنساب للأصمعى .  
أما الأمير غانم هذا فهو صحابى جليل ، أمه أسماء بنت سفانة بنت حاتم الطائى ، وخاله عدى بن حاتم ، قدم هذا الأمير الفارس مع عمرو بن العاص فى إحدى تجاريدته على مصر ؛ وأمره على كثير من البلاد مثل البهنسا ومصر ودهشور والحيزة ، وتوفى بالبرلس ودفن بها ، وأولاده ستة .

ومن ذريته سيدى محمد أبو الريش برشيد ، كما جاء فى المدونة ، التى نقلنا جزءا من أصلها بصفحة ٢٨٧ من الكتاب .

- ابن مسافر الرشيدى -

ذكره عالم الإسكندرية الأشهر بل « مسند الدنيا » كلها فى زمانه ، الحافظ السلفى فى « معجم السفر » ، وذكره أيضا السيوطى فى « حسن المحاضرة » ، و « ابن عزم » فى « دستور الإعلام » .

وهو عبد المعطى بن مسافر بن يوسف بن الحجاج أبو محمد التاجونسى (١) المغاغى ثم القمودى الرشيدى ، حنفى المذهب كشيخه الفتييه أبى بكر محمد ابن إبراهيم الحنيفى الرازى نزيل الإسكندرية ، سمع منه السلفى وقال عنه « وأصله من رشيد » وسأله عن مولده فتمال سنة ٤٦ هـ وقال عنه السيوطى : « كان من كبار التابعين فى مصر » ولم يعرف تاريخ وفاته ، فهو من أهل القرن الخامس أو أوائل السادس .

- الصنهاجى الرشيدى -

ذكره السلفى فى « معجم السفر » فقال : أبو محمد مهدى بن تميم بن المعز

(١) نسبة إلى ( تاجونس ) وهو قصر على البحر بين برقة وطرابلس .

الصنهاجى ، وقد سمع ابن أباديس الحيرى بالمهدية ، ومات فى ١٨ من ذى القعدة سنة ٥٥٢ هـ ومات ودفن برشيد .

وكان يلقب بالنصير ، ومنع منه السلفى بالإسكندرية ، وقال عنه [ وكان ستيرا ، شيخا كبيرا ، مواظبا على الصلوات وأدائها فى أوائل الأوقات ] .

### - القاضى المكين -

ذكره ابن ميسر فى « أخبار مصر » بالجزء الثانى وهو القاضى المكين أبو طالب . كان عبد المجيد أحمد بن الحسن بن حديد بن حمدون الكنائى قاضى الإسكندرية المولود سنة ٤٦٢ والمتوفى برشيد فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ فى عودته من مصر ، وقضى مدة فى القضاء ، وكان هو السبب فى انتقال أبى الصلت أمية وقد أثبت عليه الحافظ السلفى عالم الإسكندرية ومسند الدنيا .

### - أبو عسكر الرشيدى -

ذكره السلفى فى « معجم السفر » ، قتال لأنه أبو محمد عبد الله بن عسكر بن محمد الأزدي المهاجى ، وسمع منه السلفى بالإسكندرية ، وقال لأنه استوطن جزيرة بالقرب من رشيد ( أهلها الجزيرة الخضراء ) وزرع فيها شجيرات ومقائم ، وعمل ملاحه ومنها كان معاشه ، وانتفع الناس به وبكرمه هناك ، وصار ملجأ يتصدهم البحرىون ، وكان إذا قدم الإسكندرية نزل على السلفى الذى قال عنه : [ إن أشد الخسير والعبادة بيننا عليه ظاهرا ] ولم يذكر عنه السلفى أكثر من هذا ، فهو إذن من رجال القرن السادس الهجرى .

### - أبو منصور الرشيدى -

ذكره السلفى فى « معجم السفر » ، قتال : أبو منصور ظافر بن سلمان ابن حمود الألبصارى الرشيدى ، من أهل رشيد ( وهى مدينة من مضافات الإسكندرية ) ، وقد تأدب وشهد بها ، وكان يسلك طريقة حميدة .

وأنشد السلفى بالإسكندرية شعره وكتب له بخطه ، وكان مالكي المذهب ،  
ومات قبل الشيخوخة .  
نقول إنه من رجال القرن السادس الهجرى ، لأن السلفى الذى توفى سنة  
٥٧٦ هـ روى له من شعره هذين البيتين :

لا تأمن الدهر فى قلبه وإن حوت النضار والذهب  
فوالذى يسجد العباد له ليستردن منك ما وهبا

- أبو العباس الرشيدى -

ذكره السلفى فى « معجم السفسر » ، فقال عنه : أبو العباس أحمد بن إبراهيم  
ابن الفتح العريشى ، من أهل الفقه والعفة ، سكن رشيد ، وانتفع به الناس وسمع  
الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة من السلفى ، وتلمذ على الطروشى فى  
الفقه ، وقرأ على مشايخ الإسكندرية ومصر .

وقول إن السلفى توفى سنة ٥٧٦ هـ ، أما الطروشى فقد مات سنة ٥٢٠ هـ  
وكان قد زار رشيد مع صاحب له رافقه إليها زاهدين فى الدنيا ، يعيشان على بيع  
الملح والخطب ، ومكثا بها مدة طويلة حتى مات جماعة من فقهاء الإسكندرية قتلى  
على يد أحد الخلفاء الفاطميين ، حتى قدم إليه قاضى الإسكندرية ( ابن الحديد )  
ليرده إليها ، ومعنى ذلك أنه توفى فيما بين سنة ٥٢٠ هـ وسنة ٥٧٦ هـ .

ومن شعره الذى رواه السلفى له :

المجبرون يجادلون بساطل	بخلاف ما يتلون فى القرآن
كل مقالته : الإله أضلنى	وأرادنى ما كن عنه نهانى
أيقول ربك للبرية : آمنوا	ويصدهم عن منهج الإيمان
إن صح ذا فتعوذوا من ربكم	ودعوا تعوذكم من الشيطان

## - علماء رشيد قبل القرن السابع الهجري -

تناول ياقوت الحموي بالإيجاز جماعة من المحدثين خرجوا من رشيد ، ذكرهم في الجزء الرابع من « معجم البلدان » هم :

١ - عبد الوارث بن إبراهيم بن فراس الرشيدى المرادى قاضى رشيد .

٢ - يحيى بن صابر بن مالك الرشيدى القصارى ( من القسارة ) وهو قاضى رشيد أيضا .

٣ - سعيد بن سابق الأزرق الرشيدى مولى عبيد الله بن الجبحاب مولى بنى سلول ويسكنى أبا عثمان ، وقد سمع عبد الله بن طهيرة وروى عنه أبو إسماعيل الترمذى .

٤ - محمد بن زيدان بن سويد الكوفي ساكن مصر .

٥ - محمد بن الفرج بن يعقوب أبو بكر الرشيدى ويعرف بابن الأطروش ، سمع أبا محمد بن أبي نصر بدمشق ، وأبا حفص عمر بن أحمد بن عثمان البزاز ، وأبا على الحسن بن شهاب الكبير بكبرا ، وكتب كثيرا ، وحدث بالمعرة وكفر طاب سنة ٤١٧ هـ ، وروى عنه القاضي أبو سعد عبد الغالب وأبو حمزة عبد القاهر ابنا عبد الله بن المحسن بن أبي حصين التتوخيان المبريان ، وابنه محمد بن سعيد وإبراهيم بن سليمان بن داود الرشيدى ويعرف بالبرلسى .

## - أبو إسحق الرشيدى -

ذكره المنذرى في « التكملة » بالجزء الخامس والخمسين ، فقال عنه :

أبو إسحق إبراهيم بن أبي الفضل شعيب بن أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الفتح العريشى الأصل ، الرشيدى المولد ، الإسكندراني الدار ، المالكي المذهب .

ولد بئر رشيد ( البلد المشهور قرب الإسكندرية ) سنة ٥٤٨ هـ ومات به

سنة ٦٢٦ هـ ، حدث عن جده أبي العباس أحمد لإبراهيم وأبيه أبي الفضل شعيب بأناشيد ، وكتب عنه المنذرى بسمشود وغيرها ، وسمع أبو الحسن علي بن الفضل

المقدسى - وهو شيخ المنذرى - من والد إسحق الرشيدى .

و يقول إن أبا الحسن المقدسي بن المفضل كان معاصرا لابن ظافر الأزدي صاحب بدائع البدائنه ، المتوفى سنة ٦٢٣ هـ ، حيث جاء بصفحة ٢٢٢ قوله : وأبناى الفقيه أبو الحسن . . .

ويقول المنذرى إن جد أبى إسحاق كان من أصحاب الطرطوشى ، ويقول أيضا إن أبا إسحق سكن رشيد ، وكان ضريرا ، وله شعر جيد ، وكان من أهله كثيرون لهم قدم راسخة فى الحديث الشريف .

### البرهان الرشيدى

ذكره السيوطى فى ( البغية ) بمناسبة ترجمته لأحد الذين تلقوا القراءات عن البرهان الرشيدى ومنهم : محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدكالى المصرى أبو أمانة بن النقاش . وكان فقيها شاعرا مفسرا واعظا نحويا ومات سنة ٧٦٣ هـ .

ونقول : لعله هو إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى الأعز النحوى المقرئ ، العالم بالنحو والتفسير والفقه والطب والقراءات ، وكان فقيرا ، وأخذ القراءات عن التقي الصانع ، والفقه عن العلم العراقى ، والنحو عن بهاء بن النحاس ، والمنطق عن السيف البغدادى ، وسمع من الديلماطى والأبرقوهى ، وتولى الخطابة بجامع أمير حسين ، ووفى سنة ٧٤٩ هـ ، هذا ويقول ابن فهد فى « لفظ الألفاظ » : إن برهان الدين إبراهيم بن لاجين الرشيدى ، أخذ عن العراقى المتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ .

### - إسماعيل الرشيدى -

ذكره العراقى فى « ذيل على ذيل كتاب العبر » ، وقال إنه : الشيخ إسماعيل ابن ... النصير بن رضوان بن طرخان الإسكندرانى الرشيدى ، ولد بعد سنة ٦٧٠ هـ وتوفى فى ٢٥ شعبان سنة ٧٦١ ، وسمع على العراقى ، ودرس بالإسكندرية وناب فى الحكم بها .

### - ناصر الدين الرشيدى -

ذكره السخاوى فى الجزء الثانى من « الضوء اللامع » ، فقال : أحمد ناصر الدين



أبو العباس بن الجبال بن الشمس بن الرشيدى الزبيرى السكندرى المالكي سبط ابن التونسي . ولد سنة ٧٤٠ هـ وتفقّه ببلده ( رشيد ) وولى قضاءها سنة ٧٨١ هـ وهزل عن القضاء ثم أعيد لإلية عدة مرات ، وقدم القاهرة . وتولى بها قضاء المالكية فى شهر ذى القعدة سنة ٧٩٤ هـ ، واستقر بالقاهرة ، وناب عنه البدر بن الدماينى صهرهم الذى قال فيه :

وأجال فكرك فى بحار علومه سبجاً لأنك من بنى العوام  
واستقر ابن خلدون بعده فى قضاء المالكية ..

ومن هذا يتبين أن تاريخ وفاته غير معروف ، ولما كان السخاوى مؤرخ القرن التاسع قد ذكره فى كتابه ، فنعنى ذلك أنه توفى بعد سنة ٨٠٠ هـ .

— عبد الرحمن الرشيدى —

ذكره ابن فهد فى « لحظ الالفاظ » بإيجاز ، وذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » بالجزء الرابع وهو : زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن البرهان إبراهيم بن محمد بن لاجين الرشيدى الأصل ، المصرى الشافعى ، وهو أخو عبد الله الرشيدى ، ومن أسرة كلها علماء أفاضل ترجمنا لهم .

ولد بالقاهرة سنة ٨٧١ هـ ومات بها فى ٢ جمادى الأولى أو الثانية سنة ٨٠٣ هـ كما يقول المقرئى . وسمع بصرة من الميديمى ومحمد بن إسماعيل الأيوبى ومن علماء دمشق الذين سمع منهم ابن أمية وعمر بن زباطر ، واشتغل بالفرائض والحساب والمواقيت ، وآلت إليه الرياسة فى الميقات والفرائض ببعض الأماكن . وكان محدثاً وخطيباً بجامع أمير حسن ، وكان لقراءته ونعمته حلوة ، وسمع عليه ابن حجر وترجم له فى معجمه وتاريخه وقال عنه : إنه لم يكن ماهراً ، وقال إنه توفى فى جمادى الأولى سنة ٨٠٤ هـ ، وله كتاب عن ( النيل ) عنوانه « الروض النضر والزهر العطر » وهو مخطوط بمكتبة جامعة الإسكندرية ، شرحه محمد محمد عبد السلام المنوفى المتوفى سنة ٩٣١ هـ فى كتاب سماه « الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد » واعتمد على الرشيدى فى وضعه ، وقال عنه فى المقدمة :

[غير أنه - أرى الرشيدى - لم يسلك فى ذلك أسلوباً وتقسيماً ، ولا راعى فيه ترتيباً نظمياً ، وإنما شئت الكلام وفرقه ، فأذهب بهجته ورواقته ، فرأيت أن

أجمع لنفسى جميع ما ذكره فى ذلك باختصار ، حاذفا منه ما ليس مناسبا من نظم وغيره ، ومخالفا له فى ترتيبه .. [ كما أنه شرح الجعبرية والأشبهية والياسمينية :

- عبد الله الرشيدى -

ذكره السخاوى فى الجزء الخامس من « الضوء اللامع » .  
وهو عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن لاجين الجمال الرشيدى القاهرى ولد سنة ٧٣٧ هـ وأخوه عبد الرحمن ووالداه أحمد ومحمد . حضر على الشهاب الحلبي والأيوبى والميدوى والعز بن جماعة وأبى الفتوح الدلاصى ، وسمع منه ابن حجر والسخاوى ، وكان خطيب جامع أمير حسين ، وتوفى فى ٢٤ رجب سنة ٨٠٧ .  
وذكره المقرئى فى عقوده ، أما أخوه عبد الرحمن فقد توفى قبله بثلاث سنوات .

- أحمد بن عبد الله الرشيدى -

ذكره السخاوى فى الجزء الأول من « الضوء اللامع » :  
وهو أحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن لاجين الشهاب بن الجمال الرشيدى القاهرى الشافعى ، ولد سنة ٧٧٠ هـ تقريبا ، سمع على ابن جاتم وأبى اليمن بن الكويك وعز الدين المليجى وابن الفصيح ، وابن الشيخة والتنوخي ، وأجاز له ابن الحافظ العلاء وابن الذهبى ، وحدث ، وسمع منه الفضلاء والعلماء ، وتوفى بالقاهرة فى ١٨ شعبان سنة ٨٤٤ هـ .  
وقد تحدثنا عن أبيه عبد الله الرشيدى .

- الربيعى الرشيدى -

ذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » بالجزء الخامس :  
وهو على بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد نور الدين الربيعى الرشيدى القاهرى الشافعى . ذكره ابن حجر فى « الأنباء » ، ولأزم البلقينى والدميرى ودرس الحديث بقبة بيبرس ، وكان يقطا ، ولكنه كان كثير العصبية ، وتفوق فى الفقه وبرع مع كثرة النقل والمباحنة ، وقد مات فى رجب سنة ٨١٣ هـ وقد جاوز الخمسين ، وبغد وفاته قام السخاوى بالتدريس فى القبة .

## - علي الرشيدى -

ذكره السخاوى فى ( الضوء اللامع ) بالجزء الخامس فقال عنه :  
علي بن عبد اللطيف البرلى ثم السكندرى التاجر .. بنى فى رشيد بيتين  
وصهرىجا تعلوه مدرسة لطيفة ، وبنى فى ( جدة ) دارا هائلة، ولكنه لم يكملها .  
ومات بمكة فى شوال سنة ٨٨٧ هـ وخلف أولادا وثروة .

- محمد بن عبد الله الرشيدى -

ذكره السخاوى فى الجزء الثامن من « الضوء اللامع » :  
هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن لاجين الشمس بن الجلال بن الشمس  
ابن البرهان الرشيدى الأصل القاهرى الشافعى . ويعرف بالرشيدى . ولد بالقاهرة  
فى رجب سنة ٧٦٧ هـ ونشأ بها ، وأخذ عن البدوين أبى البقاء وابن الملقن والبلقىنى  
والأبناسى وابن العماد والبرهان الدجوى ، وابن حاتم والعزىز المليجى وأبى اليمن  
ابن الكويك والمطرز وابن الخشاب وابن أبى المجد والتنوخى وابن الفصيخ والهيثمى  
والشمس الرفا والشرف القدسى وإسماعيل الحنفى والعلاء بن السبع ، وفتح الله  
محمد بن البهاء بن عقيل ، والفرسىسى ، ونصر الله البغدادى، ونصر الله العسقلانى،  
والتاج أحمد بن عبد الرحمن البليسى ، وأخذ عن أبيه وعمه . وأجاز له كثيرون .  
ودخل الإسكندرية وكتب الخط الحسن ، وولى تربية العلائية بالقراة ، والتلقين  
بجامع أمير حسين وخطابته كأئلافه ، وكان بارعا فى أداء الخطب قادرا على  
إنشائها فكان ينشئ خطبة لكل جمعة تناسب الحال ، وارتفع ذكره ، وأئى عليه  
ابن الهمام والعلاء القلقشندى وصار الناس يقصدونه من الأماكن النائية للاستماع  
إلى خطبه والصلاة خلفه ، وكتبوها فى نحو عشرة أسفار، وكان بيده وظيفة الإسماع  
بالأزهر ، وقراءة الحديث بالجامع وبالقصر الأول السلطانى من القلعة ، وأكثر  
السخاوى من الأخذ عنه ، وخرج له مشيخة فى مجلد ، وتوفى فى ١١ ربيع الأول  
سنة ٨٥٤ هـ عن ٨٧ سنة ودفن بالعلائية محل مشيخة قريبا من باب الترافة .  
ولقد أفاض السخاوى فى الثناء عليه ، فقال عنه : [ وكان شيخا ثقة ثبتا

ثقة ثباتا صالحا خيرا محدثا مكثرا متجريا في روايته وأدائه ، كثير التلاوة للقرآن إماما فاضلا بارعا مشاركا ظريفا فكها حسن النادرة والعبارة محبها في النكتة ، بهي الهيئة نير الشبهة ذا سكينه ووقار ، كريما جدا متواضعا ، طارحا للتكلف ، سليم الباطن ، ذا كرا لكثير من مشكلات الحديث ، ضابطا لمعانيها ، حسن الإصغاء للحديث ، صبوراً على التحديث ، كثير البكاء من خشية الله عند إسماعه ، بل وقراءته له ، وفي الخطبة طوى النعمة ، ومحاسنه غزيرة ، وكان مجيدا للشطرنج يلعب مع الشمس بن الجندى الخنفي جاره [ ولما توفي جاره انقطع عن لعب الشطرنج .

وإذا كان أهل رشيد قد اشتهروا بإطلاق النكتة البارة الصافية ، فليس ذلك إلا كبرا عن كابر ؛ كما وجدنا ذلك عند الشمس الرشيدى وعند الربيعى الرشيدى المتوفى قبله بنحو أربعين سنة .  
هذا وقد سبق لنا الحديث عن أخيه أحمد بن عبد الله الرشيدى ووالدهما ، وعمهما عبد الرحمن الرشيدى .

#### - على المحلى -

ذكره الشعرائى فى « الطبقات الكبرى » ، للشافعية بالجزء الثانى منه ، وذكره رمضان حلاوة السكندرى فى « دستور الإعلام » ، وكذلك ( ماكس هرز Max Herz ) فى « مساجد رشيد Les mosquées de Rosette » ، فى comptes Rendus وذكره ( بريشيا Breccia ) فى ( الإسكندرية المتاخمة لمصر Alex. ad AEgyptum ) وذكره أيضا ( فورستر Forster ) الضابط الأمريكى الذى جاء مصر سنة ١٩٤١ فى كتابه ( الإسكندرية Alexandria ) .  
غير أن الاهتمام بمسجده فى رشيد كان أشد من الاهتمام بترجمته : وهو سيدى على المحلى المتوفى سنة ٩٠١ هـ - أو بعدها - ودفن بشرف رشيد ، وكان من أرباب الأحوال والكرامات ، وكان يبيع السمك القديم ( الفسيخ ) مع البطيخ والتبرخاء والمرسين ( البلاسان ) و ( الياسمين ) ، وهذه خلاصة ما ذكره رمضان حلاوة عن هذا العالم الجليل والزاهد الكبير ، نقلا عن بعض ما جاء فى « طبقات الشعرائى » من كراماته ، مع أن الشعرائى لم يقل لنا أين ولد ولا أين توفى ودفن .  
وتحدث على مبارك فى « الخطط التوفيقية » ، بالجزء الحادى عشر عن أشهر

مساجد رشيد وعددها خمسة وعشرون فقال : [ منها الجامع الكبير له شبه بالجامع الأزهر في الاتساع ، وكثرة الأعمدة ، وأرضه خشبية ، وجامع المحلاوى ( يقصد جامع المحلى ) وهو في غاية الرونق والانتظام ، فيه العلوم وفيه درس دائم ، وضريحه به مشهور بها ] .

ويفهم من ذلك أنه أصلاً من ( المحلة الكبرى ) ، واستقر برشيد ، وعاش عيشة المتصوفة ، ولكن أهل رشيد يروون عن الأقدمين أنهم كانوا يستنكرون على الشيخ مكانه الذى يبيع فيه الفسيخ مع جلالة قدره ، ولكنه كان يقول لهم : هذا محلى ، فسمى ( المحلى ) بسبب ذلك .

#### - يحيى الرشيدى -

ذكره ابن إياس في « بدائع الزهور » فقال : الشرفى يحيى الرشيدى خطيب جامع الأزبكية وتوفى في ربيع الآخر سنة ٩١٦ هـ وكان من أهل الفضل ، ماهراً في الخطابة .

وهذا هو كل مانعلمه عنه .

#### - ابن سلامة الرشيدى -

ذكره رمضان حلاوة في « دستور الإعلام » فقال إنه : حسن بن سلامة المسالكى الطيبي الصالح ، ورد ثغر رشيد ، ومات سنة ١١٧٦ هـ . وقام بالتدريس بمسجد زغلول برشيد ، وانتفع به الناس ، وكان فقيهاً نبيلاً .

#### - بدر الرشيدى -

ورد ذكره في « فهرست الكتبخانة » وهو : محمد بن إسماعيل بن محمود بن محمد المعروف ببدر الرشيدى ، وله رسالة مشهورة « الألفاظ المكفرة » ، وهى مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم ٢١٥٢ ب ، وفيها جمع الألفاظ التى توجب الكفر ، ورجع فيها إلى مراجع كثيرة منها : خلاصة الفتاوى ، والفتاوى الظهيرية ، وجواهر الفقه ، وقيمة الفتاوى ، والحاوى فى الفتوى ، والحقائق شرح المنظومة ، والطحاوى ، والفتاوى الصغرى ، وفوز النجاة ، ومجمع الفتاوى ، والملتقط ، وبحر الكلام .

ومع ذلك لاندري شيئاً عن حياته ووفاته .

- يونس الرشيدى -

ذكره البغدادي في «هدية العارفين» قال : هو يونس بن يونس بن عبد القادر ابن أحمد الأثرى الرشيدى المصرى الأديب ، كان حياً سنة ١٠٢٠ هـ ولم يعرف تاريخ وفاته .

وله عدة مؤلفات منها « تحفة أهل المعرفة بفضائل يوم عرفة » ، و « تحفة أهل النظر في شرح الدرر » ، و « الدرر في مصطلح أهل الآثار » ، و « عمدة الرائض في الفرائض » ، و شرح « غاية السؤل في شرح العشرة فصول » ، لجمال الدين ابن المجدى المتوفى سنة ٨٥٠ هـ وهو مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم ٣٨٤١ - وهو في العمل بالربيع المرسوم بالمقنطرات ، أى أنه في المساحة والفلك والهندسة وخط الميل وعلم الميقات ، وله أيضاً « المقاصد السنية بشرح فرائض الرحبية » .

- الخياط الرشيدى -

ذكره المحي في الجزء الثالث من « خلاصة الأمر في أعيان القرن الحادى عشر » فقال : على بن إبراهيم الخياط الرشيدى الشافعى ، ولد برشيد فى القرن الحادى عشر ، ونشأ بها وحفظ القرآن وأخذ عن كان بها من علماء العصر ، وقدم القاهرة ، فقرأ على مقرئها عبد الرحمن البنى ، وتلقى الفقه والعلوم الشرعية والعقلية على شيوخ كثيرين منهم : البرهان اللقانى ، والشمس الشوبرى ، والشيخ سلطان المزاحى ، والنور الشبراملى ، والشمس البابلى ، ثم عاد إلى رشيد ، وأقبل عليه جميع أهلها ، وحدث سيرته ، واعتقد فى صلاحه وعلمه عامة ذلك الإقليم ، وظهرت له كرامات ، وتصدر للتدريس ، وأخذ عنه كثيرون ، منهم العلامة أحمد بن عبد الرزاق الرشيدى . وتوفى برشيد فى أوائل رجب سنة ١٠٩٤ هـ ودفن بها .

وقد ذكره قلميذه ابن زنبور بمناسبة إتمام تأليفه كتابه « البدر المنير فى شرح سيرة البشير النذير » ، الذى أتمه سنة ١١٠٢ شرحاً لمنظومة عبد الرحيم بن

الحسين العراقي المتوفى في القرن التاسع ، وقال ابن زنبور : [ أجازة شيخى الولى الكامل ، المحقق الرحلة ، سيدى وسندى ، وعمى وعدى نور الدين على بن لمرهيم الرشيدى الشهير بالخطاط الشافعى ] ، وأخبره بها نجم الدين الغيطى .

- أحمد المغربى الرشيدى -

أحمد بن هبذ الرزاق بن محمد بن أحمد بن أحمد المشهور بالمغربى الرشيدى ، توفى برشيد فى شعبان سنة ١٠٩٦ هـ ، وله حاشية مشهورة عنوانها « حاشية الرشيدى على شرح ( المنهاج ) » ، لشمس الدين الرملى فى فروع الفقه الشافعى ، وتقع فى مجلدين فرع من تأليفها فى ٢٧ شعبان سنة ١٠٨٦ هـ وهى مخطوطة ، وله أيضا « تيجان عنوان الشرفا ، وحسن الصفا » ، و « الابتهاج فى ذكر من ولى إمارة الحاج » ، وهو معاصر ومواطن للخطاط الرشيدى السابق ذكره ، وقد تحدث عنه وترجم له كثيرون منهم : المحبى فى « خلاصة الآثار » ، وكحالة فى « معجم المؤلفين » ، والبغدادى فى « هدية العارفين » ، و « الإيضاح المكنون » ، وسركيس فى « معجمه » ، وذكره جورج زيدان فى « آداب اللغة العربية » ، وورد ذكره فى « فهرست الكتبخانة » ، و « فهرست المؤلفين » ، ومخطوطات الموصل للجليلى و ( بروكلمان ) و ( أهلوارت Ahlwardt ) المستشرق الألمانى .

- أحمد سلام الرشيدى -

ذكره ( بروكلمان ) وكحالة فى « معجم المؤلفين » ، وهو أحمد سلام الرشيدى ، كان حيا قبل سنة ١١٦٨ هـ وكان محدثا ، وله كتاب « تحفة الأماجد فى فضل بناء المساجد » ،

- خليل الحضرى الرشيدى -

ذكره المحبى فى « خلاصة الآثار » ، والجبرقى وعلى مبارك وكحالة فى « معجم المؤلفين » ، والبغدادى فى « الهدية » ، و « الإيضاح » ، وجورج زيدان و بروكلمان ، وهو خليل بن شمس الدين بن محمد بن زهران بن على الرشيدى المصرى الشافعى الشهير بالخصرى الفقيه المحدث المشارك فى بعض العلوم ، ولد برشيد

سنة ١٢٤٠ هـ وأمه صالحه بنت الحاج على زعيتر أحد أعيان التجار برشيد، سمع على الشيخ يوسف القشاشي والشيخ عبد الله بن مرعي الشافعي، وقدم إلى الأزهر سنة ١١٤٣ هـ فجاور به ثلاث سنوات ثم عاد إلى ثغر رشيد، ولزم شمس الدين الفيومي خطيب جامع المحلى وكان نزيل هذا الجامع ومن مؤلفاته: «الدرة اليتيمة الكاملة المتعلقة بالشهور الثلاثة الفاضلة»، و«شرح لقطة العجلان وبلة الظمان»، «الزركشي»، وله في علم الحديث: «شرح الأربعين النووية»، «الشبشيرى»، و«غاية الطلب في إثبات كفر من سب العرب بغير سبب»، وله مجموعة خطية بها سبعة وثلاثون مجلسا نقلها عنه عيسى الإخناوى، اطلعت عليها بمكتبة السيد أحمد خيرى بروضة خيرى بالبحيرة وهى بخط عبد الله بن محمد بن صالح البهاء الرشيدى، وسمع أيضا على عبد الله بن مرعي الشافعي سنة ١١٤١ هـ جمع الجوامع، و«المنهج»، وألقى الدروس بحضرته، و«مختصر السعد»، و«اللقاني على جوهرة التوحيد»، وشرح أنه عبد السلام، والمناسوى على «الشامل»، و«النجاشى وابن حجر»، و«شيخ مشايخه هو البرهان الشبراخيتى»، ووفد هلى رشيد سنة ١١٨٣ هـ الشيخ عطيه الأحمورى، فقرأ عليه وعلى الشيخ محمد الإدكاوى شرح السيوطى على الخلاصة، والشنشورى على «الرحبية»، و«التحرير»، «شيخ الإسلام»، وسمع من النيطى، وأجازة الشيخ شلبى البراسى، والشيخ عبد الدائم بن أحمد المالكي، وأحمد بن أحمد بن قاسم الونى، وتوفى فى ٢٥ شعبان سنة ١١٨٦ هـ. ويقول عبد الرحمن الجبرقى إنه رآه برشيد عند ولده أحمد.

#### - حسن القباني الرشيدى -

ذكره أمين سامى باشا فى «تقويم النيل»، وقال إنه الشيخ حسن المؤقت (الميقانى) القباني الرشيدى صاحب كتاب «بهجة الأنوار فى أعمال الليل والنهار»، وضعه سنة ١١٦٢ هـ، وذكر له نظريتين فى علم الميقات بشأن طريقة قياس عدد أذرع النيل.

#### - ابن عنتر الرشيدى -

ذكره الجبرقى، والبغدادى فى «هدية العارفين»، وهو: على بن عنتر الرشيدى ثم المصرى، توفى برشيد فى ربيع الأول سنة ١١٩٥ هـ، وله ديوان شعر.



ودبوان في الموشحات والمقاطيع وغيرها ، وكان فصيحاً وخطيباً مبرها .

- حسين الرشيدى -

ورد ذكره في « فهرس المؤلفين » وفي « فهرست الكتبخانة » كما ذكره البغدادي في « إيضاح المكنون » ، وكألة في « معجم المؤلفين » ، وسركيس في « المعجم » ، والعظم في « السر المصون » .

وهو الفقيه حسين بن سليمان الرشيدى الشافعى كان حيا سنة ١٢٠٥ ، وله « حاشية بلوغ المراد بفتح الجواد بشرح منظومة ابن العباد في المعفوات » ، فرغ منها في رمضان سنة ١٢٠٥ هـ .

- ابن الكاشف الرشيدى -

ذكره الجبرقى فقال : الشيخ حسين بن الكاشف الدمياطى ويعرف بالرشيدى تعلق بالعلم ، وانخلع من الإمرية والجنديّة ، ولأزم الشيخ عبد الله الشرفاوى وسمع من الدهنهورى ، وتلقى على السيد مرتضى الزبيدى أسانيد الحديث المسلسلات .

حفظ القرآن برشيد وجوده على السيد صديق ، وجاء إلى القاهرة بعد أن حفظ المتون الكثيرة ، فتعلم بالأزهر ، ولبس العمامة والفرجية ودرس في الفقه والأصول .

وكان محمد باشا خسرو قد عينه إماما له يصلى خلفه عندما جاء إلى قلعة أبو قير : واقتنى حصصا وإقطاعا ، وقبلة مناصب البلاد والبنادير ، وكان يأخذ من يتولاهما الجمالات والهدايا ، وأخذ نظر وقف أربك حتى بعد عزل خسرو باشا ، واستمر على القراءة والإقراء حتى توفى في آخر سنة ١٢٢٩ هـ .

- حسن غانم الرشيدى -

ذكره أحمد بك عيسى في « معجم الأطباء » ، وفنديك في « الاكتفاء » ،

وجورجى زيدان فى « تاريخ آداب اللغة العربية، وسركيس فى « المعجم، والبغدادى فى « إيضاح المكنون، وكحالة فى « معجم المؤلفين، ومحمد فؤاد شكرى مع عبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل فى « بناء دولة مصر محمد على، والرافعى فى « تاريخ الحركة القومية، بالجزء الثالث، وأشاد به كلوت بك، وجعله من نوابغ البعثات المصرية.

وهو حسن غانم الرشيدى، كان حيا قبل سنة ١٢٦٥ هـ أى سنة ١٨٤٩، درس بالأزهر فصار فقيها فى شبابه إذ تعلم اللغة والدين، ثم التحق بمدرسة الطب بأبي زعبل، وكان فى بعثة محمد على الرابعة إلى فرنسا سنة ١٨٣٢، وظل يدرس بها الصيدة ثلاثة عشر عاما حتى أتقن فن الأقرباذين وهو (الفارماكولوجى) أى علم تركيب الأدوية، فعاد مدرسا لهذا الفن بمدرسة الطب بقصر العيني، ومن الكتب التى ترجمها عن الفرنسية « الدر الثمين فى الأقرباذين، طبع ببولاق سنة ١٨٤٨ م، كما اشتغل فى تصحيح كتاب « الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع، تأليف أنطون فيجرى Figari مع محمد التونسى.

#### — زبيدة الرشيدية —

هى السيدة زبيدة بنت محمد البواب الرشيدى، التى تزوج منها الجنرال (مينو) قائد الحملة الفرنسية بعد اغتيال (كبير)، بعد أن أسلم وتسمى بعبد الله مينو، الذى أقام مدة فى رشيد، وتقدم لخطبة إحدى بنات أسرة الجارم فرفضوا.

وزبيدة هى التى أبوها لأمها على الحماى بن حسن البواب، وكان من اليهود هو وأحمد وإبراهيم ابنا سليمان النقرز، وعقد عليها مينو فى ٢٧ رمضان سنة ١٢١٣ هـ، وتوجد وثيقة الزواج بمحكمة رشيد الشرعية، وكان الحفل غاصا برجال الحملة الفرنسية ووجهاء رشيد وحكامها منهم:

الشيخ أحمد الخضرى المفتى الشافعى، والشيخ محمد صديق النائب، والمفتى الخنبلى، والشيخ محمد غرا النائب والمفتى المسالكى، وفتى الأشراف السيد أحمد

بدري ، والأمير محمد بدوي جورجى سردار مستحفظان ( مدير الأمن ) ،  
وأحمد أبو جاويز مستحفظان ، والحاج أحمد جاويز العسال ، والحاج محمود  
اللوى المغربى ، وإبراهيم الجمال الرزاز ، والحاج محمد ميتو ، وعبد الله بربيره ،  
والحاج بدوي الشناوى ، وأوزن اسماعيل السلانكلى ، وعلى جاويز  
كتخذنا اليك .

وكذلك كان فى الحاضرين من الفرنسيين : لوى جوزيف وفيسكتور جوليان  
حصارى عسكر حاكم ولاية رشيد ، ولوى جوست دروى رئيس طائفة عسكرية ،  
وجان فرنسوا لوى لويكة مهندس وميقاى الجيش الفرنسى ، ولوى واولى  
باش حكيم ( حكيم باشا ) الكورنقيلة ، وكان الوكيل الشرعى عن زبيدة فى  
توقيع العقد الحاج حسين بن محمد الميقاى .

وظلت زبيدة فى عصمة زوجها حتى أنجبت منه ولدا سماه أبوه سليمان مراد ،  
ولم تفارق رشيد إلا عندما جلا الفرنسيون عنها من وجه الإنجليز والأتراك فى  
أول المحرم سنة ١٢١٦ ، فركبت زبيدة النيل مع أخيها لأمها السيد على الرشيدى ،  
أحد أعضاء الديوان بغير رشيد ، إلى الرحمانية ، ولبت بها عدة أيام ، حتى احتل  
الإنجليز والأتراك قلعتها ، فاتجهت إلى القاهرة ، ونزلت بيت الالنى بالأزبكية ، ثم  
أقامت بالقلعة ولما تسلم الأتراك قلعة القاهرة من الفرنسيين فى ١٧ يونيو سنة ١٨٠١ ،  
غادر الفرنسيون مصر ، ومنهم مينو ، الذى كتب إلى أعضاء ديوان القاهرة بوصيهم  
خيرا بزوجه وولده ، وقد رغبت فى اللحاق بزوجه فعارض الأتراك فى ذلك ،  
ولكن القائد ( بيار ) تصدى لهم ، وتكفل براحتها ، حتى خرجت مع من خرجوا  
إلى فرنسا .

ويقول مسيو ( ريجو ) فى كتابه « الجنرال عبد الله مينو والفترة الأخيرة  
من الحملة الفرنسية فى مصر » : [ إن مينو قد أساء معاملة زبيدة ، وهجرها فى :  
« تورينو » بإيطاليا ، وجعل له من الراقصات خليلات ، وتركها تعاني الفصص  
والهجران حتى ماتت بها ] .

- السيد حسن كريت -

ذكره الجبرقى فى حوادث حملة فريرز الفاشلة على رشيد سنة ١٨٠٧ .  
ولكنه لم يعطنا أى فكرة عن نشأته ومواده ووفاته ، على أنه كان أول بطل فى

المعركة ، فهو نقيب الأشراف برشيد ، وقد اتفق مع قائد الحامية بها على بك السلانكل على اقتسام المقاومة الشعبية ، فقام السلانكل بقيادة الجنود النظاميين بينما تولى حسن كريت قيادة المتطوعين من أهل رشيد ، ومن انضم إليهم من البلاد المجاورة والقادمين من القاهرة استجابة لنداء السيد عمر مكرم نقيب الأشراف بمصر ، ولهذا كان الاتصال بين النقيبين مباشرا دون اللجوء إلى والي محمد علي باشا .

كان حسن كريت يوالى الاستنجاد بعمر مكرم ، ويبحث باسمه كل يوم رموس القتلى وجوع الأسرى من الغزاة المعتدين ، وكان لهذه الاتصالات المتوالية طلبا للنجدة ، وبهذا الأسلوب أثمرها في النصر المبين الذي أحرزه أهل رشيد والحاد .

وكان حسن كريت أيضا على رأس وفد رشيد بعد النصر استصراخا من مظالم الأتراك بعد انخراطهم في المعركة وتركهم النضال لأهل رشيد وأهل الحاد يتولونه وحدهم ، واضطر محمد علي أن يكف زبانيته عن أذى أهل المنطقة ، بعد أن صحبه عمر مكرم إلى والي لإعلان سخط أهل رشيد .

وقد ورد ذكر السيد حسن كريت على السنة مؤرخي الحملة من الفرنسيين أكثر مما ورد عن المؤرخين العرب ، وفطنوا إلى تدبيره لمواجهة حملة فريزر ، ولعله استطاع أن يخدع قنصل إنجلترا في رشيد ( بتروشى ) حتى كتب هذا إلى فريزر بأن أهل رشيد وعلى رأسهم الشيخ حسن ، سيرحبون بالإنجليز وسوف لا يظهرون أى مقاومة ، قد وجد القارىء موقفه المشرف في المعركة .

وللوقوف على عظمة هذا الرجل ، اتصلت بحفيده السيد محمد عبد المنعم جاد الله مراقب سوق الجملة بالقرعة التجارية بالاسكندرية وهو من رشيد وأسرة جاد الله لا تزال بها ، وعلمت منه أن السيد على كريت شقيق السيد حسن مدفون بأحد مساجد رشيد وكان من علمائها المشهورين ، وأن لدى الأسرة مصحفا بخط يده وهو بتاريخ سنة ١١١٧ هـ ، وأن له مؤلفات كانت بمسجد زغلول ثم نقلت منه إلى مسجد المحلى ، أما منزله فلا زال برشيد ولكنه تهدم ، وكان بالقرب من جامع زغلول ، وكان يلقى العلماء وطالبي العلم والوجهاء بالدرر الأرضي منه .

أما السيد حسن وهو الأكبر فقد جاء مع محمد على إلى مصر في الحملة من جزيرة كريت كعالم فكان إمام المالكية بمصر ثم إمام مسجد زغول برشيد، وهي إذ ذاك النغر الأولى لمصر، وكان بها قطع الأسطول .

وفي أثناء معركة رشيد سنة ١٨٠٧ كان دائم الاتصال بنقيب الأشراف السيد عمر مكرم، ويكثر من الاستنجاد به، وحتى بعد النصر، فكك الجنود بأهل رشيد وماحولها، وفرض محمد على عليهم الغرامة الباهظة، فكان حسن كريت أول من رفع تقريره باسم الشعب محتجا على هذه المهازل، فأضمر له محمد على كل سوء كما فعل بعمر مكرم، لأنه كان لا يود أن يسمع صوتا تنعيبا يعلو على صوته، وهو الولي .

فأما قدم الشيخ حسن في وفد من أهل رشيد والتقى بعمر مكرم، واصطحبه إلى الباشا، رحب به الباشا وأظهر له التقدير، وأجابه إلى طلباته وكانت شهرته في مقاومة الإنجليز قد بلغت محمد على، ثم أقام له ولية حتى لأنه لم يكف يذبحى من الطعام حتى حمل الشيخ على الاعتناق فاقد النطق، فقد فارق الحياة، وشيعت جنازته رسميا دون إخطار أهله؛ ودفن في مكان غير معروف بمسافن محمد على، ويؤكد أهله أن محمد على قد دس له السم في الطعام فمات .

وليس أدل على خشية محمد على من شدة نفوذ الشيخ حسن، من أنه بعد الاحتجاج الذى قدمه ضد الفضائح التى كان يرتكبها جنوده، من أنه أمرهم بالخروج من رشيد ليعسكروا بعيدا عنها، على ألا يدخلوها إلا بالملابس المدنية وبصريح خاص من الشيخ حسن كريت .

وقد أنجب رحمه الله بنتين فقط لإحداها تسمى زبيدة تزوجها السيد على الجريتلى أى الكريدى والأخرى تزوجها أحد أفراد أسرة فرحات برشيد .  
وتوفى رحمه الله في أخريات سنة ١٨٠٧ .

- على بك السلانكلى -

وهو قائد حامية رشيد، أثناء حملة فريزر سنة ١٨٠٧، ويظهر أنه ينتسب إلى ( سالونيك ) وقد أظهر الجبرتي دوره الباسل الذى قام به فى تدبير شئون الدفاع عن رشيد، وقد تولى قيادة أفراد الحامية، كما وضع خطة لإبعاد المراكب

من مرسى رشيد إلى الضفة الشرقية حتى لا يتمكن الغزاة من استخدامها في السيطرة على مصب النيل عند رشيد .

كما أنه وضع خطة اختفاء الجنود والأهلين في البيوت وخلف الجدران، وفوق المآذن، فلما أعطيت إشارة الانقضاء على الإنجليز، وتشقت شمل العدو، بعد مقتله عظيمة لم تكن في الحسبان، وكتب الله النصر لرشيد بفضل إخلاصه، وصدق إيمانه، وإحكام خطته وتدبيره .

ولقد حاول الجزال الإنجليزي - إذ أحس بالهزيمة - أن يفرض الاستسلام على السلانكي، فكان رده عليه دليلاً على الحكمة والعزة، إذ قال له إنه يتلقى أوامر من القاهرة . فأسقط في يد القائد، وانقلب مغموماً .

ومن العجيب أن هذا البطل الذي يعزى إليه انتصار رشيد هو والشيخ حسن كريت - قد اختفى أثره بعد هذا الانتصار الذي تحقّق على يديه في ٣١ مارس برشيد ٢١ إبريل بالحداد .

وأغلب الظن أن الباشا قد تخلص منه بطريقته المعهودة كما هو شأنه مع الأبطال، وعلى ذلك نستطيع القول بأنه توفي في أخريات سنة ١٨٠٧ أيضاً .

هكذا لقي أبطال معركة رشيد مصارعهم على يد محمد علي الوالي الغادر، فإذا نحن فاعلون لتخليد ذكراهم وتمجيد بطولاتهم في عهد البطل الحر الرئيس جمال عبد الناصر ؟

### - أحمد وسلامة النجارى -

وهما أيضاً من أبطال رشيد في معركة فريزر، كانا من تجار مكة، وقيمان بالقاهرة، ولما نودي للكفاح ضد الإنجليز، أخذ هذان الأخوان نحو مائة من البدو والمغاربة والتجار، وقاما بتكليفهم حتى اشتركوا في المعركة بصدق وإخلاص، وخرجوا منها بالغنائم التي وزعوها فيما بينهم ولا سيما على الذين طاردوا الإنجليز بعد ارتدادهم ثم عادوا الأخوان إلى القاهرة، والناس يستقبلونها بالبشر والترحاب والتقدير لما بذلوا من تضحيات كما أن محمد علي شكرهما بهذه المهمة العالية .. ثم ماذا ؟ .. لا ندرى .

## - البطريرك جريجوريوس يوسف -

ذكره إلياس زاخوره في «مرآة العصر»

ولد في رشيد سنة ١٨٢٣ وأصل أسرته من الشام ، وهاجر به أبوه إلى الإسكندرية فنشأ بها ، وكان موظفا بالحكومة ، ثم غادر مصر إلى لبنان سنة ١٨٤٠ ، ودخل (دير المخلص) راهبا ، ولقب (جريجوريوس) ، وهو كاثوليكي المذهب ، درس بمدرسة اليسوعيين ثم بمدرسة أثناسيوس في (روما) وتلقى اللاهوت والتاريخ والفلسفة والرياضة واللغات اليونانية واللاتينية والإيطالية ونال الدكتوراه في الفلسفة وأصبح قسا وهو بالمدرسة ، ثم انتخب أستاذا ، وصار أسقف عكا سنة ١٨٥٦ ، ثم بطريرك أنطاكية والإسكندرية وأورشليم وسائر المشرق في سبتمبر سنة ١٨٦٤ وظل رئيسا للكاثوليك ثلاثة وثلاثين عاما ، وأسس المدرسة البطريركية في بيروت وزار الأستانة ، وأنعم عليه السلطان بالنيشان المجيدى من الدرجة الأولى ، وأعاد المدرسة الإكليريكية في (عين تراز) إلى سابق عهدها ، وزار (روما) بدعوة من البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٧ كما زار مرسيليا وليون وباريس ، والتقى بالإمبراطور نابليون الثالث وسافر إلى بلجيكا وبافاريا وفيينا وهناك التقى بالإمبراطور النمسا ، وفي سنة ١٨٦٨ خطب باللاتينية في الفاتيكان دفاعا عن حقوق الكنيسة الكاثوليكية الشرقية ، فنجح في مساعاه .

ومن المدارس التي أنشأها : المدرسة البطريركية ومدرسة عين تراز ومدرسة إكليريكية في القدس وأربع مدارس في دمشق واثنتان في مصر وواحدة في الإسكندرية ، وفي عهده بنيت كنيسة باب المصلى وكاتدرائية الإسكندرية من تبرعات جرجس الطويل والكنيسة البرازيلية في الإسكندرية من تبرعات الكونت ميشيل دبانه وكنيسة شبرا بالقاهرة وكنيسة المنصورة وكنيسة بور سعيد وكنيسة طرسوس وأطنه والإسكندرية وأنشأ دار البطريركية بالقاهرة وجمعية يوحنا الرحوم بالإسكندرية والقاهرة ، ومات في ١٢ يولييه سنة ١٨٩٧ .

- إبراهيم بك حلیم -

ذكره إلياس زاخوره في «مرآة العصر»

وهو إبراهيم بك حلیم بن إسماعیل علی بن السید علی من أعیان رشید من اشتهروا بالتقوى والبر والشرف ،

ولد سنة ١٢٧٧ هـ فى بنوف ، ودرس مبادئ القرآن والكتابة بمدرسة الشيخ صالح ثم بالمدرسة التجهيزية ثم التحق بالمدرسة الحربية ونال رتبة ملازم ثانى ثم ملازم أول ، ونقل حاكم دار الارصفه بميناء الإسكندرية بدعوى انتمائه إلى حزب الحديوى أثناء الثورة العرابية ، وفى سنة ١٨٨٤ أصبح معاوناً بمديرية الغربية ثم مأمور مركز شربين سنة ١٨٨٦ ثم مأمور مركز طنطا ، ثم معاون المديرية ، وفى سنة ١٨٩٠ صار مأمور مركز بيلا ثم وكيل مديرية الفيوم ثم وكيل مديرية قنا سنة ١٨٩٥ .

- أحمد الرشيدى -

ذكره الجبرق فى أخبار سنة ١٢٣٦ هـ ( ١٨٢٠ م ) فقال : إن محمد علی فى هذه السنة أمر بنفى السيد أحمد الرشيدى كاتب الرزق إلى قلعة أبوقير لمقتضيات واهية فى خدمة مناصهم .

- ابن صالح الرشيدى -

وهو محمد بن صالح البنا الحنفى الرشيدى ، مفتى الإسكندرية فى سنة ١٢٦٩ ، له « مولد النبى » وهو مجموعه أخبار وأشعار عن مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية بخط أحمد بن حسين الشباسبى بتاريخ ربيع الثانى سنة ١٢٩٣ هـ ، وذكر فيها اسم الشيخ عبد السلام اللقانى وهو مدفون بجامع المغاورى بالإسكندرية ، وكان على قبره لوحة رخامية ، بها أن وفاته كانت فى ١٦ شوال سنة ١٢٨٥ ، وكان خلوتياً أخذ الطريق عن الشيخ أحمد بن محمد الصاوى دفين البقيع عن أحمد بن محمد العدوى الشهير بالدردير عن محمد بن سالم ابن أحمد الحنفى عن مصطفى بن كمال الدين البكرى الحنفى ( - ١١٦٢ هـ ) .

- أحمد حسن الرشيدى -

هو أحمد حسن الرشيدى بك ، من نوابغ خريجي مدرسة الطب المصرية والبحثات ، ومن أركان النهضة الطبية العلمية بتأليفه وتراجمه ، وهو أكثر علماء



الطب في عصره إنتاجا في التأليف والترجمة والتعريب .

نشأ في الأزهر ، ثم درس الطب بمدرسة أبي زعبل ، وكان عضو البعثة الطبية الرابعة إلى فرنسا سنة ١٨٣٢ م وعاد بعد ذلك لتدريس الطب والمعلوم الطبيعية في مصر ، وكان متفوقا في اللغة ، فألف وترجم حتى بلغت مؤلفاته تسعة في عهد محمد علي ، وزادت في عهد إسماعيل فقربه وأدناه ، وكثر حاسدوه فعمل من الخدمة ثم أعيد إليها .

ومن مؤلفاته : د عدة المحتاج لعلمي الأدوية والعلاج ، و د الدراسة الأولية في الجغرافية الطبيعية ، تأليف لامروس وصححه وراجعها رفاعه الطمطاوى ، و د تطعيم الجدري ، و د بهجة الرؤساء في أمراض النساء ، و د نزهة لإقبال في مداواة الأطفال ، و د الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية ، و د نخبة الأماثل في علاج تشوهات المفاصل ، وترجم عن كلوت بك د رسالة في تطعيم الجدري ، وعن الفرنسية ترجم د ضياء النيرين في مداواة العينين ، للفرنس ، وصحح ترجمة كتاب د طالع السعادة ، والإقبال في تلم الولادة وأمراض النساء والأطفال ، التي قام بها : على هيبة الحكيم ، وتوفى سنة ١٨٦٦ م بالقاهرة .

وكان أحمد حسن الرشيدى موضع اهتمام المؤلفين والمؤرخين للحركة الفكرية في العصر الحديث ، وكتبوا عنه وعن مؤلفاته وترجماته منهم : أحمد عيسى في د معجم الأطباء ، والبغدادى في د هدية العارفين ، و د إيفساح المسكون ، وسركيس في د معجم المطبوعات ، والزركلى في د الاعلام ، والعظم في د السر المصون ، وفنديك في د اكتفاء القنوع ، وجورجى زيدان في د تاريخ آداب اللغة العربية ، والرافعى في د تاريخ الحركة القومية ، وكحالة في د معجم المؤلفين ، فضلا عن فهارس المؤلفين والكتبخانه والأزهرية والتميمورية ومحمد فؤاد شكرى مع زميليه في كتاب د بناء دولة مصر محمد على .

- إبراهيم الجارم -

ورد ذكره في سند أصل أسرة الجارم أطلعنى عليه صديقى الدكتور عمر عبد المحسن الجارم الأستاذ بكلية الطب ، وذكره بمرضه كحالة فى د معجم

المؤلفين ، والبغدادى فى « هدية العارفين » ، و « إيضاح المسكنون » ، والتونكى فى « معجم المصنفين » ، وفهرست الكتبخانة ، فضلا عن كتابه « حاشية إبراهيم بن محمد الجارم الرشيدى الشافعى » ، على شذور الذهب لابن هشام ، وهو كتاب ضخم جدا فى النحو ، ومخطوط بـ مكتبة جامعة الإسكندرية تحت رقم ٥١٥ .

وأسرة الجارم أصلا من البرلس ثم استوطنت رشيد ومنهم الشيخ إبراهيم ابن محمد بن محمد بن أحمد الجارم ، الشافعى الذى ولد برشيد سنة ١٢٠٦ هـ ونشأ بها ثم أتم دراسته بالأزهر وأخذ على علمائه منهم الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ حسن القويسنى ، وعاد إلى رشيد ، وتولى الخطابة والإمامة بجامع المحلى ، كما تولى قراءة المجالس على الكرسى به فى ليالى المواسم ، وتقلد منصب الإفتاء برشيد على المذهب الشافعى ، وجاءت إليه وفود المجاورين تغترف من مناهل علمه ، وتوفى ودفن برشيد سنة ١٢٦٥ هـ .

وهو عالم بالنحو واللغة ، يجمع بين الباطن والظاهر ، والمعقول والمنقول ، وكان متصوفا زاهدا ، ورئيسا للطريقة الخلوتية ، وله مؤلفات كثيرة هى :

- ١ - حاشية على شرح شذور الذهب : فى النحو لابن هشام .
- ٢ - حاشية على هدية الناصح : فى فقه الشافعى .
- ٣ - حاشية على شرح ابن عقيل : فى النحو وهما صغرى وكبرى .

(وقد أطلعنى عليها الدكتور عمر الجارم وخطها حسن جميل غير معروف كاتبها وناقصة من آخرها).

- ٤ - حاشية على شرح رسالة الدردير : فى البيان .
- ٥ - حاشية على شرح الأمير على منظومة السقاط : فى التوحيد .
- ٦ - حاشية على شرح الجلالين : فى التفسير .
- ٧ - حاشية على متن سيدى محمد السباعى : فى النحو .
- ٨ - حاشية على شرح منلا حنفى على رسالة آداب البحث .
- ٩ - حاشية على تفسير الخطيب الشربينى : فى ثلاثة مجلدات ضخمة .

١٠ - رسائل فى د المولد ، ود فضائل الإسراء ، ود ليلة النصف من شعبان .

ومن أولاده السيدة فته ، والسيدان محمود الجارم وعبد الفتاح الجارم ، وكانت ترد عليه الأسئلة ليرد عليها بفتاواه ، منها سؤال وجواب بخطه فى نهاية رسالة الحرام المراجع لولده عبد الفتاح .

هذا وقد اطلعنا على رسالة السنوسية فى النحو وعليها حاشية الباجورى ، وعلى الحاشية تقرير الشيخ سيد الشرىمى ، ( وهو والد جسد السيدة حرمى المرحوم الشيخ عبد المعطى الشرىمى ، عالم الأزهري ومعاشر الشيخ محمد عبده ) وعلى تقرير الشرىمى حاشية إبراهيم الشافعى الرشيدى بن السيد محمد الجارم ، وقد فرغ منها فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٦٣ وقوبلت على نسخة حنفية الشيخ محمد صالح الجارم الذى سنفحدث عنه ، وهذه الحواشى والتأريير مخطوطة تحت عنوان « تقرير الشرىمى » بمكتبة جامعة الإسكندرية .

والشيخ إبراهيم الجارم ناقد مدقق ، وذو ذوق للشعر قديمه وحديثه ، وواسع الاطلاع والتحصيل على فنون شتى من الأدب والنحو والمعانى ، وله قصيدة فى التوسل برجال سلسلة أهل الطريق مطلعها :

إذا رمت فوزا بالمنى أيها الخلى      فلازم دوام الذكر فى كل محفل

ونظم فيها جميع رجال التصوف ماضيهم وحاضرهم وختمها بهذه الآيات :  
توسل بهم فى كل خطب ونازل      وكن فى حمهم كالأسير المسلسل  
وآل وأصحاب ومن سار سيرهم      مدى الدهر مطاب المديح ولذل  
وما ( الجارم إبراهيم ) ينشد قائلا      إذا رمت فوزا بالمنى أيها الخلى  
وهى مطبوعة مع « مجموعة من القصائد التوسلية » بمطبعة دار السعادة بمصر واشتملت هذه المجموعة على القصيدة « الدمياطية » للشيخ نور الدين الدمياطى ، وقصائد الإمام البوصيرى ، والقصيدة « السعدية » لسيدى يوسف الحكيم الرشيدى ، وتولى ضبطها وطبعها جميعا الشيخ خليل درع الرشيدى ، وهكذا نرى ثلاثة من متصوفة رشيد فى هذه المجموعة أحدهما خليل والآخرا يوسف الحكيم الرشيدى وإبراهيم الجارم الرشيدى ، أما القصيدة السعدية فطلعها :

- ٥٠٢ -

ياسعد لك السعد إن مررت على البان

- محمود الجارم -

وهو محمود بن إبراهيم الجارم ، ولد برشيد سنة ١٢٢١ هـ ونشأ شافعيًا كأبيه ، وأفنى وتولى نقابة الاشراف برشيد ، والإمامة والخطابة بجامع المحلى ، وموفى ضحوة عيد الاضحى سنة ١٢٨٨ هـ وذفن بمدفن العائلة برشيد ، وما يعرف عنه أنه كان شاعرا فقد رثى الشيخ محمد البنا عند وفاته فى ٦ شوال سنة ١٢٨٥ .

- أحمد الجارم -

الشيخ أحمد بن محمود بن إبراهيم الجارم الرشيدى ، ولد برشيد سنة ١٢٦٤ هـ وتوفى بها سنة ١٩٢٨ م ، ضرب به المثل فى التقوى والإصلاح والزهد والبراعة فى الوعظ والإرشاد ، تلقى الفقه عن عمه الشيخ عبد الفتاح الجارم ، ونشأ شافعيًا ، وجلس للتدريس كأبيه وجده وأعمامه ، قضى والده فى إمامة جامع المحلى برشيد ٢٧ عاما وجده مثلها ، أما هو فقد سلخ فيها ٥٤ عاما ، وكان يكره المشى فى السوق نهارا ، لهذا شق لنفسه طريقا خاصا بين منزله ومسجده ، حتى لا يسمع ما يكره مما يدور فى السوق .

وقد شرح قصيدة الشيخ محمد صالح الجارم فى مدح الرسول ، ودل بذلك على سعة طلائعه وغزارة علمه ، وللمامه بالتاريخ والسيرة والأدب والنحو والفقه والبلاغة ، وله رسالة فى التوحيد وله أيضا سبيل السعادة ، فى الفقه بخط يده ، عليه شرحه أيضا وهما مكتبة المحلى برشيد .

وقد عرف عنه أنه كان يتصدر للتدريس بهذا الجامع على النحو التالى : درس فى الفقه بعد طلوع الشمس إلى صلاة الضحى ، ودرس فى النحو بعد طلوع الظهر ، ودرس فى التفسير أو التوحيد بعد صلاة العصر ، ودرس فى الحديث بعد صلاة المغرب .

وكان تجار الشام وعلمائهم يتصدونهم برشيد للتبرك ، والإفادة منه .

### - أبو الفتح الحنفى -

ذكره أحمد تيمور فى « تراجم أعيان القرن الثالث عشر » ، وهو الشيخ محمد أبو الفتح الحنفى مفتى الإسكندرية المتوفى بداره بها فى ٦ صفر سنة ١٢٩٠ وهو جد الشيخ حسن منصور لافه درس بالأزهر على الشيخ الصاوى ، وانتقل إلى رشيد وتزوج بها من كريمة السيد عباسى من أعيانها ، ولأزم الشيخ البنا الكبير الذى انتقل معه إلى الإسكندرية ، وانتخب أميناً للفتوى بها بعد وفاة مفتيها الشيخ الدويرى فخلفه البنا فى منصبه ، ونقل أبو الفتح إلى منصب آخر .

كان مشغولاً بجمع الكتب واقتنى نفائسها والساعات المتنوعة ، ومن مؤلفاته « تبويب الأشياء والنظائر » لابن نجيم ، وكان بارعاً فى علم الميقات ، وشرع فى وضع كتاب عن الفقه ولكنه مات قبل أن يتمه ، وقد رثاه قاضى الإسكندرية الشيخ عبد الرحمن الإييارى ،

### - عبد الفتاح الجارم -

وهو ابن إبراهيم الجارم ، ولد برشيد سنة ١٢٤٢ هـ ، تفقه حنفياً ، وبرع فى الشريعة والسياسة والأدب ، وقرأ بعد والده المجالس فى ليالى المواسم بجامع المحلى ، وتولى نقابة الاشراف برشيد بعد وفاة أخيه محمود ، وأفنى برشيد على المذهب الحنفى ، ثم انتقل إلى دمياط والمنصورة ثم عاد إلى رشيد ، وظل يتولى الإفتاء بها حتى توفى فى ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ ودفن بها .

ومن مؤلفاته : « شرح على لامية البوصيرى فى المديح » ، جمع فيه بين العقل والنقل ، وقد اطلعت عليه بخط ولده الشيخ محمد صالح الجارم ، وأفاض فى الشرح وأبدى سعة اطلاع وبراعة تعبير فى التعليق على البوصيرى التى مطلعها :

إلى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول

وقد يستغرق شرح البيت الواحد عشر صفحات ، لهذا جاءت المخطوطة ضخمة للغاية ، ولكنها غزيرة العلم جملة الفائدة ، وله أيضاً شرح على لامية ابن الوردى فى المواعظ والنصائح ، وحاشية على منظومة أسيد على الصيرفى فى التوحيد ، ورسالة فى أركان الدعوى الشرعية وشروطها على مذهب أبى حنيفة ، وبها بعض محاضر وسجلات .

ورسالة في المطلقة بالحرام المراجعة عند الشافعى بعد الثلاث أو مادونها وهي بخط الشيخ محمد صالح الجارم سنة ١٢٨٧ أطلقى عليها الدكتور عمر الجارم ، ورسائل أخرى تتعلق بالمواسم وغيرها ، وشرح على « مغنى اللبيب » ، وشرح على الاشياء والنظائر الفقهية ، لابن نجيم .

- الأمير الرشيدى -

ذكره البغدادى في « الهدية » وهو محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الأمير الرشيدى المنوفى سنة ١٢٩٥ وله : « السر المذاب للرجل المكذاب المسمى بعلى الخشاب الجاهل المرتاب » .

- محمد صالح الجارم -

الشيخ محمد صالح الجارم الرشيدى الحنفى المذهب الحسنى ابن عبد الفتاح ابن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد المحسن الجارم الرشيدى ، ولد برشيد سنة ١٢٦١ هـ ، وحفظ بها القرآن ، وتلقى العلم عن والده عبد الفتاح الجارم وعمه محمود الجارم ، وغيرهما من كبار العلماء أمثال : عبد القادر الرافعى والشمس الأنبارى ، والإشراقى وعزرو السقا ، أخذ عنهم العلوم الشرعية والحساب والهندسة والميقات والفلك ، ثم عاد إلى بلده ، ولما خلت وظيفة الإفتاء بمحافظة رشيد عقب وفاة والده ، أسندت إليه ، ثم ألغيت محافظة رشيد فانتقل لقضاء مركز دمنهور سنة ١٣١٥ ، وبعد ثمانية شهور تولى قضاء مديرية الجيزة ثم الفيوم ، ثم البحيرة ثم الشرقية ، ومات بالقازيق في ٧ محرم سنة ١٣٢٨ ، ونقل جثمانه إلى رشيد ودفن بمدافن العائلة بها .

وكان قاضيا فاضلا مشهودا له بالامانة والنزاهة ، وكان شاعرا ناثرا ، وله قصيدته المشهورة في مدح الرسول عليه السلام بلغت ثلاثة وتسعين بيتا ومطلعها :

حنت قلوبى للفسيح الفدقد فاستبشرت برحاء قلبى الأكسد

وقد شرحها الشيخ أحمد بن محمود بن إبراهيم الجارم شرحا مسهبا ، وطبع الشرح بالقصيدة سنة ١٣٤١ بمطبعة السعادة بالقاهرة على نفقة السيد محمد عثمان طبق عمدة رشيد .

وله من المؤلفات القيمة ، التزام الملتزم ، وهو الزيادة التي أضافها على تراجم ابن عزم التونسي في دستور الإعلام بمعارف الأعلام ، الذي انتهى بزيادات رمضان حلاوة السكندري ، تحت رمز ( ض ) ، وبقى حتى رمضان حلاوة مخطوطا بمكتبة بلدية الإسكندرية إلى الآن . ولعل آل الجارم الكرام يمكنونا من الحصول على زيادة الشيخ محمد صالح الجارم التي برمز ( مح ) ، حتى نستطيع أن نقوم بطبع هذا الكتاب النادر الذي يدل على تعاون المؤلفين في التراجم كإبراهيم كابر ، والأمل معقود بعد ذلك على أولى أسرار الثقافة في مصر لإظهار هذا النوع من التأليف إلى ضوء النهار للارتفاع .

وفضلا عن براعة الشيخ محمد صالح الجارم في التراجم والتاريخ ، فإنه كان مبدعا في سائر الفنون ، فله : دال الروض المريع في فن البديع ، ودال حسن الإيجاز في إيضاح الألفاظ ، ودال إرشاد اللاه لشرح أسماء الله ، ودال حسن السلوك لسير الخلفاء والملوك ، ودال حاشية على قصة المعراج للغيثي ، وحاشية على الأجرومية ، ومنظومة في النحو سماها دال الرشيدية ، نظمها على لسان ولده محمد مأمون الجارم ، ودال التحفة الزهرية على الفواكه البدرية ( في الفقه ، وتتمتع في مجلدين ، شرح فيها رسالة أبي اليسر محمد بن محمد بدر الدين بن القرس المصري الحنفي المتوفى سنة ٩٢٢ هـ كتبها بخط يده وهو قاض بالقيوم وفرغ منها سنة ١٣١٩ = سنة ١٩٠١ م ، وقد اطلعت على نسختين لها من الجزء الأول لدى أسرة الجارم ، ثم اختصره بعنوان ( المختصر المجاني الزهرية على الفواكه البدرية ) وهو مطبوع وله رسالة في استبدال وقف الذمي وأخرى في بناء بعض الأحكام على العرب ، وله ديوان شعر ، فضلا عن القصيدة الرائعة التي كتبها في مدح الرسول عليه السلام ، وشرحها الشيخ أحمد الجارم كما سبق القول .

هذا وقد كان جده لأمه الشيخ محمد صديق البسيوني المفتي الشافعي صاحب ( مفتاح الإفادة لسبيل السعادة ) في فقه العبادات على المذهب الشافعي .  
وكان الشيخ يرد أحيانا بالفتوى شعرا كما كان يفعل العلامة الأمير ، بأسلوب واضح لاغموض فيه كأنه نثر رقيق ،

- السيد أحمد الرشيدى -

ورد ذكره في الوقائع المصرية في ٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٨ بأنه سافر في ٢٦ صفر سنة ١٢٨ هـ مع الشيخ السيد حسين غانم من مصلحي الترجمة بمدرسة الطب إلى أوروبا مع كلوت بك .

- محمد نعمان الجارم -

هو محمد نعمان بن محمد صالح الجارم وشقيق الشاعر على الجارم ، كان قاضيا بالمحاكم الشرعية ، وكان قاضى قضاة السودان ، وله بحوث قيمة منها ، أديان العرب في الجاهلية ، طبع سنة ١٩٢٣ وهو والد المهندس حسان الجارم . ولد برشيد ثم غادرها للالتحاق بالأزهر ، ولما فتحت مدرسة القضاء الشرعى أراد أن يلتحق بها ، غير أنه كان قد تجاوز السن القانونية ، فشكا ذلك إلى عمه إبراهيم الجارم عمدة رشيد فقهه ضاحكا ، فتأثر صاحبنا وسأل عمه مستنكرا : أشكو إليك محنتي فنسخر مني ؟ قال : لا ، ولكنى وجدت الحل ، وهو أنه كان لى ولد اسمه أيضاً محمد نعمان الجارم ، وقد توفى إلى رحمة الله وعندى شهادة ميلاده وهو يصغرك بخمس سنوات ، فخذ شهادة ميلاده إذ الاسم واحد وتوكل على الله . وبهذا التحق بالقضاء الشرعى ، ثم تخرج فعين أولا قاضيا في دنقلة بالسودان سنة ١٩١٧ ثم عاد إلى مصر وتنقل في مناصب القضاء ، ثم صار قاضى قضاة السودان من سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٤٢ وخلفه الشيخ حسن مأمون وهو آخر مصرى تولى هذا المنصب في السودان . وهناك في الخرطوم توجد حديقة الشيخ الجارم ، تخليداً لذكراه في القطر الشقيق ، واهترافا بفضله وبحبوته الشرعية التى كان يلقيها هناك .

وقد توفى إلى رحمة الله في ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٣ ودفن برشيد .

- أحمد زكى باشا شيخ العروبة -

ذكره الزركلى في « الأعلام » ، وقال إنه ولد بالإسكندرية سنة ١٢٨٤ هـ وتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ( ٩٣٣ م ) ولم يذكر أنه من رشيد ، في حين أن أسرته وأقاربه بل وورثته لا يزالون إلى الآن برشيد ويؤكدون أنه منها ، وكان كاتم سر مجلس النظار ( سكرتير عام مجلس الوزراء ) في وزارة رشدى



باشا، وكان يكتب مقالات لاذعه ضد عدل بك، متحمسا لسعد زغلول، ولكن مجلة  
«الكشكول»، تصدت للرد عليه وعلى سعد زغلول.

ومما يروى عنه أنه دخل بجاس النظار وعلى رأسه الطربوش المغربي الذي  
يرتديه عربان البحيرة، فأنكر عليه. لك رشدى باشا فقال له شيخ العروبة: لقد آن  
للعرب أن يتحرروا، والطربوش تركى، أما هذا الطربوش المغربى فهو لبس العرب.  
ولكن رشدى باشا غضب وخيره بين الاستقالة أو لبس الطربوش المعتاد.

وكان يسكن دارا بالجيزة على النيل بالقرب من كوبرى عباس، وخلف  
مكتبة قيمة تحتوى على ذخائر ثقافية نادرة بلغت ١٠ ألف مجلد، أهداها إلى  
الحكومة حيا ثم نقلت إلى مسجد الغورى أولا ثم إلى دار الكتب المصرية والمعروف  
أن داره كانت على الدوام مقصد رجال العروبة القادمين على مصر من الأقطار  
الشقيقة، وكان أول من نادى بالوحدة العربية فى العصر الحديث.

- الدكتور أحمد عيسى -

ذكره كحالته فى «معجم المؤلفين»: وهو الدكتور أحمد عيسى، ولد  
برشيد سنة ١٢٩١ وتوفى بالقاهرة فى سنة ١٣٦٥ (= ١٩٤٦ م) وكان  
طيبا وعالما باللغة العربية ومؤرخا كبيرا نشأ صغيرا ببلده ثم تعلم بالمدرسة  
الحندوية ثم درس الطب بالقاهرة، وتخصص فى أمراض النساء واشتغل بالطب  
الباطنى، كما تعلم اللغات السامية واليونانية، واللاتينية، وكان عضوا فى جمعية  
الهلل الأحمر، وعضوا فى المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية، وعضوا بمجلس  
الشيخوخ، وعضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق، وعضوا بالأكاديمية الدولية لتاريخ  
العلوم بباريس.

ومن مؤلفاته «معجم الأطباء»، و«معجم أسماء النبات»، وكذلك «التهديب  
فى أصول التعريب»، و«صحة المرأة فى أدوار حياتها»، و«الحكم فى أصول  
الكلمات العامة».

وقد عملت عن الدكتور أحمد عيسى بحوث عدة يستطيع القارىء أن يطلع عليها  
عند الزركلى فى «الأعلام»، وسركيس فى «المعجم»، وفى مجلة «الرسالة» الزياتية  
ومجلة «الكاتب المصرى»، و«المقتطف»، و«لغة العرب»، و«المجلة الجديدة».

## - على الجارم -

ذكره كحالة في «معجم المؤلفين» ، ومحمد عبد الجواد في «تقويم دار العلوم» ، وهو علي بن محمد صالح بن عبد الفتاح الجارم ، ولد برشيد سنة ١٢٩٩ هـ ( ١٨٨١ م ) ، درس بالأزهر وتخرج في دار العلوم سنة ١٩٠٨ ، وبعثته الحكومة إلى إنجلترا ف قضى سنة بمدينة نوتنجهام ، ودرس الإنجليزية بها ، ثم التحق بكلية المعلمين بإكستر ، حيث قضى ثلاث سنوات ، فدرس علوم التربية والأدب الإنجليزي وعلم النفس والمنطق ، وعاد إلى مصر في أغسطس سنة ١٩١٢ ، فعين مدرساً بمدرسة التجارة المتوسطة ، ثم مدرسا لعلوم التربية بدار العلوم ، وفي ٣ مايو سنة ١٩١٧ صار مفتشا بالوزارة ، ثم كبيراً لمفتشى اللغة العربية حتى سنة ١٩٤٠ ، فوكيلا لدار العلوم ، وأحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٢ ، وعين عضواً بمجمع اللغة العربية منذ إنشائه سنة ١٩٣٢ ، وعضواً بالمجمع العربي بدمشق . وأنعم عليه بوسام النيل الخامس سنة ١٩١٩ ، وبالرتبة الثانية سنة ١٩٣٥ . والبكوية من الدرجة الأولى سنة ١٩٤٢ ، وأُنعمت عليه حكومة العراق بوسام الرافدين سنة ١٩٣٩ ، والجمهورية اللبنانية بوسام الأرز سنة ١٩٤٧ ، توفي يوم ٩ فبراير سنة ١٩٤٩ وهو يستمع إلى قصيدته في تأبين محمود فهمي النقراشي باشا ، حينما كان ولده بدر الدين الجارم يلقيها نيابة عنه لمرصه ، فمات وقتها بالسكتة القلبية ، ودفن بالقاهرة .

ومن المشهور عنه أنه كان يلبس العمامة ، فلما سافر إلى أوروبا استبدل بها القبعة ، فأرسل صورته إلى أهله ، وكتب عليها يقول :

لئن تك فرقت منا الليالي      وحال البعد دونكمو ودوني  
فهذا رسم صاحبكم ولكن      متى أضع العمامة تعرفوني ،

واشترك رحمه الله في المؤتمرات العربية التي كانت تعقد في دمشق وبغداد ، وكان شعره سفيراً للقومية العربية ، وقد كنت طالباً بالمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية وكان يحضر للتفتيش ، وأسمعه من شعري وأنا طالب فيطرب ويشجني ومن مؤلفاته : (النحو الواضح) و (البلاغة الواضحة) ، و (علم النفس وآثاره في التربية والتعليم) بالاشتراك مع مصطفى أمين بك ، ( وتصحيح وشرح

(البخلاء للجاحظ) بالإشتراك مع أحمد العوامرى بك، (وتصحيح وشرح المكافأة) بالإشتراك مع أحمد أمين بك، (وتهذيب كتاب الفخرى) فى التارىخ مع محمد عوض لإبراهيم بك، واشترك مع غيره فى (المجمل) و (المفصل) و (المنتخب) وكلها من المكتب الأدبى المقررة على مدارس التعلیم الثانوى، وله (قصة العرب فى أسبانيا) و (غادة رشيد) و (شاعر ملك) و (سيدة القصور) و (فارس بنى حمدان) و (الشاعر الطموح) و (خاتمة المطاف) و (مرح الوليد) و (ديوان الجارم) فى أربعة أجزاء، نشر منها مقتطفات بعنوان (سبحات الخيال) سنة ١٩٦٢، وكانت قصائده تنشر فى الأهرام والمصرى والكتاب، والرسالة، والثقافة وغيرها من الصحف والمجلات، وكانت له أحاديث أدبية فى الأذاعة المصرية، ويغلب عليه أمناء إلقاءه الشعر الروح العربية الأصيلة.

هذا وقد أشاد عبد العزيز فهمى باشا<sup>(١)</sup> بفضل على الجارم زميله فى مجمع اللغة العربية على اللغة فى أبيات كتب بها إلى المستشار أحمد الجارم يقول :

آخيت منكم (عليا) وهو يحرسها	يقظان يرقبها الآحاد والجمعا
كانها بنته الحسى تجهزها	لابن الأمير فيعطى كل ما جمعا
كنا نراه إذا وافى بهجسنا	منار علم وخلق بيننا رفعا
حتى إذا انتضل الإخوان أسمعهم	فصل الخطاب فأعصاهم له خضعا
قد عاش للغة العليا يقررها	طورا قياساً وطورا كالأذى سمعا
وبينا هو يمضى فى مناكبها	جدلان ناداه داعى الحق فاستمعا
عين تزوت فقالوا إنها نصبت	لكنها اختلطت بالنبع فاستمعا

وتمضى الأبيات فى الإشادة بولده بدر الدين ثم بأحمد الجارم المستشار، وثغر رشيد الذى أطلع الكواكب اللامعة من آل الجارم وهم خدمة الأدب، وسدنة الفصحى.

---

(١) قصيدة عبد العزيز فهمى باشا : لجنة التأليف والترجمة والنشر .

## - فتحي الجارم -

وهو الشاعر الزجاج والوطني الغيور والاجتماعي النشيط.. عبد الفتاح الشهير بفتحي بن الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد صالح الجارم .  
ولد برشيد في ٢٠ أبريل سنة ١٩٠٩ : وظهرت عليه أعراض مرض ورثه عن جده لأمه السيد أحمد موسى عمدة رشيد الأسبق ، ففنه من الالتحاق بالمدرسة فتعلم من أبيه الأدب ونظم الشعر ، وكان يسمى (شاعر رشيد) فقد كان خطيب كل حفل، وشاعر كل مناسبة ، وزجال كل محفل ، وكان مراسلا لجريدة (الأهرام) أكثر من عشرين سنة ، وأرواح بكتابة القصة المستوحاة من أمجاد بلده ، وجمال مناظره فكتب ( الفتاة المجاهدة ) استمدتها من هزيمة الأنجليز برشيد سنة ١٨٠٧ ونشرتها (الأهرام) واشتغل بالسياسة ، واعتقل أحيانا بسبب وطنيته حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ ، وقدم رجالها إلى رشيد في ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ ، يحيون بطولة أهل رشيد ، فحيام بزجله الرقيق :

الارض بعد العدم	يانبع جارى يبجي
شفت جروح الألم	يارحمة نزلت علينا
الركن اللي انهدم	يابنا ماهر بيبني
الروح ويحي الرمم	ياكف عيسى ببجي
الشعب اللي انظلم	انقذ قوام يا ( جمال )
وانت أمامنا المعلم	واحنا وراك الجنود

وكان فتحي الجارم مغرما بالخدمة الاجتماعية ، فكانون هيئة لإغاثة المهاجرين إلى رشيد أثناء الغارات على الإسكندرية سنة ١٩٤١ وهيا لهم كل أسباب الراحة ، واشترك في الجمعيات الخيرية والدينية والدبية والرياضية برشيد ، ونظم الأناشيد لمدارسها ولحن بعضها بنفسه وأسس رابطة الفن والموسيقى ، وكان عضوا بالمجلس البلدى بالمدينة ، وله مقالات رائعة في الأهرام ، وتوفي عليه رحمة الله في ٥ مارس سنة ١٩٥٥ وترك ديوان شعر وزجل سيكون في نشره ذخـر كبير للأدب الشعبي والشعر الوطني ، ولا شك أن صديقتنا الطيب الشاعرة الدكتور عمر الجارم شقيق الموحوم فتحي الجارم ، سيعمل في أقرب فرصة على إحياء هذا التراث الفني الرائع .

ومن شعره (عشت في دنيا الخيال) وهي آخر ما كتب سنة ١٩٥٥ وكان مريضا وكان جمال رشيد ظل يداعب خياله وهو في مرضه فقال :

ورشاش الماء صاف كالجب	في شراع الحب والموج جميل
أحمر الألوان فياض اللب	ضمننا في هيكل الحب أصيل
فنعمنا بجمال وطرب	وطيور صادحات بالهديل
وعيون جارية	بين أنسام وماء
ومروج زاهية	ونخيل بالمرء
حملتهم جارية	وكعاب وطلباء
وخرير الماء فياض الحنين	تسبق الأفواه إذ تبغى اقترابي
وكسا وجهي باللون الحزين	أطفأ السقم مع الهم شبابي

وقد التقيت به كثيرا في المناسبات القومية بإدكو ورشيد وسمعتة وهو يلقى أ رجاله الشعبية والوطنية التي كانت تهز الجماهير هزا ، بما كان يضمها من دعايات رقيقة ، وأساطير شعبية كان لها فعل السحر في نفوس المستمعين ، حتى إنهم كانوا يرددونها فيما بينهم بمجرد انتهاءه من لقائها لحفة روحها ، وسلاسة أسلوبها .

- عبد الله بن محمد بن صالح البناء الرشيدى -

وهو ناسخ مجموعة خليل الخضرى الرشيدى المعروفة (سبعة وثلاثون مجلسا) وهو رشيدى الأصل سكندرى الإقامة حنفى المذهب ، خلوق الطريق ، انتهت إليه رئاسة السادة الخلوتية بالإسكندرية ، وكان يقيم الحضرة لإخوانه بمسجد أبى العباس المرسى ، وكان إماما بمسجد البوحييرى ، ويسكن قريبا منه ، وعرفت عنه كرامات ، وتوفى في ٣٠ ربيع الأنور سنة ١٣٤٧ هـ بالإسكندرية عن أكثر من تسعين سنة ، وكان له ولدان السيد حسن رئيس محكمة الإسكندرية الشرعية الذى توفى قبل أبيه بشهر والسيد عبد الفتاح الذى كان أمين مكتبة المعهد الدينى بالإسكندرية .

والشيخ عبد الله مدفون بمسجد المغاورى بجوار والده ، ومن فوقه مدرسة ، وقد أخذ الطريق عن أبيه ، كما أن كثيرين من متصوفة إدكو ورشيد والكنائس وكفر الدوار أخذوا عنه الطريق الخلوتى .

### ـ عبد الحميد العبادى ـ

والعبادى نسبة إلى ( منية عباد ) بالغربية ، وقد سكنت هذه الأسرة مدينة رشيد واستوطنتها ، وبها ولد الأستاذ عبد الحميد العبادى فى ٢١ مارس سنة ١٨٩٢ ، وانتقل مع الأسرة إلى الإسكندرية فتعلم بمدارسها وتخرج من المدرسة العباسية الثانوية بها ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة وتخرج منها سنة ١٩١٤ ، كما حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٨ .

وتولى عدة مناصب فى حياته ، إذ بدأ بالتدريس بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، فأستاذًا للتاريخ بمدرسة القضاء الشرعى ، ثم بكلية الآداب عند إنشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ حيث اختير أستاذًا للتاريخ الإسلامى ثم عميداً لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٢ ، وشغل كرسى التاريخ الإسلامى بجامعى القاهرة والإسكندرية مع ندبه للعمل فى كثير من الجامعات والمعاهد العلمية فى مصر وخارجها ، فعمل بالجامعة الأزهرية وكلية دار العلوم وكلية الآداب بجامعة عين شمس ، ودار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٢ ، ولما بلغ سن المعاش عين أستاذًا للتاريخ فى معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية .

وكان أحد الأعضاء المؤسسين للجنة التأليف والترجمة والنشر وعضواً بمجمع اللغة العربية ، وعضواً مراسلاً بالمجمع العلمى العربى بدمشق ، وممثلاً لمصر فى عدة مؤتمرات دولية وأخصها مؤتمرات المستشرقين ؛ والمؤتمرات التاريخية ومؤتمر الفردوسى .

وتوفى رحمه الله فى ٣ أغسطس سنة ١٩٥٦ بعد جهاد مشرف فى سبيل العلم والأدب .، فقد كان رحمه الله مثال الأستاذ المتواضع مع الناس ومع زملائه وتلاميذه ، وديعاً هادى الطبع وكان يمزج التاريخ بالأدب فى محاضراته القيمة ، وله عدة مؤلفات وبحوث نشرت فى ( الرسالة ) و ( الثقافة ) وغيرها من كبريات المجلات العربية جمعت أغلبها فى كتبه ، واشترك مع زميله المرحوم أحمد أمين فى وضع كتاب ( فجر الإسلام ) وله ( صور وبحوث من التاريخ الإسلامى ) فى جزئين أولهما فى الدولة العربية والآخر فى عصر الدولة العباسية والمغرب والأندلس ، وترجم بالاشتراك مع محمد بدران كتاب ( المسألة المصرية ) لروذستين ، واشترك مع الدكتور طه حسين فى تحقيق ونشر كتاب ( نقد النثر ) لقدامة بن جعفر ،

وترجم عن الإنجليزية كتاب « علم التاريخ ، لهرنشو ، وقدمه بفصل قيم عن التاريخ عند العرب ، ونشرت محاضراته بعد وفاته في كتاب « مجمل تاريخ الأندلس ، وراجع الترجمة العربية لكتاب « الحضارة الإسلامية .»

وقد حظيت بشرف التلذذ على يديه ، وحرصت على الاستماع إليه قبل أن أخرج في كلية الآداب ، والتقيت به مرارا في الإسكندرية ، وأفدت من علمه الغزير ، كما أنه كان شاعرا مجيدا ، فقد نشرت له « الهلال » قصيدة رائعة عن « سقراط » .

وانجب العبادى عددا كبيرا من كبار المؤرخين المعاصرين ، الذين فتدوا بوفاته ركنا هائلا في صرح التاريخ الإسلامى ، أما أولاده فهم الدكتور مصطفى خريج جامعات إنجلترا في التاريخ أيضا ، وكريمته السيدة سنية تقوم بتدريس التاريخ بمدارس البنات .

هذا وقد أصدرت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عددا خاصا من مجلة كلية الآداب ( مجلة ١٤ فبراير سنة ١٩٦٠ ) وأهدى الباحثون بحوثهم إلى روح الفقيه عرفانا بفضلله ، وتحليدا لذكراه .

- أحمد عبد المحسن الجارم -

ولده برشيد في ٢ يوليو سنة ١٩٠٠ ، وأتم تعليمه الابتدائى بها ، ثم التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة ثم تخرج في مدرسة الحقوق السلطانية ، ولما شبت ثورة سنة ١٩١٩ عاد إلى بلده ، فأشعل حماسة مواطنيه وقاد مظاهراتهم . وخطب في جماهيرهم ، ثم قبض عليه وسجن بالحدراء بالإسكندرية ، وكان يعتبر رقه كسجين وساما وطنيا شريفا .

وتخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٤ وكان ترتيبه الثانى في الناجحين فعين معاونا لنيابة طنطا ، وتدرج في مناصب النيابة والقضاء ، حتى أصبح مستشارا بمحكمة الاستئناف سنة ١٩٤٨ ، وأنعم عليه برتبة البكوية من الدرجة الأولى سنة ١٩٥٠ ، ثم صار وكيلا لمحكمة الاستئناف بالقاهرة ، وتوفى يوم ٣ يوليو سنة ١٩٥٨ ودفن برشيد .

وله عدة بحوث قانونية وأحكام منشورة في مجلة « المحاماة » ، كما أنه كان أديبا شاعرا وزجالا ، وكان بينه وبين عبد العزيز فهمي باشا مساجلة شعرية ، ونشرت له « الأهرام » في ١٢ مارس سنة ١٩٥٠ هذه الأبيات يواسي بها عبد العزيز باشا فهمي في شيخوخته :

يامن رشغنا شعره	فاذا هو العذب الفرات
قد راق في عين الزمان	ولم يعكره انبتات
قد صغته ونظمته	فالعقل ليس به شتات
ولكم نظمت قلائدا	في الفقه هن المرشدات
يمشى على أضوائها	السارى ويأتم القضاة
لا تبتس إن لم تطق	صوما وإن فانت صلاة
يكفيك فضل العبقريّة	لأنه نعم الزكاة
عش سالما واهنا	فــــــثلك ترتوى منه الحياة

فرد عليه عبد العزيز باشا بقصيدة رائعة أشاد فيها بمجد آل الجارم وفضلهم على اللغة العربية مبتدئا بالشاعر المجيد على الجارم زميله في مجمع اللغة وثنى بولده الشاعر المبدع بدر الدين الجارم ، ثم أحمد الجارم القاضي ، فقال :

ياسيدى ( الجارم ) المشكور ما صنعنا	لأنى أرى الناس فى الفصحى لكم تبعا
خدمتموها على التعقيب فأنكشفت	آفاقها وسناها فى الورى سطعا
آخيت منكم ( علما ) وهو يحرسها	يقظان يرقبها الأحاد والجمعا

ومنها بعد الإشادة بذكر على الجارم :

لما نأى اختط « بدر الدين » خطبة وواصل البر بالفصحى فما انقطعما  
ثم قال :

غبطت ( ثغر رشيد ) إذ لحظت به	فى لائر شمس ( على ) كوكبا طلعا
والآن أغبطه متى بلا حرج	فكل آل ( على ) عز وارتفعنا
وأما ترى ( الجارم القاضي ) اتضى قلبا	يسيل بالدر بما اختاره ووعى



## أعلام إدكو

«الإدكاوى» نسبة إلى «إدكو» ، وأحيانا يقال «الإتكاوى» ، لأن «إدكو» كانت تكتب وتنطق هكذا : «إتكو» ، وقد رأينا النسبة هكذا : «الإدكاوى» ، أما «الإيدكاوى» فلاتمت إلى «إدكو» بأية نسبة ، لأن «إيدكو» ملك من ملوك الأتراك مات سنة ٨١٤ هـ ، و «إيدكى» الجاركسى الأشرفى بارسباى قتل فى موقعة (سوار) سنة ٨٧٢ هـ ، و «إيدكى» أيضا هو الذى ينسب إليه الظاهر جقمق ، ومات سنة ٨٥٣ هـ ، وهناك فى الجزء الثانى من «الغزوة اللامع» شخصيات مثل شاهين الإيدكاوى .

على أن السخاوى قد أورد فى صفحتى ١٨٣ و ٢٧٥ من الجزء الحادى عشر بكل وضوح أن (الإدكاوى نسبة لإدكو بالقرب من الساحل) وسرد مجموعة من أعيان القرن التاسع ينسبون إلى إدكو ، منهم من توسع فى ترجمته ، ومنهم من ذكر اسمه فقط على الثبوت الآتى :

٤ - إبراهيم بن عمر بن محمد الإدكاوى ٢ - أحمد بن على بن موسى أبو يوسف الإدكاوى ٣ - رمضان بن عمر بن مزروع الإدكاوى ٤ - سلامة بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم الإدكاوى ٥ - ابنه الشمس محمد بن سلامة الإدكاوى ٦ - تلميذه القاضى عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الإدكاوى ٧ - محمد بن أحمد ابن أبى بكر الإدكاوى الفوى ٨ - ابنه عطاء الله الإدكاوى ٩ - محمد بن سيف الدين المقرئ الإدكاوى الذى إجازته هند ابن سلامة ١٠ - أبو بكر ابن أحمد بن أبى بكر بن محمد بن وهيب الإدكاوى ١١ - محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب وهيب البرلسى التاجر .

- مكاريوس أسقف إدكو -

وضع البابا (ديوسقورس) وهو البطريك الخامس والعشرون للآقباط الأثرؤذكس كسابا عنوانه «تاريخ القديس مكاريوس أسقف إدكو» ، كما ورد ذكره فى «تاريخ الجامع» ، للنبجى ، وأرمانىوس حبشى فى «ديوسقوريس» . وإذا كان ديوسقورس قد توفى سنة ٤٥٠ ، فإن مكاريوس قد توفى قبله

بعدة سنوات فقط ، وكان من الطبيعي أن يكتب ديوسقورس عن مكاريوس مع أن الأول كان لا يتكلم إلا اليونانية ، والآخر لا يتكلم إلا القبطية الريفية . ودعى ديوسقورس إلى حضور ( مجمع أفسس ) بالقسطنطينية ، فلما هم بركوب السفينة من الإسكندرية ، رأى على البر شيخا طاعنا في السن هو أسقف إدكو القديس مكاريوس . ودعاه للركوب معهم فأجاب بأنه على استعداد للذهاب إلى هذا المجمع ماشيا ، لولا أنه لا يملك أجر السفر ، فقال إنه يدعوه باسم البطريك ، فركب معهم ، ومالبت أن انزوى في مؤخرة السفينة مع تلميذه ( بينوتن ) ، حتى دعاه البابا ديوسقورس للجلوس معه ، وكان المترجم بينها بطرس سكرتير البطريك .

وأبدى ( تاويستاس ) الشك في بعض السخرية بالأسقف مكاريوس الذي لا يعرف اليونانية ، ولكن البطريك أفهمه ما لهذا الأسقف من كرامة عنده . ولما وصلت السفينة إلى القسطنطينية ، استأجر شماس البطريك من رؤية الثياب البالية التي يرتديها أسقف إدكو مما لا يليق بمن يدخل على الملك في قصره ، فرد عليه مكاريوس قائلا : صدقني يا بني أن قلب الملك من الإيمان أقدر من ثوبي ، أما اللباس الحقيقي فهو لباس المجد الذي يكسونا إياه السيد المسيح . ولما دخلوا على الملك أدرك ديوسقورس أن مكاريوس ليس معهم ، فقد منعه الحاجب بسبب ملابسه الرثة ، فأسرع إلى الباب وقال له : دعه يدخل لأن كني معي ، وانعقد المجمع ثم انفض ، وكان لديوسقورس فيه صولات وجولات ، مما جعل القائد ( نقيطه ) يدعوه إن أن ينزل ضيفا عنده ، فقبل ، وكان بصحبته الأسقف مكاريوس ، وقد نقل ابن المضيف إلى ديوسقورس مؤامرة دبرها أساقفة المجمع بقتل الأسقف القبطي ، واستمر ديوسقورس بالقسطنطينية بينما عاد مكاريوس في سفينة مع بعض التجار إلى الإسكندرية ، وقد ودعه ديوسقورس وداعا حارا ، طالبا منه أن يدعو له بالتجارة من برائن الذئاب ، إذ نفى إلى جزيرة ( جاجرا ) بإيطاليا بعد مجمع خلقدونية حيث مات بها سنة ٤٥٠ م .

وبعد وصول مكاريوس إلى الإسكندرية بشهر ، اجتمع بأصحابه في دير

الزجاج، الذى بظاهر الإسكندرية، فقدم إليهم رسول من الملك ( مرقيان ) برسالة تهديد لكل الرهبان الذين لا يعترفون بقرارات مجمع خلقدونية ، والثالثة بأن للسيد المسيح طبيعتين : لاهوتية وناسوتية ، فاعترف بها ( پروتاريوس ) مقدم القساوسة ، وأقرها بعض رهبان الدير ، ولكن مكاريوس أنكر عليهم ذلك ، ولما طلب منه التوقيع رفض ، فركله رسول الملك برجله فأت لساعته ، وحمل جثمانه إلى كنيسة القديسين لإليشع النبي ويوحنا المعمدان ، وقد بنى دير أبو مقار بوادى النطرون ، وضم رفات أبو مقار الكبير وأبو مقار الإسكندرية وأبو مقار إدكو (١) ، ولما بنى البابا تاوفيلس الثالث والعشرون كنيسة النبي دانيال بالإسكندرية على اسم الإليشع النبي ويوحنا المعمدان نقل معها جثمان مكاريوس أستف إدكو ويسمونه أيضا ( أبو مقار ) .

ومما يحكى عنه أن قرية قريبة من إدكو كان أهلها يعبدون الأوثان ، ويحفظون أولاد المسيحيين ليذبحوهم ويقدموهم قرابين للآلهة ، فشكا إليه كهنة هذه القرية ، فذهب إليهم ، ولما هم بدخول الهيكل ، شرعوا سيوفهم في وجهه ولكنه أصر على اقتحام الهيكل فصرخوا قائلين : ماشأنك بنا ، إن آلهتنا تخبرنا أنك تذكرنا فارحل عنا ، فقال : لا أرحل حتى تخبروني لماذا تحفظون أبناء المسيحيين وتقدموهم قرابين لآلهتكم ، فقالوا له : إن ماوصلك عنا كله كذب ، فقال : إذن دعوني أدخل المذبح ، ففتحوه ، فرأى عشرين رجلا يتقدمون إليه يريدون قتله ، وإذا بالباب (وصفا) تلميذ الأنبا شنودة ومعه أربعة عشر راهبا فقبضوا على الكاهن ومن معه ، وإذا بالنار تلتهم الأصنام وعابديها ، وخرج مكاريوس وترك المعبد طعمة للنيران ، التي ألهمت رئيس الكهنة بالمعبد وكان اسمه ( هوميرس ) ، واندلعت ألسنة اللهب في أصنام القرية ، واضطر الكثير من أهلها إلى اعتناق المسيحية .

هذه نبذة تاريخية عن أسقف إدكو الذى عرف له المسيحيون فضله في القرن الخامس الميلادى أى قبل الإسلام بمائتى سنة ، ومن الصعب علينا أن

(١) إدكو كتبت بالقطبية ( تكو Tkôou ) في كتاب : A Guide to the

P : 38 : Burmester مؤلفه Monasteries of Wadî N - Natrun

نعرف شيئا عن هذا المعبد الوثني الذي كان قريبا من إدكو ، ولكننا نرجح أنه هو ( الهرقايوم ) عند ( الطابية الحمراء ) الواقعة غرب إدكو بنحو ستة عشر كيلو مترا والذي سبق أن تحدثنا عنه كثيرا في عدة مواضع .

وبما يروى عن أسقف إدكو أنه كان إذا صعد المنبر في إدكو للوعظ والإرشاد كان كثير البكاء على خطايا الناس . فيبكي ويبكي .

وقد عثروا في الفاتيكان على مخطوط قبطي ، تلقى ناسخه سيرة مكاريوس أسقف إدكو من لسان ديوسقورس أثناء نفيه إلى ( جاجرا ) ، ويتضمن هذا المخطوط قصة سفره إلى ( مجمع أفسس ) ، كما يحتوي على قصة مكاريوس أسقف إدكو ، وقد كتبها بالإنجليزية مسز بوتشر سنة ١٨٩٧ وترجمها إلى العربية إسكندر تادرس ، ونشرتها جريدة مصر ، بعنوان : ( تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ) .

— الصحابي الجليل شافع بن السائب —

الجد الرابع للإمام الشافعي

أجمع المؤرخون وأصحاب الطبقات والتراجم على أن الإمام الشافعي هو :

أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي . واشتهر بالإمام الشافعي نسبة إلى جده الرابع شافع بن السائب ، المدفون بإدكو على رأس مقابرها من الناحية البحرية ، وله مقام متواضع ، كان منذ أكثر من خمسين سنة مسجدا واندثر .

الحبيب النسب أبي العباس أحمد بن هوري المامي  
ضريحه المبارك وشط مقرر أدكو في قبة معروفة هناك  
بحري ضريح سيد شافع الذي هو الجد الرابع للإمام المجتهد  
أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وهو الذي ينسب إليه  
رعي عنه ومن سائر الأئمة أجمعين وأرض عنا جودهم يارب

السند الذي يذكر شافع بن السائب وهو الجد الرابع للإمام الشافعي ومدفون بإدكو

والدليل الوحيد - في العالم كله - الذي يشير إلى أنه مدفون بإدكو، ينحصر في وثيقة خطية تحت يدي هي سند لناقلها السيد مصطفى السمنى الإدكوى وهو ابن محمد ابن حسن بن إبراهيم بن محمد بن أبي عبد الله محمد سيف الدين بن سلامة الملقب عريقات بن أبي العباس أحمد السهنورى، نقلها في ١٢ رمضان سنة ١٢١٠ هـ عن السند الاصلى المؤرخ ٢٠ ربيع الاول سنة ٧٧٢ هـ المحفوظ عند أبي عبد الله محمد سيف الدين المدفون بضريحه الكائن غرب إدكو، في قبة قريبة من مقبرة والده أبي العباس أحمد السهنورى وضريحه وسط مقبرة إدكو في قبة تقع شمال ضريح سيدى شافع وهو الجد الرابع للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعى (كما ينص السند) انظر الجزء المنشور في الصفحة السابقة) .

والمعروف أن الإمام الشافعى ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة، ونشأ الشافعى بمكة وانتقل إلى المدينة واليمن والعراق وصاحب الإمام أحمد بن حنبل وقدم مصر سنة ١٩٩ هـ مع عبد الله بن العباس ومات سنة ٢٠٤ هـ بدرب النخل ودفن بمقبرته التي تعرف بمقبرة الإمام بالقاهرة. أما جده المشار إليه فقد ذكر المؤرخون عنه أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعر أى أنه قدم مصر في الفتح الإسلامى وأنه استقر بإدكو في الموجة التي زحفت بعد الفتح من الإسكندرية إلى رشيد، وإدكو تقع في المسافة بينهما . وعلى ذلك يكون سيدى شافع المشهور بإدكو أول صاحب نزل بها، ودفن قبل غيره من المسلمين بها، ونرجح أن قبره الشريف كان أول نواة لجبانة المسلمين بهذا الثغر من جانبه الغربى القائم إلى الآن .

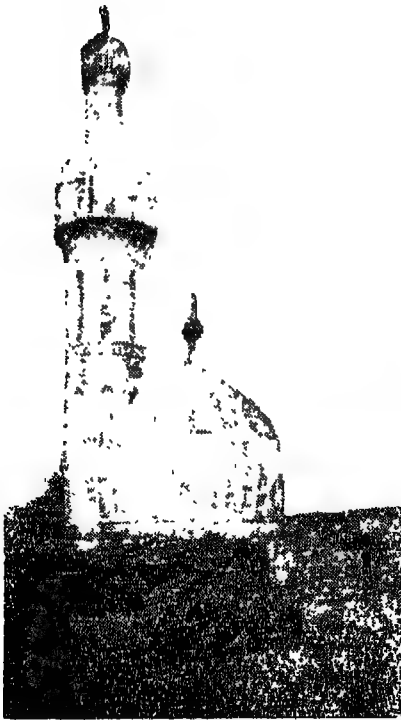
ومن ثمت دفن سائر الصالحين والصالحات ، ففي السند المذكور ضريح الشيخ محمد سيف الدين وضريح والده الشيخ سلامة المشهور بعريقات وضريح الحسينية النسبية صالحه ، وضريح أبي العباس أحمد السهنورى ، ولكن للأسف الشديد ليس لدينا من المراجع ما يرشدنا إلى التفاصيل ،

- الشمس العمرى -

ذكره السنخاوى في ( الضوء اللامع ) بالجزء السابع :  
وهو محمد بن إسماعيل بن عمر بن مزروع الشمس العمرى ثم القاهرى

الشافعي ، ابن أخى الشيخ رمضان الإدكاوى ، وقد ولد بعد سنة ٨٢٠ هـ ببلد يسمى (عمرىط) بالشرقية . ثم أخذه عمه رمضان وسافر به وهو صغير إلى إدكو فأقام بها وحفظ القرآن ، وتلقن الذكر من شيخه وحفظ المنهاج ، و«لألفية» وغيرهما ، وتزوج من ابنة عمه المذكور ، وأخذ القراءات عن بعض القراء ، وبرع في الفقه والعربية ، وكان من شيوخه في العربية الشهاب الحناوى ، وفي القمه الشمس الونائى والشرف المناوى ولانتمائه إلى الشيخ ابن مصباح كان ابن أخته الزين عبد الرحيم الإبناسى يقرأ عليه في القرآن وغيره وهو صغير ، وسمع على ابن حجر وغيره ، وقرأ على العلم البلقينى البخارى وغيره ، واختص بالبدر أبى السعادات البلقينى والولوى من تقي الدين وقرأ عليها في الفقه والحديث وغيرهما وناب عن هذا الأخير في خزن الكتب بالباسطية وفي القضاء بجزيرة القيل والمينة وشبرا ، وناب في القاهرة عن العلمى وغيره ، وكتب بخطه الكثير ، وكان مداوما على التحصيل ، ومتدينا ومتحريرا في جميع أحواله ، وسافر مع الولوى حين تولى القضاء على نقابته بالشام ، فلما لبث إلا قليلا بعد دخولها حتى توفي في آخر سنة ٨٦٤ هـ في حياة أبويه .

- إبراهيم بن عمر الإدكاوى -

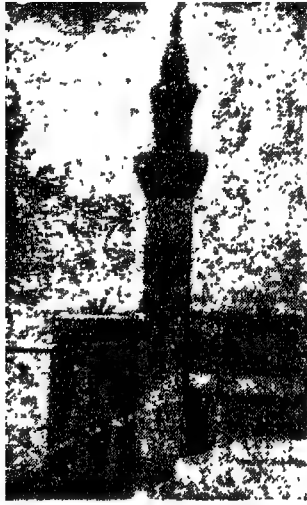


المئذنة القديمة والقبة

ذكره السخاوى في الجزء الأول من (الضوء السلام) وابن عزم في (دستور الإعلام) ، وابن العماد الحنبلى في (شذرات الذهب) والزبيدى في (تاج العروس) والعيديروس في (النور السافر) وعلى ميسارك في (الخطط التوفيقية)

وهو أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن محمد زيادة البرهان الإدكاوى القاهرى الشافعى ، أحد السادات من العارفين توفي في ربيع الأول سنة ٨٣٤ هـ ، وهو مدفون بزاويته التى أنشأها له صهره وأحد أصحابه أبو يوسف أحمد بن على بن موسى بالطرف الغربى من إدكو .

وقد تهدم مسجده القديم ، وطمرته الرمال ، حتى علته بمترين وكان منبره من صنم المعلم زيتون وكان مكتوبا عليه : ( لم ير مجد الإسلام من لم يزر مصر ) ، ثم تبرع السيد الخير سعد الدين اللاذقي فجدد بناءه الحالي على نحو يليق بمقام هذا العالم الجليل الذي يقول فيه السخاوي [ وما رأيت شيخنا ( ابن حجر العسقلاني ) ولا المقرئ ولا غيرهما ممن وقفت عليه ذكره مع جلالته ] .



المئذنة الجديدة المسجد الجديد

حفظ القرآن ومختصر أبي شجاع (في ابتداء الفتى الشافعي) ، وعرضه كاملا على الناضي داود السري ، ويقال إن كتابه أيضا الخاوي وكأنه حفظ بعد ، وأخذ عن النقي عبد الرحمن الشبريسي صاحب الشيخ يوسف العجمي ، وما تيسر له الحج ظاهرا .

وأخذ عنه الشمس العراقي والأبناسي والقائاتي ، والونائي والمناوي والجمال الأمشاطي والشهاب السكندري والعلاء القلقشندى والشمس العاصمي ، والزين عبد الدائم الأزهرى المقرئ وإمام الكاملية والعبادي ،

وغيرهم من أئمة الشافعية ومنهم من أهل إدكو : رمضان الإدكاوي ، وسلامة الإدكاوي ، ومن الحنفية : العلاء النجاري ، وابن الهلم ، وأفضل الدين ، ومن الحنابلة : العز الكناني وآخرين منهم محمد القوي والنور أخو حذيفة ، وأخذ طريقته ابن حميد الدين بن سعد الدين السيوسي الناهري المتوفى سنة ٨١٦ هـ كما أشار إلى ذلك السخاوي في الجزء الثامن صفحة ١٢٨ .

وقد روى السخاوي ما حده به الكثير من هؤلاء عن كراماته وأحواله من ذلك : أن العلاء النجاري كانت قد تعتبت به تابعة من الجن فعجز الأكار عن تخليصه منها ، ولم يتم ذلك إلا على يدى إبراهيم بن عمر الإدكاوي ، لأنه كان ذا تأثير قوى على الجن .

لهذا صار العلاء النجاري ينتقاد له ، وزاد انتقاده ، وكان إذا قدم عليه وهو

يقرىء وبين يديه كبار الأعيان من كل المذاهب ، قام إليه إعظاما وإجلالا ، وأجلسه في مكانه ، حتى دب الحسد في نفوس بعض الحاضرين فقال بعضهم ساخراً : ياسيدى ، من يقرئنا الدرس ؟ أنت أم هو ؟ - فلم يعد العلاء يكلمه بهذا ، فبادر هو وأمر القارىء بالقراءة ، وأخذ في التقرير ، فبهر جميع الحاضرين حتى طأطأوا له رءوسهم .

وكان إبراهيم الإدكاوى يقول : [ والله ما كنت أعلم شيئا مما قلته ، حتى صورلى في اللوح المحفوظ ] .

وكان السخاوى عند الكمال إمام الكاملية ، فأنشده في حضور إبراهيم الإدكاوى لنفسه هذه الأبيات من الشعر الصوفى :

صبوت وما زال الغرام مسامرى	إلى أن محاني الشوق عن كل زائر
بذكر الذى أفتى خيالى بحبه	أغيب عن الأحوال غيبة حاضر
وعاش فزادى بالحبيب وهما أنا	أقول وبالمحبوب ترجم سائرى
فخاض كمال السر ألف نوره	لنور شمس الصحو ألفسة قادر
وجامع جمع الجمع أدهش نوره	وقال فرقا الصبح ينصر ناصرى
وعفوك يامولاي زاد به الهنسا	ومنك دنا نور حوى كل ناظرى

وقال السخاوى : إن الكمال قال له : إن إبراهيم بن عمر الإدكاوى كان يحذره من مطالعة كتب محي الدين بن عربى ، وينفره منها .

وحكى الشمس بن سلامة لصديقه السخاوى أنه رآه في المنام وأنشده أبياتا كأنها لنفسه ، فاستيقظ وهو يذكر منها بيتا واحدا ، وقص ذلك على الشيخ رمضان الإدكاوى فقال له : لقد كنت معك ، وحفظتها ، وأنشدها إلياه وهى :

يا مالك المالك كن لى	وذكرك اجعله شغلى
وهب لى قلبا سليما	وأحييه بالتجلى
وأن أكون دواما	مشاهدا لك كلى
من غير أين وكيف	وغير شبه ومثل
سألتك الله ربى	تمننى على بسولى

وكان إبراهيم بن عمر الإدكاوى قد كتب بخط يده قائمة الذين أذنوا له



وأجازوه ، كما أنه حضر ختان أحمد على بن يعقوب الشهاب بن الشمس القباياتي وأخيه في يوم واحد ؛

أما العبادى المتوفى سنة ٨٨٥ هـ فهو - كما جاء فى الجزء السادس من الضوء اللامع - عمر بن حسين ... أبو حفص بن البدر العبادى ثم الطنطاوى ثم القاهرى وكان مولده بمنية عباد غربية ، ومنها رحل إلى طنطا وسمع من الولى العراقى والبوصيرى [ وصحب إبراهيم الإدكاوى وأخذ عنه طريق القوم ( التصوف ) ] وهو - أى العبادى - أحد الذين نقلوا للسخاوى كثيرا من كرامات الإدكاوى وأحواله .

وأما العاصمى فهو - كما جاء فى الثامن من الضوء اللامع - محمد بن عثمان بن يوسف الشمسى العاصمى ثم القاهرى ، شيخ رواق الريافة ( أهل الريف من المغرب ) فى الأزهر ، وقد تلقن أصول الذكر من إبراهيم الإدكاوى ، وهو الذى ألبسه الطاقية وأذن له ، وكان العاصمى أحد صوفية « سعيد السعداء » ولقيه السخاوى كثيرا وتلقن منه ، وتوفى عن سبعين عاما فى سنة ٨٧٤ هـ .

وأما الشمس السكندرى المتوفى سنة ٩٠٦ هـ فهو - كما جاء فى الثامن من « شذرات الذهب » - أبو الفتح محمد بن محمد بن على صالح العوفى ، ولد فى الإسكندرية سنة ٨١٨ هـ ، والده بدر الدين العوفى ، فهو السكندرى المولود ، الأفاقى النشأة ، العاتكى المزى ، الشافعى الصوفى المحدث الفقيه اللغوى المرشد ؛ وهو القائل : [ لما تم لى سبع سنين لبست الخرقة الشريفة من يد الإمام أبى الحسن الدمهورى الصوفى ومن يد الشيخ أبى إسحق إبراهيم الإدكاوى بلباسها من الشبريسى ] .  
ومن صحبوا إبراهيم الإدكاوى وانتفعوا به وتلقنوا منه : الأنباسى ، والشهاب اللامى المعروف بالصندل المتوفى سنة ٨٨٩ هـ .

- أحمد أبو نجور الإدكاوى -

ذكره السخاوى فى الجزء الثانى من « الضوء اللامع » والعيدروس فى « النور السافر » ، والزبيدى فى الجزء السابع من « تاج العروس » ،  
وهو أحمد بن على بن موسى أبو يوسف الإدكاوى المالكى ، وأخو زوجة الشيخ إبراهيم بن عمر الإدكاوى ، كما أن الشيخ إبراهيم أخو زوجته ويقال له

الإتكاوى (الإدكاوى) و (أبو نجور) . وحج ومات في الحج سنة ٨٤٥ هـ تقريبا ، ودفن بترية الشيخ سليم .

وكان سيداً كبيراً ، ومشهوراً بالصلاح ، وقد سمع الشهاب أحمد الصندلى من الجمال يوسف الصفى أحد السادات الصوفية أنه سأل الشيخ أحمد : يا سيدى أحمد ، أفض على من قلبك ، أى من كراماتك وأحوالك الصالحة .

وقد جود القرآن بإدكو على يد شيخ القراء بها الشمس بن سيف الدين ، تلا عليه القراءات لآنى عمرو وتمام أربع روايات ، وأقبل على الطريق ( أى انخرط فى سلك الصوفية ) ، وأخذ عن صهره إبراهيم الإدكاوى .

وعن أحد الإدكاوى أخذ بعض علماء إدكو وغير علمائها ، وقدم القاهرة عدة مرات ، فأخذ عنه العبادى والصندلى وإمام الكبالية ، وأخذ عنه التصوف أيضا زكريا الأنصارى وهو الذى حكى عن كراماته وكشفه ، وأخذ عنه كذلك ابن سلامه الإدكاوى المشهور بالمؤذن ، كما سئى .

وقال عنه الزيدى : [ وهو عصرى المصنف ] ، ولكننا لم نقف على شيء من آثاره العلمية سواء فى التصوف أو فى غيره .

أما زكريا الأنصارى الذى أخذ عن أبى نجور الإدكاوى فهو شيخ الإسلام الزين قاضى القضاة زكريا الأنصارى السنيكى ثم القاهرى ولد سنة ٨٢٦ هـ ببلدة (سنيكة) شرقية وسكن القاهرة منذ سنة ٨٤١ هـ وتوفى بها سنة ٩٢٥ هـ ودفن بمقبرة الإمام الشافعى وقبره بها مشهور .

وقد أخذ التصوف عن الشهاب أحمد الإدكاوى ومحمد الفوى ، وهما من أصحاب إبراهيم بن عمر الإدكاوى .

وكان يقوم بالتدريس بمقام الإمام الشافعى ، ولم يكن بمصر يومئذ أرفع منصبا من منصب التدريس ، ثم صار قاضى القضاة فى رجب سنة ٨٨٦ فى زمن السلطان الأشرف قايتباى ،

وقال عنه العيدروس صاحب (النور السافر) : [ ويقرب عندي أنه المجدد على رأس القرن التاسع لشهرة الانتفاع به ؛ وبصانيفه فى الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والتصريف والمعانى والبيان والبديع والمنطق والطب والتصوف والفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهيئة ( الفلك ) والهندسة ] .

ونظراً لشهرة الشيخ زكريا ، اكتفى الزبيدي في ترجمة الشهاب أحمد أبي  
نجور الإدكاوى بقوله عنه إنه : [ أحد مشايخ شيخ الإسلام زكريا الأنصارى  
في طريق القوم ( التصوف ) ] فإذا كان هذا هو شأن الأنصارى التلميذ فما بال  
الإدكاوى الشيخ .

وأخيراً كان أحمد أبو نجور الإدكاوى جد ابن زيتون الإدكاوى لأمه ، وهو  
الذى سنفرده له ترجمة خاصة في الصفحات التالية .

### - سلامه الإدكاوى -

ذكره السخاوى في الجزء الثالث من « الضوء اللامع » ، وهو سلامة بن محمد  
ابن أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن أبي محمد بن علي بن صدقة الزين بن أبي عبد الله  
الإدكاوى الصوفى المالكي والد الشمس محمد الشافعى ، أخذ الطريق عن بلديه  
إبراهيم الإدكاوى ، واختص به حتى صار أرجح جماعته وتصدى لإقراء الأطفال  
احتساباً ، وتورع عن الشهادة وغيرها من الوظائف . وكان ينسخ الكتب بيده .  
وأثنى عليه السخاوى فقال : [ وكان فاضلاً في مذهبه ] .

أخذ الأصول والعربية عن شيوخ الإسكندرية وغيرها ، ومات في ٢٣ رمضان  
ولا ندرى أى سنة كان ذلك ، وأغلب الظن أنه مات بعد أستاذه إبراهيم بن عمر  
السابق ذكره المتوفى سنة ٨٣٤ هـ .

### - الوزير ابن نصر الله الإدكاوى -

ورد ذكره في الجزء الثالث من « الضوء اللامع » ، كما ذكره المقرئى في  
« العقود » :

وهو حسن بن نصر الله بن حسن بن حسن بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم  
ابن عبد السلام - هكذا كتبه للسخاوى أخوه فخر الدين الناسخ - وهو الصاحب  
( أى الوزير المصاحب للسلطان ) بدر الدين بن ناصر الدين بن بدر الدين بن  
شرف الدين بن كمال الدين بن كريم الدين بن زين الدين الإدكاوى ( الإدكاوى )  
الأصل ، الفوى القاهرى ويعرف بابن نصر الله .

أصله من إدكو - وكانت قرية تابعة لكونزة المزاحمتين التى تقع في حدودها

رشيد - وكان جده الاعلى الشرف محمد بن أحمد ابن خطيب إدكو ثم خطيب ديبى  
وكان ابنه البدر يتولى الوظائف ، عند سيف الدين الكسنانى والى ( فوة ) ،  
وولد له بها ولده (نصر الله ) هذا ، فنشأ بها وبأشر (توظف) بها ثم بالإسكندرية  
عدة وظائف ، ثم أنجب ابنه ابن نصر الله بفوة فى ربيع الآخر سنة ٧٦٦ هـ ونشأ  
فى كنفه ، ولما نما عوده تزوج - فى حياة أبيه - من بنت ابن الصغير ناظر فوه ،  
وصار عدل الفخر بن غراب ، وقدم القاهرة فى حدود سنة ٧٩٠ هـ وهو فى غاية  
الفقر والفاقة .

ثم كتب التوقيع بباب القاضى ناصر الدين بن التمسى ، ثم تولى نحو شهرين  
منصب الشهادة فى ديوان أرغون شاه أمير مجلس فى دولة فى الظاهر برقوق (من  
٧٨٤ إلى ٨٠١ هـ) . ثم انتمى إلى مهنى دوا دار بكلمش العلانى أمير سلاح ،  
فصلح حاله واغتنى وظل يترقى فى الوظائف حتى تولى الحسبة (وزير الشؤون  
البلدية) فى الديار المصرية . ثم ناظر الجيش (وزير الحربية) ثم صار وزير  
الديار المصرية (رئيس الوزراء) ثم ناظر الخاص (ناظر الخاصة السلطانية)  
فى دولة المؤيد (المحمودى سنة ٨١٥ هـ) .

وصودرت ممتلكاته وأمواله عدة مرات ، وتولى الاستدارية (وزير القصر)  
فى دولة الصالح محمد ، ثم عزل وأعيد إلى نظارة الخاص بعد مرجان الخازندار  
(وزير الخزانة) ، وأعيد فى أيام دولة الأشرف (برسبای من ٨٢٥ هـ إلى  
٨٤١ هـ) عوضاً عن ولده صلاح الدين محمد ، ثم عزله عن نظارة الخاصة  
السلطانية وحل محله الكرىمى عبد الكريم بن كاتب حكيم فى أوائل جمادى الأولى  
سنة ٨٢٨ . وعزل عن الاستدارية وصودر هو وولده المذكور ، ثم أعيد لثالث  
مرة إلى الاستدارية لمدة غير طويلة حتى عزل منها . فلزم بيته حتى مات ولده ،  
فحل محله فى وظيفة كاتب سر الدولة (سكرتير عام الوزارة) . ثم عزله الظاهر  
(جقمق ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) وحل محله ابن البارزى ، فلزم البدر داره . وتوالت  
عليه الأمراض حتى مات فى ربيع الأول سنة ٨٤٦ هـ (= ١٤٤٢ م) .

ودفن بترابته بالصحره خارج الباب الجديد عند مقبرة ولده صلاح الدين .

وكان شيخا طويل القامة ، ضخم الجثة ، جميل الطلعة ، مستدير الحية ، كريما شجاعا ذا مروءة ، وكان حاد الطبع ، جريئا على الملوك ، منهمكافي الملمات متأنقا في مأكله ومشربه .

وله في ( فوة ) مدرسة حسنة على البحر ، كانت تقام بها الخطبة ، والدروس وله مآثر أخرى كثيرة .

### - رمضان الإدكاوى -

ذكره السنخاوى في الضوء اللامع ، ج ٢

وهو رمضان بن عمر بن مزروع الإدكاوى ( الإدكاوى ) الشافعى . شيخ صالح جليل أخذ عن إبراهيم بن عمر الإدكاوى بإدكو وصحبه جماعة منهم : شيخ الإسلام زكريا الانصارى والشمس بن سلامه الإدكاوى . وكان رجلا فاضلا . توفى في جمادى الأولى سنة ٨٧٠ هـ ، وهو عم محمد بن إسماعيل بن عمر العمرىطى .

### - ابن سلامه الإدكاوى -

ذكره السنخاوى في الضوء اللامع ، ج ٩ وإسماعيل باشا البغدادى في « هدية العارفين » :

وهو محمد بن سلامه بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي محمد بن علي ابن صدقة ، الشمس الإدكاوى الشافعى ويعرف بابن سلامه ولد بإدكو سنة ٨٣٨ هـ تقريبا ، ونشأ بها فقرأ القرآن وبعض الرسالة لابن أبي زيد على مذهب والده . ثم صار شافعيا . وحفظ « المنهاج » وعرضه في جمادى الآخرة ورجب سنة ٨٦١ هـ على العلم البلقينى ، وقريبه أبي السعادات . والجلال المحلى والجلال ابن الملقن ، والمناوى والسراج ، والعبادى والسراج الورورى والكمال لإمام السكلمية ، والفخر عثمان المقسى ، وابن الديرى وابن قرقاس وآخرين :

وتفقه على يد رمضان الإدكاوى - أحد أصحاب الشيخ إبراهيم بن عمر الإدكاوى - كما أخذ عنه الفرائض والأصلين والعربية وانتفع به كثيرا وتهذب بهديه وطريقته فى السلوك ( التصوف ) ثم رحل إلى ( فوة ) فأخذ بها عن البدر

ابن الخلال ودرس معه ( المنهاج ) و التنبيه وتصحيحه ، للنووى ، وتهذيب التنبيه ومطلب الطالب النبيه ، للبكرى ، وبحشها جميعا معه ، ولازمه أربع سنوات فى دراسة شرح الدميرى ، والجمل ، للزجاج ، كما درس معه الفقه وأصوله والنحو ، وحضر تقسيم « التنبيه » على السراج العبادى ، وقرأ فى « المنهاج » مع الزين زكريا ( الأنصارى شيخ الإسلام ) وسمع دروسه فى شرح « البهجة » .

أما النحو فقد درسه على يد والده . وعلى الفقيه شمس الدين ابن الترس : قرأ الأجرومية ، و « الملحة » و « ألفية ابن مالك » ، كما درس معه « الرجيبة » وغيرها فى الفرائض ، واستمر فى دراسة الفرائض والحساب حتى استوفى « الزهراء » لابن الهائم مع « الحاوى الفرعى » وشرحه عن إسماعيل البنى الزبيدى ، ودرس علم الكلام على آخرين ، كما درس المنطق .

وعلى أبى الفتح الفوى درس التصوف ، وقرأ عليه رسالته فى القاهرة مرتين وقرأ « الشفاء » و « الزغب » للبندرى ومعظم « الصحيح » على الشهاب المتيجى وقرأ بداية « الهداية » للغزالى على إمام الكاملية ، وأبس منه الخرقه ( المرقعة ) وقرأ على بعض الفضلاء شرح « جمع الجوامع » للبحلى ، والقول البديع وترجمة النووى ، ومواضع مختلفة من كتب متنوعة .

وجمع شرحه لأبى شجاع المسمى « النهاية فى شرح كتاب الغاية » وغير ذلك ، وحضر على السخاوى فى الإملاء ، وتردد على كل من عبد الرحمن الأبناسى وابن قاسم وغيرهما . وبرع فى العلوم ومهر حتى أذن له ابن الخلال فى سنة ٨٦٤ فى تدريس الفقه والعربية . وانتفع به أهل إلكو والبلاد الأخرى ، وكتب شرحا على أبى شجاع فرض له ابن الخلال والعبادى .

وعرض عليه المناوى وظيفة القضاء بإدكو فرفض بإياه ، وحب سنة ٨٦٩ هـ وركب السفينة وأخذ معه قاشا ليتجر فيه ، مع أنه كان سليم الفطرة ، ولا يدرى من أمور دنياه شيئا ، فحسر وزادت خسارته ، وسافر من ( مكة ) إلى ( هرموز ) بتجارة له ، اضطرت له إلى الاستدانة فرجح كثيرا ، وأكرمه حاكم هرموز ، وعاد مجبور الخاطر ، ولكنه ابتلى فى طريق عودته باللصوص فسلبوه هو ومن كان بالسفينة حتى وصل إلى ( عدن ) فأكرمه صاحبها ابن طاهر ، فحمل منها تجارة

عاد بها بحرا والأمل يحدوه إلى سداد ديونه ، ولكنه توفى وهو على ظهر السفينة سنة ٨٩٢ ، فدفن (في عدن) أو قريبا منها .

وقد حزن على فقده السخاوي فقال : [ وتأسفنا على فقده . فقد كان في الصلاح والخير بمكان ، وبين كنت أستاذ بلظه . وأسر باغتباطى به ، رحمه الله وعوضه وإانا اللجنة ] .

ومن معاصريه أيضاً من نستطيع تذكرهم : البكرى قاضى الإسكندرية المتوفى سنة ٨٩١ هـ الذى ولد في دهر ووط (ديروط) ، والبلقيني المتوفى سنة ٨٩٠ هـ وابن المحلى المتوفى في هذه السنة ، وابن عزم صاحب (دستور الإعلام) المتوفى سنة ٨٩٠ هـ .

### - أولاد زيتون يادكو -

استطعت الحصول على تاريخ أسرتنا من مخلفات جدى لأمى المرحوم الشيخ حسن علي زيتون عمدة إادكو الأسبق المتوفى سنة ١٩١٤ فعثرت على وثيقة طويلة تتضمن قصة انتقال رأس هذه الأسرة من الحجاز إلى مصر في طريقه إلى المغرب ، ثم العودة من فاس إلى تونس إلى الإسكندرية ومنها تفرع ثلاثة لإخوة عرفوا بأولاد زيتون استقروا في الإسكندرية وإادكو والبرلس .

وفي سنة ١٢٤٧ هـ بمحكمة نجر الإسكندرية بحزيرة رأس التين بظاهر الإسكندرية ، تقدم علي بن إسماعيل زيتون بطلب لتجديد نسبة أولاد زيتون ، فحصل على هذه النسبة ومضمونها :

دفن إسماعيل زيتون بمحروسة مصر ، ببستان العلماء بالقرافة ، وكان لإخوته وأخواته : إسماعيل وأحمد وإبراهيم وعلي وفتومة وصلوحة أولاد إسماعيل ابن حسن بن علي بن سليمان بن سالم بن أحمد بن عبد القادر شرف الدين زيتون وهو أول أولاد زيتون يادكو منذ القرن السابع الهجرى .

نزل عبد القادر يادكو ، وأخوه أحمد بالبرلس ، وعثمان بالإسكندرية وجاءوا جميعا من تونس إلى الإسكندرية فبنزلوا أولا بخيامهم إلى جوار سيدى القبارى . ثم التقوا بسيدى أبى العباس المرسى الذى قدم إلى الإسكندرية منذ سنة

وأرادوا جميعاً أن يسكنوا الإسكندرية ، ولكنه أشار عليهم بسكنى البلدان الثلاثة على النحو الذى ذكرناه .

وكان السبب فى قذوم هؤلاء الإخوة الثلاثة بأولادهم وأولاد أعمامهم من المغرب أنهم قبل إقامة طويلة لهم فى تونس ، رأى زعيمهم وهو على بن إبراهيم زيتون - وكان فى (فاس) بمراكش - فى المنام أن هاتفا يقول له : يا ابن إبراهيم ارحل بالأشراف - وفى الصباح قص رؤياه على صهره مولاى محمد سلطان فاس فحزن هو وجميع أهل المغرب على رحيل أولاد زيتون عن البلاد وقد كانوا ولاه الأمن فيها ، فأخذوا طريقهم إلى تونس الخضراء .

وكان (على) هذا ابن شرف الدين عبد القادر زيتون بن عيسى [ الذى كان يتولى بالحجاز شئون (بدر) و (حنين) ويحفظ الأمن فى وقت الحج ، وأبوه محمد البدرى لأنه تولى (بدر) بعد عودته من الغرب وقتل ببدر ] وهو ابن على بن محمد بن موسى بن يحيى بن على بن محمد بن حسين بن موسى بن على الهادى بن إبراهيم بن محمد الجواد بن محمد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وكان محمد الجواد قد انتقل من الحجاز فراراً من عسف الحجاج بن يوسف الثقفى ، فقدم مصر ومضى إلى المغرب ونزل فى (سواكن) . واستقر بها وتزوج منها وأنجب ذريته الذين منهم إبراهيم وولده على الذى رحل بالأشراف من فاس إلى تونس إلى الإسكندرية وجاء ابنه عبد القادر فاستقر بإدكو فكان أول أولاد زيتون بها وسجل نسبه هذا على عهد سيدى أحمد البدوى سنة ٦٧٥ هجرية وبشهادة الأماثل الأشراف .

وذكر ابن خلدون فى المقدمة ، أن القاضى أبا القاسم بن زيتون قد ارتحل من أفريقيا إلى المشرق ، عهد أواسط المائة السابعة ، فأدرك تليد الإمام ابن الخطيب ، فأخذ عنهم ، ولحق تعليمهم ، وحقق العقليات والنقلات ، ورجع إلى تونس ، واتصل بسند تعليمه فى تلاميذه جيلاً بعد جيل ، حتى انتهى إلى القاضى محمد بن عبد السلام شارح « ابن الحاجب » وتليده .



## ابن زيتون الإدكاوى -

ذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » ج ٤

وهو عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الإدكاوى ويعرف بابن زيتون وجده لأمه أحمد بن موسى أبو نجور ، وزيتون لقب جده ، ولد بإدكو فى ربيع الثانى سنة ٨٥٢ هـ ، ونشأ بها ، حفظ القرآن ودرس « الملحة » وحفظها ، و« مختصر أبى شجاع » و« الرحبية » وبعض « المنهاج » ولازم بإدكو ابن سلامه الإدكاوى ، ودرس عليه الفقه والفرائض ( المواريث ) والنحو ، وانتفع به أكثر من غيره ، كما أخذ عن البكرى وعن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى وابن قاسم فى الفقه والعربية . كما أخذ الفرائض عن النور الطنطدائى ( الطنطاوى ) ، وبرع ومهر فى العلوم ، حتى استتابه الشيخ زكريا الأنصارى فى قضاء إدكو فى شعبان سنة ٨٩٢ مستقلا ، ثم أشركه ابن القويطى ، وهو الذى ستحدث عنه بعد قليل .

وكان ابن زيتون كما يقول عنه السخاوى [حدث سيرته ، وكثر الثناء عليه ، وحج وتكرر قدومه القاهرة ] كما أنه سمع منه وعليه كثيرا من العلوم بالقاهرة . ومن المفهوم أنه توفى بعد سنة ٨٩٢ هـ متى ؟ وأين ؟ لا ندرى .. ولكن زى لواما علينا أن نتابع ما كتبه المؤرخون منذ ابن الخطيب البغدادى فى جميع أجزاء كتابه « تاريخ بغداد » فنراه فى الجزء الثالث عشر يذكر المظفر بن محمد بن زيتون وهو أبو القاسم البريدى دون تحديد لمولده أو وفاته ، ولكن يفهم أنه من أهل القرن الخامس الذى عاش المؤلف فيه . وذكر ابن بشكوال فى الجزء الأول من « الصلة » أبا الحسن عبد الرحمن بن خلف بن مسعود الكنانى ويعرف بابن الزيتونى الواقع بجامع قرطبة والمتوفى سنة ٥٠١ هـ . كما نرى ابن فرحون يترجم فى طبقات المالكية لأبى القاسم الشهير بابن زيتون الذى هو أبو حمد بن أبى بكر ابن مسافر بن أبى بكر بن أحمد بن عبد الرفيع اليمنى المالكى قاضى تونس المتوفى بها سنة ٦٩١ هـ والذى قدم مصر سنة ٦٤٨ سنة ٦٥٠ وأقام بالمدرسة الفاضلية ومدرسة صاحب ابن شكر بالقاهرة ، وسمع الحديث من المنذرى ، ويذكر التميمى أيضا فى « قيل الاتهاج » أبا القاسم بن زيتون مفتى إفريقية ، الذى جاء

دهر فلقى بها المنذرى وعز الدين بن عبد السلام ، وابن دقيق العيد بعد سفره إلى الأندلس سنة ٥٩٦ هـ ، وكان محدثا حافظا ، كتب - في ثلاثة مجلدات - أساء من لقيهم وتوفي سنة ٧٣٠ ، كما يذكر أن ابن القوبع التونسي نزيل القاهرة والمتوفى سنة ٧٣٨ كان يقرأ النحو على يحيى بن الفرج بن زيتون ، ويذكر أيضا عبد الواحد بن منديل بن عبد الواحد الأنصارى القاسى وهو الكاتب المعروف بالزيتونى أو بابن الفقيه المتوفى بفاس سنة ٧٧٨ ، ويذكر بعد ذلك العارف بالله أن زينون [ رأس السبعة الأبدال ] الذى أخذ عنه ابن زروق القاسى الفقيه المحدث الصوفى المتوفى سنة ٨٩٩ هـ ثم يذكر لنا ابن إياس فى « بدائع الزهور » بدر الدين محمد بن محمد الزيتونى العوفى أحد نواب الشافعية ، والمسلم بالقضاء والتوقيع والخطابة والشعر والمتوفى سنة ٩٢٤ وقد رثاه بعد وفاته ابنه القاضى بدر الدين محمد بقصيدة . وأخيرا يذكر الجبرقى فى تاريخه عالم الإسكندرية الشيخ محمد زيتون المغربى الأصل .

ومن هذا كله يتبين للقارىء كيف أن تراجم أعلام أولاد زيتون لا يمكن متابعتها إلا بعد دراسة مراحل انتقال الأصل والفروع مابين الحجاز وبغداد وفاس وسواكن وتونس والإسكندرية وإدكو ، فسيما بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين .

### - ابن وهيب الإدكاوى -

ذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » ج ١١

وهو أبو بكر بن أحمد بن أبى بكر بن محمد الإدكاوى الشافعى ويعرف بابن وهيب ( تصغير وهب ) الذى هو جده الأعلى المسمى عبد الوهاب . ويقال إنه من المهتدين . ولد بإدكو سنة ٨٥٨ هـ ، على وجه التقريب ، ونشأ بها ، فقرأ القرآن و « الأربعين النووية » و « مختصر أبى شجاع » و « ألفية النحو » ، و « الملحة » والرحبية ، فى الفرائض ، و « المنهاج » ، عارض الألفية على الشمس المائقى والبدر بن الخلطة ، ومحمد بن عبد الكريم التلسانى ، وابن سلامة . ولازم القى الأوجاقى فى الفقه والأصول والنحو ، وحضر على البرهان بن أبى شريف فى الفقه - وزار بيت المقدس ، وذهب فى تجارته إلى حلب وطرابلس وبغروت ،

وكان له في إداكو دولا ب قماش (نول نسيج) وكان نائبا في قضاء إداكو عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى بعد عزل نور الدين بن الفويطي ، وحدث بعض القلائد ، وناب أيضا عن المحب أخى السيوطى ، وتردد على السخاوى المؤرخ كثيرا وهو الذى قال عن ابن وهيب [وهو متشدد متكلم له فهم وخبرة بالمخاضات وإذا أعرض الزين زكريا (الأنصارى) عن استنابته (في قضاء إداكو) وأضافها لغيره] . ولم يذكر لنا السخاوى تاريخ وفاته ، ويبدو أنه من وفيات أوائل القرن العاشر الهجرى .

### - الشهاب المحلى -

ذكره السخاوى في الضوء اللامع ، ج ٢

وهو أحمد بن محمد بن على بن هارون بن على الشهاب المحلى ثم السكندرى الشافعى ، كان قاضى الإسكندرية ، ولد قبل القرن التاسع بقليل في (الحلة الكبرى) ونشأ بها ، واشتغل تاجرا في ماء الورد وغيره في الحوانيت ، وكان يذهب إلى (سنباط) لبيع العطور وغيرها ، واستنابه الشمس الشنشى على عمل (جورج) سنة ٨٢٤ ، وشارك بعض الأتراك وسافر إلى الحجاز ، وتزوج من امرأة ثرية ولما ماتت ورث ثروتها ، فاختلط بالأكابر وأغدق عليهم ، وناب عن ابن حجر في بعض حوانيت القاهرة ، وسعى الجمالى ناظر الخاص حتى جعله على قضاء الإسكندرية سنة ٨٥٣ بعد الولوى السنباطى ، ولقيه بها السخاوى وهو قاضيا .

وقد سمع الشهاب المحلى من ابن ظهيرة ، وحفظ شرح المنهاج للدميرى ، وكان خبيرا بأموال الدنيا ، سليم الصدر ، واستخدم المال الجزيل في الوصول إلى أغراضه فوفد عليه الفضلاء والأعيان ، وفي ليلة الثلاثاء ١٣ جمادى الآخرة سنة ٨٦٠ توجه من القاهرة إلى الإسكندرية ، فلما نزل بقرية إداكو توفاه الله بها ، وفي الغالب أنه دفن بها ، ولهذا اعتبرناه من أعلام إداكو ، وإن لم يكن في الأصل من أهلها .

### - الغويطى قاضى إدكو -

ذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » ، ج ٥

وهو على بن محمد بن عبد الرحمن نور الدين الإدكاوى ويعرف بالغويطى أو ابن الغويطى ( تصغير غيط ) كما ورد ذلك فى الجزء الحادى عشر أيضا . وهو قاضى إدكو ، حفظ القرآن وشغف بالشهادة ، تولاهما ببلده إدكو عن شعبان ابن جنينيات ، ثم من نور الدين البليسى ثم عن المحب أخى القاضى السيوطى وساءت سيرته لأنه ضمن ( بحيرة إدكو ) بمائتى ألف دينار ، وأخذها التزاما بعد أن كانت مباحة للناس ، ودام التزامه لها عدة سنوات . ولكن الشهاب بن عليس زاد عليه ، ثم أحمد بن عبد الله بن كناية البرلسى . واستمرت معه بثلاثة آلاف دينار ، فكان هذا من سيئاته .

وقد امتنع الشيخ زكريا الأنصارى شيخ الإسلام من استنابته ، حتى عجز عن دفع المستحقات عليه فتراكت وتوالت عليه فأشركه مع عبد الرحمن بن إبراهيم ابن أحمد ، وأصدر أمره بعدم انفراد الغويطى بقضاء إدكو ، فلقى كثيرا من البلاء وأتعب شريكه معه ، ولم يزل كذلك حتى توفى بإدكو سنة ٨٩٧ هـ .

### - على الجبترقى -

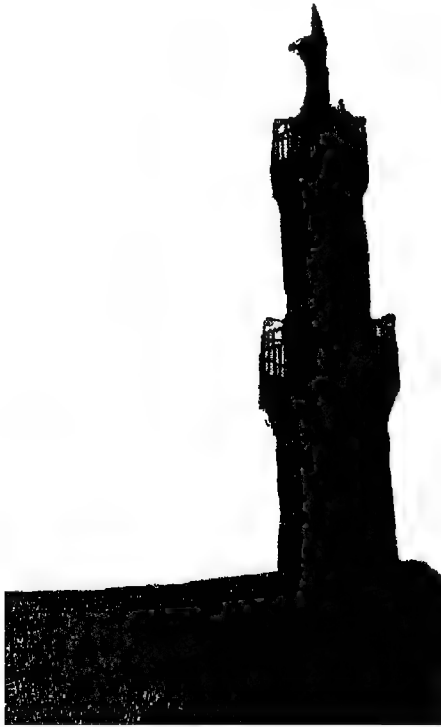
ذكره الشمس السخاوى فى « الضوء اللامع » ، ج ٦ والنور السخاوى فى « تحفة الاحباب » ، وابن إياس فى « بدائع الزهور » ، والجبترقى فى « عجائب الآثار » .

وهو على بن يوسف بن صدر الدين بن موسى الجسبرقى الأزهرى الشافعى المقرئ ، قدم القاهرة حوالى سنة ٨٥٠ هـ ، فقرأ بها القراءات على الشهاب السكندرى والشمس ابن العطار وابن كزلبغا ، وسمع على كثيرين ، وقد سمع « ختم الصحيح على الأربعين » فى المدرسة الظاهرية القديمة ، ودخل دمشق سنة ٨٧٦ هـ ، وقرأ بها القراءات على ابن النجار ثم رحل منها إلى بغداد ، وصحب فضل القادرى ( وهو من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى ) ولبس منه الخرقة ( مرقعة المتصوفة ) وأخذ الطريقة القادرية عليه فصار يذكر بها ، وسافر إلى حلب فسكنها بعد سنة ٨٧٠ هـ ، وعقد ناموس المشيخة ، وجلس فى خلوة بسطح الأزهر ، وتردد عليه

كثير من الخدام ، وكان يستخدمهم في سد حاجة قاصديه من تجار حلب و زاره المناوى ، و انتهى بإدكو سنة ٨٧٨ هـ [ كانت البلد في غنية عنه و صار يكثر التردد إليها والله أعلم بقصده ] كما يقول السخاوى ، و ساعد قاضى إدكو ابن الغويطى كثيرا ، و أخذ عنه القراءات بعض الطلبة ، و لما مات دفن بحوش سيدى عيسى بن عبد القادر الجيلانى بقرافة مصر .

أما الجامع الذى بناه بإدكو فقد دفن به الشيخ عبد الرؤف و الشيخ عبد القادر ، و كلاهما من رجال الطريقة القادرية فى قبة تقع شمال مقبرة سيدى عيسى الجيلانى بإدكو .

و كان المؤرخ عبد الرحمن الجبرقى ابن عمه ينسب إلى إدكو للإشراف على مسجد على الجبرقى و قال عنه : [ الولى العارف الشيخ على الجبرقى الذى كان يعتقد السطبان الإشراف قايتباى و ارتحل إلى بحيرة إدكو فيما بين رشيد والإسكندرية ، وبنى هناك مسجدا عظيما ، ووقف عليه أياكن وقيعان وأنوال حياكة



مئذنة جامع الجبرقى بإدكو . و بساتين ونخيلا كثيرة ، وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة ، وهو تحت نظر الفقير ( عبد الرحمن الجبرقى ) إلا أن غالب أماكنه زخفت عليها الرمال وطمستها ، وغابت تحتها ، وفيه إلى الآن بقية صالحة ... ] وقد دفن على الجبرقى بالمنسجد الذى بناه شرقى عمارة السلطان قايتباى بالقاهرة . و يقول إن مسجد الجبرقى بإدكو يقع فى شمال المدينة على ( كوم الطواحين ) وقد جدد بناءه أهل إدكو فى سنة ١٩٦١ فأتسع وعمر بالمصلين .

وقال عنه ابن إياس إنه كان صالحا ، وتوفي سنة ٨٩٩ هـ فجأة وهو بالحمام وكان رجلا مباركا .

- عبد الله الإدكاوى -

ذكره الجبرتي ، وجورج زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » ، والبغدادى في « هدية العارفين » ، ورمضان حلاوة في « دستور الإعلام » ، كما ورد ذكره في « فهرست الكتبخانة » .

وهو عبد الله بن عبد الله بن سلامة الإدكاوى الشافعى ، المشهور بالمؤذن ، ولد بإدكو سنة ١١٠٤ هـ ، وحفظ بها القرآن ثم قدم القاهرة ، وحضر على الطبقة الأولى من علماء عصره ، وتعرف على نقيب الأشراف على برهان زاده ، فأكرم مشواه وحج معه سنة ١١٤٧ هـ .

وتردد على رشيد وفوه والإسكندرية وعرف أعيانها جميعا ومدحهم بأشعاره ، وكتب بخط يده على جدار مسجد ابن نصر الله بقوة بيتين من الشعر قرأهما الجبرتي سنة ١١٨٩ وتاريخها سنة ١١٤٥ هـ .

وتزوج وأنجب أولادا ولازم الشبراوى ثم الحنفى ، ومات الإدكاوى فى جمادى الأولى سنة ١١٨٤ ودفن بجوار الشيخ الحنفى فى زاويته بترية الشيخ الزبيدى وأولاده العلامة أحمد المشهور بكتكيت مفتى الشافعية بالإسكندرية ، وهلال الكتبي وصالح الصحاف ، أما أحمد فكان علامة أدبيا ، نزل بالإسكندرية وأمه شريفة من ذرية السيد عيسى بن نجم خفير البرلس نائب أحمد الإدكاوى فى القضاء بالإسكندرية لمدة ومات بها سنة ١١٩٢ هـ ، وقال الجبرتي إن وفاته كانت سنة ١١٩٣ وإنه كان يحفظ دواوين الشعر وجمع للتقدين والمتأخرين شعرا بلغ المائتين .

ولعبد الله الإدكاوى عدة مؤلفات مخطوطة مبشرة بين سوهاج والقاهرة وباريس وبرلين وغطا ، وهى :

١ - « بضاعة الأريب فى شعر الغريب » : وهو ديوان شعره المخطوط بمكتبة سوهاج ١١٨٥ ف/٤٨٨ ( ٣٧٤ ) ، ومنه نسخة بمكتبة باريس .

٢ - « الدر المنظم فى الشعر الملتزم » : باريس

- ٣- « الفوائح الجنائية في المدائح الرضوانية » ، وهو مدائح الشعراء للامير  
كتخدا الجلفى : باريس .
  - ٤- « الدر الثمين في محاسن التضمنين » : وهو مجموعة من كلام أساطين  
البلاغة - دار الكتب المصرية بالقاهرة .
  - ٥- « التضمنين الشعري » : دار الكتب المصرية بالقاهرة .
  - ٦- « المقامة السكندرية الصحفية » : ضمنها الالفاظ التي تتغير معانيها  
بالتصنيف - برلين .
  - ٧- « هداية المتوهمين في كذب المنجمين » : غوطا .
  - ٨- « تخميس بانث سعاد »
  - ٩- « الذرة الفريدة » .
  - ١٠- « عقود الدرر في أوزان الأبحر الستة عشر »
  - ١١- « القصيدة الزدية في مدح خير البرية » ألفها لعلى باشا حكيم أوغلى  
والى مصر سنة ١١٦٩ هـ
  - ١٢- « الكواكب السنية في شرح الألفية »
  - ١٣- « المقامة القمذية » في المجون .
  - ١٤- « المنح الربانية في تفسير آيات الحكم الفرقانية »
  - ١٥- « نزهة الالباب الجامع لفنون الآداب » .
  - ١٦- « النزهة الزهية بتضمنين الرحبية »
  - ١٧- مختصر « شرح بانث سعاد » للسيوطى .
  - ١٨- ديوان شعر
- وكان عبد الله الإدكاوى حسن الخط ، وله قاعدة خاصة تميز بها : كتب  
بخط يده ديوان حسان بن ثابت وشرح ألفاظه ، وكانت له مطارحات شعرية  
مع شعراء عصره من المصريين والوافدين على مصر من الفرس والآتراك  
والشوام ، فقد التقى سنة ١١٨٢ بالشيخ محمد سعيد السمان الدمشقى بالقاهرة  
وله تضمينات جمعها له الإدكاوى على حروف المعجم ، وقرأ الإدكاوى  
« ديوان منجك » .

وله فنون شعرية منها « وسع الاطلاع » وهو أن يلتزم في الشعر أمورا غير لازمة تحمل الشعر أثقالا تخرجه من الفن الرفيع إلى الصنعة الباردة، فيقيد بها نفسه بحرف واحد في أول كل كلمة في البيت أو يأتي بكلمة منقوطة تليها كلمة عاطلة أو بالعكس، أو يلتزم كلمات منقوطة كلها أو يأتي بيت يقرأ من أوله كما يقرأ من آخره أو يلتزم أبياتا منقوطة من أعلى فقط وأخرى من أسفل فقط، أو يتابع الجروف الأبحدية في الأبيات.

وكان للخطاطين في عصره مجالس أدبية، قال فيهم :

مامنهم من يرى يوما يراعه لا وقيل له ما أحكم البارى وطرق أبواب الاعتذار والمدح، ونقل المعاني الفارسية، وقال في الاستعطاف وتوقع الموت، وكان يتجدى شعراء الأتراك، لأنه كان ملما بالتركية والفارسية وأحيانا كان يضمن شعره أبياتا من الشعر التركي والفارسي، وقال في المجون بوصف المرأة والأزهار ومزج بين الغزل والمنطق والنحو والفلك، كما قال في التهانى التى كان شعرها أكثر الأشعار شهرة : هنا الجبرق الكبير بزواج ابنه عبد الرحمن المؤرخ لأنه كان صديقه، ومدح الأمير رضوان كتنخدا الجلفى فنبه وعطف عليه، واشتهر الإدكاوى برثاء أشهر المعاصرين من أمراء وخطاطين وشعراء وعلما : مدح على بن عبد الله مولى بشير أغا وكيل دار السعادة، ورثا الضيائى المصرى الخطاط العالم بالموسيقى والعروض، ورثا الملوانى .

وفى « بضاعة الأريب » ذكر أصدقاءه وجلساءه مثل السيمان الدمشقى ، ومحمد بن إسماعيل أغا السكندرى العالم بالعربية والفارسية والتركية ، ولأبيه قدم الإدكاوى « المقامة السكندرية » فقرظ عليها ومدح الإدكاوى .

وكان قصر الجلفى يلتقى الشعراء مثل : على جبريل والسيد سليمان والسيد محمود البديدى المخلاوى، والشيخ معروف، والشيخ مصطفى اللقيمى الدبياطى ومحمد أفندى المدنى والشيخ يوسف الحفى، والشيخ عمار النروى، والسيد قاسم التونسى وعبد الله الإدكاوى الذى جمع مقاله الشعراء من المدائح فى رضوان بك وضمنها الفوائى الجنانية فى المدائح الرضوانية، وهى مقامات وأشعار وأتثار، ومن رثاهم الإدكاوى : الخطاط عبد الله أفندى الأنيس، والشيخ حسن



المنطاوى الشهير بالمداينى والشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الشهير بالجوهري، ومدح تقيب الأشراف أحمد بن إسماعيل بن محمد أبا الأمداد، ومدح شيخ الأزهر الشيخ أحمد بن محمد الحماقي، وقرظ ديوان الشيخ شمس الدين بن عبد الله بن فتح الفرغلي في مدح الرول، وقرظ أيضا شرح دلائل الخيرات، للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الشجاعى .

وقرظ د المقامة السكندرية ، التى كتبها الإدكاوى غير محمد بن إسماعيل السكندرى ، عبد الله التلبانى وعبد الرحمن بن جاد الله البنانى المغربى تلميذ السكندرى فى الحديث .

وقرات على كتاب د ألف با ، للبلوى قصيدة للإدكاوى مطلعها :

هذا كتاب (ألف با) به أهبت فلبى

كم همت فيما حواه فحاز منى لبى

لكننى لست بمن يعد بين الألبا

وقرظ على د عقود الفرائد ، للشيخ الفرغلى الممودى ، ومدح الشيخ أحمد ابن ضيام الدمهورى شيخ الأزهر عند عودته من الحج ، وكان الشيخ على النجارى المعروف بالقبانى من تلاميذ عبد الله الإدكاوى .

- الحسن الإدكاوى -

ذكره البغدادى فى ١٠ من د هدية العارفين ، و ١٠ من د إيضاح المسكتون ، ص ٢٩٥ و ٤٢٠ وكحالة فى د معجم المؤلفين . وهو الحسن بن حسين بن عبد الله الشريف الإدكاوى الشافعى ، كان حيا سنة ١٢٢٣ هـ وقال البغدادى فى د إيضاح المسكتون ، إنه كان حيا سنة ١٢٨٧ ، ومن مؤلفاته د تعبيق مغاني الجوى بتحقيق معانى لو ، و د حلية ذوى الأفهام فى الكلام على ما للومن من الأقسام ، وله تراجم شيوخه بعنوان د ثبت الإدكاوى ، فرغ منه بالاسكندرية سنة ١٢٣٧ وكان عالما فاضلا ، وباحثا مدققا .

- الشيخ حمزة فتح الله -

ذكره أحمد عرابى فى د مذكراته ، والدكتور عبد اللطيف حمزة فى د الصحافة

المصرية في مائة عام ، ، ومحمد حسن محمود وأمين عمر الباسجورى في « المنتخبات العربية » ، وأحمد أمين وأحمد الإسكندري وعلى الجارم وعبد العزيز البشري في « الفصل في تاريخ الأدب العربي » ج ٢ وذكره أيضا صاحب « الوسيط » ، وسليم نقاش في « مصر للمصريين » وكامل الفقى في « الأزهر وأثره . . . » .

قال الكثيرون إنه ولد في بالإسكندرية ولم ينسبه إلا إد كولى عرابي ، وقال عنه [ أما الشيخ حمزة فتح الله الإد كوى فهو من إد كوى ، وأغلب أهلها حاكة ( نساجون ) وصيادون ، وكان هو حائكا وابن حائك ثم تعلم ، وبعد ذلك ترك العلم ، وانصرف للصحافة وأنشأ جريدة ( البرهان ) بالإسكندرية سنة ١٨٨٨ هـ ثم ذهب إلى الإسكندرية مع الخديوى ( توفيق ) الذى انحاز إلى الإنجليز سنة ١٨٨٢ ] وكتب في جريدة ( الاعتدال ) منددا بكفاح الشعب . وقد أورد عرابي مقالاته في ( البرهان ) ورد على آرائه في معارضة فكرة الشورى التى كانت نشيد المصريين يومذاك .

ولد الشيخ حمزة سنة ١٢٦٦ هـ ( ١٨٤٩ م ) وهو ينحدر من أسرة مغربية الأصل ، وبعد أن حفظ القرآن ، تعلم بجامع الشيخ إبراهيم باشا بالإسكندرية ثم قدم القاهرة فتعلم بالأزهر ودرس الأدب واللغة ، وقال الشعر وكتب الرسائل وحفظ الغريب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ورحل إلى تونس ومكث بها مدة طويلة وحرر في إحدى الصحف التونسية مدة ثمانى سنوات : مارس فيها تحرير المقال السياسى وصار محرر جريدة « الرائد التونسى » ، ولما شبت الثورة العرابية عاد إلى مصر وانضم إلى حزب الخديوى توفيق ضد الحزب الوطنى الذى كان يتزعمه عرابي وقد أوحى إليه الخديوى بتحرير جريدة « البرهان » ، التى أنشأها معوض فريد . وكانت تصدر مرة كل أسبوع في الإسكندرية . وأصدر أيضا جريدة « الاعتدال » دفاعا عن سياسة الخديوى ، وكان يخطب لتأييده .

وفى سنة ١٨٨٦ أوفدته الحكومة لتمثيلها في المؤتمر العلمى الشرقى ( للمستشرقين ) في فيينا ، وعمل مدرسا بمدرسة اللسان سنة ١٨٨٨ ثم بمدرسة دار العلوم ، ومثل مصر أيضا في مؤتمر المستشرقين المنعقد في استوكهلم سنة ١٨٨٩ ، وفى سنة ١٩١٠ أصبح مفتشا أول للغة العربية بعد أن مكث ثلاثين عاما يقوم بتدريسها ، وأحيل

إلى المعاش سنة ١٩١٢ فعكف على البحث والاطلاع حتى كف بصره ، ونوفى في  
فبراير أو إبريل سنة ١٩١٨ .

وكان قوى الذاكرة ، حريصا على اللغة مولعا بغريبها شعرا ونثرا ، حديثا  
ومراسلة ، قال عنه عبد العزيز البشرى في الجزء الأول من «المختار» [وفى أعقاب  
نهضة المصطفى يقبل العالمان الأدبيان حمزة فتح الله وإبراهيم اليازجى فيكشفان  
عن مجفوق العربية . ويستظهران من أوضاعها وصيغها ما يدل على الكثير من  
الأسباب الدائرة ، ويتعقبان الأخطاء الشائعة ، ويدلان على الصحيح الناصح  
(الخالص) من كلام العرب ...]

وكان يقوم بتصحيح أخطاء مطبوعات وزارة المعارف بتكليف منها ، وكان  
كثير الاطلاع على اللغة والأدب والحديث وروى الشعر والأمثال  
والقصص ، وكان صحيح العبارة ، لطيف المعاشرة والمحاضرة ، فنهض بتبيان  
روائع الجاحظ والمبرد والقالى والزبيدي ، وعمل على تنقية اللغة من أدران العامية  
وكان كما يقول « الوسيط » ، [ورعا تقيا يميل إلى الصالحين من المعلمين ، ويحارب  
المتهاونين منهم بالدين ، وربما سعى في فصاحم لإحاطة النشء بالفضيلة وإبعادهم  
عن الزيغ ، ويحب العرب والعربية] وكان يرى أن اللغة العربية لغة الحضارة  
والمدينة .

وكان بدوى الشعر لفظا ومعنى ، قال في ختام مؤتمر العلوم الشرقية باستوكلم  
سنة ١٨٨٩ م ، وقد اشترك فيه :

كم جامع بالثريا راضيه سفر	فوق الثرى بين أكوار وأقناب
إن الشواء ثواء والقصصور قسـ	ور العاجزين ولا ليراء للخباب
ومن بغى نيل مجد وهو في دنة	فقد بغى من صفاء در أحلاب
والمرء في موطن كالدر في صدف	والنبر في معدن والتبع في غاب
والسيف مثل العصا إن كان مقنمدا	وزامر الحى لا يحظى بإطراب
وأزهد الناس في علم وصاحبه	أدنى الأجابة من أهل وأصحاب

وكان يلتزم الحديث باللغة العربية الصحيحة حتى مع خادمه . وفى أثنه سبابه ، وله  
رسالة مدح فيها السيد توفيق البكرى ، ولم يكن يلتزم طريقة واحدة ، ولكن

كان في التوقيعات يستعمل أغرب الألفاظ . ولهذا قال صاحب « الوسيط » ،  
[ وهو أملاً من شاهدناه باللغة والأدب والصرف ]

ولما ظهر كتاب « الفرائد الجوهريّة » ، للشيخ طنطاوى جوهرى كتب إليه  
يقرضه : [ قد تصفحت كتبيك ، واجتليت فرائده ، واخبرت فوائده ، فإذا إجادة  
لأحكام ، وإفادة أحكام ، كلها صحاح ، وعلم صراح ] .

وما عسى يقال في وصف (صحاح الجوهري)

وبما قاله في وصف السفينة وقد ركبها في أسفاره إلى المؤتمرات :

حمد السرى يا أخى العود والناص	أنساك وغشاء إعجاب وإحجاب
فلو شهدت عباباً خضت لجنته	على سفين بجنح الليل خباب
يظفوا إذا خفقت فيه بأجنحة	من تحتها كل غواص ورساب
تجسر في اليم أذيالاً مصبغة	كالخود تحتال في أذيال جلباب
وإن سرى شمال ماست بنسمته	عطف كغيد ثناها فرط إعجاب
ظلمأى على الماكيس شفا حرق	من تحت أستية ملائى وأوطاب
تسرى ببحر طويل لا يقطعه الخليل	يوماً بأوتاد وأسباب
وأدهما من حديد خلفه حجر الشـ	يزى وقد علقت منه بأذنان
يسرى على عجل من غير ما وجل	فكان أسرع ذهاب وأواب
يصعد الماء بالنيران أبخرة	كالسحب تدفعه قسراً بتجذاب

ومنها :

طفقت أختلها شزراً وقد سمرت	عنها اللثام ونضت فضل أثواب
تقول ما للنوى بي مولعاً دنفا	يا ليتما بعدولى في الهوى ما بي

ومنها :

وهو الذى كان أغرائى بنظرته فاعجب له كيف أغرائى وأغرى بي  
فهو الذى إن كتمت الحب باح به وهو الذى فى مهاوى الحب ألقي بي  
ومن مؤلفاته « المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية » ، و « با كورة الكلام  
فى حقوق المرأة فى الإسلام » ، و « رسالة فى التوحيد » ، و « رسالة أخرى فى سمات  
الغنم والإبل والخيل عنونها » هدية الفهم إلى بعض أنواع الوسم ، وله أيضاً

رسالة في المفردات الأعجمية ، به صور للإبل الموسومة الواردة في القرآن .

وقال يمدح الوزير خير الدين باشا :  
 آلاؤك الغرر أو آتاؤك الغرر زها بها في الزمان الجند الطرر  
 الله ملجؤنا إذ ليس يمجزنا شر الخطوب وخير الدين لي وزر  
 حبر له همة أعلى وأرفع من هام الثريا ومجد ليس ينحصر  
 وسيرة سرت الدنيا بشائرها وضمخ الكون عرفا مسكها الذفر  
 لازال كهفا لمن يأوى بساحته في ظله تعقد آمال والوطر  
 وكعبة وزراء الفضل أنجمها تزهو به وهو فيها بينهم قمر

- أمين عبد القوى -

وهو الشيخ أمين عبد القوى الإدكاوي الشافعي الخليل ، كان عالما متمكنا من دله ، متواضعا في خلقه ، محترما في قومه . توفاه الله بإدكو سنة ١٩٣٢ ودفن بها وله كتاب « منهل الورد ومطلب القصاد » في الأدعية والاذكار الواردة من كتب الفقهاء في الحج وقدم له الشيخ علي الصقيلي الواعظ الإدكاوي المعروف .

وكان الشيخ أمين عبد القوى شاعرا ، أملأني له المرحوم الحاج حسن متولى قاقا في رثاء صانع البرادع الحاج سالم دويب بإدكو هذه الأبيات :

ما للحمير غدوا بلوعة خاطر يرثي إلحاهمو كيوم المحشر  
 باتوا حيارى لا برادع فوقهم يشكون من ألم لفقد المير  
 ويقول قائلهم :

يا حاج سالم إننا بتنا على حر اللظى وظهورنا لم تستر  
 فاذكر تحيتنا إليك وشوقنا لبنيك طرأ سينا ( للبربري )  
 ومن شجرة الوجداني :

سألزم نفسي باتباع الشوارد وبحثي عن أسبابها بالشواهد  
 وقد علمتني عزة النفس أنني أدوس بأقدامي رؤس الحواسد  
 ولم أتكل يوما على جاه جاهل ولو قل مني العزم بين الأماجد  
 ألم تلك مرآة التجارب بصرت أولى المال أن المال ليس بخالد

### - أحمد أحمد السيد عشرة -

ولد ونشأ بإدكو وحفظ القرآن ثم التحق بدار العلوم بالقاهرة وتخرج فيها سنة ١٩٣٢ ، وأسرع بإنشاء أول مدرسة ابتدائية ( نظام قديم ) ببلده ، على حسابه الخاص ، واحتفلت إدكو بافتتاحها ، وألقيت يومئذ قصيدة منشورة في ديوانى الأول ( جرس المدرسة ) ، وكان ذلك فى صيف عام ١٩٣٢ .  
وبعد افتتاح الدراسة ، والتشجيع الذى لقيه من مدير البحيرة عبد السلام الهاذلى باشا وأهل إدكو ، اعتلت صحته ، ولم يستطع مقاومة المرض ، فاختاره الله إلى جواره وتوفى ودفن بإدكو فى نوفمبر سنة ١٩٣٢ عن ٢٦ عاما .  
وكان رحمه الله أديبا خطيبا ، طالما اعتلى منابر إدكو وخطب ارتجاسا فى مساجدها ، وكان وفيا لاهله وصحبه ، مخلصا لبلده ، فحسبه أنه أول من حمل شعلة التعليم الابتدائى قبل الأوان ، فقتله إخلاصه ، ولكن فليقر بالا وهـ و فى ساحة الخلد أن هذه المدرسة التى أسسها بماله سنة ١٩٣٢ أصبحت مدرسة إعدادية .  
ثم أنشئت بها فصول ثانوية ، وقريبا تكون مدرسة ثانوية .

### - حسين حسين زيتون -

ولد بإدكو ونشأ فى أحضانها ، ولما حفظ القرآن ، التحق بالأزهر ثم بمدرسة دار العلوم ، وتخرج فيها سنة ١٩٣١ ، واشتغل بتدريس اللغة العربية بمدارس الإسكندرية وساحل سليم ، وتنتقل بين مدرسة النيل الابتدائية ( نظام قديم ) وبين كلية سان مارك وكلية البنات وكلها بالإسكندرية ، وكنت ألتقى به كثيرا بإدكو والإسكندرية ، وأنعم بصحبته وأتلقى الأدب عنه ، وكان يشجعنى على مداومة الكتابة والنظم ، وعاوننى كثيرا فى هذا المضمار بروحه الطيبة وخلقه السميع .  
واشتد به المرض سنة ١٩٥١ فذهب على متن طائرة إلى إنجلترا التماسا للشفاء ، ولكن القدر المحتوم عاجله هناك ، فنقل جثمانه الطاهر بالطائرة أيضا ودفن بإدكو فى يناير سنة ١٩٥١ عن ٤٥ عاما .

وكان رحمه الله عذب النكتة ، طيب القلب ، جميل الخلق والخلق ، خلف له أبوه ثروة هائلة من الذهب ، ولكن اللصوص سطوا على البيت فسرقوا

هذه الثروة ، التي لم يكن يروما ما يعبا بها ، فقد كان زاهدا في حطام هذه الدنيا ، وكان كريما سخيا ، بساما على الدوام ، أحبه كل من عرفه ، وفي أخريات حياته ، سكن مع أسرته ضاحية ( المنسدة ) بالإسكندرية ، حيث بنى منزلا في هذه الضاحية الجميلة الساحرة ، وأنجب بنين وبنات ، ورثوا جميعا عن أبيهم الجلال الكمال .

وقد وضع في حياته كتابا : عن تطبيقات قواعد اللغة العربية لتلاميذه ، ضمنه عددا ضخما من الأمثلة الحية الأدب ، تدل على حسن اختيار ، ورهافة حس ، وسلامة فوق ، وسعة اطلاع .

- محمد محمد عبد الحيد زيتون -

ولد بإدكو سنة ١٩٠٨ ، وحفظ القرآن بمسكتب الشيخ إسماعيل زيتون ، ثم أكمل دراسته بالإسكندرية إذ انتقل إليها والده للتجارة ، وحصل على شهادة البكالوريا ، وعمل موظفا بمصلحة خفر السواحل حتى أصبح مديرا لمكتب مديري هذه المصلحة منهم عبد المنصف باشا محمود ، وحصل على ليسانس الآداب والفلسفة ثم ليسانس القانون من جامعة الإسكندرية وعمل محاميا ، وكثيرا ما كان يتعاون مع شقيقه الأستاذ أحمد المحامى أيضا في القضايا الهامة ، وكان شاعرا مجيدا ، وكاتبا قديرا ، نشرت له جريدة الأهرام مقالات باسم « تقرير إبليس » انتقد فيها الخرافات المتوطنة في الريف المصرى ، واشترك في الأندية الأدبية بالإسكندرية ، وكان واسع الاطلاع ، قوى الذاكرة . وفي الأقارب ، واشتهر في وسط المحاماة بالدقة والأمانة والاستقامة ، وكان مكتبته في وسط شارع صفية زغلول بالإسكندرية على يسار القادم من محطة الرمل ، اشتد عليه المرض فلم يمهله ، فوافاه القدر المحتوم يوم ٢ فبراير سنة ١٩٦٢ ، ودفن بمقابر العائلة بإدكو ، والخسارة في مثله لا تعوض ، لما يتمتع به من ذكاء مفرط ، وعلم زاخر ، وكان موضع إعجاب كل من عرفه .



## أعلام إخواننا ( قيل لمنها إذكوا )

### - عيسى الإخنائي -

ذكره ابن عطاء الله السكندري في لطائف المتن ، [ يصدد الحديث عن أخذ عليهم فقال : ] وقصصأت على كل من الشيخ عيسى الإخنائي ، والشيخ شمس الدين الديروطي ، والشيخ شمس الدين الديماطي [ ، وقد توفي ابن عطاء الله السكندري سنة ٧٠٧ هـ ، وعلى ذلك يكون الإخنائي من رجال أواخر القرن السابع الهجري على الأقل .

### - تقي الدين الإخنائي -

ذكره ابن فهد في لحظ الألاحظ ، عند ترجمته للعراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وذكره أيضا ابن بطوطة في الرحلة بصدد حديثه عن قضاة مصر في عهد دخولها ، أما العراقي فقد حضر على قاضي القضاة تقي الدين الإخنائي المالكي ، وقال ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٩٧ هـ إنه الإمام الصالح ، قاضي قضاة المالكية ، فهو من رجال أواخر القرن الثامن الهجري على الأقل .

### - برهان الدين السعدي الإخنائي -

ذكره ابن حجر في رفع الإصر عن قضاة مصر ، و الدرر الكامنة ، والسيوطي في حسن المحاضرة ، .

وهو إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة السعدي الإخنائي وقيل ابن بدران بن إبراهيم بن أحمد السعدي الإخنائي ، ويلقب برهان الدين ابن علم الدين ، ولد بالقاهرة وسافر مع أبيه إلى الشام لما ولي القضاء بدمشق ، فسمع بها من أبي العباس الحجار والمالكيني الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ وإبراهيم ابن الوائ المتوفى سنة ٧٣٥ . وتفقه على المذهب الشافعي ، ثم عاد إلى القاهرة واستقر بها ، واشتغل في مذهب مالك فمهر فيه ، وتولى الحسبة ونظارة المارستان



( المستشفی ) ونظارة الخزانة السلطانية وناب في الحـكم وبعد موت أخيه تاج الدين محمد ، عين في قضاء المالكية سنة ٧٦٣ هـ بعد أن كان ينوب عنه ، واستمر في عمله حتى مات في ٢ رجب سنة ٧٧٧ هـ وكان مهيبا صارما نافذا الكلمة لا يقبل شفاعاة في الحـكم وكان سعيدا فيما تولاه من الوظائف ، وقد نافسه في القضاء بعض المغاربة ، فلم يزل بهم حتى شردهم ، ولم يعودوا إلى البلد إلا بعد وفاته . وله كتاب « مختصر في الأحكام » ،

وذكره السبكي أيضا في الجزء السادس من « الطبقات الشافعية الكبرى » فقال (بدران) بدلا من ( بدر ) وأضاف ( السعدى ) بعد الإخنائى . وحدث عن أبى بكر الأنماطى والأبرقوهى وابن دقيق العيد ( عالم قوص ) ، وتولى قضاء الإسكندرية ثم الشام .

ولد في رجب سنة ٦٦٤ وتوفى بدمشق في ١٣ القعدة سنة ٧٣٢ هـ ، وكان قد استكتب شرح المنهاج لوالد السبكي وكان يحله ويقول : ما للشام قاض إلا السبكي .

وقال ابن نباتة في رثائه :

آه لمصر وقد شابت لغربته      فليس ينكر إذ يعزى له الهرم  
وأوحش الثغر من رؤيا محاسنه      فايكاد لوجه الدهر يلبسم

- علم الدين الإخنائى -

ذكره المقرئى في القسم الثانى > ٢ من « السلوك » فقال : في محرم سنة ٧٣٠ هـ استقر علم الدين محمد بن أبى بكر بن تيسى بن بدر بن رحمة الإخنا - ائى قاض الإسكندرية في منصب قاضى القضاة بدمشق بدلا من علاء الدين على القونوى ، واستقر بدله في قضاء الإسكندرية علم الدين الإسنوى .

- أحمد بن محمد الإخنائى -

ذكره البغدادى في « هدية العارفين » فقال :

أحمد بن محمد بن عبد الله الإخنائى المالكي المصري وهو أديب عالم بالفرائض وله ديوان شعر وتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

### - البهاء محمد الإخنائي -

ذكره السخاوي في الجزء التاسع من « الضوء اللامع » فقال هو : محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة البهاء بن العلم بن الكمال القاضي الشافعي بدمشق العلم الإخنائي وأخوه التقي السعدي الإخنائي قاضي المالكية بمصر ، ناب في القضاء وكان متميزاً في قضائه وهو من بيت جليل مشهور . مات في شعبان سنة ٨٥٦ ودفن بترربة (جوش) وأخذ عن الأقفهسي والبساطي والشراري والزين العراقي ، وقد حكى بالقتل عن نعتيه الأثر في حداد ، وذكر أيضاً العلم أحمد ابن التاج محمد بن العلم محمد الإخنائي ، وكذلك الشمس محمد بن محمد بن عثمان بن محمد ابن أحمد بن محمد بن أبي بكر الإخنائي الشافعي وكلهم من أهل القرن التاسع .

- زكي الدين الإخنائي -

ذكره السخاوي أيضاً في الجزء الثامن من « الضوء اللامع » . وهو محمد بن عبد الواحد بن العباد محمد بن العلم أحمد بن أبي بكر تقي الدين بن زكي الدين الإخنائي الناهري المالكي ، نائب الحكم ، كان من خيار القضاة ، وتوفي بكرة عن ٦٣ سنة في ٦ من ذي الحجة سنة ٨٣٠ هـ ، وهو كما يقول السخاوي [ من بيت فضل وعلم ورياسة ] ، وذكره أستاذه ابن حجر في « الأنباء » باختصار .

### - فاطمة الإخنائية -

ذكرها السخاوي في الجزء الحادي عشر من « الضوء اللامع » . وهي بنت قاضي المالكية التاج محمد بن محمد الإخنائي وزوجة الصدر المتاوي ، وقد توفيت بعد موته ، وذكرها المقرئ أيضاً ، وأثنى السخاوي على خاتمتها .

### - شمس الدين الإخنائي -

وهو شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الإخنائي تولى قضاء الشافعية بمصر في ١٣ محرم سنة ٨٠٦ هـ ، وأخذ يتعاقب عليها هو وجلال الدين البلقيني ، وكانت المرة الرابعة لتوليها لها سنة ٨٠٨ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها ابن خلدون .

- ٥٤٩ -

## أعلام الحماد

- حسن عبيد -

وهو دفين الحماد ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد بن صالح الباء الرشيدى المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ ، أما ابنه السيد محمد بن حسن عبيد فهو دفين لإدكو . وحفيده السيد أحمد بن محمد بن حسن عبيد دفين (الكنايس) على الشاطئ الجنوبي لبحيرة إدكو .



## أعلام الجدية

- حسن الجداوى -

ذكره الجبرقى فقال إنه : أحد المتصدرين لأحد العلماء المتبحرين الشيخ حسن بن غالب الجداوى المالكي الأزهرى ، ولد بالجدية قرب رشيد سنة ١١٢٨ هـ ونشأ بها ، ثم قدم الأزهر ففتته على الشيخ شمس الدين محمد الجداوى - من الجدية أيضاً - وعلى محمد بن محمد السلامونى أفته المالكية فى عصره ، كما حضر على شيوخ العصر : على خضر العمروسى ، ومحمد البليدى ، وعلى الصعيدى ، وصار من أعيان العلماء وقام بالتدريس والإفتاء .

وكان فى كل سنة ينزل إلى بلده ، فيقيم بها أياما ، ويجمع عليه أهل هذه المنطقة ، ويقدمون إليه الهدايا ، ويعرضون عليه ميثاقهم وموارثهم ومنازلهم يؤجلونها حتى يحضر فى موسم حظه - وده من كل عام ، ولا يتقون إلا بحكسه وفتواه ، ثم يعود بما أهدوا إليه من الأرز والسمن والعسل والقمح ، وكل ما يكفى عياله طول العام مع الحشمة والوقار والعفة ، وتوفى سنة ١٢٠٢ هـ أين ؟ لاندري .

- ٥٥٠ -

### - محمد شنن الجداوى -

ذكره سليمان رمسد في « كنز الجواهر » ، وكان مالكي المذهب ، وهو رابع شيخ للأزهر الشريف ، وأصله من الجسدية ، وتوفي سنة ١١٣٣ هـ ، وكان أغنى أهل زمانه ، فاقتى الماليك والجدواوى ومنهم أحمد بك شنن ، وترك ثروة طائلة بددها من بعده ولده .



### أعلام لقانة

#### - الشرف اللقانى -

ذكره السخاوى فى الجزء العاشر من « الضوء اللامع » ، وهو محمد بن موسى ابن عمر بن عوض بن عطية بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشرف بن الشرف اللقانى الأزهرى المالكي ، ولد سنة ٧٧٢ هـ ، وضبط الأسماء وكتب الطباق ، ومن شيوخه التنوخى وابن الشيخة وعزيز الدين المليجى والمطرز والسويداوى والحلاوى ، وتكسب بالشهادة ، وباشرها بعدة أوقاف ، وكتب فى الإسماء وولى قضاء الركب ، وتوفى فى ٥ شعبان سنة ٨٤٠ هـ بمنزله بجوار الأزهر ، قال عنه ابن حجر فى « الأنباء » : نشأ مع أبيه ، وقرأ به فى الجوق وكان حسن الصوت وطلب الحديث ، وكتب أسماء السامعين ، واتصل بالشرف الدمامينى حبيبا ولى نظر الجيش ، ثم بفتح الله حين ولى كتابه السرفلازمه ، حتى استقر شاهد ديوانه وباشر ( توظف ) فى عدة جهات .

#### - إبراهيم اللقانى -

ذكره ابن اياس فى « بدائع الزهور » . وهو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن محمد بن موسى بن جميل اللقانى المالكي الأزهرى وقاضى قضاة المالكية ، توفى

سنة ٨٩٦ هـ بعد عزله من القضاء ، وكان عالماً فاضلاً بارعاً في مذهبه ، متديناً محسناً بمحمود السيرة والسيريرة .

وكان السلطان قايتباي سنة ٨٧٧ . قد رقاها من نيابة الحكم وجعله في قضاء المالكية بدلا من ابن حريز ، وكان يلقب برهان الدين مثل سميه اللاحق عليه .  
- ناصر الدين اللقاني -

نورده في ذكره في الجزء الرابع من فهرست الكتبخانة .  
وهو ناصر الدين محمد اللقاني المتوفى سنة ٩٥٨ هـ وله حاشية على شرح التفتاوى ، .

- برهان الدين اللقاني -

ذكره المحي في خلاصه الاثر ، وجورج زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ، ورمضان حلاوة في دستور الإعلام ، وعلى مبارك في الخطط التوفيقية .

وهو برهان الدين إبراهيم اللقاني ، المشار إليه في علم الحديث والوسع الاطلاع على علم الكلام ، وكان المرجع في الفتاوى والمشكلات في وقته بالقاهرة وكان الحكم يقبلون شفاعته ويجلبونه كل الإجلال ، وكان يصرف وقته في التدريس بالأزهر وإفادة المتعلمين ، وكان مالكي المذهب ، حج في سنة ١٠٤١ وفي عودته أدركته الوفاة فدفن بالقرب من عقبة أيلة ( العقبة : لايلات ) .  
وكان قد أخذ العلم من أبي المنجا السهوري ومحمد البهنسي ويحيى العراقي إمام المحدثين وشيخ رواق ابن معمر بالأزهر ، وكان من أساتذته في التربية والتصوف الشيخ الشرنوبى .

ومن مؤلفاته : دجوهرة التوحيد ، وهى أرجوزة في علم الكلام و د توضيح ألفاظ الأجرومية ، و د قضاء الوطر من نزهة النظر في توضيح نخبة الاثر للحافظ ابن حجر ، و د إجمال الوسائل وبهجة المحافل بالتعريف برواية الشامل ، و د مسائل أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى ، و د عقد الجمان في مسائل الضمان ، و د نشر المياثر فيمن أدرك من القرن العاشر ، وفيها ذكر مشايخه : محمد البكرى الصديقى ، والرملى شارح المنهاج ، وأحمد ابن قاسم

العبادى ، وغيرهم من الشافعية ، وعلى بن غانم المقدسى ، والشمس محمد النحريرى  
وعمر بن نجيم من الحنفية ، ومحمد السهورى ، وطه وأحمد المنيماوى ، وعبد الكريم  
البرمولى من المالكية ؛ ومن مشايخ الصوفية : أحمد البلقينى الوزيرى ،  
ومحمد بن الترجمان .

وله أيضاً « نصيحة الإخوان باجتنب الدخان » وهو مخطوط بمكتبة جامعة  
الإسكندرية وقد اطاعت عليه فوجدته يفرق بين المسكر والمفسد ، ويتحدث عن  
الحشيشة والدخان [ الذى يسميه العامة بالطابخة أو التفباك والتتن والتابغة ]  
ويذكر تاريخ جلبه إلى مصر من المغرب على يد السفاح أحمد بن عبد الله  
الحارجى ، ثم يستشهد بما قاله ( جالينوس ) و ( ابن سينا ) و ( ابن عسكر )  
و ( السبكي ) .

وتناول اللقانى فى كتابه أثر الاستعمار والإنجليز فى إفساد عقولنا بإدخال  
الدخان إلى بلادنا ، ومافعله الوزير محمد باشا وإلى مصر ثم الوزير أحمد فى  
اهتمامهم بمنع الناس من تعاطيه حفاظاً للصحة والدين ، وحرصاً على الرروة القومية  
للبلاد من أن تتبدد على أيدي المستعمرين .

وقد أنجز اللقانى كتابه هذا فى أقل من يوم ، عقب زيارته لمقبرة المجاورين  
بالقاهرة .

وقد كتب العلماء الشروح المتعددة على رسالته « جوهرة التوحيد » منها  
« هداية المريد » الموجودة فى عدة مكتبات بأوروبا .

ومن أخذ عنه واده عبد السلام اللقانى ، والشمس البابلى والعلاء الشبراخيسى  
ويوسف الفيشى ، وباسين الحصى ، وحسين النماوى ، وحسين الخفاجى ، وأحمد  
العجمى ، وأحمد الخراشى ، وأجاز لبعض المغاربة ، وفى « فهرست الكتبخانة »  
بالجزء الأول إجازته من ست أوراق لأحدهم ، وأخذ عنه البصير المسكى شمس  
الدين محمد الاسكندرانى المالكي الشاعر البليغ المتوفى سنة ١١٤٩ هـ والذى  
نظم تفسير القرآن فى نحو عثم مجملدات ، كما يقول رمضان حلاوة فى  
الجزء الثانى من « دستور الإعلام » .

## - عبد السلام اللقاني -

ذكره المحي في : خلاصة الأثر ، ج ٢

وهو عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني شيخ المالكية في وقته بالقاهرة . كان والده البرهان اللقاني السابق ، ولد سنة ٩٧١ هـ وتوفي في ٢٥ شوال سنة ١٠٧٨ هـ ، وكان ذا مهابة لدى كبار مشايخ العصر ، فقد تصدر بعد أبيه للتدريس بالجامع الأزهر وكان بارعا في الحديث والأصول ، ولم يكن يجرؤ أحد على أن يسأله في الدرس لهيبته .

ومن مؤلفاته : شرح المنظومة الجزائرية ، في الغنائد ، وشرح ثلاثة على : جوهر التوحيد ، لوأله واشتهر أحد هذه الشروح وهو : هداية المريد في شرح جوهر التوحيد ، المخطوط بمكتبات برلين وغوتا كما سبق أن قلنا كان في شبابه يلهو ويصيح ثم تاب وأناب ، وقال المحي [ وقد سمعت بعض الأشيخ المصريين يقولون : إنه لودن على وتيرة والده من الإكباب على الإفادة لفاته بمراحل ]

## - غرس الدين اللقاني -

ذكره كحالة في : معجم المؤلفين ، بالجزء الرابع ، والبغدادى في : هدية العارفين ، و : إيضاح المكنون ، والأزهري في : اليواقيت الثمينة ، وهو : غرس الدين أبو مفلح خليل بن إبراهيم بن علي اللقاني المالكي . وكان محدثا عارفا بالرجال ، ومن مؤلفاته : إتحاف ذوي الإرشاد بتجريد ذوي الأسناد ، في أسماء شيوخه ، وتنبيه الفهم بذكر من تسمى باسم محمد الكريم ، وله رد على سراهنسى الذي قدم مصر سنة ١٠٩٤ هـ ومؤلف كتاب في الطعن على الأنبياء ، فأنبرى له اللقاني بكتابه : الصارم البارق في الرد على سراهنسى المارق ، وقد اطلعت عليه ويقع في ٦٠ صفحة مخطوطا برقم ١١٨ بمكتبة جامعة الاسكندرية وفيه الغيرة على الدين ، والنوة في إيراد الحجة على الكفار .



## أعلام تروجة

- ابن فرج التروجي -

وهو : أبو محمد عبد الكريم بن أحمد بن فرج التروجي سمع الحنديث  
بالإسكندرية على يد عالمها ومحدث الدنيا والمسنند الأشهر الحافظ السفلي وذلك في  
غصون القرن السادس الهجري .

وقد ذكره السلفي فيمن أخذوا عنه (راجع د معجم السفر ) .

- ناصر الدين التروجي -

ذكره السخاوي في د الضوء اللامع ، بالجزء الثامن :

وهو محمد بن عبد الله ناصر الدين التروجي ثم القاهري ، كان مالكي المذهب  
وأحد نواب المالكية ، توفي سنة ٨٠٣ هـ ، وأثنى عليه السخاوي ، وذكره  
ابن حجر والمقريزي ،

- أحمد بن سليمان التروجي -

ذكره السخاوي في د الضوء اللامع ، ح ١

وهو أحمد بن سليمان بن أحمد الشهاب المصري ثم السكندري ويعرف بالتروجي ، كان  
مالكيا . سكن الإسكندرية ثم دخل العراق والهند ، وصار له شأن كبير في البنغال  
(الباكستان) واغتنى ثم افتقر ، وأقام بالحرمين عدة سنوات ومات بمكة في  
٤ شوال سنة ٨١٢ هـ ودفن ( بالمعلاة ) عن حوالي ستين عاما ، وكان شاعرا  
خييرا ، وأوقف عدة كتب برباط الخوزي بمكة ، وكان يتخذ سكنا ، وبه توفي  
ذكره الفاسي في د تاريخ مكة ، وأثنى عليه السخاوي إذ قال إنه [كانت له نباهة  
في العلم والحكايات والأشعار] .

- خلف التروجي -

ذكره السخاوي في د الضوء اللامع ، ح ٣ .

وهو خلف بن علي بن محمد بن أحمد بن داود بن عيسى المغربي الأصل التروجي المولد



السكندري الإقامة الشافعي المذهب ، ولد سنة ٧٦٠ هـ بتروجة . ثم انتقل مع خاله البرهان إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي بعد وفاة والده إلى الإسكندرية فسكنها وقرأ بها القرآن صغيراً وتفقه على يد محمد بن عبد الرحيم الرشيدى . ودرس النحو ثم حج سنة ٨٠٩ هـ وتردد على القاهرة ، وسمع البلقينى وابن خلدون ، وسمع الموطأ من ابن الملحق بالإسكندرية وأجازة ابن الملحق والبلقيني والعراقي والمنأوى . وهم يومئذ فطاحل العلماء وصار شيخ الشافعية والمالكية بشعر الإسكندرية ، ولقيه بها البقاعى وتباحث معه ، وقد عرضت عليه ولايات ومناصب فأبى . وصار يتكسب من عمل يده حتى مات بالإسكندرية في رجب سنة ٨٤٤ هـ ومن مؤلفاته : المرتب في الحديث ، و الرد على الجهمية ، و فضائل الإسكندرية .

- ابن عمر التروجى -

ذكره السخاوى في الضوء اللامع ، ح ١

وهو أحمد بن عمر بن أحمد بن منصور بن موسى الشهاب التروجى ، الشافعي عرف في تروجة وماحولها باسم ابن عمر ، وولد لها حوالى سنة ٧٨٢ هـ وحفظ القرآن بالإسكندرية وتلا القرآن على بعض المغاربة وصلى به ، وعرض على البدر الدماينى وتباحث معه فيه وفي ألفية ابن مالك ، وعلى النور على بن صالح والوزير خلف التروجى بالإسكندرية ، وتردد على القاهرة كثيراً ، فحضر بها على الشمس العراقى والجلال البلقينى والبساطى والقائى والونائى وكان يصحب الشهاب بن أسد ويطارح البقاعى ، وسمع على ابن حجر العسقلانى وغيرهم وله أشعار ، وتوفى بالإسكندرية حوالى سنة ٨٦٠ هـ ، وكان ابنه على قد سكن الإسكندرية واستقر بها من بعده .

ويظن السخاوى أن ابن عمر التروجى كان عاقد الانكحة (المأذون) ببلده .

- فاضل بن مخلوف التروجى -

ذكره السخاوى في الضوء اللامع ، بالجزء السادس .

وهو فاضل بن مخلوف بن خائب بن سليمان الشمس التروجي السكندري ،  
نزىل القاهرة ، وأحد المؤذنين بالتقصر السلطاني توفى في ربيع الأول سنة ٨٨٣ هـ  
وكان جميل الصوت في الأذان والتسبيح ، فاشتهر بذلك في بلده وفي القاهرة  
والإسكندرية .

### - ابن الفقيه موسى التروجي -

ذكره السخاوي في الجزء العاشر من الضوء اللامع ، .  
وهو محمد بن موسى الشمس التروجي الأصل، السكندري، التاجر المعروف بان  
الفقيه موسى التروجي. تزوج من بنت الجبال بن عيسى الحنبلي ثم فارقه لما عرف عنه  
من بخل زائد وجهه الأشرف قايتباي في نظر الذخيرة بالإسكندرية مع المتجر  
السلطاني ، وذلك بعد البرهان البرزنجي ( برتيجي : حسن في غرب الأندلس )  
وقد توفى في ربيع الأول سنة ٨٨٥ هـ .

### - محمد بن عبد الله التروجي -

ذكره السخاوي أيضا في الضوء اللامع ، .  
وهو محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الحق الفاضل أبو عبد الله التونسي  
الأصل ، المغربي المالكي ، أقام بالإسكندرية وتزوج من تروجة ، فصار يتردد  
بينهما وكان يتكسب من مهنة الخياطة ومات بالإسكندرية سنة ٨٨٨ هـ .

### - خليل التروجي -

ذكره أيضا السخاوي في الضوء اللامع ، > ٣ .  
وهو خليل بن الشهاب أحمد بن خليل التروجي السكندري ، نزىل مكة وبها  
أنجب أولادا ، وتوفى بها في شعبان سنة ٨٨٨ هـ ، وكان أولاده لا يزالون بها  
حتى سنة ٨٩٧ هـ ، وكان كثير المعاملة للناس ،

- محمد بن على التروجى -

ذكره أيضا السخاوى فى « الضوء اللامع » .

وهو محمد بن على بن عواض السكندرى التروجى ، نزيل القاهرة . كان تاجراً ثم ترك التجارة ونى داراً قرب ( سوق أمير الجيوش ) ثم رحل إلى مكة ، وسمع بها من السخاوى سنة ٨٨٦ هـ ، وتوفى هناك فى ٢٥ ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ عن أكثر من ستين عاماً ، ودفن بترّة ( فى عالية ) . وكان ينتمى إلى أئمة العباس ابن العمرى .

- قاسم التروجى -

ذكره السخاوى أيضا فى الجزء السادس .

وهو قاسم بن محمد بن مسلم بن مخلوف التروجى السكندرى ، سمع « الشفا » ، على ابن الملقن ، وكان يروى ، وذكره ابن حجر فى معجمه

- ابن مالك التروجى -

ذكره السخاوى كذلك فى الجزء الثامن :

وهو محمد بن مالك التروجى الماسكى . شهد فى إجازة لجمال الریتوفى على بعض القراء سنة ٨٩١ هـ ، وعرض عليه أبو الحنفار بعد سنة ٨٩٦ هـ .



## أعلام برج مغيزل

نسب المؤرخون أعلام هذه القرية الصغيرة فقالوا : البرجى ، ، ونظراً لأن هذه القرية صغيرة وتابعة لرشيد ، فإنهم كانوا ينسبون أعلامها إلى رشيد ، ومنهم :

- عبد الواحد البرجى -

ذكره المحبى فى « خلاصه الأثر » ، ٣٠٠ والزركلى فى « الأعلام » ، والبغدادى فى « هدية العارفين » ، والخفاجى .

وهو عبد الواحد بن عبد الله البرجى الرشيدى المصرى الشافعى ، ولد برشيد  
وكان إمام برج مغيزل ، وتوفى بالقاهرة فى شوال سنة ١٠٢٣ ودفن بتربة الجلال  
السيوطى ، عن مائة سنة فأكثر .

وكان شاعراً ومؤرخاً ، له د نزهة المسامرة فى أخبار مصر والقاهرة ،  
وذكر فيه الوزراء الذين تولوا الوزارات المصرية .

قال فى نائب غير رشيد على ثغر رشيد :

قلت للنائب الذى                      قد رأينا معايه  
لست عندى بنائب                      إنما أنت نائبه  
وقال : لا تحسبن أن هجوى فيك مكرمة                      شعرى بهجوى لثيم قط ماسمحا  
لئن أجرب طبعى فيك فهو كما                      جربت فى الكلب سيفاً عندما نبجا  
ومن شعره وقد سمع بوفاته أحد قضاة مصر :

قالوا : قضى التضاوى فواحسرتنا                      إن لم يكن قد مات من جمعة  
مصيبة .. لا غفر الله لى                      إن كنت أجريت لها دمعى  
وقال عنه تلميذه الشيخ مدين التوضيى : إنه كان عارفاً بعلم شتى ، وكان  
حاضر البديهة ، وكثير الحفظ للنوادر ، ومن مشاهير الفضلاء ، قرأ عليه السيد  
محمد الحجازى .

وقال أيضاً :

يقولون لى قهوة البن هل                      تحل وتؤمن آفاتنا  
فقلت : نعم هى مأمونة                      وما الصعب إلا مضافاتها  
وسئل عن هذه المضافات ؛ فقال : هى المكيفات التى تستعمل معها .  
ومن إملائه بشعر رشيد سنة ١٠٠٩ .

اعمرك ما أهديت للحب خاتماً                      ولا قلباً يرى ولا بست عينه  
ولا آلة للقطع تقطع بيننا                      فما سبب التفريق بينى وبينه  
وقال أيضاً :

لا تصحب ناقصاً فتضحى                      قليل حسظ كثير ذنب  
وانظر إلى الرفع من أبو من                      والخفض فى القبر بعد حرب

## اعلام بلقطةر

### - الشيخ شعبان البلقطرى -

ذكره الشعرائى عرضاً فى ترجمته للشيخ على الشونوزى : قال عنه فى الجزء الثانى من « الطبقات الكبرى » ، إنه أجل أصحاب الشيخ شعبان البلقطرى بدمنهور البحيرة ، وقد صاحب الشعرائى الشيخ الشونوزى عشر سنوات ، ومات بالقاهرة بعد سنة ٩٣٠ هـ ، ودفن بها .

### - يوسف البلقطرى -

ذكره رمضان حلاوة فى « دستور الإعلام » ، فقال :

هو يوسف بن بركات بن محمد بن بركات بن على البلقطرى من رجال القرن الحادى عشر ، وله تأليف فى المذهب ، اطلع عليه رمضان حلاوة ولكنه لم يذكر لنا شيئاً عنه غير هذا .

### - عبد الباقي البلقطرى -

ورد ذكره فى « فهرست الكتبخانة » .

وهو عبد الباقي بن بركات بن يوسف البلقطرى المسالكى الخطاط ، كتب بخط يده كتاب « المنهج المبين فى شرح الأربعين » (== حديثاً للنوى) من تأليف الفاكهانى السكندرى المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ، وهو من ٢٩٨ ورقة وفرغ من كتابته سنة ١٠٧٧ هـ ، فهو خطاط من القرن الحادى عشر .

### - موسى بن محمد البلقطرى -

ذكره البغدادى فى « هدية العارفين » .

وهو موسى بن محمد بن بركات البلقطرى الاصل ، السكندرى المنشأ والموطن ، وهو من أهل القرن الحادى عشر أيضاً ، وله « اللمعة المغنية » و « الفتح المبين لشرح السنوسية » و « أم البراهين » فى التوحيد .

- إبراهيم بن عيسى البلقطرى -

ذكره رمضان حلاوه في « دستور الإعلام » .  
وهو الإمام المحدث إبراهيم بن عيسى بن موسى الزبيرى البلقطرى ، ولم يذكر  
لنا شيئا عنه غير ذلك .

- على بن إبراهيم البلقطرى -

ذكره رمضان حلاوة أيضا فقال :  
[ وعندنا بالإسكندرية الشيخ البلقطرى ، لم أقف على تاريخه ، وإنما المشهور  
أن اسمه على بن إبراهيم فالظاهر أن جده المذكور ] .

- عبد اللطيف بك الصيرفى -

كتب تاريخ حياته بقلمه في مقدمة ديوان شعره الذى نشره من بعده ابنه السيد  
عبد العزيز الصيرفى سنة ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٨ م .  
ولد بالإسكندرية في ٨ ربيع الأول سنة ١٢٥٧ هـ بآارة الترازية وشأ بها .  
وتعلم العربية والتركية وتقلب في مناصب كثيرة بديران محافظة الإسكندرية وديوان  
البحرية ، والمسافر خانة ، وانتخب وكيلا لمديرية البحيرة ، حيث كان مديرها  
إبراهيم باشا توفيق في أيام وزارة محمود سامى البارودى ، ولكن الوشاة تمكنوا  
من الحيلولة بينه وبين هذا المنصب ، وكان من أعز أصدقائه أحمد باشا خيرى ناظر  
الأوقاف الخاصة الخديوية في عهد عباس حلى الثانى ، والذى صار مديرا للبحيرة ،  
وخصه الصيرفى بالكثير من مدائحه .

واشتغل الصيرفى بالمحاماة ، وصار نائب مستشارم مستشار المحكمة الاستئناف  
وأحيل إلى المعاش ، فاستقر بأسرته في (بلقطر) حيث استبدل باستحقاقه لدى  
الحكومة أرضا واسعة ، بلغت الآلاف فدان ، وضاق ذرعا بالإقامة بالريف ،  
فعاد إلى الإسكندرية ، حيث وافاه التدر المحتوم في رجب سنة ١٣٢٢ هـ .  
وديوان شعره حافل بشق الأحداث ، ومتعدد الشخصيات ذات الصلة

بتاريخ البحيرة، فعندما زار عباس دمنهور، كان مطلع قصيدته في هذه المناسبة  
[اليوم نخسدها الدنيا دمنهور] وعندما صار صديقه أحمد حيرى باشا مديراً  
للبحيرة، خاطب بشير الانس قائلا:

أولم تدر بمن جاء مديراً للبحيرة

وطالما هنأه برمضان والأعياد سنة ١٣١٢ وما بعدها، وهنأ مصطفى بك وكيل  
المديرية سنة ١٨٩٧، وكان إذا دعى إلى وليمة أو حفل راقص وصف ما رأت عيناه  
شاكرًا لخيري باشا، وكثيراً ما شكاً إليه نثراً وشعراً من مستنقعات (بلقطة)  
فيتخيل أنه أمر بردمها في رؤيا رآها فقتل سنة ١٣١٥ هـ:

في عالم الرؤيا رأيت رحابكم قد حل قريتنا بهدى الجمعة

ورأيتمو البرك الويلة لم تزل في حالها الشاني لشان الصحة

فطابتهمسو أربابها وأمرتمو حالا برميهمو بأعمق بركة

وكذا المشايخ فوقهم ويسوقهم جاويشك اسماعيل ثم بزخمة

ويستمر متخيلاً البنين والبنات ووكيل المديرية وحكدار الجنود والمأمور في

همة ونشاط، وبعد أن تم ردم (بركة بلقطة) في المنام، زار المدير منزل

الشاعر، ثم يختم بقوله:

فاعلمني خيراً رأيت ولم يكن هذا المنام كما أرى في اليقظة

ويرد ذكر (دمنهور) كثيراً في شعره متغزلاً تارة، وهاجياً لخاصة ثقيل تارة

أخرى، فيقول مثلاً:

كانت (دمنهور) لنا مهد المحاسن والظرائف

ويقول أيضاً في إحدى زياراته:

أتيت (دمنهوراً) أروح بالصفا فؤادا دعاه للرفاق حنين

فساق لي المقدور ظيباً مهفهفا يتيه بفرق للجبين يزين

كما أن في نثره رسائل عدة تفصح عن صلاته بأعيان البحيرة في عصره، مثل محمود

بك الحبشي، ويضمن رسائله بعض الملح والطرائف.

وعلى الرغم من أن الصيرفي قد ولد ومات بالإسكندرية ، إلا أنه منذ أقام بعزبته المعروفة ببلقطر ، قد جعل يضمن شعره ونثره الكثير من معالم الحياة الأدبية والحضارية والعمرانية والاجتماعية في عصر توفيق وعباس ، وهكذا نتمس التاريخ أحيانا من الآثار الأدبية ، حين تعوزنا المراجع التاريخية .  
والمعروف أن عبد اللطيف بك الصيرفي هو جد السيد محمد شفيع الصيرفي رئيس محكمة استئناف مصر حالياً ، كما أن هناك عائلة الصيرفي التي تقيم بناحية «قليشان» بحيرة ، ولا علاقة للمترجم بها إلا في الاسم ، هكذا أخبرني السيد أحمد خيرى ، زاده الله من فضله ونفعنا بعله .



## أعلام سنهور

- أبو المعالي السنهورى -

ذكره السلفي في « معجم السفر » ، وهو : أبو المعالي متوج بن جواهر بن موسى السنهورى المالكي ، كان يصلي في أحد مساجد الإسكندرية ، وكان محمود السيرة ، قال السلفي : [ سمعت ابن عمى الناضى أبا الفتوح نصر بن موسى بن أسلم بسنهور ] ومعنى ذلك أنه معاصر للسلفي ، فهو من أهل القرن السادس الهجرى .

- نور الدين السنهورى -

ذكره التميمكى في « نيل الابتهاج » وابن لياس في « بدائع الزهور » : وهو نور الدين على بن عبد الله بن على السنهورى المالكي ، وكان إماماً في المالكية وله شهرة طائلة ، ولد بسنهور سنة ٨١٤ ومات في ١٩ رجب سنة ٨٨٩ . أخذ عن أبي القاسم النورى والناصر اللفانى ، وبرع في الفقه والعربية والقراءات السبع وغير ذلك من العلوم . وألف عدة كتب ، وكان متديناً ومباركاً ، مع تواضع والتقشف



### - جعفر السنهورى -

ذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » وعلى مبارك فى « الخطط التوفيقية » وهو جعفر بن إبراهيم السنهورى ، ولد بسنهور نحو سنة ٨١٠ هـ وفارقها إلى المحلة ودرس بالأزهر على الشهاب الإسكندراني والتاج الطوخى فى علم القراءات وتوفى سنة ٨٩٤ ودفن « بتربة سعيد السعداء »

### - البرهان السنهورى -

ذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » بالجزء الأول : وهو إبراهيم بزهان الدين السنهورى المالكي ، كان عالماً بالانراءات والفقهاء والأصول والفرائض ، ولم يذكر مولده ووفاته .

### - الشهاب السنهورى -

ذكره السخاوى أيضاً فى الجزء الثانى من « الضوء اللامع » وهو أحمد بن محمد بن على الشهاب السنهورى ، وكان ممن أخذ عن السخاوى . الشمس السنهورى .

### ذكره السخاوى فى الجزء العاشر :

وهو محمد بن على الشمس السنهورى ويعرف بابن الأصيفر قرأ البخارى على الرشيدى .

### - محمد بن هارون السنهورى -

ذكره الشعرانى فى « الطبقات الكبرى » وعلى مبارك فى « الخطط التوفيقية » له ضريح فى (سنهور) ، وما يعرف عنه أنه كان يقوم لوالد سيد إبراهيم الدسوقي إذا مر عليه بكل إجلال واحترام .

### - سالم السنهورى -

ذكره المحبى فى « خلاصة الأثر » وعلى مبارك فى « الخطط التوفيقية » ورمضان حلوة فى « دستور الإعلام » وهو : سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين

ابن عز الدين بن ناصر الدين بن عز العرب أبي النجا السنهوري ، الإمام المالكي المحدث ، خاتمة الحفاظ ، ومفتي المالكية ورئيسها ، ولد بسنهور ، وقدم القاهرة وعمره إحدى عشرة سنة . وأخذ العلم عن النجم محمد بن أحمد الغيطي السكندري وروى عنه وعن البنوفري ، وأدرك اللقاني ، وأخذ عنه كثير من علماء مصر والشام والحجاز أمثال : البرهان البابلي ، وسليمان البابلي . وله حاشية على مختصر خليل ، في الفقه ، ورسالة في ليلة النصف من شعبان وتوفي في ٣ جمادى الآخرة سنة ١٠١٦ عن سبعين عاما ودفن بمقبرة المجاورين بالقاهرة .

### - الأمير حسن السنهوري -

ذكره علي مبارك في الخطط التوفيقية ،

وهو الأمير حسن بك نور الدين بن محمد نور الدين ، ولد بسنهور سنة ١٢٣٧ هـ وتعلم أولا في مكتب (كفر مجر) بجوار سنهور ، وانتقل إلى طنطا ، واستكمل دروسه بمكتب قصر العيني ، ثم بأبي زعبل ، ثم درس الهندسة ببولاق بمدرسة المهندس خانة ، وكان في فرقة علي مبارك وأتم دراسته في فرنسا .

هذا وقد أورد علي مبارك في الخطط ، بالجزء الثاني عشر ، أضرحة سنهور وهي : مقام الشيخ علي النصيح - ومقام الشيخ نصر الدين - ومقام الشيخ محمد السعودي ومقام الشيخ محمد الرباطي ومقام الشيخ محمد نحر الدين الحيطاوي - وضريح محمد ابن هارون السنهوري .

وتحت يدي أيضا وثيقة تشير إلى أن أبا العباس أحمد السنهوري - وهو لاشك من أهل القرن الثامن الهجري مدفون بإدكو حيث لا تزال بها عائلة سنهوري إلى اليوم ، (راجع ترجمة : شافع بن السائب في إعلام إدكو ، صفحة ٥١٨ من الكتاب) .

## اعلام شبراخيت

- البرهان إبراهيم الشبراخيتي -

ذكره كثيرون منهم : الجبرتي في « يومياته » ، والأزهري في « البواقيت الثمينة » ، والبغدادى في « هدية العارفين » ، و « إيضاح المكنون » ، والزركلى في « الاعلام » ، وعلى مبارك في « النخطط التوفيقية » ، والتونكي في « معجم المصنفين » ، وكحالة في « معجم المؤلفين » ، وطلس في « الكشف » ، ورمضان حلاوة في « دستور الاعلام » ، وفي فهرست المؤلفين بالظاهرية بدمشق وفهرست الازهرية وفهرست التيمورية وفهرست الكتبخانة :

وهو برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن مرعى بن عطية الشبراخيتي المالكي المذهب . ينسب إلى شبراخيت . وكان محدثا فقيها ونحويا وأصوليا . توفي غريفا بالنيل بالقرب من رشيد في طريقه إليها وذلك سنة ١١٠٦ هـ عن نحو ستين عاما .

وله « الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية » ، وهو مخطوط في ٣٠٣ ورقة ، و « شرح على الفية السيرة » للعراقي و « شرح على العشماوية » ، و « شرح مختصر خليل » ، في الفروع المالكية في عدة مجلدات وقد تفتمه على الأجهوري ويوسف الفيثي .

- يوسف الشبراخيتي -

ذكره الجبرتي إذ وقع الاختيار عليه من بين مشايخ البحيرة لعضوية الديوان الذي أنشأه نابليون بالقاهرة سنة ١٢١٣ هـ .

- ٥٦٦ -

## أعلام اليهودية

( الوفاية )

- أحمد برغوث -

ذكره الجبرتي .

وهو العالم الفقيه الشيخ أحمد الشهير ببرغوث المالكي ، ولد باليهودية ، وتفقه على أشياخ عصره ، وبرع في الفقه والمعقول ، وقام بالتدريس ، فالتفح به كثيرون ومات في ٥ صفر سنة ١٢٢٤ هـ ودفن بـترية المجاورين بالقاهرة .



## أعلام مرقص

- أحمد بن إسماعيل القرشي -

ذكره السخاوي في « تحفة الأحباب » ، في حديثه عن ابنه منصور .

أما الأب فهو : أحمد بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن أبي عمران موسى القرشي المتوفى سنة ٦٩٦ بناحية مرقص . وينسب إلى أبي الفتح الواسطي الوفاي المدفون بالاسكندرية .

وأما الابن فهو : فهو منصور بن عبد الرحمن بن سليمان بن منصور بن إبراهيم ابن رضوان بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن نجم الدين بن عبد الله القرشي الحسيني البرلسي دفين البرلس .



## أعلام أبو خراش

- أبو الفتح البرسيقي السمديسي الخراشي -

ذكره السخاوي في الجزء السادس من : الضوء اللامع ،

وهو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن مخلوف بن غالي بن عبد الله ساهر بن قانع بن عبد الحميد بن سالم بن عبد الباري بن راضي بن حامد بن عطاء الشمس أو السعد أبو الفتح البرسيقي ( لنفسه بعض أعمال الإسكندرية ) ، الناهري الوزيري الخنفي ، ويعرف بالسمديسي ( مع أنه ليس من سماديس ولكنه من أبو خراش فتحاشي أن ينسب إليها مع ما بينهما من بعد المسافة ) .

ولد في ١٤ ربيع الأول سنة ٨٥٣ هـ ، وتلا بالقراءات السبع على جعفر السنهوري ، وحقق تجويد القرآن وتفقه واشتغل بالأصول والعربية ، وقرأ على بلديه الخطيب الوزيري الخراشي ، وصار في مشيخته الخنفي الجانيكية ، وقد بنى شيخه نظام مسجدا بالقرب من الأيتمشية وأسكنه قاعدة به وحج معه ، وكان في لسانه رخاوة وفي طبعه كبر ، ولكنه كان فاضلا ، وقدم مكابجا مع أميره برد بك الخازندار نائب جدة ، وظل في رعايته ، وتوفي بعد سنة ٨٩٧ هـ .

- الإمام أبو عبد الله الخراشي -

ذكره سليمان رصد في : كنز الجواهر ، والجبرتي ، والزياتي ومحمود ربيع وحسن قاسم في تعاليقهما على : تحفة الأحباب .

وهو : الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخراشي المالكي أول من تولى مشيخة الأزهر ، انتهت إليه الرئاسة في مصر ، ولم يبق بها في آخر عمره إلا طلبته وذاع صيته في بلاد المغرب والتكرور والشام والحجاز والروم واليمن . وكان أكثر قراءته بالأقباوية ، وجعل لنفسه خلوة بمنزله ، وانهاكت عليه الهدايا من جميع البلاد الإسلامية ولكنه ما كان يمسك منها شيئا ، بل كان يوزعها على أقاربه ومعارفه ، وتلقى العلم على الشيخ علي الأجهوري ، والشيخ إبراهيم اللقاني وعلى والده الشيخ عبد الله الخراشي ، ومن تلاميذه : أحمد اللقاني ، وعلى اللقاني

وشمس الدين اللقاني، ومحمد الزرقاني، ومحمد النفراوى ، وأحمد الشبرخيتى ،  
وأحمد الفيومى ، وإبراهيم الفيومى ، وعبد الباقي النمليني .  
وتوفى في ٢٧ من ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ ودفن مع والده قسرب مدين  
سيدى محمد البنو فرى وسط قراقة المجاورين ثم نقل بالقرب منه الشيخ ابن صيام  
الدمهورى المتوفى سنة ١١٩٢ هـ وله « الشرح الكبير على متن خليل ، وكذلك  
« الشرح الصغير ، . وجزء فى الكلام على البسملة نحو أربعين كراسا ، وغير ذلك .  
وما يؤثر عنه أنه كان متقشفا فى مأكله ومشربه وملبسه كثير القيام والصيام  
ويقضى مصالحه بنفسه ، متمسكا بالسنة الشريفة ظاهرا وباطنا .

## اعلام محلة بشر

### - الشيخ سليم البشرى -

ذكره سليمان رصد فى « كنز الجواهر » والدكتور جمال الدين الرمادى فى  
« أدب البشرى » ومجاهد فى « الأعلام الشرقية » وكحالة فى « معجم المؤلفين » ،  
ووردت عنه نبذة أيضاً فى « مرآة العصر » و « الكنز الثمين » وهوامش « تحفة  
الاحباب » .

وهو الشيخ سليم بن أبى فراج بن سليم بن أبى فراج البشرى الشيخ الرابع  
والعشرون للأزهر تولى المشيخة بعد الشيخ عبد الرحمن النواوى سنة ١٣١٧ هـ  
ولد بمحلة بشر سنة ١٢٤٨ وقيل سنة ١٢٤٥ (= ١٨٢٩ م) وقيل سنة ١٢٥٠ هـ  
وهى قرية بمركز بلاد الأرز شرق ترعة الخطاطبة ، والآن بمركز شبراخيت  
وحفظ القرآن ، وقدم إلى القاهرة وتمذهب مالكيّاً على البيجورى وعليش ، وقام  
بالتدريس سنة ١٢٧٢ وتولى مشيخة المالكية بعد الشيخ عليش سنة ١٣٠٥ ومن  
تلاميذه الشيخ محمد راشد لإمام الخديوى عباس حلمي الثانى ، والشيخ البسيونى  
البباني ، ومحمد عرفه البباني ، والشيخ سالم البولاتى ، وتولى مشيخة الجامع

الزينبي ، وعين له سبعة من العلماء للتدريس به ، وتخصص كل واحد في علم من العلوم الإسلامية ، ورتب لهم مرتبات من الأوقاف ، حتى صار كالجوامع الأزهر وفي سنة ١٣٠٥ جعله الخديوى توفيق شيخ المالكية ، بعد أن ألغيت منذ الشيخ عlish ، فجمع بين المشيختين ، وله « تحفة الطلاب بشرح رسالة الآداب » و « حاشية على رسالة الشيخ عlish » في التوحيد ، و « وضع النهج » شرح فيه نهج البردة ، وله تقرير على « جمع الجوامع » .

وفي أيامه صار غالب مدرسى الرياضة من أهل الأزهر ، وعرف فى عهده الأزهر بالنظام ، وأولاده : محمد طه سليم وأحمد سليم وعبد الرحيم سليم وعبد العزيز سليم وعبد الله سليم الضابط بالجيش ،

وكان تلميذاً للشيخ على العدوى المنسفيسى الصعبدى المالكي (من بنى عدى) وتلميذاً أيضاً للشيخ الحناني الذى مرض دون إتمام قراءة كتاب من أمهات الكتب المقررة على طلبته بالأزهر الشريف ، وحينئذ أسر بجميع الطلبة فانتظروه وجرى به محمولا وهو فى أشد حالات المرض فقال لهم : [ لاني ذاهب وليس فى فضلة لتدريس العلم ، وإنى مستخلف عليكم لإتمام درسى أجدر الناس به ] ، وأمسك بيده الشيخ سليم البشرى .

وتألق نجم الشيخ سليم فى علوم الحديث والبلاغة ، وتوفى رحمه الله فى ١٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ ( ١٩١٧ م ) ودفن بزاوية المالكية بصحراء قرافة السيدة زينب فقيلت فيه القصائد والمقالات ذاكرة فضله على الأزهر الذى تولى مشيخة مرتين سنة ١٣١٧ حتى سنة ١٣٢٠ ثم من سنة ١٣٢٧ حتى توفاه الله بعد حياة حافلة .  
بمآثر الأعمال منها رفع مرتبات العلماء وتنظيم الدراسة فى الأزهر وإنشاء معاهد دينية فى البلدان المصرية ، وإنشاء مدرسة القضاء الشرعى ، وتأليف هيئة كبار العلماء ، ومجلس الأزهر الأعلى ، وأنعم عليه السلطان حسين كامل بالنيشان المجيدى الأول والوشاح الأكبر من وسام النيل ، وكان رئيساً للمجمع اللغوى سنة ١٩١٧ م الذى كان مركزه دار الكتب المصرية ووكيله الشيخ بخيت وكاتب سره أحمد لطفى السيد وانحل سنة ١٩١٩ .

## - عبد العزيز البشري -

أفرد له الدكتور جمال الدين الرمادى كتاباً بعنوان « أدب البشري » ، كما تحدث عنه كامل الفتى فى الجزء الثالث من كتابه ، وهو ابن شخب الإسلام الإمام سليم البشري ، أدرك أباه وتزوج وأنجب فى حياته ، فقد ولد فى حى البغالة بمصر سنة ١٨٨٦ م ونشأ فى بيت أبيه ، فدخل الكتاب صبياً ثم المدرسة الابتدائية ، وما لبث أن التحق بالأزهر وتخرج منه سنة ١٩١١ فعين سكرتيراً بوزارة الأوقاف حتى سنة ١٩١٢ ، ثم عينه أحمد حشمت باشا محرراً فى وزارة المعارف ثم سكرتيراً عاماً للجنة الاصطلاحات العربية وكان من أعضائها إسما عيل حسنين ومستروب وحفنى بك ناصف وأحمد زكى باشا ، ثم محرراً عالياً بوزارة المعارف بعبد الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى ، وعين قاضياً شرعياً حتى سنة ١٩٢٢ بالزقازيق ، ثم صار مفتشاً بوزارة الختانية سنة ١٩٢٣ ثم عضواً عاملاً بمجلس حسبي أسيوط ، ثم عاد إلى القضاء ، ثم عضواً بالمكتب الفنى بوزارة المعارف ، ثم سكرتيراً برلمانياً على الشمسى باشا ، ثم وكيلاً لإدارة المطبوعات حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٣٠ وعين سنة ١٩٣٢ مراقباً عاماً للمجمع اللغوى الجديد حتى توفاه الله فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٣ وقيل ١٥ ديسمبر وترك ولدين هما حسين وعبد الحميد .

وكانت ثقافة الشيخ عبد العزيز عربية خالصة مع إلمام بأطراف من الإنجليزية والفرنسية ، وقد عرف أسلوبه بالسخرية والتهكم اللاذع ورسم الشخصيات على نحو ما كان يفعلها الجاحظ ومولير .

وقد تأثر بالمولوى إبراهيم وابنه محمد وعلى يوسف ، وكان يجتمع مع كبار الأدباء فى عصره مثل حافظ إبراهيم ، وحافظ عوض ، وعبد الحميد البنان ، وعبد الرحيم أحمد ، وأمير الشعراء أحمد شوقى ، وأحمد أمين الأديب . وأحمد أمين القانونى ، والمنفلوطى ، ومصطفى صادق الرافعى ، وحسين المرصنى .

ومن مؤلفاته : ( المرأة ) وقد جمع به مقالاته فى السياسة الأسبوعية عن الشخصيات السياسية المعاصرة و ( المختار ) فى جزمين جمع فيها كثيراً من مقالاته . و ( قطوف ) نشر بعد وفاته مشتملاً على مقالاته فى الأجداد الإسلامية و ( التربية الوطنية ) للمدارس الابتدائية ، واشترك فى تأليف « المجلد » و « الفصل » فى تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية ، ومقالاته منتشرة فى



الصحف والمجلات منها الأهرام والكشكول والرسالة والثقافة ، وأذاع كثيراً في الإذاعة ، وكان شاعراً منذ الصغر ولكنه لم يكتب ، وقد هجا الشيخ علي يوسف في ( الظاهر ) ، أما كتابة المقال فتد كان فيها مبرزاً ممتازاً كثيراً ، وله عشاقه ومريدوه كما أنه أكثر من البحوث الأدبية والتراجم ، وكان حاد الذكاء ، فكه الحديث ، علياً بنفوس من حوله ، واشتهر بالنسكة الباردة ، حتى في أخرج المواقف ، ومع كبار الشخصيات .



## اعلام كافر العيص

- الشيخ عبد الرحمن البحراوى -

ذكره على مبارك في الجزء ١٥ من « الخطط التوفيقية » ، وهو : عبد الرحمن البحراوى الحنفى الأزهرى ، ولد بكفر العيص سنة ١٢٣٥ هـ ، وانتقل إلى الأزهر ، وفي سنة ١٢٥١ تلقى الفقه والتفسير والحديث عن الشيخ محمد الكتبي ، والأدب والمنطق والتوحيد من الشيخ إبراهيم السقا ، والشيخ مصطفى البولاق والشيخ إبراهيم البيجورى شيخ الأزهر : وكان خطاطاً يكتب الكتب ، ويتكسب من ذلك ويعيش عليه ، ثم تصدر للتدريس سنة ١٢٦٤ ، وشهد له أعيان الأزهر لحسن إلقائه ، وعذوبة طرائفه ونوادره وملحه ، واحترمه الأئمة لحذقه وإتقانه علوماً شتى .

رتب له الخديوى عباس حلمى الثانى كل شهر خمسة جنيهاً ؛ وفى سنة ١٢٧١ قام بتصحيح الفتاوى الهندية بمطبعة بولاق ، بمرتبة سبعة جنيهاً كل شهر ، ثم تقلد قضاء الإسكندرية سنة ١٢٧٧ ، بمرتبة خمسة وعشرين جنيهاً وبعد خمس سنوات عاد إلى التدريس ، وفى سنة ١٢٨٩ عين مفتياً بالمجلس الخصوصى بمرتبة ثلاثين جنيهاً ، وفى سنة ١٢٩٢ أصبح رئيس المجلس الأول

للمحكمة الشرعية الكبرى بخمسين جنيتها ، ثم تقلد منصب الإفتاء فى الحقانية ( وزارة العدل ) ، وله تقرير على شرح العيني ، وحاشية على شرح الطائى .

## اعلام العطف ( = المحمودية )

- الأمير على بن سليمان -

ذكره على مبارك فى « الخطط التوفيقية » ، > ١٤ .

وهو الأمير على بن سليمان بن جويلى بن سليمان من أعيان مشايخ ( بنى عون ) بإقليم البحيرة ، من أولاد عم الأمير عيسى ابن إسماعيل شيخ عرب الإقليم ، وقد حج سنة ٩٥٢ هـ فى عهد إيدمر الروى ( التركى ) ، وحج معه سليمان أكبر أولاده ، وكانوا أكثر من ثلاثين فارساً ، أغلبهم حسان الوجوه بيض البشرة ، وفى حجه حدث نفق كثير للحجاج ، وقد صحبه على مبارك أكثر من خمسين يوماً بالعطف .

- عبد الرحمن إبراهيم باشا -

ذكره محمد عبد الجواد فى « تقويم دار العلوم » ،

وهو : عبد الرحمن بن إبراهيم سيد أحمد ، أصله من كفر الشيخ وولد بالمحمودية فى ٦ يناير سنة ١٨٧٢ ، وتعلم بمدارس الإسكندرية ثم التحق بالأزهر ودار العلوم وتخرج فيها سنة ١٨٩٥ ، وسافر إلى باريس مع مصطفى كامل الخولى بك ، ودرس الحقوق بها حتى نال إجازتها سنة ١٩٠٠ ، ثم عمل محامياً بمكتب محمد الشوباشى بك بالإسكندرية إلى سنة ١٩٠٤ ، ثم عين مساعداً للمستشار القضائى لديوان الأوقاف ، ثم صار قاضياً سنة ١٩٠٥ ، وظل فى مناصب القضاء حتى توفاه الله فى ٩ مايو سنة ١٩٣٥ ، حيث كان وكيلاً لمحكمة النقض والإبرام ، وقد أنعم عليه الملك فؤاد ببراءة الباشوية سنة ١٩٣٠ .

## أعلام البسلقون

..سراج الدين البسلقونى..

ذكره السخاوى فى «العضد السامع» ، والداودى فى «طبقات المفسرين» ، وابن عزم فى «دستور الإعلام» ،

وهو : سراج الدين عمر ، وقال الداودى : محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن خلف بن غالى بن محمد بن تميم ، أبو على بن أبى كامل بن جمال الحنفى القبايلى اللخمى الإسكندرى المعروف بالبسلقونى ، وكان مالكي المذهب .

ولد بالإسكندرية فى شعبان سنة ٧٦١ هـ وخرج به جده إلى البسلقون - التى فى جنوب الإسكندرية بقليل - وكان له بها إقطاع ، فأقام بها ، إلى أن توفى جده .

نشأ البسلقونى ، بالقرية . وقرأ بها القرآن ، وحفظ سورة البقرة فى يوم واحد ، ورحل به أبوه إلى الإسكندرية ، وهو دون العاشرة ، فرجع أبوه إلى البسلقون ، وتخاف هو بالإسكندرية ، فحفظ الشاطبية والألفية ، وتفقه على الشهاب شرف الدين أحمد بن صالح بن حسن اللخمى ، ودرس النحو على شمس الدين ابن على الفلاحى ومنصور بن عبد الله المغربى ، وأصول الفقه على شمس الدين محمد بن يعقوب الغمارى المالكي ، وأصول الدين على محيى الدين يحيى الهنئى ، والمعانى والبيان على السراج بن نبوه الطنتدائى ( الطنطاوى ) ، وتلا القراءات بالسبع على الفكيرى خطيب الجامع الأعظم الغربى بالإسكندرية ، وأجاز له الكفرانى وأذن له فى الإقراء محمد بن يوسف بن عبد الخالق اللخمى ، وأجاز له أيضا السراج البلقينى ، والحافظ العراقى والحافظ الهيتى وابن الشيخة وابن الملقن والانباسى والشهاب الجوهري والفخر عثمان بن محمد بن وجيه الشيشينى .

وله أرجوزة «الجوهرة النيرة» فى مذهب عالم المدينة . من ستائة بيت وأرجوزة «تحفة الفرائض فى الفرائض» من مائة وأثنين وسبعين بيتا ، وشرحها فى أربعة كراريس ، ونظم مائة بيت فى العربية على غرار ما فعل الشاطبى وأفراد أصول قراءة أبى عمر فى بحر الشاطبية ، وله فى التفسير «ذخر القرآن» ، وقد سماه أصحابه «سراج الأغراب فى التفسير ومعانى الإعراب» ،

وقد اشتهرت هذه الأراجيز في الحجاز واليمن وتونس ، وتوفى سنة ٨٤٢ هـ



## أعلام معنية

عزبة الحرمل

- على النجار -

ذكره كحالة في « معجم المؤلفين » ، ٧ وجمادى في « الأعلام الشرقية » ، ٢  
وهو : على بن محمد بن عامر النجار الشافعي الفقيه الأصولي النحوي المفسر ،  
ولد بعزبة الحرمل التابعة لمعنية ، تخرج في الأزهر ، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م  
وله : « شرح شواهد الأسموني » و « حاشية على شرح الإسنوي على المنهاج »  
في أصول الفقه ، و « رسالة في علم الأخلاق وأخرى في علم الوضع وله أيضاً شرح  
البيقونية .



## أعلام إيبيا الحمراء

- أحمد محرم -

ذكره كحالة في « معجم المؤلفين » ، ٢ ، وأحمد عبيد في « مشاهير شعراء  
العصر » ، وسعد ميخائيل في « آداب العصر » وعبد المنعم خفاجي في « مذاهب  
الأدب » ومحمد صبرى في « شعراء العصر » والوهباني في « مراجع تراجم الأدباء  
العرب » وأخيراً أفرده الجيوشي كتاباً وافياً ، وكتب عنه الكثيرون في المجلات  
مثل « الرسالة » و « الثقافة » و « الأزهر » وله قصائد في هذه المجلات فضلاً  
عن « أبولو » و « الأهرام » .

وهو الشاعر أحمد محرم بن حسن تبه الله ولد فى المحرم سنة ١٢٩٤ هـ ولهذا  
سمى ( أحمد محرم ) ، وكانت ولادته بقرية ( إيبيا الحرام ) ، وتلقى المبادئ بها  
وتتق على يد أحد رجال الأزهر ، وأقام بدمهور ، وتوفى ودفن بها سنة  
١٣٦٤ هـ ( ١٩٤٥ م ) عن سبعين عاما .

وله : ديوان محرم وهو مطبوع ، وفيه إشادة بالدولة العثمانية . وله ديوان  
مجد الإسلام ، وهو إلياذة إسلامية فى تاريخ الدول الإسلامية كتبها شعرا ، ولم  
يطبع إلى الآن ، على الرغم من المحاولات العديدة التى بذلت لإخراج هذا الكنز  
الثمين إلى عالم النور .

ومن أولاده الأستاذ سليمان محرم من رجال التربية والتعليم والأستاذ محمود  
محرم مسجل كلية الآداب جامعة الإسكندرية



## أعلام زاوية أبو شوشة

- الشيخ مصطفى ناصف -

ذكره على بن أحمد أبو النظر السكندرى فى ( منهل الأنوار المحمدية لطريقة  
السادة الشاذلية المدنية ) ، قال :

إن الشيخ مصطفى ناصف المالكى - المتوفى ببلمدة زاوية أبو شوشة  
بالدلتجات بحيرة - كان من أتباع شيخه محمد بن أحمد عبد الله المدنى الحسى  
المتوفى بالإسكندرية سنة ١٣٣٠ هـ :

ومعنى ذلك أنه أحد الإخوان الشاذلية ، متصوف توفى بعد سنة ١٣٣٠ هـ ،  
ولا يزال المعاصرون من أبناء البحيرة ولاسيا فى دمنهور يذكرونه بالخير ،  
ويشترن عليه ، كلما ورد ذكره على ألسنتهم .

## اعلام الدلائجات

- أحمد الدلائجوى -

ورد ذكره فى الجبرقى ، وفى فهرست الكتبخانة  
وهو الأديب الشاعر أحمد الدلائجوى المتوفى سنة ٢٢٣ هـ ، وله ديوان  
شعر مطبوع بالمطبعة الاعلامية سنة ١٣٠٣ هـ ، ومن شعره :  
قمر يخص وشأنه برضى ، ومغرمه بسخط  
عاقبه بتلطف وسألته حكماً بضبط  
فأجابنى وهو الذى طرق الهداية ايسر خطى  
لست الإمام وإنما ( أنا قاسم والله معطى )  
والشطر الأخير كما نعلم نص حديث نبوى شريف ، وله أيضاً تحميس  
على قصيدة ابن منجك :

كل ساق عليك ساق الطلائ كل سيف لخطيك للبرية ما كل

## اعلام إفلاقة

وردت خطأ فى ( دستور الإعلام ) باسم ( أفلامه )

- محمد الأفلاقى -

ذكره ابن عزم فى ( دستور الإعلام ) وهو محمد ابن عبد المنعم أبو عبد الله  
ابن أبى محمد بن أبى الفوارس الأفلاقى ( = الأفلاقى ) اللخمي  
الإسكندراني نسبة إلى ( أفلامه = أفلاقة ) بلدة ببجيرة الإسكندرية ، ولد  
بدمنهور فى حدود سنة ٦٠٠ هـ ، سمع أبا القاسم بن الصفراوى ، ذكره  
الداودى فى ( الملقى ) ، ولم يذكر وفاته .

وله - كما نعلم - مقام معروف عند أهل دمنهور ويسمونه سيدى محمد  
الأفلاقى .

## اعلام خربتنا وشرنوب

### - المحب الشرنوبى -

ذكره السخاوى فى الجزء الثامن من « الضوء اللامع » وهو : وهو محمد ابن على بن على بن أحمد المحب الشرنوبى القاهرة الشافعى سبط الزاهد وأحد النواب فى القضاء . وكان ثقیل السمع ، وتوفى فى ذى القعدة سنة ٨٩٠ هـ .

### - على الشرنوبى -

ذكره ابن عزم فى « دستور الإعلام »  
وهو : على الشرنوبى ، من أجل تلاميذ الشيخ شعبان الشاذلى . كان يغلب عليه الاستغراق ، ويلبس أفخر الثياب ، يظنه من يراه أنه أحد القضاة ، توفى سنة ٩٣٣ هـ ودفن بقراءة « مرقب الشيخ محمد المغربى » .

### - أحمد الشرنوبى -

ذكره كحالة فى « معجم المؤلفين » ج ١ وسركيس فى « معجم المطبوعات ، والبغدادى فى « إيضاح المكنون » وبروكلمان وصاحب فهرس المؤلفين وهو : أحمد ابن عثمان بن أحمد بن على الشرنوبى ، الصوفى الشاعر ولد سنة ٩٣١ وتوفى سنة ٩٩٤ وله « تائيه السلوك » .

### - داود الشرنوبى الخربتاوى -

ذكره الجبرقى ورمضان حلاوة فى « دستور الإعلام »  
وهو : الشيخ داود بن سليمان بن أحمد بن محمد بن عمر بن عامر بن خضر الشرنوبى البرهاني المالكي الخربتاوى . ولد سنة ١٠٨٠ هـ وقال رمضان حلاوة إنه ولد سنة ١٠٩٠ هـ وتوفى فى جمادى الثانية سنة ١١٧٠ هـ وحضر على كبار أهل العصر مثل : الشيخ محمد الزرقانى ، والشيخ الخراشى . وكان مسندا ، وله عناية فائقة بعلوم الحديث .

## - عبد المجيد الشرنوبى -

ذكره الفقى فى كتابه عن الأزهر .

ولد سنة ١٨٣٠ م فى شرنوب وتوفى والده وهو فى الثانية من عمره وأتم حفظ القرآن ولم يتجاوز العاشرة ، وتعلم على الشيخ عبد الفتاح وهيبه من علماء شرنوب وقصد إلى القاهرة وعمره ١٥ سنة ، وتلقى على الشيخ حسن العدوى وجعله قارئ دروسه لحسن خطه وقوة حفظه ، وحج معه على نفقة الحكومة بإذن من الخديوى توفيق ، وقد حماه الشيخ هدية لوالدته إذ علم لأول مرة أنه يتيم وكان يقرأ له أيضا فى دروسه بمكة ، وعرض عليه مفتى مكة أن يزوجه من ابنته الوحيدة فأبى الشرنوبى لأنه جعل العدوى بمثابة والده . فلم يخرج عن طاعته .

وأراد العدوى بناء مسجده المشهور بشارع الشنوانى بالدراسة ، فخشى الشرنوبى على أستاذه من جشع المقاولين فكتب إليه يحذره .

أتيت بالنصح والتحذير من فمة  
عساك تسمع نصحى غير متهم  
ولانى عالم بالدار والجار  
فتملا السمع من وعظى وإنذارى  
وبنى له أستاذه خلوة إلى جوار خلوته

وقد استأنف من الامتحان لشهادة العالمية حتى لا يمنح من هم أقل منه علما وفضلا .

وكان ولده الأكبر محمد عبد المجيد الشرنوبى قد أغراه باعتزال الحياة فى خلوة المسجد فأعرض عنه ١٢ عاما ، ثم اشترى لوالده منزلا بشارع الشنوانى وآخر بشارع الدوادارى ولإيهما انتقلت بقية أسرة الشرنوبى ، بعد أن ظل الشيخ ملازما لخلوته بمسجد العدوى حتى سنة ١٩٠٧ م .

عرف بالذكاء والجد والمثابرة وذاع صيته فى الآداب والشعر وقد طلب منه صاحب « المؤيد » أن يشاركه فى تحريره ومالكه فرفض لصلته بالخديوى ، وزهد



في النفع المادى الكبير الذى يدره المؤبد ، وتوفى في مارس سنة ١٩٣٠ بعد أن زاد على المائة .

وأولاده ثلاثة : أصغرهم أحمد الراءظ بالأوقاف ، ثم محمود وكان كبير كتاب المحكمة الشرعية العليا وأكبرهم محمد الاستاذ بكلية الشريعة ، وعرف بوزارة العلم والحرص على الدين .

وسماه الأفغانى ( السنجق )<sup>١</sup> العلم ، إذ فاق أقرانه وتلقن العلم على أيدي إبراهيم السقا ومحمد عlish وعبد اهدى نجا الإييارى ومحمد الأنباى ، وعبد الرحمن الشربىنى ، وأحمد ضياء الدين ، وزين المرصفى ، وأحمد شرف الدين المرصفى ، وحسن المرصفى ، ومحمد البسيونى ، وموسى المرصفى .

وكان يتلقى مع محمد عبده وعبد الكريم سلمان على الأفغانى فأمره العدوى باعتزاله ، ومع ذلك صار يحن الى هذه المجالس الخافلة بالعلم وأسراره ، فكتب الى محمد عبده وعبد الكريم سلمان عند نفى الإمام :

يا عصبه كانوا على أوج البها ما حالكم  
كنتم بدر را فى الورى فاسود نور جمالكم

واشتهرت مؤلفاته فى مصر وغيرها ، وطلب منه بعض علماء المغرب شرح ديوان ابن القارض . وكتبوا العنوان هكذا ( حضرة صاحب الفضل والفضيلة شيخ الإسلام والمسلمين بالأزهر ) وفتح الشيخ أبو الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر الخطاب فوجده موجهاً الى الشيخ عبده المجيد الشرنوبى ، فاستدعاه وقام وأجلسه مكانه وقال له : اجلس حيث أجلسك مشايخنا علماء المغرب .

ومن مؤلفاته : « شرح مختصر البخارى » و « شرح الأربعين النووية » ومختصر الشرائع المحمدية للترمذى ، و « منهاج السعادات على دلائل الخيرات » ، و « ديوان خطب مربع السجعات » ، و « ديوان خطب مثلث السجعات » ، و « تحفة العصر الجديد » و « نخبة الأدب المفيد » ، و « إرشاد السالك على ألفية ابن مالك فى النحو والصرف » ، و « المحاسن

الهيئة على متن العشماوية، ردالكواكب الدرية على متن العزية، و«تقريب المعاني على رسالة أبي زيد القيرواني، ومختصر الصحيح، والحسن من الجامع الصغير، ودلالة السالك على أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك» و«مناهج التسميل على متن سيدى خليل، و«مناهج التيسير على مجموع العلامة الأمير، و«شرح حكم ابن عطاء الله السكندري.» و«شرح ثائية السلوك».

ويقول فيه الشيخ محمد البسيوني البيهاني وهو أستاذ أمير الشعراء شوقى فى [فضله الفاضل وذلك لغزارة علمه وجودة ذكائه وفهمه كما يشاهد من أدبه، وكما يطالع فى كتبه، فلو رآه (ابن عيينه) لقبله بن عيينه، ولو شامه (قدامة) لتبرك بأثر قدميه] وذلك فى شرحه لثائية السلوك التى قرظها أيضا الشيخ عبد الهادى نجا الإيبارى،

واشترك مع محمد عبده فى تحرير الوقائع، وعمل فى مكتبة الأزهر، واشتهر بطارحات الشعر، وقد فتن بأسلوبه المسجوع وتضمينه، كل من الإيبارى والبسيونى، ومن شعره :

قد تعدى بنوى الزمان وصاروا فى زوايا طغيانهم يعمهونا  
واستحلوا ما يفضب الله جهراً وعلى ما يرضى الورى عاكفونا

وقال :

ألا إننى جربت أهل مودتى فآلفت أن البعد أولى وأسلم  
وأيقنت أن الصحب ألف بواحد فلم أبق غير اللب والله أعلم

وقال :

إذا بليت بأقوام ذوى حسد سود القلوب لهم ذم الورى قوت  
فإن نأبت فدع أحشاءهم بلظى وإن أتيتهمو فى الحى قل : موتوا

وقال :

تجمعت زمرة الأعادى وجسدوا السن النكايه  
وحسدى بادروا بهجوى بغير جرم ولا بدايه  
أغواهم فضلنا فهاموا بكل واد من السعايه  
وليس حصنى سوى مقالى : مولاي حسبي وذا كفايه

ذهب أحد أولاده للتدريس فى (جاره) وكتب إليه ينصحه وفيما قال له :  
وما مصر إلا جنة قد تزيت وأنهارها تجرى وسكانها تدرى  
وأما سواها فهو لاشك دونها سوى طيبة والبيت والقدس والحجر  
ولست إلى (هند) أميل صباية وإن ملئت بالتبر أو غيره حجرى  
وقال فى «تحفة العصر الجديد» :

[لاتقولان كذباً يوافق هواك ، ويفض بأكاك ، وإن خلت هوا ، وقلته  
لغوا ، فرب لهو يوحش منك حرا ، ولغو يحلب لك شرا ، ما عز ذو كذب  
ولو أخذ القمر بيديه ، ولاذل ذو صدق ولو اتفق العالم عليه .]  
ومن شعره أيضاً :

غنى يانديم جهراً فإنى للبعالى قد سرت سيرا حثيثاً  
لاتعد لى مذمة من حسود إن فضلى يرى قديماً حديثاً  
ولذا كنت موقناً أن عزى قاصم ظهر من تراه خبيثاً  
كيف أرتاع من مذمة قوم لا يكادون يفقهون حديثاً

وقال :

إذا ذل الكريم فسكن حلما فإن الحلم حينئذ مزيه  
وإن جاء اللثيم إليك عمدا بما كسبت يده من الأسيه  
ولم يخضع لعفوك باعتراف فعجـل بالمسكافاة القويه  
فإن المرء يسكفيه ملام وإن العبد تصاحبه الاذيه  
فعامل كل إنسان بحكم وفى هذا ترى فصل القضية

وقال :

أقول للحاسد الباغي على إذا أتى الحمى وغدا عندى من الأسرى  
عزى شديد وجاهى واسع وإننا مكارم بين أعيان الورى تترى  
وجل قدرى أن أجنى عليك بما جنت يدك فلا تشغل لنا الفكرى  
بل أنت حل وهذا الفضل عادتنا لقد مننا عليك المرة الأخرى  
وقال :

لو يعلم الباغي بسوء مقالة أن الجحيم نعيمه فى المنتهى  
لأبأن بين الناس نير صدقه وعن المعاصى والأكاذيب انتهى  
وقال :

رأيت الناس بالدنار هاموا وباعوا الدين بالدنيا وساموا  
فأورثهم نفاقا فى قلوب إلى يوم به اشتد الزحام  
ترى عند اللقاء جميل بشر وبعد البعد تأتيك السهام  
وحسبى من خطوط الدهر طه لكل المرسلين هو الختام  
ولا شك أن هذه الأشعار إنما تنم عما كان يعانيه هذا الشيخ الممتاز من  
الحاقدين عليه ، وهذا شأن كل عظيم وشاعر الحى لا يحظى بإطراب ، .



## اعلام برنبال

كانت (بارنبال) من قبل - وهى قرب رشيد - من بلاد المزاحمتين ، وصارت  
الآن تابعة لمحافظة كفر الشيخ ، وتعرف بـ ( برنبال ) :  
- عبد الوهاب البارنبأوى -

ذكره السخاوى فى الجزء الخامس من «الضوء اللامع» ،  
وهو : عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن عبد المنعم الشرف ابن التاج  
البارنبأوى ثم القاهرى ، كان أبوه كاتب السر بطرابلس وناب هو فى توقيع الدرج

— ٥٨٣ —

بالقاهرة ، عند العلاء بن فضل الله حتى مات في ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ عن نحو ثمانين عاما .

وكان هو وأبوه معه في الإنشاء ، وقال عنه المقرئ [ ولي عنه فوائد ] كما ذكره ابن حجر في « الأنباء » .

- الجمال البارنبارى وأخوه على -

ذكره السخاوى في « الضوء اللامع » ، ١١

وهو الجمال محمد وأخوه على وأبوهما عمر بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد والأول منها ابنة الولوى أحمد وابنته موفق الدين محمد . فهم من القرن التاسع ولكنه لم يذكر شيئا أكثر من ذلك .

- ناصر الدين البارنبارى -

ذكره السخاوى في « الضوء اللامع » ، ٢

وهو ناصر الدين البارنبارى ، العالم فى النحو ، قرأ عليه ابن عنان المعروف بابن الفرز المتوفى سنة ٨٤٣ هـ ،

وكلاهما من أهل القرن التاسع الهجرى .

- على بن الفخر البارنبارى -

ذكره السخاوى أيضا فى الجزء الرابع :

وهو على بن عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن الفخر البارنبارى ، ولد ببلاط سنة ٧٧٨ هـ وقرأ العربية وسمع الحديث ، ودخل دمياط ، وصحب الكمال المجذوب ومات بمنزله ، وحدث وتكسب بالشهادة ، ومات فى ٦ رجب سنة

٨٦٧ هـ .



## اعلام مريوط

- عبد البصير المريوطى -

ذكره العراقي فى « ذيل ذيل كتاب العبر » ،

قال : إنه صاحب ابن عماد ، وأخذ عن المريوطى : محمد عبد الكريم ابن أبى عبد الله بن كامل بن المخيل الداى المتوفى سنة ٧٦٢ هـ بالإسكندرية ، والذى أجاز العراقى إذ كتب له منها .

- عبد الله المريوطى -

ذكره ابن عزم فى « دستور الإعلام » ،

وهو أبو محمد عبد الله النصير بن على بن يحيى المريوطى الهمداني ، أحد شيوخ الإقراء بالإسكندرية توفى بعد سنة ٦٨١ هـ



## اعلام الكريون

- أبو الحسن (أبورزين) الكريونى -

ذكره المنذرى فى التكملة بالجزء ٤٢

وهو : أبو الحسن ويقال أبورزين بن ثابت بن حسن بن خليفة - الخمي النحوى الكريونى ، ولد فى ١٦ شعبان سنة ٥٥٣ هـ وسمع بالإسكندرية - من السلفى ، وحدث له ، وتوفى بها فى أوائل جمادى الأولى سنة ٦٢٥ هـ وكان أديبا شاعرا .

— ٥٨٥ —

قال المنذرى : [ دخلت الإسكندرية وهو بها ولم أسمع منه شيئاً ولنا منه  
إجازة ] .



## أعلام مطوبس

كانت تسمى (نطوبس الرمان) فصارت (نطوبس) ثم (مطوبس) وهى فى  
مواجهة (إدفينا) على ضفتى فرع رشيد ،

- ابن المكين عبد الوهاب المطوبسى -

ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ، ٣٠

وهو عبد الوهاب بن على بن حسن التاج بن الخطيب نور الدين النطوبسى  
(المطوبسى) ثم القاهرى ، المالكى المذهب المقرئ فزيل الظاهرية القديمة ويعرف  
فى مطوبس باسم ابن المكين وفى القاهرة بالتاج السكندرى لأنه مكث بها مدة .

ولد حوالى سنة ٨١٥ هـ فى ( نطوبس الرمان = مطوبس ) بالمزاحيتين  
ونشأ بها ، وحفظ القرآن عن خطيبها وشيخها الشمس بن حرارة المقرئ تلميذ  
ابن يفتح الله ، ورحل مع والده إلى الإسكندرية ، فأقام عند خطيب جامعها  
الغربى النور بن يفتح الله المذكور ، وحفظ الشاطبيتين وألفية النحو ، وعرض  
محفوظاته على الجلال الدماينى وغيره ، ثم رحل مع أبيه إلى القاهرة ، وقد قارب  
العشرين ، فنزل بجارة الديلم فى قاعة الخطابة من الزمامية ، وأخذ القراءات  
السبع عن الزين طاهر ، والشمس بن العطار ، وتفقه على يد الزين عبادة ، والزين  
طاهر ، وأبى القاسم النويرى والبدر بن التنسى والآمدى ، والشمى ، والسراج  
عمر النجار ، وكثير من الأتراك مثل : قائم الأشقر ، وبرد بك ناظر القرافتين

وأخو طوخ الزردكاش ، وجانم الخازندارى جان بك ، والظاهر خشتقدم ، حين كان أمير سلاح . وعرض عليه أن يكون إمامه فرفض . فلما استقر ملكا على مصر ألزمه بذلك ، فاشترط عليه عدم الطوق وركوب الخيل ، فقبل . وكان مشهورا بالإفتاء والتدريس ، وظل أعزب أربعين سنة ثم تزوج بعدها ، وتوفي في ١٢ ذى القعدة سنة ٨٦٨ هـ عن ثلاثة وخمسين عاما . ودفن بحوش سعيد السعداء .



## أعلام الرحمانية

كانت تسمى « محلة عبد الرحمن » وينسب إليها فيقال الرحمانى .

- الشمس الرحمانى -

ذكره السخاوى فى « الضوء اللامع » ، ٨٠٠ وعلى مبارك فى ( الخطوط التوفيقية ) ١٥٠ .

وهو محمد بن على بن أحمد بن إسماعيل الشمس الرحمانى ثم القاهرى، الشافعى قدم القاهرة ، واشتغل بالفقه والعربية والفرائض ( = المواريث ) ، وسمع على الروائى والقائاتى والعلم البلقنى وأذن له ابن حجر فى الإفتاء والتدريس ، وتكسب بالشهادة فى حانوت الحنابلة عند القصر ، وناب فى القضاء بدمنهوور وديروط وغيرها .

وكان فقيها مشاركا فى العربية ، وجمع بين شرحى المنهاج لابن الملقن والإسنائى مع التكملة للزركشى ، وتوفى سنة ٨٠٢ هـ أو سنة ٨٠٣ هـ وقد قارب الخمسين من عمره .



- نفيس الرحمانى -

ذكره المحبى فى « خلاصة الاثر » ، ح ٢ والبغدادى فى « هدية العارفين » ،  
و « إيضاح المكنون » ، وكحالة فى « معجم المؤلفين » ، وعلى مبارك فى « الخطوط  
التوفيقية » ، ح ١٥ .

وهو داود بن سليمان بن علوان بن نور الدين بن عبد الله بن محمد بن ولى الدين  
ابن عبد الوهاب بن على بن الولى العارف السيد نفيس الرحمانى الشافعى ، وكان  
مقرئاً مفتياً حكيماً .

وقام بالتدريس بالأزهر ، وكان ورعاً متديناً . أخذ عن الشمس محمد  
الشوبرى ، وعامر الشبراوى ، وسلطان المزاحى ، وعلى الشبرايملى ، ومحمد البابلى ،  
وكان بارعاً فى سائر الفنون ، وأجازه شيوخه وله عدة مؤلفات .

- ١ - تحفة أولى الألباب
- ٢ - تحفة السمع والبصر بصادق الخبر
- ٣ - التحفة الهندسية لمن يشتغل بشرح السنوسية .
- ٤ - الجواهر السنية فى أصول الطريقة الصوفية
- ٥ - حاشية على شرح الجلال المحلى
- ٦ - حاشية على شرح التحرير
- ٧ - حاشية على شرح أبى شجاع لابن قاسم الغزى
- ٨ - حاشية على شرح الشذور
- ٩ - حاشية على شرح القطر لابن هشام
- ١٠ - مناسك .

وتوفى بمصر القاهرة سنة ١٠٧٨ هـ ودفن بتربة المجاورين ، وهو كما يبدو

من أحفاد ولي الدين السيد نفيس الرحمانى المدفون بالرحمانية، وله جامعه المشهور هناك. وقد قمت بالخطبة والتدريس والصلاة به فى بعض زياراتى لآل محمود بالرحمانية. وهو السيد نفيس بن محمد بن حيدر بن على بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن محمد الأشتر بن عبد الله الثالث بن على أبى الحسن الأكبر بن عبد الله الأصغر الثانى بن على الصالح بن عبد الله الأعرج بن الحسين بن زين العابدين بن الحسين .

أورد على مبارك هذه الشجرة ، ومع ذلك لم تقف على أثر لترجمة حياته فى الطبقات الكبرى ، للشعرانى المتوفى سنة ٩٥٢ هـ ،

- عبد الرحمن محمود -

من أسرة محمود بالرحمانية ، اشترك فى الثورة العربية وقاد أربعين فارسا إلى معركة التضاخين فانتصر ، ثم استشهد فى سبيل الله .

ولكننا مع ذلك لاندري شيئا عن حياته أو وفاته أو مصيره بعد الإحتلال الإنجليزى لمصر ، غير أن الخديوى كما نعلم قد فرض الغرامات الباهظة على أسرة محمود الذين تحملوا مظالم الحكومة مرتين : إحداهما عند الإحتلال الإنجليزى سنة ١٨٨٢ والآخرى عند قيام ثورة سنة ١٩١٩ .



## أعلام محلة نصر

- الإمام محمد عبده -

ذكره جورجى زيدان فى « بناء النهضة العربية » ، ومحمد حسن محمود وأمين عمر الباجورى فى « المنتخبات العربية » ، ومحمد رفعت فى « تاريخ مصر السياسى » ، ومحمد عبد الرحيم مصطفى فى « تاريخ مصر الحديث » ، ومصطفى عبد الرازق فى « محمد عبده » ، وأحمد أمين فى « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » ، وأحمد الإسكندري ومصطفى عنانى فى « الوسيط » ، وعثمان أمين فى « محمد عبده » ، ورائد

الفكر المصرى ، والدكتور عبد اللطيف حمزة فى «أدب المقالة الصحفية فى مصر» ، وسليمان رصد فى «كبر الجواهر» ، والفقى فى كتابه عن الأزهر ومحمد صبيح فى «محمد عبده» ، و«تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده» ، لمحمد رشيد رضا و«محمد عبده» ، لأحمد الشايب .

وهو الشيخ محمد عبده، المصالح الكاتب الخطيب والإمام المجتهد والناقد المفكر ولد بمحلة نصر فى سنة ١٢٥٨هـ ١٨٤٩م وقيل سنة ١٢٦٥<sup>(١)</sup> وأجره عبده خير الدين فلاح فقير وأمه (جنينه) من أسرة عثمان بالغربية يرجع أصلها إلى بنى عدى . دخل كتاب القرية فحفظ القرآن وهو فى سن العاشرة ، ثم التحق بالجامع الأحمدى بطنطا ، وتزوج وهو فى السادسة عشرة من عمره ودرس بالأزهر ، ولم يطق الجود الذى كان يسوده فى عصره ، حتى لقد عاد إلى بلده ، معتزما أن يشغل بالزراعة ، فأرغمه أبوه على العودة وكاف رجلا قويا بمصاحبه إلى (إيتاى البارود) وكان يركب حصانا ، فأخذ منه الحصان وأسرع به إلى (كنيسة أورين) وبها أخوال أبيه ومنهم الشيخ درويش خضر المتصوف الشاذلى الذى كان متأثرا بتعاليم السنوسية ، ومالبت الشيخ درويش أن أزال العقدة النفسية التى تمكنت منه ، فضى إلى الأزهر ، وفتح الله عليه ، ونبع حتى حصل على العالمية الأزهر سنة ١٢٩٤ فى عهد المهدي العباسى الذى قال إنه لم يمتحن أمامه طالب مثله ، ولما قدم جمال الدين الأفغانى مصر كان ملازما له ، حريصا على الاعتراف من فيض ثورته العلمية والفكرية ، وشجعه على كتابة المقالات فى الأدب والسياسة والاجتماع ، وشجعه على الخطابة أيضا ، واشتغل الشيخ بالتدريس بالأزهر وبمدرسة (دار العلوم) للتاريخ الإسلامى والأدب ومدرسة الآلسن ، ثم عزل من عمله ، وحددت إقامته بمحلة نصر ، وصدر أمر الخديوى بإخراج الأفغانى من مصر سنة ١٨٧٩ فقال : [ لقد تركت لكم الشيخ محمد عبده ، وكفى به لمصر عالما ] .

وتولى رياض باشا أمر الوزارة سنة ١٨٨٠ فعين الشيخ محمد عبده محورا فى الجريدة الرسمية «الوقائع المصرية» وذلك بناء على مشورة محمود سامى البارودى والشيخ حسين المرصفى ، ثم صار رئيس التحرير واشترك معه الشيخ عبد الكريم

(١) وقيل ولد سنة ١٢٦٦هـ فى (سنيرة) غربية التى هاجر إليها أبوه من ظلم الحكام ثم عاد به بعد ٤ سنوات إلى بلده (محلة نصر) .

سلمان ، وسعد زغلول ، وإبراهيم الهلباوى ، ومحمد خليل ، والسيد وفا ، ثم عين رقيباً عاماً على شؤون الصحافة المصرية .

واقترح محمد عبده على رياض باشا إنشاء مجلس أعلى للمعارف فعمل باقتراحه سنة ١٨٨١ وعين عضواً في هذا المجلس ، ولما قامت الحركة العرابية ، لم يؤيدها في بادئ الأمر لاعتقاده أن إصلاح التعليم أحق وأولى من المطالبة بالحقوق النيابية ، ومع ذلك كان مع العرابيين ضد الخديوى الخائن ، كما أنه هو واضع صيغة القسم الذى كان يؤديه ضباط الثورة العرابية على السيف والمصحف فى ( قصر النيل ) واشترك مع محمود سامى البارودى فى كتابة بيان « الحرب الوطنى العسكرى » ، وهو « حزب العرابيين » ، ولهذا قال لورد كرومر عن محمد عبده : [ لانه الروح المدبرة للحركة ] .

وأشار الخديوى بنفى محمد عبده ، لأنه أفق بقتله بعد أن أثبت خيائته ، ونفى معه : إبراهيم اللقانى ، وأمين أبو يوسف ، ومحمد الزمر .

واستمر محمد عبده فى منفاه فى بيروت ثلاث سنوات من سنة ١٨٨٣ ، فاشتغل بالتدريس ، وانتقل من بيروت إلى أوروبا فالتقى بالأنفسانى بيساريس حيث تعلم اللغة الفرنسية ، وأنشأ « جمعية العروة الوثقى » وأصدر معه جريدة « العروة الوثقى » ، وكان مقرها حجرة على سطح منزل بشارع ( سين ) قرب ميدان المادلين ، حيث يلتقى كبار المفكرين فى الإصلاح الاجتماعى فى الأقطار الإسلامية ، وزار لندن ، ونزل بها ضيفاً على صديقه الرحالة الإنجليزى ( ألفرد بلنت ) صاحب كتاب « التاريخ السرى للاحتلال الإنجليزى لمصر » معتمداً فيه على مذكرات الشيخ محمد عبده .

وحضر الشيخ محمد عبده جلسة مجلس النواب الإنجليزى فى ٢٢ يولييه سنة ١٨٨٤ . واتصل ببعض النواب ، وشرح المسألة المصرية مطالباً بجلاء قوات الاحتلال ، ونشرت له الصحف الإنجليزىة ولاسيا ( التايمز Times ) و ( التروت The Truth ) مادار بلنه وبين وزير الحربىة البريطانى ، ومع ذلك عاد من لندن يائساً من النجاح فى إنهاء الاحتلال ، ولكنه كسب زيارة الفيلسوف الإنجليزى ( هربرت سبنسر H. Spencer ) بإنجلترا .

وعاد منها إلى باريس وتونس ثم استأنف كفاحه في بيروت فالتقى بالأمير شكيب أرسلان ، وفي بيروت قام بتدريس المنطق بالمسجد الكبير ومسجد الباشورة ، وأدرك بفطرته وسائل الإصلاح في سوريا عن طريق التعليم وتزوج من بنت الحاج سعد الدين حماده أختى رئيس بلدية بيروت ، وكتب تقريراً عن الإصلاح الدينى في دار الخلافة الإسلامية ، وأنشأ جمعية ماسونية تجمع بين المسلمين والمسيحيين واليهود ، وكان من أعضائها : إسحق تاييلور الذى جمع كل قساوسة لندن فأوحوا إلى الملكة فيكتوريا لتستخدم نفوذها عند السلطان عبد الحميد لوقف نشاط هذا المصرى في بيروت عند حده ، فنفى محمد عبده من بيروت ، وسعت الأميرة (الملكة) نازلى ولورد كرومر لدى الخديوى فشمل محمد عبده بالعفو ، فعاد إلى مصر بعد ثلاث سنوات من نفيه وكفاحه ، زار خلالها لندن وباريس وجنيف وتونس والأستانة وإيران .

وفي سنة ١٨٨٨ عين قاضياً بالمحاكم الأهلية الابتدائية خارج القاهرة ، فعرف أنها مؤامرة لإبعاده عن بث تعاليمه ، فقال : [ ما خلقت لأكون قاضياً بل لأكون معلماً ، وقد جربت نفسى فى التعليم فنجحت ] ، وعمل قاضياً بينها والزقازيق ثم عادين ثم مستشاراً بمحكمة الاستئناف .

وتولى عباس أمر مصر سنة ١٨٩٢ بعد توفيق ، وأراد محمد عبده أن ينفذ برأيه فى إصلاح الأزهر فوقف أنصار الجهاد فى وجهه ، وفى سنة ١٨٩٥ تشكل مجلس لإدارة الأزهر برئاسة الشيخ حسن النواوى وعضوية محمد عبده وعبد الكريم سليمان مندوبين عن الحكومة : وعين فى وظيفة الإفتاء فى ٣ يونيو سنة ١٨٩٩ ، فصار إليه المرجع الأعلى فى الفتاوى اسائر بلاد الإسلام ، فكانت آراؤه الاجتهادية منبثقة من روح الإسلام فى بساطته ويسره ، وعين فى هذه السنة أيضاً عضواً بمجلس الشورى ، وفى سنة ١٩٠٠ صار رئيساً للجمعية الخيرية الإسلامية ، وكان نشاطه ملحوظاً فى جمع التبرعات لمنسكوبى حريق ميت غمر ، وأسس جمعية لإحياء الكتب العربية ، فكان كتاب « المخصص » لابن سيده أول منشوراتها ، وكان محمد عبده يتف فى وجهه عباس وأطاعه فى أوقاف المسلمين ، عن جرأة المؤمن ، ويقتله المستنير .

وكان الشيخ محمد عبده يسكن بداره في ضاحية عين شمس، وكانت منتدى الأدباء والعلماء والمستشرقين ورجال السياسة ودعاة الإصلاح منهم: شاعر النيل حافظ إبراهيم والمستر (بلنت) الذي أهده الأرض التي أقيمت عليها داره، وقد زرتها سنة ١٩٤٢ مع أستاذنا الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة والحائز على شهادة الدكتوراه في د محمد عبده، والذي كرس حياته على البحث في فلسفة محمد عبده في الإصلاح، فوجدناها دارا متواضعة في وسط الصحراء وقد كنا من الاطلاع سرا على مذكرات عرابي التي لم تنشر إلا بعد قيام الثورة سنة ١٩٥٢.

وقال عنه أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق - رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب بالقاهرة - [كان محمد عبده أكبر نفسا وأشد احتقارا للعالم من أن يبذل جهده في جمع المال، فعاش نظيفا فقيرا ومات فقيرا عظيما].  
ومرض الشيخ المفتي بالسرطان حتى أدركه الموت يوم ١١ يولية سنة ١٩٠٥ (٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٣ هـ) وهو بمنزل صديقه محمد بك راسم برمل الإسكندرية، فاحتفلت الدولة بتشييع جنازته رسميا إلى القاهرة حيث دفن بترية المجاورين بالقرافة.

مات محمد عبده ابن د محلة نصر، الذي طبقت شهرته الآفاق، فحزنت عليه مصر والعالم الإسلامي، وفقدت به الصحافة، والأزهر، والمجتمع أكبر عالم مصلح لانزال في هذا القرن العشرين نستروح تعاليمه ونستوحى ما هج الإصلاح منه.  
كان رحمه الله ملبا بالفارسية والإنجليزية والفرنسية، وكان في دروسه بالأزهر متحررا تقديما، حضر عليه المجاورون في المنطق والاجتماع دروسه في المراجع الأساسية والكتب المترجمة عن الفرنسية. أما في بيته فكان يحضر عليه خلاصاؤه من المصريين والشوام والمستشرقين والإنجليز منهم: الشنتيطي، وسعد زغلول، وأحمد تيمور، وحفي ناصف، ومحمد صالح، ومصطفى لطفى المنفلوطي، وعبد الرحمن البرقوقي، وعبد الوهاب النجار، ومصطفى عبد الرازق، ومحمد رشيد رضا صاحب المنار ومن أهل الشام: إسماعيل الحافظ، وأحمد المحمصاني، والشيخ الترماني، والمستر إدوار براون، والمستر ألفرد بلنت، وغيرهم حتى المسيحيين

كانوا يحضرون دروسه في تفسير القرآن ، وكان يدرس معهم الكتب الفرنسية في تاريخ الحضارة ولأسيا للسيو ( جيزو ) . المؤرخ الفرنسي ، ولألى جانب ذلك يدرس فلسفة ( مسكوية ) في الأخلاق ، كما أنه عندما كاف بتدريس التاريخ الإسلامي بدار العلوم ، بدأ بتدريس مقدمة ابن خلدون .

وكانت مقالات محمد عبده في « الأهرام » و « ثمرات الفنون » و « الوقائع المصرية » ذات أصداء بعيدة في عصر انتقال من طور الجمود إلى طور التحرر والتقدم ، ومن مؤلفاته :

١ - « رسالة التوحيد » في علم الكلام . وقد ترجمها أستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى اللغة الفرنسية أثناء دراسته بجامعة السوربون بباريس وترجمت في الهند وتقرر تدريسها بجامعة دليكيره وغيرها ، وطبعت بمصر مرات .

٢ - شرح نهج البلاغة .

٣ - « الإسلام والرد على منتقديه » : للرد على ( هانوتو ) سنة ١٩٠٩ ، كان ينشرها بالمؤيد .

٤ - « تفسير جزئى عم وتبارك » في مجموعة « كتاب الشعب »

٥ - « شرح البصائر النصيرية للساوى » في المنطق وهو الذى كان يدرسه بدارس بيروت .

٦ - شرح مقامات بدیع الزمان ، وهو أول من شرحها وطبع ببيروت سنة ١٨٨٩ .

٧ - علم الاجتماع والعمران أو فلسفة الاجتماع والتاريخ وضعه أثناء تدريسه . مقدمة ابن خلدون بدار العلوم ، وفقده عندما عزله الخديوى ، وكان يتمنى لو يقع هذا الكتاب فى يد أى شخص حتى بعد موته فينسب به إلى نفسه لينتفع به الناس .

٨ - « الإسلام والنصرانية » وكان فى مقالات متتابعة نشرها بالأهرام سنة ١٩٠١ ردا على فرح أنطون فى مجلة « الجامعة » وطبعت بالقاهرة سنة ١٩٠٢ و ١٩٢٢ .

٩ - « نظام التربية والتعليم فى مصر » : نشره رشيد رضا فى باب لوائح التربية

والتعليم من منشأته بالجزء الأول :

- ١٠ - تاريخ إسماعيل باشا : قال ذلك رشيد رضا ولكنه لم يره ، وقيل إن عبد الله النديم نشر منه فصولا في ( الطائف ) بتصرف .
- ١١ - الرد على الدهريين : ترجمة عن الفارسية للأفغانى طبعت ببيروت سنة ١٣١٣ هـ ثم بمصر في ( دار الهلال ) .
- ١٢ - رسالة الواردات : في الكلام على منهج الصوفية ، نشرها صاحب المنار .
- ١٣ - رسالة في وحدة الوجود : ذكر فيها مراتب الوجود وتعددتها ونظامها العام ووحدتها .
- ١٤ - حاشية عقائد الجلال الدواني : في علم الكلام ، وطبعت سنة ١٨٧٦ هـ ثم سنة ١٩٠٤

١٥ - تاريخ الثورة العرابية : جمعت من مقالاته في الصحف .

١٦ - مذكرات الإمام محمد عبده : كتاب الهلال ،

وكان من الدعاة لإنشاء ( الجامعة المصرية ) إلى جانب ( الأزهر ) وقد أقنع أحمد باشا المنشاوى حتى أوقف قطعة أرض بالقاهرة لإقامة مبنى الجامعة .



## أعلام جنبواى

ينسب إلى « جنبواى » التى وردت أيضا « جنبويه » ، فيقال : الجنبويهى ،

- عبد الكريم سلمان -

ذكره أحمد شوقى بك أمير الشعراء في مقدمة الجزء الأول من «الشوقيات»



وأحمد الإسكندري ومصطفى عناني في «الوسيط»، ومحمد حسن محمود وأمين عمر الباجوري في «المنتخبات العربية» والدكتور عثمان أمين في «محمد عبده» وكامل الفقي في تاريخ الأزهر وفي كل الدراسات الخاصة بتاريخ الشيخ محمد عبده .

وهو الكاتب المصلح عبد الكريم بن حسين بن سلمان ولد في (جنوبى) في أول شعبان سنة ١٢٦٥ وكان والده من أصل ألبانى .

فقد وفد سلمان أفندى أبا جده من ألبانيا في عهد محمد على موظفا بالجيش واتصل ابنه حسين أفندى بأسرته من جنسه بقرية (جنوبى) وصاهرها ، ولبت بها زاهدا في الوظيفة ، مكتفيا بأطيان اشتراها هناك ، ورزق بعده أولاد كان عبد الكريم ثانيهم . وقد أصيب بالجدري طفلا ، وفي ذات يوم تشاجر مع أخيه وهما فوق سطح الدار فسقط منها ، وتدفق الدم من جبينه وحاجبه ، فانكشفت غشاوة كانت على إحدى عينيه فأبصر في الحال .

وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في مكتب القرية ، ثم أتم تعليمه بالأزهر سنة ١٣١٥ ، واجتمع بالشيخ محمد عبده ، وصار أعز أصدقائه وأخلص أعوانه وتلقيا معا تعاليم الثورة الفكرية على يد جمال الدين الأفغانى . وكان أديبا ، كسب في الصحف والمجلات ، وعين محررا في (الوقائع المصرية) مع سعد زغلول ومحمد عبده ، ثم عضوا بالمحكمة الشرعية .

وله فيها إصلاحات معروفة ، وصار في سنة ١٣١٢ عضوا في مجلس الأزهر الأعلى مع محمد عبده وسليمان العبد وأبى الفضل الجيزاوى وأحمد الحنبلى البسيونى ، بناء على أمر عباس حلمى الثانى وكان المجلس برئاسة الشيخ النواوى ، وكان خير مساعد للشيخ الإمام فى برنامج إصلاح الأزهر .

وكان كريم الخلق لطيف المحاضرة ، حلو النادرة ، عطوفا على الفقهاء وذوى الحاجات ، وخرج على القديم المؤلف فى كتاباته ، وقد أنعم عليه الخديوى بالنيشان العثمانى من الدرجة الرابعة .

ويحكى عنه شوقى أنه أقدم إليه قصيدته التي مطلعها :

خدعـوها بقولهم حسناء والغواني يغـرهن النساء

وكانت فى مدح الخديوى بعد مقدمة غزلية رائعة ، وكان يقصد شوقى أن تنشر فى ( الوقائع المصرية ) التي يحررها [ أستاذى ] الشيخ تبه الكريم سلمان ، [ فدفعت القصيدة إليه ، وطلب أن يسقط الغزل وينشر المدح فود الشيخ لو أسقط المدح ، ونشر الغزل ، ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر ]

هكذا قال أحمد شوقى فى مقدمة الجزء الأول من ( الشوقيات )

وفى ذات يوم كتب مقالا فى نقد حكومة رياض باشا ، فاستدعاه ليخبره بين الكف عن الكتابة أو التزام قريته ، فذهب إلى جنبواى - ولما صار محمد عبده رئيساً للوقائع الرسمية وقع عليه اختياره مع سعد زغلول وسيد وفا . ثم تولى رئاسة تحريرها من سنة ١٨٨٢ هـ إلى سنة ١٨٩٧ هـ أى فى مدة تقى محمد عبده إلى الشام ، وفى سنة ١٨٩٨ عين عضوا بالمحكمة الشرعية العليا مع أنه شافعى ولكنه تمكن من دراسة الفقه الحنفى فى مدة وجيزة .

وفى سنة ١٩٢٠ أصبح مفتشاً عاماً على المحاكم الشرعية ، وعمل على إصلاح نقصها بعد تجاربه - فاستقال سنة ١٩٢٤ .

ولازم الشيخ محمد عبده أكثر من عشر سنوات ، وكان يضرب المثل بها فى التلازم ، وكان مثله من خيار المصلحين للأداة الحكومية والمجتمع . له كتاب ( أعمال مجلس إدارة الأزهر ) نشره رشيد رضا بدون وضع اسم المؤلف عليه خوفاً من بطش الخديوى به ، إذ ضمنه حقائق تمس سمعة الخديوى .

وقال عنه محمد عبده عندما قدما استقالتيهما معا : [ وأكنفته كنى ، فأدنيته منى ، وجعلته فى مكان النحر من « ابن جنى » ] .  
وقد اشتهر الشيخ عبد الكريم سدان بالكتابة فى الصحف وهو طالب بالانزهر ، فكان نبوغه المبكر طبعه إلى الكتابة بالقوائم والمقطم والجريدة والآداب وغيرها من صحف العصر ، ولم يعرف عنه المبالغة فى شيء قط لأنه كان يبغضها ، وكان يحنو على بنته ( رابعة ) حتى بعد زواجها ، وكان مثلاً أعلى فى الإباء والاعتزاز بالكرامة ، رحباً بالفقراء والمموزين : ذهب مرة إلى سعد زغلول ومحمد عبده يتوسل إليهما فى وظيفة لصديق ، فأخبره محمد عبده أنه قد ادخر هذه الوظيفة له هو ، فأبى لأنه سبق أن وعد صاحب الحاجة أن يخدمه ، ولا بد له أن يبر بوعده له .

وتوفى رحمه الله على إثر نوبة قلبية حادة فى ١٧ مايو سنة ١٩١٨ ، وتزل جثمانه من الرحمانية إلى القاهرة حيث دفن بها ، وشهد جنازته سعد زغلول وعلماء الامة وعظماؤها وأدباؤها وكبراؤها .



## أعلام أبو الخاوى

- عبد اللطيف الصوفانى -

كان والده أحد كبار الثلاثة البارزين فى مجلس شورى القوانين وهم : أحمد بك الصوفانى وإسماعيل باشا أباطه ، وسعد باشا زغلول ، وكان موقب الأول معروفاً بالنسبة لبطرس غالى رئيس الوزراء يومئذ الذى مد أجل امتياز شركة قناة السويس خمسين سنة ، ومنح الإنجليز نصف السودان ، مما أدى إلى اغتياله بيد إبراهيم الوردانى .

وكان الصوفانى قد أخرج بطرس غالى سنة ١٩١٠ فى المجلس بهذه المناسبة عندما سأله : هل آراؤنا استشارية أو قطعية ؟ فأجاب : استشارية ، فكان هذا

الرد نقطة تحول في السياسة المصرية ، إذ عرف الجميع أن رأى الجمعية التشريعية غير ملزم للحكومة ، فحمل الصوفاني لواء المعارضة النزيهة باسم الوعي والوطنية . ورث عبد اللطيف الصوفاني عن أبيه الاشتغال بالسياسة منذ ولادته في أبو الخاوى ، وصار يمثل البحيرة في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وكان يرأسها (السلطان) حسين كامل ، وبذل من ماله على السياسة ما يفوق الحد ، فكان يمد ثوار ( ليبيا ) في كفاحهم ضد إيطاليا بالمعدات ومواد التكوين ، وقد فوض إليه الأمير عمر طوسون أمر توصيل الإمدادات إلى ليبيا عن طريق حوش عيسى . كما أنه كان ينفق من جيبه الخاص على مجلة « الأفكار » التي تتركز رياسة تحريرها للشيخ عبد الباقي سرور ، الذي كان قلبه شواظا من نار على الاحتلال .

ولما علت سلطة الاحتلال بنشاطه السرى بالنسبة للمجاهدين الليبيين أمرت باعتقاله ، وكان مدير البحيرة يومئذ أى سنة ١٩١٥ هو محمد محمود باشا الذى لم يجد مبررا قانونيا لاعتقاله ، فحدد إقامته في بوفيه محطة دمنهور ولم يقدمه للمحاكمة وظل في اعتقاله هو والمهندس الألماني ( ألبن ) المهندس في السكة الحديد بدمنهور ولم يفرج عنها إلا بعد ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ حيث أعلنت الهدنة .

وتشكلت في مصر جمعية اليد السوداء ، التي كانت مهمتها اغتيال كبار رجال الاحتلال الإنجليزي من درجة مفتش ومدير ومستشار ، وأثناء محاكمة شفيق منصور سنة ١٩٢٥ اعترف بأنه كان يتلقى التعليمات من منزل عبد اللطيف الصوفاني بالحليمة بالقاهرة .

كان عبد اللطيف الصوفاني يومئذ بالإسكندرية يلتمس العلاج ، وعلم بما جاء في مجلة « الأفكار » ، وأدرك أن الأمر قد بلغ قمة الخطر ، فأحضر صاحب فندق « العاصمة » الذى كان ينزل به ، وأبلغه بعزمه على الانتحار ، وأمره بأن يتصل عندئذ بصهره الدكتور عبد العزيز بك عمران بالإسكندرية لتوصيله رسالة كتبها له ، ثم تناول مادة سامة وتخلص بذلك من الوقوع في أيدي أعداء الوطن وعملاتهم من الخونة ونقل جثمانه من الإسكندرية إلى مسقط رأسه بأبو الخاوى حيث دفن بمقابر الأسرة .

## - عبد العزيز الصوفاني -

وهو ابن المجاهد الكبير عبد اللطيف الصوفاني ، وكان عضوا بارزا في الحزب الوطني ، ، التقيت به لأول مرة سنة ١٩٤٧ بسينا دمنهور بمناسبة الاحتفال بمرور أربعين عاما على وفاة مصطفى كامل ، ثم التقيت به بمنزله بالقاهرة ومكتبه بالوزارة سنة ١٩٤٩ وكان يومئذ وزيرا بلا وزارة في الوزارة الائتلافية برئاسة إبراهيم عبد الهادي باشا التي شكلت عقب اغتيال زعيم حزب السعديين محمود فهمي النقراشي باشا .

وقد كان عضوا بمجلس النواب ووزيرا للتموين ، وتوفي رحمه الله بعد أن أصيب بالشلل سنة ١٩٥٠ عن نحو ٥٠ عاما ، وعرف بالأدب الجم وهدهود الطبع وصدق الوطنية . ودفن بأبو الخاوي أيضا ،



## أعلام إيتاي البارود

ينسب إلى « إيتاي البارود » ، فيقال : « البارودي » .

- محمود سامي البارودي -

رب السيف والقلم ، الشاعر السياسي ، والمحارب القائد ، والوزير المخلص ، محمود سامي البارودي بن حسن حسني بك البارودي .  
ورد ذكره في « الوسيط » ، وفي « بناء النهضة العربية » لجورجي زيدان ، كما ذكره كل مؤرخي الثورة العربية .

ولد بباب الخلق بالقاهرة سنة ١٨٤٠ م (= ١٢٥٦ هـ) ، ومات عنه والده وهو في السابعة من عمره ، فكفله أقاربه ، وكان من الجراكسة المولدين بمصر وأبوه حسن بك حسني من أمراء مدفعية الجيش المصري ، أما جده فهو عبد الله بك الجركسي أحد الكشاف في أوائل عهد محمد علي .

وكانت ( إيتاي البارود ) في التزام أحد أجداده في زمن الالتزامات ، ولهذا نسب ( محمود ) إليها وعرف بها .

تخرج في المدرسة الحربية سنة ١٨٥٥ ، وكان ميالاً إلى الأدب والشعر ، وكان يتقن التركية وآدابها ، ورحل إلى (الاستانة) حيث تعلم الفارسية ، وكان في حاشية الخديوى إسماعيل إلى الاستانة سنة ١٨٦٣ . ولما عاد إلى مصر رقيه إلى رتبة البكباشى (مقدم) ، وسافر في بعثة عسكرية إلى فرنسا وإنجلترا ، وظل يرقى في الرتب والوظائف ، وكان حكمداراً على القاهرة يوماً ما .

واشترك في جيش مصر لإخاد (ثورة كريت) سنة ١٨٦٨ لحساب السلطان كما اشترك في حرب البلقان ، والحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ ، وفي سنة ١٨٧٩ عين مديراً للشرقية ، وفي عهد الخديوى توفيق تولى وزارة الحربية ووزارة الأوقاف ، فأمر بجمع الكتب المبعثرة في المساجد ، فكانت نواة لدار الكتب المصرية التي أنشأها على باشا مبارك ، وفي ٥ فبراير سنة ١٨٨٢ عينه الخديوى توفيق رئيساً للوزارة وكان فيها أحمد عرابى وزيراً للحربية ، وعمت الأفراح جميع البلاد ولاسيما في البحيرة .

وتولى أهم مكانة في الحزب الوطنى العسكرى الذى أنشأه عرابى في ثورته الوطنية ضد الخديوى وأسناده من المستعمرين ، فقد كان البارودى أذكى العربيين جميعاً ، وأكثرهم خبرة ومراساً بشئون الحكم لسبب اشتغاله مع شريف باشا ورياض باشا ، وتولى وزارة الحربية مع رئاسة الوزارة .

وقد تزوج البارودى من ابنة مرضعة لإسماعيل ، فعمل في القصر مدة ، ثم تزوج من أسرة منصور يسكن باشا صهر الخديوى ، وبعد الاحتلال الذى منيت به مصر سنة ١٨٨٢ ، نفى إلى سرنديب (سيلان) ، وأصيب بالعمى ، وعاد إلى مصر بعد سبعة عشر عاماً ، واشتغل بالأدب وهو كفيف حتى توفى في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤ م ( = ١٣٢٢ هـ ) .

وكان ينظم الشعر وهو صغير بدون معلم ، وحفظ الكثير من الأشعار التى ضمنها « منتخبات البارودى » وله ديوان شعره المشهور ، وهو يزخر بروائع الشعر العربى والمصرى متضمناً مشاعره عن الأحداث الجارية فى عصره من الحروب والوصف ، فصان للغة ديباجتها وأصالتها .

## أعلام العساكرة

- عبد السلام إبراهيم العسكرى -

توفى رحمه الله ١٢ فبراير سنة ١٩٥٢ عن ٥٨ عاما ودفن بمقابر العائلة بالعساكرة وكان شيخ معهد الإسكندرية الدينى بعد أن تقلب فى مشيخة معاهد أسيوط وقنسا كما كان وكيلًا قبل ذلك لمعهد الإسكندرية .

وقد أنجب ولدين هما الأستاذ محمد العسكرى وكيل البنك المصرى العربى بالإسكندرية ، والأستاذ ثابت العسكرى المحامى بها أيضا ، وقد عرف عنه أنه كان صاحب رسالة دينية رفعت قدره فى الناس ، فعرفوا عنه عزة النفس ، والغيرة على دين الله ، هذه الرسالة هى « رياضة الألباب فى تفسير سورة الاحزاب »

- أحمد عبد الحليم العسكرى -

حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية من معهد الإسكندرية الدينى ونزح إلى القاهرة لاستكمال الدراسة بالأزهر ، ولكنه لم يمض فيها إلى النهاية ، وتعلق بالصحافة فاشتغل بها ، فعين محررا للصفحة الأدبية بجريدة (الأهرام) ، وكنت ألتقى به كثيرا بدارها فى القاهرة كلما قدمت مقالا لينشر بها ، بيدى أو بالبريد ، ثم عين مديرا لمطبوعات السكة الحديد ، فوكيلا لإدارة الحج بوزارة الداخلية ، وفى سنة ١٩٤٦ حصل على العالمية الأهلية ، ثم أثر الصحافة على الوظيفة ، وتفرغ للتأليف ، فأخرج كتاب « القاضى الشرعى » جمع فيه خبراته الشرعية ، بما كان ينشره فى الأهرام وله أيضا كتاب « الطرق الحكومية فى السياسة الشرعية » بالاشتراك مع الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

وتوفى رحمه الله فى أول يناير سنة ١٩٦١ عن ٤٥ عاما ، وأنجب ثلاثة ذكور وأنثى ، ومن أولاده هؤلاء : المهندس الزراعى جلال العسكرى وطارق ووليد .

## أعلام قبور الأمراء

- أحمد حافظ عوض -

ووافق بترجمة وافية له السيد أحمد خيرى مشكورا غير مأزور . ولد أحمد حافظ فى ديسمبر سنة ١٨٧٤ وأصله من (قبور الأمراء) ، ووالده الحاج عوض الشحات ، وتخرج فى المدرسة التوفيقية الثانوية ثم مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل بالتحرير فى جريدة « المؤيد » ، وحج سنة ١٣٢٧ هـ مندوبا عن إحدى الصحف الإنجليزية لموافاتها بأبناء حجة الخديوى فى ذلك العام ، وتولى رئاسة تحرير ( المؤيد ) بعد وفاة الشيخ على يوسف ، ثم عطلها الإنجليز عند إعلان الحرب العالمية الأولى ، وحددوا إقامته فى الإسكندرية طول مدة الحرب .

ولما وضعت الحرب أوزارها اشترك مع عبد القادر حزة باشا فى جريدة « الأهالى » ، ثم استأجر « المحروسة » من إلياس زيادة : والد الأديبة المشهورة دى زيادة .

وفى صفر سنة ١٣٤٣ أصدر « كوكب الشرق » ، التى ظلت بضع عشرة سنة ، وكان من محرريها أحمد ماهر باشا والدكتور طه حسين ، والأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، وعمل كل منهم رئيساً للتحرير ، وكان يكتب فيها أيضا اللواء وحيد شوقى مدير عام مصلحة السواحل ( سابقا ) والسيد فؤاد شاكر رئيس تشریفات الملك عبد العزيز آل سعود ، والأستاذ عباس حافظ .

ثم ضم حزب الوفد جريدة « الأهالى » إلى جريدة « الجهاد » ، التى كان يصدرها محمد توفيق دياب ، وأطلق عليها معاً اسم جريدة « الوفد المصرى » ، التى استمرت بضع سنوات .

وكان حافظ عوض عضوا بـمجلس النواب عن دائرة ( باب الشعرية ) ، ثم عضوا معينا بـمجلس الشيوخ ، وعضوا بـمجمع اللغة العربية .

وعرف بمجودة الأسلوب فى اللغة العربية ، والتعمق فى اللغة الإنجليزية ، وكان ينقد كتاب حزب الأحرار الدستوريين ويسمهم بأسماء تشير الضحك ، ومن نكته التى كان يكتبها فى « المحروسة » ، نبذ صغيرة باسم ( هيردوين ) و ( محمد بن )



- ٦٠٣ -

وقد منحه الخديوى عباس رتبة البكوية من الدرجة الاولى وصحبه فى رحلته الى الوجه البحرى سنة ١٣٣٢، وكتب عن هذه الرحلة كتابا ضخما مزدانا بالصور صادرة السلطات الانجليزية فى مصر بعد عزل الخديوى .

وكانت دار جريدة أحمد حافظ عوض كدار الندوة لكبار الأدباء والشعراء فى مصر وسوريا وفلسطين، يحضرها يومياً أمير الشعراء أحمد شوقى، وكان من روادها المولى حى صاحب حديث عيسى بن هشام، ومحمد كرد على والحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين، ومحمد على الطاهر صاحب جريدة الشورى .

وظل فى اعتكافه بمنزله بسبب الشيخوخة، حتى توفى بمصر الجديدة ظهر يوم الجمعة ١٩ ربيع الانور سنة ١٣٧٠ هـ

وأنجب أربعة ذكور مات أكبرهم فى حياته سنة ١٣٦٠ هـ ومات الأصغر فجأة سنة ١٣٧٩، والباقيان هما الدكتور صلاح الدين عوض الطبيب فى (قطر) والدكتور جلال الدين عوض الذى كان أستاذا بكلية العلوم بجامعة الإسكندرية والآن وكيل وزارة الصناعة .

ومن مؤلفات الفقيد «فتح مصر الحديث» و«من والد إلى ولده»، وله روايتان صغيرتان هما «فسحة الأمل» و«الحال والمآل»، وله كتاب عن وصف رحلة الخديوى عباس إلى أقاليم الوجه البحرى سنة ١٣٣٢ صادرة الإنجليز كما قلنا، وله أيضا مذكرات مخطوطة سماها «آثار أقدام على رمال الزمان»، أهداها إلى دار الكتب المصرية بالقاهرة .

## أعلام ببيان

- محمد البسيونى البباني -

ذكره محمد كامل الفقى فى الجزء الثالث من كتابه «الأزهر» .



ولد في منتصف القرن الثالث عشر الهجري تقريباً ، وحفظ القرآن في بلدة (بيبان) التي نشأ بها ، ثم تعلم بالأزهر ، وتصدر للتدريس ، وامتاز بطريقة لم تعرف عن غيره ، واختاره الخديوى توفيق ليكون إماماً له ومدرساً لأنجاله بعد أن كان مدرساً بالمدرسة الخديوية التجهيزية ، ثم أسند إليه - مع قيامه بإمامة الخديوى - تدريس اللغة العربية بمدرسته الإدارية (مدرسة الحقوق) وكان من تلاميذه : أحمد زكى باشا ، وأمير الشعراء أحمد شوقي وكان يدرس البلاغة في كتابه (حسن الصنيع) ثم صار مفتياً للبعية السنية حتى توفى في ٣ ربيع الآخر سنة ١٣١٠ (٣ نوفمبر سنة ١٨١٢) ، في عهد الخديوى عباس الثانى .

وقد مدح الخديوى في المناسبات ولم ينظم الشعر في غير ذلك ، قال بعد فشل العربيين مهتلاً الخديوى بالعودة من الإسكندرية :

رجوعك ياتوفيق مصر هناؤها	وشمس بهاها دائماً وضياؤها
فأنت خديويها وأنت مليكها	وأنت لها من كل سقم شفاؤها
وأنت لها حق على رغم حسد	وأنت لها بدر وأنت سماؤها
وماهى إلا روضة وفكاهة	وما أنت إلا حسنها وازدهاؤها
وأنت لها إنسان عين حياتها	ولولا تلاقىها لخيف عناؤها
وماهى إلا جثة أنت روحها	وما أنت إلا مجدها وملاؤها
وما مثلها إلا لملك ينتمى	فيسمو بها بين الأنام اتناؤها
لبعدك كم قاست لعمري شداًئدا	ففاضت إلى أن تستباح دماؤها
ولولا تلافىها لأصبح تالف	بقية أهلها وعز نماؤها
وأضحى لأرواح الرياح ملاعبا	وما طاب فيها للقيم هواؤها

ومنها في ذم العربيين :

على عصبية البهتان لا تأس إذ هوى	بها في مهاوى الموبقات افتراؤها
فقد خلعت ثوب النجاة مذ اكتست	ثياب الردى جهلاً وبس اكتساؤها
وحيث أبت إلا هواها سفاهة	وساق لها الأخذ الويل شقاؤها
رأيت لها رأى الملوك فأصبحت	وقد ساءها إصباحها ومساؤها
فإن شئت فاصفح أو إذا شئت فانتقم	فمنك بقاها لوتشا وفناؤها

وانتفع به في مدرسة الإدارة : أحمد شوقي وأحمد زكي باشا في البلاغة ، وكان كما يقول عنه أحمد زكي باشا في تأييد أحمد شوقي في حفل وزارة المعارف في ديسمبر سنة ١٩٣٢ : لأن البسيوني كان لا تخطئه النكتة الباردة اللاذعة أو الساحرة الساخرة وكان يعرض على تلميذه شوقي قصائده في مدح الخديوي قبل إرسالها إلى الوقائع المصرية وغيرها من الصحف وكان شوقي يشير عليه بحو هذه الكلمة وتصحيح تلك القافية وحذف هذا البيت وهكذا حتى ينزل الشيخ على رأى تلميذه . وكان البسيوني يقول ذلك للفرق المتقدمة وفيها : عثمان مرتضى ( باشا ) ، وأبو بكر ( باشا ) يحيى ، وعلى ثابت ( باشا ) ، وشاكر ( بك ) أحمد ، دون أن تأخذه العزة بالإثم ، بل قد تحدث عن شوقي الناشئ للخديوي حتى أوفده إلى باريس سنة ١٨٨٧ فتحققت به آمال شوقي بإشارة البسيوني .



## أعلام سناديس

- عبد الغفار السناديسى -

ذكره السخاوى في الجزء الرابع من « الضوء اللامع » .

وهو عبد الغفار بن محمد بن موسى بن مسعود الزين السمديسى ثم القاهرى الأزهرى المالكي ، ولد بسمديسه وبها نشأ ثم تلا القرآن للسبع على الشهاب السكندري والزين رضوان والزين طاهر المالكي ، وبمكة تلاه على الزين بن عياش وناب في القضاء عن الولوى السنباطي وابن التنسي ، وصار وجيها ، وأقرأ عند فيروز وناب عنه في نظر الاوقاف التي تحت نظره . وفي سفارته عينه الظاهر جقمق لإقراء ولده ، وناب عنه في جهاته كالبليارستا ، وترقى واتسعت دائرته وركب الخيل ، وكان راجح العقل متواضعا ، مات بعد أن جاوز الخمسين - في جمادى الثانية سنة ٨٧١هـ وأكبر أولاده يسمى موسى .

- ٦٠٦ -

- موسى السهاديسى -

ذكره السخاوى أيضاً فى الجزء العاشر :

ويعرف بابن عبد الغفار السهاديسى ، كان مالكيًا كأبيه ، ولد فى سنة ٨٤٦  
تقريبًا بالصحراء ، وأخذ عنه السهوى واللقاني والنور الوراق والشمى  
والحصنى والعلاء الحصنى ، وقد أجاد الخط عند ابن سعد الدين وبرع فى  
الكتابة وتجليد الكتب وتذهيبها ، وحج أول مرة سنة ٨٧٠ ، وناب فى  
القضاء عن الحسام بن حريز وكان بارعا فى صناعته ، وصار المحول عليه  
فى أيام اللقاني .

- محمد السهاديسى -

وهو أكبر من أخيه موسى ، كان أزهرى مالكا .  
وذكره السخاوى فى الجزء الثامن دون أن يتحدث عنه بشئ أكثر من هذا  
- شمس الدين السهاديسى -

ذكره ابن لياس فى « بدائع الزهور » .

وهو شمس الدين بن النقيب محمد السمديسى القاضى الحنفى فى خلافة  
المتوكل وفى عهد سلطنة الغورى وذلك سنة ٩١٩ بعد عزل عبد البر بن الشحنة  
كان لإمام السلطان الغورى ، وكان حيا سنة ٩٢٠ هـ .  
أما والده عمر السمديسى القاهرى فقد مات فى صفر سنة ٨٨٦ بباب  
الوزير كما ذكر ذلك السخاوى فى الجزء ٦ من « الضوء اللامع » :



أعلام كفر مستنان

- عبد العزيز المستنانى -

ذكره السخاوى فى الجزء الرابع من ( الضوء اللامع ) .

— ٦٠٧ —

وهو عبد العزيز بن مسلم بن دال بن خضر بن غراز بن سلامة العز أبو الفضل  
المستثنائي المغربي السكندري المالكي ، التقى به السخاوي بالإسكندرية ، وكان  
متصوفا زاهدا إلى درجة الوجد ، ومن نظمه :

خطيب الحى قد غنى على عيدان آصالي

وكان لأهل الإسكندرية فيه اعتقاد زائد ، وتوفي بغير الإسكندرية في رجب  
سنة ٨٧٤ هـ ودفن في الجانب الشرقي من الشارع ( طريق الحرية حاليا ) .

- محمد المستثنائي -

ذكره السخاوي في الجزء الثامن ، وقال إنه توفي بدمياط سنة ٨٧٥ هـ ذهب  
إليها مع المنصور وكان إمامه ، وكتب كثيرا بخطه ، وهو ابن عبد العزيز المستثنائي  
السابق ذكره .



## اعلام النشو البحري

- أحمد النشوى -

ذكره السخاوي في الجزء الأول من ( الضوء اللامع ) .  
وهو أحمد بن حسن بن علي بن عبد الله الشهاب النشوى القاهري الحنفى ،  
اشتغل بالعلم ، وبرع في الكتابة ، وشارك في جملة فنون ، وقرأ ( الشفاء ) على  
السخاوي بالمدينة المنورة ولازمه ، وقدم القاهرة سنة ٨٩١ هـ ثم عاد إليها  
صحبة شاهين ، ثم عاد السخاوي فلقبه بمكة سنة ٨٩٨ هـ ورجع إلى المدينة وأثنى  
عليه فقال : [ ونعم الرجل توددا ] .



## أعلام إشبليم

- أصيل الدين الإشبليمي -

ذكره السخاوى فى الجزء الثامن ، من « الضوء اللامع » .  
وهو محمد بن عثمان بن أيوب أصيل الدين أبو عبد الله بن الفخر أبى عمرو  
ابن النجم العمرى الإشبليمى القاهرى الشافعى ، والد الشهاب أحمد بن أصيل ،  
ولد بعد سنة ٧٤٠ هـ بإشبليم ، وعى بالفقه والعربية والقراءات ، وقرأ على ابن  
الملقن والبلقيني ، وأذن له فى التدريس والإفتاء ووصفه ابن الملقن بقوله : [ العالم  
العلامة ذو الفنون ، أفضى القضاة مفتى المسلمين جمال المدرسين ] وتكسب  
بالشهادة ، ولازم الصدر بن رزين خليفة الحكم ، فرقاه لنيابة الحكم وقضاء  
دمشق ، بدلا من الإخناثى ، ثم عاد إلى القاهرة ، وغلبه الدين وحبس ، وكان  
يلقى دروسه فى السيرة النبوية ، وتوفى فى أواخر ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ وأرخ  
له ابن حجر والمقرئى ، ويلاحظ أنها تعرف الآن ( إشبليم ) .

- عبد الغنى الإشبليمى -

ذكره السخاوى أيضا فى الجزء الرابع من « الضوء اللامع » .  
وهو عبد الغنى بن محمد بن عمر بن عبد الله الزين الإشبليمى ثم القاهرى  
الشافعى ولد بإشبليم سنة ٨٢٠ تقريباً ، وقرأ بها القرآن ، وانتقل مع أخيه إلى  
القاهرة ، حيث اشتغل بالفقه على السبكى والقائى والنوائى والشمى ، وبالفرائض  
على ابن المجدى ، وبالعروض على الشهاب الألبشيطى ، وله أرجوزة فى الفرائض ،  
وسمع على الزين الزركشى وابن حجر ، ونزل فى « مدرسة سعيد السعداء » ،  
وتصوف ، ومدح ابن حجر والسخاوى .



- ٦٠٩ -

## اعلام شابور

- سيدى سيف الدين -

ذكره على مبارك فى الخطط التوفيقية بالجزء ١٢ أن بها ضريح سيف الدين وشاهين . وينسب إليها أيضاً سليمان بك الشابورى .



## أعلام درشابه

- الشهاب الدرشاهى -

ذكره السخاوى فى الجزء الثانى من ، الضوء اللامع ،

وهو أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن ناصر الشهاب الدرشاهى الأصل السكندرى المالكي ، ولد بدرشابه سنة ٨٤٠ هـ تقريبا ، ونشأ بها وحفظ القرآن والمختصر والرسالة والثلث من ابن الحاجب والأجرومية وألفية النحو ، وقرأ الفقه على أبى القاسم النويرى والزين طاهر والولوى السنباطى ، والأبدى والنور الوراق وأبى الفضل المغربى وأحمد بن يونس ، وأخذ العربية عن ابن يونس والأبدى والشمنى ، والفرائض عن أبى الجود والشمس بن جنيبات ، وسمع من ابن حجر الآقصرائى والزكى المناوى ، وقرأ الموطأ على ابن يفتح الله السكندرى ، وأمل على السخاوى وسمع المسلسل وأول البخارى من السخاوى الذى أجاز له ، وناب فى القضاء بالإسكندرية عن ابن البدر بن الخطله ، ثم استقل بقضاها فى شوال سنة ٨٤٠ بدلا من العفيف ثم صرف عنها ثم عاد سنة ٨٨٩ واستمر كذلك . وقدم القاهرة وجاور بمكة وحمد أهلها سلوكه .

٧ - على الدرشاهى -

ذكره السخاوى فى الجزء الخامس : وقد اشتغل قليلا بالعلم وقرأ على السخاوى مجالس من البخارى ، ولم يذكر شيئا عن مواده أو وفاته وهو ابن الشهاب الدرشاهى

### - شهيد فلسطين أنور الصيحي -

نشأ والده الأستاذ محمد محمد الصيحي في درشابة ، وتزوج من أسرة (أبونصرة) بدسوق وحصل على ليسانس الحقوق ، وعمل موظفاً بطنطا ، حيث واد أكبر أبنائه أنور في ٧ فبراير سنة ١٩٢١ ، وظل الوالد يتردد على مسقط رأسه ، ومقر أسرته (درشابة) من حين إلى حين حتى نقل إلى القاهرة ، وهناك تعلم أنور بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية بالسيدة زينب ، ثم بمدرسة الخديوى إسماعيل الثانوية ؛ وشب أنور محبا للاطلاع وفي قلبه جذوة تشتعل غيرة على وطنه ، فالتحق بالكلية الحربية وتخرج فيها ليعمل ضابطاً في سلاح المدفعية وقد كان يجب الرماية وركوب الخيل ويحيد الرماية وسائر أنواع الرياضة .

وفي سنة ١٩٤٠ حدث أن كان في خندق بمعسكر مرسى مطروح فدكته قنبلة من طائرة ألمانية معادية ، فسدت منافذه ، ولكنه لم يأس ، وخرج من الخندق وأنقذ من كان معه تحت الأرض من الضباط ،

كان أنور الصيحي أحد الضباط الذين أمر الملك الخليف فاروق باعتقالهم سنة ١٩٤٧ ، بتهمة التآمر على العرش وقضى خمسين يوماً في معتقله ، وكان الضابط كمال الدين حسين يمر سرا على أسر الضباط المعتقلين ويسلمها المرتبات المقطوعة من « صندوق الضباط الأحرار » .

وخشى فاروق من عواقب استمرار حبس هؤلاء الضباط ، فأفرج عنهم ، ولكنه شئت شملهم وعطل ترقيةاتهم ، وظل أنور على مبدئه القديم لا يحيد ولا يتزعزع .

وفي سنة ١٩٤٨ اشترك مع الفدائيين في معركة فلسطين وكان قائده كمال الدين حسين ، الذي جرح في المعركة فعهده بقيادة المدفعية إلى أنور ، فنجح في السيطرة على (غزة) ، وأبدى من البطولة والبسالة ما جعله ينتصر في معركة (بيرون لإسحاق) وعلى مستعمرة (بيرلشيل) اليهودية ، صوب أنور أقوا مدافعه دون هوادة فدكها دكا ، وخلفها رمادا وأطلالا ، ولما سكن يهوديا غادرا تربص له من الخلف وصوب طلقة فاجرة على رأسه فخر مضرجا بدمائه الزكية ، نقل على إثرها إلى



المستشفى العسكرى ، حيث أخذ يعالجه الضابط الطبيب القدانى محمد حسين غراب ولما اشتد الخطر على حياته ، اقترح عليه أن ينقله فورا إلى القاهرة ليلقى العناية المناسبة ، فأبى بكل شمم أن يترك الميدان . وفى فجر يوم ٢١ مايو سنة ١٩٤٨ لقي ربه ، على أرض فلسطين ، مع النبين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا ، فمنحه القائد العام أحمد عبد العزيز رتبة اليوزباشى ، وأصر الزملاء على الانتقام من القتل الفاجر ، فكان لهم ما أرادوا .

وتحقق للشهيد الطبيب الذكر ما كانت تصبو إليه نفسه فتقامت الثورة سنة ١٩٥٢ حتى إذا كان يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٣ تحرك ركب الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية وبصحبه زملاء المعركة من رجال الثورة ، الضباط الأحرار ، وكان المقصد (دسوق) لزيارة أسرة الشهيد ، حيث كان اللقاء ، بعد أن أطاحت الثورة بالعرش الفاسد ، وخلصت مصر لابنائها ، وهناك فى السراى الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة ، وقف جمال عبد الناصر ليقول :

[ هذه الفرصة ليست للرثاء ، ولكنها للتمجيد ، فقد كان المرحوم اليوزباشى أنور الصيحي فى طليعة المجاهدين الذين استشهدوا فى سبيل رفعة هذا الوطن ، وعزته وكرامة أبنائه ، وكان من أوائل الضباط الأحرار ، كان شابا لا ككل الشباب ، وكان رجلا لا ككل الرجال ، كان خير عنوان لابناء مصر القوية التى لا تقبل الهوان أبداً ، كان دائما يهدف إلى المثل الأعلى ، وإلى الهدف الأسمى وكان دائما ينكر ذاته ، وكنا فى أول هذه الحركة قلة ، وكان أنور أحد أقطاب هذه القلة ] .

هذا وقد بذلت الثورة أقصى الجهود فى سبيل استعادة رفاته الطاهر من ( بير السبع ) ولكن الصهيونية - كما يقول السيد كمال الدين حسين - قد حققت عليه حيا وميتا .

ومن يدرى . ماذا ينخىء القدر فى صحائفه ، فقد يبعث الله من آل الصيحي وأبناء درشابه والبحيرة أبطالا يحررون فلسطين من براثن الذئاب الصهيونية بقيادة البطل المظفر جمال عبد الناصر .

وقد أقيم لشهيد الوطن نصب تذكارى فى سلاح المدفعية بالقاهرة ، كما أشاد

ببطولته السيد الرئيس في مذكراته بمجلة «المصور» ، وأصدر المجلس الأعلى  
لرعاية الشباب عنه كتاب «البطل أنور محمد الصيحي» بقلم الاستاذ أبو الحجاج  
حافظ ، وأطلق اسمه على مدرسة دسوق الإعدادية وعلى الشوارع الرئيسية بطنطا  
ودسوق تخليداً لذكرى الشهيد البطل زين شباب درشابه ومثال التضحية والفداء  
من أجل العروبة والإسلام .



## أعلام أبو درة

- إبراهيم الأبودرى -

ذكره السخاوى فى الجزء الأول من «الضوء اللامع»

وهو إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر القاضى برهان  
الدين الأبودرى ثم القاهرى الأزهرى المالكي . ويعرف بالأبودرى ثم القاهرى  
ولد فى ١٢ ربيع الأول سنة ٨٠٦ هـ . حفظ القرآن وحفظ متون النحو  
والفقه ولازم الزين عبادة والشهاب الصنهاجى وأبو القاسم النويرى ، وأخذ  
عن الشهاب الأبدى وأبي الفضل المشدلى ، واستنابه البساطى وصار من أعيان  
النواب . ودخل الإسكندرية وسمع ابن الطحان وابن ناظر الصاحبة وابن بردس  
والعز بن جماعة والولى العراقى والبرهان البيجورى . ومات فى ٣ صفر  
سنة ٨٥٩ هـ .

- محمد الأبودرى -

ذكره السخاوى أيضا فى الجزء السادس من «الضوء اللامع» .

وهو نزيل الصحراء ويعرف كأبيه السابق بالأبودرى ، ولد بالقاهرة سنة  
٨٤٥ هـ قرأ على ناصر الدين بن المخلطة والبلقى والمحلى والمنأوى وابن الدينى  
والسنهورى وشارك فى الفقه والنحو والعربية وغيرها .

- ٦١٣ -

## أعلام أبوقير

- شمس الدين الأبوقيرى -

ذكره السخاوى فى الجزء السابع من « الضوء اللامع » .  
وهو : محمد بن أحمد بن محمد الخواجه شمس الدين الأبوقيرى السكندرى  
نزىل مكة ، وله بها دار ، وسافر إلى (كلكتا) فى تجارة وسكن بها ، وتوفى فى ربيع  
الأول سنة ٨٦٤ هـ ، وأرخ له ابن فهد .



## أعلام فرنوى

- البدر الفرنوى -

ذكره السخاوى فى الجزء التاسع من « الضوء اللامع » .  
وهو : محمد بن محمد بن سليمان بن عبد السلام البدر الفرنوى الأزهرى  
المالكي . ولد سنة ٨٠٣ هـ بفرنوه ( فرنوى ) ونشأ بها وحفظ القرآن والمتون  
وقدم القاهرة فنزل بالأزهر وتفقه على أيدى اللقائى والسنهورى ولازم هذا  
الآخر فى دراسة « جمع الجوامع » ، والأصول الفقهية والعربية ، وتلذذ عليه العلمى  
سليمان البجيرى وسمع من السخاوى بحضرة أمير المؤمنين مصنفه فى مناقب  
العباس ، وضبط الأسماء ، وكتب الطبقة واختص بالثبوتى بن تقي ، وشاركه ولده  
فى الاشتغال بالعلم ، وأكثر من التردد على السخاوى ، وسمع الرضى الأوجاقى  
وأبا السعود العراقى والديمى والسنباطى ، وسمع الوفاى فى الخاتمه .



## اعلام ديروط

- بيرم الديروطية -

ذكرها السخاوى فى الجزء الحادى عشر من « الضوء اللامع » .  
وهى بيرم بنت أحمد بن محمد بن أحمد بن سرور الديروطية المالكية ،  
نشأت نشأة أبيها ، فتلث القرآن بالسبع على يد ابن الصائغ وأكلت (الجمع) أى  
(جمع الجوامع) على ابنته فاطمة ، ودخلت مع أبيها بيت المقدس ، وقرأت على الشيوخ ،  
ووعظت النساء ، وطالعت بكثرة « رياض الصالحين » ، و « طهارة القلب » ،  
و « رساله ابن أبى زيد » ، فى التصوف ، ودخلت مكة ودمياط وتزوجت شيخ البلد  
أحمد بن قريش فتغير حالها بمخالطته .



## اعلام قراقص

- الشيخ عبد الباقي سرور نعيم -

ولد بقراقص ونشأ فى الأزهر حتى أتم دراسته وتفوق فى التخصص ، وبدأ  
نشاطه الوطنى فى ثورة سنة ١٩١٩ م ، فقدم من القاهرة إلى دمنهور فى ١٣  
نوفمبر سنة ١٩١٨ ، يحمل عشرات الألوف من توكيلات الشعب للوفد المصرى  
للبطابة بالاستقلال عند سفر الوفد إلى (لوزان) حيث كان ينقذ مؤتمر  
الصلح .

واستطاع بحماسة الدافقة ، وأسلوبه الجذاب أن يحصل على توقيعات المواطنين  
فلما قامت المظاهرات بالقاهرة سرت عدواها إلى الأقاليم . وكان هو حامل  
شعلة الثورة فى البحيرة . فأخذ لعدة أيام يدرب شبان دمنهور على المظاهرات  
والهتافات ، وعلم مدير البحيرة إبراهيم حليم باشا بأنه مدبرها ، فقبض عليه

وأودعه السجن ، فقامت في ٢١ مارس سنة ١٩١٩ مظاهرة دمنهور الكبرى .  
وهجم المتظاهرون على السجن فحطموه وأخرجوا منه الشيخ عبد الباقي قوة  
واقْتدارا ، وأسقط في يد المدير الذي اندس في الجموع الغاضبة ، فاعتدوا عليه  
ضربا بالنعال ، فأمر بتسليط خراطيم المياه النوية عليهم ، فكانت تجرف الشبان  
بقوة دفعها ، ومالبت الأحكام العرفية أن أعلنت ، وقبض على الشيخ عبد الباقي  
ومشاة المتظاهرين وشكلت محكمة عسكرية بدمنهور ، أصدرت حكمها  
ببراءة الشيخ عبد الباقي الذي عندما سئل : مذنب أم غير مذنب ؟ . فقال : غير  
مذنب ، أما المذنب فهو مستر ويسون الذي نادى بحرية الشعوب ، فأنا ذنبي أنى  
أنادى بحرية مصر واستقلالها . وفي عهد الملك فؤاد اختير رئيسا للجنة الخلافة  
الإسلامية .

واشترك بعد ذلك في تحرير الأفكار ، وكانت مقالاته بها تحت عنوان  
« ولنا لندري أشر أريد بمن في الأرض » وقد ذاع صيتها حتى سموه « الشيخ  
ولنا لندري » وهذه المجلة كان يرأس تحريرها على الكثرة ثم اشتراها عبد اللطيف  
الصوفاني ، وظل الشيخ عبد الباقي يحرر فيها نحو أربع سنوات .

وكان الشيخ عبد الباقي يجيد الإنجليزية ؛ وكان الوحيد من رجال الأزهر  
الذين ردوا على ( زويمر ) المستشرق في محاضراته التي كان يلقيها بالجامعة  
الأمريكية بالقاهرة ، وأفحجه عند زيارته للأزهر سنة ١٩٢٥ .

وقد عرف محمد محمود باشا فضله فأمر بتعيينه مدرسا بجامع برقوق سنة  
١٩٢٦ م بقسم التخصص بالجامع ، واشتهر بالكفاح المتواصل في سبيل  
القضاء على الرشوة في الانتخابات وكان زجالا وشاعرا وكاتبا وخطيبا ،  
فلما رشح نفسه ضد محمد سلمان الوكيل باشا عن مركز دمنهور في المجلس  
النيابي ، قال :

الله يعلم أنا لانبجهمو	ولا نلومهمو ألا يجبونا
كل له وجهة في بعض حاجته	بنعمة الله نخليهم ويخلونا
لا يطعموا أن يهينونا ونكرمهم	وأن نكف الأذى عنهم ويؤذونا

وله مؤلفات دينية معظمها فى الرد على المستشرقين ، ومؤلفات سياسية .  
وقد توفى رحمه الله بدمنهوور عن سبعة وأربعين عاما ودفن فى مستقط رأسه  
قراقص سنة ١٩٢٧ . ومن أبنائه النجباء الأستاذ طه عبد الباقي سرور الكاتب المشهور

### استدراك

كان بودنا أن نستكمل أعلام البحيرة بتراجم عن د الدكتور عبد الواحد  
الوكيل ، من سمخراط ، والمستشار حسن محمود من الرحمانية ، والشيخ محمد  
أمين جمال الدين المراقب العام للأزهر والمعاهد الدينية سابقا وقد توفى فى  
٢٩ مايو سنة ١٩٦٢ ، من كوم حمادة ، وإبراهيم الجارم عمدة رشيد المثقف ،  
ومحمد عيد عمدة درشابة وغيرهم ، لولا أن الجهود المضنية التى بذلناها لم تسكل  
بالنجاح حتى اللحظة التى أوشك فيها الكتاب على الصدور .

ومها يكن من شئ . فإن هؤلاء هم أعلام كل مدينة وكل قرية من إقليم  
البحيرة فى خلال العصور المختلفة عثرنا عليهم على قدر ما مكنتنا أجهزتنا العلمية  
الراهرة ، وعلى قدر الطاقة المحدودة .

ولاشك أن هناك الكثير غير هؤلاء جميعا ، لم تتمكن من الحصول على  
ترجمات لهم ، إما لأن المراجع الوثيقة لم تشر إليهم ، وإما لأن أقرابهم لم يسعفونا  
بتراجم عنهم حتى آخر لحظة ، وإما لفقدان كل المراجع أو بعضها ، فعندنا مثلا  
العشرون جزءا الأولى من كتاب د تسكلمة وفيات النقلة ، كلها مفقودة ، بينما  
الأربعون الباقية منها لا تزال مخطوطة ، وفيها استطعنا العثور على بعضهم .  
وعسى أن يوفقنا الله تعالى فى الطباعات القادمة إلى المزيد من هؤلاء الأعلام  
الذين تتألق بهم رحاب الخلود ، ويفخر بهم أهل البحيرة جيلا بعد جيل .



# ٧ البحيرة .. والثورة في عشر سنوات



## لقاء

انبتق فجر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وطلع الصباح على أهل البحيرة ، وهم على عادتهم ذاهبون آيبون ، لولا أن أذيع البيان الرسمي باستيلاء الجيش على زمام الأمور ، ولعل أبناء البحيرة كانوا أسرع من غيرهم إدراكا لما وراء حركة الجيش هذه من « ثورة » ، فقد كانوا كما قلنا في كفاح ثوري خلال العصور ، ولا يعرف الشوق إلا من يكابده ، ورأينا مراحل هذا الكفاح ، الذي جرى على أرض البحيرة .

ولا عجب إذا كان أبناء هذا الإقليم أقوى الناس استجابة للثورة منذ اللحظة الأولى لقيامها . لماذا ؟ لأن البحيرة كانت إلى ذلك الحين تغل مرارها بالثورة المكبوتة ، على الأوضاع التي بلغت أقصى درجات الغليان الشعبي : فالحزبية مزقت شمل أهل البحيرة شرمزق ، والإقطاع تجاوز الحد في الاستبداد بالقوى الشعبية الكادحة ،

وأصبحت كثرة العاطلين تهدد أمن البلاد ، بينما المحظوظون ينعمون في المصايف الداخلية والخارجية - بما انتهبه من عرق الأجير ، وإذ ذاك كانت السيطرة الرأسمالية ، متعكمة في الحركة الاقتصادية ، استنادا إلى حزب الحاكم ، أو الرشوة التي أدت إلى الحصول على الرتب والألقاب ، أو العصبية الريفية التي أغلقت على نفسها كل المنافذ حتى أصبح من المحال أن يقتحمها المؤهبون من الشباب المثقف أما الاحتكار الذي حظى به أعضاء البرلمان بمجلسيه : بالحصول على تراخيص الاستيراد والتصدير ، فقد كتم الأقواء ، وبذلك ضمن الأصهار والمحاسب لأنفسهم أرباحا طائلة في غفلة من الشعب ، أما الكتابات الصارخة ، والخطب الثائرة ، فما كانت لتحرك الخامد والهامد ، لأن تأثيرها كان ضعيفا في توصيل الرسالة ، إلى الشعب ، الذي فقد الأمل في النجاة ، لولا أن تداركته عناية الله بالثورة ، ثورة الجيش ، وهو جيش الشعب ، أولا وقبل كل شيء .

ولست أنسى مؤتمر السكفاح الوطني ، بدمهور الذي تشكل من جميع المنتسبين إلى الأحزاب السياسية أثناء معركة القنل سنة ١٩٥٢ ، وما كانت تفتى إليه جلساته من مهازل تبعث على اليأس الفاتك ، لعدم القدرة على الارتفاع إلى مستوى الأحداث .

وكنت عضوا في هذا المؤتمر ، وكان من أبناء البحيرة - مع ذلك - في المؤتمر من استطاعوا أن يدقوا جرس الخطر في وجه ضحايا الصراع الحزبي ، وأشهد خلاصا أن الأستاذ فنحي الشراوى - وكان إذ ذاك محاميا بدمهور - قد استطاع بوعيه ووطنيته أن يستحوز على إعجاب الجميع في المؤتمر ، بآرائه التقدمية البارعة وتقديراته للأموال المحيطة بنا ، لهذا كان له موقفه المشرف في مجلس الأمة ، حتى اختير أخيرا وزيرا للعدل في حكومة الثورة ، ولم يكن هو وحده الذي وقع عليه الاختيار من أبناء البحيرة لشغل بعض المناصب القيادية في الثورة ، فهناك غيره كثيرون منهم الأستاذ عبد المنعم الصاوى وكيل وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، والدكتور جلال حافظ عوض وكيل وزارة الاقتصاد ، والأستاذ محمود عبد اللطيف الجيار الذي يشغل منصباً متمازاً برئاسة الجمهورية هذا فضلا عن عدد كبير من أبناء البحيرة المبرزين في المصالح المختلفة .



أما قائد الثورة الرئيس جمال عبد الناصر ، فقد كان له في إقليم البحيرة ذكريات عن نشأته الأولى وصباه وفي أيام تلمذته ، لا يزال أهل البحيرة في الخطاطبة وكوم حمادة ودمنهوور يذكرونها في عزة وفخار ، وتناولتها أقلام المؤلفين والصحفيين من المصريين والأوروبيين على السواء <sup>(١)</sup> والتي جمال بكفاح رشيد سنة ١٨٠٧ فكتب قصته (في سبيل الحرية) ، وقرأ (عودة الروح) لتوفيق الحكيم ابن البحيرة (من عزبة أبو مسعود)

وهكذا كان اللقاء طبيعياً بين البحيرة والثورة . أما التجارب بينها فكان أكثر من طبيعي ، ولهذا كانت البحيرة - بحق - أشد اندفاعاً نحو الثورة من أي إقليم آخر .

ولقد حققت الثورة وجودها فعلاً في البحيرة ، فكان زحفها نحو عاصمتها « دمنهور » يعدل زحفها نحو كل مركز أو قرية أو كفر من حيث السرعة في الإنجاز ، والعدالة في التوزيع ، على أسس علمية من التخطيط ، دون استئثار من جهة بمكاسب الثورة دون غيرها من الجهات ، ودون تدخل من أحد كل همه أن يتخذ من الإصلاح مادة للدعاية الانتخابية ، كما كان الشأن في الماضي ، وإنما هي الثورة التي أصبحت للمواطنين جميعاً أما وأبا .

وفي الحق أن البحيرة في خلال عشر سنوات من قيام الثورة ، أصبحت شيئاً آخر غير ما كانت عليه من قبل : زيادة مضطردة في كل إنتاج ، اندفاع قوى نحو استغلال كافة إمكانياتها ، ترابط وتساند بين جميع الجيران على نحو لم يكن معروفاً من قبل ، ومنذ سنتين فقط أي منذ أصبحت البحيرة محافظة - تطبيقاً لنظام الإدارة المحلية - شعر كل مواطن في هذه البقعة الهامة من الجمهورية بأنه يعيش في ثورة ، وأن الثورة تعيش فيه ، وتسهر على مصالحه ، وتحقق له سعادة يومه ، وتبني له الأمان في غده .

نعم كان هذان العلمان من تاريخ الثورة ، نقطة تحول جديد نحو تأكيد المجتمع الذي نبنيه اشتراكياً تعاونياً ديمقراطياً ، فلا يمضي يوم حتى ترى المحافظ على رأس الحقل يشرف بنفسه على مكافحة دودة القطن ، أو يفتح مؤسسة ، أو يرأس ندوة ، أو يحقق شكوى ، أو يحمل الفأس ليردم مستنقعا ، أو يزور مدرسة : لون جديد لم يكن مألوفاً من قبل ، فقد أصبح المحافظ يمثل رئيس الجمهورية ، وينوب عن جميع الوزراء ، أي أنه « الدولة » تنتقل من العاصمة إلى

G . Vaucher : Gamal Abdel - Nasser et son Equipe. (١)

وكذلك « المصر » في ٢٠ يناير ١٩٦١ I : T

« الدوار » ، من القمة إلى القاعدة ، وتلك هي الديمقراطية ، بل هي هي الثورة ، التي جعلت محافظة البحيرة في العيد التاسع للثورة تفتتح واحدا وثلاثين مشروعا وما ينتهي العام الماضي حتى تفتي من تسعة وخمسين مشروعا .  
وفيا إلى المجالات المتعددة التي اقتنعتها الثورة في البحيرة ، خلال السنوات العشر الماضية ، فأتت أحسن الثمار ، حتى شعر الجميع أن الثورة حقاً ثورتان - كما جاء في « فلسفة الثورة » للرئيس جمال عبد الناصر - وهما الثورة الاجتماعية ، والثورة السياسية .

## النظام الإداري

عرفنا فيما مضى التطورات التي طرأت على إقليم البحيرة في مختلف العصور ، من حيث النظام الإداري ، والمقاطعات التي كان ينقسم إليها هذا الإقليم ، وتبعية الإسكندرية له ، ثم استقلال رشيد إداريا حتى أصبحت محافظة لفترة من الزمن ، ثم انقسام البحيرة إلى نصفين ، ثم توحيدهما باسم مديرية تضم عشرة مراكز ، وظلت كذلك حتى قامت الثورة ، فلما كان عام ١٩٦٠ ، أصبحت « محافظة » بعد أن كانت « مديرية » ، وزادت مركزا إداريا هو مركز حوش عيسى ، وصارت وحدة إدارية يشرف على جميع شئونها المحافظ ورأس مجلس المحافظة ، ويشرف على اثني عشر مجلس مدينة وثلاثة وثلاثين مجلس قروي ، فضلا عن تبعية كل من « مديرية التحرير » و « وادي النطرون » لمحافظة البحيرة التي بلغت ميزانيتها في عام ١٩٦٣/٦٢ خمسة ملايين وسبعمائة وواحد وأربعين ألفا من الجنيهات .

وتسير محافظة البحيرة بسرعة فائقة في طريقها نحو الإدارة المحلية ، فتتشبم المزيد من المجالس القروية تحقيقا للديمقراطية الصحيحة ، ونقل شئون الشعب إلى أيدي الشعب ، ففى أوائل شهر يوليو سنة ١٩٦٢ أصدر السيد كمال الدين حسين قرارا بتعيين رؤساء مجالس قروية جديدة بالبحيرة بلغ عددها اثنين وعشرين فضلا عن العدد الأسبق وهو ثلاثة وثلاثون وفيها إلى هذه المجالس القروية الجديدة ، وأسماء رؤسائها :

فيشا	: محمد صدق إبراهيم	كوم النصر	: حامد محمود أحمد
ديروط	: محمد المنياوي	لقانه	: محمد زقروق
الغيتة	: أمين علوبة	زبيدة	: محمد سليمان
قافلة	: عثمان غيث	بلقمار الغربية	: محمد مدحت الديواني
الساحل	: عبد العزيز زايد	إدقينا	: محمد الأنصاري
سرنباي	: محمد جمال سليمان	أبو الشفاف	: علي الطباخ
الكرود	: توفيق شوشان	زاوية صقر	: مسعود حمد
دقدوقة	: محمد بطور موسى	كوم البركة	: فؤاد حسين
زهرة	: زاهر بليغ	قومية أبو قير	: أحمد بدر
الكريون	: سعد إبراهيم	زاوية أبو شوشه	: إبراهيم صالح
دونس أم ديتار	: توفيق إسماعيل أحمد	سنهور	: شحاته خليفة

وفيا يلي أسماء السادة الذين يتكون منهم الجهاز الإداري للمحافظة :

- ١ - السيد أحمد عزت زايد السكرتير العام
- ٢ - د أحمد الجبالي السكرتير العام المساعد
- ٣ - د محمد عبد العزيز ملوخية المستشار القة نوني
- ٤ - د أحمد ماهر مدير الإنعاش الاقتصادي
- ٥ - د إبراهيم الرجباوي سكرتير لجنة تنسيق الخدمات
- ٦ - د محمد العمرجي مراقب شؤون الموظفين
- ٧ - د راشد عثمان راشد رئيس الشؤون الإدارية
- ٨ - د وحيد القايش م مكتب التعاون
- ٩ - د محمد أبو الذهب م المستخدمين
- ١٠ - د علي أحمد البسيوني مدير العلاقات العامة
- ١١ - د عامر سعد بدر رئيس الحسابات
- ١٢ - د أحمد حمزه
- ١٢ - د عبد المنعم بدوي { سكرتارية المحافظ

## التوسع العمراني

تبلغ مساحة محافظة البحيرة ، مليوناً ومائتي ألف فدان منها ثمانمائة ألف فدان أراضي زراعية ، فضلاً عن الأراضي الصحراوية ، والأراضي المستصلحة والمستزرعة التي كانت مستنقعات أو ملاحات أو بحيرات ، فامتدت إليها يد الثورة ، وحولتها إلى مزارع تزدد يوماً بعد يوم ، بما يكفى التزايد المستمر في السكان ، ويزيد من الثروة القومية ، خصوصاً وأن حوالى خمسة عشر ألف فدان في البحيرة تزرع عنبا وفواكه .

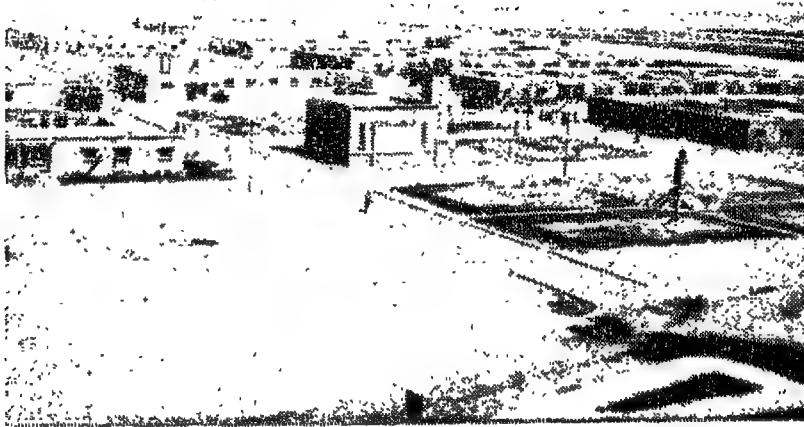
مديرية التحرير : وأهم مروعات الثورة على مستوى الجمهورية ، من حيث التوسع العمراني ، قد بدأت من هنا ، حيث تم تحويل الصحراء الشاسعة الممتدة غرب البحيرة إلى ثورة عمرانية ، واطاق عليها اسم « مديرية التحرير » التي ولدت سنة ١٩٥٣ ، وقسمت إلى قطاعات ، أما في القطاع الجنوبي فقد تم استصلاح أربعة وعشرين ألف فدان ، منها ستة عشر ألف فدان تروى رياً ميكانيكياً ، وثمانية آلاف تروى بطريق الرش ، وفي هذا القطاع حفر نحو أربعائة وخمسين بئراً متوازية لتوفير مياه الشرب والرى والكهرباء : فغرس بها أشجار الفاكهة في مساحة عشرة آلاف فدان . وسرعان ما أنتجت الأرض شتى أنواع المحصولات كالقطن السوداني والبطاطس والسمسم والبقليخ والتمح والشعير والبرسيم .

وقد أقيمت مشاتل لاستنبات الأشجار التي تمت بسرعة ثم غرست في أرجاء المديرية ، وبذلك نجحت عملية التشجير . وإذا كان قد أمكن استصلاح خمسة وعشرين ألف فدان في خلال عشرين شهراً فقد بلغت المساحة المستصلحة حتى الآن في خلال العشر سنوات الماضية خمسين ألف فدان .

وبالمديرية أكبر محطة في الشرق الأوسط لإنتاج الحيوان من المواشى والأغنام والدواجن المصرية والأجنبية ، واتبع في تربيتها أحدث الوسائل الفنية في التهجين والتلقيح الصناعي ، وبهذا أصبحت المديرية أكبر مورد لسائر المحافظات من اللحوم والجلود والألبان والبيض .

وبها أيضاً مراكز صناعية موزعة على القرى والمراكز التي تحمل أسماء قومية مثل ( بدر ) وأسماء شهداء وأبطال مثل ( عمر شاهين ) و ( أم صابر ) و ( عمر مكرم ) وأقيم بها إلى الآن نحو ألفى منزل ، وكثرت بها مؤسسات الخدمات

العامة والمتاجر والمساجد والمدارس ، ويكفى أن بها الآن خمس عشرة مدرسة ابتدائية ، ومدرسة إعدادية مشتركة ، ومدرسة فنية ثانوية وإعدادية ، وسيتم لإنشاء مدرسة ثانوية عامة في العام القادم .



مظاهر العمران في مديرية التحرير

وعلى كل حال فإن هذه المديرية وليدة الثورة وتعتبر إقليماً نموذجياً في كل قطاع من القطاعات العمرانية ، وتوليها محافظة البحيرة كل عناية واهتمام ، وتعمل تبعاً على تيسير وصول الخدمات إليها ، وعلى ربطها بالقاهرة عن طريق السيارات العامة السريعة ، وأخيراً صدرت الأوامر بنقل جميع الموظفين المختصين بإدارة المديرية من مكاتبهم بالقاهرة إلى مكاتب أنشئت لهم بالمديرية ، وبمناسبة العيد العاشر للثورة ستوزع على الأهالي ثلاثة آلاف وخمسمائة فدان بعد استصلاحها .

**وادي النطرون :** وفي أول يوليو سنة ١٩٦٢ أقيم معسكر دولي بوادي النطرون الذي يبعد عن القاهرة بنحو ١٢ كيلو متراً ويستمر هذا المعسكر حتى آخر أكتوبر ويشترك فيه أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة من شباب محافظات الجمهورية وخمسة آلاف شاب من إحدى وعشرين دولة أخرى بإشراف المجلس الأعلى لرعاية الشباب ويقومون بزراعة نصف مليون شجرة زيتون في مساحة

أربعة آلاف فدان من هذا الوادى العريق ، وقد نظمت لهم ندوات ومحاضرات ثقافية وقومية ورياضية ، وفي آخر مراحل المعسكر أقيم معرض للإنتاج الفنى للشباب .. وهذه إحدى حسنات الثورة فى التوسع العمرانى على أيدي نخبة ممتازة من شباب المحافظات ومن شباب الدول الذين تمكنوا فى خلال ثلاثة أيام من غرس تسعة آلاف شجرة كافور وجازورينا وزيتون .

وقد أطلق على هذا المعسكر اسم « معسكر الحرية Freedom Camp » .



معسكر وادى النطرون

عليك الفلاحين : ولما قامت الثورة من أجل رد الحقوق السلبية إلى أصحابها بدأت بالقضاء على الإقطاع ، وتوسعت فى إصلاح الأراضى ثم شرعت فى توزيع الأراضى الزراعية على المعدمين ، فى خلال السنوات العشر الماضية تم توزيع ٩٦٥ فداناً و ٢١ قيراطاً من الأراضى المحففة من بحيرة إدكو على أهل المنطقة ، فضلاً عن ١٤٢٠ فداناً أخرى منها ستوزع بمناسبة العيد العاشر للثورة ، بعد أن تسلمت المؤسسة المصرية العامة لتعمير الأراضى بإدكو زمام الإصلاح فقامت بمهمتها بسرعة فائقة ، وعلى أحدث الوسائل العلمية ، أما منطقة أبيض فقبد وزع منها عشرة آلاف فدان ، وسيوزع فى عيد الثورة علاوة على ذلك ٣٧٠٠ فداناً أخرى ، أما منطقة البصيلي فقد تحوت الرمال والسبخ والمستنقعات والأحراش

فيها إلى مزارع عامرة بالسكان وعلى العموم فإنه - بمناسبة العيد العاشر للثورة - قد أتمت وزارة الإصلاح الزراعي استصلاح ٨٧٥٠٠ فداناً وستوزع على صغار المزارعين ، خص منها محافظة البحيرة ١٣ ألفاً في المناطق الآتية : أبليس ورشيد وإدكو وأبو المطاير وكفر الدوار والبصيلي وكوم أوшим .

وهكذا تعمل الثورة جاهدة على توسيع رقعة الأرض الزراعية في البحيرة وتمليكها لصغار الملاك مسيطرة منها لتزايد السكان ، وتحقيقاً للاشتراكية العادلة ففي خلال عام ١٩٥٨/٥٧ أتمت الهيئة الدائمة لاستصلاح الأراضي مساحة ٢٢٠٠ فداناً بمنطقة إدكو والبصيلي من ٧٠٠ فداناً لم تكف أيدي الإصلاح عنها لحظة واحدة .

الاستغلال الزراعي : كانت ( البحيرة ) أسبق المحافظات إلى تنظيم الاستغلال الزراعي بقصد تجميع الإنتاج الزراعي وتنظيم الدورة الزراعية ، واستطاعت في ظل الإدارة المحلية ، أن تبدأ التجربة من سنة ١٩٦١ في إحدى عشرة قرية في أربعة مراكز وهي :

- ١ - مركز إيتاي البارود : شنديد . كفر عسكر شنديد . كفر عسكر صفط . أمربيات فاضل . كفر خليفة .
- ٢ - مركز شبراخيت : قرية شبراخيت . المعصرة . كنيسة أورين .
- ٣ - » كوم حمادة : دمنهور . منشأة راضي .
- ٤ - » المحمودية : دسيا .

وفي عام ١٩٦٢ شمل هذا المشروع اثنتين وخمسين قرية عدا مجالس القرى التي قبلت تنفيذه ، وهو في الحقيقة تحقيق لمبدأ التعاون الذي يعد إحدى الدعائم الثلاث التي قام عليها المجتمع الجديد ، وبمقتضاه تصبح الحيازات الصغيرة مجمعة في وحدات زراعية كبيرة . تستخدم الآلات الحديثة ، وتوفر الجهود الإنسانية والحيوانية المستخدمة عشوائياً ، وتيسر تقدير الخدمات للفلاحين ، وتنضى على الآفات الفتاكة بالمحاصيل ، وكل ذلك عن طريق اشتراك أصحاب الحيازات في الجمعية التعاونية الزراعية العامة على مستوى المحافظة ، وما دونها من المستويات .

**مشروع انتاج الخضر:** وفي شهر يونيو سنة ١٩٦٢ وقع اختيار السيد كمال الدين حسين - نائب رئيس الجمهورية وبوصفه رئيساً للجنة العليا للزراعة والري - على ست محافظات في الجمهورية لاتخاذها مزارع لإنتاج الخضروات والفاكهة وتصديرها، وكانت محافظة البحيرة التي تنتج نصف المحصول العام في الجمهورية إحدى المحافظات التي سينفذ فيها هذا المشروع الأول من نوعه، والذي يشترك في تنفيذه : وزارة الإصلاح الزراعي والمؤسسة الاستهلاكية العامة ، ومؤسسة التجارة الخارجية ، ولهذا تقرر إنشاء ثلاثة للخضر والفاكهة في أبو حمص تتسع لآلفي طن. وقد كان اختيار البحيرة على رأس هذه المحافظات لتنفيذ هذا المشروع عملاً موفقاً نظراً للاتساع المستمر في مساحتها الزراعية ، وجودة أرضها في الإنتاج الزراعي وسهولة مواصلاتها وقربها من ميناء الإسكندرية البحري والجوى .

**أطيان الحكومة :** بالقضاء على الإقطاع ، والقيام بإصلاح الأراضي البور ، وتجفيف أجزاء من البحيرات ، وضعت الثورة يدها على مساحات هائلة من البحيرة ، لتردها إلى أهلها عن طريق التأجير والتملك : وعلى الجملة فإن الأطيان المستولى عليها على ثلاثة أنواع :

١ - أطيان كبار الملاك المصريين والاجانب، وقد آلت إلى الدولة بموجب قانوني ١٧٨ لسنة ١٩٥٣ و ١٢٧ لسنة ١٩٦١ .

٢ - أطيان الاسرة المالكة السابقة التي صودرت لصالح الشعب

٣ - أطيان وزارة الاوقاف وتسمى ( تفاتيش زراعية ) .

وتبلغ مساحة جميع الأراضي المستولى عليها في البحيرة ١٩٤ ألف فدان ، وهي بنسبة ثلث المساحة المستولى عليها في جميع المحافظات، وقد تم توزيع ٦٤ ألف فدان منها على ٢١ ألف أسرة بالتمليك . و ١٣٠ ألف فدان مؤجرة .

ويدخل في هذه المساحات الأطيان البور التي استصلحت والتي لا تزال في الاستصلاح، والتي في طريقها إليه حسب الخطة المرسومة ، وفيما يلي قائمة بالمناطق الزراعية المستولى على أطيانها ، ومساحة كل منها ، وعدد الذين تملكوها من الأفراد على يد الثورة ، وكذلك عدد الذين أجرت لهم هذه الأراضي :



المنطقة	المساحة بالفدان	عدد المالكين	عدد المستأجرين
دمهور	٢١٦٦٣	١١٣٥٨	٥٠٠٠
الحزان	١٧٥١٣	١١٨٥٠	٣٦٨٣
إيتاي البارود	١٤١٤٤	٧٨٣٠	٣١٤١
أبو المطامير	١٢١٣٦	٥٨٦١	٢٦٣٤
النوبارية	٢٢٣٦٤	—	—
جبارس	٤٣١٧٣	١٠٢٩٨	٢٥١٨٠
أبو حمص	١٨٤٠٢	٦٢٨٦	٠١٥٩٠
كفر الدوار	١٦٦٠٧	٩٠٥٨	٠٥٧٠٦
إدفيينا	١٨٣٧٥	٧٦٨٣	٢٣٤٨

عمال التراحيل: كانت هذه الطائفة من العمال الزراعيين أشبه بالرقيق الأبيض يمتص المأولون ما تبقى عندهم من الدم والعرق ، ، مما يتناو مع الحرية التي جاءت الثورة لرفع لوائها . وفي الحق أن هذه الطائفة كانت موضع اهتمام السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، فرد لهم اعتبارهم ، وحرّم بالقانون الاتجار في كفاحهم وعرق جيئهم

وفي ٩ أبريل سنة ١٩٦٢ م التقى بالبحيرة ثلاثة من السادة المحافظين هم وجيه أباطه ( البحيرة ) وإسماعيل فريد ( الدقهلية ) وحمدي عبيد ( كفر الشيخ ) وتوجه ركبهم إلى مديرية التحرير ثم وادى النطرون وأخيرا مزارع جاناكليس التي وصلوها في منتصف الليل وكان الهدف الرئيسي من هذه الجولة التي قطع فيها المحافظون الثلاثة أكثر من سبعائة كيلو متر هو التعاون على حل مشا كل عمال التراحيل تحقيقاً لرغبة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وفي المؤتمر الذي عقد بدمهور لهذا الغرض اجتمع أكثر من ثلاثة آلاف عامل زراعي ، ولم يرجع المحافظون الثلاثة إلا بعد أن انتبهوا من إيجاد الحلول العملية لهذه المشكلة لمزمنة .

وهكذا انتقل المحافظون بأنفسهم وتجمهوا كل الصعاب وجلسوا مع عمال التراحيل واستمعوا إليهم ، وتحدثوا معهم في بساطة على غير ما كان معروفا من قبل عن المديرين أو الوزراء .



( المحافظون الثلاثة وعمال التراحيل )

أما محافظة البحيرة فقد قامت بدورها في هذا المضمار على نحو عملي حاسم فأنشأت في أبو المطامير مكتبا يرأسه السيد إبراهيم قنديل رئيس مجلس المدينة لتشغيل عمال التراحيل ورعاية شئونهم ، وتابعه في ذلك السيد أحمد بونس رئيس مجلس قرية النجيلة .

وفي أبو المطامير اعتمد مبلغ عشرة آلاف جنيه لتخليص هذه الفئة الكادحة من جشع التجار ، وارتفع الأجر اليومي إلى خمسة وعشرين قرشاً مع تقديم وجبات مطهية لهم . وتوفير العلاج والرعاية الصحية أيضاً ، بعد أن كانوا يحصلون على ستة قروش في اليوم ، واستطاع هذا المكتب أن يزود الشركات الزراعية ومديرية التحرير ووادي النطرون ومنطقة أبيض وتفتيش الإصلاح الزراعي بآلاف العمال منهم على أسس منظمة وقواعد عادلة ، وسرعان ما احتفل عافظا الدقهلية وكفر الشيخ بتوديع أفواج عمال هاتين المحافظتين إلى البحيرة .

**الوحدات الزراعية :** وتعتبر الوحدات الزراعية إحدى ممار الثورة الاشتراكية العادلة إذ بلغ عدد الوحدات التي ستفتح في العيد العاشر للثورة ثلاثة : كفر الدوار وكوم حمادة ورشيد .

وهكذا يزحف العمران نحو أراضي البحيرة ، وتحقق الاشتراكية في خلال عشر سنوات . وهذه في الحق بداية ، وأول الغيث قطر ثم ينهمر .



## النشاط التعاوني

يبدو النشاط التعاوني بأجل مظاهره في محافظة البحيرة ، فقد تم تأسيس إحدى عشرة جمعية تعاونية صناعية موزعة على أرجاء المحافظة على النحو الآتي :

١ - دمنهور : للانشاء والتعمير ، وصناعة الآثاث ، والنقل بالسيارات وقباني البحيرة .

٢ - الوفائية : لتصنيع الصوف وتسويقه .

٣ - حوش عيسى : لصناعة الأحرمة الصوفية والبطاطين .

- ٦٣٠ -

- ٤ - شبراخيت : لصناعة الاحذية .
  - ٥ - أبو حمص : لكبس قش الارز وتسويقه .
  - ٦ - رشيد : لتصنيع الجريد ومنتجاته ، وتصنيع البلح وتجفيفه .
  - ٧ - إدكو : للغزل والنسيج اليدوى .
- وهناك أيضا جمعيات تعاونية إنتاجية تحت التأسيس وهى :
- ٢ - بدمهور : لصناعة الملابس الجاهزة ، وصناعة الكبريت .
  - ١ - بالمحمودية : لصناعة الصنادل المعدنية .
  - ١ - بأبو المطامير : لصناعة الاحرمة الصوفية والبطاطين .
- وهناك أيضا وحدات إنتاجية تدريبية قامت المؤسسة العامة للتعاون الإنتاجى بإنشائها وهى -
- ١ - بالوفائية : للسجاد والكليم
  - ٢ - بإدكو : للصباغة والتجهيز ، ونسج الحرير والقطن .
- أما الجمعيات التعاونية الزراعية فقد كثرت كثرة ملحوظة كما يتبين ذلك فيما يلى -

- ١ - ٤٠ بمركز دمنهور ٢ - ٣٤ بمركز الدلتجات ٣ - ٣٢ بمركز كفر الدوار ٤ - ١٥ بمركز أبو المطامير ٥ - ٦٣ بمركز كوم حماده ٦ - ١٠ بمركز رشيد ٧ - ١١ بمركز حوش عيسى ٨ - ٢٣ بمركز المحمودية ٩ - ٣٢ بمركز أبو حمص ١٠ - ٤٩ بمركز شبراخيت ١ - ٥١ بمركز
- إيتاى البارود : وهى أعلى نسبة فى أى مركز من مراكز محافظة البحيرة إن لم تكن فى أى مركز آخرى أى محفظه أخرى . والبقية تأتى .
- ولم يكن نظام الجمعيات التعاونية الاستهلاكية معروفا من قبل . ولم ينشأ إلا فى ظل الإدارة المحلية . بقصد حماية المستهلكين من جشع التجار ، ولكافة الغلاء فى المواد التموينية . ولهذا أنشأت محافظة البحيرة هذا النوع من الجمعيات

وجعلت مقرها دمنهور حيث توجد ٣ فروع ، فضلا عن إيجاد فرع في كل مركز من المراكز الإدارية وعددها ١١ .

وزيادة على ذلك أوجدت تسعة فروع للتعاون الاستهلاكي لخدمة العمال والموظفين على النحو التالي .

- ١ - بدمنهور : لعمال وموظفي الحكومة و لعمال وموظفي بلدية دمنهور .
- ٢ - بالمحمودية : لعمال وموظفي طلبات العطف .
- ٣ - بأكمر الدوار : لعمال وموظفي شركة الحرير الصناعي ،  
لعمال شركة الحرير الصناعي .
- لعمال شركة الغزل والنسيج الرفيع .
- لموظفي شركة الغزل والنسيج الرفيع .
- لعمال شركة مصر البيضاء .
- لموظفي شركة مصر البيضاء

**الصيد :** أنشئت بإذكو أول جمعية تعاونية لصيادى الأسماك ، الغرض منها رفع مستوى الصيادين اجتماعيا واقتصاديا وفنيا ومنحت الدولة هذه الجمعية خمسة عشر ألفا من الجنيهات ، واستطاع الصيادون أن يحسموا أنفسهم من جشع التجار وأن يجدوا من الدولة رعاية فنية تدفعهم نحو صيد أفضل ، ودخل أكثر وتم تعديل لوائح الصيد العتيقة البالية فاستكثرت من حلقات الأسماك فى المراسى المتعددة للسراكب على شاطئ البحيرة وساحل البحر ، وهكذا ينهض النظام التعاونى بهذا القطاع الاقتصادى الهام فى محافظة البحيرة حتى بدأ إنشاء أسطول للصيد فى ميناء رشيد بأربع سفن كبيرة للعمل فى البحر الأبيض المتوسط ، كما تم تجهيز سيارة ثلاجة كبيرة لنقل السمك منها إلى مراكز المحافظة ، وبذا سيتمكن المستهلك من شراء كيلو السمك بأربعة عشر قرشا ، وقد تكلف هذا المشروع الهام عشرين ألف جنيه ، ويشرف على تنفيذه السيد رئيس مجلس مدينة رشيد ،

## ردم ترعة الخندق

تمتد ترعة الخندق إلى مدرسة دمنهور الثانوية للبنين حيث يضيق الطريق الزراعى دمنهور - الإسكندرية ، وفيما قبل الثورة ، ارتفعت الأصوات بـردم هذا الجزء من الترعة لتوسيع الطريق من جهة ، ولمنع توالد البعوض في هذه المنطقة من دمنهور من جهة أخرى ، فأنشأت وزارة الأشغال تحويلة خارج المدينة وتركت المكان القديم بدون ردم ، ويبلغ طوله أربعة كيلومترات في عمق ثلاثة أمتار ، وفي سنة ١٩٥٩ عهدت الوزارة إلى أحد المقاولين بعملية الردم في مقابل ٣١ ألفاً من الجنيهات ، ولكنه لم يستطع المضي في إتمام العملية فقد توقف في أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، ولما أصبحت البحيرة محافضة قامت بدراسة الموضوع من جميع نواحيه الفنية والمالية ، وتلافت الأخطاء ، وقدرت له ٩١ ألف جنيه .

ومع ذلك قامت المحافظة بتوجيهات المحافظ وأشرت النبطاع الشعبى ، وأسهمت مديرية التحرير ومنطقة أبيس وشركة جنا كليس ، وقدمت وفود من شباب الإسكندرية ، وغيرها من المحافظات ، وتم ردم التحويلة على النحو المطلوب وفي أقصر وقت مستطاع ، ولم يكلفها ذلك أكثر من سبعة آلاف جنيه واستغلت المساحة التي ردمت وقدرها ٢٤ فدانا فزرعتها بالأشجار والأزهار وجعلتها متنزهات شعبية ، أما المبلغ الفائض من الاعتماد فقد أنشأت به المحافظة ٣٤ مدرسة ، كما اشترت مصنع الكبريت بدمنهور ، واستغلت أرباحه فيما يعود المشروعات على الشعبية .



## مركز الشباب ( استاد دمنهور )

يعتبر هذا المشروع أول نموذج يتحدى بعد تطبيق نظام الإدارة المحلية من السرعة في الإنجاز ، ومن حيث سد حاجات كل محافظة في حدود اللامركزية فإن دمنهور - حسب موقعها المتوسط بالنسبة لجميع مراكز المحافظة - كانت في أشد الحاجة إلى إنشاء مركز للشباب يغنيهم عن السفر إلى الإسكندرية أو طنطا مثلا .

وأدركت المحافظة أهمية المشروع من أول يوم عرفت فيه نظام الإدارة المحلية سنة ١٩٦٠ ، وانتهت الدراسة إلى أنه ينتهى بعد أربع سنوات ، وقدرت تكاليفه ١٠٥ ألف جنيه ، واختيرت له مساحة ١٤ فدانا على الطريق الجديد لدخل دمنهور الحديثة .

ولكن المحافظة بفضل همة المحافظ السيد وجيه أباطه استطاعت أن تتم المشروع في ستة أشهر لا في أربع سنوات ، وافتتح في ٣ ديسمبر سنة ١٩٦١ بمباراة في كرة القدم بين فريق دمنهور وفريق السويد ، واختير الدكتور عبد الفتاح كمال مديرا للمجلس وإدارته .

والاستاد يشتمل على المقصورة والمدرج الرئيسى ويتسع لألف متفرج ، وبه بهو للاستراحة ، وحجرات مخصصة للإداعة والتلفزيون والصحافة والإسعاف والاجتماعات والمتحف الرياضى والمكتبة والمخازن ومعدات خلع الملابس ودورات المياه والمقاصف ، وبه أيضا ثلاثة مدرجات تتسع لعشرين ألف متفرج ويشتمل على جميع المعدات والأدوات الخاصة بالألعاب المختلفة .

وبقى أن نعرف أن مصمم المشروع هو المهندس ميشيل فوق مفتش المشروعات للإدارة العامة للبنانى ، كما أن المهندس محمد النبراوى مدير الأعمال بالبحيرة هو مصمم المدرجات الثلاثة العامة ، وبين حضر حفل الافتتاح السيد فتحى الشرقاوى وزير العدل والسادة محافظو كفسر الشيخ وبور سعيد والبحر الأحمر وقنصل السويد بالإسكندرية ، وكان أهل البحيرة يرحبون بالضيوف ، وامتلاء الملعب بما لا يقل عن عشرين ألفا من المواطنين ثم ألفت

طائرة الهيلوكبتر بالكرة في وسط الملعب . حيث أطلقت مائة حمامة بيضاء في الجو ، فكان المنظر رائعا ، وقد أذيعت المبرارة في الإذاعة والتلفزيون وفاز فريق السويدي ، ثم سلم السيد المحافظ صورة الرئيس جمال عبد الناصر لقنصل السويد في إطار رائع ، فضلا عن الهدايا التي قدمها للفريق السويدي ، كما أقام مأدبة غداء للمدعوين قبل الحفل ، ثم حفل شاي بعد المباراة .

### النشاط الصحي

عنيت الثورة منذ قيامها بتوفير كل أسباب العلاج الصحي للوطنين ولاسيما أهل الريف ، وقد نالت البحيرة من ذلك نصيبا أوفر ولاسيما عند تطبيق نظام الإدارة المحلية ، إذ انتهت المحافظة من إنشاء ٨٦ وحدة صحية ريفية موزعة على قرى المراكز الإدارية ما بين ٤ و ١٣ على النحو التالي :

- ١ - دمنهور ١١    ٢ - كفر الدوار ١٣    ٣ - إيتاي البارود ١١
- ٤ - أبو حمص ٧    ٥ - رشيد ٧    ٦ - كوم حمادة ٧    ٧ - أبو المطامير ٧
- ٨ - المحمودية ٦    ٩ - شبراخيت ٨    ١٠ - حوش عيسى ٥
- ١١ - الدلنجات ٤ ،

ويبقى بعد ذلك نحو ١٢٠ وحدة أخرى ستنشئها المحافظة في خلال أربع سنوات ، والمفروض أن الوحدة تخدم خمسة آلاف مواطن .

هذا فضلا عن إنشاء مستشفى عام بدمنهور يتسع لحوالي ٣٢٠ سريرا وألحق به مسكن لكل من الأطباء والنواب والحكيمات والممرضات ، وقد زود المستشفى بالمنشآت الطبية الحديثة فاشتمل على بنك الدم وقسم للأشعة وجناح للولادة وآخر للعمليات مكيفة بالهواء .

وأنشئ أيضا بكل من المحمودية وحوش عيسى مستشفى يتسع لأربعين سريرا ، ومن الطريف أن المواطن الكريم السيد أحمد وهبان من أهل المحمودية قد تبرع بمائة فدان من أملاكه وقف ريعها على المستشفى الذي أطلق عليه اسمه تقديرا من المحافظة لأريحيته .



— ٦٣٥ —

وتم كذلك إنشاء ست مراكز لرعاية الأمومة والطفولة في : المحمودية والدلتجات وأبو المطامير وشبراخيت وإيتاى البارود وأبو حصص .

أما الوحدات المجمعة فقد بلغ عددها ٢٤ ، وهي تؤدي خدماتها الاجتماعية والصحية والزراعية والثقافية ، وبهذا يسرت لأبناء الريف الحصول على العلاج والوعي ، ولم تحرم المحافظة قطاع الطلبة من العلاج فأنشأت وحدات علاجية بلغت في العام الماضي ١٣ وحدة قامت بفحص أكثر من ١٦٠ ألف تلميذ وتلميذة من أبناء مدارس المحافظة .

وبما هو جدير بالذكر أن معظم المشروعات العمرانية التي تقوم بها المحافظة تضع في اعتبارها الشؤون الصحية مثلا : عند تجفيف أجزاء من بحيرة إدكو وتحويلها إلى مزارع ، روى أمر هام وهو حماية أهل المدينة من فتكات الملاريا التي يسببها البعوض ، وكذلك عند ردم تحويلية ترعة الخندق بدمهور وهكذا في تجفيف المستنقعات الشمالية واستصلاحها

وفي شهر إبريل سنة ١٩٦٢ م أفتتح الدكتور النبوى المهندس وزير الصحة وحدتين نموذجيتين بقرى ( سحالى ) و ( زبيدة ) باعتبارها أول تجربة في جميع بلاد الجمهورية للعلاج الاشتراكي ، أما وحدة سحالى فقد قامت حتى الآن بعلاج ثلاثة آلاف مريض ، وتم صرف الأدوية اللازمة لهم بالمجان ويقوم طبيب الوحدة والمولدات بزيارة المرضى في بيوتهم التي تقع في الجهات المجاورة لقرية سحالى .

وبما هو جدير بالذكر أن مدير جامعة كاليفورنيا ومعه خمسة من كبار أساتذتها قد زاروا هذه الوحدة الأخيرة وأبدوا إعجابهم بالتقدم الملموس في تطبيق الروح الاشتراكية في العلاج ونجاح أول تجربة في المحافظة ،  
البحيرة ،



## النهضة التعليمية

كانت الحركة التعليمية فيما قبل الثورة تسير على غير هدف قسوى ،  
وطالما ضج أبناء البحيرة بالشكوى من إهمال شأنهم ، فتغير الحال منذ قيام  
الثورة ، واتبعت وزارة التربية والتعليم سياسة التخطيط الأفقى والرأسى وفق  
أحدث الأساليب وتحقيقاً للأهداف العامة للدولة .

وإذا ألقينا نظرة عابرة على شئون التعليم في البحيرة من قبل سنة ١٩٤٩ مثلاً  
فاجأتنا الحقائق الآتية :

أولاً : التعليم الصناعى : لم يكن بالبحيرة كلها إلا مدرسة صناعية بدمنهو  
تخرج فيها ٢٨٣ طالباً فقط سنة ١٩٤٤

ثانياً : التعليم الزراعى : حتى سنة ١٩٤٧ كان يوجد مدرسة زراعية متوسطة  
بدمنهو تضم ٢١٥ طالباً فقط .

ثالثاً : التعليم الابتدائى ( القديم ) : حتى سنة ١٩٢٨ كان يوجد خارج  
دمنهو ٩ مدارس ابتدائية فقط زادت إلى ١٢ سنة ١٩٤٩ .

رابعاً : التعليم الأولى ( الابتدائى حالياً ) : حتى سنة ١٩٤٩ بلغ عدد هذا  
النوع من التعليم فى جميع بلدان البحيرة ٢٦٩ مدرسة .

خامساً : التعليم الثانوى حتى سنة ١٩٤٩ كان فى البحيرة كلها ثلاث  
مدارس ثانوية فقط : ٢ دمنهو . رشيد .

أما الآن والبحيرة تحتفل بالعيد العاشر للثورة ، فإننا نرى أن التعليم النبى  
العالى قد أخذ طريقه إليها استجابة للأوضاع الطبيعية الراهنة ، فإذا كانت كلية  
الزراعة التابعة لجامعة الإسكندرية قد نزع من دمنهو لتأخذ مكانها فى  
الإسكندرية سنة ١٩٤٧ فإن المعهد الزراعى العالى قد استقر منذ العام الماضى  
فى إدفيينا ، أما المعهد التجارى العالى فإنه يعتبر استجابة طبيعية لحاجة دمنهو البلد  
التجارى المشهور الذى يشتمل على عدة فروع نشيطة لبنك مصر وغيره من  
البنوك ، فلا عجب إذا ما توقع أبناء البحيرة لإنشاء هذا المعهد قريباً جداً .

هذا ولا تألو محافظة البحيرة جهداً في الاستكثار من المدارس على اختلاف مراحلها ، معتمدة في منشآتها على نفسها ، تحقيقاً لمبدأ اللامركزية ، فعندما وفرت ٨٥ ألف جنيه من الاعتماد المقرر لردم تحويلة ترعة الخندق ، أنشأت بهذا المبلغ ٣٤ مدرسة في أرجاء المحافظة ، والآل بعد مضي عشر سنوات على قيام الثورة نستطيع أن نحصر - بناء على إحصائية مديرية التعليم بدمنهور - مدارس المحافظة فيما يلي : عدا ١٣ مدرسة قد تم بناؤها وفتحت في العيد العاشر للثورة .  
أولاً - المعهد الزراعى العالى : يادفينا وبه ١٥١ طالباً :  
ثانياً - التعليم الثانوى العام .

١ - ١٧ مدرسة ثانوية منها ٣ للبنات ، ومجموع تلاميذها : ٣٤٨٤  
٢ - ٦ فصول ثانوية نسوية ملحقة بدمنهور الثانوية للبنات بها ١٤٤ تلميذة  
التعليم الثانوى الفنى :

١ - ٣ مدرسة ثانوية صناعية ومجموع تلاميذها ١٢٠١  
٢ - ١ مدرسة ثانوية فنية مشتركة بمديرية التحرير وبها ٢٧٠ تلميذاً  
٣ - ١ مدرسة ثانوية زراعية بدمنهور وبها ٦٧٤ تلميذاً .  
٤ - ٣ مدرسة ثانوية تجارية بدمنهور ورشيد وكفر الدوار وبها ٨٤٨ تلميذاً  
٥ - ٤ فصول تجارية للاتحاد القومى بدمنهور وكفر الدوار وبها ١٥٧ تلميذاً .  
ثالثاً : دور المعلمين والمعلمات العامة :

١ - دار المعلمين العامة بدمنهور وبها ٧٤٩ طالباً .  
٢ - دار المعلمات العامة بدمنهور وبها ٧٠٦ طالباً .

رابعاً : دراسات مهنية :

١ - معهد السكرتارية بدمنهور وبه ٣٩ طالباً .  
خامساً : التعليم الإعدادى العام .

١ - ٢٩ مدرسة للبنين منها ٩ بها فصول ملحقة ودد تلاميذها جميعاً ٧١٩٠ .  
٢ - ٧ مدرسة للبنات منها مدرستان بها فصول ملحقة وعند تلميذاتها جميعاً ١٦٣٩ .  
٣ - ٨ مدارس خاصة بها ٢٤٦٧ تلميذاً .  
سادساً : التعليم الابتدائى : وهو موزع على الأقسام الآتية :

- ١ - قسم رشيد : ١٦ مدرسة ، منها جمعية لتحفيظ القرآن الكريم وبها جميعا ١٥٤ فصلا .
- ٢ - قسم إدكو : ١٢ مدرسة ، منها جمعية لتحفيظ القرآن الكريم وبها جميعا ١٢١ فصلا .
- ٣ - قسم كفر الدوار أول : ٢٣ مدرسة ، منها ٣ دور للحضانة ، وبها جميعا ٢٣١ فصلا .
- ٤ - قسم كفر الدوار ثان : ٢٤ مدرسة ، منها دار للحضانة ، وجمعية للمحافظة على القرآن الكريم ، ومدرسة للآباء الفرنسيين سكان بكفر الدوار بها ١٢ فصلا للحضانة والابتدائي وبها جميعا ١٧٢ فصلا .
- ٥ - قسم أبو حصص : ٢٨ مدرسة وبها جميعا ١٨٤ فصلا .
- ٦ - قسم المحمودية : ٢٣ مدرسة ، منها جمعية لتحفيظ القرآن الكريم و ٢ مدارس خاصة ، وبها جميعا ١٤٩ فصلا .
- ٧ - قسم دمنهور أول : ٢٧ مدرسة منها داران للحضانة و ٦ خاصة ومدرسة للراهبات الفرنسيين سكانيات وبها جميعا ٢٤٧ فصلا .
- ٨ - قسم دمنهور ثان : ٢٤ مدرسة ، منها مدرسة للأقباط و ١٠ خاصة ، وبها جميعا ٢٤١ فصلا .
- ٩ - قسم دمنهور ثالث : ٢٧ مدرسة ، بها جميعا ١٧٨ فصلا .
- ١٠ - قسم حوش عيسى : ١٤ مدرسة ، بها جميعا ١٠٧ فصلا .
- ١١ - قسم شبراخيت أول : ٢٢ مدرسة ، منها ٤ خاصة و ٢ جمعية لتحفيظ القرآن الكريم وبها جميعا ١٦٢ فصلا .
- ١٢ - قسم شبراخيت ثان : ٢١ مدرسة منها ١ مدرسة خاصة وبها جميعا ١٦١ فصلا .
- ١٣ - قسم إيتاي البارود أول : ٢٦ مدرسة منها ١ جمعية لتحفيظ القرآن الكريم ، و ١ مدرسة خاصة ، وبها جميعا ١٨٧ فصلا .
- ١٤ - قسم إيتاي البارود ثان : وبه ٢٣ مدرسة منها جمعية لتحفيظ القرآن الكريم وبها جميعا ١٨٥ فصلا .

١٥ - قسم الدلتجات وبه ٢١ مدرسة ، منها جمعية لتحفيظ القرآن الكريم وبها ١٤٧ .

١٦ - قسم كوم حمادة أول : وبه ٢١ مدرسة فيها جمعية لتحفيظ القرآن الكريم وبها ١٧٧ فصلا .

١٧ قسم كوم حمادة ثان : وبه ٢٣ مدرسة وبها جميعا ١٧٤ فصلا .

١٨ - قسم التحرير بكوم حمادة : وبه ٢٤ مدرسة وبها جميعا ١٧٨ فصلا .  
هذه إحصائية لجميع مراحل التعليم بالبحيرة ومنها يتبين كيف أن الثورة قد أمدت جميع القرى والكفور والنجوع بينابيع التربية والتعليم ، وكيف تعمل محافظة البحيرة جاهدة على إنشاء المدارس تمشيا مع الزيادة المضطردة في السكان الذين بلغت نسبة الأمية بينهم حسب آخر إحصاء أكثر من ٧٠٪ لأن بالبحيرة الآن حوالى ثلاثين ألفا من البدو لا يزالون على تقاليدهم من سكنى الخيام والبعد عن حياة الحضرة .

### الثقافة : كنوزها وقصورها

تنحصر كنوز الثقافة بإقليم البحيرة في « خزائن الكتب ، العامة والخاصة ، تلك الخزائن المتناثرة في منازل الأفراد المعننين بالعلم والأدب ، وفي مكاتب المساجد العتيقة ، وفي المكتبات العامة التي في المدن ، وفي مكاتب المدارس .  
على أن أهم هذه الخزائن جميعاً مكتبة السيد أحمد خيرى في روضة خيرى التابعة لأبو حمص ، وهي تحتوى على ما لا يقل عن اثنين وعشرين ألف مجلد في مختلف ألوان الثقافة وفي شتى اللغات وبها كتب نادرة ، ومخطوطات قيمة وقد أتاح لى سيادته أن أزورها وأن ألم بما فيها ، فأدركت حقاً أن محافظة البحيرة تفخر بأن بها هذا المعين الذى لا ينضب .

وهناك فى أبو حمص أيضاً مكتبة آل مخيون ، وتشتمل على مجموعة قيمة من الكتب القديمة والحديثة :

وفى إداكو مكتبة عامة أنشأتها الجمعية التعاونية المنزلية على يد المرحوم الشيخ عبد الجواد أبو دقة تشجيعاً لطلبة إداكو على الاطلاع فى فترة الصيف ، وأهم ما بها كتاب « الخطط المقرزية » فضلاً عن الكتب الحديثة ،

وتشتمل مكتبات المدارس الثانوية والابتدائية القديمة على ذخائر ثمينة لها قيمتها نذكر منها مدرسة دمنهور الثانوية .

على أن مكتبة دمنهور العامة وتبع الآن مجلس مدينة دمنهور فإنها تشتمل على مؤلفات عربية وإفريقية نادرة قديمة وحديثة لا يقل مجموعها عن آلاف مجلد آخذة في الازدياد ، ويقبل عليها الشباب للاغتراف من مناهل العلم سواء عن طريق الاستعارة الداخلية أو الاستعارة الخارجية .

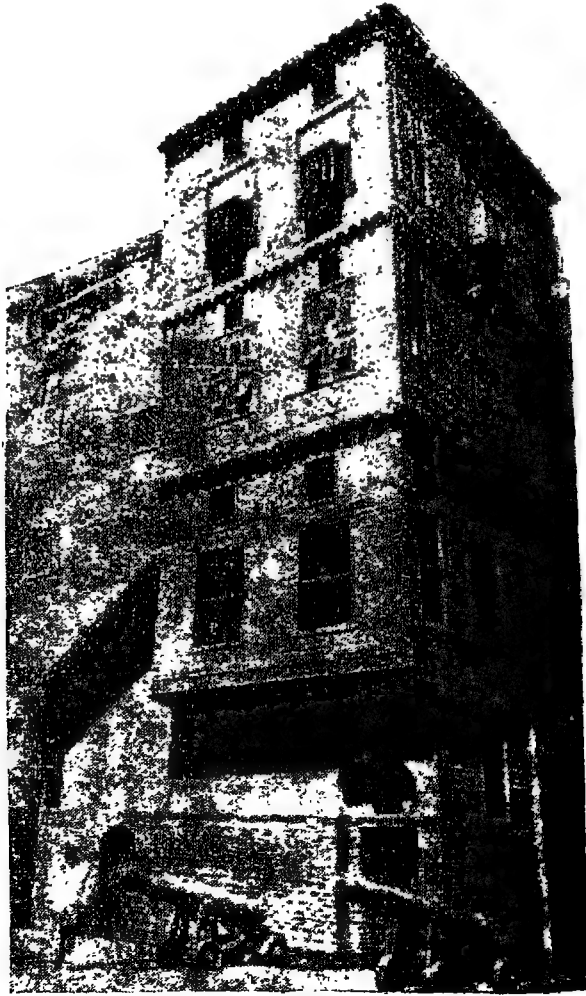
أما مركز الثقافة الذى أنشئ أولاً باسم الجامعة الشعبية « بدمنهور سنة ١٩٤٧ فإنه يتبع الآن وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، وهو مزود الآن بثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب عربى ومائتين وأربعة وستين كتاباً باللغات الحية ، وهى جميعاً موزعة بين الثقافات المختلفة ، ليجد رواد المكتبة كل ما يروقهم من المعرفة ، وما يلفت النظر حقاً أن عدد المترددين على المكتبة يزدون باستمرار ففي سنة ١٩٥٣ كانوا ٤٦٠٠ وفى سنة ١٩٦٠ بلغوا ١٥٦٠٠ وفى سنة ١٩٦١ صاروا ١٧٧٠٠ وحتى الآن من سنة ١٩٦٢ أصبحوا ١٩١٠٠ ، والمركز يبيع الإعارة الخارجية للكتب ، حتى بلغت الاستعارات فى هذه السنة ٣٤٠٠ بعد أن كانت فى سنة ١٩٥٣ : ٨٠٠ استعارة ، وقد شرعت الوزارة فعلاً فى تنفيذ مشروع المكتبة المتنقلة .

وهناك مكتبة قيمة ملحقة بجامع المحلى برشيد تحتوى على مؤلفات دينية معظمها من المخطوطات المهداة من آل الجارم على سبيل الوقف ليطلع عليها رواد البحث فى المسجد ، وقد حرص الأعلام من أسرة الجارم على أن يقدموها إلى المسجد العتيق الذى طالما كان يؤم المصابين فيه آبائهم وأجدادهم ، ويخطبون ويدرون .

ويقوم مركز الثقافة بدمنهور بنشاط ملحوظ فى نشر الوعى القومى بكل وسائل الإعلام : السينما والمسرح ، والندوات والمحاضرات ، والمؤتمرات الشعبية والقومية والمعارض ، وهو لا يقصر نشاطه على دمنهور بل يجعل من دمنهور مركز إشعاع ثقافى فى جميع أرجاء البحيرة وما جاورها ، فى الإسكندرية وكفر الشيخ ومديرية التحرير والصحراء الغربية .

وفي هذا العام انتقلت قافلة الثقافة إلى قرية جواد حسنى وقرية جنا كليس ،  
وشهد التجربة بدعوة من محافظ البحيرة كل من السادة محافظى الدقهلية وكفر  
الشيخ ووفد الصداقة اليوغوسلافى ، وكانت القافلة تحت إشراف الأستاذ  
عبد المنعم الصاوى وكيل وزارة الثقافة .

وفي المعركة القومية التى دارت بين الفلاحين وآفات القطن ، قام المركز  
الثقافى بدوره فى توعية الفلاحين بما يجب اتباعه نحو مكافحة هذه الآفات .  
ولم تعرف البحيرة - فيما قبل الثورة - المتاحف المحلية ، حتى سنة ١٩٥٩ ،



متحف رشيد القومى

ففى هذه السنة زار الرئيس جمال عبد الناصر مدينة رشيد ، وافتتح بها أول متحف قومى أقيم بإحدى الدور الأثرية التى شيدت فى العصر العثمانى ، واشتمل هذا المتحف على آثار رشيد من شتى العصور : وفى هذه السنة قام المركز الثقافى بإنشاء متحف لإقليمى بدمنهوور يشتمل على تراث البحيرة ، ومعاركها وأبطالها وذلك بمناسبة الحفلات القومية بالعيد العاشر للثورة ، ثورة الحرية والثقافة .

هذا وتقوم مديرية التربية والتعليم فى « الثورة الثقافية » بدور إيجابى خلاق إلى جانب رسالتها التعليمية ، إذ ينص نادى المعلمين والمساجد ودور السينما ، والساحات والحدائق والأندية بمحاضرات وندوات تنظمها اللجنة العليا للتعبئة القومية بدمنهوور ، وتوزعها أحيانا على المراكز الإدارية ، وتتغلغل فى القرى والكفور القريب منها والبعيد .

وعلى ذلك زحفت الثورة الثقافية فى هذه السنوات العشر نحو البحيرة زحفا منظما ، فأوصلت موائد المعرفة إلى المحرومين منها زماناً طويلا ، وهيات لهم كل أسباب الثقافة ، وانتقل كبار المفكرين من القاهرة إلى دمنهوور بدعوة من الأجهزة الثقافية ، لإفادة المواطنين بالبحيرة بخبراتهم وآرائهم فى جميع ضروب المعرفة .

وان ينسى التاريخ ماقامت به « قهوة المسيرى » من دور خطير فى إنعاش الحركة الفكرية ، حتى أصبح الأدباء فى البحيرة يجدون من المسيرى عليهم أن يتخلفوا عن حلقات هذه القهوة التى كان محورها الأديب الشعبى عبد المعطى المسيرى ، وقد استطاع أن يعطى فى طريقه حتى تسكونت فى محافظة البحيرة « جمعية الأدباء » وقد نشأ فيها الكثيرون من الأدباء المحدثين ، فوصلوا إلى القمة فى فترة وجيزة .

ولأبناء البحيرة فى ميدان التأليف ثروة ضخمة سوامفى الماضى أو الحاضر : أما فى الماضى ، فإن معظم ماتركوه - كما شهدنا ذلك فى « أعلام البحيرة » ، لا يزال مخطوطا ومتناثرا بين المكتبات المصرية والسورية والأوروبية ولعل السيد وجيه أباطه يلاحظ برعايته المعهودة هذا التراث ، فيأمر بتشكيل لجنة للنشر والإفادة منه ، ولاسيما أنه يولى المؤلفات التى يقوم بها أبناء المحافظة كل عطف



واهتمام، وليس أدل على ذلك من شموله كتاب «إقليم البحيرة»، هذا برعايته وكذلك كتاب «الإدارة المحلية في مصر».

وعلى أية حال فإنه قد آن الأوان لأن ننشئ في مكتبة دمنهور العامة جناحا خاصا يضم جميع ما كتبه أبناء البحيرة القدامى منهم والمعاصرون وأن ننقل صورا شمسية لمخطوطاتهم المبعثرة تمهيدا لطبعها ونشرها من جديد.

وأن تتابع جهود المعاصرين سواء في مؤلفاتهم العلمية والأدبية ونشاطهم الصحافي وكذلك الرسائل الجامعية المؤلفة عن الإقليم كله أو بعضه بالعربية وغير العربية.

وسيتوفر لدينا من وراء ذلك كله عمل ضخم يعتبر القيام به من صميم رسالة الإدارة المحلية، كما يعتبر استجابة طبيعية للثورة الثقافية التي حمل لواءها مهندس ثورتنا، ورائد نهضتنا الرئيس جمال عبد الناصر.

## الإسكان الاقتصادي

وهو من أبرز محاسن الثورة على المواطنين ولاسيما محدودى الدخل، وقد حظيت البحيرة منه بنصيب كبير، كما يتضح ذلك مما يأتي

دمنهور : تم بها إنشاء ٨٠ مسكنا، ويتم قريبا ١٨٢ أخرى.

كفر الدوار : د ٣٢ مسكنا، ويتم قريبا ٦٤ أخرى

أبو حمص : د ٣٤ مسكنا، ويتم قريبا ١٦ أخرى

أبو المطاير : تم بها إنشاء ٣٤ مسكنا، ويتم قريبا أحوار علويه بها

المحمودية ، د ٢٤ د د د د د

رشيد : د ٢٤ د د د د د

شبراخيت : د د د د د د د

كوم حماده: (وكذلك)

الدلنجات :

حوش عيسى :

على أن مجموع المساكن التي ستقام فوق العبارات السكنية في الثمانى مدن السابقة يبلغ ٣٢ مسكنا كأدوار علوية ، كما أن إدكو ينحصرها من المساكن الاقتصادية في هذا العام ١٦ مسكنا .

أما المساكن الريفية التي أنشأها المحافظة في مناطق الإصلاح الزراعى فقد وزعت على مديرية التحرير والنوبارية وإدكو والخزان وأبو المطامير والبصيل والطريق الصحراوى وبلغت تكاليفها ٧٧٢ ألف جنيه.

هذا وقد وضعت المحافظة في اعتبارها أن دمنهور تسكظ بسكانها ، وأن آلاف الطلبة يغدون على المدارس بها من الأرياف فلا يجدون المساكن التي تناسبهم صحيا واجتماعيا ، لهذا أنشأت للطلبة مسكنا يتسع لمائتى طالب وآخر يتسع لمائة طالبة ، وجعلت الاشتراك الشهرى ثلاثة جنيهات أجرا للسكن والمأكل والمشرب بعد أن هيات لهم كافة أسباب الراحة والترفيه والهدوء وبهذا كانت البحيرة أسبق المحافظات في هذا المضمار .

أما العزب الصغيرة فقد حظيت هى الأخرى برعاية المحافظة ، نظرا لوقوعها على جانبي الطريق السريع : الإسكندرية - القاهرة ، فقامت المحافظة بتحسين أربع عزب ، وأصلحت مساكنها ، ووزعتها على أصحابها في ١٤ مارس سنة ١٩٦٢ ، وذلك على النحو الآتى :

١ - عزبة منشأة ناصر عزبة حزيمة وصالحه

وأنشئ بها ٤٠ مسكنا ، و ١ مدرسة ، و ١ مسجد ، و ٤ حظيرة للبواشى .  
ويتراوح المسكن بين حجرتين وثلاث حجرات .

## ٢ - عزبة قزقر

وأنشئ بها ٤٠ مسكن من ذوات الحجرتين و ٤ حظيرة للبواشي .

## ٣ - عزبة صفط الحرية ( عزبة صفط الملوك سابقا )

وأنشئ بها ٢٠ مسكنا من حجرتين و ١١ دكانا ، ومقصف واحد .

## ٤ - عزبة المولى :

وأنشئ بها ٢٤ مسكنا ، وسيتم إنشاء حظائر الموشى قريبا . وقد تكلف مشروع تحسين هذه القرى أكثر من ٤٠ ألف جنيه

وقد أصبح من المؤلف الآن في خلال السنوات العشر الماضية ، أن يكون بين المواطنين وعيد الثورة موعد في كل عام ؛ فيشرق عليهم كل عيد بمشآت جديدة ، ومكاسب اشتراكية ، من ذلك مثلا هذه المساكن والعمارات التي ستفتتح في العيد العاشر للثورة في البحيرة :

١ - دمنهور : ٣٢ عمارة ٢ - شبراخيت : ٢ ٢ - إيتاي

البارود : ١ ٤ - رشيد : ٢ ٥ - كوم حمادة : ٢

٦ - الدلتا : ٢ : ٧ - حوش عيسى ٢ ٨ - أبو المطامير : ٢

ولما كان قوام المعيشة في البحيرة هو الزراعة فقد نالت المنشآت الزراعية أوفر حظ منها ، وزعت على جميع المراكز بالقسطاس المستقيم

## ١ - وحدات مكافحة الآفات :

١٨ في قراقص وكوم الطرفاية وسنباده ودفشو وصفط ونكلا العنب وكوم حمادة وخربتا وحوش عيسى وأبو المطامير وكوم زمران ودمنهور وكفر الدوار ورشيد وإيتاي البارود وشبراخيت والمحمودية والدلتا

## ٢ - حظائر الموشى :

أقيمت حظائر لأغنام المارينو بوحدة سيدى غازى

## ٣ - الوحدات البيطرية :

وعدهما ٢٣ موزعة كالاتى :

٤ - بمركزي أبو حمص وكفر الدوار ، ٤ بمركزي إيتاي البارود وكوم حمادة ، ٤ بمركزي حوش عيسى وأبو المطاير ، ٤ بمركزي المحمودية وشبراخيت ، ٢ بمركزي المسين والطود ، ٢ بمركزي دمنهور ، ٣ بنواحي شابور وإدفينا ورشيد .

٤ - مجمع المحاكم : أقيم مجمع للمحاكم بكوم حمادة .

٥ - توزيع الكهرباء : أقيمت محطة لتوزيع الكهرباء بكوم حمادة .

٦ - منشآت الإصلاح الزراعي : وقد أتمت المحافظة فعلا لإنشاء مباني للإصلاح الزراعي بالمنطقة الرابعة بالنوبارية والطريق الصحراوي ودمنهور ومديرية التحرير وكفر الدوار وأبو حمص وإدكو والبوصيلي ، وكلها افتتحت في العيد العاشر للثورة ،

٧ - مجلس مدينة دمنهور : منذ تحقق نظام مجالس المدن بالمحافظة ، ومجلس مدينة دمنهور - بصفة خاصة - يوالى الجهود لإظهار دمنهور بمظهر الزهرة الياقة وسط هذه الشبكة الواسعة الأرجاء من الحياة الريفية ، خصوصا وأن دمنهور كانت دائما ولا تزال كعبة الواردين عليها من شتى المراكز التابعة لها ، وقد زاد قدوم الواردين عليها أضعاف ما كان عليه من قبل ولا سيما إلى المحافظة . لهذا قام مجلس مدينة دمنهور بعدة مشروعات وحرص على أن تفتح جميعا في العيد العاشر للثورة وهي :

إنشاء محطة الاتوبيس بحى شبرا وإنشاء زاوية ومكتبة بميدان هذا الحى ، ومزرعة لتربية البط ، ومتنزه للأطفال ، وميناء للسفن النيلية ، ومعرض صناعى وزراعى على الطريق السريع وسوق تجارية فضلا عن إنشاء المدخل الجديد للمدينة والذي أصبح بحق حديث الجميع لا فى البحيرة وحدها بل فى جميع أرجاء الجمهورية ويجب ألا ننسى أن مجلس المدينة قد أصبح هو المشرف على المكتبة العامة التى كانت تابعة للبلدية وأنه لينتظر من هذا الإشراف خير كثير بالنسبة للتشجيع على الاطلاع ، وتزويد المكتبة بالذخائر العلمية ولا سيما المخطوطات والوثائق ذات الصلة بالبحيرة وأبنائها ، كما ينتظر أن تكون هذه المكتبة (الأم)

مركز إشعاع مكتبي نحو كل وحدة من أكبر قرية إلى أصغر عزبة في المحافظة حيث تنال من الكتب والصحف والمجلات مامن شأنه محور الأمية ثم نشر الوعي القومى حتى تحتفل البحيرة قرياً بتعليم آخر أُمى من أبنائها . والأمل موقود على السيد رئيس مجلس المدينة الأستاذ الهمشرى الذى يعمل فى جد عملاً يستحق عليه كل تقدير .

## الشئون الاجتماعية

فى أغسطس سنة ١٩٣٩ أنشئت لأول مرة فى تاريخ الحكومة المصرية وزارة جديدة أطلق عليها اسم « وزارة الشئون الاجتماعية » ، وفى سنة ١٩٥٣ بدأ تنفيذ نظام المناطق الإقليمية لهذه الوزارة فى القاهرة والإسكندرية والقليوبية والجيزة ، ثم اعتباراً من سنة ١٩٥٤ عممت هذه المناطق وقامت منطقة البحيرة بواجبها فى نطاق الفروع أى المصالح التى انقسمت إليها وهى : الخدمات الاجتماعية والعمل والتعاون والفلاح والضمان الاجتماعى ، ولما اتسع نطاق هذه الوزارة إزاء التوسعات الاجتماعية التى وضعت الثورة دعائمها - أنشئت وزارة جديدة سنة ١٩٦٢ باسم « وزارة العمل » ، أصبح لها فى البحيرة أيضاً منطقة . وفيما يلى مظاهر نشاط الشئون الاجتماعية فى البحيرة فى خلال السنوات العشر الماضية :

١ - سنة ١٩٥٣ أنشئ المعرض الدائم للصناعات الريفية البيئية بدمهور ولا يزال قائماً إلى اليوم ، ويشتمل على منتجات المحافظة ، وقد نجح فى تسويقها وبذلك عمت المنفعة الجهات المنتجة من أفراد ومدارس وملاجئ ومؤسسات وهيئات اجتماعية .

٢ - سنة ١٩٥٥ أنشئت خمس دور للحضانة فى بستانى وديروط وسرنباى وصفط العنب ودسونس أم دينار ودمهور .

٣ - سنة ١٩٥٥ تكونت جمعية السيدات بدمهور كان من أبرز نشاطها إنشاء المشاغل وتعميمها ، وبذلك سبقت البحيرة جميع المناطق فى هذا النشاط النسائى الاجتماعى النافع .

٤ - سنة ١٩٥٣ عمت الصناعات الريفية جميع المراكز الاجتماعية وعددها ١٨

وهي : دسونس أم دينار - صفط العنب - كفر بولين - شابور - ششت  
الأنعام - محلة عبيد - أسمايه - أرمانيه - منشاة بليج - النجيلة - زاوية صقر -  
بسنتمواي - البرنوجي - سرنباي - ديروط .

والمعروف أن هذه المراكز الاجتماعية قد تحولت إلى وحدات مجمعة ، كما  
أن هذه الصناعات قد شملت أربع جمعيات أخرى الإصلاح الريفي في القرى  
والعزب التي تقع بين كل اثنين من المراكز الاجتماعية .

٥ - في سنة ١٩٠٢ أنشئت بدمهور ساحة شعبية واحدة فلما قامت الثورة ،  
عملت الشئون الاجتماعية على تطويرها فأدخلت الأشغال الفنية واليدوية بها  
فزادقبال روادها من فتيان وفتيات ، كما أنشئت ساحة أخرى سنة ١٩٥٦  
وأنشئ بها حمام للسباحة .

٦ - سنة ١٩٥٥ نفذ مشروع تدريب المكفوفين والمكفوفات في مختلف  
الأعمار على الصناعات اليدوية في ( ديروط ) وتم تسويق منتجاتهم من  
الكافس والسلال والمنسوجات اليدوية وأدوات النظافة وغيرها .

٧ - سنة ١٩٥٧ أنشئ في رشيد مركز صناعي لتجفيف السمك وصناعة  
شباك الصيد وصناعة السلال والأقفاص بما يستمد مواده الخام من البيئة ،  
وفي العيد العاشر للثورة تحتفل البحيرة بإنشاء اثنين من الأندية الرياضية  
أحدهما بدسونس أم دينار والآخر بصفط العنب ومركز للتأهيل المهني للعاجزين  
بدمهور ووحدة اجتماعية بالمحمودية وأخرى بقومبانية أبو قير .

هذا وقد قامت المحافظة بإنشاء ست وحدات مجمعة في الكوم الأخضر وكوم  
البصل ( قرية الشهيد جواد حسني ) ومحلة بشر وزاوية غزال ودمستا ومحلة  
الأمير ، فضلا عن الوحدات الخمسة عشر الموجودة بالمحافظة فعلا موزعة على  
أنحاء المحافظة .

وبالمحافظة الآن اثنتا عشرة ساحة شعبية ، وستنشئ اثنتين أخريين بحوش  
عيسى ورشيد وأسهمت المحافظة في تكاليفها .

وفي هذا العيد أيضا يتم إنشاء ستة مراكز لرعاية الأمومة والطفولة في

— ٩٤٩ —

المحمودية والدلنجات وأبو المطامير وشبراخيت وإيتاي البارود وأبو حمص  
ويتكلف كل مركز سبعة آلاف من الجنيهات .

مشروعات أخرى : ومن مشروعات هيئة السنوات الخمس في المحافظة -

- ٢ - إنشاء وحدة للسجاد والكليم : بالوفائية وتكلف ٥٥ ٧ ج
- ١ - د د لنسج الحرير والقطن : بإدكو د ٩٤٠٠
- ٣ - د د تدريبية للصباغة والتجهيز : بإدكو د ٩١٧٩
- ٤ - د مجموعة للصيانة : بدمهور د ٣٠٠٤١
- ٥ - د ثلاثة مراكز لرفع المياه بأنحاء مختلفة من المحافظة لتقوية  
محطات المياه . وتكلف ٣٦ ألف جنيه .

٦ - إنشاء ٦ نقط مرور على الطريق الحديث تتكون كل نقطة من حجرة  
ودورة مياه ومزودة بالكهرباء والماء وأحدث أجهزة الاتصال وتكلف كل  
منها : ٣٥٠ جنيه .

## النشاط الديني

تعنى محافظة البحيرة بنشر الوعي الديني ، وظهرت معالم هذه العناية في  
إصلاح المساجد وتجديد دوراتها والإكثار منها ، وشجعت الأهالي على البناء  
في سبيل ذلك ، ولعل في تجديد (جامع التوبة) بدمهور على النحو الرائع الذي  
أنشئ عليه أكبر دليل على ذلك في عهد الثورة المباركة ، أما القرى الحديثة التي  
أنشأتها المحافظة فقد تضمنت في منشأتها مسجدا على طراز حديث يتميز بالبساطة  
والنظافة .

كما أن المحافظة انتحت لأول مرة معهدا للقراءات في ٢٢ مارس سنة ١٩٦٢  
الحق بالمعهد الديني ، ويعتبر المعهد الثاني بعد معهد القاهرة ، وقد تبرع الأهالي  
لد بمبلغ أربع مائة جنيه وأسهمت المحافظة بمبلغ خمسمائة جنيه . ووضعت المحافظة  
في اعتبارها إنشاء مبنى خاص لهذا المعهد مستقبلا .

وفي شهر رمضان سنة ١٣٨٠ ( ١٩٦٢ ) وزعت المحافظة مبلغ ست مائة جنيه  
تشجيعا منها للمتفوقين في حفظ القرآن الكريم ، وقد شغل السيد المحافظ أئمة

المساجد وخطباءها يعطفه وعمل على إنصافهم بعد أن طال عليهم الأمد وهم في حالة يرثى لها من حيث المرتبات .

ويحرص السيد المحافظ شخصيا على اعتبار بيوت العبادة مراكز إشعاع وثقافي للمواطنين . وفي أحاديثه المتوالية في المناسبات القومية أخذ يؤكد هذه الفكرة ، فأكثر من الاجتماعات بالمواطنين في المساجد حيث يستمع إليهم ويستمعون إليه .

وفي ظل اشتراكيتنا الإسلامية ، جدد أهالي إدكو بمديتهم مساجد الحصان وتاج الدين والثعلبي والجبرتي ، كما أنشأوا مساجد صغيرة أخرى كل ذلك من تبرعاتهم دون أن يكلفوا خزانة الدولة شيئا .

## السياحة والاصطياف

تملك محافظة البحيرة من الإمكانات والمظاهر الطبيعية والمعالم الأثرية والعوامل الجغرافية ما من شأنه اعتبارها منطقة هامة تجذب السياح والمصطافين إليها : لأن حدودها الشمالية امتداد طبيعي للإسكندرية الممتازة بمصايفها الشرقية التي من أهمها سيدي بشر ثم أبوقير التي اقتطعت من البحيرة وضمت إلى الإسكندرية وامتدت إليها يد الإصلاح والرعاية في ظل الثورة فأصبحت مقصد عشاق الهدوء والجمال صيفا وشتاء

وفي الحق أنه لم يكن مستظرا من البحيرة بعد أن أصبحت محافظة أن تعنى بقطاع السياحة والاصطياف ، في حين أنها لاتزال بسبيل تحقيق « الضروري » قبل « الكمال » . ومع ذلك فإن المهمة المعروفة عن وجيه أباطه قد حدث به إلى موالاة هذا المشروع بعنايته قبل الأوان . ففي شهر يونيه سنة ١٩٦٢ افتتح الطريق السياحي الممتد من إدكو إلى شاطئ البحر وبلغ طوله ثلاث كيلو مترات انتهى العمل منه في خمسة عشر يوما ، أسهم فيه الأهلون بالتنازل عن الأراضي المملوكة لهم التي شقها الطريق ، وأسهم شباب الجامعات والمعاهد والمدارس والعمال من أبناء إدكو في لإنجازه بهذه السرعة حتى تحقق الحلم المزمع الذي كان يداعب خيال كل إدكوى منذ خمسين سنة .



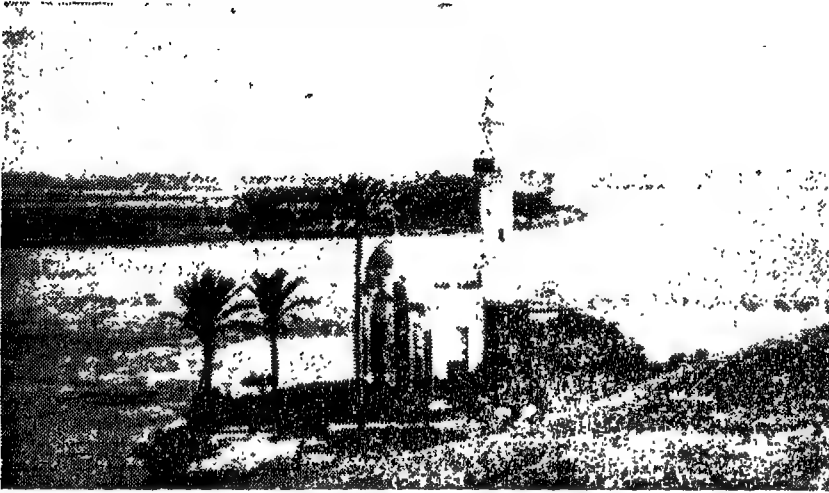
وهذا الطريق سيربط البحر والبحيرة ، ويسهل على الأهالي الانتقال وسط الرمال إلى ميناء إدكو الجديد والذي سيحقق عمليا ما ترقوه في المراجع التاريخية القديمة عن « ثغر إدكو المحروس » ، وسيكون من شأنه إنعاش المدينة من حيث الصيد والزراعة فضلا عن تشجيع الاصطياف في أقرب فرصة ممكنة ، فسينشئ الأهالي ومجلس المدينة أكشاك الاصطياف ، وكازينوهات على الشاطئ .

وعلى هذا ستصبح مدينة إدكو أول منطقة سياحية في محافظة البحيرة على أثر هذا الطريق ، وسيعنى مجلس المدينة بطبيعة الحال بإنشاء متحف قومي ، والعناية بالآثار القديمة الموقورة في إدكو وما حولها ، وخصوصا أن إدكو إحدى ثمانى عشرة مدينة وقع عليها الاختيار لإدخال الكهرباء فيها لأول مرة وذلك في العيد العاشر للثورة . كما أنها إحدى المدن السبعين التي تقرر إعادة تخطيطها وتنسيقها على أحدث النظم التخطيطية للندن .

ولاشك أن (معبد الهرقليوم) و(المعدية) و(أبو منصور) و(رشيد) و(الحاد) و(برج مغيزل) ، و (قلعة رشيد) و (كفر الدوار) و (دمهور) و(كوم جعيف) و(كوم فربن) و(قراش) كل هذه أماكن تاريخية سياحية ، لمس القارىء أمجادها في فصول هذا الكتاب ، وتستحق العناية من مجلس المحافظة ومجالس المدن والمجالس القروية لتضع جميعا نصب عينيها العناية بإعدادها لتكون فقط ارتكاز سياحية ومن المؤكد أن السيد الدكتور عبد القادر حاتم وزير الدولة خبير من يشجع على هذه النهضة السياحية والاصطيافية التي يهتم بها السيد وجيه أباطة .

ويجب أن نشير إلى أن السياحة الداخلية لها أهميتها الكبرى في هذا المشروع ، فإن الرحلات التي يقوم بها الطلبة والعمال والموظفون وضيوفنا صيفا وشتاء إلى الإسكندرية والقاهرة والأقصر وأسوان يجب أن تكون من بينها زيارة (أبو منصور) وموقعه الساحر على ضفة النيل الصافي وسط الرمال الناعمة ، وكذلك يجب العمل على وضع برامج تفصيلية لزيارة وادى النطرون ومديرية التحرير ومناطق البصيل وإدكو والمعدية وأبيس وإدفينا ، مع العناية بإنشاء الكازينوهات

والمتاحف القومية وسباق الزوارق في بحيرة إدكو ، والمباريات المتعددة في كل مكان بالمحافظة تساعد إمكانياته على ذلك ،



مسجد أبو مندور على شاطئ النيل

ولعل تحسين مدخل دمنهور ، وإنشاء الاستاد ، وتحسين القرى الواقعة عند مدخل المدينة ، يعتبر بدءا لعلاقة ثورية هائلة نحو خلق مناطق سياحية داخلية وخارجية بالبحيرة وإحالة بعضها إلى مشاتي ومصايف تجذب أنظار المواطنين والأجانب على السواء .

وليس أدل على المزايا السياحية التي تتمتع بها البحيرة من أن ( والتر وانجر ) منتج فيلم ( كليوباترة ) قد وقع اختياره على رمال إدكو ونخيلها لالتقاط المناظر الرئيسية للفيلم الذي بدأ تصويره في ( نابلي ) وينتهي في ( إدكو ) .  
هناك على هذه الرمال وبين النخيل بإدكو اشتبكت جيوش ( أنطونيوس ) و ( قيصر ) .

وقريبا من إدكو .. وعلى شاطئ أبو قير .. يتم التقاط منظر أنطونيوس وهو يتجرع غصص الهزيمة في وقعة ( أكتيوم ) سنة ٣١ ق.م .  
وهكذا يعيد التاريخ نفسه .. ويكتشف المنتجون العالميون للسينا من البحيرة ما يعيد ذكريات كفاحها العريق وعلى أرضها .

وقد تحدث الكاتب الفنان كمال الملاخ<sup>(١)</sup> عن الاستعدادات الهائلة التي تجرى في إدكو الآن مما جعلها أشبه بخليّة نحل ، كما أن الطريق إلى البحر قد تم رصفه لهذا الغرض ، وبلغت تكاليف لقطات إدكو وأبو قير وحدها مليونين من الدولارات .

## النهضة الصناعية

قلنا إن الظروف المتعددة قد ساعدت على قيام نهضة صناعية متازة في ( البحيرة ) : سهولة المواصلات ، ملائمة الجو . وفرة الأيدي العاملة . القرب من ميناء الإسكندرية . وهكذا .

وتمتاز محافظة البحيرة بكثرة المصانع العملاقة فيها ، تلك المصانع التي تقف في مصاف المصانع العالمية ، وإذا كانت قد أنشئت فيما قبل الثورة ، إلا أنها قد تحولت على يد الثورة من إقطاع واحتكار وسيطرة إلى اشتراكية وتعاونية وعدالة وعلى رأس هذه المصانع :

١ - مصانع الحرير الصناعي : بكفر الدوار وهي إحدى شركات مؤسسة مصر . وقد أنشئت عام ١٩٤٦ برأسمال قدره مليون ونصف جنيه زيد حتى بلغ ثلاثة ملايين ، وهي تزود الأسواق بالآلياف الصناعية وورق المصروفان ( سيلوفان ) والخيوط الحريرية ، ومنذ سنة ١٩٥٨ أنتجت الخيوط والآلياف التركيبية ( النايلون ) وأخيرا أنتجت خيوط النايلون المطاطة ( هيلانكا ) .

وقد استطاعت الإدارة الحازمة التي تشرف على هذه المصانع من توفير العملات الأجنبية لدعم اقتصادنا القومي ، فأمكن تحقيق الاكتفاء الذاتي لصناعة غزل ونسيج الحرير بما وفر على الدولة دفع مبالغ طائلة ثمنها للواردات . هذا من جهة . ومن جهة أخرى أمكن بتصدير الفائض من الإنتاج الحصول على فائض من العملات الأجنبية .

وشيدت الشركة أيضا مصانع لإنتاج حامض الكبريتيك وثاني كبريتور

الكربون وأقامت محطتين للبياسه والكهرباء لتزويد المصانع والمساكن بما يلزمها منها .

وكان عدد العمال والموظفين ٢١٦١ سنة ١٩٥١ فزاد إلى ٣٥٨٨ سنة ١٩٦١ كما ارتفع أجر العامل في اليوم من ٣٠٠ ملياً إلى ٥٣٠ ملياً . وفي ظل القوانين الاشتراكية الجديدة وفرت الشركة شتى الخدمات للعمال والموظفين من النواحي الصحية بإنشاء المساكن للعمال والموظفين ، وتيسير المواصلات لهم إذا كانوا يسكنون الإسكندرية بلا مقابل ، كما شجعت على تكوين جمعيات مختلفة للهواة وعشاق الفنون وذوى النشاط الرياضى والاجتماعى .

ومن سنة ١٩٥٨ تدرج الإنتاج هكذا : الورق الشفاف المانع للرطوبة ( مصروفان ) ثم خيوط النايلون ( مصر نايلون ) وفبران النايلون ( مصريلون ) والخطوط المطاطة ، وقريباً يبدأ إنتاج خيوط وأقمشة إطارات السيارات والاليف الصناعية المستحقة ومن سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٦١ كان الإنتاج يزداد باستمرار على نحو يبشر بمستقبل رائع لهذه الصناعة .

٢ - مصانع كفر الدوار للغزل والنسيج : أنشئت في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٨ برأس مال قدره ٢٥٠ ألف جنيه ، ثم ارتفع رأس المال تباعاً حتى بلغ مليونين من الجنيهات لإنتاج الغزل الرفيع ومنسوجاته من القطن المصرى .

وأقيمت هذه المصانع على مساحة مائتى فدان من الأراضى الواقعة فى جوار كفر الدوار ، ثم اتسعت حتى شملت أربعائة فدان ، وتخصصت هذه المصانع فى إنتاج الغزل والنسيج الخام ، كما قامت مصانع صبغة البىضا ، بإتمام المرحلة الأولى أى إنتاج الأقمشة وإعدادها للصبغة والتجهيز النهائى .

وظهر أول إنتاج لهذه المصانع سنة ١٩٤٠ أى فى خلال الحرب العالمية الثانية التى حالت دون ورود الأقمشة القطنية من الخارج ، فسدت هذه المصانع حاجيات السوق المحلية وكانت الوحدة الأولى تتكون من أربعين ألف مغزل وألف ومائتى نول وعمل فيها نحو ستة آلاف عامل وموظف .

وفى سنة ١٩٤٤ تم إنشاء الوحدة الثانية وكانت تتكون من ٦١ ألف مغزل

وألف وثلثمائة نول ، وعشرة آلاف مغزل زوى الخيوط . وحقت نجاحا منقطع النظير فراجت منتجاتها وزاد عدد العمال والموظفين على عشرة آلاف حتى سنة ١٩٥٧ وأخذت مصر تصدر إلى الخارج الغزل والأقمشة .

وزاد إقبال الأسواق الخارجية على منتجات كفر الدوار ، ففي سنة ١٩٥٤ بدى بإنشاء الوحدة الثالثة والرابعة ، وأمكن إنتاج غزل رفيع جداً للغاية من القطن المصرى . فصار مصنع الغزل الجديد يشتمل على سبعين ألف مغزل ، كما اشتمل مصنع النسيج على ٦٣٢ نولاً آلياً . زيدت إلى ١٢٠٠ نول إلى جانب مغازل الزوى والأنوال التى بلغت ٣٧٠ .

ومنذ سنة ١٩٥٤ اتسعت المباني وزادت الآلات ، حتى بدأت الوحدة الثانية والثالثة والرابعة لإنتاجها سنة ١٩٥٧ ، وأقيمتا على ٢٤ فداناً ، وصارت نسبة صادراتنا ١٥٪/ وأصبحت تنافس تسعة عشر بلداً من أعرق البلدان الصناعية فى العالم ، وغزاها إنتاج كفر الدوار .

وفى يولييه سنة ١٩٦١ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر القوانين الاشتراكية الجديدة ، فأشرك العمال والموظفين فى أرباح المصانع بنسبة ٢٥٪/ بما فيها الخدمات وبذلك خطت هذه المصانع خطوة هائلة نحو الاشتراكية الصناعية ، وانقطع دابر الإقطاع والاحتكار والتحكم والسيطرة والاستبداد ، فزاد الإنتاج وزادت الأرباح فوزعت على الجميع .

وفى العيد العاشر للثورة وضع حجر الأساس لوحدة بستره اللبن ، وأخرى لفرز وتدريب الموالح بكفر الدوار ، وأنشئت خمس ثلاجات فى دمنهور وأبو حمص ورشيد والتوفيقية وكوم حماده ، وأربع صوامع غلال بدمنهور وإيتاى البارود ، وكوم حماده ورشيد ،

كما دعم مصنع الغزل والنسيج الرفيع بالمحمودية بإنشاء ١٥ ألف مغزل ويتبعها مثلها قريباً ، كما نهض مصنع الكبريت بدمنهور تحت إشراف المحافظة وكذلك مصانع الكروم والكحول فى جناكليس ومصانع الزيوت العطرية .

**المعادن :** بالبحيرة معادن ذات أهمية في الصناعة منها : الملح و (الثور يوم) في الرمال السوداء المنتشرة ما بين سواحل رشيد وإدكو وهي من المواد النورية المشعة وتحتوى هذه الرمال أيضاً على (المايكا) و (الفلسبار) و (الكوارتز) التي تدخل في صناعة الزجاج . ويتوقع علماءنا في القريب العاجل اكتشاف البترول في شمال الدلتا وخصوصاً شمال البحيرة .

## مكتب الاستعلامات

لم يكن بالبحيرة قبل الثورة أية وسيلة للإعلام ، ولما عمت مكاتب الاستعلامات ، خص محافظة البحيرة مكتب منها مهمته نشر الوعي القومي في جميع الأوساط ، وتنوير الرأي العام بمجريات الأمور الداخلية والخارجية ، والمساهمة في جميع حملات الدعاية من دمنهور الى بطون القرى والكفور في شتى الأمور التي تهتم الرأي العام .



## الفهرس

صفحة

٩ : تقديم الكتاب : بقلم السيد محمد وجيه أباظه محافظ البحيرة .

١١ : المؤلف .

١٣ : فاتحة الكتاب : بقلم المؤلف .

١٧ : المراجع العربية .

٢٥ : المراجع الإفرنجية .

٢٩ : ١ - بحيرة البحيرات . . طبيعة الإقليم . . بحيرة البحيرات . . الفرع الكانوني . .  
فرع رشيد . . بحيرات البحيرة . . بحيرة إدكو . . بحيرة أبو قير . . سد أبو قير . .  
بحيرة مريوط . . ملاحات البحيرة . . النيل يتغلغل في البحيرة . . أحواض البحيرة . .  
ترعة الإسكندرية . . الري والصرف في إقليم البحيرة . . البحيرة أول درع للدفاع  
عن مصر .

٧٨ : ٢ - بلاد البحيرة في مختلف العصور . البحيرة كوحدة إدارية . .  
البحيرة بين ضباب الأساطير . . دمنهور . . رشيد . . إدكو . . نقراطيس . .  
هرقليوم . . كانوب . . منيوتيس هل هي أبو قير . . الكريون . . الطرانة . .  
تروجة . . مصيل . . كوم شريك . . بلبيب . . خربتا . . كفر مستنان . . درشابه . .  
البللقون . . إشناسيم . . وادي النطرون . . حوف رمسيس . . الرحمانية . .  
أبو حصص . . بقية بلدان البحيرة .

٢٢٤ : ٣ - البحيرة في موكب الحضارة . هوريس على عرش البحيرة . .  
تطور الحضارة في إقليم البحيرة . : الديمقراطية الأولى . . سكان البحيرة وأصولهم  
الأولى . . ليديون وبونانيون . . اليونان والرومان . . مقاطعة إيمتي . . مقاطعة  
خاسيت . . مقاطعة ميتيليت . . مقاطعة نقراطيت . . مقاطعة مينيلاييت . .  
مقاطعة جينوكوبوليس . . مقاطعة مونميت . . مقاطعة أندروبوليت . . مقاطعة

مريوطيس . . مقاطعة بريس . . منطقة الإسكندرية . . آثار البحيرة . . حجر رشيد . . حكومة البحيرة . . حاكم البحيرة . . البحيرة والحياة النيابية . . رؤساء مجالس المدن . . رؤساء المجالس القروية . . أبناء البحيرة في مجلس الأمة . . النشاط الصناعي . . الإقطاع والالتزام في البحيرة . . طرق المواصلات في البحيرة والمدارس .

٢٨٤ : ٤ - عرب البحيرة في مختلف العصور . عرب مصر . . عرب البحيرة . . في العصر التركي . . العصر العثماني . . مع الفرنسيين . . مع الألفي . . مع محمد علي . . مع خلفاء الباشا . . الملاحم العربية في البحيرة .

٣٢٧ : ٥ - كفاح البحيرة معارك وانتصارات : أرض الثورات . . أول ثورة على الملكية . . دماء على الكانوبي . . البحيرة مقبرة الرومان . . البحيرة وشاهين الفارسي . . البحيرة قنطرة الإسلام . . خربتا تطالب بدم هنان . . الكريون مقبرة بنى أمية . . مذابح العباسيين في البحيرة . . البحيرة تطوى أعلام العبيد . . شاور وضرغام على أرض البحيرة . . خيرات البحيرة ينهبها الغزاة . . البحيرة حمامات الدم . . البحيرة أرض لمهاد . . البحيرة بين السلطان وشيخ البلد . . ملك الأمراء في البحيرة . . جزار البحيرة . . نابليون والفردوس المفقود . . نيران على ضفاف شبراخيت . . المقاومة الشعبية على طول الخط . . أسطول نابليون يتحطم في أبو قير . . الثورة على نابليون في إدكو وإدفيشا . . دمنهور على فوهة بركان . . حرائق في علقام بأمر نابليون . . الثورة الكبرى في البحيرة . . مينو يتزوج زبيدة الرشيدية . . الرحمانية محور ارتكاز نابليون . . البحيرة بين محالب الذئاب . . عمدة إدكو يتجسس لحساب فرنسا ؟ كلا . . مؤامرات على البحيرة دمنهور تسحق الأتراك والإنجليز يصبحون . . البرديسي يقتحم من البحيرة . . الألفي بك من إنجلترا إلى البحيرة . . على أسوار دمنهور تحطمت أحلام الألفي . . إدكو تقف في وجه محمد علي . . قبل العاصفة . . إلى رشيد . .



رشيد تدخل التاريخ .. فريزر ينتقم .. الطريق إلى المعركة .. تيجان النصر على  
جدين الحما .. حديث معركة الحما .. ثمار النصر في رشيد والحما .. فضائح  
محمد على في البحيرة .. حوش عيسى تتحدى الباشا .. مين زى العسكر فى الطواي  
الله ينصرك يا عربى .. إلى كفر الدوار يا عربى .. مناوشات على حدود كفر  
الدوار .. كفر الدوار تنسف قطارات الإنجليز .. البحيرة وثورة سنة ١٩١٩ :

٤٥٧ : ٦ - أعلام البحيرة في موكب النور : بحيرى وبحراوى .. أعلام  
دمهور .. أعلام رشيد .. أعلام لإكو .. أعلام لإخنا .. أعلام الحما ..  
أعلام الجدية .. أعلام لقانة .. أعلام تروجة .. أعلام برج مفيزل .. أعلام  
بلقتر .. أعلام سنهور .. أعلام شبراخيت .. أعلام اليهودية ( الوفائية )  
أعلام أبو خراش .. أعلام محلة بشر .. أعلام كفر العيص .. أعلام العطف  
(المحمودية) .. أعلام البساقون .. أعلام معينة (عزبة الحرمل) .. أعلام  
إييا الحمراء .. أعلام زاوية أبو شوشه .. أعلام الدلنجات .. أعلام إفلاحة ..  
أعلام خربتا وشرنوب .. أعلام برنبا .. أعلام مريوط .. أعلام الكريون  
أعلام مطوبس .. أعلام الرحمانية .. أعلام محلة نصر .. أعلام جنبواوى ..  
أعلام أبو الخاوى .. أعلام إيتاى البارود .. أعلام العساكرة .. أعلام قبور  
الأمراء .. أعلام ببيان .. أعلام سماديس .. أعلام كفر مستنان .. أعلام النشو  
البحرى .. أعلام لإشليم .. أعلام شابور .. أعلام درشابة .. أعلام  
أبو درة .. أعلام أبوقير .. أعلام فرنوى .. أعلام ديروط .. أعلام  
قراقص .. استدراك .

٦١٨ : ٧ - البحيرة والثورة في عشر سنوات : لقاء .. النظام الإدارى ..  
التوسع العمرانى .. النشاط التعاونى .. ردم ترعة الخندق مركز الشباب  
(استاد دمنهور) .. النشاط الصحى .. النهضة التعليمية الثقافة : كنوزها

== ٦٦٠ ==

وقصورها . الإسكان الاقتصادي .. الشؤون الاجتماعية .. النشاط الديني ::  
السياحة والاصطياف .. النهضة الصناعية .



بحمد الله

تم طبع هذا الكتاب يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٢

صدر أخيرا للتألف :  
كتاب  
الإدارة المحلية في مصر  
- من خمسة آلاف سنة إلى اليوم -

ويطلب من  
دار المعارف بمصر وفرعها بالإسكندرية



المؤلف يرحب بملاحظات السادة القراء واقتراحاتهم  
وتعليقاتهم على أن تكون المراسلات بهذا

العنوان :

محمد محمود زيتون

دار المعارف بالاسكندرية  
ميدان التحرير

مطبعة المصري  
٩ شارع ابن زنكي خلف شيكورييل  
تليفون ٣٧٤٠٦ اسكندرية



ملزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر - شارع كورنيش النيل - القاهرة ج. ٠ ع. ٢٠  
فرع الاسكندرية - ٢ ميدان التحرير